COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0040583759

BP
130.4
.T28
v. 22-25.

0929044-3

JAN 29 1973

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

DUE DATE

OLX FEB 1 5 1995
OLX MAY 3 1 1993
OLX MAY 3 1 1993
JAN 1 0 1997
AUG 2 9 2000
SEP 20 2001

201-6503
Printed in USA

75-963503
(Vol. 22-25)

جامع البيان
عن
تأويل آى القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثانى والعشرون

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

BP
130.4
.T28
v.22-25

فهارس الجزء الثانى والعشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

JAN 12 1973

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الأحزاب	
٣١	ومن يقنت منكنّ لله ورسوله . . .	١
٣٢	يا نساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء . . .	٢
٣٣	وقَرْنَ فى بيوتكنّ ولا تبرّجن . . .	٢
٣٤	واذكُرْنَ ما يتلى فى بيوتكنّ . . .	٩
٣٥	إنّ المسلمين والمسلمات . . .	٩
٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . .	١١
٣٧	وإذ تقول للذى أنعم الله عليه . . .	١٢
٣٨	ما كان على النبيّ من حرج فيما . . .	١٤
٣٩	الذين يبلغون رسالات الله . . .	١٥
٤٠	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . . .	١٦
٤٢	وسبحوه بكرة وأصيلا .	١٦
٤٣	هو الذى يصلى عليكم وملائكته .	١٦
٤٤	تحيتهم يوم يلقونه سلام . . .	١٦
٤٥	يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا . . .	١٨
٤٦	وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .	١٨
٤٧	وبشر المؤمنين بأن لهم من الله . . .	١٨
٤٨	ولا تطع الكافرين والمنافقين . . .	١٨
٤٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم . . .	١٩
٥٠	يا أيها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك . . .	٢٠
٥١	ترُجى من تشاء منهنّ . . .	٢٤
٥٢	لايحلّ لك النساء من بعد . . .	٢٨
٥٣	يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا . . .	٣٣
٥٤	إن تبدوا شيئا أو تخفوه . . .	٤١
٥٥	لاجناح عليهنّ فى آبائهنّ . . .	٤١
٥٦	إنّ الله وملائكته يصلون على النبيّ . . .	٤٣
٥٧	إن الذين يؤذون الله ورسوله . . .	٤٤
٥٨	والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات . . .	٤٤
٥٩	يا أيها النبيّ قل لأزواجك . . .	٤٥
٦٠	لئن لم ينته المنافقون . . .	٤٧
٦١	ملعونين أينما ثُقفوا . . .	٤٧
٦٢	سنة الله فى الذين خلَوا من قبل . . .	٤٨
٦٣	يسألك الناس عن الساعة . . .	٤٩
٦٤	إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا .	٤٩
٦٥	خالدين فيها أبدا لايجدون وليا . . .	٤٩
٦٦	يوم تقلَّب وجوههم فى النار . . .	٤٩
٦٧	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا . . .	٥٠
٦٨	ربنا آتهم ضعفين من العذاب . . .	٥٠
٦٩	يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا . . .	٥٠
٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٥٣
٧١	يصلحْ لكم أعمالكم . . .	٥٣
٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات . . .	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة سبأ	
١	الحمد لله الذى له ما فى السموات . . .	٥٨
٢	يعلم ما يلج فى الأرض . . .	٥٩
٣	وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة . . .	٥٩
٤	ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات . .	٦١
٥	والذين سَعَوا فى آياتنا معاجزين . . .	٦١
٦	ويرى الذين أوتوا العلم . . .	٦٢
٧	وقال الذين كفروا هل ندلكم . . .	٦٢
٨	أفترى على الله كذبا . . .	٦٣
٩	أفلم يروا إلى ما بين أيديهم . . .	٦٤
١٠	ولقد آتينا داود منا فضلا . . .	٦٥
١١	أن اعمل سابغات وقدر فى السرد . . .	٦٥
١٢	ولسليمان الريح غدوّها شهر . . .	٦٨
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب . . .	٧٠
١٤	فلما قضينا عليه الموت . . .	٧٣
١٥	لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . . .	٧٦
١٦	فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم . . .	٧٨
١٧	ذلك جزيناهم بما كفروا . . .	٧٨
١٨	وجعلنا بينهم وبين القرى . . .	٨٣
١٩	فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا . . .	٨٥
٢٠	ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه . . .	٨٧
٢١	وما كان له عليهم من سلطان . . .	٨٨
٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله . . .	٨٨
٢٣	ولا تنفع الشفاعة عنده . . .	٨٩
٢٤	قل من يرزقكم من السموات . . .	٩٣
٢٥	قل لاتسألون عما أجرمنا . . .	٩٥
٢٦	قل يجمع بيننا ربنا . . .	٩٥
٢٧	قل : أرونى الذين ألحقتم به . . .	٩٦
٢٨	وما أرسلناك إلا كافة . . .	٩٦
٢٩	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٩٦
٣٠	قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه . .	٩٦
٣١	وقال الذين كفروا لن نؤمن . . .	٩٧
٣٢	قال الذين استكبروا . . .	٩٧
٣٣	وقال الذين استُضْعفوا . . .	٩٧
٣٤	وما أرسلنا فى قرية من نذير . . .	٩٩
٣٥	وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا . . .	٩٩
٣٦	قل : إن ربى يبسط الرّزق . . .	٩٩
٣٧	وما أموالكم ولا أولادكم . . .	١٠٠
٣٨	والذين يسعَون فى آياتنا . . .	١٠١
٣٩	قل إن ربى يبسط الرزق . . .	١٠١
٤٠	ويوم يحشرهم جميعا . . .	١٠٢
٤١	قالوا سبحانك أنت ولينا . . .	١٠٢
٤٢	فاليوم لايملك بعضكم لبعض . . .	١٠٢
٤٣	وإذا تتلى عليهم آياتنا . . .	١٠٢
٤٤	وما آتيناهم من كتب يدرسونها . . .	١٠٣
٤٥	وكذب الذين من قبلهم . . .	١٠٣
٤٦	قل إنما أعظكم بواحدة . . .	١٠٤
٤٧	قل ما سألتكم من أجر . . .	١٠٥
٤٨	قل إن ربى يقذف بالحقّ . . .	١٠٥
٤٩	قل جاء الحقّ . . .	١٠٥
٥٠	قل إن ضَلَلْتُ فإنما أضلّ على نفسى	١٠٦
٥١	ولو ترى إذ فزعوا . . .	١٠٦
٥٢	وقالوا آمنا به . . .	١٠٩
٥٣	وقد كفروا به من قبل . . .	١١١
٥٤	وحيل بينهم وبين ما يشتهون .	١١٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة فاطر	
١	الحمد لله فاطر السموات والأرض ...	١١٤
٢	ما يفتح الله للناس من رحمة . . .	١١٥
٣	يا أيها الناس اذكروا نعمة الله . . .	١١٥
٤	وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل . . .	١١٦
٥	يا أيها الناس إن وعد الله حقّ . . .	١١٦
٦	إن الشيطان لكم عدوّ . . .	١١٧
٧	الذين كفروا لهم عذاب شديد . . .	١١٧
٨	أفمن زين له سوء عمله ؟	١١٨
٩	والله الذى أرسل الرياح	١١٩
١٠	من كان يريد العزّة . . .	١١٩
١١	والله خلقكم من تراب . . .	١٢١
١٢	وما يستوى البحران . . .	١٢٣
١٣	يولج الليل فى النهار . . .	١٢٤
١٤	إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم . . .	١٢٥
١٥	يا أيها الناس أنتم الفقراء . . .	١٢٦
١٦	إن يشأ يذهبكم . . .	١٢٦
١٧	وما ذلك على الله بعزيز . . .	١٢٦
١٨	ولا تزر وازرة وزر أخرى .	١٢٦
١٩	وما يستوى الأعمى والبصير .	١٢٨
٢٠	ولا الظلمات ولا النور .	١٢٨
٢١	ولا الظلّ ولا الحرور .	١٢٨
٢٢	وما يستوى الأحياء ولا الأموات .	١٢٨
٢٣	إن أنت إلا نذير . . .	١٢٨
٢٤	إنا أرسلناك بالحقّ بشيرا . . .	١٣٠
٢٥	وإن يكذّبوك فقد كذّب . . .	١٣٠
٢٦	ثم أخذت الذين كفروا . . .	١٣٠
٢٧	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء . . .	١٣١
٢٨	ومن الناس والدوابّ والأنعام . . .	١٣١
٢٩	إن الذين يتلون كتاب الله . . .	١٣٢
٣٠	ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم . . .	١٣٢
٣١	والذى أوحينا إليك من الكتاب . . .	١٣٣
٣٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا	١٣٣
٣٣	جنات عدن يدخلونها . . .	١٣٨
٣٤	وقالوا : الحمد لله الذى أذهب . . .	١٣٨
٣٥	الذى أحلنا دار المقامة . . .	١٣٩
٣٦	والذين كفروا لهم نار جهنم . . .	١٤٠
٣٧	وهم يصطرخون فيها . . .	١٤٠
٣٨	إن الله عالم غيب السموات والأرض ...	١٤٢
٣٩	هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ...	١٤٣
٤٠	قل أرأيتم شركاءكم . . .	١٤٣
٤١	إن الله يمسك السموات والأرض . . .	١٤٤
٤٢	وأقسموا بالله جهد أيمانهم . . .	١٤٥
٤٣	استكبارا فى الأرض . . .	١٤٥
٤٤	أو لم يسيروا فى الأرض . . .	١٤٦
٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا . . .	١٤٧
	تفسير سورة يس	
١	يس .	١٤٨
٢	والقرآن الحكيم .	١٤٨
٣	إنك لمن المرسلين .	١٤٨
٤	على صراط مستقيم .	١٤٨
٥	تنزيل العزيز الرحيم .	١٤٩
٦	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم . . .	١٤٩
٧	لقد حقّ القول على أكثرهم . . .	١٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا . . .	١٥٠
٩	وجعلنا من بين أيديهم سداً . . .	١٥٠
١٠	وسواء عليهم ءأنذرتهم . . .	١٥٣
١١	إنما تنذر من اتبع الذكر . . .	١٥٣
١٢	إنا نحن نحيي الموتى . . .	١٥٣
١٣	واضرب لهم مثلا . . .	١٥٥
١٤	إذ أرسلنا إليهم اثنين . . .	١٥٥
١٥	قالوا : ما أنتم إلا بشر مثلنا . . .	١٥٦
١٦	قالوا : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون .	١٥٦
١٧	وما علينا إلا البلاغ المبين .	١٥٦
١٨	قالوا : إنا تطيرنا بكم . . .	١٥٧
١٩	قالوا : طائركم معكم . . .	١٥٧
٢٠	وجاء من أقصى المدينة . . .	١٥٧
٢١	اتبعوا من لايسألكم أجرا . . .	١٥٧
٢٢	ومالى لاأعبد الذى فطرنى . . .	١٥٩
٢٣	أأتخذ من دونه آلهة . . .	١٥٩
٢٤	إنى إذا لفى ضلال مبين .	١٦٠
٢٥	إنى آمنت بربكم فاسمعون .	١٦٠
٢٦	قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى . . .	١٦١
٢٧	بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين .	١٦١

٢ ـ فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله « ومن يقنت منكن » ، وأن الرزق الكريم الجنة .

٣ المراد بمرض القلوب : الشهوات .

٤ معنى الجاهلية الأولى .

٦ من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم ؟ .

٩ تأويل قوله « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن » ، والمراد من الحكمة التى تتلى .

١١ تأويل قوله « وما كان لمؤمن » ... الآية، وما كان من زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة .

١٣ زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين زينب بنت جحش .

١٦ تأويل قوله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » وبيان أنها نزلت فى زيد بن حارثة .

١٩ المرء إذا طلق امرأته قبل الدخول بانت منه ولا عدة عليها وعليه لها نصف المهر إن سُمِّى وإلا فالمتعة .

٢٠ ما أحل الله لنبيه من النساء .

٢٤ تأويل قوله « ترجى من تشاء منهن » وأن القسم كان ليس بواجب عليه .

٢٨ تأويل قوله « لا يحل لك النساء » ، والخلاف فى أن تلك الآية نسخت أو استمرت معمولا بها .

الصفحة

٣٤ تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى » ، وما كان من بعضهم من التحدث طويلا فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤١ تأويل قوله « لا جناح عليهن » ، وأن ذلك فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يجوز لهن إظهار الزينة عندهم .

٤٣ كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

٤٤ طعن المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زواجه صفية .

٤٥ تأويل قوله « يا أيها النبى قل لأزواجك » . . . الآية ، وما يجب على المرأة ستره عند الخروج .

٥١ ما آذى به بنو إسرائيل موسى .

٥٣ تأويل قوله « إنا عرضنا الأمانة » ، والمراد بالأمانة المعروضة ، وكيفية عرضها .

٥٨ تفسير سورة سبأ

٦٢ تأويل قوله « ويرى الذين أوتوا العلم » ، ومن هم ؟

٦٢ ما كان يستغربه المشركون من الإعادة حتى تسبوا الآتى بذلك إلى الكذب أو الجنون .

٦٥ ما أوتيه داود من المعجزات ، وعمله الدروع السابغات .

٦٨ تأويل قوله « ولسليمان الريح » ، وما أوتيه من تسخير الريح والشياطين له .

الصفحة

٧٣ ذكر خبر موت سليمان عليه السلام ، وخفاء ذلك على الشياطين .
٧٦ تأويل قوله «لقد كان لسبأ» ، وذكر نسب سبأ ، وخبر سدّهم ، والسيل الذى أرسل عليهم .
٨٧ تأويل قوله « ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه » وبيان الظنّ الذى كان ظنه .
٩٠ ما يحدث فى الملإ الأعلى عند حدوث أمر إلهى .
٩٣ تأويل قوله « قل من يرزقكم من السموات والأرض » ، ومعنى « أو » والشواهد عليها .
٩٧ كفر المشركين بالقرآن ، وبالذى بين يديه من الكتب .
١٠٦ تأويل قوله « ولو ترى إذ فزِعوا » وخروج السفيانى بجيشه آخر الزمان ، وخسف الأرض بهم .
١١٢ يشتهى المشركون الإيمان فيحال بينهم وبينه .

١١٤ تفسير سورة فاطر

١١٤ أصناف الملائكة ، والشواهد على عدم صرف مَثْنَى وما معه .
١١٦ تأويل قوله « وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل من قبلك » ، ومعنى الغرور .

الصفحة

١٢٠ العزّة لاتكون إلا فى طاعة الله ، وكيفية رفع الكلم الطيب ، وإفساد الرياء للعمل .
١٢٤ تأويل قوله « يولج الليل فى النهار » . . . الآية ، ومعنى القِطْمير .
١٢٨ تأويل قوله « وما يستوى الأعمى والبصير » ، وأنها أمثال ضربت للمؤمن والكافر .
١٣٢ الخوف من الله دأب العلماء العالمين به .
١٣٣ تأويل قوله « ثم أورثنا الكتاب » ، وأن هؤلاء الأصناف من أهل الجنة جميعهم أم لا؟
١٤٠ أهل النار لايخفف عنهم نوع العذاب .
١٤٥ تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » ، وما كان عليه المشركون من طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءهم كفروا به .

١٤٨ تفسير سورة يس

١٥٠ تأويل قوله « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا » وأن فى الآية حذفا ، والشاهد عليه .
١٥٣ بيان أن خُطَا الإنسان إلى الخير تكتب له حسنات .
١٥٥ خبر أصحاب القرية والرسل الذين أرسلوا إليها .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
الفَلا	١١٠
ء	
إباءُ	٣٦
بقاءُ	٣٦
الأَنَاءُ	٣٤
ب	
جَنيبُ	٣٦
شَطيبِ	٣٦
تأوِيبِ	١٤٠، ٦٥
غَيْبِ	١١٣
ثَوْبِ	١١٣
بِريْبِ	١١٣
والخشابا	٩٤
ت	
الحَشَراتِ	٢
بكَرَاتِ	٢
ج	
صُهارِجا	٧١
خارِجا	٧١
د	
مُقْتادِها	٣٥
ر	
الإبتَرْ	٥٩
أُمُورُ	١٠٩
مُستَنيرُ	٧٠
المُدْبِرِ	١١٤
وَطَرَا	١٣
مُتَصَدِّرَا	٢١
ص	
دَلِيصِ	١٣١
ع	
تَتَبَّعُ	٦٧
سُجَّعا	٣٤
ف	
مُخْتَلِفُ	١٠٠
ق	
تَفَيْهَقُ	٧١
فَيَنْهَقُ	٣٥
مُوَفَّقُ	٣٥
الطَّرِيقِ	٦٦
ل	
والغَزَلُ	٧٤
وأذآلها	٦٧
م	
العَرَمْ	٧٨
يَرِمْ	٧٨
قَوْمِ	١٤٦
بنائمِ	٩٨
ن	
اليَقِينُ	١٠٧
يبلنى	١٥١
يأتلينى	١٥١
ى	
غيّا	٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)

﴿ يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله منكنّ ، وتعمل بما أمر الله به (نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) يقول : يعطها الله ثواب عملها، مثلىْ ثواب عمل غيرهنّ من سائر نساء الناس (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) يقول : وأعتدنا لها فى الآخرة عيشا هنيئا فى الجنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) . . . الآية ، يعنى[1] : تطع الله ورسوله . (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) تصوم وتصلى .

حدثنى سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ابن عون ، قال : سألت عامرا عن القنوت ، قال وما هو؟ قال : قلت (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) قال : مطيعين ؛ قال : قلت : (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) قال : يُطِعْنَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) أى من يطع منكنّ لله ورسوله (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) وهى الجنة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) فقرأ عامة قرّاء الحجاز والبصرة : (وَتَعْمَلْ) بالتاء ردًّا على تأويل مَن إذ جاء بعد قوله (مِنْكُنَّ) . وحكى بعضهم عن العرب أنها تقول : كم بيعَ لك جارية وأنهم إن قدموا الجارية قالوا : كم جارية بيعت لك ؟ فأنَّثوا الفعل بعد الجارية ، والفعل فى الوجهين لكم لا للجارية . وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

(١) من هنا إلى آخر الحديث ساقط من الأصل ، وهو فى الدر المنثور للسيوطى (٥ : ١٩٦) .

أيا أمَّ عمرو من يكنْ عُقْرُ داره جِواءَ عديٍّ يأكُلِ الحشراتِ
ويَسْوَدُّ من لَفْحِ السَّمُومِ جبينُهُ ويَعْرُو إنْ كانوا ذوى بكراتِ[1]

فقال : وإن كانوا ولم يقل : وإن كان ، وهو لمن فردّه على المعنى . وأما أهل الكوفة ، فقرأت ذلك عامة قرائها (وَيَعْمَلْ) بالياء عطفا على يقنت ، إذ كان الجميع على قراءة الياء .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان فى كلام العرب ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن العرب تردّ خبر « من » أحياناً على لفظها ، فتوحد وتذكر ، وأحيانا على معناها ، كما قال جلّ ثناؤه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ) فجمع مرّة للمعنى ، ووحد أخرى للفظ .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ، فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ، وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ، إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)

❁ يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ مِنَ النِّساءِ) من نساء هذه الأمة (إنِ اتَّقَيْتُنَّ) الله فأطعته فيما أمركنّ ونهاكنّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ مِنَ النِّساءِ) : يعنى من نساء هذه الأمة .

وقوله (فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ) : يقول : فلا تلنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ مِنَ النِّساءِ إنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ) : يقول لا ترخّصْنَ بالقول ، ولا تخضعن بالكلام .

---

(١) البيتان : من شواهد الفراء فى (معانى القرآن مصورة الجامعة ٢٥٦) قال : أنشدنى بعض العرب . وعقر الدار : أصلها ، وقيل وسطها ، وهو محلة القوم . والجواء : الفرجة التى بين محلة القوم ووسط البيوت ؛ ويقال : نزلنا فى جواء بنى فلان ، وقد بين أبو جعفر الطبرى موضع الشاهد فى البيت ، ناقلا له عن الفراء ، ولم يذكر قائل البيتين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ) : قال : خضع القول : ما يكره من قول النساء للرجال ، مما يدخل فى قلوب الرجال .

وقوله (فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ) يقول: فيطمع الذى فى قلبه ضعف ، فهو لضعف إيمانه فى قلبه ، إما شاكٌ فى الإسلام منافق ، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله ، وإما متهاون بإتيان الفواحش .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : إنما وصفه بأن فى قلبه مرضا ، لأنه منافق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ) : قال : نفاق .

وقال آخرون : بل وصفه بذلك ، لأنهم يشتهون إتيان الفواحش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ) قال: قال عكرمة : شهوة الزنا .

وقوله (وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفا) : يقول : وقلن قولا قد أذن الله لكم به وأباحه .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفا) قال : قولا جميلا حسنا معروفا فى الخير .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله : (وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ) ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين : (وَقَرْنَ) بفتح القاف ، بمعنى : واقررن فى بيوتكنّ ، وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الأولى من اقررن ، وهى مفتوحة ، ثم نقلها إلى القاف ، كما قيل (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) وهو يريد فظللتم ، فأسقطت اللام الأولى وهى مكسورة ، ثم نُقلت كسرتها إلى الظاء . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة : (وَقِرْنَ) بكسر القاف ، بمعنى : كنّ أهل وقار وسكينة (فِى بُيُوتِكُنَّ) .

وهذه القراءة وهى الكسر فى القاف : أولى عندنا بالصواب ، لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا فلا شكّ أن القراءة بكسر القاف ، لأنه يقال : وَقَرَ فلان فى منزله ، فهو يقِر وُقُورا ، فتكسر القاف فى « تفعل » فإذا أمر منه قيل : قِرْ كما يقال من وَزَن يزِن : زِنْ ، ومن وَعد يعِد عِدْ ، وإن كان من القرار ، فإن الوجه أن يقال : اقْرِرْنَ ، لأن من قال من العرب : ظَلْتُ أفعل كذا ، وأحَسْتُ بكذا ، فأسقط عين الفعل ، وحوّل حركتها إلى فائه فى فَعَل وفَعَلْنا وفَعَلْتم ، لم يفعل ذلك فى الأمر والنهى ، فلا يقول : ظَلّ قائما ، ولا لاتَظَلّ قائما ، فليس الذى اعتلّ به من اعتلّ ، لصحة القراءة بفتح القاف فى ذلك ، يقول العرب فى ظَلِلْتُ وأحْسَسْتُ : ظَلْتُ وأحَسْتُ ، بعلة توجب صحته ، لما وصفت من العلة . وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعا منه : يَنْحِطْنَ من الجبل ، وهو يريد : ينحَطِطْنَ ؛ فان يكن ذلك صحيحا ، فهو أقرب إلى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى .

وقوله (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) قيل : إن التبرّج فى هذا الموضع : التبختر والتكسر ؛

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) : أى إذا خرجن من بيوتكنّ ؛ قال : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج ، يعنى بذلك الجاهلية الأولى فنهاهنّ الله عن ذلك ؛

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : سمعت ابن أبى نجيح ، يقول فى قوله (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) قال : التبختر . وقيل : إن التبرّج هو إظهار الزينة ، وإبراز المرأة محاسنها للرجال .

وأما قوله (تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) فإن أهل التأويل اختلفوا فى الجاهلية الأولى ، فقال بعضهم : ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن زكريا ، عن عامر (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) قال : الجاهلية الأولى : مابين عيسى ومحمد عليهما السلام .

وقال آخرون ذلك مابين آدم ونوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبيه ، عن الحكم (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) قال : وكان بين آدم ونوح ثمان مئة سنة ، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه ، فأنزلت هذه الآية (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) .

وقال آخرون : بل ذلك بين نوح وإدريس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن زهير ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا داود ، يعنى ابن أبى الفُرات ، قال : ثنا علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : تلا هذه الآية (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) قال : كان فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم ، كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا ، وفى النساء دَمامة ، وكان نساء السهل صباحا ، وفى الرجال دمامة ، وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام ، فأجرّ نفسه منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذى يَزْمُر فيه الرّعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثلُه ، فبلغ ذلك من حولهم ، فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه فى السنة ، فتتبرّج الرجال للنساء . قال : ويتزين النساء للرجال ، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم فى عيدهم ذلك ، فرأى النساء ، فأتى أصحابه ، فأخبرهم بذلك ، فتحوّلوا إليهنّ ، فنزلوا معهنّ ، فظهرت الفاحشة فيهنّ ، فهو قول الله (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى).

❀ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبىّ أن يتبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى .

وجائز أن يكون ذلك مابين آدم وعيسى ، فيكون معنى ذلك . ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى التى قبل الإسلام.

فإن قال قائل : أو فى الإسلام جاهلية ؟ حتى يقال عنى بقوله (الجاهِلِيَّةِ الأولى) التى قبل الإسلام ؟ قيل : فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) قال : يقول : التى كانت قبل الإسلام ، قال : وفى الإسلام جاهلية ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء ، وقال لرجل وهو ينازعه : يا ابْنَ فلانة ، لأُمٍّ كان يعيره بها فى الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الدَّرْدَاءِ إنَّ فيكَ جاهِلِيَّةً » ، قال : أجاهلية كفر أو إسلام ؟ قال : بل جاهِلِيَّةُ كُفْرٍ ، قال : فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامى يومئذ » . قال : وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ مِنْ عَمَلِ أهْلِ الجاهِلِيَّةِ ، لايَدَعُهُنَّ النَّاسُ : الطَّعْنُ بالأنْسابِ ، والاسْتِمْطارُ بالكَوَاكِبِ ، والنِّياحَةُ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن عبد الله بن عباس : أن عمر بن الخطاب ، قال له : أرأيت قول الله لأزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) : هل كانت إلا واحدة ؟ فقال ابن عباس : وهل كانت من أولى إلا ولها آخرة ؟ فقال عمر : لله درّك يابن عباس ، كيف قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هل كانت من أولى إلا ولها آخرة ؟ قال : فأت بتصديق ما تقول من كتاب الله ، قال : نعم (وَجاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ كَمَا جاهَدْتُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ) ١ قال عمر : فن أمر بالجهاد ؟ قال : قبيلتان من قريش : مخزوم ، وبنو عبد شمس ، فقال عمر : صدقت .

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح . وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح ، فتكون الجاهلية الآخرة ، ما بين عيسى ومحمد ، وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل ، فالصواب أن يقال فى ذلك ، كما قال الله : إنه نهى عن تبرّج الجاهلية الأولى .

وقوله (وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكاةَ) يقول : وأقمن الصلاة المفروضة ، وآتين الزكاة الواجبة عليكنّ فى أموالكنّ ، وأطعن الله ورسوله فيما أمراكنّ ونهاكنّ (إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ) يقول : إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ، ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معاصى الله تطهيرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء ، وخصهم برحمة منه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ

---

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير المحفوظ بدار الكتب ، الورقة ٥٧ ب . ولعلها قراءة لابن عباس .

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : الرجس هاهنا: الشيطان ، وسوى ذلك من الرجس : الشرك .

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (أَهْلَ الْبَيْتِ) فقال بعضهم: عُنِى به رسول الله صلى الله عليه وسلم و ، علىّ ، وفاطمة ، والحسنّ، والحسين ، رضوان الله عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزى ، قال : ثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِى خَمْسَةٍ : فِىَّ ، وفى علىٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَحَسَنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَحُسَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ،وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: « خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم ذات غداة،وعليه مرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن ، فأدخله معه،ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ،وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن أنس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة ، فيقول : الصَّلاةَ أَهْلَ الْبَيْتِ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) » .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروق ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم بن سُوَيد النَّخَعِىّ ، عن هلال، يعنى ابن مِقْلاص، عن زبيد،عن شهر بن حوشب ، عن أمّ سلمة،قالت : «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم عندى ، وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خَزِيرة ، فأكلوا وناموا ، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ، ثم قال : اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِى ، أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا يونس بن أبى إسحاق ، قال : أخبرنى أبو داود ، عن أبى الحمراء ، قال : رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر ، جاء إلى باب علىّ وفاطمة فقال : الصَّلاةَ الصَّلاةَ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) » .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا يونس بن أبى إسحاق ، بإسناده عن النبىّ صلى الله عيله وسلم ، مثله .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا الفضل بن دُكَين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربىّ ، عن أبى عمار ، قال : « إنى لجالس عند واثلة بن الأسقع ، إذ ذكروا عليا رضى الله عنه ،

فشتموه ؛ فلما قاموا ، قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموا ، إنى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه علىّ وفاطمة وحسن وحسين ، فألقى عليهم كساء له ، ثم قال : اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِى ، اللَّهُمَّ أذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ،وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً ؛ قلت : يا رسول الله وأنا ؟ قال : وأنْتَ ؛ قال : فوالله إنها لأوثق عملى عندى » .

حدثنى عبد الكريم بن أبى عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنى شدّاد أبو عمار ، قال : سمعت واثلة بن الأسقع يحدّث ، قال :«سألت عن علىّ بن أبى طالب فى منزله ، فقالت فاطمة : قد ذهب يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلتُ ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش ، وأجلس فاطمة عن يمينه ، وعليا عن يساره ، وحسنا وحسينا بين يديه ، فلفّع عليهم بثوبه وقال: (إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أهْلِى،اللَّهُمَّ أهْلِى أحَقُّ . قال واثلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلى ، قال : واثلة : إنها لمِنْ أرجَى ما أرتجى » .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بَهرام ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن فُضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن أمّ سلمة ، قالت : «لما نزلت هذه الآية (إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فجلّل عليهم كساء خيبريا ، فقال : اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِى ، اللَّهُمَّ أذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً قالت أمّ سلمة : « ألستُ منهم ؟ قال : أنت إلى خَيْرٍ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : ثنا سعيد بن زربى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن أمّ سلمة ، قالت : «جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِبُرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق ، فوضعته بين يديه ، فقال : أين ابن عمك وابناك ، فقالت : فى البيت ، فقال : ادعيهم ، فجاءت إلى علىّ ، فقالت : أجب النبىّ صلى الله عليه وسلم أنت وابناك ، قالت أمّ سلمة : فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلى كساء كان على المنامة ، فمدّه وبسطه ، وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه ، فقال : هَؤُلاءِ أهْلُ البَيْتِ ، فأذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبى سعيد عن أمّ سَلَمة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم : «أن هذه الآية نزلت فى بيتها (إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت : أنا يارسول الله ألست من أهل البيت ، قال : إنَّكِ إلى خَيْرٍ ، أنْتِ مِنْ أزْوَاجِ النَّبِىّ صلى اللهُ عليه وسلّمَ . قالت : وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضى الله عنهم» .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا موسى بن يعقوب ، قال : ثنى هاشم بن هاشم بن عتبة

ابن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : أخبرتني أمّ سلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحَسنين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر إلى الله ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ؛ فقالت أمّ سلمة : يا رسول الله ، أدخلني معهم ، قال : إنَّكِ مِنْ أهْلي » .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا محمد بن سليمان الأصبهانيّ ، عن يحيى بن عبيد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أمّ سلمة : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فدعا حسنا وحُسينا وفاطمة ، وأجلسهم بين يديه ، ودعا عليا فأجلسه خلفه ، فتجلّل هو وهم بالكساء، ثم قال : هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي ، فَأذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ــ قالت أم سلمة : أنا معهم مكانَك ، وأنْتِ على خَيْرٍ [1] » .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المرّيّ ، عن السديّ ، عن أبي الديلم ، قال : قال عليّ بن الحسين لرجل من أهل الشأم : أما قرأت في الأحزاب (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : ولأنتم هم ؟ قال : نعم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا بكير بن مسمار ، قال : سمعت عامر بن سعد ، قال : قال سعد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليا وابنيه وفاطمة ، وأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : رَبِّ هَؤُلاءِ أهْلِي ، وأهْلُ بَيْتِي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد ، قال : « ذكرنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند أمّ سلمة ، قالت : فيه نزلت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قالت أمّ سلمة : جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بيتي ، فقال : لا تَأْذَنِي لأحَدٍ ، فجاءت فاطمة ، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن ، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه ، وجاء الحسين ، فلم أستطع أن أحجبه ، ، فاجتمعوا حول النبيّ صلى الله عليه وسلم على بساط ، فجللهم نبيّ الله بكساء كان عليه ، ثم قال : هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي ، فَأذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط ؛ قالت : فقلت : يا رسول الله : وأنا ، قالت : فوالله ما أنعم وقال : إنَّكِ إلى خَيْرٍ » .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الأصبغ ، عن علقمة ، قال : كان عكرمة ينادي في السوق (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : نزلت في نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة .

---

(١) العبارة : « أنا معهم مكانك وأنت على خير » : كلها من كلام أم سلمة ، وهي نظير قوله صلى الله عليه وسلم طاق الروايات التي قبل هذه : « إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي » ... الخ . (انظر الجزء التاسع عشر من المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب ، الورقة ٦٠) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)

❊ يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكرْنَ نعمة الله عليكنّ ، بأن جعلكنّ فى بيوت تُتلى فيها آيات الله والحكمة ، فاشكرنَ الله على ذلك ، واحمدنه عليه ، وعنى بقوله (وَاذْكُرْنَ ما يُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِ) واذكرن ما يُقرأ فى بيوتكنّ من آيات كتاب الله والحكمة ، ويعنى بالحكمة : ما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله ، ولم ينزل به قرآن ، وذلك السنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، فى قوله (وَاذْكُرْنَ مايُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِ والْحِكْمَةِ) : أى السنة ، قال : يمتنّ عليهم بذلك .

وقوله (إنَّ اللهَ كانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان ذا لطف بكنّ ، إذ جعلكنّ فى البيوت التى تُتلى فيها آياته والحكمة ، خبيرا بكُنّ إذ اختاركن لرسوله أزواجا.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ، وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ، وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ، وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ، وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ، وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ، وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ، وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ، وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ، وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ، أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)

❊ يقول تعالى ذكره : إن المتذللين لله بالطاعة والمتذللات ، والمصدّقين والمصدّقات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أتاهم به من عند الله ، والقانتين والقانتات لله ، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم ، والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه ، والصابرين لله فى البأساء والضرّاء على الثبات على دينه ، وحين البأس والصابرات ، والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات ، والمتصدّقين والمتصدقات وهم المؤدّون حقوق الله من أموالهم والمؤدّيات ، والصائمين شهر رمضان الذى فرض الله صومه عليهم والصائمات ، وذلك الحافظين فروجهم ، إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم ، والحافظات ذلك إلا على أزواجهنّ ، إن كنّ حرائر ، أو مَنْ ملكهنّ إن كنّ إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك ، أعدّ الله لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجرا عظيما : يعنى ثوابا فى الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما ، وذلك الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : دخل نساء على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقلن : قد ذكركنّ الله في القرآن ، ولم نُذكر بشيء ، أما فينا ما يُذكَر فأنزل الله تبارك وتعالى (إنّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ ، والمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ ، والقانِتِينَ والقانِتاتِ) : أي المطيعين والمطيعات (والخاشِعِينَ والخاشِعاتِ) : أي الخائفين والخائفات (أعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً) لذنوبهم (وأجْرًا عَظِيما) في الجنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأجْرًا عَظِيما) قال : الجنة وفي قوله (والقانِتِينَ والقانِتاتِ) قال : المطيعين والمطيعات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، قال : القانتات : المطيعات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أمّ سَلَمة : يا رسول الله يُذكر الرجال ولا نُذكر ، فنزلت (إنّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ ، والمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، حدثه ، عن أمّ سلمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أيُذكر الرجال في كلّ شيء ، ولا نُذكر ؟ فأنزل الله : (إنّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ) . . . الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سيار بن مظاهر العنزي ، قال : ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلّب ، عن قابوس بن أبي ظَبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم : ماله يذكر المؤمنين ، ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل الله : (إنّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِماتِ) . . . الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِماتِ) قال : قالت أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما للنساء لايذكرن مع الرجال في الصلاح ؟ فأنزل الله هذه الآية .

حدثني محمد بن المعمر ، قال : ثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شيبة ، قال : سمعت أمّ سَلَمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم تقول : « قلت للنبيّ صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما لنا لانذكر في القرآن كما يُذكر الرجال ؟ قالت : فلم يَرُعْني ذات يوم ظهرا إلا نداؤه على المنبر ، وأنا أسرح رأسي ، فلففت شعري ثم خرجت إلى حُجرة من حُجَرهنّ ، فجعلت سمعي عند الجريد ، فإذا هو يقول على المنبر : يا أيُّها النّاسُ إن اللهَ يَقُولُ في كِتابِهِ (إنّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ والمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) . . . إلى قوله (أعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأجْرًا عَظِيما) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦)

❊ يقول تعالى ذكره : لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ، ولا مؤمنة ، إذا قضى الله ورسوله فى أنفسهم قضاء ، أن يتخيروا من أمرهم غير الذى قضى فيهم ، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما ، فيعصوهما ، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) : يقول : فقد جار عن قصد السبيل ، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة ، فامتنعت من إنكاحه نفسها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) . . . إلى آخر الآية « وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانكحيه ، فقالت : يارسول الله أؤامر فى نفسى ، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) . . . إلى قوله (ضَلَالًا مُبِينًا) قالت : قد رضيته لى يا رسول الله مُنْكَحا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا أعصى رسول الله ، قد أنكحته نفسى » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : زينب بنت جحش . وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : نزلت هذه الآية فى زينب بنت جحش ، وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ، ورأت أنه يخطبها على نفسه ؛ فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة ، أبت وأنكرت ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : فتابعته بعد ذلك ورضيت » .

حدثنى أبوعبيد الوصافى ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن ابن أبى عمرة ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت

منه وقالت : أنا خير منه حسَبًا ، وكانت امرأة فيها حِدّة ، فأنزل الله (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أمْرًا) . . . الآية كلها » .

وقيل : نزلت فى أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط ، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوّجها زيد بن حارثة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أمْرًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : نزلت فى أمّ كلثوم بنت عقبة ابن أبى مُعَيط ، وكانت من أوّل من هاجر من النساء ، فوهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فزوّجها زيد بن حارثة ، فسخِطت هى وأخوها ، وقالا : إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوّجنا عبده ، قال : فنزل القرآن (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أمْرًا أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : وجاء أمر أجمع من هذا (النَّبِيُّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ) قال : فذاك خاصّ ، وهذا إجماع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ، أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ، وَتُخْفِي فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَٰهُ ، فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ، لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ، وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له (وَ) اذكر يا محمد (إذْ تَقُولُ لِلَّذِى أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ) بالهداية (وأنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعتق ، يعنى زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ اللهَ) . وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذُكر ، رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته ، وهى فى حِبال مولاه ، فأُلقى فى نفس زيد كراهتها ، لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ما وقع ، فأراد فراقها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) وهو صلى الله عليه وسلم يحبّ أن تكون قد بانت منه لينكحها .

(وَاتَّقِ اللهَ) وخَفِ الله فى الواجب له عليك فى زوجتك (وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ ما اللهُ مُبْدِيهِ) يقول : وتخفى فى نفسك محبة فراقه إياها ، لتتزوّجها إن هو فارقها ، والله مبد ما تخفى فى نفسك من ذلك (وَتَخْشَى النَّاسَ ، واللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشاهُ) يقول تعالى ذكره : وتخاف أن يقول الناس : أمر رجلا بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلّقها ، والله أحقّ أن تخشاه من الناس » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ) وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ، (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ، وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ) قال : وكان يخفى فى نفسه وُدّ أنه طلقها ، قال الحسن : ما أنزلت عليه آية كانت أشدّ عليه منها ، قوله (وَتُخْفِى ما نفسك ما اللهُ مُبْدِيهِ) ولو كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحى لكتمها . (وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) قال : خشى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده ، وعلى الباب ستر ، من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف ، وهى فى حجرتها حاسرة ، فوقع إعجابها فى قلب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر ، فجاء فقال : يا رسول الله إنى أريد أن أفارق صاحبتى ، قال : مالكَ ، أرابكَ منها شىءٌ ؟ قال : لا ، والله ما رابنى منها شىء يارسول الله ، ولا رأيت إلا خيرا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ) ، فذلك قول الله تعالى (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ، وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ) تُخفى فى نفسك إن فارقها تزوّجتها » .

حدثنى محمد بن موسى الحرشى ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أبى حمزة ، قال : نزلت هذه الآية (وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ) فى زينب بنت جحش .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان ، عن علىّ بن حسين ، قال : كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما أتاه زيد يشكوها قال : (اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) ، قال الله (وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ) .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله لكتم (وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) .

وقوله (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) يقول تعالى ذكره : فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته ، وهى الوطر ؛ ومنه قول الشاعر :

وَدَّعَنِى قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَهُ ... لَمَّا قَضَى مِنْ شَبَابِنَا وَطَرَا[١]

---

(١) فى (اللسان : وطر) . قال الزجاج : الوطر والأرب : بمعنى واحد . ثم قال : قال الخليل : الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة ، فإذا بلغها البالغ قيل : قضى وطره وأربه . ولا يبنى منه فعل . ومحل الشاهد فى البيت : لفظة الوطر بمعنى الحاجة .

(زَوَّجْناكَها) يقول : زوّجناك زينب بعد ما طلقها زيد،وبانت منه (لِكَيْلا يَكُونَ على المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ) يعني : في نكاح نساء من تَبَنَّوْا،وليسوا ، ببنيهم ولا أولادهم على صحة ، إذا هم طلقوهن وبِنَّ منهم (إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا)يقول : إذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم ، وفارقوهن وحللن لغيرهم ، ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن (وكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً) :يقول : وكان ماقضى الله من قضاء مفعولا : أي كائنا كان لامحالة . وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان ماضيا مفعولا كائنا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِكَيْلا يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) يقول : إذا طلقوهن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبَنَّى زيد بن حارثة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَرًا) . . . إلى قوله (وكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً) إذا كان ذلك منه غير نازل لك ، فذلك قول الله (وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ) .

حدثني محمد بن عثمان الواسطيّ ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المعلّى بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله بن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا الذي نزل تزويجي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم تقول للنبيّ صلى الله عليه وسلم : إني لأُدِلُّ عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة تدل بهن ، إن جدّي وجدّك واحد ، وإني أنكحنيك الله من السماء ، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام .

القول في تأويل قوله تعالى

ما كانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ ، سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ، وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨)

يقول تعالى ذكره (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ) من إثم فيما أحلّ الله له من نكاح امرأة من تَبَنَّاه بعد فراقه إياها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما كانَ على النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللهُ لَهُ) : أي أحلّ الله له .

وقوله (سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) : يقول : لم يكن الله تعالى لِيُؤْثِمَ نبيه فيما أحلّ له ، مثالَ

فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله، فى أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له ، ونصب قوله (سُنَّةَ اللهِ) على معنى : حقا من الله ، كأنه قال : فعلنا ذلك سنة منا .

وقوله (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) يقول : وكان أمر الله قضاء مقضيا .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) إن الله كان علمه معه، قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمر فى علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوابا لأهل طاعته، وعقابا لأهل معصيته؛ فلما ائتمر ذلك الأمر قدره، فلما قدره كتب، وغاب عليه، فسماه الغيب وأم الكتاب ، وخلق الخلق على ذلك الكتاب : أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء، من الرخاء والشدة، من الكتاب الذى كتبه أنه يصيبهم، وقرأ (أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ ذَلِكَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ) ، وأمر الله الذى ائتمر قدره حين قدره مقدرا ، فلا يكون إلا ما فى ذلك ، وما فى ذلك الكتاب ، وفى ذلك التقدير ، ائتمر أمرا ثم قدره ، ثم خلق عليه ، فقال : كان أمر الله الذى مضى وفرغ منه ، وخلق عليه الخلق (قَدَرًا مَقْدُورًا) شاء أمرا ليمضى به أمره وقدره ، وشاء أمرا يرضاه من عباده فى طاعته ؛ فلما أن كان الذى شاء من طاعته لعباده رضيه لهم ، ولما أن كان الذى شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره ، وقرأ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار ، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار ، فقال (وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ)، وقال (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) ، هذه أعمالُ أهلِ النَّارِ ، (وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ) ، قال (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ) . . . إلى قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) وقرأ (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) . . . إلى (كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ) أن يؤمنوا بذلك ، قال : فأخرجوه من اسمه الذى تسمى به ، قال : هو الفعال لما يريد ، فزعموا أنه ما أراد .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : سنة الله فى الذين خلوا من قبل محمد من الرسل ، الذين يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله فى تركهم تبليغ ذلك إياهم ، ولا يخافون أحدا إلا الله ، فإنهم إياه يرهبون ، إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه . يقول لنبيه محمد : فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم ، فكن ولا تخش أحدا إلا الله ، فإن الله يمنعك من جميع خلقه ، ولا يمنعك أحد من خلقه منه ، إن أراد بك سوءا ، والذين من قوله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ) خفض ردا على الذين التى فى قوله (سُنَّةَ اللهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا) . وقوله (وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا) : يقول تعالى ذكره : وكفاك يامحمد بالله حافظا لأعمال خلقه ، ومحاسبا لهم عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ، وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ، وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ماكان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ، ولا أبا أحد من رجالكم ! الذين لم يَلِدْه محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذى ختم النبوّة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شىء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ، ذا علم لايخفى عليه شىء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) قال : نزلت فى زيد ، إنه لم يكن بابنه ، ولعمرى ولقد وُلد له ذكور ، إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر (وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ ،وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ) : أى آخرهم (وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما).

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا علىّ بن قادم ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن ذُعْلوق ، عن علىّ ابن الحسين فى قوله (ماكانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) قال : نزلت فى زيد بن حارثة ، والنصب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرفع بمعنى الاستئناف ، ولكن هو رسول الله ، والقراءة النصب عندنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ) ،فقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى الحسن وعاصم ،بكسر التاء من خاتم النبيين ، بمعنى أنه ختم النبيين . ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَلَكِنَّ نَبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ) فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء ، بمعنى أنه الذى ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم (خاتَمَ النَّبِيِّينَ) بفتح التاء ، بمعنى أنه آخر النبيين ، كما قرأ مختوم خاتمه مسك ، بمعنى : آخره مسك ، من قرأ ذلك كذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ، وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)

(١) لعله : أى لم يلده الخ .

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك. (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً) يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر. وقوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ) يقول تعالى ذكره: ربكم الذى تذكرونه الذكرَ الكثير، وتسبّحونه بُكرة وأصيلا، إذا أنتم فعلتم ذلك، الذى يرحمكم، ويثنى عليكم هو، ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله (يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ): يشيع عنكم الذكر الجميل فى عباد الله. وقوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ): يقول: تدعو ملائكة الله لكم، فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهُدى، ومن الكفر إلى الإسلام.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ، قال: ثنا أبوصالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدّا معلوما، ثم عذر أهلها فى حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدّا ينتهى إليه، ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على عقله؛ قال (اذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وقُعُودًا وعَلَى جُنُوبِكُمْ) بالليل والنهار فى البرّ والبحر، وفى السفر والحضر، والغنى والفقر، والسَّقَم والصحة، والسرّ والعلانية، وعلى كلّ حال، وقال (سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عزّ وجلّ (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً) صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ): أى من الضلالات إلى الهدى.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ، لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ) قال: من الضلالة إلى الهُدى، قال: والضلالة: الظلمات. والنور: الهدى.

وقوله (وكَانَ بالمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذّبهم وهم له مطيعون، ولأمره متّبعون (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) يقول جلّ ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة فى الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمَنَةٌ لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذّبنا بالنار أبدا.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) قال: تحية أهل الجنة السلام.

وقوله (وأعَدَّ لَهُمْ أجْرًا كَرِيمًا) يقول : وأعدّ لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه فى الدنيا كريما ، وذلك هو الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (وأعَدَّ لَهُمْ أجْرًا كَرِيمًا) : أى الجنة

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) ، وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ، (٤٦) وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) ، وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ، بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة ، ومبشّرهم بالجنة إن صدّقوك ، وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ، ونذيرا من النار أن يدخلوها ، فيعذّبوا بها إن هم كذّبوك ، وخالفوا ماجئتهم به من عند الله .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أرْسَلْناكَ شاهِدًا) على أمتك بالبلاغ ، ومبشرا بالجنة ، ونذيرا بالنار .

وقوله (وَدَاعِيا إلى اللهِ) يقول : وداعيا إلى توحيد الله ، وإفراد الألوهة له ، وإخلاص الطاعة لوجهه ، دون كلّ مَن سواه من الآلهة والأوثان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَاعِيا إلى اللهِ) إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

وقوله (بإذْنِهِ) يقول : بأمره إياك بذلك (وَسِراجاً مُنِيرًا) يقول : وضياء لخلقه يستضىء بالنور الذى أتيتهم به من عند الله عبادُه (منيرا) ، يقول : ضياء ينير لمن استضاء بضوئه ، وعمل بما أمره . وإنما يعنى بذلك : أنه يهدى به من اتبعه من أمته . وقوله(وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بأنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا) : يقول تعالى ذكره : وبشّر أهل الإيمان بالله يامحمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا : يقول : بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضعيفا كثيرا ، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم . وقوله (وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالمُنافِقِينَ) يقول : ولا تطع لقول كافر ولا منافق ، فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير فى تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه (وَدَعْ أذاهُمْ) يقول : وأعرض عن أذاهم لك ، واصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله فى عباده ، والنفوذ لما كلّفك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدَعْ أَذَاهُمْ) قال : أعرض عنهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَعْ أَذَاهُمْ) : أى اصبر على أذاهم .

وقوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) يقول : وفوّض إلى الله أمورك ، وثق به ، فإنه كافيك جميع من دونه ، حتى يأتيك أمره وقضاؤه (وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا) يقول : وحسبك بالله قيّما بأمورك ، وحافظا لك وكالئا .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ، ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ، فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ، فَمَتِّعُوهُنَّ ، وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) : يعنى من قبل أن تجامعوهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) : يعنى : من إحصاء أقراء ولا أشهر ، تحصونها عليهنّ (فَمَتِّعُوهُنَّ) يقول : أعطوهنّ ما يستمتعن به من عرض أو عين مال . وقوله (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) يقول : وخلّوا سبيلهنّ تخلية بالمعروف ، وهو التسريح الجميل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ، فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) فهذا فى الرجل يتزوّج المرأة ، ثم يطلقها من قبل أن يمسها ، فاذا طلقها واحدة بانت منه ، ولا عدّة عليها تتزوّج مَن شاءت ، ثم قرأ : (فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) يقول : إن كان سَمّى لها صَداقا ، فليس لها إلا النصف ، فإن لم يكن سَمّى لها صداقا ، متّعها على قدر عسره ويُسره ، وهو السراح الجميل .

وقال بعضهم : المتعة فى هذا الموضع منسوخة بقوله (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) . . . إلى قوله (سَرَاحًا جَمِيلًا) قال : قال سعيد بن المسيب : ثم نُسِخ هذا الحرف

المتعة(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ، فَنِصْفُ مافَرَضْتُمْ).

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث عن سعيد بن المسيب ، قال : نسخت هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ، فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها ، فَمَتِّعُوهُنَّ) قال : نسخت هذه الآية التى فى البقرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ،وَبَنَاتِ عَمِّكَ، وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ، وَبَنَاتِ خَالِكَ، وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ، ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ، وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ، إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ، خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ،وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ، لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ، وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٠)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) يعنى : اللاتى تزوّجتهن بصداق مسمًّى .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَزْواجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) قال : صَدُقاتهنّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) قال : كان كل امرأة آتاها مهرا ، فقد أحلها الله له .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يا أَيُّها النَّبِي إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ) فما كان من هذه التسمية ماشاء كثيرا أو قليلا .

وقوله (وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللهُ عَلَيْكَ) يقول : وأحللنا لك إماءَك اللواتى سبيتهنّ ، فملكتهنّ بالسباء ، وصرن لك بفتح الله عليك من الفىء (وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمَّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وبَناتِ خالاتِكَ اللاَّتِى هاجَرْنَ مَعَكَ) فأحلّ الله له صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته ، المهاجرات معه منهنّ ، دون من لم يهاجر منهنّ معه .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى صالح ،

عن أم ّ هانئ ، قالت : « خطبنى النبى ّ صلى الله عليه وسلم ، فاعتذرت له بعذرى ، ثم أنزل الله عليه (إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (اللاَّتِى هاجَرْنَ مَعَكَ) قالت : فلم أحل ّ له ، لم أهاجر معه ، كنت من الطُّلَقاء » .

وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (وَبَناتِ خالاتِكَ وَاللاَّتِى هاجَرْنَ مَعَكَ) بواو ، وذلك وإن كان كذلك فى قراءته ، محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو ، وذلك أن العرب تدخل الواو فى نعت مَن قد تقدم ذكره أحيانا ، كما قال الشاعر :

فإنَّ رُشَيْدًا وَابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ حَتى يَصْدُرَ الأمْرُ مَصْدَرَا[1]

ورشيد هو ابن مروان ، وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه أنهن ّ نوع غير بنات خالاته ، وأنهن ّ كل مهاجرة هاجرت مع النبى ّ صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر عنه بذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى حرف ابن مسعود (وَاللاَّتِى هاجَرْنَ مَعَكَ) يعنى بذلك : كل ّ شىء هاجر معه ليس من بنات العم ّ والعمة ، ولا من بنات الخال والخالة

وقوله (وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ) يقول : وأحللنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى بغير صداق .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ) بغير صداق ، فلم يكن يفعل ذلك ، وأحل ّ له خاصة من دون المؤمنين .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَامْرأةً مُؤْمِنَةً وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ) بغير إن ، ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفيها « إن » واحد ، وذلك كقول القائل فى الكلام : لابأس أن يطأ جارية مملوكة إن ملكها ، وجارية مملوكة ملكها .

وقوله (إنْ أرَادَ النَّبِيُّ أنْ يَسْتَنْكِحَها) يقول : إن أراد أن ينكحها ، فحلال له أن ينكحها إذا وهبت نفسها له بغير مهر (خالِصَةً لَكَ)يقول : لايحل ّ لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له ، وإنما ذلك لك يامحمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ)

---

(١) البيت من شواهد الفراء (معانى القرآن ، مصورة الجامعة ص ٢٥٧) قال عند قوله تعالى « وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك » : وفى قراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) : « وبنات خالك وبنات خالاتك . واللاتى هاجرن معك » ، فقد تكون المهاجرات من بنات الخال والخالة وإن كانت فيه الواو ، فقال : واللاتى ، والعرب تنعت بالواو وبغير الواو ، كما قال الشاعر : « فإن رشيدا وابن مروان . . . الخ » . وأنت تقول فى الكلام : إن زرت أخاك وابن عمك القريب لك ؛ وإن قلت : والقريب لك . كان صوابا . وقد نقله المؤلف عن الفراء . وأوضحه بقوله فى البيت : ورشيد هو ابن مروان .

يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر وليّ ولا مهر، إلا للنبيّ، كانت له خالصة من دون الناس، ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث، أنها التي وهبت نفسها للنبيّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ) . . . إلى قوله (خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) قال: كان كل امرأة آتاها مهرا، فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهنّ له، فأُحْلِلْن له دون المؤمنين بغير مهر، خالصة لك من دون المؤمنين، إلا امرأة لها زوج.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن صالح بن مسلم، قال: سألت الشعبيّ، عن امرأة وهبت نفسها لرجل، قال: لايكون، لاتحلّ له، إنما كانت للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (إِنْ وَهَبَتْ) بكسر الألف على وجه الجزاء، بمعنى: إن تَهَبْ. وذُكر عن الحسن البصريّ أنه قرأ (أَنْ وَهَبَتْ) بفتح الألف، بمعنى: وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها، لهبتها له نفسها.

والقراءة التي لاأستجيز خلافها في كسر الألف، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وأما قوله (خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ): ليس ذلك للمؤمنين، وذُكر أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية، أن يتزوّج أيّ النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء، فلم يَعْدُهُنَّ وقصر سائر أمته على مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد، رجل من الأنصار، عن أُبيّ بن كعب، أنّ التي أحلّ الله للنبيّ من النساء، هؤلاء اللاتي ذكر الله (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (فِي أَزْواجِهِمْ) وإنما أحلّ الله للمؤمنين مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ.

وحدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ) . . . إلى آخر الآية، قال: حرّم الله عليه ما سوى ذلك من النساء، وكان قبل ذلك يَنكح في أيّ النساء شاء، لم يُحرّم ذلك عليه، فكان نساؤه يَجِدن من ذلك وجدا شديدا، أن ينكح في أيّ الناس أحبّ، فلما أنزل الله: إني قد حرّمت عليك من الناس سوى ماقَصَصْتُ عليك، أعجب ذلك نساءه.

واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهنّ أحد.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية (وَامرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ) قال : أن تَهَبَ .

وأما الذين قالوا : قد كان عنده منهن فان بعضهم قال : كانت ميمونة بنت الحارث . وقال بعضهم : هى أمّ شريك . وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال (وَامرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ) قال : هى ميمونة بنت الحارث .

وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة أمّ المساكين ، امرأة من الأنصار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى الحكم ، قال : كتب عبدالملك إلى أهل المدينة يسألهم ، قال : فكتب إليه علىّ ، قال شعبة : وهو ظنى علىّ بن حسين ، قال : وقد أخبرنى به أبان بن تغلب ، عن الحكم ، أنه علىّ بن الحسين ، الذى كتب إليه ، قال : هى امرأة من الأَسْد ، يقال لها أمّ شريك ، وهبَت نفسها للنبىّ .

قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى عبد الله بن أبى السفَر ، عن الشعبىّ ، أنها امرأة من الأنصار ، وهبت نفسها للنبىّ ، وهى ممن أرجأ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خَوْلة بنت حكيم بن الأوقص من بنى سُلَيم ، كانت من اللاتى وهبن أنفسهنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنى سعيد بن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : « كنا نتحدّث أن أمّ شريك كانت وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة » .

وقوله (قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا مافرضنا على المؤمنين فى أزواجهم إذا أرادوا نكاحهنّ ، مما لم نفرضه عليك ، وما خصصناهم به من الحكم فى ذلك دونك ، وهو أنا فرضنا عليهم أنه لايحلّ لهم عقد نكاح على حرّة مسلمة ، إلا بولىّ عَصَبَة وشهود عدول ، ولا يحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا مطهر ، قال : ثنا علىّ بن الحسين ، قال : ثنى أبى ،

عن مطر ، عن قتادة ، فى قول الله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : إن مما فرض الله عليهم أن لانكاح إلا بولىّ وشاهدين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : فى الأربع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : كان مما فرض الله عليهم أن لاتزوّج امرأة إلا بولىّ وصداق عند شاهدى عدل ، ولا يحلّ لهم من النساء إلا أربع . وما ملكت أيمانهم .

وقوله (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا مافرضنا على المؤمنين فى أزواجهم ، لأنه لايحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع ، وما ملكت أيمانهم ، فإن جميعهن إذا كنّ مؤمنات أو كتابيات ، لهم حلال بالسباء والتسرّى وغير ذلك من أسباب الملك . وقوله (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره : إنا أحللنا لك يامحمد أزواجك اللواتى ذكرنا فى هذه الآية ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبىّ ، إن أراد النبىّ أن يستنكحها ، لكيلا يكون عليك إثم وضيق فى نكاح من نكحتَ من هؤلاء الأصناف ، التى أبحت لك نكاحهنّ ، من المسمَّيات فى هذه الآية ، وكان الله غفورا لك ولأهل الإيمان بك ، رحيما بك وبهم ، أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ، وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ، وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَافِي قُلُوبِكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)

❊ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فقال بعضهم : عنى بقوله : تُرجى : تؤخر ، وبقوله : تُؤْوى : تضمّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) يقول : تؤخر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) قال : تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : تردّها إليك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ،

وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) قال : فجعله الله فى حلّ من ذلك ، أن يَدَعَ من يشاء منهن ، ويأتى من يشاء منهن بغير قَسْم ، وكان نبىّ الله يَقْسِم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن أبى رزين (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) قال : لمّا أشفقن أن يطلقهن ، قلن يانبىّ الله ، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ، فكان ممن أرجأ منهن سَوْدة بنت زَمْعة ، وجُوَيرية ، وصَفية ، وأمّ حبيبة ، وميمونة ؛ وكان ممن آوى إليه : عائشة ، وأمّ سلَمة ، وحفْصة ، وزينب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) فما شاء صنع فى القسمة بين النساء ، أحلّ الله له ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) وكان ممن آوى عليه السلام : عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأمّ سلَمة ، فكان قَسْمه من نفسه لهن سوى قَسْمه ؛ وكان ممن أرْجَى : سَوْدة ، وجُوَيرية ، وصفية ، وأمّ حبيبة ، وميمونة ، فكان يقسم لهن ما شاء ، وكان أراد أن يفارقهن ، فقلن : اقْسِم لنا من نفسك ما شئت ، ودعنا نكون على حالنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : تطلّق وتخلّى سبيل من شئت من نسائك ، وتمسك من شئت منهن ، فلا تطلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ) أمهات المؤمنين (وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) يعنى : نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ويعنى بالإرجاء : يقول : من شئت خليت سبيله منهن ، ويعنى بالإيواء : يقول : من أحببت : أمسكت منهن .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تَترك نكاح من شئت ، وتَنكح من شئت من نساء أمتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن فى قوله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) قال : « كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها ، حتى يتزوّجها أو يتركها . وقيل : إن ذلك إنما جعل الله لنبيه حين غار بعضهن على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذى كان يعطيها ، فأمره الله أن يخيرهن بين الدار الدنيا والآخرة ، وأن يخلّىَ سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ، ويمسكَ من اختار الله ورسوله ؛ فلما اختَرن الله ورسوله قيل لهن : اقرَرْن الآن على الرضا بالله وبرسوله ، قَسَمَ لكُنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يقسم ، أو قسم لبعضكن ولم يقسم لبعضكن ، وفضل بعضكن على بعض فى النفقة أو لم يفضل ، سوّى بينكن أو لم يسوّ ، فإن الأمر فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لكم من ذلك

شىء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر ، مع ما جعل الله له من ذلك ، يسوّى بينهنّ فى القَسْم إلا امرأة منهنّ أراد طلاقها ، فرضيت بترك القَسْم لها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : لما أراد النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه ، قلن له : افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ، فأمره الله فآوى أربعا ، وأرْجَى خمسا .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا عبيدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : أما تستحيى المرأة أن تَهَب نفسها للرجل ، حتى أنزل الله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) ؟ فقلت : إن ربك ليسارع فى هواك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، يعنى العبدىّ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتى وهبن أنفسهنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : أما تستحيى امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟ فنزلت ، أو فأنزل الله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ . وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ ، وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) فقلت : إنى لأرى ربك يُسارع لك فى هواك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله : (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) . . . الآية . قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فهجرهنّ شهرا ، ثم نزل التخيير من الله له فيهنّ ، فقرأ حتى بلغ (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) فخيرهنّ بين أن يخترن أن يُخلىَ سبيلهنّ ويسرّحهن ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهنّ أمهات المؤمنين ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهنّ ، ممن وهب نفسه له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجى من يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هى عنده وعزل ، فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقرّ أعينُهنّ ولا يحزنّ ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائى عليهنّ إيثار بعضهنّ على بعض (ذلك أدْنَى أنْ يرضَيْن) ، قال : (ومن ابتغيت ممن عزلت) من ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخيرهنّ بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهنّ ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت . وكان على ذلك صلوات الله عليه ، وقد شرط الله له هذا الشرط ، مازال يعدل بينهنّ حتى لقى الله .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يُرْجى من النساء اللواتى أحلّهنّ له من يشاء ، ويُؤْوىَ إليه منهنّ من يشاء ، وذلك أنه لم يحصُرْ معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتى كنّ فى حباله ، عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهنّ ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهنّ . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعنى الكلام : تؤخّر من تشاء ممن وهَبَتْ نفسها لك ، وأحللت لك نكاحها ،

فلا تقبلها ولا تنكحها ، أو ممن هنّ فى حبالك، فلا تقربها ، وتضمّ إليك من تشاء، ممن وهبت نفسها لك ، أو أردت من النساء التى أحللت لك نكاحهنّ ، فتقبلها أو تنكحها ، وممن هى فى حبالك ، فتجامعها إذا شئت ، وتتركها إذا شئت بغير قَسْم .

وقوله (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ومن نكحت من نسائك فجامعت، ممن لم تنكح ، فعزلته عن الجماع ، فلا جناح عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ) قال : جميعا هذه فى نسائه ، إن شاء أتى من شاء منهنّ ، ولا جناح عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) قال : ومن ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن استبدلت ممن أرجيت ، فخليت سبيله ، من نسائك أو ممن مات منهنّ ، ممن أحللت لك ، فلا جناح عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ،فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ،ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ)يعنى بذلك: النساء اللاتى أحلّ الله له ، من بنات العمّ والعمة،والخال والخالة (واللاَّتِى هاجَرْنَ مَعَكَ) يقول : إن مات من نسائك اللاتى عندك أحد ، أو خلَّيت سبيله، فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتى أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتى هنّ عندك ، أو خليت سبيله منهنّ ، ولا يصلح لك أن تزداد على عدّة نسائك اللاتى عندك شيئا .

❊ وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك : تأويل من قال : معنى ذلك : ومن ابتغيت إصابته من نسائك (مِمَّنْ عَزَلْتَ) عن ذلك منهنّ (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ) لدلالة قوله (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) على صحة ذلك ، لأنه لامعنى لأن تقرّ أعينهنّ إذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهنّ ، إلا أن يُعْنَى بذلك : ذلك أدنى أن تقرّ أعين المنكوحة منهنّ ، وذلك مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل بعيد .

وقوله (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ) يقول : هذا الذى جعلت لك يامحمد من إذنى لك أن تُرْجِىَ من تشاء من النساء اللواتى جعلت لك إرجاءهنّ ، وتؤوى من تشاء منهنّ ، ووضعى عنك الحرج فى ابتغائك إصابة من ابتغيت إصابته من نسائك ، وعزلك عن ذلك من عزلت منهنّ ، أقرب لنسائك أن تقرّ أعينهنّ به (ولا يَحْزَنَّ ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ) من تفضيل من فضلت من قَسْم ، أو نفقة ،

وإيثار من آثرت منهن بذلك على غيره من نسائك ، إذا هنّ علمن أنه من رضاى منك بذلك ، وإذنى لك به ، وإطلاق منى لامن قبلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ، وَلَا يَحْزَنَّ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة ، كان أطيب لأنفسهن ، وأقل لحزنهن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ذلك ، نحوه .

والصواب من القراءة فى قوله (بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) : الرفع ، غير جائز غيره عندنا ، وذلك أن كلهن ليس بنعت للهاء فى قوله (آتَيْتَهُنَّ) ، وإنما معنى الكلام : ويرضين كلّهن ، فإنما هو توكيد لما فى يرضين من ذكر النساء ، وإذا جعل توكيدا للهاء التى فى « آتيتهن » لم يكن له معنى ، والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ، ولإجماع الحجة من القرّاء على تخطئة قارئه كذلك .

وقوله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) يقول : والله يعلم ما فى قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض ، بالهوى والمحبة ؛ يقول : فلذلك وضع عنك الحرج يامحمد فيما وُضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن ممن عزلت ، تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة . (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) يقول : وكان الله ذا علم بأعمال عباده ، وغير ذلك من الأشياء كلها (حَلِيمًا) يقول : ذا حلم على عباده ، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ، ولكنه ذوحلم وأناة عنهم ، ليتوب من تاب منهم ، وينيب من ذنوبه من أناب منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِن بَعْدُ، وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا (٥٢)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لايحلّ لك النساء من بعد نسائك اللاتى خيّرتهنّ ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) . . . الآية إلى (رَقِيبًا) قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج بعد نسائه الأُوَل شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ)

. . . إلى قوله (إِلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ) قال : لما خيرهنّ ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهنّ ، فقال : لايحلّ لك النساء من بعد ، ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ، وهنّ التسع التى اخترن الله ورسوله .

وقال آخرون : إنما معنى ذلك : لايحلّ لك النساء بعد التى أحللنا لك بقولنا (يا أيها النبيّ إنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْوَاجَكَ) . . . إلى قوله (اللاَّتِى هاجَرْنَ مَعَكَ ، وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِىِّ) وكأنّ قائلى هذه المقالة وجهوا الكلام إلى أن معناه : لايحلّ لك من النساء إلا التى أحللناها لك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، عن زياد ، قال لأبىّ بن كعب : هل كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوّج ؟ قال : ماكان يحرُم عليه ذلك ، فقرأت عليه هذه الآية (يا أَيُّها النَّبِىُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْوَاجَكَ) قال : فقال : أحلّ له ضربا من النساء ، وحرّم عليه ماسواهنّ ، أحلّ له كل امرأة آتى أجرها ، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه ، وبنات عمه ، وبنات عماته ، وبنات خاله ، وبنات خالاته ، وكل امرأة وهبت نفسها له ، إن أراد أن يستنكحها ، خالصةً له من دون المؤمنين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، عن زياد الأنصارىّ قال : قلت لأُبىّ بن كعب : أرأيت لو مات نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أكان يحلّ له أن يتزوّج ، قال : وما يحرّم ذلك عليه ، قال : قلت : قولُه (لاَيَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) قال : إنما أحلّ الله له ضَرْبا من النساء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود بن أبى هند ، قال : ثنى محمد بن أبى موسى ، عن زياد ، رجل من الأنصار ، قال : قلت لأبىّ بن كعب : أرأيت لو أن أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّين ، أما كان له أن يتزوّج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك ؟ وربما قال داود : وما يحرّم عليه ذلك ؟ قلت : قوله (لاَيَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) فقال : إنما أحلّ الله له ضربا من النساء ، فقال (يا أَيُّها النَّبِىُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْوَاجَكَ) . . . إلى قوله (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِىِّ) ثم قيل له : لايحلّ لك النساء من بعدُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عمن ذكره ، عن أبى صالح (لاَيَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) قال : أمر أن لايتزوّج أعرابية ولا غريبة ، ويتزوّج بعد من نساء تهامة ، ومن شاء من بنات العمّ والعمة ، والخال والخالة ، إن شاء ثلاث مئة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (لاَيَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) هؤلاء التى سمى الله (إِلاَّ بَناتِ عَمِّكَ) . . . الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لايحلّ لك النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) يعنى : من بعد التسمية ، يقول : لايحلّ لك امرأة إلا ابنة عمّ أو ابنة عمة ،

أو ابنة خال أو ابنة خالة ، أو امرأة وهبت نفسها لك ، من كان منهن هاجر مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وفي حرف ابن مسعود (وَاللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) يعني بذلك : كل شيء هاجر معه ، ليس من بنات العم والعمة ، ولا من بنات الخال والخالة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لايحل لك النساء من غير المسلمات ، فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) : لايهودية ، ولا نصرانية ، ولا كافرة .

وأولى الأقوال عندي بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : لايحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي : (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) .

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) عقيب قوله (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ) وغير جائز أن يقول : قد أحللت لك هؤلاء ، ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه ، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين ، فعمل الأخرى منهما . فإذ كان ذلك كذلك ، ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى ، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها ، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة ، لم يجز أن يقال : إحداهما ناسخة الأخرى . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن لقول من قال : معنى ذلك : لايحل من بعد المسلمات ، يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، معنى مفهوم ، إذ كان قوله (مِنْ بَعْدُ) إنما معناه : من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية ، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر إباحة المسلمات كلهن ، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه ، وبنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته ، اللاتي هاجرن معه ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم ، صح ماقلنا في ذلك ، دون قول من خالف قولنا فيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (يَحِلُّ) بالياء ، بمعنى : لايحل لك شيء من النساء بعد . وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة (لاَ تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) بالتاء ، توجيها منه إلى أنه فعل للنساء ، والنساء جمع للكثير منهن .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ، ولإجماع الحجة من القراء على القراءة بها ، وشذوذ من خالفهم في ذلك .

وقوله (وَلاَ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) اختلف أهل التأويل في تأويل

ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : لايحلّ لك النساء من بعد المسلمات ، لايهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرَهنّ من الكوافر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ) ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من النصارى واليهود والمشركين (وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ مامَلَكَتْ يَمِينُكَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْواجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ) قال : لايحلّ لك أن تتزوّج من المشركات إلا من سَبَيْت ، فملكته يمينُك منهنّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبدّل بأزواجك اللواتى هنّ فى حبالك، أزواجا غيرَهنّ ، بأن تطلقهنّ ، وتنكح غيرهنّ .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْواجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) يقول : لايصلح لك أن تطلق شيئا من أزواجك ليس يعجبك ، فلم يكن يصلح ذلك له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبادل من أزواجك غيرك ، بأن تعطيه زوجتك، وتأخذ زوجته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْواجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) قال : كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم ، يعطى هذا امرأته هذا ، ويأخذ امرأته ، فقال: (لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلاأنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْواجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ) لابأس أن تبادل بجاريتك ماشئت أن تبادل ، فأما الحرائر فلا ، قال : وكان ذلك من أعمالهم فى الجاهلية .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا أن تطلق أزواجك، فتستبدل بهنّ غيرهنّ أزواجا .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لما قد بيّنّا قبلُ من أن قول الذى قال معنى قوله (لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) لايحلّ لك اليهودية أوالنصرانية والكافرة ، قول لاوجه له .

فإذ كان ذلك كذلك ، فكذلك قوله (وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) كافرة لامعنى له ، إذ كان من المسلمات من قد حُرِّم عليه بقوله (لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) الذى دلّلنا عليه قبل . وأما الذى قاله ابن زيد فى ذلك أيضا ، فقول لامعنى له ، لأنه لو كان بمعنى المبادلة ، لكانت القراءة والتنزيل : ولا أن تُبادِلَ بِهِنَّ

من أزواج، أو ولا أن تُبَدَّلَ بهنّ، بضمّ التاء، ولكن القراءة المجمع عليها، ولا أن تَبَدَّلَ بهنّ بفتح التاء، بمعنى: ولا أن تستبدل بهنّ، مع أن الذى ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف فى أمة نعلمه من الأمم، أن يُبادل الرجل آخر بامرأته الحرّة، فيقال: كان ذلك من فعلهم، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله.

فإن قال قائل: أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج امرأة على نسائه اللواتى كنّ عنده، فيكون موجها تأويل قوله (وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) إلى ما تأولت، أو قال: وأين ذُكر أزواجه اللواتى كنّ عنده فى هذا الموضع، فتكون الهاء من قوله (وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) من ذكرهنّ، وتوهم أن الهاء فى ذلك عائدة على النساء، فى قوله (لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) ؟ قيل: قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج من شاء من النساء اللواتى كان الله أحلهنّ له، على نسائه اللاتى كن عنده يوم نزلت هذه الآية، وإنما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده، بطلاق أراد به استبدال غيرها بها، لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه، إذ كان الله قد جعلهنّ أمّهات المؤمنين، وخيّرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة، والرضا بالله ورسوله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فحرمن على غيره بذلك، ومُنع من فراقهنّ بطلاق، فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع منه، بل أحلّ الله له ذلك، على مابين فى كتابه. وقد رُوى عن عائشة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يُقْبَضْ حتى أحلّ الله له نساء أهل الأرض.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن عائشة، قالت: مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحِلّ له النساء، تعنى أهل الأرض.

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبّارىّ، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن عائشة، قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء.

حدثنا العباس بن أبى طالب، قال: ثنا مُعلّى، قال: ثنا وهيب، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عُبيد بن عمير الليثى، عن عائشة قالت: ما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له أن يتزوّج من النساء ما شاء.

حدثنى أبو زيد عمر بن شبة، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، قال: أحسب عُبيدَ ابن عمير، حدثنى، قال أبو زيد، وقال أبو عاصم مرّة، عن عائشة، قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ الله له النساء. قال: وقال أبو الزبير: شهدت رجلا يحدّثه عطاءٌ.

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا همام، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة، قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلّ له النساء.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ماوصفت، من أن الله حرّم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتى خيرهنّ فاخترنه، فما وجه الخبر الذى رُوى عنه، أنه طلق حفصة ثم راجعها، وأنه أراد طلاق سَوْدة، حتى صالحته على ترك طلاقه إياها، ووهبت يومها لعائشة؟ قيل: كان ذلك قبل نزول هذه الآية.

والدليل على صحة ماقلنا ، من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن ، الرواية الواردة «أن عمر دخل على حفصة معاتبها ، حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، كان من قيله لها : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ، فكلمته فراجعك ، فوالله لئن طلقك ، أو لو كان طلقك ، لا كلمته فيك ، وذلك لاشك قبل نزول آية التخيير ، لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن .

وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ، إن الله إنما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن ، وأنه يرجى من يشاء منهن ، ويؤوى منهن من يشاء ، ويؤثر من شاء منهن على من شاء ، ولذلك قال له تعالى ذكره : (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ، وَلَا يَحْزَنَّ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) ، ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة فى حال لا يوم لها منه .

وغير جائز أن يكون كان ذلك منها إلا فى حال كان لها منه يوم ، هو لها حق ، كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه إليها ، ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير ، لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا .

فتأويل الكلام : لا يحل لك يامحمد النساء من بعد اللواتى أحللتهن لك فى الآية قبل ، ولا أن تطلق نساءك اللواتى اخترن الله ورسوله ، والدار الآخرة ، فتبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن ، إلا ما ملكت يمينك . وأن فى قوله (أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) رفع ، لأن معناها : لا يحل لك النساء من بعد ، ولا الاستبدال بأزواجك . وإلا فى قوله (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) استثناء من النساء . ومعنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد اللواتى أحللتهن لك ، إلا ما ملكت يمينك من الإماء ، فإن لك أن تملك من أى أجناس الناس شئت من الإماء .

وقوله (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) يقول : وكان الله على كل شىء ما أحل لك وحرم عليك ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، حفيظا لا يعزب عنه علم شىء من ذلك ، ولا يئوده حفظ ذلك كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) : أى حفيظا ، فى قول الحسن وقتادة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ، وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ ، ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ، إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)

يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لاتدخلوا بيوت نبيّ الله إلا أن تُدْعَوا إلى طعام تَطْعَمُونه (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) يعنى : غير منتظرين إدراكه وبلوغه ، وهومصدر من قولهم : قد أنى هذا الشىء يأنى إنًى وأنْيا وإناء ؛ قال الحُطَيْئة :

وآنَيْتُ العَشاءَ إلى سُهَيْلٍ أوِ الشِّعْرَى فَطالَ بِيَ الأَناءُ[١]

وفيه لغة أخرى، يقال : قد آن لك : أى تبين لك أينا ، ونال لك، وأنال لك؛ ومنه قول رُؤبة بن العَجّاج :

هاجَتْ وَمِثْلِي نَوْلُه أنْ يَرْبَعا حَمامَةٌ ناحَتْ حَماما سُجَّعا[٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) : قال : متحيِّنين نُضْجَه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) يقول : غير ناظرين الطعامَ أن يُصْنَع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) قال : غير متحينين طعامه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

ونصب (غيرَ) فى قوله (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) على الحال من الكاف والميم فى قوله (إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة ، وهى من صفة الكاف والميم . وكان بعض نحويِّى البصرة يقول : لايجوز فى « غير » الجرّ على الطعام ، إلا أن تقول : أنتم ، ويقول : ألا ترى أنك لو قلت : أبدى لعبد الله على امرأة مُبغضًا لها ، لم يكن فيه إلا النصب ، إلاّ أن تقول مُبْغِض لها هو ، لأنك إذا أجريت صفته

---

(١) البيت للحطيئة (اللسان : أنى) . وآنيت الشىء : أخرته ، والاسم منه الأناء على فعال بالفتح . يريد أنه أخر عشاءه إلى طلوع سهيل أو طلوع الشعرى ، فطال انتظاره . قال : ورواه أبو سعيد (الأصمعى) : وأنيت ، بتشديد النون . ويقال : أنيت الطعام فى النار : إذا أطلت مكثه . وأنى الشىء يأنى أنيا وإنى وأنى : حان وأدرك . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ١٩٧) « إلى طعام غير ناظرين إناه » : أى إدراكه وبلوغه . ويقال : أنى لك يأنى أنيا : أى بلغ وأدرك . قال :

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، لرؤبة الراجز المشهور (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٧) . وفى (اللسان : نول) : أما نول فتقول : نولك أن تفعل كذا : أى ينبغى لك فعل كذا . وفى الصحاح : أى حقك أن تفعل كذا . وأصله من التناول ، كأنه يقول : تناولك كذا وكذا . قال العجاج : « هاجت . . . الخ » : أى حقه أن يكف . وقيل : الرجز لرؤبة . وأصل النول مصدر ناله بالخير ينوله نوالا ، ونولا ، ونيلا . ويقال : أناله بخير إنالة .

عليها ، ولم تظهر الضمير الذى يدلّ على أن الصفة له لم يكن كلاما ، لوقلت هذا رجل مع امرأةٍ مُلازِمِها ، كان لحنا ، حتى ترفع ، فتقول ملازمُها ، أو تقول مُلازِمِهَا هُو ، فتجرّ .

وكان بعض نحويى الكوفة يقول : لو جعلت « غير » فى قوله (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) خفضا كان صوابا ، لأن قبلها الطعام وهو نكرة ، فيجعل فعلهم تابعا للطعام ، لرجوع ذكر الطعام فى إناه ، كما تقول العرب : رأيت زيدا مع امرأةٍ محسِنا إليها ، ومحسنٍ إليها ، فمن قال محسنا ، جعله من صفة زيد ، ومن خفضه فكأنه قال : رأيته مع التى يحسن إليها ، فإذا صارت الصلة للنكرة أتبعتها ، وإن كانت فعلا لغير النكرة ، كما قال الأعشى :

فَقُلْتُ لَهُ هَـٰذِهِ هاتِها　　　إلَيْنا بِأَدْماءَ مُقْتادِها[1]

فجعل المقتاد تابعا لإعراب بأدماء ، لأنه بمنزلة قولك : بأدماء تقتادها ، فخفضه ، لأنه صلة لها . قال : ويُنْشَد : « بأدماءِ مقتادِها » بخفض الأدماء ، لإضافتها إلى المقتاد ، قال : ومعناه : هاتها على يدى من اقتادها . وأنشد أيضا :

وَإنَّ امْرَأً أَهْدَى إلَيْكِ وَدُونَهُ　　　مِنَ الأرْضِ مَوْماةٌ وَبَيْداءُ فَيْهَقُ
لَمَحْقُوقَةٌ أنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ　　　وأنْ تَعْلَمِى أنَّ المُعانَ مُوَفَّقُ[2]

وحُكِى عن بعض العرب سماعا يَنْشِد :

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٦٩) ، ورواية البيت فيه :

فَقُلْنا لَهُ هَـٰذِهِ هاتِها　　　بِأَدْماءَ فِى حَبْلِ مُقْتادِها

وهى غير رواية المؤلف التى استشهد بها . وليس فى رواية الديوان شاهد للمؤلف . والشاعر يمدح بالقصيدة سلامة ذافائش من أقيال اليمن . وفى مقدمة القصيدة أبيات فى الغزل والخمر ، ومنها هذا البيت . وقوله (هذه) : إشارة إلى الخمر التى جاء بها الساقى يؤامر الشاعر فى شربها ، ويساومه فى ثمنها ، وقد رضى الشاعر بأن يشترى الخمر التى وصف ، على أن يكون ثمنها ناقته الأدماء التى يقودها خادمه بحبلها . والأدمة فى الإبل : البياض ، مع سواد المقلتين (اللسان) . هذا تفسير البيت على رواية الديوان . فأما على رواية المؤلف ، فإنه جعل إعراب « مقتادها » بالجر إتباعا لأدماء ، لأنها نكرة ، وإن كان الاقتياد لخادمه المفهوم من المقام ، فهى صفة جارية على غير صاحبها ، ولم يصرح بضمير الفاعل ، وهذا جائز عند الكوفيين . فأما البصريون فيوجبون فى مثل هذا الموضع ، إبراز ضمير النعت إذا كان لغير المنعوت ، فلا بد أن يقال : مقتادها أنت ، أى صاحب الخمر . أو يقول : مقتادها هو : أى يقتادها الخادم . فأما إذا كان المنعوت معرفة كما فى قوله تعالى : « إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه » ، فيجوز فى (غير) النصب على الحال من الضمير فى لكم ، ويجوز الجر عند الكوفيين بالإتباع على النعت ، وإن لم يبرز معه الضمير . وقد أوضح المؤلف المقام توضيحا كاملا ، لا يحتاج معه إلى مزيد من القول .

(٢) البيتان للأعشى . وقد سبق الاستشهاد بهما فى كلام المؤلف على مثل ما استشهد بهما عليه هنا (انظر ١٧ : ١٩٧) . والشاهد فى قوله : « لمحقوقة » ، فإنه خبر عن قوله : « وإن امرأ » . والخبر ، هنا : غير الخبر عنه ، لأن المبتدأ هنا مذكر ، والخبر مؤنث . وقد اختلف النحاة فى مثل هذا ، فقال البصريون ، كان يجب أن يقول : « لمحقوقة أنت » بإبراز الضمير ، لأن تركه يحدث لبسا فى الكلام ، ولا يعلم المراد بالمحقوقة أى شخص هو ؟ وأما الكوفيون فقد جوزوا فى هذه الحالة وأمثالها فى الخبر والنعت اللذين لا يطابقان صاحبهما ، أن يبرز الضمير ، وألا يبرز ، على خلاف ما قاله البصريون ، واستشهدوا ببيتى الأعشى على مجىء الخبر غير مطابق لما هو له ، بدون إبراز الضمير . وحمل البصريون ذلك فى البيت على الاتساع والحذف . (وانظر المسألة مفصلة فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف ، بين البصريين والكوفيون ، لأبى البركات عبد الرحمن بن الأنبارى ، طبع القاهرة ص ٤٥ — ٤٨ المسألة رقم ٨) .

أرأيتِ إذْ أعطيتُكِ الوُدَّ كُلَّهُ ولمْ يكُ عندي إنْ أبيتِ إباءُ
أمُسْلِمتي للموْتِ أنتِ فمَيِّتٌ وهلْ للنفوسِ المُسْلِماتِ بقاءُ[١]

ولم يقل : فيت أنا ، وقال الكسائى : سمعت العرب تقول : يدك باسطها يريدون أنت ، وهو كثير فى الكلام قال : فعلى هذا يجوز خفض « غير » .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، القول باجازة جرّ « غير » فى غير ناظرين فى الكلام ، لافى القراءة لما ذكرنا من الأبيات التى حكيناها ، فأما فى القراءة فغير جائز فى « غير » غير النصب ، لإجماع الحجة من القرّاء على نصبها .

وقوله (وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا) يقول : ولكن إذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذى أذن لكم بدخوله (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا) يقول : فاذا أكلتم الطعام الذى دعيتم لأكله فانتشروا ، يعنى فتفرّقوا واخرجوا من منزله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) فقوله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) فى موضع خفض عطفا به على ناظرين ، كما يقال فى الكلام : أنت غير ساكت ولا ناطق . وقد يحتمل أن يقال : مستأنسين فى موضع نصب عطفا على معنى ناظرين ، لأن معناه : إلا أن يؤذن لكم إلى طعام لاناظرين إناه ، فيكون قوله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ) نصبا حينئذ ، والعرب تفعل ذلك إذا حالت بين الأوّل والثانى ، فتردّ أحيانا على لفظ الأوّل ، وأحيانا على معناه ، وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده :

أجِدَّكَ لسْتَ الدَّهْرَ رائىَ رامَةٍ ولا عاقِلٍ إلاَّ وأنْتَ جَنِيبُ
ولا مُصْعِدٍ فى المُصْعِدِينَ لِمَنْعِجٍ ولا هابِطا ما عِشْتُ هَضْبَ شَطِيبِ[٢]

فردّ مصعد على أن رائى فيه باء خافضة ، إذ حال بينه وبين المصعد بما حال بينهما من الكلام .

ومعنى قوله (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) : ولا متحدّثين بعد فراغكم من أكل الطعام ، إيناسا من بعضكم لبعض به .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) : بعد أن تأكلوا .

---

(١) هذان البيتان لم أجدهما فى معانى القرآن للفراء ، ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة . والشاهد فيهما أن قوله فيت معطوف على قوله : « أمسلمتى » ، والمعطوف هنا غير المعطوف عليه فى المعنى ، فكان مقتضى ذلك أن يقول : فيت أنا ، بإبراز الضمير ، على مذهب البصريين ، ولكنه لم يبرز الضمير وهو موافق لمذهب الكوفيين الذين يقولون بجواز إبراز الضمير وعدم إبرازه ، وهذا كثير فى كلام العرب .

(٢) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٥٨) وروايته . أصح من رواية المؤلف . ورامة ، وعاقل ومنعج (فى رواية المؤلف) ، ومتيج (فى رواية الفراء) : أسماء مواضع فى جزيرة العرب ، إلا متيج فى الشام ، قرب حلب . والبيتان مما أنشده أبو القمقام الفراء . والشاهد فى قوله : « ولامصعد » بالجر فإنه معطوف على « رائى » والمعطوف عليه منصوب ، والمعطوف مجرور على توهم زيادة الباء فى خبر ليس وهو المعطوف عليه الأول . كأنه قال : لست براء ولا مصعد . وقد ساق الفراء البيتين فى توجيه إعراب قوله تعالى : « ولا مستأنسين » فإنه رده عطفا على « ناظرين إناه » بالجر ، أو بالنصب إتباعا لغير . قال : ولو جعلت المستأنسين فى موضع نصب : تتوهم أن تتبعه بغير ، لما أن حلت بينهما بكلام . وكذلك كل معنى احتمل وجهين ، ثم فرقت بينهما بكلام ، جاز أن يكون الآخر معربا بخلاف الأول . من ذلك قولك : ما أنت بمحسن إلى من أساء إليك ، ولا مجملا .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : نزلت بسبب قوم طَعِموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وليمة زينب بنت جَحْش ، ثم جلسوا يتحدّثون فى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حاجة ، فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرانُ بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عبد العزيز بن صُهَيب، عن أنس ابن مالك ، قال : «بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش . فبعثت داعيا إلى الطعام ، فدعوت فيجىء القوم يأكلون ويخرجون ، ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون ، فقلت : يا نبىّ الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه ، قال : ارفعوا طعامكم ، وإن زينب لجالسة فى ناحية البيت ، وكانت قد أعطيت جمالا وبقى ثلاثة نفر يتحدّثون فى البيت ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة ، فقال : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ البَيْتِ » فقالوا : وعليك السلام يا رسول الله ، كيف وجدتَ أهلك ؟ قال : فأتى حُجَر نسائه ، فقالوا مثل ماقالت عائشة ، فرجع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا الثلاثة يتحدّثون فى البيت ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة ، فلا أدرى أخبرته ، أو أُخبر أن الرهط قد خرجوا ، فرجع حتى وضع رجله فى أسكفة داخل البيت ، والأخرى خارجه ، إذ أرْخَى الستر بينى وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب » .

حدثنى أبومعاوية بشر بن دِحية ، قال : ثنا سفيان ، عن الزهرىّ ، عن أنس بن مالك، قال : « سألنى أُبىّ بن كعب عن الحجاب ، فقلت : أنا أعلم الناس به ، نزلت فى شأن زينب ، أَوْلَم النبىّ صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسَوِيق ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) إلى قوله (ذَلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) » .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنى عمى ، قال : أخبرنى يونس ، عن الزهرىّ ، قال : «أخبرنى أنس بن مالك : أنه كان ابن عشر سنين مَقْدَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل فى مبتَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جَحْش ، أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عَرُوسا ، فدعا القوم ، فأصابوا من الطعام حتى خرجوا ، وبقى منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطالوا المُكْث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ، وخرجت معه ، لكى يخرجوا ، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه ، حتى جاء عَتَبة حجرة عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم ظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا ، فرجعَ ورَجَعْت معه ، حتى دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يقوموا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجَعْت معه ، فإذا هم قد خرجوا ، فضربَ بينى وبينه سترا ، وأُنزل الحجاب . »

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس ، قال : « دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صَبيحة بنى بزينب بنت جحش ، فأوسعهم خبزا ولحما ، ثم رجع كما كان يصنع ، فأتى حجر نسائه فسلم عليهنّ ، فدَعَوْن له ، ورجع إلى بيته وأنا معه ، فلما انتهينا إلى الباب إذا

وجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت ، فلما أبصرهما ولّى راجعا ؛ فلما رأيا النبيّ صلى الله عليه وسلم ولّى عن بيته ، وليّا مُسْرِعين ، فلا أدرى أنا أخبرته ، أو أُخبر ، فرجع إلى بيته ، فأرخى السّتر بيني وبينه ، ونزلت آية الحجاب » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب : «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو حَجَبْتَ عن أمهات المؤمنين ، فإنه يدخل عليك البرّ والفاجر ، فنزلت آية الحجاب » .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس بن مالك ، قال : «أنا أعلم الناس بهذه الآية ، آية الحجاب . لمّا أُهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ، ودعا القوم ، فجاءوا فدخلوا ، وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت ، وجعلوا يتحدّثون ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود ، قال : فنزلت هذه الآية : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ) . . . إلى (فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) قال : فقام القوم ، وضُرِب الحجاب » .

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا أبي ، عن بيان ، عن أنس بن مالك ، قال : « بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه ، فأرسلني ، فدعوت قوما إلى الطعام ؛ فلما أكلوا وخرجوا ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت عائشة ، فرأى رجلين جالسين ، فانصرف راجعا ، فأنزل الله : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) » .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا المسعودى ، قال : ثنا ابن نَهْشل ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : «أمر عمر نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحجاب ، فقالت زينب : يا بن الخطاب ، إنك لتغار علينا ، والوحى ينزل فى بيوتنا ، فأنزل الله : (وَإذَا سألْتُمُوهُنَّ مَتاعا فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا أشهل بن حاتم ، قال : ثنا ابن عون ، عن عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : «كنت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان يمرّ على نسائه ، قال : فأُتِى بامرأة عَروس ، ثم جاء وعندها قوم ، فانطلق فقضى حاجته ، « واحتبس وعاد وقد خرجوا ، قال : فدخل ، فأرخى بيني وبينه سترا ، قال : فحدثت أبا طلحة ، فقال : إن كان كما تقول : لينزلنّ فى هذا شيء ، قال ونزلت آية الحجاب»

وقال آخرون : كان ذلك فى بيت أمّ سَلَمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (وَلَكِنْ إذَا دُعِيتُمْ فادْخُلُوا ، فإذَا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا ، وَلا مُسْتأنِسِينَ لِحَدِيثٍ) قال : كان هذا فى بيت أمّ سلَمة ، قال : أكلوا ، ثم أطالوا الحديث ، فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ، ويستحيي منهم ، والله لايستحيي من الحق .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذا سألْتُمُوهُنَّ مَتاعا فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) قال : بلغنا أنهنّ أُمِرن بالحجاب عند ذلك » .

وقوله(إنَّ ذَلِكُمْ كانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ) :يقول : إن دخولكم بيوت النبىّ،من غيرأن يؤذن لكم ، وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث ، بعد فراغكم من أكل الطعام الذى دُعيتم له، كان يؤذى النبىّ، فيستحيى منكم أن يخرجكم منها، إذا قعدتم فيها للحديث،بعد الفراغ من الطعام . أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن،مع كراهيته لذلك منكم (وَاللهُ لايَسْتَحْيِى مِنَ الحَقِّ) أن يتبين لكم، وإن استحيا نبيكم،فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم) وَإذا سألْتُمُوهُنَّ مَتاعا ، فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) يقول : وإذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتى لسن لكم بأزواج،متاعا(فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) يقول : من وراء ستر بينكم وبينهنّ ، ولا تدخلوا عليهنّ بيوتهنّ (ذَلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)يقول تعالى ذكره : سؤالكم إياهنّ المتاع إذا سألتموهنّ ذلك من وراء حجاب ، أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ من عوارض العين فيها، التى تعرض فى صدور الرجال من أمر النساء، وفى صدور النساء من أمر الرجال ، وأحرَى من أن لايكون للشيطان عليكم وعليهنّ سبيل .

وقد قيل : . إن سبب أمر الله النساء بالحجاب، إنما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معهما ، فأصابت يدها يدَ الرجل ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه ، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة ، فكره ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت آية الحجاب . »

وقيل : نزلت من أجل مسألة عمر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب ، قالا : ثنا هشيم ، قال : ثنا حميد الطويل ، عن أنس ، قال : قال عمر بن الخطاب : «قلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهنّ البرّ والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ؟ قال : فنزلت آية الحجاب » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا حميد ، عن أنس، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمرو بن عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ، عن الزهرىّ ، عن عروة،عن عائشة،قالت :«إن أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى«المناصع »، وهو صعيد أفيح ، وكان عمر يقول : يارسول الله ، احجُب نساءك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فخرجت سوْدة بنت زمعة ، زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك ياسوْدة ، حرصا أن ينزل الحجاب ، قال : فأنزل الله الحجاب » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : « خرجت سَوْدةُ لحاجتها ، بعد ما ضُرب علينا الحجاب ، وكانت امرأة تَفْرَعُ النساء طولا ، فأبصرها عمر ، فناداها : ياسودة ، إنك والله ما تَخْفَيْن علينا ، فانظري كيف تخرجين ، أو كيف تصنعين ؟ فانكفأت ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليتعشى ، فأخبرته بما كان ، وما قال لها ، وإن في يده لَعَرْقا[1] ، فأوحي إليه ، ثم رفع عنه ، وإن العَرْق لفي يده ، فقال : لقد أُذِن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ » .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، قال : « أمر عمر نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحجاب ، فقالت زينب : يا بن الخطاب ، إنك لتغار علينا والوحيُ ينزل في بيوتنا ؟ فأنزل الله (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعا فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) » .

حدثني أبو أيوب النّهراني سليمان بن عبد الحميد ، قال : ثنا يزيد بن عبد ربه ، قال : ثني ابن حرب ، عن الزبيديّ ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة : « أن أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى « المناصع » ، وهو صعيد أفيح ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجُبْ نساءك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فخرجت سَوْدة بنت زَمَعة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عِشاء ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك ياسودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب ، قالت عائشة : فأنزل الله الحجاب ، قال الله : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا) . . . الآية » .

وقوله (وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ) : يقول تعالى ذكره : وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله ، وما يصلح ذلك لكم (وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدًا) : يقول : وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، لأنهنّ أمهاتكم ، ولا يحلّ للرجل أن يتزوّج أمه .

وذُكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب ، قال : لئن مات محمد لأتزوجنّ امرأة من نسائه سماها ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك : (وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ، وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد « في قوله (وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ، وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدًا إنَّ ذَلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيما) . قال : ربما بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول : لو أن النبيّ صلى الله عليه وسلم تُوُفّي تزوّجت فلانة من بعده ، قال : فكان ذلك يؤذي النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزل القرآن (وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ) . . . الآية » .

(١) العرق بفتح فسكون : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم . يقال : عرقت العظم ، واعترقه ، وتعرقته : إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك (النهاية لابن الأثير) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قَيْلة بنت الأشعث ، فتزوّجها عِكْرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشقّ على أبي بكر مشقة شديدة ، فقال له عمر : ياخليفة رسول الله، إنها ليست من نسائه ، إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها ، وقدّ برّأها منه بالردّة التى ارتدّت مع قومها ، فاطمأنّ أبو بكر وسكن .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وقد ملك بنت الأشعث بن قيس ، ولم يجامعها ، ذكر نحوه .

وقوله (إنّ ذَلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيما) : يقول : إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكاحكم أزواجه من بعده ، عند الله عظيم من الإثم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إن تُبْدُوا شَيْئاً أوْ تخفُوهُ ، فإنّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما (٥٤)

﴿ يقول تعالى ذكره : إن تُظهِروا بألسنتكم شيئا أيها الناس من مراقبة النساء ، أو غير ذلك مما نهاكم عنه ، أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول : لأتزوجنّ زوجته بعد وفاته ، أو تخفوه : يقول : أو تخفوا ذلك فى أنفسكم ، فإن الله كان بكلّ شىء عليما ، يقول : فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم ، عليم لايخفى عليه شىء ، وهو يجازيكم على جميع ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

لاجُناحَ عَلَيْهِنَّ فى آبائِهِنَّ ، وَلا أبْنائِهِنَّ وَلا إخْوانِهِنَّ ، وَلا أبْناءِ إخْوانِهِنَّ ، وَلا أبْناءِ أخَواتِهِنَّ ، وَلا نِسائِهِنَّ ، وَلا ما مَلَكَتْ أيْمانُهُنَّ ، وَاتَّقِينَ اللهَ ، إنَّ اللهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدا (٥٥)

﴿ يقول تعالى ذكره : لاحرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آبائهنّ ولا إثم .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وضع عنهنّ الجُناح فى هؤلاء ، فقال بعضهم : وضع عنهنّ الجُناح فى وضع جلابيبهنّ عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبى ليلى ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، فى قوله (لاجُناحَ عَلَيْهِنَّ فِى آبائِهِنَّ) . . . الآية كلها ، قال : أن تضع الجلباب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لاجُناحَ عَلَيْهِنَّ فِى آبائِهِنَّ) ومن ذكر معه أن يرَوْهنّ .

وقال آخرون : وضع عنهنّ الجناح فيهنّ ، فى ترك الاحتجاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لاجُنَاحَ عَلَيْهِنَّ) . . . إلى (شَهِيدًا) : فرخص لهؤلاء أن لايحتجبن منهم .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك وضع الجُناح عنهن فى هؤلاء المسمَّين ، أن لايحتجبن منهم ، وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب ، وبعد قول الله (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ، فلا يكون قوله (لاجُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ) استثناء من جملة الذين أُمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب ، إذا سألوهنّ ذلك أولى ، وأشبه من أن يكون خبرا مبتدأ عن غير ذلك المعنى .

فتأويل الكلام إذن : لاإثم على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأمّهات المؤمنين ، فى إذنهنّ لآبائهنّ ، وترك الحجاب منهنّ ، ولا لأبنائهنّ ، ولا لإخوانهنّ ، ولا لأبناء إخوانهنّ . وعُنى بإخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ : إخوتهنّ وأبناء إخوتهنّ . وخرج معهم جمع ذلك مخرجَ جمع فتى إذا جمع فتيان ، فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان . وأما إذا جمع إخوة ، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية ، ولا أبناء إخوانهنّ ، ولم يذكر فى ذلك العمّ ، على ماقال الشعبىّ ، حذارا من أن يصفهنّ لأبنائه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن الشعبىّ وعكرمة فى قوله (لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ ، وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ ، وَلا نِسَائِهِنَّ ، وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) قلت : ما شأن العم والخال لم يُذْكَرا ؟ قال : لأنهما يَنْعَتانها لأبنائهما ، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوالوليد ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة والشعبىّ نحوه ، غير أنه لم يذكر ينعتانها .

وقوله (وَلا نِسَائِهِنَّ) : يقول : ولا جناح عليهنّ أيضا فى أن لايحتجبن من نساء المؤمنين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا نِسَائِهِنَّ) قال : نساء المؤمنات الحرائر ، ليس عليهنّ جناح أن يرين تلك الزينة ، قال : وإنما هذا كله فى الزينة ، قال : ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شىء من عورة المرأة ، قال : ولو نظر الرجل إلى فخذ الرجل ، لم أر به بأسا ، قال : (وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فليس ينبغى لها أن تكشف قُرْطَها للرجل ، قال : وأما الكُحْل والخاتم والخضاب ، فلا بأس به ، قال : والزوج له فضل ، والآباء من وراء الرجل لهم فضل . قال : والآخرون يتفاضلون ، قال : وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة . قال : وكان أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم لايحتجبن من المماليك . وقوله (وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الرجال والنساء . وقال آخرون : من النساء .

وقوله (وَاتَّقِينَ اللَّهَ) : يقول : وخفن الله أيها النساءُ أن تتعدّيْن ما حدّ الله لكن ، فتُبْدِين من زينتكنّ ما ليس لكنّ أن تبدينه ، أو تتركن الحجاب الذى أمركنّ الله بلزومه ، إلا فيما أباح لكن تركه ، والزَمْنَ طاعته . (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) : يقول تعالى ذكره : إن الله شاهد على ما تفعلنه من

احتجابكنّ، وترككنّ الحجاب لمن أبحت، لكن ترك ذلك له، وغير ذلك من أموركنّ؛ يقول: فاتقين الله في أنفسكنّ لاتلقَيْنَ الله وهو شاهد عليكم بمعصيته، وخلاف أمره ونهيه، فتهلِكن، فإنه شاهد على كلّ شيء.

القول في تأويل قوله تعالى

* إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٥٦)

يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبرّكون على النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم.

كما حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ،يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ) يقول: يباركون على النبيّ.

وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبيّ، وتدعو له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته.

(يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ):يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم (وَسَلِّمُوا) عليه (تَسْلِيما) يقول: وحيُّوه تحية الإسلام.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عنبسة، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: «أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: سمعت الله يقول (إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) . . . الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قُلِ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمدٍ، كما صَلَّيْتَ عَلَى إبْراهِيمَ،إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بارَكْتَ عَلَى إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

حدثني جعفر بن محمد الكوفي، قال: ثنا يعلى بن الأجلح، عن الحكم بن عُتَيبة، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى، عن كعب بن عُجْرة، قال: لما نزلت (إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما)،قمت إليه، فقلت: السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك يارسول الله؟ قال: قُلِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْراهِيمَ وَآلِ إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بارَكْتَ عَلَى إبْراهِيمَ وَآلِ إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا أبو إسرائيل، عن يونس بن خباب، قال: «خطبنا بفارس فقال: (إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ) . . . الآية، فقال: أنبأني من سمع ابن عباس يقول: هكذا

أنزل ، فقلنا: أو قالوا: يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد، عن إبراهيم « فى قوله (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ) . . . الآية ، قالوا : يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » .

حدثنى يعقوب الدورقى ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال: ثنا أيوب، عن محمد بن سيرين ، عن عبدالرحمن ابن بشر بن مسعود الأنصاريّ، قال: « لما نزلت (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قالوا : يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه ، فكيف الصلاة ، وقد غفر الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ »، وقال الحسن: « اللهمّ اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد ، كما جعلتها على إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)

❁ يعنى بقوله تعالى ذكره: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ): إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه، وركوبهم ما حرّم عليهم . وقد قيل: إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير، وذلك أنهم يرومون تكوين خَلْق مثل خَلْق الله.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد القرشيّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سَلَمة بن الحجاج ، عن عكرمة ، قال: الذين يؤذون الله ورسوله ، هم أصحاب التصاوير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وأعَدَّ لَهُمْ عَذَابا مُهِينا) قال : يا سبحان الله، ما زال أناس من جهلة بنى آدم حتى تعاطَوْا أذى ربهم ، وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه فى نكاحه صفية بنت حييّ ، فيما ذكر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وأعَدَّ لَهُمْ عَذَابا مُهِينا) قال : نزلت فى الذين طعَنوا على النبىّ صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حُيَىّ بن أخطب .

وقوله (لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ) يقول تعالى ذكره : أبعدهم الله من رحمته فى الدنيا والآخرة ، وأعدّ لهم فى الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه .

و قوله (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ) كان مجاهد يوجه معنى قوله (يُؤْذُونَ) إلى يقفون .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ) قال : يقفون .

فعنى الكلام على ما قال مجاهد : والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات ، ويعيبونهم ، طلبا لشينهم (بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا) يقول : بغير ما عملوا .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا) : قال عملوا .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا عثّام بن علىّ ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : قرأ ابن عمر : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا ، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتانا وإثْما مُبِينا) : قال : فكيف إذا أُوذِى بالمعروف ، فذلك يضاعف له العذاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، عن الأعمش ، عن ثور ، عن ابن عمر (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا) قال : كيف بالذى يأتى إليهم المعروف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ يُؤْذونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا ، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتانا وإثْما مُبِينا) فإياكم وأذى المؤمن ، فإن الله يحوطه ، ويغضب له .

وقوله (فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتانا وإثْما مُبِينا) يقول : فقد احتملوا زُورا وكذبا وفِرْية شنيعة ؛ وبهتان : أفحش الكذب (وإثْما مُبِينا) يقول : وإثما يُبِين لسامعه أنه إثم وزور .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ، وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبىّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ،

لاتتشبهن بالإماء فى لباسهن ، إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن ، لئلا يعرض لهن فاسق ، إذا علم أنهن حرائر ، بأذى من قول .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الإدناء الذى أمرهن الله به ، فقال بعضهم : هو أن يُغطِّين وجوههن ورءوسهن ، فلا يبدين منهن إلا عينا واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة ، أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويبدين عينا واحدة.

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عُبيدة فى قوله : (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) فلبسها عندنا ابن عون ، قال : ولبسها عندنا محمد ، قال محمد : ولبسها عندى عبيدة ، قال ابن عون : بردائه ، فتقنّع به ، فغطى أنفه وعينه اليسرى ، وأخرج عينه اليمنى ، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب.

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن قوله (قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) قال : فقال بثوبه ، فغطى رأسه ووجهه ، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه .

وقال آخرون : بل أُمِرْن أن يشدُدْن جلابيبهن على جباههن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) ... إلى قوله (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) قال : كانت الحرّة تلبس لباس الأمة ، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن ، وإدناء الجلباب : أن تَقَنَّع وتَشُدَّ على جبينها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ) أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنّعن على الحواجب (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) وقد كانت المملوكة إذا مرّت تناولوها بالإيذاء ، فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) : يتجلببن ، فيُعلم أنهن حرائر ، فلا يعرض لهن فاسق بأذى ، من قول ولا ريبة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عمن حدثه ، عن أبى صالح ، قال : قدم النبىّ صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل ، فكان نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن

يقضين حوائجهن ، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل ، فأنزل الله : (يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ) يُقَنَّعن بالجلباب ، حتى تعرف الأمة من الحرّة .

وقوله (ذلكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ) يقول تعالى ذكره : إدناؤهن جلابيبهن إذا أدنينها عليهن ، أقرب وأحرى أن يُعْرفن ممن مررن به ، ويعلموا أنهن لسن بإماء ، فيتنكّبوا عن أذاهن بقول مكروه ، أو تعرّض بريبة . (وكانَ اللهُ غَفُورا) لما سلف منهن ، من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن . (رَحِيما) بهن أن يُعاقبهن بعد توبتهن ، بإدناء الجلابيب عليهن .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) ﴾

يقول تعالى ذكره : لَـئِنْ لم ينته أهل النفاق ، الذين يستسرّون الكفر ، ويظهرون الإيمان (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعني : ريبة من شهوة الزنا ، وحبّ الفجور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو عبد الصمد ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن عكرمة ، فى قوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : هم الزُّناة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : شهوة الزنا .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا أبو صالح التمار ، قال : سمعت عكرمة فى قوله (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : شهوة الزنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة عمن حدثه ، عن أبى صالح (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : الزُّناة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أصحاب الزنا ، قال : أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء ، فيبتغون الزنا . وقرأ (فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) قال : والمنافقون أصناف عشرة فى براءة ، قال : فالذين فى قلوبهم مرض صنف منهم ، مرض من أمر النساء .

وقوله (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) يقول : وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل .

وكان إرجافهم فيما ذُكر ، كالذى حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) . . . الآية ، الإرجاف : الكذب الذى كان نافقه أهل النفاق ، وكانوا يقولون : أتاكم عدد وعُدّة . وذُكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يُظهروا ما فى قلوبهم من النفاق ، فأوعدهم الله بهذه الآية ، قوله:(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ... الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية، كتموا ذلك وأسرّوه.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) هم أهل النفاق أيضا الذين يُرْجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين .

وقوله (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) يقول : لنسلطنك عليهم ، ولنحرّشنك بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) يقول : لنسلطنك عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) : أى لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم .

قوله (ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً) يقول : ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلا من المدة والأجل ، حتى ننفيهم عنها ، فنخرجهم منها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً) : أى بالمدينة .

وقوله (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا) أخذوا (وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) يقول تعالى ذكره : مطرودين منفيين أينما ثُقِفوا : يقول : حيثما لُقوا من الأرض ، أخذوا وقتلوا ، لكفرهم بالله ، تقتيلا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَلْعُونِينَ) على كلّ حال (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) أخذوا (وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) إذا هم أظهروا النفاق . ونصب قوله (مَلْعُونِينَ) على الشتم ، وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين ، فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل ، فيكون معناه : ثم لايجاورونك فيها إلا أقلاء ، ملعونين يقتلون حيث أصيبوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٦٢)

⁂ يقول تعالى ذكره (سُنَّةَ اللهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) هؤلاء المنافقين الذين فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، من ضُرَباء هؤلاء المنافقين ، إذا هم أظهروا نفاقهم ، أن يُقَتَّلَهُمْ تَقْتِيلاً ، ويلعنهم لعنا كثيرا .

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُنَّةَ اللهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) . . . الآية : يقول : هكذا سنة الله فيهم ، إذا أظهروا النفاق .

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا ، فأيقن أنه غير مغيِّر فى هؤلاء المنافقين سنته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ، قُلْ: إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هى قائمة ؟ قل لهم : إنما علم الساعة عند الله ، لايعلم وقت قيامها غيره . (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) : يقول : وما أشعرك يا محمد ، لعل قيام الساعة يكون منك قريبا ، قد قرب وقتُ قيامها ، ودنا حينُ مجيئها .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (٦٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الله أبعد الكافرين به من كل خير ، وأقصاهم عنه . (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) : يقول : وأعدّ لهم فى الآخرة نارا تتقد وتتسعر ، ليصليهموها . (خالِدِينَ فيها أبَدًا) يقول : ماكثين فى السعير أبدا ، إلى غير نهاية (لا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يتولاهم ، فيستنقذهم من السعير التى أصلاهموها الله . (وَلا نَصِيرًا) ينصرهم ، فينجيهم من عقاب الله إياهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولاَ (٦٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : لايجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا فى يوم تُقَلَّبُ وجوههم فى النار ، حالا بعد حال ، (يقُولُونَ) : وتلك حالهم فى النار (يا لَيْتَنا أطَعْنا اللهَ) فى الدنيا ، وأطعنا رسوله ، فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه ، فكنا مع أهل الجنة فى الجنة ، يا لها حسرةً وندامة ، ما أعظمها وأجلها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)

يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة فى جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا فى الضلالة وكبراءنا فى الشرك (فَأَضَلُّونا السَّبِيلا) يقول: فأزالونا عن محجة الحقّ، وطريق الهدى، والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك، وإخلاص طاعتك فى الدنيا (رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ) يقول: عذّبهم من العذاب مِثْلَى عذابنا الذى تعذّبنا (وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) يقول: وأخزهم خزيا كبيرا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا): أى رءوسنا فى الشرّ والشرك.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا) قال: هم رءوس الأمم الذين أضلوهم، قال: سادتنا وكبراءنا واحد. وقرأت عامة قرّاء الأمصار (سادَتَنا). ورُوِى عن الحسن البصرى (ساداتِنا) على الجماع، والتوحيد فى ذلك هى القراءة عندنا، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

واختلفوا فى قراءة قوله (لَعْنًا كَبِيرًا): فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار بالثاء (كَثِيرًا) من الكثْرة، سوى عاصم، فإنه قرأه (لَعْنًا كَبِيرًا) من الكِبَر. والقراءة فى ذلك عندنا بالثاء، لإجماع الحجة من القراء عليها.

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ، وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله: لاتؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لايحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذَوا موسى نبىّ الله، فرموه بعيب كذبا وباطلا (فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا) فيه من الكذب والزور، بما أظهر من البرهان على كذبهم (وكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيها) يقول: وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل، ذا وجه ومنزلة عنده، بطاعته إياه.

ثم اختلف أهل التأويل فى الأذى الذى أُوذِى به موسى، الذى ذكره الله فى هذا الموضع، فقال بعضهم: رَمَوْه بأنه آدر. ورَوَى بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا.

ذكر الرواية التى رُويت عنه ، ومن قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، وعبد الله ابن الحارث ، عن ابن عباس « فى قوله (لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) قال : قال له قومه : إنك آدَرُ ، قال : فخرج ذات يوم يغتسل ، فوضع ثيابه على صخرة ، فخرجت الصخرة تشتدّ بثيابه ، وخرج يتبعها عُرْيانا حتى انتهت به إلى مجالسَ بنى إسرائيل ، قال : فرأوه ليس بآدر ، قال : فذلك قوله (فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا) » .

حدثنى يحيى بن داود الواسطىّ ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عِكْرِمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : (لاتَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) قال : قالُوا : هُوَ آدَرُ ، قال : فذهب موسى يغتسل ، فوضع ثيابه على حجر ، فرّ الحجر بثيابه ، فتبع موسى قفاه ، فقال : ثيابى حجر ، فرّ بمجلس بنى إسرائيل ، فرأوه ، فبرأه الله مما قالوا (وكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيها) »

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، « (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) . . . إلى (وَجِيها) قال : كان أذاهم موسى أنهم قالوا : والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر ، فآذى ذلك موسى ، فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة ؛ فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه ، انطلقت الصخرة تسعى بثوبه ، وانطلق يسعى فى أثرها ، حتى مرّت على مجلس بنى إسرائيل وهو يطلبها ؛ فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجرّدا لاثوب عليه ، قالوا : والله ما نرى بموسى بأسا ، وإنه لبرىء مما كنا نقول له ، فقال الله : (فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا ، وكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيها) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) . . . الآية ، قال : « كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه ، قال : فكانوا يقولون : ما يحمله على ذلك إلا عيب فى فرجه ، يكره أن يُرَى ، فقام يوما يغتسل فى الصحراء فوضع ثيابه على صخرة ، فاشتدّت بثيابه ، قال : وجاء يطلبها عُرْيانا ، حتى اطلع عليهم عُرْيانا ، فرأوه بريئا مما قالوا ، وكان عند الله وجيها » قال : والوجيه فى كلام العرب : المحبّ المقبول .

وقال آخرون : بل وصفوه بأنه أبرص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « قال بنو إسرائيل : إن موسى آدَر ، وقالت طائفة : هو أبرص من شدّة تستره ، وكان يأتى كلّ يوم عينا ، فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها ، فعدَتِ الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بنى إسرائيل ، وجاء موسى يطلبها ؛ فلما رأوه عُرْيانا ، ليس به شىء مما قالوا ، لبس ثيابه ، ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه ، فأثرت العصا فى الصخرة . »

حدثنا بحر بن حبيب بن عربى ، قال : ثنا رَوْح بن عبادة ، قال : ثنا عوف ، عن محمد ، عن أبى هريرة

فى هذه الآية (لاتَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا) . . . الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ مُوسَى كانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا ، لايَكادُ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَىْءٌ ، اسْتِحْياءً مِنْهُ ، فَآذاهُ مَنْ آذاهُ مِنْ بَنى إسْرائِيلَ ، وَقالُوا : ما تَسَتَّرَ هَذا التَّسَتُّرَ إلاَّ مِنْ عَيْبٍ فى جِلْدِهِ ، إمَّا بَرَصٌ ، وإمَّا أُدْرَةٌ ، وإمَّا آفَةٌ ، وَإنَّ اللهَ أرادَ أنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قالُوا ، وَإنَّ مُوسَى خَلا يَوْمًا وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيابَهُ عَلَى حَجَرٍ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، أقْبَلَ عَلَى ثَوْبِهِ لِيأْخُذَهُ ، وَإنَّ الحَجَرَ عَدا بِثَوْبِهِ ، فأخَذَ مُوسَى عَصًا وَطَلَبَ الحَجَرَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : ثَوْبِى حَجَرُ ، حَتى انْتَهَى إلى مَلإٍ مِنْ بَنى إسْرائِيلَ ، فَرَأوْهُ عُرْيانًا كأحْسَنِ النَّاسِ خَلْقًا ، وَبَرَّأهُ اللهُ مِمَّا قالُوا ، وَإنَّ الحَجَرَ قامَ ، فأخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِسَهُ ، فَطَفِقَ بالحَجَرِ ضَرْبًا بِذلكَ ، فَوَاللهِ إنَّ فِى الحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاثًا أوْ أرْبَعًا أوْ خَمْسًا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانَ مُوسَى رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا) ثم ذكر نحوا منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : حدّث الحسن ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بَنى إسْرائِيلَ كانُوا يَغْتَسِلُونَ وَهُمْ عُراةٌ ، وكانَ نَبِىُّ اللهُ مُوسَى حَيِيًّا ، فكانَ يَتَسَتَّرُ إذا اغْتَسَلَ ، فَطَعَنُوا فِيهِ بِعَوْرَةٍ ، قال : فَبَيْنا نَبِىُّ اللهِ يَغْتَسِلُ يوْمًا ، إذْ وَضَعَ ثِيابَهُ على صَخْرَةٍ ، فانْطَلَقَتِ الصَّخْرَةُ ، واتَّبَعَها نَبِىُّ اللهِ ضَرْبًا بِعَصاهُ : ثَوْبِى يا حَجَرُ ، ثَوْبِى يا حَجَرُ ، حَتى انْتَهَتْ إلى مَلإٍ مِنْ بَنى إسْرائيلَ ، أوْ تَوَسَّطَهُمْ ، فَقامَتْ ، فأخَذَ نَبِىُّ اللهِ ثِيابَهُ ، فَنَظَرُوا إلى أحْسَنِ النَّاسِ خَلْقًا ، وأعْدَلِهِ مُرُوءَةً ، فقالَ المَلأُ : قاتَلَ اللهُ أفَّاكِى بَنِى إسْرائيلَ ، فَكانَتْ بَراءَتَهُ الَّتى بَرَّأهُ اللهُ مِنْها » .

وقال آخرون : بل كان أذاهم إياه ادّعاءَهم عليه قتل هارون أخيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن مسلم الطوسى ، قال : ثنا عباد ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، عن الحكم ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، عن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فى قول الله : (لاتَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) . . . الآية ، قال : صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون ، فقالت بنو إسرائيل : أنت قتلته ، وكان أشدّ حبا لنا منك ، وألين لنا منك ، فآذَوْه بذلك ، فأمر الله الملائكة فحملته ، حتى مرّوا به على بنى إسرائيل ، وتكلّمت الملائكة بموته ، حتى عرّف بنو إسرائيل أنه قد مات ، فبرأه الله من ذلك ، فانطلقوا به فدفنوه ، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرَّخَم ، فجعله الله أصمّ أبكم » .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن بنى إسرائيل آذوا نبىّ الله ببعض ما كان يكره أن يؤذَى به ، فبرأه الله مما آذَوْه به . وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم أنه أبرص . وجائز أن يكون كان ادّعاءَهم

عليه قتل أخيه هارون . وجائز أن يكون كلَّ ذلك . لأنه قد ذَكر كُلٌّ ذلك،أنهم قد آذَوه به ، ولاقول فى ذلك أولى بالحقّ مما قال الله إنهم آذَوا موسى ، فبرأه الله مما قالوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، اتقوا الله أن تعصُوه، فتستحقوا بذلك عقوبته .

وقوله (وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) : يقول : قولوا فى رسول الله والمؤمنين قوْلا قاصدا غير جائر ، حقا غير باطل .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) يقول : سَدادا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلبى (وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) قال : صدقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) أى عَدْلا ، قال قتادة : يعنى به فى منطقه ، وفى عمله كله . والسديد : الصدق .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قول الله (وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) قولوا : لاإله إلا الله .

وقوله (يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالَكُمْ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول ، يوفقكم لصالح الأعمال . فيصلح أعمالكم. (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) : يقول: ويعْف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ) فيعمل بما أمره به، وينتهى عما نهاه ، ويقُل السديد. (فَقَدْ فازَ فَوْزًا عَظِيما) : يقول : فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) ﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك . فقال بعضهم : معناه : إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال، على أنها إن أحسنت أثيبت وجُوزيت، وإن ضَيَّعت عُوقبت، فأبت حملها، شفقا منها أن لاتقوم بالواجب عليها ، وحملها آدم . (إنَّهُ كانَ ظَلُوما) لنفسه (جَهُولاً) بالذى فيه الحظّ له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، فى قوله (إنَّا

عَرَضْنَا الأمانَةَ على السَّمٰوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ ، فأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها ، وأشْفَقْنَ مِنْها) قال : الأمانة : الفرائض التى افترضها الله على العباد .

قال : ثنا هشيم ، عن العوّام ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمٰوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ ، فأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها) قال : الأمانة : الفرائض التى افترضها الله على عباده .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حَوْشَب وجُوَيْبِر [١] ، كلاهما عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ) . . . إلى قوله (جَهُولاً) قال : الأمانة : الفرائض . قال جُوَيبر فى حديثه : فلما عرضت على آدم ، قال : أى ربّ وما الأمانة ؟ قال : قيل : إن أدّيتها جُزيت ، وإن ضيعتها عوقبت ، قال : أى ربّ حملتها بما فيها ، قال : فما مكث فى الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية ، فأُخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ) قال : عُرِضت على آدم ، فقال : خذها بما فيها ، فإن أطعت غفرت لك ، وإن عَصيت عذّبتك ، قال : قد قبلت ، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم ، حتى أصاب الخطيئة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمٰوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ) إن أدّوها أثابهم ، وإن ضيَّعوها عذّبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله أن لايقوموا بها ، ثم عرضها على آدم ، فقبلها بما فيها ، وهوقوله (وحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً) غِرًّا بأمر الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ) : الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم ، فلم تطقها ، فقال لآدم : يا آدم ، إنى قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها ، فهل أنت آخذها بما فيها ؟ فقال : يا ربّ : وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جُزيت ، وإن أسأت عُوقبت ، فأخذها آدم فتحملها ، فذلك قوله (وحَمَلَها الإنْسانُ ، إنَّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك بن مزاحم ، فى قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمٰوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ ، فأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً) قال آدم : قيل له : خذها بحقها ، قال : وما حقها ؟ قيل : إن أحسنت جُزيت ، وإن أسأت عُوقبت ، فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أُخرج منها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمٰوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ) فلم يطقن حملها ، فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها ؟

---

(١) فى الأصل : وجبير . وسيأتى فى الحديث نفسه أنه جويبر .

قال آدم : وما فيها يا ربّ ؟ قال : إن أحسنت جُزيت ، وإن أسأت عُوقبت، فقال : تحملتُها ،فقال الله تبارك وتعالى : قد حملتكها ، فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر ،حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة . والأمانة : الطاعة .

حدثني سعيد بن عمرو السَّكُونى ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنى عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكَم بن عمرو ، وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم . قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الأمانَةَ والوَفاءَ نَزَلا على ابْنِ آدَمَ مَعَ الأنْبِياءِ ، فأُرْسِلُوا بِهِ ، فَمِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ، ومِنْهُمْ نَبِيٌّ ، وَمِنْهُمْ نَبِيٌّ رَسُولٌ ؛ نزل القرآن وهو كلام الله ، ونزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن ، وعلموا أمر السنن بألسنتهم ، ولم يدع الله شيئا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون ، وهى الحجج عليهم ،إلا بينه لهم ، فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح . ثم الأمانة أوّل شيء يُرْفع ، ويبقى أثرها فى جذور قلوب الناس ، ثم يُرْفع الوفاء والعهد والذمم . وتبقى الكتب ، فعالم يعمل ، وجاهل يعرفها وينكرها،حتى وصل إلىّ وإلى أمتى ، فلا يَهْلِكُ على الله إلا هالك ، ولا يُغْفِله إلا تارك ، والحذرَ أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا » .

حدثني محمد بن خلَف العَسْقلانى ، قال : ثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفىّ ، قال : ثنا العوّام العطار ، قال : ثنا قتادة ، وأبان بن أبي عياش، عن خليد العَصْرى، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَمْسٌ مَنْ جاءَ بِهِنَّ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ إيمانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ : مَن حافَظَ على الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ، على وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ ، وأعْطَى الزَّكاةَ مِنْ مالِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِها ، وكانَ يَقُولُ : وَايْمِ اللهِ لايَفْعَلُ ذلكَ إلاَّ مُؤْمِنٌ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَحَجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطاعَ إلى ذَلِكَ سَبِيلاً ،وأدَّى الأمانَةَ ، قالوا : يا أبا الدَّرداء : وما الأمانة ؟ قال : الغُسْل من الجنابة ، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق ، عن أبيّ بن كعب ، قال : من الأمانة : أن المرأة اؤتمنت على فرجها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ ، فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها) قال : إن الله عرض عليهنّ الأمانة : أن يفترض عليهنّ الدين ، ويجعل لهنّ ثوابا وعقابا ، ويستأمنهنّ على الدين . فقلن : لا، نحن مسخرات لأمرك ، لانريد ثوابا ولا عقابا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَعَرَضَها اللهُ على آدَمَ ، فَقالَ : بينَ أُذُنِي وَعاتِقِي » ، قال ابن زيد، فقال الله له : أما إذا تَحَمَّلْتَ هذا، فسأعينك ، أجعل لبصرك حجابا ، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لايحلّ لك، فأرْخ عليه حجابه ، وأجعلُ للسانك بابا وغَلَقا ، فإذا خشيت فأغلق ، وأجعل لفرجك لباسا ، فلا تكشفه إلا على ما أحلات لك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَات

والأرض والجبال) يعنى به : الدين والفرائض الحدود (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قيل لهن : احملنها تؤدّين حقها ، فقلن : لانطيق ذلك (وَحَمَلَهَا الإنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً) قيل له : أتحملها ؟ قال : نعم ، قيل : أتؤدّى حقها ؟ قال : نعم ، قال الله : إنه كان ظلوما جهولا عن حقها .

وقال آخرون : بل عنى بالأمانة فى هذا الموضع : أمانات الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القَتْلُ فى سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّها ، أو قال : يُكَفِّرُ كُلَّ شَىْءٍ إلاَّ الأمانَةَ ؛ يُؤْتَى بِصاحِبِ الأمانَةِ ، فَيُقالُ لَهُ : أَدِّ أمانَتَكَ ، فَيَقُولُ : أى ربِّ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيا ؟ ثلاثا ، فَيُقالُ : اذْهَبُوا بِهِ إلى الهاوِيَةِ ، فَيُذْهَبُ بِهِ إلَيْها ، فَيَهْوِى فيها حتى يَنْتَهِىَ إلى قَعْرِها ، فَيَجِدُها هُناكَ كَهَيْئَتِها ، فَيَحْمِلُها ، فَيَضَعُها على عاتِقِهِ ، فَيَصْعَدُ بِها إلى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، حَتَى إذا رأى أنَّهُ قَدْ خَرَجَ ، زَلَّتْ ، فَهَوَى فِى أثَرِها أَبَدَ الآبِدِينَ » . قالوا : والأمانة فى الصلاة ، والأمانة فى الصوم ، والأمانة فى الحديث ؛ وأشدّ ذلك الودائع . فلقيت البَراء فقلت : ألا تسمع إلى مايقول أخوك عبد الله ؟ فقال : صدق .

قال شريك ، وثنى عياش العامرىّ عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ولم يذكر الأمانة فى الصلاة ، وفى كلّ شىء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن ابن أبى هلال ، عن أبى حازم ، قال : « إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا ، فأبت ؛ ثم التى تليها ، حتى فرغ منها ، ثم الأرضين ثم الجبال ، ثم عرضها على آدم ، فقال : نعم ، بين أذنى وعاتقى ، فثلاث آمرك بهن ، فانهن لك عون : إنى جعلت لك لسانا بين لحيين ، فكفه عن كلّ شىء نهيتك عنه ؛ وجعلت لك فرجا وواريته ، فلا تكشفه إلى ماحرّمت عليك (1) .

وقال آخرون : بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده ، وخيانة قابيل أباه فى قتله أخاه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان لايولد لآدم مولود إلا وُلد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن ، جاريةَ هذا البطن الآخر ، ويزوّج جاريةَ هذا البطن ، غلامَ هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له اثنان ، يقال لهما قابيل ، وهابيل ؛ وكان قابيل صاحب زَرْع ، وكان هابيل صاحب ضَرْع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن يَنْكِح أخت قابيل ، فأبى عليه ، وقال : هى أختى

(1) ترك الثالثة والذى فى الدر : إنى جعلت لك بصرا ، وجعلت لك شفرتين ، فغضهما عن كل شئ نهيتك عنه ، وجعلت لك لسانا الخ .

وُلدتْ معى ، وهى أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوّجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى ، وإنهما قرّبا قربانا إلى الله أيهما أحقّ بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما ، أتى بمكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : ياآدم ، هل تعلم أن لى بيتا فى الأرض ؟ قال : اللهمّ لا ، قال : إن لى بيتا بمكة فأته ، فقال آدم للسماء : احفظى ولدى بالأمانة ، فأبت ؛ وقال للأرض ، فأبت ؛ فقال للجبال ، فأبت ؛ فقال لقابيل ، فقال : نعم . تذهب وترجع ،وتجد أهلك كما يسرّك؛ فلما انطلق آدم وقرّبا قربانا ، وكان قابيل يفخر عليه ، فيقول : أنا أحقّ بها منك ، هى أختى ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصىّ والدى ؛ فلما قرّبا ، قرّب هابيل جذَعة سمينة ،وقرّب هابيل حُزْمة سُنْبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ،ففركها فأكلها ، فنزلت النار ،فأكلت قُربان هابيل ، وتركت قُربان قابيل ؛ فغضب وقال : لأقتلنك حتى لاتنكح أختى ،فقال هابيل:(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى ، ما أنا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) . . . إلى قوله (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) ،فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه فى رءوس الجبال ، وأتاه يوما من الأيام ، وهو يرْعَى غنمه فى جبل ، وهو نائم ، فرفع صخرة ،فشدخ بها رأسه ، فمات ، وتركه بالعَراء ،ولا يعلم كيف يُدْفَن، فبعث الله غرابين أخوين، فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ، ثم حثا عليه ؛ فلما رآه قال : (يا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ، فَأُوَارِىَ سَوْأَةَ أَخِى) ؟ فهو قول الله تبارك وتعالى : (فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ ،لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْأَةَ أَخِيهِ) فرجع آدم،فوجد ابنه قد قتل أخاه،فذلك حين يقول: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) . . . إلى آخر الآية .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : ما قاله الذين قالو : إنه عُنِى بالأمانة فى هذا الموضع : جميع معانى الأمانات فى الدين ، وأمانات الناس،وذلك أن الله لم يخصّ بقوله (عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) بعضَ معانى الأمانات لما وصفنا .

وبنحو قولنا قال أهل التأويل فى معنى قول الله (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىُ ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك ، فى قوله (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) :قال آدم .(إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال : ظلوما لنفسه ، جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) غرّ بأمر الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً) قال : ظلوما لها ، يعنى للأمانة ، جهولا عن حقها .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ، وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣)

❊ يقول تعالى ذكره : وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذّب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدّون فرائض الله ، مؤمنين بها ، وهم مستسرّون الكفر بها ، والمنافقات والمشركين بالله فى عبادتهم إياه الآلهة والأوثان ، (والمُشْرِكاتِ ، وَيَتُوبَ اللهُ على المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) يرجع بهم إلى طاعته ، وأداء الأمانات التى ألزمهم إياها حتى يؤدّوها (وكانَ اللهُ غَفُورًا) لذنوب المؤمنين والمؤمنات ، بستره عليها ، وتركه عقابهم عليها (رَحِيما) أن يعذّبهم عليها بعد توبتهم منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية (إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ) حتى ينتهى (لِيُعَذّبَ اللهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ ، والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكاتِ) فيقولُ : اللذان خاناها ، اللذان ظلماها : المنافق والمشرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُعَذّبَ اللهُ المُنافِقِينَ وَالمُنافِقاتِ ، والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكاتِ) هذان اللذان خاناها ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، هذان اللذان أدّياها (وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيما) .

آخر سورة الأحزاب ، ولله الحمد والمنة

تفسير سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)

❊ يقول تعالى ذكره : الشكر الكامل ، والحمد التامّ كله ، للمعبود الذى هو مالك جميع ما فى السموات

السبع ، وما فى الأرضين السبع دون كل مايعبدونه ، ودون كل شىء سواه ، لامالك لشىء من ذلك غيره ، فالمعنى الذى هو مالك جميعه (وَلَهُ الحَمْدُ فِى الآخِرَةِ) يقول : وله الشكر الكامل فى الآخرة ، كالذى هو له ذلك فى الدنيا العاجلة ، لأن منه النعم كلها، على كل من فى السموات والأرض فى الدنيا ، ومنه يكون ذلك فى الآخرة. فالحمد لله خالصا، دون ماسواه، فى عاجل الدنيا ، وآجل الآخرة ، لأن النعم كلها من قبله ، لايُشركه فيها أحد من دونه ، وهو الحكيم فى تدبيره خلقه وصرفه إياهم فى تقديره، خبير بهم، وبما يصلحهم ، وبما عملوا ، وما هم عاملون ، محيط بجميع ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ) حكيم فى أمره ، خبير بخلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)

يقول تعالى ذكره : يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شىء من قولهم : وَلجت فى كذا : إذا دخلت فيه ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتُ القَوَافِى يَتَّلِجْنَ مَوَالِجا تَضَايَقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الإبَرْ[١]

يعنى بقوله : « يتَّلجن موالجا » : يدخلن مداخل (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) يقول : وما يخرج من الأرض (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) يعنى : وما يصعد فى السماء ، وذلك خبر من الله أنه العالم الذى لايخفى عليه شىء فى السموات والأرض ، مما ظهر فيها وما بطن ، وهو الرحيم الغفور ، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذّبهم بعد توبتهم ، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ، عَالِمِ الْغَيْبِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ

(١) البيت فى الشعر المنسوب إلى طرفة بن العبد البكرى ، وليس فى ديوانه الذى فيه أشعار الشعراء الستة انظره فى العقد الثمين ، فى دواوين الشعراء الجاهليين لألورد الألمانى ، طبع غريفز ولد سنة ١٨٦٩ (وورد فى) اللسان : ولج (غير منسوب . كما ورد فى فرائد القلائد ، فى مختصر شرح الشواهد ، للعينى ٢٩١) قال : فإن القوافى . . . الخ . قاله طرفة بن العبد . والقوافى : جمع قافية ، وأراد به هاهنا : القصيدة ، لاشتمال القافية عليها . والشاهد فى « يتلجن » أصله « يوتلجن » ؛ لأنه من ولج : إذا دخل . فأبدلت الواو تاء ، وأدغمت التاء فى التاء . والموالج : جمع مولج ، وهو موضع الولوج . والإبر : جمع إبرة الخياط . اهـ . قلت : يريد طرفة أن قصائد الهجاء تبلغ من التأثير فى نفس المهجو مواضع بعيدة ، لا تنالها أسنة الإبر ، إذا طعن بها المهجو وهو شبيه بقول الآخر :

« والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر »

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ، وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٣)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلك يامحمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم ، بهيئتهم التى كانوا بها من قبل فنائهم ، من قومك ، بقيام الساعة ، استهزاء بوعدك إياهم ، وتكذيبا لخبرك ، قل لهم : بلى تأتيكُمْ وربى ، قسما به لتأتينكم الساعة ، ثم عاد جلّ جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه ، وتمجيدها ، فقال (عالِمِ الغَيْبِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (عالِمُ الغَيْبِ) على مثال فاعل ، بالرفع على الاستئناف ، إذ دخل بين قوله (ورَبّى) ، وبين قوله (عالِمُ الغَيْبِ) كلام حائل بينه وبينه . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة ، عالم على مثال فاعل ، غير أنهم خفضوا عالم، ردّا منهم له على قوله (ورَبّى) إذ كان من صفته . وقرأ ذلك بقية عامة قرّاء الكوفة (عَلَّامُ الغَيْبِ) على مثال فعّال ، وبالخفض ردّ لإعرابه على إعراب قوله (ورَبّى) ، إذ كان من نعته .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن كلّ هذه القراءات الثلاث ، قراءات مشهورات فى قرّاء الأمصار ، متقاربات المعانى ، فبأيتهنّ قرأ القارئ فمصيب ، غير أن أعجب القراءات فى ذلك إلىّ أن أقرأ بها (عَلَّامُ الغَيْبِ) على القراءة التى ذكرتها عن عامة قرّاء أهل الكوفة . فأما اختيار « علام » على « عالم » ، فلأنها أبلغ فى المدح . وأما الخفض فيها فلأنها من نعت الربّ ، وهو فى موضع الجرّ ، وعنى بقوله (عَلَّامُ الغَيْبِ) : علام ما يغيب عن أبصار الخلق ، فلا يراه أحد ، إمّا مالم يكونه مما سيكونه ، أو ما قد كونه ، فلم يُطلِع عليه أحدا غيره ، وإنما وصف جلّ ثناؤه فى هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب ، إعلاما منه خلقه ، أن الساعة لايعلم وقت مجيئها أحد سواه ، وإن كانت جائية ، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للذين كفروا بربهم : بلى وربكم لتأتينكم الساعة ، ولكنه لايعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب ، الذى لايعزب عنه مثقال ذرّة .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ) لايغيب عنه ، ولكنه ظاهر له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس فى قوله (لا يَعْزُبُ عَنْهُ) يقول : لايغيب عنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لايَعْزُبُ عَنْهُ) قال : لايغيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (لايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ) : أى لايغيب عنه . وقد بيّنّا ذلك بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (مِثْقالَ ذَرَّةٍ) يعنى : زنة ذرّة فى السموات ولا فى الأرض ، يقول تعالى ذكره : لايغيب عنه شىء ، من زنة ذرّة فما فوقها فما دونها ، أين كان : فى السموات ، ولافى الأرض (وَلاأصْغَرَ مِنْ ذلكَ) : يقول : ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرّة (وَلا أكْبَرَ) منه (إلاّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ) يقول : هو مثبت فى كتاب ، يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه ، فلم يعزُب عن علمه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ، أُو لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك فى الكتاب المبين ، كى يُثيب الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، على طاعتهم ربهم . (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول جلّ ثناؤه : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، مغفرة من ربهم لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : وعيش هنىء يوم القيامة فى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) : لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) : فى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ (٥)

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك فى الكتاب ، لِيَجْزِىَ المؤمنين ماوصف ، ولِيَجزىَ الذين سعوا فى آياتنا معاجزين ؛ يقول : وكى يثيب الذين عملوا فى إبطال أدلتنا وحُجَجنا معاونين [١] ، يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم ، فلا نقدر عليهم (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ) يقول : هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ، ويعنى بالأليم : الموجع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَعَوْا فى آياتنا مُعَاجِزِينَ) : أى لايعجزون (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ) قال : الرجز : سوء العذاب ، الأليم : الموجع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَالَّذِينَ سَعَوْا فى آياتنا مُعَاجِزِينَ) قال : جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها ، قال : وهم المشركون ، وقرأ (لاتَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالْغَوْا فيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) .

(١) (فى اللسان : عجز) : معاجزين : أى يعاجزون الأنبياء وأولياء الله ، أى يقاتلونهم ويمانعونهم ، ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله . ويقال : فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل أى يميل إليه ويلجأ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ، وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٦)

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك فى كتاب مبين ، ليَجْزِىَ الذين آمنوا ، والذين سعوا فى آياتنا ما قدبين لهم ، وليرى الذين أوتوا العلم . فيرى : فى موضع نصب ، عطفا به على قوله : يَجْزِىَ ، فى قوله (لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا) وعُنِى بالذين أوتوا العلم : مُسْلِمة أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام ، ونظرائه الذين قدقرءوا كتب الله التى أُنزلت قبل الفرقان ، فقال تعالى ذكره : وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله ، الذى هو التوراة ، الكتاب الذى أُنزل إليك يامحمد من ربك هو الحقّ .

وقيل : عُنِى بالذين أوتوا العلم : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ) قال : أصحاب محمد .

وقوله (وَيَهْدِى إلى صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) يقول : ويرشد من اتبعه ، وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحميدِ عند خلقه ، فأياديه عندهم ، ونعمه لديهم . وإنما يعنى أن الكتاب الذى أُنزل على محمد يهدى إلى الإسلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات ، بعضهم لبعض : (هَلْ نَدُلُّكُمْ) أيها الناس (على رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول : يخبركم أنكم بعد تقطعكم فى الأرض بلاء[1] ، وبعد مصيركم فى التراب رُفاتا ، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هَلْ نَدُلُّكُمْ على رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ، (يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) : إذا أكلتكم الأرض ، وصرتم رُفاتا وعظاما ، وقطّعتكم السباع والطير (إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) ستُحيَوْن وتُبعثون .

(١) بلاء : بفتح الباء ، ممدود : مصدر بلى ، بكسر اللام . تقول بلى الثوب بلى وبلاء (اللسان .)

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) . . . إلى (خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : يقول : (إِذَا مُزِّقْتُمْ) : وإذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا ، ذلك (كُلَّ مُمَزَّقٍ : إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : ينبئكم أنكم ، فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها ، ولكن ابتدأ بها ابتداء ، لأن النبأ خبر وقول ، فالكسر فى إن لمعنى الحكاية فى قوله (يُنَبِّئُكُمْ) دون لفظه ، كأنه قيل: يقول لكم : (إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به ، وأنكروا البعث بعد الممات، بعضُهم لبعض ، معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وعده إياهم ذلك : أفترى هذا الذى يعدنا أنا بعد أن نمزّق كلّ ممزّق، فى خلق جديد، على الله كذبا، فتخلّق عليه بذلك باطلا من القول، وتُخرّص عليه قول الزور (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) يقول : أم هو مجنون ، فيتكلم بما لامعنى له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : قالوا تكذيبا (أَفْتَرَى على الله كَذِبا) قال : قالوا : إما أن يكون يكذب على الله ، أم به جنة ، وإما أن يكون مجنونا (بَلِ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ) . . . الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، ثم قال بعضهم لبعض (أَفْتَرَى عَلَى الله كَذِبا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) الرجل مجنون فيتكلم بما لايعقل ، فقال الله (بَلِ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِى العَذَابِ ، والضَّلالِ البَعِيدِ) .

وقوله (بَلِ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِى العَذَابِ والضَّلالِ البَعِيدِ) : يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم ، وظنوا به ، من أنه افترى على الله كذبا ، أو أنّ به جنة ، لكنّ الذين لايؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين فى عذاب الله فى الآخرة ، وفى الذهاب البعيد عن طريق الحقّ ، وقصد السبيل ، فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الله : (بَلِ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِى العَذَابِ والضَّلالِ البَعِيدِ) ، وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا ، وقرأ : (قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) . . الآية كلها ، وقرأ (قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ) وقطعت الألف من قوله (أَفْتَرَى على الله) فى القطع والوصل ، ففُتحت لأنها ألف استفهام . فأما الألف التى بعدها ، التى هى ألف افتعل، فإنها ذهبت لأنها خفيفة زائدة تسقط فى اتصال الكلام، ونظيرها : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ـ وبيدى أَسْتَكْبَرْتَ ، وَأَصْطَفَى البَنَاتِ) وما أشبه ذلك . وأما ألف

(الآنَ ، وآلذَّكَرَيْنِ) ، فطوّلت هذه ، ولم تطوّل تلك ، لأن آلآن وآلذكرين كانت مفتوحة ، فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق ، فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر ، وألف الاستفهام مفتوحة ، فكانتا مفترقتين بذلك ، فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)

يقول تعالى ذكره : أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالمعاد ، الجاحدون البعث بعد الممات ، القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم (أَفْتَرَى على اللهِ كَذِبا ، أمْ بِهِ جِنَّةٌ) إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ، فيعلموا أنهم حيث كانوا ، فإن أرضى وسمائى محيطة بهم ، من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، فيرتدعوا عن جهلهم ، وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الأرض فتُخْسَف بهم ، أو السماء فتُسْقِط عليهم قِطَعا ، فإنّا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَلَمْ يَرَوْا إلى ما بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ) قال : ينظرون عن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، كيف السماء قد أحاطت بهم (إنْ نَشأْ نَخْسِفُ بِهِمُ الأرْضَ) كما خسفنا بمن كان قبلهم (أوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ) : أى قِطعا من السماء .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول تعالى ذكره : إن فى إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية : يقول : لدلالة لكلّ عبد منيب : يقول : لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة ، ورجع إلى معرفة توحيده ، والإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والإذعان لطاعته ، على أن فاعل ذلك لايمتنع عليه فعل شىء أراد فعله ، ولا يتعذّر عليه فعل شىء شاءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) والمنيب : المقبل التائب .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ، يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ، وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ (١٠) أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ، وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ، إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : ولقد أعطينا داود منا فضلا ، وقلنا للجبال (أَوِّبِى مَعَهُ) : سبحى معه إذا سبح. والتأويب عند العرب : الرجوع ، ومبيت الرجل فى منزله وأهله ؛ ومنه قول الشاعر :

يَوْمانِ يَوْمُ مَقاماتٍ وأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأَعْداءِ تَأْوِيبِ[1]

أى رجوع . وقد كان بعضهم يقرؤه (أُوبِى مَعَهُ) من آب يئوب ، بمعنى : تصرّفى معه ، وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لخلافها قراءة الحجة .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنى محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ؛ وحدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (أَوِّبِى مَعَهُ) قال : سَبِّحى معه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ) يقول : سَبِّحِى معه .

حدثنا أبو عبد الرحمن العلائىّ ، قال : ثنا مِسْعَر ، عن أبى حُصين ، عن أبى عبد الرحمن : (يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ) يقول : سَبِّحى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة (يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ) قال : سَبِّحى ، بلسان الحبشة .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ) قال : سبحى معه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ) قال : سَبِّحى .

(١) البيت لسلامة بن جندل . قاله أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ، مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٩٧ ب) وانظره فى المفضليات طبع القاهرة سنة ١٩٢٦ والتأويب : أن يبيت فى أهله . قال سلامة بن جندل : « يومان . . . البيت » . واستشهد به فى (اللسان : أوب) ونسبه لسلامة ، وقال : التأويب أن يسير النهار أجمع ، وينزل الليل . وقيل : هو تبارى الركاب فى السير . قال سلامة . . البيت . ثم قال التأويب فى كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقال : أوب القوم تأويبا : أى ساروا بالنهار . و (فى اللسان : أوب) : والتأويب : الرجوع . وقوله عز وجل : (يا جبال أوبى معه) ويقرأ « أوبى معه » أى بضم الهمزة . فمن قرأ أوبى معه (بفتح الهمزة ، وشد الواو المكسورة) فمعناه : يا جبال سبحى معه ، ورجعى التسبيح لأنه قال : سخرنا الجبال معه يسبحن . ومن قرأ « أوبى معه » أى بضم الهمزة ، فمعناه . عودى معه فى التسبيح كلما عاد فيه . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ) : أي سبحي معه إذا سبح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ) قال : سبحي معه ، قال : والطيرُ أيضا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ) قال : سبحي .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، قوله (يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ) سبحي معه .

وقوله (والطَّيْرَ) ،وفي نصب الطير وجهان : أحدهما على ما قاله ابن زيد ، من أن الطير نُودِيت كما نوديت الجبال ،فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع ، بما لايحسن إعادة رافعه عليه ، فيكون كالمصدر[1] عن جهته . والآخر : فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه ، فيكون معنى الكلام : فقلنا : يا جبال أوِّبي معه ، وسخرنا له الطير ، وإن رفع ردًّا على ما في قوله : سبحي من ذكر الجبال كان جائزا ، وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال ، وإن لم يحسن نداؤها بالذي نُودِيت به الجبال ، فيكون ذلك كما قال الشاعر :

ألا يا عَمْرُو والضَّحَّاكَ سِيْرًا فَقَدْ جاوَزْتُما خَمَرَ الطَّرِيقِ[2]

وقوله (وأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ) ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرِّفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ، ولا ضرب بحديد .

ذِكْرُ من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ) سخَّر الله له الحديد بغير نار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، في قوله (وأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ) كان يسوِّيها بيده ، ولا يدخلها نارا ، ولا يضربها بحديدة .

وقوله (أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ) يقول : وعهدنا إليه أن اعمل سابغات ، وهي التوامّ الكوامل من الدروع .

(١) لعله كالمصروف عن جهته .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦١) . قال في قوله تعالى « ياجبال أوبي معه والطير » : منصوبة على جهتين : إحداهما أن تنصبها بالفعل ، بقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، وسخرنا له الطير » ، فيكون مثل قولك : أطعمته طعاما وما تريد ، وسقيته ماء . فيجوز ذلك . والوجه الآخر بالنداء ، لأنك إذا قلت : يا عمرو والصلت أقبلا ، نصبت الصلت بدعائهما ، فإذا فقدت كان كالمعدول عن جهته ، فنصب . وقد يجوز رفعه ، على أن يتبع ما قبله . ويجوز رفعه على أوبي أنت والطير . وأنشدني بعض العرب النداء إذا نصب ، لفقده يأيها : « ألا ياعمرو والضحاك » والخمر بالتحريك : ما سترك من الشجر وغيرها ، فيجوز نصب الضحاك ورفعه . وقال الآخر : يا طلحة الكامل وابن الكامل . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ) دروع ، وكان أوّل من صنعها داود ، إنما كان قبل ذلك صفائح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ) قال السابغات : دروع الحديد .

وقوله (وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ) اختلف أهل التأويل فى السَّرْد ، فقال بعضهم : السرد : هو مسمار حلق الدرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ) قال : كان يجعلها بغير نار ، ولا يقرعها بحديد ، ثم يسردها والسرد : المسامير التى فى الحَلَق .

وقال آخرون : هو الحلق بعينها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ) قال : السرد : حَلَقُه ، أى قدّر تلك الحَلَق . قال : وقال الشاعر :

أجادَ المُسَدَّى سَرْدَها وأذَالَها[١]

قال : يقول : وسَّعها ، وأجاد حلقها .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ) يعنى بالسرد : ثقب الدروع فيسد قتيرها . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : يقال درع مسرودة : إذا كانت مسمورة الحلق ، واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر :

وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٢]

وقيل : إنما قال الله لداود (وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ) لأنها كانت قبل صفائح .

---

(١) البيت لكثير عزة ابن عبد الرحمن الخزاعى (اللسان ذيل) وصدره « على ابن أبى العاصى دلاص حصينة » قال : وذيل فلان ثوبه تذييلا : إذا طوله . وملاء مذيل : طويل الذيل . ويقال : أذال فلان ثوبه إذا أطال ذيله ؛ قال كثير : « على ابن أبى العاصى . . . وأذالها » . اهـ . وسردها : سمرها بالمسامير ، كما يأتى فى الشاهد بعده . والمسدى : من التسديد ، وهى أن يجعل الدرع مضاعفة ، لها سدى ولحمة ، على التشبيه بالثوب الذى له سدى ولحمة . أو السدى : أسفل الثوب والدرع ، والتسديد منه توسيع أسفلهما حتى لا يعوق لابسه فى السير إذا كان ضيقا ، وهذا الشاهد فى معنى الشاهد الذى بعده .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى (معانى القرآن ١٩٨ ـ ١) من مصورة الجامعة على أنه يقال درع مسرودة : أى مسمورة الحلق . وقال الفراء فى (معانى القرآن ، الورقة ٢٦١) : وقوله عز وجل : أن اعمل سابغات « : الدروع » وقدر فى السرد « يقول : لاتجعل مسمار الدرع دقيقا ، فيقلق ، ولا غليظا ، فيفصم الحلق . وفى (اللسان : قضى) : والقضاء : بمعنى العمل ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير قال أبو ذؤيب : « وعليهما مسرودتان . . . البيت » . قال ابن السيرافى : قضاهما : فرغ من عملها أو قلت : ومعنى البيت أنهما جاء وعليهما درعان سابغتان أى طويلتان محكمتا الصنع ، كأنهما من صنع داود عليه السلام ، أو من صنع تبع ملك اليمن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) قال : كانت صفائح ، فأمر أن يَسْرُدَها حلَقًا . وعني بقوله (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) : وقدِّر المسامير في حلق الدروع ، حتى يكون بمقدار ، لا تُغلِظ المسمار ، وتضيق الحَلْقة ، فتُفْصَم الحَلْقة ، ولا توسع الحلقة ، وتصغر المسامير وتدقها ، فتسلس في الحلقة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) قال : قدّر المسامير والحلق ، لا تُدِقَّ المسامير فتسلسَ ، ولا تُجِلّها ، قال محمد بن عمرو ، وقال الحارث : فتُفصَم .

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) قال : لا تصغر المسمار ، وتعظم الحلقة فتسلس ، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيفصم المسمار .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : ثنا أبي ، عن الحكم ، في قوله (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) قال : لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة ، ولا تُدِقّه فيقلق .

وقوله (وَاعْمَلُوا صَالِحًا) يقول تعالى ذكره : واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جلّ ثناؤه : إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر ، لا يخفى عليّ منه شيء ، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِسُلَيْمَنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ، وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (١٢)

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) بنصب الريح ، بمعنى : ولقد آتينا داود منا فضلا ، وسخرنا لسليمان الريح . وقرأ ذلك عاصم (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ) رفعا بحرف الصفة ، إذ لم يظهر الناصب .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (غُدُوُّهَا شَهْرٌ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا لسليمان الريحَ ، غدوّها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر ، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ) قال : تغدو مسيرة شهر ، وتروح مسيرة شهر ، قال : مسيرة شهرين فى يوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ ، وَرَوَاحُها شَهْرٌ) قال : ذكر لى أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان ، إما من الجنّ ، وإما من الإنس : نحن نزّلناه وما بنيناه ، ومبنيا وجدناه ، غدَونا من إصطخر فقلناه ، ونحن رائحون منه إن شاء الله ، فبائتون بالشام .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ) قال : كان له مَرْكب من خشب ، وكان فيه ألف ركن ، فى كل ركن ألف بيت تركب فيه الجنّ والإنس ، تحت كل ركن ألف شيطان ، يرفعون ذلك المركب هم والعصار [1] ؛ فإذا ارتفع أتت الريح رخاء ، فسارت به،وساروا معه ، يَقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر ، ولا يدرى القوم إلا وقد أظلّهم معه الجيوش والجنود .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ) قال : كان يغدو فيَقيل فى إصْطَخْر ، ثم يروح منها ، فيكون رواحها بكابل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن بمثله .

وقوله (وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ) يقول : وأذبنا له عين النُّحاس ، وأجريناها له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ) عين النحاس كانت بأرض اليمن ، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ) قال : الصُّفْر سال كما يسيل الماء ، يعمل به كما كان يعمل العجين ، فى اللَّبِن .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ) يقول : النحاس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ) يعنى : عين النحاس أسيلت .

وقوله (وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإذْنِ رَبِّهِ) يقول تعالى ذكره : ومن الجنّ من يطيعه ، ويأتمر بأمره ، وينتهى لنهيه ، فيعمل بين يديه مايأمره ، طاعة له بإذن ربه،يقول : بأمر الله له بذلك، وتسخيره إياه له:(مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمْرِنا) :يقول: ومن يزُل ويعدِل من الجنّ عن أمرنا الذى أمرناه من طاعة سليمان (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) فى الآخرة ، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة .

---

(١) فى (اللسان : عصر) : الإعصار والعصار (ككتاب) أن تهيج الريح فترفعه . والعصار : الغبار الشديد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) : أى يعدل منهم عن أمرنا ، عما أمره به سليمان (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ، اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)

يعنى تعالى ذكره : يعمل الجنّ لسليمان ما يشاء ، من محاريب ، وهى جمع مِحْراب ، والمحراب : مقدّم كل مسجد وبيت ومصلًّى ؛ ومنه قول عدىّ بن زيد :

كَدُمَى العاجِ فِى المَحارِيبِ أَوْ كالْـ ـبَيْضِ فى الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ[١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ) قال : بنيان دون القصور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ) وقصور ومساجد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ) قال : المحاريب : المساكن . وقرأ قول الله (فَنادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّى فِى المِحْرابِ) .

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْبر ، عن الضحاك : (يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ) قال : المحاريب : المساجد .

وقوله (وَتَماثِيلَ) يعنى أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَماثِيلَ) قال : من نحاس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَماثِيلَ) قال : من زجاج وشَبَه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْبر ، عن الضحاك ، فى قول الله (وَتَماثِيلَ) قال : الصور .

---

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى كما قال المؤلف ، وكما فى شعراء النصرانية القسم الرابع ٤٥٥ وقد استشهد به المؤلف فى (٣ : ٢٤٦) من هذا التفسير ، على أن المحاريب جمع محراب ، وهو مقدم موضع العبادة . فراجعه ثمة .

قوله (وَجِفانٍ كالجَوَابِ) يقول : وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب ، وهى جمع جابية ، والجابية : الحوض الذى يُجْبَى فيه الماء ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

تَرُوحُ على نادِى المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِىِّ تَفْهَقُ[1]

وكما قال الآخر :

فَصَبَّحَتْ جابِيَةً صُهارِجا ... كأنَّها جِلْدُ السَّماءِ خارِجا[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىٍّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِفانٍ كالجَوَابِ) يقول : كالجوبة من الأرض .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِفانٍ كالجَوَابِ) يعنى : بالجواب : الحياض .

وحدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَجِفانٍ كالجَوَابِ) قال : كالحياض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجِفانٍ كالجَوَابِ) قال : حياض الإبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجِفانٍ كالجَوَابِ) قال : جفان كجوبة الأرض من العِظَم ، والجَوْبة من الأرض : يستنقع فيها الماء .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٢٥) وروايته :

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجابِيَةِ السَّيْحِ العِرَاقِى تَفْهَقُ

وهى رواية مشهورة كالرواية التى أوردها المؤلف . يصف المحلق بالكرم وأن جفنته تروح على ناديه مفعمة لحما وشحما ، وهى من كبير الجفان ، مثل جابية الماء التى يجمع فيها الشيخ العراقى أيام يفيض النهر ، لينفق منه فى أيام قلة الماء ، فهى جابية كبيرة . وأما من رواه السيح ، بالسين والحاء المهملتين ، فهو ما يفيض من الماء ويسيح عن الزيادة بالنهر . وقد ذكر فى المبرد « الكتاب الكامل » هاتين الروايتين (انظر طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ١ : ٧) قال : فى تخريج رواية الشيخ : كذا ينشده أهل البصرة . وتأويله عندهم أن العراقى إذا تمكن من الماء ، ملأ جابيته ، لأنه حضرى ، فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله . قال أبو العباس : وسمعت أعرابية تنشد : (وهى أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق ، وهى رواية أهل الكوفة) : « كجابية السيح » ، تريد : النهر الذى يجرى على جابيته ، فماؤها لا ينقطع ، لأن النهر يمده . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : (الورقة : ١٩٨) « وجفان كالجواب » : واحدها : جابية وهو الحوض الذى يجبى فيه الماء . وقال الفراء فى معانى القرآن الورقة ٢٦١ : « وجفان » : وهى القصاع الكبار . « كالجواب » : الحياض التى للإبل . وفى (اللسان : جبى :) والجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء للإبل . والجابية : الحوض الضخم ، وأورد البيت كرواية المؤلف ، ثم قال : خص العراقى ، لجهله بالمياه ، لأنه حضرى ، فإن وجدها ملأ جابية وأعدها ، ولم يدر متى يجد المياه .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز . روى أولهما صاحب (اللسان : صهرج) عن الأزهرى . قال : وحوض صهارج : مطلى بالصاروج : (النورة) والصهارج بالضم مثل الصهريج . وأنشد الأزهرى « فصبحت جابية صهارجا وقد صهرجوا صهريجا . وفاعل صبحت ضمير يعود على ما قبله ، ولعله ذكر الإبل . والرجز غير منسوب . وقوله « كأنها جلد » . . . البيت : يشبه لون الجابية أو ماءها بلون السماء فى الزرقة . وهذا البيت كالذى قبله شاهد على أن معنى الجابية الحوض الكبير ، الذى يجمع فيه الماء ، وهو الصهارج الصهريج أيضا . شبه جفنة المحلق بالحوض الكبير ، لكرمه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ) كالحياض .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال ثنا جويبر ، عن الضحاك : (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ) قال : كحياض الإبل من العِظَم .

وقوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) يقول : وقدور ثابتات،لايحركن عن أماكنهن ، ولا تحوّل لعظمهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : عظام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : عِظام ثابتات فى الأرض لايزلن عن أمكنتهن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : مثال الجبال من عِظمها،يعمل فيها الطعام من الكبر والعِظَم ، لاتحرّك ، ولا تنقل ، كما قال للجبال : راسيات .

وقوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) يقول تعالى ذكره : وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التى خصّكم بها عن سائر خلقه،مع الشكر له على سائر نعمه،التى عمكم بها مع سائر خلقه ، وتُرِك ذكر : وقلنا لهم ، اكتفاء بدلالة الكلام على ماتُرِك منه ، وأخرج قوله (شُكْرًا) مصدرا من قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ) لأن معنى قوله (اعْمَلُوا) اشكروا ربكم بطاعتكم إياه ، وأن العمل بالذى رضى الله لله شكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبادة ، عن محمد بن كعب ، قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال : الشكر : تقوى الله ، والعمل بطاعته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد:أخبرنى حَيْوَة ، عن زُهْرة بن معبد ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلى[١] يقول : (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) وأفضل الشكر : الحمد .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال : أعطاكم وعلمكم ، وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم ، وعلّمكم منطق الطير ، اشكروا له يا آل داود ، قال : الحمد طَرَف من الشكر .

وقوله (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) يقول تعالى ذكره : وقليل من عبادى المخلصو توحيدى ، والمفرد وطاعتى . . . وشكرى على نعمتى عليهم .

(١) الحبلى : بسكون الباء وضمها : منسوب إلى بنى الحبل ، بطن من الأنصار ، ثقة ، توفى سنة مئة (عن التاج) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) يقول : قليل من عبادى الموحِّدون توحيدهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت ، فمات (ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ) يقول : لم يدلّ الجنّ على موت سليمان (إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ) وهى الأَرَضَة وقعت فى عصاه ، التى كان متكئا عليها ، فأكلتها ، فذلك قول الله عزّ وجلّ (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن المثنى وعلىّ ، قالا : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) يقول : الأَرَضَة تأكل عصاه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ) قال : الأَرَضَة (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (تأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، فى قوله (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) أكلت عصاه حتى خرّ .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : المنسأة : العصا بلسان الحبشة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المنسأة : العصا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْسَأَتَهُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة : (مِنْسَاتَهُ) غير مهموزة ؛ وزعم من اعتلّ لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة ، أن المنساة : العصا ، وأن أصلها من نسأت بها الغنم ، قال : وهى من الهمز الذى تركته العرب ، كما تركوا همز النبىّ والبرية والخابية وأنشد لترك الهمز فى ذلك بيتا لبعض الشعراء :

إذَا دَبَبْتَ عَلَى المِنْسَاةِ مِنْ هَرَمٍ فَقَدْ تَباعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ[1]

وذكر الفراء عن أبي جعفر الرُّوَاسِيّ ، أنه سأل عنها أبا عمرو ، فقال (مِنْسَاتَهُ) بغير همز .

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (مِنْسَأتَهُ) بالهمز ، وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنها مِفْعَلة ، من نسأت البعير : إذا زجرته ليزداد سيرُه ، كما يقال : نَسَأْت اللبن : إذا صببت[2] عليه الماء ، وهو النَّسِيء . وكما يقال : نسأ الله في أجلك : أى أدام[3] الله في أيام حياتك .

قال أبو جعفر : وهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنت أختار الهمز فيها ، لأنه الأصل .

وقوله (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ) يقول عزّ وجلّ : فلما خرّ سليمان ساقطا بانكسار منسأته ، تبيّنت الجنّ (أنْ لو كانوا يعلمون الغَيْبَ) الذى يدّعون علمه (ما لَبِثُوا فى العَذَابِ المُهِينِ) المذلّ ، حَوْلا كاملا ، بعد موت سليمان ، وهم يحسبون أن سليمان حيّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « كانَ سُلَيْمانُ نَبِيُّ اللهِ إذَا صَلَّى رأى شَجَرَةً نابِتَةً بينَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ لَها ما اسْمُكِ ؟ فتَقُولُ : كَذَا ، فيَقُولُ : لأىّ شَيْءٍ أنْتِ ؟ فإنْ كانَتْ تُغْرَسُ غُرِسَتْ ، وَإنْ كانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَتْ ، فَبَيْنَما هُوَ يُصَلِّى ذاتَ يَوْمٍ ، إذْ رأى شَجَرَةً بينَ يَدَيْهِ ، فقالَ لَها ما اسْمُكِ ؟ قالَتْ : الخَرُّوبُ ، قالَ : لأىّ شَيْءٍ أنْتِ ؟ قالَتْ لخَرَابِ هَذَا البَيْتِ . فقالَ سُلَيْمانُ : اللَّهُمَّ عَمِّ عَلى الجِنّ مَوْتِى ، حتى يَعْلَمَ الإنْسُ أنَّ الجِنَّ لايَعْلَمُونَ الغَيْبَ ، فَنَحَتَها عَصًا . فتَوَكَّأَ عَلَيْها حَوْلاً مَيِّتا ، والجِنُّ تَعْمَلُ ، فأكَلَتْها الأرَضَةُ ، فَسَقَطَ ، فَتَبَيَّنَتِ الإنْسُ أنَّ الجِنَّ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ، ما لَبِثُوا حَوْلاً فى العَذَابِ المُهِينِ) » قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ، قال : فشكرت الجنّ للأَرَضَة ، فكانت تأتيها بالماء .

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ١٩٨ – ب) والرواية فيه « حبيت » في موضع « دببت » . وفى هامشه بخط الناسخ : « رواية : دببت » . قال أبو عبيدة : « تأكل منسأته » : وهى العصا . وأصلها : من نسأت بها الغنم . وهو من المهموز الذى تركت العرب الهمزةَ من أسمائها ، ويهمزون الفعل منها ، كما تركوا همزة النبى والبرية والخابية ، وهو من أنبأت ، ومن برأت ، وخبأت ؛ قال : « إذا حبيت على المنساة . . . البيت » وبعضهم يهمزها فيقول : منسأة . اهـ . والبيت فى (اللسان : نسأ . « وروايته » إذا دببت . . . البيت . وقال قبل ذلك : والمنسأة : العصا ؛ يهمز ولا يهمز . ينسأ بها . وأبدلوا إبدالا كليا ، فقالوا : منساة . وأصلها الهمز ، ولكنها بدل لازم . حكاه سيبويه . وقد قرئ بهما جميعا . وقال الفراء فى قوله عز وجل : « تأكل منسأته » : هى العصا العظيمة ، التى تكون مع الراعى ، أخذت من نسأت البعير : إذا زجرته ليزداد سيره ، كما يقال : نسأت اللبن : إذا صببت عليه الماء ، وهو النسيء .

(٢) كذا فى معانى (القرآن للفراء الورقة ٢٦١) وفى الأصل : صدرت تحريف . (٣) لعله : أطال .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرّة الهمْدانىّ ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال : كان سليمان يتجرّد[1] فى بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدّخل طعامه[2] وشرابه ، فدخله فى المرّة التى مات فيها ، وذلك أنه لم يكن يوم يُصبح فيه ، إلا تنبتَ فيه شجرة ، فيسألها ما اسمك ، فتقول : الشجرة اسمى كذا وكذا ، فيقول لها : لأىّ شىء نبتّ ، فتقول : نبتّ لكذا وكذا ، فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتت لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت لدواء ، قالت : نبتّ دواء لكذا وكذا ، فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخرّوبة ، فسألها : ما اسمك ؟ فقالت له : أنا الخرّوبة ، فقال : لأىّ شىء نبتّ ، قالت : لخراب هذا المسجد ؛ قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حىّ ، أنت التى على وجهك هلاكى ، وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها فى حائط له ، ثم دخل المحراب ، فقام يصلى متكئا على عصاه ، فمات ولا تعلم به الشياطين فى ذلك ، وهم يعملون له ، يخافون أن يخرج فيعاقبهم . وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه ، وكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول : ألست جلدا إن دخلتُ فخرجتُ من الجانب الآخر ؛ فدخل شيطان من أولئك فمرّ ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان فى المحراب إلا احترق ، فمرّ ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام ، ثم رجع فلم يسمع ، ثم رجع فوقع فى البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج ، فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه ، فأخرجوه ، ووجدوا منسأته ، وهى العصا بلسان الحبشة ، قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوما وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة . وهى فى قراءة ابن مسعود : فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجنّ كانوا يكذِبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب ، لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له . وذلك قول الله (ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسأتَهُ ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا فِى العَذَابِ المُهِينِ) يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذِبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام ، أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب ، سقيناك أطيب الشراب ، ولكنا سننقل إليك الماء والطين ، فالذى يكون فى جوف الخشب ، فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت الجنّ تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء ، وأنهم يعلمون ما فى غد ، فابتلوا بموت سليمان ، فمات ، فلبث سنة على عصاه وهم لايشعرون بموته ، وهم مسخَّرون تلك السنة يعملون دائبين (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا فِى العَذَابِ المُهِينِ) ولقد لبثوا يدأبون ، ويعملون له حولا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسأتَهُ) قال : قال سليمان لملك الموت : ياملك الموت ، إذا أُمِرْتَ بى

(١) فى العرائس للثعلبى (طبعة الحلبى ٣٢٦) قال ابن عباس وغيره : كان سليمان يحتجب فى بيت المقدس . . . الخ .

(٢) فى العرائس : يدخل فيه بطعامه . . . الخ .

فأعلمنى ؛ قال : فأتاه فقال : يا سليمان ، قد أُمرت بك ، قد بقيت لك سُويعة ، فدعا الشياطين ، فبنوا عليه صَرْحا من قوارير ، ليس له باب ، فقام يصلى ، واتكأ على عصاه ؛ قال : فدخل عليه ملك الموت ، فقبض روحه وهو متكئٌ على عصاه ، ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت ، قال : والجنّ تعمل بين يديه ، وينظرون إليه ، يحسبون أنه حىّ ، قال : فبعث الله دابة الأرض ، قال : دابة تأكل العيدان ، يقال لها القادح ، فدخلت فيها فأكلتها ، حتى إذا أكلت جوف العصا ، ضعفت وثقل عليها ، فخرّ ميتا . قال : فلما رأت الجنّ ذلك ، انفضُّوا وذهبوا ، قال : فذلك قوله (ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) قال : والمنسأة : العصا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : كان سليمان بن داود يصلى ، فمات وهو قائم يصلّى ، والجنّ يعملون ، لايعلمون بموته ، حتى أكلت الأرضة عصاه ، فخرّ . و« أَنْ » فى قوله (أَنْ لَوْ كانُوا) : فى موضع رفع بتبين ، لأن معنى الكلام : فلما خرّ تبين وانكشف ، أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ، ما لبثوا فى العذاب المهين .

وأما على التأويل الذى تأوّله ابن عباس من أن معناه : تبينت الإنس الجن ، فإنه ينبغى أن يكون فى موضع نصب بتكريرها على الجنّ ، وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجنّ منصوبة ، غير أنى لاأعلم أحدا من قرّاء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجنّ ، ولو نصب كان فى قوله (تَبَيَّنَتِ) ضمير من ذكر الإنس .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره : لقد كان لولد سبأ فى مسكنهم علامة بينة ، وحُجّة واضحة ، على أنه لارب لهم إلا الذى أنعم عليهم النعم التى كانوا فيها .

وسبأ : عن رسول الله اسم أبى اليمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى حَيّان الكلبىّ ، عن يحيى بن هانئ ، عن عُروة المرادىّ ، عن رجل منهم ، يقال له : فَرْوة بن مُسَيك ، قال : «قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن سَبَأ ما كان ؟ رجلا كان أو امرأة ، أو جبلا ، أو دوابّ ؟ فقال : لا ، كانَ رَجُلاً مِنَ العَرَبِ ، وَلَهُ عَشَرَةُ أوْلاد ، فَتَيَمَّنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ ، وَتَشاءَمَ أرْبَعَةٌ ، فأمَّا الَّذِينَ تَيَمَّنُوا ، مِنْهُمْ فَكِنْدَةُ ، وحِمْيَرُ ، والأزْدُ ، والأشْعَرِيُّونَ ومَذْحِجُ ، وأَنْمارُ ، الَّذِينَ مِنْها خَثْعَمُ وبُجَيْلَةُ . وأمَّا الَّذِينَ تَشاءَمُوا : فَعامِلَةُ ، وَجُذَامُ ، ولَخْمُ ، وَغَسَّانُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أُسامة ، قال : ثنى الحسن بن الحكَم ، قال : ثنا أبو سَبْرة النخَعىّ ،

عن فروة بن مُسَيْك القُطَيعيّ ، قال : «قال رجل : يا رسول الله ، أخبرنى عن سَبَأ ما هو ؟ أرض أو امرأة ؟ قال : لَيْسَ بِأرْضٍ وَلا امْرأةٍ ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ ، فَتَيامَنَ سِتَّةٌ ، وَتَشاءَمَ أرْبَعَةٌ ، فأمَّا الَّذِينَ تَشاءَمُوا : فَلَخْمٌ ، وَجُذَامُ ، وعامِلَةُ ، وَغَسَّانُ ؛ وأمَّا الَّذِينَ تَيامَنُوا : فَكِنْدَةُ ، والأشْعَرِيُّونَ ، والأزْدُ ، وَمَذْحِجُ ، وحِمْيَرُ ، وأنْمارُ ؛ فقال رجل : ما أنمار ؟ قال : الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمُ وبَجِيلَةُ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا العَنْقَزيّ ، قال : أخبرنى أسباط بن نصر ، عن يحيى بن هانئ المرادىّ ، عن أبيه ، أو عن عمه «أسباطٌ شكّ» ، قال : « قدم فَرْوة بن مُسَيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخبرنى عن سبأ ، أجبلا كان أو أرضا ؟ فقال : لم يكُنْ جَبَلاً وَلا أرْضًا ، ولكِنَّهُ كانَ رَجُلاً مِنَ العَرَبِ وَلَدَ عَشَرَةَ قَبائِلَ ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم » . فإن كان الأمر كما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أن سَبَأ رجل ، كان الإجراء فيه وغير الإجراء معتدلين . أما الإجراء فعلى أنه اسم رجل معروف ، وأما ترك الإجراء ، فعلى أنه اسم قبيلة أو أرض . وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فِى مَساكِنِهِمْ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (فى مساكنهم) على الجماع ، بمعنى منازل آل سبأ . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (فِى مَسْكِنِهِمْ) على التوحيد وبكسر الكاف . وهى لغة لأهل اليمن ، فيما ذُكر لى . وقرأ حمزة (مَسْكَنِهِمْ) على التوحيد وفتح الكاف .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن كلّ ذلك قراءات متقاربات المعنى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (آيَةٌ) : قد بيَّنا معناها قبل . وأما قوله (جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ) فإنه يعنى : بستانان كانا بين جبلين ، عن يمين من أتاهما وشماله .

وكان من صفتهما فيما ذُكر لنا : ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت قتادة ، فى قوله (لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ، جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمالٍ) قال : كانت جنتان بين جبلين ، فكانت المرأة تَخرج مِكْتَلها على رأسها ، فتمشى بين جبلين ، فيمتلئ مِكْتَلها ، وما مست بيدها . فلما طَغَوا بعث الله عليهم دابة ، يقال لها « جُرَذ » ، فنقبت عليهم ، فغرقتهم ، فما بقى لهم إلا أثْل ، وشىء من سِدْرٍ قليل .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ، جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ) . . إلى قوله (فَأعْرَضُوا فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ) قال : ولم يكن يُرَى فى قريتهم بَعوضة قط ، ولا ذُباب ، ولا بُرْغوث ، ولا عقْرب ، ولا حيَّة ، وإنْ كان الركبُ ليأتون وفى ثيابهم القَمْل والدَّوابّ ، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم ، فتموتَ الدوابّ ، قال : وإنْ كان الإنسان ليدخل الجنتين ، فيمسك القُفَّة على رأسه ، فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك مقفة من أنواع الفاكهة ، ولم يتناول منها شيئا بيده ، قال : والسُّدّ يسقيها . ورُفعت الجنتان فى قوله (جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ

وشمال) ترجمة عن الآية، لأن معنى الكلام : لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية، هى جنتان عن أيمانهم وشمائلهم : وقوله (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ) الذى يرزقكم من هاتين الجنتين، من زروعهما وأثمارهما ، (وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك ، وإلى هذا منتهى الخبر . ثم ابتدأ الخبر عن البلدة ، فقيل : هذه بلدة طيبة : أى ليست بسبخة ، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت كما وصفها به ابن زيد، من أنه لم يكن فيها شىء مؤذ ، الهمج والدبيب والهوام . (وَرَبٌّ غَفُورٌ) : يقول : وربٌّ غفور لذنوبكم ، إن أنتم أطعتموه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) : وربكم غفور لذنوبكم . قوم أعطاهم الله نعمة ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَعْرَضُوا ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ، وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ، وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ؟ (١٧)

يقول تعالى ذكره : فأعرضت سبأ عن طاعة ربها ، وصدّت عن اتباع مادعتها إليه رُسُلها ، من أنه خالقها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه اليمانىّ ، قال : لقد بعث الله إلى سبأ ، ثلاثةَ عشرَ نبيا ، فكذّبوهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) يقول تعالى ذكره : فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا ، سدّهم الذى كان يحبس عنهم السيول.

والعرم : المسناة التى تحبس الماء ، واحدها : عَرِمة ، وإياهُ عنى الأعشى بقوله :

فَفِى ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِى أُسْوَةٌ وَمَأْرِبُ عَفَّى عَلَيْهِ الْعَرِمْ
رِجَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمُ لَمْ يَرِمْ[١]

(١) البيتان لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٤٣) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، من المتقارب . وفيه : « فى » فى موضع « عفى » و « رخام » بالخاء ، فى موضع « رجام » بالجيم . وفى بعض نسخ الديوان : « مواره » فى موضع ماؤه . قال الفراء : وقوله « سيل العرم » : كانت مسناة تحبس الماء ، على ثلاثة أبواب منها . فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول : (الأعلى) ثم الثانى (الأوسط) ثم الآخر (الأسفل) ، فلا ينفد حتى يثوب الماء من السنة المقبلة . وكانوا أنعم قوم عيشا ، فلما أعرضوا وجحدوا الرسل ، بثق الله عليهم تلك المسناة ، فغرقت أرضهم ، ودفن بيوتهم الرمل . والبيتان من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، وروايته : « فى » فى موضع « عفى » وهو بمعناه . و « رخام » بالخاء فى موضع رجام . والرجام : الصخور العظيمة ، جمع رجمة ، توضع على القبر ونحوه . وفسر قوله « لم يرم » : أى حبسه . والضمير راجع إلى الماء . وقال فى قوله تعالى : « سيل العرم » : واحدها عرمة ، وهى بناء مثل المشان ، يحبس بها الماء فيشرف به على الماء فى وسط الأرض ، ويترك فيه سبيل للسفينة . فتلك العرمات . واحدها عرمة . اهـ . وفى (اللسان : سنى) : المسناة : العرم . وفى اللسان : عرم (: العرم) بفتح الراء وكسرها ، وكذلك واحدها ، وهو العرمة . والعرمة : سد يعترض به الوادى . والجمع عرم . وقيل العرم : جمع لا واحد له . وقال أبو حنيفة : العرم الأحباس تبنى فى أوساط الأودية . اهـ . وهى ما نسميه اليوم : خزانات أو قناطر .

وكان العرم فيما ذُكر مما بنته بلقيس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقىّ ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا أبى ، قال : سمعت المغيرة بن حكيم ، قال : لما ملكت بِلْقيس ، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم ؛ قال : فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها ، فتركت مُلكها ، وانطلقت إلى قصرها ، وتركتهم . فلما كثر الشرّ بينهم ، وندموا أتوها ، فأرادوها على أن ترجع إلى مُلكها ، فأبت ؛ فقالوا : لترجِعِنّ أو لنقتُلَنَّكِ . فقالت : إنكم لاتطيعوننى ، وليست لكم عقول ، ولا تطيعونى . قالوا : فإنا نطيعك ، وإنا لم نجد فينا خيرا بعدك ، فجاءت ، فأمرت بواديهم ، فسدّ بالعرم .

قال أحمد ، قال وهب ، قال أبى : فسألت المغيرة بن حكيم عن العَرِم ؟ فقال : هو بكلام حِمْير : المُسَنَّاة . فسدّت ما بين الجبلين ، فحبست الماء من وراء السدّ ، وجعلت له أبوابا ، بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة ضخمة ، فجعلت فيها اثنى عشر مَخْرَجا ، على عدّة أنهارهم ؛ فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السدّ ، فأمرت بالباب الأعلى ففُتح ، فجرى ماؤه فى البِركة ، وأمرت بالبَعْر ، فألقى فيها ، فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض ، فلم تزل تضيق تلك الأنهار ، وترسل البعْر فى الماء ، حتى خرج جميعا معا ، فكانت تقسمه بينهم على ذلك ، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان .

حدثنا أحمد بن عمر البصرىّ ، قال : ثنا أبو صالح بن زُرَيق ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، فى قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : المُسَنَّاة بلَحْن اليمن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : شديد . وقيل : إن العرم : اسم واد كان لهؤلاء القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : واد كان باليمن ، كان يسيل إلى مكة ، وكانوا يسقون وينتهى سيلهم إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) : ذُكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مَسايِل من أودية شتى ، فعمدوا فسدّوا ما بين الجبلين بالقِير والحجارة ، وجعلوا عليه أبوابا ، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه ، ويسدّون عنهم ما لم يَعْنُوا به من مائه شيئا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) وادٍ يُدعى العَرِم ، وكان إذا مُطِر ، سالت أودية اليمن إلى العرم ،

واجتمع إليه الماء، فَعَمَدَتْ سَبأٌ إلى العرم ، فسدّوا ما بين الجبلين ، فحجزوه بالصخر والقار ، فانسدّ زمانا من الدهر ، لايرْجون الماء ، يقول : لايخافون .

وقال آخرون : العَرِم : صفة للمُسَنّاة التى كانت لهم ، وليس باسم لها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَيْلَ العَرِمِ) يقول: الشديد ، وكان السبب الذى سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم ،فيما ذُكر لى ،جُرذا ابتعثه الله على سدّهم ، فثقب فيه ثقبا .

ثم اختلف أهل العلم فى صفة ما حدث ، عن ذلك الثقب مما كان فيه خَراب جَنّتيهم .

فقال بعضهم : كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا فى السدّ عَمِل فيه ، ثم فاض الماء على جناتهم ، فغرّقها ،وخرّب أرضهم وديارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن وهب بن مُنَبِّه اليمانى ، قال : كان لهم ، يعنى لسبأ سُدّ ، قدكانوا بنوْه بنيانا أبدا ، وهو الذى كان يَرُدّ عنهم السيل إذا جاء ، أن يغشى أموالهم. وكان فيما يزعمون فى علمهم من كَهانتهم ، أنه إنما يخرّب عليهم سدّهم ذلك فأرة ، فلم يتركوا فُرْجة بين حجرين ، إلا ربطوا عندها هرّة ؛ فلما جاء زمانه ، وما أراد الله بهم من التغريق ، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرّة من تلك الهرر ، فساورتها ، حتى استأخرت عنها أى الهرة ، فدخلت فى الفُرجة التى كانت عندها ، فغلغلت فى السدّ ، فحفرت فيه ، حتى وَهَنّته للسيل وهم لايدرون؛ فلما جاء السيل وجد خَلَلا ، فدخل فيه حتى قلع السدّ ، وفاض على الأموال ، فاحتملها ،فلم يُبْقِ منها إلا ما ذكره الله ؛ فلما تفرّقوا نزلوا على كَهانة عمران بن عامر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما ترك القوم أمرالله ، بعث الله عليهم جُرَذا يسمى الخُلْد ، فثقبه من أسفله ، حتى غرق به جنا ُتهم ، وخرّب به أرضهم ، عقوبة بأعمالهم :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان، قال : سمعت الضحاك يقول : لما طغَوْا وبَغَوْا ، يعنى سَبأ ، بعث الله عليهم جُرَذا ، فخَرَق عليهم السُّدّ ، فأغرقهم الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد : بعث الله عليه جُرَذا ، وسلّطه على الذى كان يحبس الماء الذى يَسقيها ، فأخرب فى أفواه تلك الحجارة ، وكلّ شىء منها من رَصاص وغيره ، حتى تركها حِجارة ، ثم بعث الله سيل العرم ، فاقتلع ذلك السُّدّ ، وما كان يحبس ، واقتلع تلك الجنتين ، فذهب بهما ؛ وقرأ : (فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ ، وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال : ذهب بتلك القُرى والجنتين .

وقال آخرون : كانت صفة ذلك أن الماء الذى كانوا يعمُرُون به جنّاتهم سال إلى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به ، فبذلك خربت جنّاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله عليهم ، يعنى على العَرِم دابة من الأرض ، فثقَبَت فيه ثقبا ، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به ، وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتى أُكُلِ خَمْط ، وذلك حين عَصَوا ، وبَطِروا المعيشة .

والقول الأوّل أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيلَ العرم ، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم ، أو على جناتهم وأرضهم ، لابصرفه عنهم .

وقوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار ، بساتين من جَنَى ثمر الأراك ، والأراك : هو الخَمْط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : أبدلهم الله مكان جنّتيهم جنتين ذواتى أُكُلِ خَمْط ، والخمْط : الأَرَاك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن ، يقول فى قوله (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : أراه قال : الخَمْط : الأراك .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنى عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : الخمْط : الأراك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) : قال : الأراك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ): والخمط : الأراك ، وأُكُلُه : بريره .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : بدّلهم الله بجنان الفواكه والأعناب ، إذ أصبحت جناتهم خَمْطا ، وهو الأراك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال : أذهب تلك القرى والجنتين ، وأبدلهم الذى أخبرك ، ذواتى أكل خَمْط ، قال : فالخَمْط : الأراك ، قال : جعل مكان العنب أراكا ، والفاكهة أَثْلا ، وشىء من سدر قليل .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء الأمصار بتنوين أُكُلٍ غيرَ أبي عمرو ، فإنه يضيفها إلى الخمط ، بمعنى : ذواتى ثمرِ خَمْطٍ . وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخَمْط ، وينوّنون الأُكُل ، فإنهم جعلوا الخمط هو الأُكُل ، فردّوه عليه في إعرابه . وبضم الألف والكاف من الأُكُل قرأت قرّاء الأمصار ، غير نافع ، فإنه كان يخفف منها .

والصواب من القراءة في ذلك عندى : قراءة من قرأه : (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ) بضم الألف والكاف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وبتنوين أُكُلٍ ، لاستفاضة القراءة بذلك في قُرّاء الأمصار ، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط ، وذلك في إضافته وترك إضافته ، نظيرُ قول العرب في بُستان فلان أعنابُ كَرْمٍ وأعنابٌ كَرْمٌ ، فتضيف أحيانا الأعناب إلى الكرم ، لأنها منه ، وتنوّن أحيانا ، ثم تترجم بالكرم عنها ، إذ كانت الأعنابَ ثمرَ الكَرْم . وأما الأَثْل فإنه يقال له الطَّرْفاء : وقيل : شجر شبيه بالطَّرْفاء ، غير أنه أعظم منها . وقيل : إنها السَّمُر .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَأَثْلٍ) ، قال : الأثل : الطرفاء .

وقوله (وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) يقول : ذواتى أُكُل خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيء من سدر قليل .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنى سعيد ، عن قتادة (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) قال : بينما شجر القوم خير الشجر ، إذ صيره الله من شرّ الشجر بأعمالهم .

وقوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم ، حتى هلكت أموالهم ، وخرّبت جناتهم ، جزاء منّا : على كفرهم بنا ، وتكذيبهم رسلنا ، « وذلك » من قوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) : في موضع نصب ، بوقوع جزيناهم عليه ؛ ومعنى الكلام : جزينا هم ذلك بما كفروا .

وقوله (وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ) اختلفت القرّاء في قراءته . فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعضُ أهل الكوفة : (وَهَلْ يُجَازَى) بالياء ، وبفتح الزاى ، على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله (إِلَّا الْكَفُورُ) رفعا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة : (وَهَلْ نُجَازِى) بالنون ، وبكسر الزاى (إِلَّا الْكَفُورَ) بالنصب .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب . ومعنى الكلام : كذلك كافأناهم على كفرهم بالله ، وهل يُجازَى إلا الكفور لنعمة الله ؟

فإن قال قائل : أو ما يجزى الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة ، فيخصّ أهل الكفر بالجزاء ؟ فيقال : وهل يجازى إلا الكفور ؟ قيل : إن المجازاة في هذا الموضع : المكافأة ، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم ، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشرَ أمثالها ، إلى ما لا نهاية له من التضعيف ، ووعد

المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته ، مثلَها مكافأة له على جُرمه ، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر ، والجزاء لأهل الإيمانٍ مع التفضل ، فلذلك قال جلّ ثناؤه فى هذا الموضع (وَهَلْ يُجازَى إلاَّ الكَفُورُ ؟) كأنه قال جلّ ثناؤه : لايجازَى : لايكافأ على عمله إلا الكفور ، إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه ، والله لايغفر له من ذنوبه شيئا ، ولا يُمحَّصُ شيء منها فى الدنيا . وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه،على ماوصفت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهَلْ نُجازِى) : نعاقِب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِى إلاَّ الكَفُورَ) إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة ، تقبَّل حسناته،وإذا أراد بعبده هوانا،أمسك عليه ذنوبه،حتى يُوافِىَ به يوم القيامة . قال : وذُكر لنا أن رجلا بينما هو فى طريق من طرق المدينة ، إذ مرّت به امرأة ، فأتبعها بصره ، حتى أتى على حائط ، فشجّ وجهه ، فأتى نبىّ الله ووجهُه يسيل دما ، فقال : يا نبىّ الله،فعلت كذا وكذا ، فقال له نبىّ الله : « إنَّ اللهَ إذَا أرَادَ بِعَبْدٍ كَرَامَةً ، عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِى الدنيا ، وإذَا أرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ هَوَانا ، أمْسَكَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ ، حتى يُوَافِىَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، كأنَّهُ عَيْرٌ أبْتَرُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ، وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ، سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨) ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن نعمته التى كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم ، وجعلنا بين بلدهم وبين القُرى التى باركنا فيها ، وهى الشأم ، قُرًى ظاهرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (القُرَى التى بارَكْنا فِيها) قال : الشأم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التى بارَكْنا فِيها) يعنى الشأم .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (القُرَى التى بارَكْنا فِيها) قال : الشأم .

وقيل : عُنِى بالقرى التى بُورِك فيها : بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التى بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً) قال : الأرض التى باركنا فيها : هى الأرض المقدسة ، وقوله (قُرًى ظاهِرَةً) يعنى : قُرًى متصلة ، وهى قُرًى عَرَبِيَّةٌ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن ، فى قوله (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التى بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً) قال : قُرًى متواصلة ، قال : كان أحدهم يغدو ، فيَقِيل فى قرية ، ويَرُوح فيأوى إلى قرية أخرى . قال : وكانت المرأة تضع زِنْبيلها على رأسها ، ثم تمتهن بمغزلها ، فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ من كلّ الثمار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُرًى ظاهِرَةً) : أى متواصلة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُرًى ظاهِرَةً) يعنى : قُرًى عَرَبِيَّةً ، بين المدينة والشام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُرًى ظاهِرَةً) قال : السَّرَوَات .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُرًى ظاهِرَةً) يعنى : قُرًى عَرَبِيَّةً ، وهى بين المدينة والشأم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التى بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً) قال : كان بين قريتهم وبين الشأم قُرًى ظاهرة ، قال : إن كانت المرأة لتخرج معها مِغْزَلها ومِكْتَلُها على رأسها ، تروح من قرية وتغدوها ، وتبيت فى قرية لاتحمل زادا ولا ماء ، لما بينها وبين الشأم .

وقوله (وَقَدَّرْنا فِيها السَّيْرَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا بين قُراهم والقرى التى باركنا فيها ، سيرا مقدّرا من منزل إلى منزل ، وقرية إلى قرية ، لاينزلون إلا فى قرية ، ولا يغدون إلا من قرية .

وقوله (سِيرُوا فِيها لَيالِىَ وأيّاما آمِنِينَ) يقول : وقلنا لهم سيروا فى هذه القرى ، ما بين قراكم والقرى التى باركنا فيها لياليَ وأياما آمنين لاتخافون جوعا ولا عطشا ، ولا من أحد ظلما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سِيرُوا فِيها لَيالِىَ وأيّاما آمِنِينَ) :

لايخافون ظلما ولا جوعا ، وإنما يغدون فيقيلون ، ويروحون فيبيتون فى قرية ، أهل جنة ونهر ، حتى لقد ذُكر لنا أن المرأة كانت تضع مِكتلها على رأسها ، وتمتهن بيدها ، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها ، من غير أن تخترف شيئا ، وكان الرجل يسافر لايحمل معه زادا ولا سِقاء ، مما بُسِط للقوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأيّاما آمِنِينَ) قال : ليس فيها خوف .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَالُوا : رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ، فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ، وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا) على وجه الدعاء والمسئلة بالألف ،وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة (بَعِّدْ)، بتشديد العين ، على الدعاء أيضا . وذُكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه (رَبَّنا باعَدَ بَيْنَ أسْفارِنا) على وجه الخبر من الله، أن الله فعل ذلك بهم . وحكى عن آخر أنه قرأه : ربنا بَعَّدَ على وجه الخبر أيضا ، غير أنّ الربّ منادى .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : (رَبَّنا باعِدْ) و(بَعِّدْ) لأنهما القراءتان المعروفتان فى قراة الأمصار ، وما عداهما فغير معروف فيهم ، على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقّق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسألة ، وذلك أيضا مما يزيد القراءة الأخرى بُعدا من الصواب .

فإذا كان هو الصواب من القراءة ، فتأويل الكلام : فقالوا : يا ربنا باعِدْ بين أسفارنا ، فاجعل بيننا وبين الشأم فلَوات ومَفاوز ، لنركب فيها الرواحل، ونتزوّد معنا فيها الأزواد ، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم ، وجهلهم بمقدار العافية ، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة ، كما عجل للقائلين (إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ ، أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أليمٍ) : أعطاهم ما رغبوا إليه فيه ، وطلبوا من المسألة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو حُصَيْن عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبْثَر ، قال : ثنا حُصَيْن ، عن أبى مالك فى هذه الآية : (فَقَالُوا رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا) قال : كانت لهم قُرًى متصلة باليمن ، كان بعضها ينظر إلى بعض ، فبطَروا ذلك ، وقالوا : ربنا باعِدْ بين أسفارنا ، قال : فأرسل الله عليهم سَيْلَ العَرِم ، وجعل طعامهم أثْلا وخَمْطًا وشيئا من سدر قليل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (فَقَالُوا رَبَّنَا باعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) : قال : فإنهم بطروا عيشهم، وقالوا لو كان جنَّى جناتنا أبعد مما هى ، كان أجدر أن نشتهيه ، فُرِّقوا بين الشأم وسبأ، وبدّلوا بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل ، وشىء من سدر قليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَالُوا رَبَّنَا باعِدْ بينَ أَسْفَارِنَا) بطر القوم نعمة الله، وغمطوا كرامة الله ، قال الله (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَجَعَلْنَاهُمْ أَحادِيثَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَقَالُوا رَبَّنَا باعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) حتى نبيت فى الفلوات والصحارَى(فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) ، وقوله : (فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) وكان ظلمهم إياها : عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه ، مما يوجب لهم عقاب الله.(فجَعَلْنَاهُمْ أحادِيثَ): يقول: صيرناهم أحاديث للناس، يضربون بهم المثل فى السبّ، فيقال: تفرّق القوم أيادِى سَبَا، وأيدى سبا: إذا تفرّقوا وتقطّعوا .

وقوله (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) يقول : وقطعناهم فى البلاد كلّ مقطع .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحادِيثَ، وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) قال قتادة : قال عامر الشَّعْبِي : أما غسّان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الأزد فلحقوا بعُمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن عمران بن عامر ، وهو عمّ القوم، كان كاهنا ، فرأى فى كهانته أن قومه سيمزّقون ويتباعدُون ، فقال لهم : إنى قد علمت أنكم ستُمزّقون ، فمن كان منكم ذا همّ بعيد ، وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بكأس أو كرود ، قال : فكانت وادعة بن عمرو ، ومن كان منكم ذا هم مدن ، وأمرد عن ، فليلْحق بأرض شنّ ، فكانت عوف بن عمرو ، وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آينا ، وحرماً آمنا ، فليلحق بالأرزين ، فكانت خزاعة ، ومن كان يريد الراسيات فى الوحل، المطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار ، ومن كان يريد خمرا وخميرا ، وذهبا وحريرا، وملكا وتأميرا ، فليلحق بكُوثَى وبُصْرَى ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم، ومن كان منهم بالعراق ، قال ابن إسحاق : قد سمعت بعض أهل العلم يقول : إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر ، وكانت كاهنة ، فرأت فى كهانتها ذلك ، والله أعلم أىّ ذلك كان ؛ قال : فلما تفرّقوا ، نزلوا على كهانة عمران بن عامر .

وقوله (إنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول تعالى ذكره: إن فى تمزيقناهم كلّ ممزّق لآيات ، يقول : لعظة وعِبْرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه ، وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء ، لكلّ صبار شكور على نعمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) : كان مطرف يقول : نعم العبد الصَّبَّار الشَّكُور ، الذى إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبَر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) فقرأ ذلكَ عامة قرّاء الكوفيين (وَلَقَدْ صَدَّقَ) بتشديد الدال من صدّق ، بمعنى أنه قال ظنا منه : (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) وقال : (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ثم صدّق ظنه ذلك فيهم ، فحقّق ذلك بهم ، وباتباعهم إياه . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والشأم والبصرة (وَلَقَدْ صَدَقَ) بتخفيف الدال ، بمعنى : ولقد صدَق عليهم ظنُّه .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن إبليس قد صدق على كفرة بنى آدم فى ظنه ، وصدق عليهم ظنه الذى ظنّ حين قال : (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ، وحين قال (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) . . . الآية ، قال ذلك عدوّ الله ، أيظنا منه أنه يفعل ذلك ،لاعلما ، فصار ذلك حقا باتباعهم إياه . فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فصيب . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال : ولقد ظنّ إبليس بهؤلاء الذين بدّلناهم بجنّتهم جنتين ذواتى أكل خَمْطٍ ، عقوبة منا لهم ، ظنا غير يقين ، علم أنهم يتبعونه ، ويطيعونه فى معصية الله ، فصدّق ظنه عليهم ، بإغوائه إياهم ، حتى أطاعوه ، وعصَوا ربهم ، إلا فريقا من المؤمنين بالله ، فإنهم ثبتوا على طاعة الله ، ومعصية إبليس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرنى عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) مشدّدة ، وقال : ظنّ ظنا ، فصدّق ظنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : ظن ظنا ، فاتبعوا ظنه .

قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : ألله ما كان إلا ظنا ظنه ، والله لايصدّق كاذبا ، ولا يكذّب صادقا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ

إبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : أرأيت هؤلاء الذين كرّمتهم علىّ ، وفضّلتهم وشرّفتهم ، لاتجد أكثرهم شاكرين، وكان ذلك ظنا منه بغير علم ، فقال الله : (فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حُجة يضلهم بها ، إلا بتسليطناه عليهم ، ليُعلم حزبُنا وأولياؤنا . (مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ) : يقول : من يصدّق بالبعث والثواب والعقاب (مِمَّنْ هُوَمِنْها فى شَكٍّ) فلا يُوقن بالمعاد ، ولا يصدّق بثواب ولا عقاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ) قال : قال الحسن : والله ما ضربهم بعصا ولا سَيف ولاسَوْط ، إلا أمانىّ وغرورا دعاهم إليها .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فى شَكٍّ) قال : وإنما كان بلاءا ليعلم الله الكافرمن المؤمن . وقيل: عُنِى بقوله (إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ): إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ، ليستحقّ به الثواب أو العقاب .

وقوله (وَرَبُّكَ على كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ) يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد على أعمال هؤلاء الكفرة به ، وغير ذلك من الأشياء كلها (حفيظ) لايعزب عنه علم شىء منه ، وهو مُجازٍ جميعَهم يوم القيامة ، بما كسبوا فى الدنيا من خير وشرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ، وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : فهذا فعلُنا بولينا ، ومن أطاعنا داود وسليمان الذى فعلنا بهما ، من إنعامنا عليهما النعم التى لاكفاءَ لها إذ شكرانا ، وذلك فعلنا بسَبَأ الذين فعلنا بهم ، إذ بَطِروا نعمتنا ، وكذّبوا رسلنا ، وكفروا أيادِينا ، فقل يامحمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك ، الجاحدين نعمنا عندهم : ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه ، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا ، بالذين وصفنا أمرهم، من إنعام أو إيباس ، فإن لم يقدروا على ذلك ، فاعلموا أنكم مبطلون ، لأن الشركة فى الربوبية لاتصلح ولا تجوز ، ثم

وصف الذين يدعون من دون الله، فقال: إنهم لايملكون مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الأرض: من خير ولا شرّ، ولا ضرّ ولا نفع، فكيف يكون إلها من كان كذلك. وقوله (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ). يقول تعالى ذكره، ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الأرض، منفردين بملكه من دون الله، يملكونه على وجه الشَّركة، لأن الأملاك فى المملوكات، لاتكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوما، وإما مُشَاعا؛ يقول: و آلهتهم التى يدعون من دون الله، لايملكون وزن ذرّة فى السموات ولا فى الأرض، لامُشاعا ولا مقسوما، فكيف يكون من كان هكذا، شريكا لمن له ملك جميع ذلك. وقوله (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) يقول: وما لله من الآلهة التى يدعون من دونه مُعين على خلق شىء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شىء منه مُشاعا ولا مقسوما، فيقال: هو لك شريك، من أجل أنه أعان، وإن لم يكن له ملك شىء منه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، لاَيَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ، وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ) يقول: مالله من شريك فى السماء، ولا فى الأرض (وما لَهُ مِنْهُمْ) من الذين يدعون من دون الله (من ظهير): من عون بشىء.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ، حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟: مَاذَا؟ قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا۟: ٱلْحَقَّ، وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٢٣)

يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع، لمن شَفَعَ له، إلا أن يشفع لمن أذن الله فى الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لاتنفع عند الله أحدًا، إلا لمن أذِن الله فى الشفاعة له، والله لايأذن لأحد من أوليائه فى الشفاعة لأحد من الكفرة به، وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله، زعما منكم أنكم تعبدونه، ليقرّبكم إلى الله زُلْفَى، وليشفع لكم عند ربكم، «فمن» إذ كان هذا معنى الكلام التى فى قوله (إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ): المشفوع له.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أُذِنَ لَهُ)، فقرأ ذلك عامة القرّاء بضم الألف من (أُذِنَ لَهُ) على وجه ما لم يسمّ فاعله. وقرأه بعض الكوفيين (أَذِنَ لَهُ) على اختلاف أيضا عنه فيه، بمعنى أذن الله له.

وقوله (حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ): يقول: حتى إذا جُلِّيَ عن قلوبهم، وكشف عنها الفزع وذهب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) يعنى : جُلِّىَ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : كشف عنها الغطاء يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إذا جلى عن قلوبهم .

واختلف أهل التأويل فى الموصوفين بهذه الصفة مَنْ هُم ، وما السبب الذى من أجله ، فُزِّع عن قلوبهم؟ فقال بعضهم : الذى فُزِّع عن قلوبهم الملائكة ، قالوا : وإنما يفزَّع عن قلوبهم ، من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن الشَّعبىّ ، قال : قال ابن مسعود فى هذه الآية : (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إذا حدث أمر عند ذى العرش ، سمع من دونه من الملائكة صوتا كجرّ السلسلة على الصفا ، فيُغْشَى عليهم ، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادَوا : (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قال : فيقول : من شاء ، قال : الحقّ ، وهو العلىّ الكبير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : إذا حدث عند ذى العرش أمر ، سمعت الملائكة صوتا ، كجرّ السلسلة على الصفا ، قال : فيُغْشَى عليهم ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قال : فيقول : من شاء الله : الحقّ ، وهو العلىّ الكبير .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، أنه قال : إذا حدث أمر عند ذى العرش ، ثم ذكر نحو معناه ، إلا أنه قال : فيُغْشَى عليهم من الفزع ، حتى إذا ذهب ذلك عنهم ، تنادوا ماذا قال ربكم ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إن الوحى إذا أُلقى سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصَّفْوان ، قال : فيتنادون فى السموات ، ماذا قال ربكم ؟ قال : فيتنادون : الحقّ ، وهو العلىّ الكبير .

وبه عن منصور ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « يُتَنَزَّل الأمرَ من عند ربّ العزّة إلى السماء الدنيا ، فتفزَّع أهل السماء الدنيا ، حتى يستبين لهم الأمر الذى نُزِّل فيه ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فيقولون : قال : الحقّ ، وهو العلىّ الكبير ، فذلك قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن عَبْدة الضَّبيّ ، قال : ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : ثنا أبو هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ إذا قَضَى أمْرًا في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها جَميعا، ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصَّفْوان . فذلك قوله : (حَتَى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا : الحقَّ ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) » .

حدثني يعقوب، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب، عن هشام بن عروة، قال : « قال الحارث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي؟ قال : يَأْتِينِي في صَلصَلَةٍ كَصَلْصَلَةِ الجَرَسِ ، فَيَفْصِمُ عَنِّي حِينَ يَفْصِمُ وَقَدْ وَعَيْتُهُ ، وَيأْتي أحْيانا في مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ ، فَيُكَلِّمُنِي بِهِ كَلاما ، وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيَّ » .

حدثني زكريا بن أَبَان المصريّ ، قال : ثنا نعيم ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، عن ابن أبي زكريا ، عن جابر بن حَيْوَة ، عن النوّاس بن سمعان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا أرَادَ اللهُ أنْ يُوحِيَ بالأمْرِ، تَكَلَّمَ بالوَحْيِ، أخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ أوْ قالَ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفَ أمْرَ اللهِ . فإذا سَمِعَ بذلكَ أهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا لله سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ جِبْرائِيلُ ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أرَادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرائِيلُ على المَلائِكَةِ ، كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سألَهُ مَلائِكَتُها ؟ ماذَا قالَ رَبُّنا يا جِبْرائِيلُ ؟ فَيَقُولُ جِبْرائِيلُ ، قالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ، قالَ : فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ ما قالَ جِبْرائِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرائِيلُ بالوَحْيِ حَيْثُ أمَرَهُ اللهُ » .

حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (حَتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية . قال: كان ابن عباس يقول: «إن الله لما أراد أن يُوحِيَ إلى محمد ، دعا جبريل ، فلما تكلم ربنا بالوحْي ، كان صوته كصوت الحديد على الصفا ؛ فلما سمع أهل السموات صوت الحديد، خرّوا سُجّدا ؛ فلما أتَى عليهم جبرائيل بالرسالة، رفعوا رُءوسهم، فقالوا: (ماذَا قالَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا : الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) . وهذا قول الملائكة » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي، قال : ثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . إلى (وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) قال: لما أوحَى الله تعالى ذكره إلى محمد صلى الله عليه وسلم، دعا الرسولَ من الملائكة، فبعث بالوحْي، سمعت الملائكة صوت الجبّار يتكلم بالوحي ؛ فلما كُشِفَ عن قلوبهم، سألوا عما قال الله ، فقالوا: الحقّ، وعلموا أن الله لايقول إلا حقًا، وأنه مُنجز ما وعد ، قال ابن عباس : وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا ؛ فلما سمعوه خرّوا سجّدا ؛ فلما رفعوا رءوسهم، (قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس ، (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ) . . . إلى قوله (في ضَلالٍ مُبِينٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قُرّة ، عن عبد الله بن القاسم ، فى قوله (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، قال : الوحى ينزل من السماء ، فإذا قضاه (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِىُّ الكَبِيرُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، فى قوله (حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إن الوحى إذا قُضِىَ فى زوايا السماء ، قال : مثل وقع الفُولاذ على الصخرة ، قال : فيُشْفِقون ، لايدرون ما حدث ، فيفزعون ، فإذا مرّت بهم الرسل (قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِىُّ الكَبِيرُ) .

وقال آخرون ممن قال : الموصوفون بذلك الملائكة : إنما يُفزَّع عن قلوبهم فزَعُهُم من قضاء الله الذى يقضيه ، حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) ... الآية ، قال : يُوحى الله إلى جبرائيل ، فتَفرَّق الملائكة ، أو تفزع ، مخافة أن يكون شىء من أمر الساعة ، فإذا جُلِّىَ عن قلوبهم ، وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة (قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِىُّ الكَبِيرُ) .

وقال آخرون : بل ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرّت بها المعقّبات ، فزَعا أن يكون حدث أمر الساعة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، زعم ابن مسعود أن الملائكة المُعقّبات ، الذين يختلفون إلى الأرض ، يكتبون أعمالهم ، إذا أرسلهم الربّ فانحدروا ، سمع لهم صوت شديد ، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة ، أنه من أمر الساعة ، فخرّوا سُجّدًا ، وهكذا كلما مرّوا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم .

وقال آخرون : بل الموصوفون بذلك المشركون ، قالوا : وإنما يُفزِّع الشيطان عن قلوبهم ، قال : وإنما يقولون : ماذا قال ربكم ؟ عند نزول المنية بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : فزّع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم ، وما كان يضلهم . (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِىُّ الكَبِيرُ) قال : وهذا فى بنى آدم ، وهذا عند الموت ، أقرّوا به حين لم ينفعهم الإقرار .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكره الشّعْبىّ عن ابن مسعود ، لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييده . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعنى الكلام : لاتنفع

الشفاعة عنده ، إلا لمن أذن له أن يشفع عنده ، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع ، فزع لسماعه إذنه ، حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم ، فجُلِّيَ عنها ، وكُشف الفزع عنهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالت الملائكة : الحقَّ ، (وهو العليّ) على كلّ شيء ، (الكبير) الذى لاشيء دونه . والعرب تستعمل فُزِّع فى معنيين ، فتقول للشجاع الذى به تنزل الأمور التى يفزع منها : هو مُفَزَّع ؛ وتقول للجبان الذى يفزع من كلّ شيء : إنه لمُفَزَّع . وكذلك تقول للرجل الذى يقضى له الناس فى الأمور بالغلبة على من نازله فيها : هو مُغَلَّب ؛ وإذا أريد به هذا المعنى ، كان غالبا ؛ وتقول للرجل أيضا الذى هو مغلوب أبدا : مُغَلَّب .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار أجمعون : (فُزِّعَ) بالزاى والعين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن مسعود ، ومن قال بقوله فى ذلك . ورُوى عن الحسن أنه قرأ ذلك (حَتَّى إِذَا فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) بالراء والغين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن زيد . وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك ، إلى (حَتَّى إِذَا فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) فصارت فارغة من الفزع الذى كان حلّ بها ، ذُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك (فُزِّعَ) بمعنى : كَشَفَ الله الفزع عنها .

والصواب من القراءة فى ذلك القراءة بالزاى والعين ، لإجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها ، ولصحة الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييدها ، والدلالة على صحتها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ؟ قُلِ ٱللَّهُ ، وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤)

﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام من يرزقكم من السموات والأرض ، بإنزاله الغيث عليكم منها ، حياة لحروثكم ، وصلاحا لمعايشكم ، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ، ومنافع أقواتكم ، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم ، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ، ثم ذكره وهو : فإن قالوا : لاندرى ، فقل : الذى يرزقكم ذلك : الله ، وإنا أو إياكم أيها القوم ، لعلى هُدًى ، أو فى ضلال مبين . يقول : قل لهم : إنا لعلى هدى أو فى ضلال ، أو إنكم على ضلال أو هُدًى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، قُلِ اللهُ ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ) قال : قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين ، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد ، إن أحد الفريقين لمهتد . وقد قال قوم : معنى ذلك : وإنا لعلى هدى ، وإنكم لفى ضلال مبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم الشهيدىّ ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة وزياد فى قوله (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى ، أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) قال : إنا لعلى هدى ، وإنكم لفى ضلال مبين .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « أو » فى هذا الموضع ، فقال بعض نحويىّ البصرة : ليس ذلك لأنه شكّ ، ولكن هذا فى كلام العرب على أنه هو المهتدِى ، قال : وقد يقول الرجل لعبده : أحدنا ضارب صاحبه ، ولا يكون فيه إشكال على السامع ، أن المولى هو الضارب .

وقال آخر منهم : معنى ذلك : إنا لعلى هدى ، وإنكم إياكم فى ضلال مبين ، لأن العرب تضع « أو » فى موضع واو الموالاة ، قال جرير :

أَثَعْلَبَـــةَ الفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابا[1]

قال : يعنى أثعلبة ورياحا ، قال : وقد تكلم بهذا من لايشكّ فى دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك فى ضلال ، فيقال : هذا وإن كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء ، فقال : هذا لهم ، وقال :

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِبْهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا[2]

وقال بعض نحويى الكوفة : معنى « أو » ومعنى الواو فى هذا الموضع فى المعنى ، غير أن القرينة على

---

(١) البيت لجرير . وهو من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٥٢ ، ٤٨٩) وروايته فى الموضع الثانى « أو رياحا » . وفى الموضع الأول : أم رياحا » . قال : فأما إذا قلت أتضرب أو تحبس زيدا ، فهو بمنزلة : أزيدا أو عمرا ضربت . قال الشاعر : « أثعلبة . . . البيت » . وإن قلت : أزيدا تضرب أو تقتل ، كان كقولك أتقتل زيدا أو عمرا . قال : و « أم » فى كل هذا : جيد . وإن قال : أتجلس أم تذهب ، فأم وأو ، فيه سواء .

والبيت : من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن الورقة ٩٩ – ب) قال فى تفسير الآية : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) : لأن العرب تضع «أو» فى موضع واو الموالاة ، قال : أثعلبة الفوارس أو .... البيت » . يعنى ثعلبة ورياحا . وقال قوم قد يتكلم بهذا من يشك فى دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك على ضلال ، فقال هذا ، وإن كان كلاما واحدا ، على وجه الاستهزاء ، يقال هذا لهم . وقال :

إِنْ يَكُنْ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِبْهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيَّا

قلت : وقد سمى ابن هشام فى المغنى « أو » هذه : أو التى للإبهام .

(٢) البيت لأبى الأسود الدؤلى ، قال صاحب الأغانى ترجمته : كان أبو الأسود الدؤلى نازلا فى بنى قشير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونه ، وينالون من على بن أبى طالب بحضرته ، ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فقال فى ذلك أبياتا يهجوهم ، ويمدح عليا وآل بيته . فقال له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود فى صاحبك ، حيث تقول : «فإن أيك حبهم رشدا أصبه » ، فقال : أما سمعتم قول الله عز وجل : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » . أفترى الله جل وعز شك فى نبيه . وقد روى أن معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقتان ٢٦٣ ، ٢٦٤) فى تفسير قوله تعالى : « وإنا و إياكم » . . . الآية : قال المفسرون : معناه : وإنا لعلى هدى ، وأنتم فى ضلال مبين . معنى « أو » معنى الواو عندهم . وكذلك هو فى المعنى . غير أن العربية على غير ذلك . لا تكون « أو » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون فى الأمر المفوض (واو الإباحة) كما تقول : إن شئت فخذ درهما أو اثنين ، فله أن يأخذ واحدا أو اثنين ، وليس له أن يأخذ ثلاثة ؛ فى قول من لايبصر العربية ، ويجعل أو بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ، لأنه فى قولهم بمنزلة قولك : خذ درهما واثنين . فالمعنى فى قوله : « وإنا أو إياكم » : إنا لضالون أو مهتدون ، وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون ، وهو يعلم أن رسوله المهتدى ، وأن غيره الضالون . . . الخ ما قاله .

غير ذلك لاتكون « أو » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون فى الأمر المفوّض ، كما تقول : إن شئت فخذ درهما أو اثنين ، فله أن يأخذ اثنين أو واحدا ، وليس له أن يأخذ ثلاثة . قال : وهو فى قول من لايبصر العربية ، ويجعل أو بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ، لأنه فى قولهم بمنزلة قولك : خذ درهما أو اثنين ؛ قال : والمعنى فى (إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) : إنا لضالون أو مهتدون ، وإنكم أيضا لضالون ، وهويعلم أن رسوله المهتدى ، وأن غيره الضالّ . قال : وأنت تقول فى الكلام للرجل يكذّبك ، والله إن أحدنا لكاذب ، وأنت تعنيه ، وكذّبتَه تكذيبا غير مكشوف ، وهو فى القرآن وكلام العرب كثير ، أن يوجَّه الكلام إلى أحسن مذاهبه ، إذا عُرِفَ ، كقول القائل لمن قال : والله لقد قدم فلان وهو كاذب ؛ فيقول : قل : إن شاء الله ، أو قل : فيما أظنّ ، فيكذّبه بأحسن تصريح التكذيب . قال : ومن كلام العرب أن يقولوا : قاتله الله ، ثم يستقبح فيقولون : قاتله الله ، وكاتعه الله . قال : ومن ذلك : ويحك ، وويسك ، إنما هى فى معنى : ويلك ، إلا أنها دونها .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول ، بأجمل التكذيب ، كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه ، وهو يريد تكذيبه فى خبر له : أحدنا كاذب ، وقائل ذلك يعنى صاحبه ، لانفسه ؛ فلهذا المعنى صيّر الكلام بأو .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ، وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ، وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ (٢٦)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين : أحد فريقينا على هدى ، والآخر على ضلال . لاتُسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جُرْم ، وركبنا من إثم ، ولانسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل ، قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ، ثم يفتح بيننا بالحقّ : يقول : ثم يقضى بيننا بالعدل ، فيتبين عند ذلك المهتدى منا من الضالّ (وَهُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ) يقول : والله القاضى العليم بالقضاء بين خلقه ، لأنه لاتخفى عنه خافية ، ولا يحتاج إلى شهود تعرّفه المحقّ من المُبْطل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا) : أى يقضى بيننا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ) يقول : القاضى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَآءَ ، كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٧)

يقول تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أَرُونى أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء فى عبادتكم إياهم : ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك فى السموات ، كلا ، يقول تعالى ذكره : كذبوا ليس الأمر كما وصفوا ، ولا كما جعلوا ، وقالوا من أن لله شريكا ، بل هو المعبود الذى لا شريك له ، ولا يصلح أن يكون له شريك فى ملكه ، العزيز فى انتقامه، ممن أشرك به من خلقه ، الحكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين ، العرب منهم والعجم ، والأحمر والأسود ، بشيرا من أطاعك ، ونذيرا من كذّبك ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) قال : أرسل الله محمدا إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله أطوعهم له .

ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سابِقُ العَرَبِ ، وَصُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ ، وَبِلالٌ سابِقُ الحَبَشَةِ ، وَسَلْمانُ سابِقُ فارِسَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ؟ (٢٩) قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار ، وما هو فاعل بهم فى معادهم مما أنزل الله فى كتابه (مَتَى هَذَا الوَعْدُ) جائيا ، وفى أىّ وقت هو كائن (إنْ كُنْتُمْ) فيما تعِدُونا من ذلك (صادِقِينَ) أنه كائن ، قال الله لنبيه : (قُلْ) لهم يا محمد : (لَكُمْ) أيها القوم (مِيعادُ يَوْمٍ) هو آتيكم ، (لا تَسْتأخِرُونَ عَنْهُ) إذا جاءكم (ساعَةً) فتنظروا للتوبة والإنابة (وَلا تَسْتَقْدِمُونَ) قبله بالعذاب ، لأن الله جعل لكم ذلك أجلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ، يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ : لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)

❊ يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من مشركى العرب (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ) الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بالكتاب الذى جاء به غيره من بين يديه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ وَلا بالَّذِى بينَ يدَيْهِ) قال : قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالذى بينَ يدَيْهِ من الكتب والأنبياء .

وقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يتلاومون ، يحاور بعضهم بعضا ، يقول المستضعفون كانوا فى الدنيا ، للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون ، لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء فى الدنيا ، لكنا مؤمنين بالله وآياته .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ : أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم؟ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢)

❊ يقول تعالى ذكره (قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) فى الدنيا ، فرأسوا فى الضلالة والكفر بالله (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم ، إذ قالوا لهم : (لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ، أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الهُدَى) ، ومنعناكم من اتباع الحق (بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) من عند الله، يبين لكم (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان ، من اتباع الهدى ، والإيمان بالله ورسوله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ ، وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ، وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ، وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٣٣)

❊ يقول تعالى ذكره (وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) من الكفرة بالله فى الدنيا ، فكانوا أتباعا لرؤسائهم

فى الضلالة : (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) فيها ، فكانوا لهم رؤساء : (بَلْ مَكْرُ) كم لنا بـ(اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) صدّنا عن الهدى (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ) أمثالا وأشباها فى العبادة والألوهة ، فأضيف المكر إلى الليل والنهار . والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين فى الليل والنهار ، على اتساع العرب فى الذى قد عُرِف معناها فيه من منطقِها ، من نقل صفة الشىء إلى غيره ، فتقول للرجل : يافلان نهارك صائم ، وليلك قائم ، وكما قال الشاعر :

ونِمْتِ وَما لَيْلُ المَطِىِّ بِنائِمِ [1]

وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له ، فى غير هذا الموضع من كتابنا هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ ، وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : بل مكرُكُم بنا فى الليل والنهار ، أيُّها العظماء الرؤساء ، حتى أزلتمونا عن عبادة الله .

وقد ذُكر فى تأويله عن سعيد بن جبير ، ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) قال : مَرُّ الليل والنهار .

وقوله (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ) يقول : حين تأمروننا أن نكفر بالله .

وقوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شُركاء .

قوله (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) يقول : وندموا على مافرّطوا من طاعة الله فى الدنيا ، حين عاينوا عذاب الله الذى أعدّه لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ) بينهم (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) .

قوله (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِى أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) وغُلَّت أيدى الكافرين بالله فى جهنم إلى أعناقهم ، فى جوامع من نار جهنم ، جزاء بما كانوا بالله فى الدنيا يكفرون ، يقول الله جلّ ثناؤه : ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابا لأعمالهم الخبيثة ، التى كانوا فى الدنيا يعملونها ، ومكافأة لهم عليها .

---

(١) هذا عجز بيت لجرير بن الخطفى الشاعر الإسلامى ، وصدره « لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى » (ديوانه طبعة الصاوى ٥٥٤) . واستشهد به المؤلف ، على أنك تقول يا فلان نهارك صائم ، وليلك قائم ، فتسند الصيام والقيام إلى الليل والنهار إسنادا مجازيا عقليا ، والأصل فيه أن يسند الصيام والقيام للرجل لا للزمان ، وذلك من باب التوسع المجازى ، فالعلاقة هنا الزمانية ، والقرينة عقلية . وذلك نظير قوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » . أصله : بل مكركم بنا فى الليل والنهار ، ثم أسند الفعل إليهما . قال الفراء فى (معانى القرآن ، الورقة ٢٦٤) : وقوله « بل مكر الليل والنهار » : المكر ليس لليل ولا للنهار ، وإنما المعنى : بل مكركم بالليل والنهار . وقد يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، ويكونا كالفاعلين ؛ لأن العرب تقول : نهارك صائم ، وليلك قائم ، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، وهو فى المعنى للآدميين ، كما تقول : نام ليلك . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم، على معصيتهم إيانا، إلا قال كبراؤها ورؤساؤها فى الضلالة، كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، كافرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) قال : هم رءوسهم وقادتهم فى الشرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ : إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا،لأنبيائنا ورسلنا ،(نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً ، وَمَا نَحْنُ)فِي الآخِرَةِ(بِمُعَذَّبِينَ)،لأن الله لو لم يكن راضيا ما نحن عليه من الملة والعمل ، لم يخوّلنا الأموال والأولاد ، ولم يبسط لنا فى الرزق،وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك ، لرضاه أعمالنا ، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا ، وزلفة لنا عنده . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يامحمد : (إن ربى يبسط الرزق) من المعاش والرياش فى الدنيا، (لمن يشاء) من خلقه(ويَقْدِرُ) ،فيضيق على من يشاء ، لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ،ولا زُلْفة له، استحقّ بها منه ، ولا لبُغض منه لمن قَدَرَ عليه ذلك ، ولا مَقْتٍ ، ولكنه يفعل ذلك لذلك محنة لعباده وابتلاء ، وأكثر الناس لايعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ، ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بَسَطَ له ، ومَقْت لمن قَدَرَ عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) . . . الآية ، قال : قالوا : نحن أكثر أموالا وأولادا ، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زُلْفَى ، (إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) ، قال : وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قالوا : لو لم يكن الله عنا راضيا، لم يعطنا هذا ، كما قال

قارون : لولا أن الله رَضِيَ بي وبحالي ما أعطاني هذا . قال : (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ) . . . إلى آخر الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ، إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ ، وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ (٣٧)

يقول جلّ ثناؤه : وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ، ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم ، بالتي تقرّبكم منا قُرْبَةً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عِنْدَنَا زُلْفَى) قال : قُرْبَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى) لايعتبر الناس بكثرة المال والولد ، وإن الكافر قد يُعْطَى المال ، وربما حُبِس عن المؤمن . وقال جلّ ثناؤه (وَما أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى) ولم يقل باللّتين ، وقد ذكر الأموال والأولاد ، وهما نوعان مختلفان ، لأنه ذُكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ، ولو قال قائل : أراد بذلك أحد النوعين ، لم يبعد قوله ، وكان ذلك كقول الشاعر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا ، وأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[1]

ولم يقل : راضيان .

وقوله (إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلفى ، إلا من آمن وعمل صالحا ، فإنه تقرّبهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زُلفى دون أهل الكفر بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا) قال : لم تضرّهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين ، وقرأ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) فالحُسنى : الجنة ، والزيادة : ما أعطاهم الله في الدنيا ، لم يحاسبهم به ، كما حاسب الآخرين ، فمن

(١) البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنسرح ، كما في معاهد التنصيص ، شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي . وقد تقدم الكلام عليه في (١٠ : ١٢٢) مبسوطا . فراجعه ثمة .

حملا على هذا التأويل نصب بوقوع تقرّب عليه . وقد يحتمل أن يكون «من» فى موضع رفع ، فيكون كأنه قيل : وما هو إلا من آمن وعمل صالحا .

وقوله (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ) يقول : فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب ، بالواحدة عشر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) قال : بأعمالهم الواحد عشر ، وفى سبيل الله بالواحد سبعُ مئة .

وقوله (فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) يقول : وهم فى غرفات الجنات آمنون من عذاب الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : والذين يعملون فى آياتنا ، يعنى : فى حججنا وآى كتابنا ، يبتغون إبطاله ، ويريدون إطفاء نوره معاونين ، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ، ويُعْجِزوننا (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) يعنى فى عذاب جهنم محضرون يوم القيامة . (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه ، فيوسّعه عليه ، تكرمة له ، وغير تكرمة ، ويقدر على من يشاء منهم ، فيضيقه ويقتّره إهانة له ، وغير إهانة ، بل محنة واختبارا . (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) يقول : وما أنفقتم أيها الناس من نفقة فى طاعة الله ، فإن الله يخلفها عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) قال : ما كان فى غير إسراف ولا تقتير .

وقوله (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول : وهو خير من قيل إنه يَرْزُق ووُصِف به ، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه ، فيقال : فلان يَرْزُق أهله وعياله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا: سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ، أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : ويومَ نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ، ثم نقول للملائكة : أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا ؟ فتتبرأ منهم الملائكة (قَالُوا : سُبْحَانَكَ) ربنا ، تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد (أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ) لانتخذ وليا دونك (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟) استفهام ، كقوله لعيسى (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) ؟

وقوله (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) يقول : أكثرهم بالجنّ مصدّقون ، يزعمون أنهم بناتُ الله ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : فاليوم لايملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا فى الدنيا يعبدونكم ، نفعا ينفعونكم به ولا ضرًّا ينالونكم به ، أو تنالونهم به (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : ونقول للذين عبدوا غير الله ، فوضعوا العبادة فى غير موضعها ، وجعلوها لغير من تنبغى أن تكون له (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا) فى الدنيا (تُكَذِّبُونَ) فقد وردتموها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا: مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَقَالُوا: مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣)

❊ يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بيِّنات : يقول : واضحات أنهنّ حق من عندنا (قالُوا : ما هَذَا إلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ) يقول: قالوا عند ذلك : لاتتبعوا محمدا ، فما هو إلا رجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان ، وبغير دينكم ودين آبائكم (وَقالُوا ما هَذَا إلاَّ إفْكٌ مُفْتَرًى) يقول تعالى ذكره :وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذى تتلو علينا يامحمد ، يعنون القرآن ، إلا إفك : يقول: إلا كَذِبٌ مُفْتَرًى : يقول: مختلق ، متخرّص (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول جلّ ثناؤه: وقال الكفار للحقّ ، يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم ، يعنى : لما بعثه الله نبيا : هذا سحر مبين : يقول : ما هذا إلا سحر مبين ، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ، وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)

❊ يقول تعالى ذكره : وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآياتنا : هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتبا يدرسونها : يقول : يقرءونها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما ءاتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها) : أى يقرءونها (وَما أرْسَلْنا إلَيْهِم قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) يقول : وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يامحمد ، فيما يقولون ويعملو ن قبلك ، من نبىّ ينذرهم بأسنا عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما أرْسَلْنا إلَيْهِم قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : وكذّب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا . (وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَيْناهُمْ) يقول : ولم يبلغ قومك يامحمد عُشْرَ ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوّة والأيد والبطْش ، وغير ذلك من النعم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَيْناهُمْ) من القوّة فى الدنيا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَاءَا تَيْنَاهُمْ) يقول : ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَاءَا تَيْنَاهُمْ) يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوّة وغير ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَاءَا تَيْنَاهُمْ) قال : ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين من قبلهم ، وما أعطيناهم من الدنيا ، وبسطنا عليهم (فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فكذبوا رسلى فيما أتوهم به من رسالتى ، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم ، فانظر يامحمد كيف كان نكير : يقول : كيف كان تغييرى بهم وعقوبتى .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين من قومك : إنما أعظكم أيها القوم بواحدة ، وهى طاعة الله .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) قال : بطاعة الله .

وقوله (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى) يقول : وتلك الواحدة التى أعظكم بها : هى أن تقوموا لله اثنين اثنين ، (وفُرَادَى) فُرادَى [1] ، فأن فى موضع خفض ، ترجمة عن الواحدة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى) قال : واحدا واثنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى) رجلا ورجلين . وقيل : إنما قيل : إنما أعظكم بواحدة ، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى . (مَثْنَى) : يقول : يقوم الرجل منكم مع آخر ، فيتصادقان على

---

(١) لعله : وفردا فردا : أى أن تقوموا اثنين ، اثنين وواحدا واحدا .

المناظرة ، هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قطُّ ، ثم ينفرد كل واحد منكم ، فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به ، فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم ؟ .

وقوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) يقول : لأنه ليس بمجنون . وقوله (إنْ هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول : ما محمد إلا نذير لكم ، ينذركم على كفركم بالله عقابه ، أمام عذاب جهنم ، قبل أن تَصْلَوْها ، وقوله : هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لقومك المكذّبيك ، الرّادّين عليك ما أتيتهم به من عند ربك : ما أسألكم من جعل على إنذاريكم عذاب الله ، وتخويفكم به بأسه ، ونصيحتى لكم فى أمرى إياكم بالإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، فهو لكم لاحاجة لى به . وإنما معنى الكلام : قل لهم : إنى لم أسألكم على ذلك جُعْلا فتتهمونى ، وتظنوا أنى إنما دعوتكم إلى اتباعى لمال آخذه منكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) : أى جعل (فَهُوَ لَكُمْ) يقول : لم أسألكم على الإسلام جُعْلا .

وقوله (إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللهِ) يقول : ما ثوابى على دعائكم إلى الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، وتبليغكم رسالته ، إلا على الله (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول : والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لى به ، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد لمشركى قومك (إنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ) : وهو الوحى ، يقول : ينزله من السماء ، فيقذفه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (عَلاَّمُ الغُيُوبِ) يقول : علام ما يغيب عن الأبصار ، ولا مَظْهَرَ لها ، وما لم يكن مما هو كائن ، وذلك من صفة الربّ ، غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر ، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر ، فى أن أتبعوا النعت إعراب ما فى الخبر ، فقالوا : إن أباك يقوم الكريم ، فرفع الكريم على ماوَصَفت ، والنصب فيه جائز ، لأنه نعت للأب ، فيتبع إعرابه (قُلْ جاءَ الحَقُّ) يقول : قل لهم يامحمد : جاء القرآن ووحى الله (وَما يُبْدِئُ الباطِلُ) يقول :

وما ينشئ الباطل خلقا ؛ والباطل هو فيما فسَّره أهل التأويل : إبليس (وَمَا يُعِيدُ) يقول : ولا يعيده حيا بعد فنائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) : أى بالوحى (عَلَّامُ الْغُيُوبِ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) : أى القرآن (وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) ، والباطل : إبليس : أى ما يخلق إبليس أحدا ، ولا يبعثه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ، فقرأ (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ) . . . إلى قوله (وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) قال : يزهق الله الباطل ، ويثبت الله الحقّ الذى دمغ به الباطل ، يدمغ بالحقّ على الباطل ، فيهلك الباطل ، ويثبت الحقّ ، فذلك قوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لقومك: إن ضَلَلْتُ عن الهدى ، فسلكت غير طريق الحقّ ، فإنما ضلالى عن الصواب على نفسى ، يقول: فإن ضلالى عن الهدى على نفسي ضرّه (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ) يقول : وإن استقمت على الحقّ (فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) يقول: فبوحى الله الذى يوحى إلىّ ، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق ، الهُدى .

وقوله (إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) يقول : إن ربى سميع لما أقول لكم ، حافظ له ، هو المجازى لى على صدق فى ذلك ، وذلك منى غير بعيد ، فيتعذّر عليه سماع ما أقول لكم ، وما تقولون ، وما يقوله غيرنا ، ولكنه قريب من كلّ متكلم ، يسمع كل ما ينطق به ، أقرب إليه من حبل الوريد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى يا محمد إذ فزعوا .

واختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِى بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ

عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ) قال : وعُنِى بقوله (إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا من عذاب الدنيا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) قال : هذا عذاب الدنيا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) . . . إلى آخر السورة ، قال : هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر ، نزلت فيهم هذه الآية ، قال : وهم الذين بدّلوا نعمة الله كفرا ، وأحلّوا قومهم دارَ البوار جهنم ، أهل بدر من المشركين .

وقال آخرون : عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) قال : هم الجيش الذى يخسف بهم بالبيداء ، يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقى أصحابه .

حدثنا عصام بن رَوّاد بن الجرّاح ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، قال : ثنى منصور بن المعتمر ، عن رِبْعِىّ بن حِراش ، قال : سمعت حُذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب . قال : فبينما هم كذلك ، إذ خرج عليهم السُّفْيانىّ من الوادى اليابس ، فى فَوره ذلك ، حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين : جيشا إلى المشرق ، وجيشا إلى المدينة ، حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة ، والبقعة الخبيثة ، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ، وَيَبْقُرُون بها أكثرُ من مئة امرأة ، ويقتلون بها ثلاث مئة كبش من بنى العباس ، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخرّبون ما حولها ، ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم ، فتخرج راية هدى من الكوفة ، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم ، لا يُفْلِت منهم مخبر ، ويستنقذون ما فى أيديهم من السَّبْى والغنائم ، ويخلى جيشه التالى بالمدينة ، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها ، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء ، بعث الله جبريل ، فيقول : يا جبرائيل اذهب فأبِدْهم ، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم ، فذلك قوله فى سورة سبأ (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) . . الآية ، ولا ينفلت منهم إلا رجلان : أحدهما بشير ، والآخر نذير ، وهما من جهينة ، فلذلك جاء القول :

وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ [1]

---

(١) هذا عجز بيت من الوافر ، وصدره

* تُسَائِلُ عن حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ *

حدثنا محمد بن خلف العسقلانيّ، قال: سألت روّاد بن الجرّاح، عن الحديث الذى حدّث به عنه، عن سفيان الثوريّ، عن منصور، عن ربعيّ، عن حذيفة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، عن قصة ذكرها فى الفتن، قال: فقلت له: أخبرنى عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوريّ؟ قال: لا، قلت: فقرأته عليه، قال: لا، قلت: فقُرِئ عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت: فما قصته؟ فما خبره؟ قال: جاءنى قوم، فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرءوه علىّ، ثم ذهبوا فحدّثوا به عنى، أو كلام هذا معناه.

قال أبو جعفر: وقد حدّثنى ببعض هذا الحديث محمد بن خلف، قال: ثنا عبد العزيز بن أبان، عن سفيان الثوريّ، عن منصور، عن ربعيّ، عن حُذيفة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، حديث طويل، قال: رأيته فى كتاب الحسين بن علىّ الصُّدائيّ، عن شيخ، عن روّاد، عن سفيان بطوله.

وقال آخرون: بل عُنِى بذلك المشركون، إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا) قال: فزعوا يوم القيامة، حين خرجوا من قبورهم.

وقال قتادة (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) حين عاينوا عذاب الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ابن معقل (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) قال: أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا.

❁ والذى هو أولى بالصواب فى تأويل ذلك، وأشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل: قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية، بالإخبار عنهم، وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية فى سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم، أشبه منه بأن يكون خبرا لما لم يجر له ذكر. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله (فَلَا فَوْتَ): يقول فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هربا، وينجُوا من عذابنا.

كما حدثنا علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) يقول: فلا نجاة.

= (مجمع الأمثال للميدانى ١ : ٣٠٤). والشطر الثانى من الأمثال السائرة، وله قصة مطولة، ذكرها الميدانى، خلاصتها أن حصين بن عمرو ابن معاوية بن كلاب، والأخنس بن كعب الجهنى، خرجا لما يخرج له الفتيان الصعاليك، ليغيرا ويكسبا ويغنما، فلما غنما بعض، الشيء عدا الجهنى على صاحبه فقتله، ثم رجع إلى قومه جهينة، وأخبرهم بالذى صنع بصاحبه، وقال أبياتا من الشعر تتضمن القصة. ويلوح لى أن هذه القصة موضوعة، ولذلك يروى المثل: «وعند جفينة الخبر اليقين» كما فى «الاقتضاب شرح أدب الكتاب» لابن السيد البطليوسى. وأما استشهاد المؤلف به فى قصة السفيانى، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بتتبع أخبار العرب، ومعرفة الأحداث، حتى كان عندها علم من كل شيء. ولكثرة ذلك فيها، نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلة.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) قال : لاهرب .

وقوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) يقول : وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب ، لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب ، لايبعدون عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : ءَامَنَّا بِهِ ، وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)

❁ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله : آمنا به ، يعنى : آمنا بالله وبكتابه ورسوله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) قالوا : آمنا بالله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وقَالُوا آمَنَّا بِهِ) عند ذلك ، يعنى : حين عاينوا عذاب الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بعد القتل .

وقوله (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) يقول : ومن أى وجه لهم التناوش .

واختلفت قرّاء الأمصار فى ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (التَّنَاوُشُ) بغير همز ، بمعنى : التناول ؛ وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (التَّنَاؤُشُ) بالهمز ، بمعنى : التنؤش ، وهو الإبطاء ، يقال منه : تناءشت الشىءَ : أخذته من بعيد ، ونُشْته : أخذته من قريب ؛ ومن التنؤش قول الشاعر :

تَمَنَّى نَئِيشاً أَنْ يَكُونَ أَطاعَنِى	وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ[1]

(١) الأبيات لنهشل بن حرى ، أنشدها اللسان فى (نأش) المهموز على أنه يقال : جاء نئيشا : أى بطيئا . أنشد يعقوب لنهشل بن حرى

وَمَوْلًى عَصَانِى وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ	كَمَا لَمْ يُطَعْ فِيمَا أَشارَ قَصِيرُ
فَلَمَّا رأى ما غِبُّ أمرى وأمْرِهِ	وَنَاءَتْ بأعْجازِ الأُمُورِ صُدُورُ
تَمَنَّى نَئِيشا أنْ يَكُونَ أطاعَنِى	وَيَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ

قوله ، تمنى نئيشا : أى فى الأخير ، وبعد الفوت : أن لو أطاعنى ، وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات . أى أطاعنى فى وقت لا تنفعه فيه الطاعة . قال : ويقال فعله نئيشا : أى أخيرا ، واتبعه نئيشا : إذا تأخر عنه ، ثم اتبعه على عجلة ، شفقة أن يفوته . والنئيش أيضا : البعيد . عن ثعلب وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة . الورقة ٢٦٥) وقوله « وأنى لهم التناوش » ؟ قرأ الأعمش وحمزة والكسائى ، بالهمز . يجعلونه من الشىء البطىء من نأشت من النأش . قال الشاعر : « وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخير » وقال الآخر : تمنى نئيشا ... الخ البيت . وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم ، جعلوها من نشته نوشا ، وهو التناول ، وهما متقاربان ، مثل ذمت الشىء ، وذأمته ، أى عبته . وقال الشاعر : « فهى تنوش الحوض . . . . الخ » . وتناوش القوم فى القتال : إذا تناول بعضهم بعضا ولم يتدانوا كل التدانى . وقد يجوز همزها ، وهى من نشت ، لانضمام الواو ، يعنى التناوش ، مثل قوله : « وإذا الرسل أقتت » .

ومن النَّوْش قول الراجز :

فَهْىَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشا مِنْ عَلاَ   نَوْشا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَــلا[١]

ويقال للقوم فى الحرب ، إذا دنا بعضهم إلى بعض بالرماح ولم يتلاقوا : قد تناوش القوم .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان فى قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن معنى ذلك : وقالوا آمنا بالله ، فى حين لاينفعهم قيل ذلك ، فقال الله : (وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) أى وأين لهم التوبة والرَّجعة : أى قد بعُدت عنهم ، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها ، وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد ، ، لأنهم قالوا ذلك فى القيامة ، فقال الله : أنى لهم بالتوبة المقبولة ، والتوبة المقبولة إنما كانت فى الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا ، فصارت بعيدا من الآخرة ، فبأية القراءتين اللتين ذكرتُ قرأ القارئُ ، فمصيب الصواب فى ذلك .

وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا ذلك بالهمز همزوا ، وهم يريدون معنى من لم يهمز ، ولكنهم همزوه لانضمام الواو ، فقلبوها ، كما قيل : (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) فجعلت الواو من وُقتت ، إذ كانت مضمومة همزة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن التميمىّ ، قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله (وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) قال : يَسألون الردّ ، وليس بحين ردّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن التميمى ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) يقول : فكيف لهم بالردّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) قال : الردّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد (وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) قال : التناول (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ، وأَنَّى

---

(١) هذان البيتان من الرجز المشطور ، لأبى النجم الراجز (اللسان : علا) . شاهد على أن قوله « من علا » أى من أعلى ، أى من فوق . وفيه لغات أخر . وأورده (اللسان) أيضا فى (نوش) ونسبه إلى غيلان بن حريث ، لا إلى أبى النجم . وجعله شاهدا على أن الناقة تنوش الحوض بفيها ، أى تتناول ماءه ، قال : وقوله « من علا » أى من فوق ، يريد أن نوقه عالية الأجسام ، طوال الأعناق ، وذلك النوش الذى تناوله : هو الذى يعينها على قطع الفلوات . والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . أى تتناول ماء الحوض من فوق ، وتشرب شربا كثيرا ، وتقطع بذلك الشرب فلوات ، فلا تحتاج إلى ماء آخر . وأنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٠٠) ونسبه لغيلان ، وجعله شاهدا على أن التناوش فى الآية « وأنى لهم التناوش » : يجعله من لم يهمز من نشت تنوش ، وهو التناول . قال غيلان : « فهى تنوش . . . . » البيتين . ومن همز جعله من نأشت إليه ، وهو من بعد المطلب . وقال فى (اللسان : نأش) التناؤش بالهمز : التأخر والتباعد . والتناؤش : الأخذ من بعد ، مهموز عن ثعلب ، قال : فإن كان عن قرب فهو التناوش . اهـ قلت : ورواية اللسان متفقة مع رواية أبى عبيدة . وتختلف عنها رواية المؤلف ، فى قوله « باتت » فى موضع « فهى » .

لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) قال : هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم ، وقرأ (وَلَوْ تَرَى إذ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ ، وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ وَقالُوا آمَنَّا بِهِ) . . . الآية ، قال : التناوش : التناول ، أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد ، وقد تركوها فى الدنيا ، قال : وهذا بعد الموت فى الآخرة .

قال : وقال ابن زيد فى قوله (وَقالُوا آمَنَّا بِهِ)بعد القتل (وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) وقرأ (وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) قال : ليس لهم توبة ، وقال : عرض الله عليهم أن يتوبوا مرّة واحدة ، فيقبلها الله منهم ، فأبَوا أو يعرضون التوبة بعد الموت ، قال : فهم يعرضونها فى الآخرة خمس عرضات ، فيأبى الله أن يقبلها منهم ، قال : والتائب عند الموت ليست له توبة (وَلَوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا على النَّارِ ، فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا) . . . الآية ، وقرأ (رَبَّنا أبْصَرْنا وَسَمِعْنا ، فارْجِعْنا نَعْمَلْ صَالِحا إنَّا مُوقِنُونَ) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ) قال : وأنى لهم الرَّجْعَة .

وقوله (مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) يقول : من آخرتهم إلى الدنيا .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) من الآخرة إلى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ، وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ(٥٣)

يقول تعالى ذكره (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ) يقول : وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ، ومعاينتهم إياه ،من الإقالة له ، وذلك الإيمان بالله ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاءهم به من عند الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) : أى بالإيمان فى الدنيا .

وقوله (وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ)يقول : وهم اليوم يَقْذِفون بالغيب محمدا من مكان بعيد ، يعنى أنهم يرجمُونه ، وما أتاهم من كتاب الله، بالظنون والأوهام ، فيقول بعضهم : هو ساحر ، وبعضهم شاعر ، وغير ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : قولهم ساحر ، بل هو كاهن ، بل هو شاعر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أى يرجمون بالظنّ ، يقولون لابعث ، ولا جنة ، ولا نار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : بالقرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا ، فلا فوت ، وأخذوا من مكان قريب ، فقالوا آمنا به (وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) حينئذ من الإيمان بما كانوا به فى الدنيا قبل ذلك يكفرون ، ولاسبيل لهم إليه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسماعيل بن حفص الأبلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، فى قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان بالله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الصمد ، قال : سمعت الحسن ، وسئل عن هذه الآية (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .

حدثنى ابن أبى زياد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن : (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصارىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) : كان القوم يشتهون طاعة الله ، أن يكونوا عملوا بها فى الدنيا حين عاينوا ما عاينوا .

حدثنا الحسن بن واضح ، قال : ثنا الحسن بن حبيب ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، فى قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .

وقال آخرون : معنى ذلك : وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، من مال وولد وزهرة الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ قال : ثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : من مال أو ولد أو زهرة .

حدثنى يونس ، قال : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ) قال : فى الدنيا التى كانوا فيها والحياة .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك : لأن القوم إنما تَمَنَّوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ، ما أخبر الله عنهم أنهم تَمَنَّوه ، وقالوا آمنا به ، فقال الله : وأنى لهم التناوُش ذلك من مكان بعيد ، وقد كفروا من قبل ذلك فى الدنيا . فإذا كان ذلك كذلك ، فلأن يكون قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ) خبرا عن أنه لاسبيل لهم إلى ما تمنوه ، أولى من أن يكون خبرا عن غيره .

وقوله (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ) يقول : فعلنا بهؤلاء المشركين ، فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سَخَط الله بهم ، ومعاينتهم بأسه ، كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم ، من كفار الأمم ، فلم نقبل منهم إيمانهم فى ذلك الوقت ، كما لم نقبل فى مثل ذلك الوقت من ضُرَبائهم . والأشياع : جمع شِيَع ، وشِيَع : جمع شيعة ، فأشياع جمع الجمع .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ) قال الكفار من قبلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ) أى فى الدنيا ، كانوا إذا عاينوا العذاب لم يُقبل منهم إيمان .

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) يقول تعالى ذكره : وحيل بين هؤلاء المشركين ، حين عاينوا بأس الله ، وبين الإيمان ، إنهم كانوا قبل فى الدنيا فى شكّ من نزول العذاب الذى نزل بهم وعاينوه ، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون ، من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان أن الله مُهْلِكهم ، ومُحِلٌّ بهم عقوبته ، فى عاجل الدنيا ، وآجل الآخرة ، قبل نزوله بهم (مُريب) : يقول : موجب لصاحبه الذى هو به ما يَرِيبه من مكروه ، من قولهم : قد أراب الرجل : إذا أتى ريبة ، وركب فاحشة ، كما قال الراجز :

يا قَوْمُ مالى وأبا ذُؤَيْبِ ؟ كُنْتُ إذا أتَوْتُهُ مِنْ غَيْبِ
يَشَمُّ عِطْفِى وَيَبُزُّ ثَوْبِى كأنَّما أرَبْتُــهُ برَيْبِ[1]

يقول : كأنما أتيت إليه ريبة .

آخر تفسير سورة سبأ

(١) هذه أبيات من الرجز المشطور ، أنشدها صاحب (اللسان : أتى) . قال ويقال : أتوته أتوا : لغة فى أتيته . قال خالد بن زهير . «يا قوم مالى» . . . . الأبيات ؟ . وأنشدها أيضا فى (اللسان : ريب) ونسبها إلى خالد بن زهير الهذلى . وفيها : أتيته فى موضع «أتوته» ، وهى لغة . وجعلها شاهدا على أنه يقال : رابنى أمره يريبنى ريبا وريبة : بمعنى شككنى ، وأما أراب فإنه يأتى متعديا بمعنى راب ، ولازما بمعنى أتى بريبة . كما تقول : ألام : إذا أتى بما يلام عليه . اهـ .

تفسير سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُولِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ، يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾

يقول تعالى ذكره : الشكر الكامل للمعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغى أن تكون لغيره ، خالقِ السموات السبع والأرض ، (جاعلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً) إلى من يشاء من عباده ، وفيما شاء من أمره ونهيه (أُولى أجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ) يقول : أصحاب أجنحة : يعنى ملائكة ، فمنهم من له اثنان من الأجنحة ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (أُولى أجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ) : قال بعضهم : له جناحان ، وبعضهم : ثلاثة ، وبعضهم أربعة .

واختلف أهل العربية فى علة ترك إجراء مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ ، وهى ترجمة عن أجنحة ، وأجنحة نكرة ، فقال بعض نحويّ البصرة : تُرِك إجراؤهنّ ، لأنهنّ مصروفات عن وجوههنّ .وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين ، وثلاث عن ثلاثة ، ورُباع عن أربعة ، فصُرِف نظير عُمَرَ ،وزُفَر ،إذ صُرِف،هذا عن عامر ، إلى عمر ، وهذا عن زافر إلى زُفر ، وأنشد بعضهم فى ذلك :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُناءَ وَمَوْحَـدًا وتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ المُدْبِرِ[1]

وقال آخر منهم : لم يصرف ذلك لأنه يوهم به الثلاثة والأربعة ، قال : وهذا لايستعمل إلا فى حال العدد . وقال بعض نحويّ الكوفة : هنّ مصروفات عن المعارف ، لأن الألف واللام لاتدخلها ، والإضافة لاتدخلها ، قال : ولو دخلتْها الإضافة والألف واللام ، لكانت نكرة ، وهى ترجمة عن النكرة ؛ قال : وكذلك ما كان فى القرآن ،مثل (أنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرادَى) ، وكذلك وُحاد وأحاد ،وما أشبهه من مصروف العدد .

وقوله (يَزِيدُ فِي الخَلْقِ ما يَشاءُ) وذلك زيادته تبارك وتعالى فى خلق هذا المَلَكِ من الأجنحة على الآخر ما يشاء ، ونقصانه عن الآخر ما أحبّ ، وكذلك ذلك فى جميع خلقه ، يزيد ما يشاء فى خلق ماشاء منه ، وينقص ماشاء من خلق ماشاء . له الخلق والأمر ، وله القُدرة والسلطان . (إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(١) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمى . وقد تقدم الاستشهاد به ، مع شواهد أخرى فى (٤ : ٢٣٧) من هذا التفسير . فراجعه ثمة . وأنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٠١) قال : مثنى وثلاث ورباع : مجازه : اثنين ، وثلاثة ، وأربعة . فزعم النحويون ، أنه لما صرف عن وجهه لم ينون فيهن . قال صخر بن عمرو : « ولقد قتلتكم . . . . البيت » . اهـ .

يقول : إن الله تعالى ذكره، قدير على زيادة ماشاء من ذلك فيما شاء ، ونقصان ماشاء منه ممن شاء ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لايمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢)

﴿ يقول تعالى ذكره : مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده ، فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له ، ولا ممسك عنهم ، لأن ذلك أمره لايستطيع أمره أحد ، وكذلك مايغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ، ولا يفتحه لهم ، فلا فاتح له سواه ، لأن الأمور كلها إليه وله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) : أى من خير (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) فلا يستطيع أحد حبسها (وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) وقال تعالى ذكره (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) فأنّث ما لذكر الرحمة من بعده ، وقال (وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) فذكّر للفظ « ما » لأن لفظه لفظ مذكر ، ولو أنّث فى موضع التذكير للمعنى ، وذكر فى موضع التأنيث للفظ جاز ، ولكنّ الأفصح من الكلام التأنيث ، إذا ظهر بعد ما يدلّ على تأنيثها ، والتذكير إذا لم يظهر ذلك .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : وهو العزيز فى نقمته ممن انتقم منه من خلقه ، بحبس رحمته عنه وخيراته ، الحكيم فى تدبير خلقه ، وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحا ، وإمساكه إياه عنهم ، إذا كان إمساكه حكمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ؟ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ، فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ؟ (٣)

﴿ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ) التى أنعمها (عَلَيْكُم) ، بفتحه لكم من خيراته ما فتح ، وبسطه لكم من العيش مابسط ، وفكروا فانظروا (هَلْ مِنْ خَالِقٍ) سوى فاطر السموات والأرض ، الذى بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) فتعبدوه دونه (لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لامعبود تنبغى له العبادة ، إلا الذى فطر السموات

والأرض ، القادر على كلّ شيء ، الذى بيده مفاتح الأشياء وخزائنها ، ومغالق ذلك كله ، فلا تعبدوا أيّها الناس شيئا سواه ، فإنه لايقدر على نفعكم وضرّكم سواه ، فله فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالألوهة .
(فأنّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأىّ وجه عن خالقكم ورازقكم الذى بيده نفعكم وضرّكم تُصْرَفون . ؟

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأنّى تُؤْفَكُونَ) يقول الرجل : إنه ليؤفَك عنى كذا وكذا . وقد بيّنت معنى الإفك ، وتأويل قوله (تُؤْفَكُونَ) فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ، وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن يكذّبك يامحمد هؤلاء المشركون بالله من قومك ، فلا يحزننك ذاك ، ولا يعظُم عليك ، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفَرَة الأمم بالله ، من قبلهم ، وتكذيبهم رسل الله التى أرسلها إليهم من قبلك ، ولن يعدُو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم ، فيتبعوا فى تكذيبك منهاجهم ، ويسلكوا سبيلهم (وَإلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) يقول تعالى ذكره : وإلى الله مرجعُ أمرك وأمرهم ، فمحلّ بهم العقوبة ، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا فى اتباعك ، والإقرار بنبوّتك ، وقبول مادعوتهم إليه من النصيحة ، نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلك ، ومنجّيك وأتباعك من ذلك ، سنتنا بمن قبلك فى رسلنا وأوليائنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) يعزّى نبيه كما تسمعون .

وقوله (يا أيُّها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش ، المكذّبى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه ، على إصراركم على الكفر به ، وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حقّ ، فأيقنوا بذلك ، وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله ، والإيمان به وبرسوله (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا) يقول : فلا يغرّنكم ماأنتم فيه من العيش فى هذه الدنيا ورياستكم التى تترأسون بها فى ضعفائكم فيها ، عن اتباع محمد والإيمان . (ولا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) يقول : ولا يخدعنكم بالله الشيطان ، فيمنيكم الأمانىّ ، ويعدكم من الله العِدَات الكاذبة ، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) يقول : الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦)

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الشَّيْطانَ) الذي نهيتكم أيها الناس أن تغترّوا بغروره إياكم بالله(لَكُمْ عَدُوٌّ ، فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) يقول : فأنزلوه من أنفسكم منزل العدوّ منكم ، واحذَروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه ، حذركم من عدوّكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم ، فلا تطيعوه ولا تتّبعوا خطُواته ، فإنه إنما يدعو حزبه ، يعني شيعته ، ومن أطاعه إلى طاعته والقبول منه ، والكفر بالله (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ) يقول : ليكونوا من المخلَّدين في نار جهنم ، التي تتوقد على أهلها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ، فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فإنه لحقّ على كلّ مسلم عداوته ، وعداوته : أن يعاديه بطاعة الله(إِنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ) : وحزبه : أولياؤه (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ) : أي ليسوقهم إلى النار ، فهذه عداوته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ) وقال : هؤلاء حزبه من الإنس ، يقول : أولئك حزب الشيطان ، والحزب : وُلاته الذين يتولاهم ويتولونه ، وقرأ (إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : (الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (لَهُمْ عَذابٌ) من الله (شَدِيدٌ) وذلك عذاب النار . وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يقول : والذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله لذنوبهم (وأَجْرٌ كَبِيرٌ) وذلك الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ) وهي الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : أفمن حسّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصى الله والكفر به ، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان ، فرآه حسنا ، فحَسِبَ سَيِّئَ ذلك حسنا ، وظنّ أن قبحه جميل ، لتزيين الشيطان ذلك له ، ذهبت نفسك عليهم حسَرات ، وحذف من الكلام : ذهبت نفسك عليهم حسرات ، اكتفاء بدلالة قوله (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) منه . وقوله (فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ، وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ) يقول : فإن الله يخذُل من يشاء عن الإيمان به ، واتباعك وتصديقك ، فيُضِلّه عن الرشاد إلى الحقّ فى ذلك (وَيَهدى مَنْ يَشاءُ) : يقول : ويوفّق من يشاء للإيمان به واتباعك ، والقبول منك ، فتهديه إلى سبيل الرشاد . (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ) يقول : فلا تُهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله ، وتكذيبهم لك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ، فَرَآهُ حَسَنًا ، فانَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ) قال قتادة والحسن : الشيطان زين لهم (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) : أى لا يحزنك ذلك عليهم ، فإن الله يضلّ من يشاء ، ويهدى من يشاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) قال : الحسرات : الحزن ، وقرأ قول الله : (يا حَسْرَتا على مافَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) ، ووقع قوله (فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ) موضع الجواب ، وإنما هو منبع الجواب ، لأن الجواب هو المتروك الذى ذكرت ، فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) فقرأته قرّاء الأمصار ، سوى أبى جعفر المدنى (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ) بفتح التاء من (تَذْهَبْ) ونفسك برفعها . وقرأ ذلك أبو جعفر (فَلَا تُذْهِبْ) بضم التاء من (تَذْهَبْ) ، ونفسَك بنصبها ، بمعنى : لاتذهب أنت يامحمد نفسك .

❊ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله يامحمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زيّن لهم الشيطان سوءَ أعمالهم ، وهو مُحصيه عليهم ، ومجازيهم به جزاءهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ ، فَتُثِيرُ سَحَابًا ، فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ، فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (٩)

❁ يقول تعالى ذكره : والله الذى أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث (فَسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ) : يقول : فسقناه إلى بلد مجدب الأهل ، محل الأرض ، داثر لانبت فيه ولا زرع (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) يقول : فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض ، التى سقناه إليها بعد جدوبها ، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل (كَذَلِكَ النُّشُورُ) يقول تعالى ذكره : هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم فى قبورهم ، فيحييهم بعد فنائهم ، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون ، فليس من بنى آدم إلا وفى الأرض منه شىء ؛ قال : فيرسل الله ماء من تحت العرش ، مَنِيا كمَنِىّ الرجل ، فتنبت أجسادهم ولُحمانهم من ذلك ، كما تنبت الأرض من الثرى ، ثم قرأ (وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ، فَسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ) . . . إلى قوله (كَذَلِكَ النُّشُورُ) قال : ثم يقوم ملَك بالصُّور بين السماء والأرض ، فينفخ فيه ، فتنطلق كلّ نفس إلى جسدها ، فتدخل فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) قال : يرسل الرياح فتسوق السحاب ، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء ، فكذلك يبعثه يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)

❁ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعا) فقال بعضهم : معنى ذلك : من كان يريد العزّة بعبادة الآلهة والأوثان ، فإن العزّة لله جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ) يقول : من كان يريد العزّة بعبادته الآلهة (فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعا) .

وقال آخرون : معنى ذلك : من كان يريد العزّة فليتعزّز بطاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعا) يقول : فليتعزّز بطاعة الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من كان يريد علم العزّة لمن هى ؟ فإنها لله جميعا كلها : أى كلّ وجه من العزّة فلله .

والذى هو أولى الأقوال بالصواب عندى : قول من قال : من كان يريد العزّة ، فبالله فليتعزّز ، فلله العزّة جميعا ، دون كلّ مادونه من الآلهة والأوثان .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب ، لأن الآيات التى قبل هذه الآية ، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان ، وتوبيخه إياهم ، ووعيده لهم عليها ، فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك ، فكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وكانت فى سياقها .

وقوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ) يقول تعالى ذكره : إلى الله يصعَد ذكر العبد إياه ، وثناؤه عليه (والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقول : ويرفع ذكرُ العبد ربَّه إليه عَمَلَه الصالح ، وهو العمل بطاعته ، وأداء فرائضه ، والانتهاء إلى ما أمره به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : أخبرنى جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودىّ ، عن عبد الله بن المُخارِق ، عن أبيه مخارق بن سليم ، قال : قال لنا عبد الله : إذا حدّثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله « إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله لاإله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهنّ مَلَكٌ ، فجعلهنّ تحت جناحيه ، ثم صعد بهنّ إلى السماء ، فلا يمرّ بهنّ على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهنّ ، حتى يُحَيَّى بهنّ وجه الرحمن ، ثم قرأ عبد الله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا سعيد الجَرَيرىّ ، عن عبد الله بن شقيق ، قال : قال كعب : إن لسبحان الله ، والحمد لله ، ولاإله إلا الله ، والله أكبر ، لدويّا حول العرش ، كدوىّ النحل ، يذكرن بصاحبهنّ ، والعمل الصالح فى الخزائن .

حدثنى يونس ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث بن أبى سليم ، عن شهر بن حَوْشب الأشعرىّ ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب

حدثنى علىّ ، ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : الكلام الطيب : ذكر الله ، والعمل الصالح : أداء فرائضه ، فمن ذكر الله سبحانه فى أداء فرائضه ، حُمِل عليه ذكرُ الله، فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله ، ولم يؤدّ فرائضه ، رُدّ كلامه على عمله ، فكان أولى به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : قال الحسن وقتادة : لايقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل، قَبِل الله منه .

وقوله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ)يقول تعالى ذكره : والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنى سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قال : هؤلاء أهل الشرك .

وقوله (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) يقول : وعمل هؤلاء المشركين يبور ، فيبطُل فيذهب، لأنه لم يكن لله ، فلم ينفع عامله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) : أى يفسد.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ليث بن أبى سليم ، عن شهر بن حوشب (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) قال : هم أصحاب الرياء .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن أبى عامر ، قال : ثنا جعفر الأحمر ، عن شهر بن حوشب ، فى قوله (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) قال : هم أصحاب الرياء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) قال : بار فلم ينفعهم ، ولم ينتفعوا به ، وضرّهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ، ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ، وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِى كِتَابٍ ، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

❁ يقول تعالى ذكره : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ تُرَابٍ) يعنى بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب ، فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يقول : ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) يعنى أنه زوّج منهم الأنثى من الذكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) يعنى آدم (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يعنى ذرّيته (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) فزوّج بعضكم بعضا .

وقوله (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) يقول تعالى ذكره : وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها ، وما هو ذكر أو أنثى ، لا يخفى عليه شىء من ذلك .

وقوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما يعمر من معمر فيطول عمره ، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذى عمّر عمرا طويلا (إِلَّا فِي كِتَابٍ) عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه ، وقبل أن تضعه ، قد أحصى ذلك كله ، وعلمه قبل أن يخلقه ، لا يُزاد فيما كتب له ولا ينقص .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) . . . إلى (يَسِيرٌ) يقول : ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدّرت له من العمر ، وقد قضيت ذلك له ، وإنما ينتهى إلى الكتاب الذى قدّرت له ، لا يُزاد عليه ، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ، ولكن ينتهى إلى الكتاب الذى قدّرت له ، لا يزاد عليه ، فذلك قوله (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) يقول : كلّ ذلك فى كتاب عنده .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : من قضيت له أن يُعَمَّر حتى يُدركه الكبر ، أو يُعَمَّرَ أنقص من ذلك ، فكلٌّ بالغ أجله الذى قد قُضِى له ، كلّ ذلك فى كتاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) قال : ألا ترى الناس الإنسانُ يعيش مئة سنة ، وآخرُ يموت حين يولد ؟ فهذا هذا ، فالهاء التى فى قوله (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) على هذا التأويل وإن كانت فى الظاهر أنها كناية عن اسم المُعَمَّر الأوّل ، فهى كناية اسم آخر غيره ، وإنما حسُن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأوّل ، وذلك كقولهم : عندى ثوب ونصفه ، والمعنى : ونصف الآخر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يُعمَّر من معمَّر ولا ينقص من عمره ، بفناء ما فنى من أيام حياته ، فذلك هو نقصان عمره ، والهاء على هذا التأويل للمعمَّر الأوّل ، لأن معنى الكلام : ما يطوّل عمر أحد ، ولا يذهب من عمره شىء فينُقَص ، إلا وهو فى كتاب عند الله مكتوب ، قد أحصاه وعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبى مالك فى هذه الآية (وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِى كِتابٍ) قال : ما يقضى من أيامه التى عددت له إلا فى كتاب .

وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب ، التأويل الأول ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه ، وأشبههما بظاهر التنزيل .

وقوله (إنَّ ذلكَ على اللهِ يَسيرٌ) : يقول تعالى ذكره : إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل ، طويل ُذلك وقصيره ، لايتعذّر عليه شىء منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ ، هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ ، وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ، وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ، لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وما يعتدل البحران فيستويان ، أحدهما عَذْب فُرات ، والفرات : هو أعذب العذب ، وهذا ملح أُجاج : يقول : والآخر منهما ملح أجاج ، وذلك هو ماء البحر الأخضر ، والأُجاج : المرّ ، وهو أشدّ المياه مُلوحة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ) والأُجاج : المرّ .

وقوله (وَمِنْ كُلٍّ تأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا) يقول : ومن كلّ البحار تأكلون لحما طريًّا ، وذلك السمك من عذبهما الفرات ، وملحهما الأجاج (وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها) يعنى : الدرّ والمرجان ، تستخرجونها من الملح الأجاج . وقد بيَّنا قبلُ وجه (تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً) ، وإنما يستخرج من الملح ، فيا مضى ، بما أغنى عن إعادته (وَتَرَى الفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ) يقول تعالى ذكره : وترى السفن فى كل تلك البحار مواخر ، تمخُر الماء بصدورها ، وذلك خرقها إياه إذا مرّت ، واحدتها ماخرة ، يقال منه : مَخَرت تمخُر ، وتمخَر مَخْرا ، وذلك إذا شقّت الماء بصدورها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ كُلٍّ تأْكُلُونَ لَحْما

طَرِيًّا) : أى منهما جميعا (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هذا اللؤلؤ ، (وترى الفُلْكَ فيه مواخر) : فيه السفن مُقبلةً ومدبرة بريح واحدة .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ) يقول : جَوارِى .

وقوله (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول : لتطلبوا بركوبكم فى هذه البحار فى الفلك من معايشكم ، ولتتصرّفوا فيها فى تجاراتكم ، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم ، وما رزقكم منه من طيبات الرزق ، وفاخر الحلىّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣)

يقول تعالى ذكره : يدخل الليل فى النهار ، وذلك ما نقص من الليل أدخله فى النهار فزاده فيه ، ويولج النهار فى الليل ، وذلك ما نقص من أجزاء النهار ، زاد فى أجزاء الليل ، فأدخله فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ) زيادة هذا فى نقصان هذا ، ونقصان هذا فى زيادة هذا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ) يقول : هو انتقاص أحدهما من الآخر .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى) يقول : وأجرى لكم الشمس والقمر ، نعمة منه عليكم ، ورحمة منه بكم ، لتعلموا عدد السنين والحساب ، وتعرفوا الليل من النهار .

وقوله (كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى) يقول : كل ذلك يجرى لوقت معلوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى) أجل معلوم ، وحدّ لا يُقصّر دونه ولا يتعدّاه .

وقوله (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ) يقول : الذى يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذى لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الله ربكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) : أى هو الذى يفعل هذا .

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول تعالى ذكره : له الملك التامّ الذى لاشىء إلا وهو فى مُلكه وسلطانه .

وقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول تعالى ذكره والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم ، الذى هذه الصفة التى ذكرها فى هذه الآيات ، الذى له المُلك الكامل الذى لايُشبهه ملك ، صفته (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول : ما يملكون قِشْر نواة فما فوقها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عمن حدّثه ، عن ابن عباس فى قوله : (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) قال : هو جلد النواة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول : الجلد الذى يكون على ظهر النواة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يعنى : قشر النواة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مِنْ قِطْمِيرٍ) قال : لفافة النواة كسحاة البيضة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) والقطمير : القشرة التى على رأس النواة .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن بعض أصحابه ، فى قوله (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) قال : هو القِمَع الذى يكون على التمرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرّة ، عن عطية ، قال : القطمير : قشر النواة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)

قوله (إِنْ تَدْعُوهُمْ لايَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابُوا لَكُمْ) : يقول تعالى ذكره : إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التى تعبدونها من دون الله ، لايسمعوا دعاءكم ، لأنها جماد لاتفهم عنكم ما تقولون (وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابُوا لَكُمْ) يقول : ولو سمعوا دعاءكم إياهم ، وفهموا عنكم أنها قولكم ، بأن جُعِل لهم سمع يسمعون به ، ما استجابوا لكم ، لأنها ليست ناطقة ، وليس كلّ سامع قولا متيسِّرا له الجواب عنه ، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان ، فكيف تعبدون من دون الله من

هذه صفته ، وهو لانفع لكم عنده ، ولاقُدرة له على ضرِّكم ، وتدَعون عبادة الذى بيده نفعكم وضرّكم ، وهو الذى خلقكم ، وأنعم عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ تدْعُوهُمْ لايَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ ، ولَوْ سَمِعُوا ما استَجابُوا لَكُمْ) ، أى ما قَبِلوا ذلك عنكم ، ولا نفعوكم فيه .

وقوله (وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ): يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التى تعبدونها من دون الله ، من أن تكون كانت لله شريكا فى الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) إياهم ، ولا يرضَوْن ، ولا يُقِرّون به .

وقوله (وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) يقول تعالى ذكره : ولا يخبرك يامحمد عن آلهة هؤلاء المشركين ، وما يكون من أمرها وأمر عبَدَتها يوم القيامة ، من تبرّئها منهم ، وكفرها بهم ، مثل ذى خبرة بأمرها وأمرهم ، وذلك الخبير هو الله الذى لايخفى عليه شىء كان أو يكون ، سبحانه !

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

* يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (١٥)

* يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم ، فإياه فاعبدوا ، وفى رضاه فسارعوا ، يغنكم من فقركم ، وتُنْجِح لديه حوائجكم (وَاللهُ هُوَ الغَنِىُّ) عن عبادتكم إياه ، وعن خدمتكم ، وعن غير ذلك من الأشياء ، منكم ومن غيركم ، (الحَميدُ) يعنى : المحمود على نِعَمِه ، فإن كلّ نعمة بكم وبغيركم فمنه ، فله الحمد والشكر بكلّ حال .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ، (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ ، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ، إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ، وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ، وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ، وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (١٨)

يقول تعالى ذكره : إن يشأ يُهلككم أيها الناس ربُّكم ، لأنه أنشأكم من غير ماحاجة به إليكم (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول : ويأت بخلق سواكم يُطيعونه ، ويأتمرون لأمره ، وينتهون عما نهاهم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) : أى ويأت بغيركم .

وقوله (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) يقول : وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد ، بل ذلك عليه يسير سهل ، يقول : فاتقوا الله أيها الناس ، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك .

وقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول تعالى ذكره : ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها. (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) يقول تعالى: وإن تسأل ذاتُ ثِقَل من الذنوب، مَنْ يحمل عنها ذنوبها، وتطلبْ ذلك ، لم تجد من يحمل عنها شيئا منها، ولو كان الذى سألته ذا قرابة من أب أو أخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا، لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) يقول : يكون عليه وِزْر لايجد أحدا يحمل عنه من وزره شيئا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ) كنحو : (لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا) إلى ذنوبها (لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) : أى قريب القرابة منها ، لايحمل من ذنوبها شيئا ، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئا (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ، ونصب ذا قربى على تمام كان لأن معنى الكلام : ولو كان الذى تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذا قُرْبَى لها ، وأنثت مُثْقلة ، لأنه ذهب بالكلام إلى النفس ، كأنه قيل : وإن تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها . وإنما قيل كذلك ، لأن النفس تؤدّى عن الذكر والأنثى ، كما قيل : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) يعنى بذلك : كلّ ذكر وأنثى .

وقوله (إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة ، من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما

أتيتهم به ، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله ، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ، ويتعظون بمواعظك ، لاالذين طَبَع الله على قلوبهم ، فهم لايفقهون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ) : أى يخشون النار .

وقوله (وأقامُوا الصَّلاةَ) يقول : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها ، على مافرضها الله عليهم . وقوله (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) : يقول تعالى ذكره : ومن يتطهّرْ من دنس الكفر والذنوب ، بالتوبة إلى الله ، والإيمان به ، والعمل بطاعته ، فإنما يتطهّر لنفسه ، وذلك أنه يثيبها به رضا الله ، والفوز بجنانه ، والنجاة من عقابه ، الذى أعدّه لأهل الكفر به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) : أى من يعملْ صالحا فإنما يعمله لنفسه .

وقوله (وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ) يقول : وإلى الله مصير كلّ عامل منكم أيها الناس ، مؤمنكم وكافركم ، وبرّكم وفاجركم ، وهو مجاز جميعكم بما قدّم من خير أو شرّ على ما أهل منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ (١٩) وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ (٢٠) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ، وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)

❁ يقول تعالى ذكره : (وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى) : عن دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (والبَصِيرُ) : الذى قد أبصر فيه رشده ، فاتبع محمدا وصدّقه ، وقبل عن الله ما ابتعثه به (وَلا الظُّلُماتُ) يقول : وما تستوى ظلمات الكفر ، ونور الإيمان (وَلا الظِّلُّ) : قيل : ولا الجنة (وَلا الحَرُورُ) : قيل : النار . كأن معناه عندهم : وماتستوى الجنة والنار ؛ والحَرُور : بمنزلة السَّموم ، وهى الرياح الحارّة . وذكر أبوعبيدة مَعْمَر بن المثنى ، عن رُؤْبة بن العَجّاج ، أنه كان يقول : الحَرور بالليل ، والسموم بالنهار . وأما أبو عبيدة فإنه قال : الحَرور فى هذا الموضع : بالنهار مع الشمس . وأما الفراء فإنه كان يقول : الحَرُور : يكون بالليل والنهار ، والسَّموم : لايكون بالليل ، إنما يكون بالنهار .

والقول فى ذلك عندى ، أن الحرور يكون بالليل والنهار ، غير أنه فى هذا الموضع ، بأن يكون كما قال أبوعبيدة : أشبه مع الشمس ، لأن الظلّ إنما يكون فى يوم شمس ، فذلك يدلّ على أنه أريد بالحرور : الذى يوجد فى حال وجود الظلّ .

وقوله (وَما يَسْتَوِى الأَحْياءُ وَلا الأَمْوَاتُ) يقول : وما يستوى الأحياء القلوب بالإيمان بالله

ورسوله ، ومعرفة تنزيل الله ، والأموات، القلوب لغلبة الكفر عليها ، حتى صارت لاتعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ، وكلّ هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان ، والكافر والكفر.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالبَصِيرُ) . . . الآية، قال: هو مَثَل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية، يقول : وما يستوى الأعمى والظلمات والحرور ، ولا الأموات ، فهو مثَل أهل المعصية، ولايستوى البصير ولا النور ، ولا الظلّ والأحياء ، فهو مثل أهل الطاعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى) . . . الآية خلقا فضل بعضه على بعض ، فأما المؤمن فعبد حىّ ، حىّ الأثر ، حىّ البصر، حىّ النية ، حىّ العمل . وأما الكافر فعبد ميت ، ميت البصر ، ميت القلب ، ميت العمل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالبَصِيرُ ، وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ، وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ ، وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ) قال: هذا مثل ضربه الله ، فالمؤمن بصير فى دين الله،والكافر أعمى ، كما لايستوى الظلّ ولا الحرور ، ولا الأحياء ولا الأموات ، فكذلك لايستوى هذا المؤمن الذى يبصر دينه ، ولا هذا الأعمى ، وقرأ (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ) قال: الهُدى الذى هداه الله به،ونوّر له ، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذى يبصر دينه ، وهذا الكافر الأعمى ، فجعل المؤمن حيا ، وجعل الكافر ميتا ، ميت القلب ،(أوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) قال : هديناه إلى الإسلام، كمن مثله فى الظلمات أعمى القلب ، وهو فى الظلمات ، أهذا وهذا سواء ؟

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « لا » مع حرف العطف، فى قوله (وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ، وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ) فقال بعض نحويّى البصرة: قال : ولا الظلّ ولا الحرور ، فيشبه أن تكون « لا » زائدة ، لأنك لو قلت : لايستوى عمرو ولا زيد فى هذا المعنى ،لم يجز إلا أن تكون « لا » زائدة ، وكان غيره يقول : إذا لم تدخل « لا » مع الواو ، فإنما لم تدخل اكتفاء بدخولها فى أوّل الكلام ، فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كلّ واحد منهما لايساوى صاحبه ، فكان معنى الكلام إذا أعيدت « لا » مع الواو عند صاحب هذا القول: لا يساوى الأعمى البصير ، ولا يساوى البصير الأعمى ،فكلّ واحد منهما لايساوى صاحبه .

وقوله (إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى القُبُورِ) يقول تعالى ذكره : كما لايقدر أن يسمع من فى القبور كتاب الله ، فيهديهم به إلى سبيل الرشاد ، فكذلك لايقدر أن ينفع بمواعظ الله ، وبيان حُجَجه ، من كان ميت القلب من إحياء عباده ، عن معرفة الله ، وفهم كتابه وتنزيله ، وواضح حججه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) كذلك الكافر لايسمع ولا ينتفع بما يسمع .

وقوله (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما أنت إلا نذير ، تُنذر هؤلاء المشركين بالله ، الذين طبع الله على قلوبهم ، ولم يُرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته ، ولم يكلفك من الأمر ما لاسبيل لك إليه ، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ماجئتهم به ، فإن ذلك بيد الله لابيدك ، ولا بيد غيرك من الناس ، فلا تذهب نفسُك عليهم حسَرات ، إن هم لم يستجيبوا لك .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يامحمد (بِالْحَقِّ) وهو الإيمان بالله ، وشرائع الدين التى افترضها على عباده (بَشِيرًا) يقول : مُبشّرا بالجنة من صدّقك ، وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة (وَنَذِيرًا) تُنذر الناس مَنْ كذّبك وردّ عليك ماجئت به من عند الله من النصيحة . (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) يقول : وما من أمة من الأمم الدائنة بملة ، إلا خلا فيها من قبلك نذير ، ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) كلّ أمة كان لها رسول .

وقوله (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) : يقول تعالى ذكره ، مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من مشركى قومه من التكذيب ، وإن يكذّبك يامحمد مشركو قومك ، فقد كذّب الذين من قبلهم من الأمم ، الذين جاءتهم رسلهم بالبينات : يقول : بحجج من الله واضحة ، وبالزّبر يقول : وجاءتهم بالكتب من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ) : أى الكتب .

وقوله (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) يقول : وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمّله ، وتدبّره أنه الحقّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) : يضعف الشيء وهو واحد .

وقوله (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول تعالى ذكره : ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا ، وحقيقة مادعوهم إليه من آياتنا ، وأصرّوا على جحودهم . (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فانظر يامحمد كيف كان تغييرى بهم ، وحلول عقوبتى بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ، وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾

يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها : يقول فسقيناه أشجارا فى الأرض ، فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر ، ومنها الأسود والأصفر ، وغير ذلك من ألوانها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ) : يقول تعالى ذكره : ومن الجبال طرائق ، وهى الجُدَد ، وهى الخطط تكون فى الجبال : بيض وحمر وسود ، كالطرق : واحدتها جُدَّة ؛ ومنه قول امرئ القيس فى صفة حمار :

كأنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ ... كَنائِنُ يُجْرِى فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ [١]

يعنى بالجدّة : الخطة السوداء تكون فى متن الحمار .

وقوله (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) يعنى : مختلف ألوان الجدد (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) ، وذلك من المقدّم الذى هو بمعنى التأخير ، وذلك أن العرب تقول : هو أسود غربيب ، إذا وصفوه بشدّة السواد ، وجعل السواد هاهنا صفة للغرابيب . وقوله (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة ، وغير ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) أحمر وأخضر وأصفر (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ) : أى طرائق بيض (وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) : أى جبال حمر وبيض (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) هو الأسود ، يعنى لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدوابّ والأنعام كذلك .

---

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص ١٢٧) وفيه . « ظهره » فى موضع « متنه » . و « يبرِن » فى موضع « فوقهن » . قال شارحه : سراته : ظهره . والجدة : الخط الذى فى وسط الظهر . والكنائن : جعاب السهام ، من جلد أو خشب . والدليص : ماء الذهب . شبه الخط الذى على ظهر الحمار فى بريقه ولونه ، بجعاب مذهبة ، مع بريق جلدها وإملاسه . اهـ . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر » على أن معنى الجدد : الخطط تكون فى الجبال : بيض وحمر وسود كالطرق ، واحدتها جدة . وقال الفراء فى معانى القرآن : (الورقة ٢٦٦) قوله « جدد بيض » الخطط والطرق تكون فى الجبال كالعروق : بيض وسود وحمر ، واحدها جدة ، وأنشد بيت امرئ القيس كرواية المؤلف . ثم قال : والجدة : الخطة السوداء فى متن الحمار . وقال الفراء : يقال : أدلصت الشىء ودلصته : إذا برق . فكل شىء يبرق نحو المرآة والذهب والفضة ، فهو دليص . اهـ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ) طرائق بيض ، وحمر وسود ، وكذلك الناس مختلف ألوانهم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملىّ ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْبِر ، عن الضحاك قوله (وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ) قال : هى طرائق حمر وسود .

وقوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ) يقول تعالى ذكره : إنما يخاف الله، فيتقى عقابه بطاعته ، العلماء بقدرته على ما يشاء من شىء ، وأنه يفعل ما يريد ، لأن من علم ذلك ، أيقن بعقابه على معصيته ، فخافه ورهبه ، خشية منه أن يعاقبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ) قال : الذين يعلمون أن الله على كلّ شىء قدير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ) قال : كان يقال : كفى بالرهبة علما .

وقوله (إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله عزيز فى انتقامه ممن كفر به ، غفور لذنوب من آمن به وأطاعه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ، إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يقرءون كتاب الله الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم . (وأقامُوا الصَّلاةَ) : يقول : وأدّوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها ، وقال : وأقاموا الصلاة بمعنى : ويقيموا الصلاة . وقوله (وأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً) يقول : وتصدّقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا فى خفاء ، وعلانية : جهارا . وإنما معنى ذلك أنهم يؤدّون زكاة المفروضة ، ويتطوّعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه . وقوله (يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ) يقول تعالى ذكره : يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور : لن تكسد ولن تهلك ، من قولهم : بارت السوق : إذا كسدت ، وبار الطعام . وقوله (تِجارَةً): جواب لأوّل الكلام . وقوله (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ) يقول : ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ، ثواب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) يقول : وكى يزيدهم على الوفاء من فضله ، ماهو له أهل . وكان مُطَرِّف بن عبد الله يقول : هذه آية القراء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : كان مطرف إذا مرّ بهذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ) يقول : هذه آية القراء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يزيد ، عن مطرف بن عبد الله ، أنه قال فى هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه آية القراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مطرف بن عبد الله يقول : هذه آية القراء (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) .

وقوله (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) يقول : إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم ، شكور لحسناتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) : إنه غفور لذنوبهم ، شكور لحسناتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ ، هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١)

❊ يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) يامحمد ، وهو هذا القرآن الذى أنزله الله عليه (هُوَ الْحَقُّ) يقول : هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به ، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التى أوحيت إلى غيرك (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : هو يصدّق مامضى بين يديه ، فصار أمامه من الكتب التى أنزلتها إلى من قبلك من الرسل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ، هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) : للكتب التى خلت قبله .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)

اختلف أهل التأويل فى معنى الكتاب الذى ذكر الله فى هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ، ومن المصْطَفَوْن من عباده ، والظالم لنفسه، فقال بعضهم : الكتاب : هو الكُتُبُ التى أنزلها الله من قبل الفُرقان ، والمصطَفَوْن من عباده : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والظالم لنفسه : أهل الإجرام منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ

أَوْرَثْنَا الكِتابَ) . . . إلى قوله (الفَضْلُ الكَبِيرُ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورّثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن عبد الله بن عيسى ، عن يزيد بن الحارث ، عن شقيق ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال : « هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة : ثُلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسَبون حسابا يسيرا ، وثلث يجيئون بذنوب عظام ، حتى يقول : ما هؤلاء ، وهو أعلم تبارك وتعالى ، فتقول الملائكة : هؤلاء جاءوا بذنوب عِظام ، إلا أنهم لم يُشركوا بك ، فيقول الربّ : أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى ، وتلا عبد الله هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) » .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا عون ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات : كلهم فى الجنة ، ألم تر أن الله قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) . . . إلى قوله : (كُلَّ كَفُورٍ) .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندى ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : سمعت كعبا يقول (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ بِإِذْنِ اللهِ) قال : كلهم فى الجنة ، وتلا هذه الآية (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزارىّ ، عن عوف بن أبى جَبَلة ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ، ألم تر أن الله قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) . . . إلى قوله (لُغُوبٌ) والذين كفروا لهم نار جهنم ، قال : قال كعب : فهؤلاء أهل النار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عوف ، قال : سمعت عبد الله بن الحارث يقول : قال كعب إن الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات من هذه الأمة : كلهم فى الجنة ، ألم تر أن الله يقول : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) . . . حتى بلغ قوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه ، أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) . . . إلى قوله (بِإِذْنِ اللهِ) فقال : تماست مناكبهم وربّ الكعبة ، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبى إسحاق السَّبِيعى ، فى هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا) قال : قال أبو إسحاق : أما ماسمعت منذ ستين سنة ، فكلهم ناج .

قال : ثنا عمرو ، عن محمد بن الحنفية ، قال : إنها أمة مرحومة ، الظالم مغفور له ، والمقتصد فى الجنات عند الله ، والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله .

وقال آخرون : الكتاب الذى أورث هؤلاء القوم ، هو شهادة أن لا إله إلا الله ، والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والظالم لنفسه منهم هو المنافق ، وهو فى النار ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزى ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن عبد الله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : اثنان فى الجنة ، وواحد فى النار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى آخر الآية ، قال : جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل ، كقوله (أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) فهم على هذا المثال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) . . . الآية ، قال : الاثنان فى الجنة ، وواحد فى النار ، وهى بمنزلة التى فى الواقعة (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا عبد المجيد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال هم أصحاب الْمَشْأَمَة (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : هم أصحاب الميمنة (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : هم السابقون من الناس كلهم .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : قال عوف ، قال الحسن : أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق ، سقط هذا . وأما المقتصد والسابق بالخيرات ، فهما صاحبا الجنة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عوف ، قال : قال الحسن : الظالم لنفسه : المنافق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) شهادة أن لا إله إلا الله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) هذا المنافق فى قول قتادة والحسن (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : هذا صاحب اليمين (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : هذا المقرّب ، قال قتادة : كان الناس ثلاث منازل فى الدنيا ، وثلاث منازل عند الموت ، وثلاث منازل فى الآخرة . أما الدنيا ، فكانوا : مؤمن [1] ، ومنافق ، ومشرك . وأما عند الموت ، فإن الله قال (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ

(١) هو تقدير مبتدأ قبله ، أى هم مؤمن . . . الخ . أو بعضهم مؤمن .

اليَمِينِ ، وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) . وأما فى الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة ، (فأصحابُ المَيْمَنَةِ ما أصحابُ المَيْمَنَةِ . وأصحابُ المَشْأَمَةِ ما أصحابُ المَشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ، فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : هم أصحاب المشأمة (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : أصحاب الميمنة ، (وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ) قال : فهم السابقون من الناس كلهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ، فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : سقط هذا (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ بإذْنِ اللهِ) قال : سبق هذا بالخيرات ، وهذا مقتصد على أثره .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : تأويل من قال : عنى بقوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) الكتب التى أُنزلت من قبل الفرقان .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه : وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لايتلون غير كتابهم ، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الذى ذهبت إليه ، وإنما معناه : ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا ، فهم مؤمنون بكلّ كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به ، لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان ، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله ، وباتباع من جاء به ، وذلك عمل من أقرّ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به ، وعمل بما دعاه إليه ، بما فى القرآن ، وبما فى غيره من الكتب التى أنزلت قبله .

وإنما قيل : عنى بقوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ) الكتب التى ذكرنا ، لأن الله جلّ ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقا لما بين يديه) ، ثم أتبع ذلك قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا) فكان معلوما ، إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين ، ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته ، أن ذلك معناه : وإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن المصطفَيْنَ من عباده هم مؤمنو أمته ؛ وأما الظالم لنفسه ، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصى ، التى هى دون النفاق والشرك عندى ، أشبه بمعنى الآية ، من أن يكون المنافق أو الكافر ، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها) فعمّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة .

فإن قال قائل : فإن قوله (يَدْخُلُونَها) إنما عنى به المقتصد والسابق ؟ قيل له : وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل ؟ فإن قال : قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ، ولو لم يدخل

النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد، وجب أن لايكون لأهل الإيمان وعيد ؟ قيل : إنه ليس فى الآية خبر أنهم لايدخلون النار ، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره، أنهم يدخلون جنات عَدْن،وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التى أصابها فى الدنيا ، وظلمه نفسه فيها بالنار ، أو بما شاء من عقابه ، ثم يُدخله الجنة ، فيكون ممن عمه خبر الله جلّ ثناؤه بقوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) .

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك أخبار ، وإن كان فى أسانيدها نظر مع دليل الكتاب على صحته ، على النحو الذى بيَّنت .

ذكر الرواية الواردة بذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ، قال : ذكر أبوثابت أنه دخل المسجد ، فجلس إلى جنب أبى الدرداء ، فقال : اللهم آنس وحشتى ، وارحم غُرْبتى ، ويسِّر لى جليسا صالحا ، فقال أبوالدرداء : لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك ، سأحدّثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لم أحدّث به منذ سمعته ذكر هذه الآية:«(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ، فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ) ، فأما السابق بالخيرات ، فيدخلها بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه،فيصيبه فى ذلك المكان من الغمّ والحزن ، فذلك قوله (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة ، أنه سمع رجلا من ثقيف حدّث عن رجل من كنانة ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية « (ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ،وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ بإذْنِ اللهِ) قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة ، وكلهم فى الجنة . وعنى بقوله (الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا): الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم . وقوله (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ): يقول : فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا ، من يظلم نفسه بركوبه المآثم ، واجترامه المعاصى ، واقترافه الفواحش (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) وهو غير المبالغ فى طاعة ربه ، وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه، حتى يكون عمله فى ذلك قصدا (وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ) وهو المبرِّز الذى قد تقدّم المجتهدين فى خدمة ربه ، وأداء ما لزمه من فرائضه ، فسبقهم بصالح الأعمال،وهى الخيرات التى قال الله جلّ ثناؤه : (بإذْنِ اللهِ) يقول : بتوفيق الله إياه لذلك » .

وقوله (ذلكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله ، هو الفضل الكبير الذى فضل به من كان مقصِّرا عن منزلته فى طاعة الله ، من المقتصد والظالم لنفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : بساتين إقامة ، يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب ، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة (يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أساورَ مِنْ ذَهَبٍ) يلبسون فى جنات عدن أسْوِرَةً من ذهب (وَلُؤْلُؤًا ، وَلِباسُهُمْ فيها حَرِيرٌ) يقول : ولباسهم فى الجنة حرير .

وقوله (وَقالُوا الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) اختلف أهل التأويل فى الحَزَن الذى حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم ، فقال بعضهم : ذلك الحزَن الذى كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار ، إذ كانوا خائفين أن يدخلوها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسىّ ، قال : ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى ، قال : ثنا أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) قال : حزن النار .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن (وَإذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) قال : إن المؤمنين قوم ذُلُل ، ذلّت والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مَرْضَى ، وما بالقوم مرض ، وإنهم لأصحة القلوب،ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) ، والحَزَن ، والله ماحزنهم حزن الدنيا ،ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة،أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لايتعزّ بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطْعَم أو مشرب ، فقد قلّ علمه ، وحضر عذابه .

وقال آخرون : عنى به الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، فى قوله (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) قال : الموت .

وقال آخرون : عنى به حزن الخُبْز [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، يعنى ابن حميد ، عن شمر ، قال : لما أدخل الله أهل الجنة الجنة ، قالوا (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) قال : حزن الخبز .

(١) كذا فى الأصل : الخبز . ولعل المراد به . هم العيش فى الدنيا . والعيش فيها قوامه الطعام والخبز .

وقال آخرون : عنى بذلك : الحزن من التعب الذى كانوا فيه فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) قال : كانوا فى الدنيا يعملون وينصبون ، وهم فى خوف أو يحزنون .

وقال آخرون : بل عنى بذلك الحزن الذى ينال الظالم لنفسه فى موقف القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، قال : ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ ، فَيُصِيبُهُ فِى ذَلِكَ المَكَانِ مِنَ الغَمِّ والحَزَنِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) » .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به ، أنهم قالوا حين دخلوا الجنة (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) وخوف دخول النار من الحزن ، والجزع من الموت من الحزن ، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ، ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم ، نوعا دون نوع ، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك ، وكذلك ذلك ، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك ، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معانى الحزن .

وقوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة : إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم ، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها ، شكور لهم على طاعتهم إياه ، وصالح ما قدّموا فى الدنيا من الأعمال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) لحسناتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) غفر لهم ما كان من ذنب ، وشكر لهم ما كان منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ، لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ، وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾

❁ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ) : أى ربنا الذى أنزلنا هذه الدار ، يعنون الجنة ، فدار المُقامة : دار الإقامة التى لانقلة معها عنها ، ولا تحوّل ، والميم إذا ضمت من المُقامة ، فهى من الإقامة ، فإذا فتحت فهى من المجلس ، والمكان الذى يُقام فيه ، قال الشاعر :

يَوْمانِ يَوْمُ مَقاماتٍ وأنْدِيَةٍ ويَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تأْوِيبِ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِى أحَلَّنَا دَارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِه) أقاموا فلا يتحولون .

وقوله (لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ) يقول : لايصيبنا فيها تعب ولا وجع (وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ) يعنى باللغوب : العناء والإعياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ ، وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ) قال : اللغوب : العناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ) : أى وجع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ، كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ) يقول : لهم نار جهنم مخلدين فيها ، لاحظ لهم فى الجنة ولا نعيمها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ) بالموت فيموتوا ، لأنهم لوماتوا لاستراحوا (وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها) يقول : ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم ، فيخفف ذلك عنهم .

كما حدثنى مُطرِّف بن عبد الله الضَّبِّى ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، قال : ثنا أبو هلال الراسبىّ ، عن قتادة ، عن أبى السوداء ، قال : مساكين أهل النار لايموتون ، لو ماتوا لاستراحوا .

حدثنى عقبة بن سنان القزاز ، قال : ثنا غسّان بن مضر ، قال : ثنا سعيد بن يزيد ؛ وحدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، عن سعيد بن يزيد ؛ وحدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، ثنا أبو سلمة ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّا أهْلُ النَّارِ

(١) البيت قد تقدم الاستشهاد به فى هذا الجزء (٢٢ : ٦٥) .

الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ ، لكنَّ ناسا ، أو كما قال : تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ) ، أو قال : بِخَطَايَاهُمْ ، فَيُمِيتُهُمْ إِمَاتَةً ، حتى إذَا صَارُوا فَحْماً أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا على أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَقَالَ : يا أهلَ الجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية » .

فإن قال قائل : وكيف قيل: ولا يُخفف عنهم من عذابها ، وقد قيل فى موضع آخر : (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) ؟ قيل : معنى ذلك : ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب .

وقوله (كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) يقول تعالى ذكره : هكذا يكافئ كلَّ جحود لنعم ربه يوم القيامة ، بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التى قدّموها فى الدنيا .

وقوله (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غيرَ الَّذِي كُنَّا نعملُ) :يقول تعالى ذكره : هؤلاء الكفار يستغيثون،ويَضِجُّون فى النار ، يقولون : يا ربنا أخرجنا نعمل صالحا : أى فعمل بطاعتك (غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) قبلُ من معاصيك . وقوله (يَصْطَرِخُونَ) يفتعلون من الصُّراخ ، حوّلت تاؤها طاء ، لقرب مخرجها من الصاد لما ثَقُلت .

وقوله (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) اختلف أهل التأويل فى مبلغ ذلك ، فقال بعضهم : ذلك أربعون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن مجاهد، قال : سمعت ابن عباس يقول : العمر الذى أعذر الله إلى ابن آدم (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) : أربعون سنة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة ، فليأخذ حِذْرَه من الله .

وقال آخرون : بل ذلك ستون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن خُثَيْم ،عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) قال : ستون سنة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال :سمعت عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة .

حدثنا علىّ بن شعيب ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن أبى فُدَيْك ، عن إبراهيم بن الفضل ، عن أبى حسين المكىّ ، عن عطاء بن أبى رَبَاح ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ نُودِيَ : أيْنَ أبْناءُ السِّتِّينَ ، وَهُوَ العُمُرُ الَّذِي قالَ اللهُ (أوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ) » .

حدثنى أحمد بن الفرج الحمْصِيّ ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا مُطَرِّف بن مازن الكنانى ، قال : ثنى معمر بن راشد ، قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارىّ ، يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ أعْذَرَ اللهُ إلى صاحِبِ السِّتِّينَ سَنَةً والسَّبْعِينَ » .

حدثنا أبو صالح الفزارى ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القارىّ الإسكندرىّ ، قال : ثنا أبو حازم ، عن سعيد المقبرىّ ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أعْذَرَ إلَيْهِ فى العُمُرِ » .

حدثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أسد بن حميد ، عن سعيد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (أوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ) قال : العمر الذى عمركم الله به ستون سنة .

وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا فى إسناده بعض من يَجِب التثبت فى نقله : قول من قال ذلك أربعون سنة ، لأن فى الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه ، وما قبل ذلك وما بعده ، منتقص عن كماله فى حال الأربعين .

وقوله (وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ) اختلف أهل التأويل فى معنى النذير ، فقال بعضهم : عنى به محمدا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ) قال : النذير : النبىّ . وقرأ (هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) وقيل : عَنَى به الشيب .

فتأويل الكلام إذن : أو لم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قُرَيش من السنين ، ما يتذكر فيه من تذكر ، من ذوى الألباب والعقول ، واتعظ منهم من اتعظ ، وتاب من تاب ، وجاءكم من الله منذر يُنذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله ، فلم تتذكَّروا مواعظ الله ، ولم تقبلوا من نذير الله الذى جاءكم ، ما أتاكم به من عند ربكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) إِنَّ ٱللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٣٨)

❊ يقول تعالى ذكره : (فَذُوقُوا) نار عذاب جهنم الذى قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله (فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) يقول : فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم ، فأكسبُوها غضب الله بكفرهم بالله فى الدنيا ،

من نصير ينصرهم من الله، ليستنقذهم من عقابه . وقوله(إِنَّ اللهَ عالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تُخفُون أيها الناس في أنفسكم وتُضْمرونه، وما لم تضمروه ولم تنوُوه مما ستنوُونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السموات والأرض ، فاتقوه أن يَطَّلع عليكم ، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشكّ في وحدانية الله ، أو في نبوّة محمد ، غير الذى تبدونه بألسنتكم . (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ، فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ، وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ، وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : الله الذى جعلكم أيها الناس خلائف فى الأرض من بعد عاد وثمود ، ومن مضى من قبلكم من الأمم ، فجعلكم تخلفونهم فى ديارهم ومساكنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ) أمة بعد أمة ، وقرنا بعد قرن .

وقوله (فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) يقول تعالى ذكره : فمن كفر بالله منكم أيها الناس ، فعلى نفسه ضرّ كفره ، لا يضرّ بذلك غير نفسه ، لأنه المعاقب عليه دون غيره . وقوله (وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا) يقول تعالى : ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بُعدا من رحمة الله (وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسارًا) يقول : ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ؟ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ؟ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ؟ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لمشركى قومك (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِى ماذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ) يقول : أرونى أىّ شىء خلقوا من الأرض (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَوَاتِ) يقول : أم لشركائكم شرك مع الله فى السموات ، إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئا (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) : يقول : أم آتينا هؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء ، بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام ، فهم على بيّنة منه ، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ أرأيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أرُونِي ماذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ) لاشيء والله خلقوا منها (أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) لاوالله ما لهم فيها شرك (أمْ آتَيْنَاهُمْ كِتابا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) يقول : أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا .

وقوله (بَلْ إنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إلاَّ غُرُورًا) وذلك قول بعضهم لبعض(ما نَعْبُدُ آلِهَتَنا إلا لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) خداعا من بعضهم لبعض وغرورا ، وإنما تزلفهم آلهتهم إلى النار ، وتقصيهم من الله ورحمته .

القول فى تأويل قوله تعالى

* إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ، وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِۦ ، إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(٤١)

يقول تعالى ذكره : إن الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما (وَلَئِنْ زَالَتَا) : يقول : ولو زالتا (إنْ أمْسَكَهُما مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) يقول : ما أمسكهما أحد سواه ، ووضعت « لئن » فى قوله (وَلَئِنْ زَالَتَا) فى موضع لو ، لأنهما يجابان بجواب واحد ، فيتشابهان فى المعنى ، ونظير ذلك قوله (وَلَئِنْ أرْسَلْنا رِيحا فَرَأوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) بمعنى : ولو أرسلنا ريحا ، وكما قال : (ولَئِنْ أتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ) بمعنى : لوأتيت . وقد بيَّنا ذلك فيا مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضَ أنْ تَزُولا) من مكانهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ، فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشأم ، قال : مَن لقيتَ ؟ قال : لقيتُ كعبا ، فقال : ما حدَّثك كعب ؟ قال : حدثنى أن السموات تدور على منكب ملك ، قال : فصدَّقته أو كذَّبته قال : ما صدَّقته ولا كذَّبته ، قال : لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها وكذب كعب ؛ إن الله يقول (إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضَ أنْ تَزُولا ، ولَئِنْ زَالَتا إنْ أمْسَكَهُما مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) .

حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ذهب جُندَب البَجَلىّ إلى كعب الأحبار ، فقدم عليه

ثم رجع ، فقال له عبد الله : حدّثنا ما حدّثك ، فقال : حدثنى أن السماء فى قطب كقطب الرحا ، والقطب عمود على منكب ملك ، قال عبد الله : لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك . ثم قال : ما تنتكت اليهودية فى قلب عبد ، فكادت أن تفارقه ، ثم قال : إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، كفى بها زوالا أن تدور .

وقوله (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان حليما عمن أشرك وكفر به من خلقه ، فى تركه تعجيل عذابه له ، غفورا لذنوب من تاب منهم ، وأناب إلى الإيمان به ، والعمل بما يرضيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)

يقول تعالى ذكره : وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم : يقول : أشدّ الأيمان ، فبالغوا فيها ، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله (لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) يقول : ليكوننّ أسلك لطريق الحقّ ، وأشدّ قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله ، من إحدى الأمم التى خلت من قبلهم ؛ (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) يعنى بالنذير : محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول : فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) يقول : ما زادهم [مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحقّ ، وسلوك هدى الطريق إلا نفورا وهربا .

وقوله (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ) يقول : نفروا استكبارا فى الأرض ، وخدعة سيئة ، وذلك أنهم صدّوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به ، والمكر هاهنا : هو الشرك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَكْرَ السَّيِّئِ) وهو الشرك ، وأضيف المكر إلى السيئ ، والسيئ من نعت المكر ، كما قيل : (إن هذا لهو حق اليقين) . وقيل : إن ذلك فى قراءة عبد الله (وَمَكْرًا سَيِّئًا) ، وفى ذلك تحقيق القول الذى قلناه من أن السيئ فى المعنى من نعت المكر ؛ وقرأ ذلك قرّاء الأمصار غير الأعمش وحمزة : بهمزة محركة بالخفض . وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين

الهمزة ، اعتلالا منهما بأن الحركات لما كثرت فى ذلك ثقل ، فسكنا الهمزة ، كما قال الشاعر :

* إذا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ [١] *

فسكّن الباء ، لكثرة الحركات .

❊ والصواب من القراءة : ما عليه قرّاء الأمصار ، من تحريك الهمزة فيه إلى الخفض ، وغير جائز فى القرآن أن يقرأ بكل ما جاز فى العربية ، لأن القراءة إنما هى ما قرأت به الأئمة الماضية ، وجاء به السلفُ على النحو الذى أخذوا عمن قبلهم .

وقوله (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) يقول : ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله ، يعنى بالذين يمكرونه ، وإنما عَنَى أنه لايحل مكروه ذلك المكر الذى مكره هؤلاء المشركون إلا بهم .

وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وهو الشرك .

وقوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره : فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يامحمد إلا سنة الله بهم فى عاجل الدنيا على كفرهم به أليمَ العقاب : يقول : فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحلّ بهم من نقمتى على شركهم بى ، وتكذيبهم رسولى ، مثل الذى أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) : أى عقوبة الأولين (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يقول : فلن تجد يامحمد لسنة الله تغييرا .

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) يقول : ولن تجد لسنت الله فى خلقه تبديلا : يقول : لن يغير ذلك ، ولا يبدّله ، لأنه لامردّ لقضائه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)

❊ يقول تعالى ذكره : أو لم يَسِرْ يامحمد هؤلاء المشركون بالله ، فى الأرض التى أهلكنا أهلها بكفرهم بنا ،

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٦٧) . قال : وقوله « ومكر السيئ » : أضيف المكر إلى السيئ ، وهو هو ، كما قال : « إن هذا لهو حق اليقين » . وتصديق ذلك فى قراءة عبد الله : « ومكرا سيئا » . وقوله « مكر السيئ » الهمزة فى السيئ مخفوضة ، وقد جزمها الأعمش وحمزة ، لكثرة الحركات ، كما قال : « لا يحزنْهم الفزع الأكبر » ؛ قال الشاعر :

إذَا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ

يريد : صاحب قوم ، فجزم الباء ، لكثرة الحركات . قال الفراء : حدثنى الرواسى ، عن أبى عمرو بن العلاء : « لا يحزنْهم » جزم : اهـ .

وتكذيبهم رسلنا ، فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم التى كانوا بها ، ألم نهلكهم ، ونخرب مساكنهم ، ونجعلهم مثلا لمن بعدهم ، فيتعظوا بهم ، وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ، ويعلموا أن الذى فعل بأولئك ما فعل (وكانُوا أشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وبَطْشًا) لن يتعذّر عليه أن يفعل بهم مثل الذى فعل بأولئك ، من تعجيل النقمة والعذاب لهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وكانُوا أشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانُوا أشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) : يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم .

وقوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عَبَدَةِ الآلهة ، المكذّبون محمدا ، فيسبقونا هَرَبًا فى الأرض ، إذا نحن أردنا هلاكهم ، لأن الله لم يكن ليعجزه شىء يريده فى السموات ولا فى الأرض ، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفُذوا أقطار السموات والأرض . وقوله (إِنَّهُ كانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) : يقول تعالى ذكره : إن الله كان عليما بخلقه ، وما هو كائن ، ومَن هو المستحقّ منهم تعجيل العقوبة ، ومَن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آئب ، قدير على الانتقام ممن شاء منهم ، وتوفيق من أراد منهم للإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ، مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ، وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) .

يقول تعالى ذكره : ولو يؤاخذ الله الناس : يقول : ولو يعاقب الله الناس ، ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصى ، واجترحوا من الآثام ، ماترَكَ على ظهرها من دابة تدبّ عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول : ولكن يؤخّر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا ، إلى أجل معلوم عنده محدود ، لايُقَصِّرون دونه ، ولا يجاوزونه إذا بلغوه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ، ما تَرَكَ عَلَى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ) إلا ما حمل نوح فى السفينة .

وقوله (فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ فإنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : فإذا جاء أجل

عقابهم ، فإن الله كان بعباده بصيرا من الذى يستحقّ أن يعاقب منهم ، ومن الذى يستوجب الكرامة ، ومن الذى كان منهم فى الدنيا له مطيعا ، ومن كان فيها به مشركا ، لايخفى عليه أحد منهم ، ولا يعزب عنه علم شىء من أمرهم .

آخر تفسير سورة فاطر

تفسير سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يس (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (يس) ، فقال بعضهم : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يس) قال : فإنه قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : معناه : يا رجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يس) قال : يا إنسان بالحبشية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شرقىّ ، قال : سمعت عكرمة يقول : تفسير (يس) : يا إنسان .

وقال آخرون : هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال (يس) : مفتاح كلام ، افتتح الله به كلامه .

وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يس) قال : كلّ هجاء فى القرآن : اسم من أسماء القرآن .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنا القول فيما مضى فى نظائر ذلك من حروف الهجاء ، بما أغنى عن إعادته وتكريره فى هذا الموضع .

وقوله (والقُرآنِ الحَكِيمِ) يقول : والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه ، وبيِّنات حججه (إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ) يقول تعالى ذكره ، مقسما بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنك يامحمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والقُرآنِ الحَكِيمِ إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ) قسم كما تسمعون (إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ . على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقوله (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : على طريق لااعوجاج فيه من الهدى ، وهو الإسلام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) : أى على الإسلام .

وفى قوله (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وجهان : أحدهما : أن يكون معناه : إنك لمن المرسلين على استقامة من الحقّ ، فيكون حينئذ على من قوله (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) من صلة الإرسال . والآخر أن يكون خبرا مبتدأ ، كأنه قيل : إنك لمن المرسلين ، إنك على صراط مستقيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥)

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (تَنْزِيلُ العَزِيزِ) برفع تنزيل ، والرفع فى ذلك يتجه من وجهين : أحدهما : بأن يُجعل خبرا ، فيكون معنى الكلام : إنه تنزيل العزيز الرحيم . والآخر : بالابتداء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : إنك لمن المرسلين ، هذا تنزيل العزيز الرحيم . وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض أهل الشام (تَنْزِيلَ) نصبا على المصدر ، من قوله (إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ) لأنّ الإرسال إنما هو عن التنزيل ، فكأنه قيل : لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب . ومعنى الكلام : إنك لمن المرسلين يامحمد إرسال الربّ العزيز فى انتقامه من أهل الكفر به ، الرحيم بمن تاب إليه ، وأناب من كفره وفسوقه ، أن يعاقبه على سالف جرمه ، بعد توبته له .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ، (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)

❊ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) فقال بعضهم : معناه : لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شُعبة ، عن سِماك ، عن عكرمة ، فى هذه الآية (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال : قد أنذروا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال : بعضهم : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من إنذار الناس قبلهم . وقال بعضهم : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم : أى هذه الأمة لم يأتهم نذير ، حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العربية فى معنى « ما » التى فى قوله (مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) إذا وُجِّه معنى الكلام إلى أن آباءهم قد كانوا أنذروا ، ولم يُرد بها الجحد ، فقال بعض نحويّى البصرة : معنى ذلك : إذا أريد به غير الجحد : لتنذرهم الذى أُنذر آباؤهم (فَهُمْ غَافِلُونَ) . وقال : فدخول الفاء فى هذا المعنى لا يجوز ، والله أعلم . قال : وهو على الجحد أحسن ، فيكون معنى الكلام : إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذَر آباؤهم ، لأنهم كانوا فى الفترة .

وقال بعض نحويّ الكوفة : إذا لم يرد بما الجحد ، فإن معنى الكلام : لتنذرهم بما أنذر آباؤهم ، فتلقى الباء ، فتكون « ما » فى موضع نصب (فَهُمْ غَافِلُونَ) يقول : فهم غافلون عما الله فاعل بأعدائه المشركين به ، من إحلال نقمته ، وسطوته بهم .

وقوله (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : لقد وجب العقاب على أكثرهم ، لأن الله قد حتم عليهم فى أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ، ولا يصدّقون رسوله .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ ، فَهُمْ مُقْمَحُونَ ، (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)

❊ يقول تعالى ذكره : إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال ، فلا تُبْسط بشىء من الخيرات ، وهى فى قراءة عبد الله فيما ذُكر : (إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ) .

وقوله (إِلَى الْأَذْقَانِ) يعنى : فأيمانهم مجموعة بالأغلال فى أعناقهم ، فكُنى عن الأيمان ، ولم يجر لها ذكر ، لمعرفة السامعين بمعنى الكلام ، وأن الأغلال إذا كانت فى الأعناق لم تكن إلاّ وأيدى المغلولين مجموعة بها إليها ، فاستغنى بذكر كون الأغلال فى الأعناق ، من ذكر الأيمان ، كما قال الشاعر :

---

(١) أى لم ينذر آباؤهم .

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا ‏ أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ ‏ أَمِ الشَّرُّ الَّذِي لا يَأْتَلِينِي[1]

فكنى عن الشرّ ، وإنما ذكر الخير وحده، لعلم سامع ذلك بمعنىّ قائله ، إذ كان الشرّ مع الخير يُذكر . والأذقان : جمع ذَقَن ، والذَّقَن : مجمع اللَّحْيَيْن .

وقوله (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) والمُقْمَح : هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير فى الصدر، ثم يرفع رأسه فى قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وفى قول بعض الكوفيين : هو الغاضّ بصره ، بعد رفع رأسه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) قال : هو كقول الله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) يعنى بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم ، لايستطيعون أن يبسُطوها بخير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) قال : رافعو رءوسهم ، وأيديهم موضوعة على أفواههم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) : أى فهم مغلولون عن كلّ خير .

وقوله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بين أيدى هؤلاء المشركين سدّا ، وهو الحاجز بين الشيئين ، إذا فتح كان من فعل بنى آدم ، وإذا كان من فعل الله كان بالضمّ ، وبالضمّ قرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين . وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين بفتح السين (سَدًّا) فى الحرفين كلاهما ، والضم أعجب القراءتين إلىّ فى ذلك ، وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة .

---

(١) البيتان من الوافر ، وهما لسحيم بن وثيل الرياحى . وقد سبق الاستشهاد بهما فى (١٤ : ١٥٧) عند قوله تعالى « سرابيل تقيكم الحر » فى سورة النحل . واستشهد بهما هنا على أن قوله « أريد الخير أيهما يلينى » أى أى الخير والشر يلينى ؟ فاكتفى بذكر الخير وكنى عن الشر ، إذ كان معلوما من السياق كما فى قوله تعالى « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا » إذ لم يصرح بذكر الأيمان ، لأن الأغلال إنما تكون فى الأعناق مع الأغلال . فاكتفى بالأغلال عن ذكر الأيمان . قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٦٧) وقوله : « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ، فهى إلى الأذقان » فكنى عن هى ، وهى للأيمان ، ولم تذكر . وذلك أن الغل لايكون إلا فى اليمين والعنق ، جامعا لليمين والعنق ، فيكفى ذكر أحدهما من صاحبه ، ومثله قول الشاعر : « وما أدرى . . . البيتين » . فكنى عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده . وذلك أن الشر يذكر مع الخير . وهى فى قراءة عبدالله : « إنا جعلنا فى أيمانهم أغلالا ، فهى إلى الأذقان » ، فكفت من ذكر « الأعناق » فى حرف عبد الله ، وكفت « الأعناق » من الأيمان ، فى قراءة العامة . والذقن : أسفل اللحيين .

وعنى بقوله (وَجَعَلْنَا مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يَعْمَهُون ، ولا يبصرون رشدا ، ولا يتنبهون حقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال : عن الحق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) عن الحق ، فهم يترددون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال : ضلالات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ) قال : جعل هذا سدا بينهم وبين الإسلام والإيمان ، فهم لايخلصون إليه ، وقرأ (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لايُؤْمِنُونَ) ، وقرأ (إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ) . . . الآية كلها ، وقال : من منعه الله لايستطيع . .

وقوله (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ) يقول : فأغشينا أبصار هؤلاء : أى جعلنا عليها غشاوة فهم لايبصرون هدى ولا ينتفعون به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ) هُدًى ، ولا ينتفعون به .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أبى جهل بن هشام حين حلف أن يقتله ، أو يشدخ رأسه بصخرة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا لأفعلنّ ولأفعلنّ ، فأنزلت (إنَّا جَعَلْنَا فِي أعْنَاقِهِمْ أغْلالاً) . . . إلى قوله (فَهُمْ لايُبْصِرُونَ) قال : فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ؟ أين هو لايبصره . وقد رُوى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ) بالعين ، بمعنى أعشيناهم عنه ، وذلك أن العشا هو أن يمشى بالليل ولا يبصر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : وسواء يامحمد على هؤلاء الذين حقّ عليهم القول ، أىّ الأمرين كان منك إليهم : الإنذار ، أو ترك الإنذار ، فإنهم لايؤمنون ، لأن الله قد حكم عليهم بذلك . وقوله (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) يقول تعالى ذكره : إنما ينفع إنذارك يامحمد من آمن بالقرآن،واتبع ما فيه من أحكام الله . (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ) يقول : وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين ، لاالمنافق الذى يستخفّ بدين الله إذا خلا،ويظهر الإيمان فى الملأ، ولاالمشرك الذى قد طبع الله على قلبه . وقوله (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) يقول: فبشر يامحمد هذا الذى اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وأَجْرٍ كَرِيمٍ) يقول : وثواب منه له فى الآخرة كريم ، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) واتباع الذكر : اتباع القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى) من خلقنا (وَنَكْتُبُ ما قدَّمُوا) فى الدنيا من خير وشرّ ، وصالح الأعمال وسيئها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى ، وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا) من عمل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا) قال : ما عملوا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما قَدَّمُوا) قال : أعمالهم .

وقوله (وآثارَهُمْ) يعني : وآثار خُطاهم بأرجلهم ، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقرب عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ الجهضميّ ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيريّ ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد ، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت (وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ) فقالوا : نثبت في مكاننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد ، فأرادوا أن ينتقلوا ، قال : فنزلت (وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ) فثبتوا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الجريريّ ، عن أبي نضرة ، عن جابر ، قال : أراد بنو سَلِمة قرب المسجد ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بَنِي سَلِمَةَ دِيارَكُمْ إنَّها تُكْتَبُ آثارُكُمْ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، قال : سمعت كهمسا يحدّث ، عن أبي نضرة ، عن جابر ، قال : أراد بنو سَلِمة أن يتحوّلوا إلى قُرب المسجد ، قال : والبقاع خالية ، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بَنِي سَلِمَةَ دِيارَكُمْ إنَّها تُكْتَبُ آثارُكُمْ » قال : فأقاموا وقالوا : مايسرّنا أنا كنا تحوّلنا .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن طريف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخُدريّ ، قال : « شكت بنو سَلِمة بُعد منازلهم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (إنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى ، وَنَكْتُبُ ماقَدَّمُوا وآثارَهُمْ) فقال : عَلَيْكُمْ مَنازِلَكُمْ تكْتَبُ آثارُكم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، قال : ثنا الحسين ، عن ثابت ، قال : مشيت مع أنس ، فأسرعت المشي ، فأخذ بيدي ، فمشينا رُويدا ، فلما قضينا الصلاة قال أنس : مشيت مع زيد بن ثابت ، فأسرعت المشي ، فقال : يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب ؟

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليَّة ، عن يونس ، عن الحسن أن بني سَلِمة كانت دورهم قاصية عن المسجد ، فهموا أن يتحوّلوا قرب المسجد ، فيشهدون الصلاة مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ألا تَحْتَسِبُونَ آثارَكُمْ يا بَنِي سَلِمَةَ ؟ فمكثوا في ديارهم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد ، في قوله (ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ) قال : خُطاهم بأرجلهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآثَارَهُمْ) قال : خطاهم .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآثَارَهُمْ) قال : قال الحسن : وآثارهم قال : خُطاهم . وقال قتادة : لو كان مُغْفِلا شيئا من شأنك يا بن آدم، أغفل ماتعفى الرياح من هذه الآثار .

وقوله (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه ، فأثبتناه فى أمّ الكتاب ، وهو الإمام المبين . وقيل : (مُبِين) ، لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قال : فى أمّ الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) : كلّ شيء محصىً عند الله فى كتاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قال : أمّ الكتاب التى عند الله فيها الأشياء كلها : هى الإمام المبين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ، فَقَالُوٓا۟ : إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : ومثّل يا محمد لمشركى قومك مثلا أصحابَ القرية ، ذُكر أنها أنطاكية (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) اختلف أهل العلم فى هؤلاء الرسل ، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية ، فقال بعضهم : كانوا رسل عيسى بن مريم ، وعيسى الذى أرسلهم إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : ذُكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريّين إلى أنطاكية، مدينة بالروم، فكذّبوهما، فأعزّهما بثالث ، (فَقَالُوا : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، قال : ثنى السدىّ ، عن عكرمة (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ) قال : أنطاكية .

وقال آخرون : بل كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن مُنَبِّه ، قال : كان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة ، يقال له أبطيحس بن أبطيحس، يعبد الأصنام ، صاحب شرك ، فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق ، ومصدوق ، وسلوم، فقدّم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان ، فكذّبوهما ، ثم عزّز الله بثالث ؛ فلما دعته الرسل ، ونادته بأمر الله، وصدعت بالذى أُمرت به ، وعابت دينه ، وما هم عليه ، قال لهم : (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ، لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ، وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) . وقوله (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) يقول تعالى ذكره : حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله، فكذّبوهما فشددناهما بثالث ، وقوّيناهما به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : شدّدنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : زدنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : جعلناهم ثلاثة ، قال : ذلك التعزّز ، قال : والتعزّز : القوّة .

وقوله (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) يقول : فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية : إنا إليكم أيها القومُ مرسلون ، بأن تُخلِصوا العبادة لله وحده، لاشريك له ، وتتبرّءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام. وبالتشديد فى قوله (فَعَزَّزْنَا) قرأت القرّاء سوى عاصم، فإنه قرأه بالتخفيف ، والقراءة عندنا بالتشديد ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وأن معناه : إذا شُدِّد فقوّينا ، وإذا خُفِّف : فغلبنا ، وليس لغلبنا فى هذا الموضع كثير معنى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا : رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)

❊ يقول تعالى ذكره : قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أُرسلوا إليهم ، حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به : ما أنتم أيها القوم إلا أُناس مثلنا ، ولو كنتم رسلا ، كما تقولون ، لكنتم ملائكة (وَمَا أَنْزَلَ

الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) يقول : قالوا : وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب، ولا أمركم فينا بشيء (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ) فى قيلكم إنكم إلينا مرسلون . (قَالُوا: رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) يقول قال الرسل : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه ، وإنا لصادقون (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) . يقول : وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التى أرسلنا بها إليكم، بلاغا يبين لكم أنا أبلغناكموها ، فان قبلتموها فحظَّ أنفسكم تصيبون ، وإن لم تقبلوها فقد أدّينا ما علينا ، والله ولىّ الحكم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ، لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ،وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب القرية للرسل : (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) يعنون : إنا تشاءمنا بكم ، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) قالوا : إن أصابنا شرّ ، فإنما هو من أجلكم .

وقوله (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) يقول : لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا ، والنهى عن عبادتنا لنرجمنكم قيل : عنى بذلك لنرْجُمنّكم بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) : يقول : ولينالنكم منا عذاب مُوجِع .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم ، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ، قَالَ : يَٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قالت الرسل لأصحاب القرية (طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ) يقولون : أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشرّ معكم ، ذلك كله فى أعناقكم ، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم ، وسبق لكم من الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (قَالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ) : أى أعمالكم معكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب ابن منبه ، قالت لهم الرسل : (طائِرُكُمْ مَعَكُمْ) : أى أعمالكم معكم .

وقوله (أئِنْ ذُكِّرْتُمْ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أئِنْ ذُكِّرْتُمْ) بكسر الألف من « إنْ » وفتح ألف الاستفهام، بمعنى :إن ذكّرناكم فعكم طائركم، ثم أدخل على « إن » التي هي حرف جزاء، ألفَ استفهام، في قول بعض نحويّ البصرة، وفي قول بعض الكوفيين منويّ به التكرير، كأنه قيل : قالوا طائركم معكم إن ذُكّرتم فعكم طائركم ، فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه .

وإنما أنكر قائل هذا القول، القول الأوّل، لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط ، فلا تكون شرطا لما قبل حرف الاستفهام . وذُكر عن أبي رَزين أنه قرأ ذلك (أئِنْ ذُكِّرْتُمْ) بمعنى :ألأن ذُكّرتم طائركم معكم؟. وذُكر عن بعض قارئيه أنه قرأه (قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أيْنَ ذُكِرْتُمْ) بمعنى : حيث ذُكِرتم ، بتخفيف الكاف من ذُكِرتم .

والقراءة التي لاتجيز القراءة بغيرها: القراءة التي عليها قرّاء الأمصار ، وهي دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء ، وتشديد الكاف ، على المعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كذلك ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أئِنْ ذُكِّرْتُمْ) : أى إن ذكّرناكم اللهَ تطيرتم بنا ؟ (بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) .

وقوله (بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) يقول: قالوا لهم : ما بكم التطيُّر بنا، ولكنكم قومٌ أهل معاص لله وآثام . قد غلَبت عليكم الذنوب والآثام .

وقوله (وَجاءَ مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) يقول : وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل، رجل يسعى إليهم ، وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا ، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة، فيما ذُكِر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصَى المدينة ، وكان مؤمنا ، وكان اسمه فيما ذُكر« حبيب بن مرى » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز ، قال : كان صاحب يس « حبيب بن مرى » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، قال: كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد بن إسحاق، فيما بلغه ، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه اليمانيّ، أنه كان رجلا من أهل أنطاكية ، وكان اسمه«حبيبا»، وكان يعمل الحَرير ، وكان رجلا سقيما ، قد أسرع فيه الجُذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيا ، وكان مؤمنا ذا صدَقة ، يجمع كسبه إذا أمسى ،فيما يذكرون ، فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفا عياله ، ويتصدّق بنصف . فلم يُهِمّه سقمه ولا عمله ولا ضعفه ، عن عمل ربه ، قال : فلما أجمع

قومه على قتل الرسل ، بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين ، فقال (يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم ، أنه حُدِّث عن كعب الأحبار ، قال : ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار ، الذى كان مسيلمة الكذّاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، ثم يقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول له : لا أسمع ، فيقول مسيلمة : أتسمع هذا ، ولا تسمع هذا ؟ فيقول : نعم . فجعل يقطعه عُضْوا عضوا ، كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه . قال كعب حين قيل له اسمه حبيب ، وكان والله صاحب يس اسمه حبيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب يس حبيبا ، وكان الجُذام قد أسرع فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) قال : ذُكر لنا أن اسمه حبيب ، وكان في غار يعبد ربه ، فلما سمع بهم أقبل إليهم ، وقوله (قَالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ) يقول تعالى ذكره : قال الرجل الذى جاء من أقصى المدينة لقومه : ياقوم اتبعوا المرسلين ، الذين أرسلهم الله إليكم ، واقبلوا منهم ما أتوكم به .

وذُكر أنه لما أتى الرسلُ سألهم : هل يَطلبون على ماجاءوا به أجرا ؟ فقالت الرسل : لا ، فقال لقومه حينئذ : اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما انتهى إليهم ، يعني إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : (يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ ، اتَّبِعوا مَنْ لايَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه (اتَّبِعُوا مَنْ لايَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) : أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون ، فاتّبعوهم تهتدوا بهداهم . وقوله (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وهم على استقامة من طريق الحقّ ، فاهتدوا أيها القوم بهداهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ من دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ

الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الرجل المؤمن: (وَمَالِيَ لَاأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) : أى وأىّ شىء لى لاأعبد الربّ الذى خلقنى؟ (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تصيرون أنتم أيها القوم، وتردّون جميعا، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه، قال : ناداهم ، يعنى نادى قومه، بخلاف ماهم عليه من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لايملك نفعه ، ولا ضرّه غيره ، فقال (وَمَا لِيَ لَاأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي،وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، أَءَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) ، ثم عابها ، فقال : (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) وشدّة (لاتُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ) . وقوله (أَءَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) يقول : أأعبد من دون الله آلهة ، يعنى معبودا سواه (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) يقول : إذ مسّنى الرحمن بضرّ وشدّة (لاتُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا) يقول : لاتغنى عنى شيئا بكونها لى شفعاء ، ولا تقدر على دفع ذلك الضرّ عنى (وَلَا يُنْقِذُونِ) يقول : ولا يخلصونى من ذلك الضرّ إذا مسّنى . .

وقوله (إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : (إنى) إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها، (إذن لفى ضلال مبين) لمن تأمله : جوره عن سبيل الحقّ .

وقوله (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) فاختلف فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : قال هذا القول هذا المؤمنُ لقومه ، يعلمهم إيمانه بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب بن منبه (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) إنى آمنت بربكم الذى كفرتم به ، فاسمعوا قولى .

وقال آخرون : بل خاطب بذلك الرسلَ ، وقال لهم : اسمعوا قولى، لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى، وأنى قد آمنت بكم واتبعتكم ، فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه ، وثبوا به فقتلوه .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم إياه ، فقال بعضهم : رجموه بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا لِيَ لَاأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟) هذا رجل دعا قومه إلى الله ، وأبدى لهم النصيحة ، فقتلوه على ذلك . وذُكر لنا أنهم كانوا

يرجمونه بالحجارة ، وهو يقول : اللّهمّ اهدِ قومى ، اللهمّ اهدِ قومى ، اللهمّ اهدِ قومى ، حتى أقْعَصُوه وهو كذلك .

وقال آخرون : بل وثبوا عليه ، فوطئوه بأقدامهم حتى مات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب ابن منبه قال لهم : (وَمالىَ لاأعْبُدُ الّذِى فَطَرَنِى) . . . إلى قوله (فاسْمَعُونِ) وثبوا وثبة رجل واحد ، فقتلوه واستضعفوه ، لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُه من دُبُره .

القول فى تأويل قوله تعالى

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ، قَالَ : يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ، وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقيه : (ادْخُلِ الجَنَّةَ) فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه (قالَ يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لى رَبّى) يقول : يا ليتهم يعلمون أن السبب الذى من أجله غفر لى ربى ذنوبى ، وجعلنى من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته ، كان إيمانى بالله ، وصبرى فيه ، حتى قتلت ، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول : قال الله له : ادخل الجنة ، فدخلها حيا يُرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته وكرامته (قالَ : يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لى رَبّى وَجَعَلَنِى مِنَ المُكْرَمِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ) فلما دخلها (قالَ يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لى رَبّى وَجَعَلَنِى مِنَ المُكْرَمِينَ) قال : فلا تلقى المؤمن إلا ناصحا ، ولا تلقاه غاشا ، فلما عاين ماعاين من كرامة الله (قالَ يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لى رَبّى ،وَجَعَلَنِى مِنَ المُكْرَمِينَ) تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله ،وما هجم عليه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ) قال : قيل : قد وجبت له الجنة ، قال ذاك حين رأى الثواب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ) قال : وجبت لك الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن مجاهد (قيلَ ادْخُلِ الجَنَّةِ) قال : وجبت له الجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبى مجلز ، فى قوله (بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى) قال : إيمانى بربى ، وتصديق رسله .

والله أعلم

تمّ الجزء الثانى والعشرون ، من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ
ويليه الجزء الثالث والعشرون
وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا على قَوْمِهِ) .

جامع البيان

عن

تأويل آى القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثالث والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

فهارس

الجزء الثالث والعشرين من جامع البيان ، للإمام محمد بن جرير الطبرى

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة يس	
٢٨	وما أنزلنا على قومه من بعده . . .	١
٢٩	إن كانت إلا صيحة واحدة . . .	١
٣٠	يا حسرةً على العباد . . .	٢
٣١	ألم يروا كم أهلكنا قبلهم . . .	٣
٣٢	وإن كلٌّ لما جميعٌ لدينا محضَرون .	٣
٣٣	وآيةٌ لهم الأرضُ الميتة أحييناها . . .	٤
٣٤	وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب . . .	٤
٣٥	ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم . . .	٤
٣٦	سبحان الذى خلق الأزواج كلها . . .	٥
٣٧	وآيةٌ لهم الليلُ نسلَخ منه النهار . . .	٥
٣٨	والشمس تجرى لمستقرّ لها . . .	٥
٣٩	والقمر قدّرناه منازل . . .	٦
٤٠	لاالشمس ينبغى لها أن تدْرِك القمر . . .	٦
٤١	وآية لهم أناحملنا ذُرِّيّتهم فى الفلك المشحون	٩
٤٢	وخلقنا لهم من مثله ما يركبون .	٩
٤٣	وإن نشأ نغرقْهم فلا صريخَ لهم . . .	٩
٤٤	إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين .	٩
٤٥	وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم . . .	١١
٤٦	وما تأتيهم من آية من آيات ربهم . . .	١١
٤٧	وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله . . .	١٢
٤٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	١٣
٤٩	ما ينظرون إلا صيحةً واحدة . . .	١٣
٥٠	فلا يستطيعون توصية . . .	١٣
٥١	ونُفِخ فى الصُّور فإذا هم منَ الأجداث . .	١٥
٥٢	قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقَدنا . . .	١٥
٥٣	إن كانت إلا صيحة واحدة . . .	١٥
٥٤	فاليوم لاتظلم نفس شيئا . . .	١٧
٥٥	إن أصحاب الجنة اليوم فى شُغُل فاكهون .	١٧
٥٦	هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك . . .	١٩
٥٧	لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون .	١٩
٥٨	سلام قولا من ربّ رحيم .	١٩
٥٩	وامتازوا اليوم أيها المجرمون .	٢٢
٦٠	ألم أعهد إليكم يا بنى آدم . . .	٢٢
٦١	وأنِ اعبدونى ، هذا صراط مستقيم .	٢٢
٦٢	ولقد أضلّ منكم جبِلاًّ كثيرا . . .	٢٣
٦٣	هذه جهنم التى كنتم توعدون . . .	٢٣
٦٤	اصلَوْها اليوم بما كنتم تكفرون .	٢٣
٦٥	اليوم نختم على أفواههم . . .	٢٤
٦٦	ولو نشاء لطمسنا على أعينهم .	٢٤
٦٧	ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم . . .	٢٤
٦٨	ومن نعمره ننكسه فى الخلق . . .	٢٦
٦٩	وما علمناه الشعر . . .	٢٦
٧٠	لينذر من كان حيا . . .	٢٦
٧١	أو لم يروا أنا خلقنا لهم . . .	٢٨
٧٢	وذللناها لهم فمنها ركوبهم . . .	٢٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٣	ولهم فيها منافع ومشارب . . .	٢٩
٧٤	واتخذوا من دون الله آلهة . . .	٢٩
٧٥	لايستطيعون نصرهم . . .	٢٩
٧٦	فلا يحزنك قولهم . . .	٢٩
٧٧	أو لم ير الإنسان أنا خلقناه . . .	٣٠
٧٨	وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . . .	٣٠
٧٩	قل يحييها الذى أنشأها . . .	٣٠
٨٠	الذى جعل لكم من الشجر الأخضر . . .	٣١
٨١	أو ليس الذى خلق السموات . . .	٣١
٨٢	إنما أمره إذا أراد شيئا . . .	٣٢
٨٣	فسبحان الذى بيده ملكوت . . .	٣٢

تفسير سورة الصافات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	والصافات صفا .	٣٣
٢	فالزّاجرات زجرا .	٣٣
٣	فالتاليات ذكرا .	٣٣
٤	إن إلهكم لواحد .	٣٤
٥	ربّ السموات والأرض وما بينهما .	٣٤
٦	إنا زينا السماء الدنيا . . .	٣٤
٧	وحفظا من كلّ شيطان مارد .	٣٤
٨	لايسّمّعون إلى الملإ الأعلى . . .	٣٤
٩	دُحورا ولهم عذاب واصب .	٣٤
١٠	إلا من خطِف الخطفة . . .	٣٤
١١	فاستفتهم أهم أشدّ خلقا . . .	٤١
١٢	بل عجِبت ويسخرون .	٤٢
١٣	وإذا ذُكّروا لايذكرون .	٤٤
١٤	وإذا رأوا آية يستسخرون .	٤٤
١٥	وقالوا إنْ هذا إلا سحر مبين .	٤٤
١٦	أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٤
١٧	أوَ آباؤنا الأوّلون .	٤٤
١٨	قل نعم وأنتم داخرون .	٤٤
١٩	فإنما هى زَجْرة واحدة .	٤٤
٢٠	وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين .	٤٥
٢١	هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذّبون .	٤٥
٢٢	احشُروا الذين ظلموا وأزواجهم . . .	٤٦
٢٣	من دون الله . . .	٤٦
٢٤	وقفوهم إنهم مسئولون .	٤٨
٢٥	ما لكم لاتناصرون .	٤٨
٢٦	بل هم اليوم مستسلمون .	٤٨
٢٧	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٤٨
٢٨	قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين .	٤٩
٢٩	قالوا بل لم تكونوا مؤمنين .	٤٩
٣٠	وما كان لنا عليكم من سلطان .	٤٩
٣١	فحقّ علينا قول ربنا . . .	٥٠
٣٢	فأغويناكم إنا كنا غاوين .	٥٠
٣٣	فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون .	٥٠
٣٤	إنا كذلك نفعل بالمجرمين .	٥٠
٣٥	إنهم كانوا إذا قيل لهم . . .	٥١
٣٦	ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا . . .	٥١
٣٧	بل جاء بالحق وصدق المرسلين .	٥١
٣٨	إنكم لذائقو العذابِ الأليم .	٥٢
٣٩	وما تجزون إلا ما كنتم تعملون .	٥٢
٤٠	إلا عباد الله المخلصين . . .	٥٢
٤١	أولئك لهم رزق معلوم .	٥٢
٤٢	فواكه وهم مكرمون .	٥٢
٤٣	فى جنات النعيم .	٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	على سُرُرٍ متقابلين .	٥٢
٤٥	يطاف عليهم بكأس من مَعين .	٥٢
٤٦	بيضاء لذّة للشاربين .	٥٢
٤٧	لافيها غَوْل ولا هم عنها يُنْزَفون .	٥٢
٤٨	وعندهم قاصرات الطرف عين .	٥٦
٤٩	كأنهنّ بيض مكنون .	٥٦
٥٠	فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٥٦
٥١	قال قائل منهم إنى كان لى قرين .	٥٨
٥٢	يقول أئنك لمن المصدقين .	٥٨
٥٣	أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٥٨
٥٤	قال هل أنتم مطلعون .	٦٠
٥٥	فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . .	٦٠
٥٦	قال تالله إن كِدتَ لَتُرْدِين . .	٦٠
٥٧	ولولا نعمة ربى لكنت من المحضَرين .	٦٠
٥٨	أفما نحن بميتين .	٦٢
٥٩	إلا موتتَنا الأولى .	٦٢
٦٠	إنّ هذا لهو الفوز العظيم .	٦٢
٦١	لمثل هذا فليعمل العاملون .	٦٢
٦٢	أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ؟	٦٣
٦٣	إنا جعلناها فتنة للظالمين .	٦٣
٦٤	إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم .	٦٣
٦٥	طلعها كأنه رءوس الشياطين .	٦٣
٦٦	فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون .	٦٣
٦٧	ثم إن لهم عليها لَشَوْبا من حميم .	٦٤
٦٨	ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم .	٦٤
٦٩	إنهم ألفوا آباءهم ضالّين .	٦٤
٧٠	فهم على آثارهم يُهْرَعون .	٦٤
٧١	ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين .	٦٦
٧٢	ولقد أرسلنا فيهم مُنْذِرين .	٦٦
٧٣	فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين .	٦٦
٧٤	إلا عباد الله المخلصين .	٦٦
٧٥	ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون .	٦٧
٧٦	ونجيناه وأهله من الكرب العظيم .	٦٧
٧٧	وجعلنا ذريته هم الباقين .	٦٧
٧٨	وتركنا عليه فى الآخرين .	٦٨
٧٩	سلام على نوح فى العالمين .	٦٨
٨٠	إنا كذلك نجزى المحسنين .	٦٨
٨١	إنه من عبادنا المؤمنين .	٦٨
٨٢	ثم أغرقنا الآخرين .	٦٨
٨٣	وإنّ من شيعته لإبراهيم .	٦٩
٨٤	إذ جاء ربه بقلب سليم .	٦٩
٨٥	إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟	٦٩
٨٦	أئفكا آلهة دون الله تريدون ؟	٦٩
٨٧	فما ظنكم بربّ العالمين ؟	٧٠
٨٨	فنظر نظرة فى النجوم .	٧٠
٨٩	فقال إنى سقيم .	٧٠
٩٠	فتولّوا عنه مدبرين .	٧٠
٩١	فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ؟	٧٠
٩٢	مالكم لاتنطقون ؟	٧٠
٩٣	فراغ عليهم ضربا باليمين .	٧٣
٩٤	فأقبلوا إليه يزِفّون .	٧٣
٩٥	قال أتعبدون ما تنحتون ؟	٧٣
٩٦	والله خلقكم وما تعملون .	٧٣
٩٧	قالوا ابنوا له بنيانا .	٧٥
٩٨	فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين .	٧٥
٩٩	وقال إنى ذاهب إلى ربى .	٧٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٠	ربّ هب لى من الصالحين .	٧٥
١٠١	فبشرناه بغلام حليم .	٧٦
١٠٢	فلما بلغ معه السعىَ . . .	٧٦
١٠٣	فلما أسلما وتلّه للجبين .	٧٩
١٠٤	وناديناه أن يا إبراهيم .	٧٩
١٠٥	قد صدّقت الرؤيا . . .	٧٩
١٠٦	إن هذا لهو البلاء المبين .	٧٩
١٠٧	وفدّيناه بذِبح عظيم .	٨١
١٠٨	وتركنا عليه فى الآخرين .	٨١
١٠٩	سلام على إبراهيم .	٨١
١١٠	كذلك نجزى المحسنين .	٨١
١١١	إنه من عبادنا المؤمنين .	٨١
١١٢	وبشرناه بإسحاقَ نبيا من الصالحين .	٨٩
١١٣	وباركنا عليه وعلى إسحاق .	٨٩
١١٤	ولقد مننا على موسى وهارون .	٩٠
١١٥	ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم .	٩٠
١١٦	ونصرناهم فكانوا هم الغالبين .	٩٠
١١٧	وآتيناهما الكتاب المستبين .	٩٠
١١٨	وهديناهما الصراط المستقيم .	٩٠
١١٩	وتركنا عليهما فى الآخرين .	٩٠
١٢٠	سلام على موسى وهارون .	٩٠
١٢١	إنا كذلك نجزى المحسنين .	٩٠
١٢٢	إنهما من عبادنا المؤمنين .	٩٠
١٢٣	وإن إلياسَ لمن المرسلين .	٩١
١٢٤	إذ قال لقومه ألا تتقون ؟	٩١
١٢٥	أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ؟	٩١
١٢٦	الله ربكم وربّ آبائكم الأوّلين .	٩١
١٢٧	فكذّبوه فإنهم لمحضرون .	٩١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢٨	إلا عباد الله المخلَصين .	٩١
١٢٩	وتركنا عليه فى الآخرين .	٩١
١٣٠	سلام على إلياسين .	٩٤
١٣١	إنا كذلك نجزى المحسنين .	٩٤
١٣٢	إنه من عبادنا المؤمنين .	٩٤
١٣٣	وإن لوطا لمن المرسلين .	٩٧
١٣٤	إذ نجيناه وأهله أجمعين .	٩٧
١٣٥	إلا عجوزا فى الغابرين .	٩٧
١٣٦	ثم دمرنا الآخَرين .	٩٧
١٣٧	وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين .	٩٧
١٣٨	وبالليل أفلا تعقلون .	٩٧
١٣٩	وإن يونس لمن المرسلين .	٩٨
١٤٠	إذ أبق إلى الفلك المشحون .	٩٨
١٤١	فساهم فكان من المدحَضين .	٩٨
١٤٢	فالتقمه الحوت وهو مليم .	٩٨
١٤٣	فلولا أنه كان من المسبحين .	٩٩
١٤٤	للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون .	٩٩
١٤٥	فنبذناه بالعراء وهو سقيم .	٩٩
١٤٦	وأنبتنا عليه شجرة من يقطين .	٩٩
١٤٧	وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون .	١٠٤
١٤٨	فآمنوا فمتعناهم إلى حين .	١٠٤
١٤٩	فاستفتهم ألربك البنات . . . ؟	١٠٤
١٥٠	أم خلقنا الملائكة إناثا . . . ؟	١٠٦
١٥١	ألا إنهم من إفكهم ليقولون .	١٠٦
١٥٢	ولَدَ الله ، وإنهم لكاذبون .	١٠٦
١٥٣	أصطفى البنات على البنين ؟	١٠٦
١٥٤	مالكم كيف تحكمون ؟	١٠٦
١٥٥	أفلا تذكرون ؟	١٠٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	أم لكم سلطان مبين ؟	١٠٦
١٥٧	فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين .	١٠٦
١٥٨	وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا .	١٠٧
١٥٩	سبحان الله عما يصفون .	١٠٧
١٦٠	إلا عباد الله المخلصين .	١٠٧
١٦١	فإنكم وما تعبدون . . .	١٠٩
١٦٢	ما أنتم عليه بفاتنين .	١٠٩
١٦٣	إلا من هو صال ِ الجحيم .	١٠٩
١٦٤	وما منا إلا له مقام معلوم .	١٠٩
١٦٥	وإنا لنحن الصافون .	١١١
١٦٦	وإنا لنحن المسبحون .	١١١
١٦٧	وإن كانوا ليقولون .	١١١
١٦٨	لو أن عندنا ذكرا من الأولين .	١١١
١٦٩	لكنا عباد الله المخلصين .	١١١
١٧٠	فكفروا به فسوف يعلمون .	١١٤
١٧١	ولقد سبقت كلمتنا . . .	١١٤
١٧٢	إنهم لهم المنصورون .	١١٤
١٧٣	وإن جندنا لهم الغالبون .	١١٤
١٧٤	فتول ّ عنهم حتى حين .	١١٤
١٧٥	وأبصر فسوف يُبْصرون .	١١٤
١٧٦	أفبعذابنا يستعجلون ؟	١١٤
١٧٧	فإذا نزل بساحتهم . . .	١١٤
١٧٨	وتول ّ عنهم حتى حين .	١١٦
١٧٩	وأبصر فسوف يبصرون .	١١٦
١٨٠	سبحان ربك رب ّ العزّة عما يصفون .	١١٦
١٨١	وسلام على المرسلين .	١١٦
١٨٢	والحمد لله رب ّ العالمين .	١١٦

تفسير سورة ص ّ

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	ص ّ والقرآن ذى الذكر .	١١٧
٢	بل الذين كفروا فى عزّة وشقاق .	١١٧
٣	كم أهلكنا من قبلهم من قَرْن . . .	١٢٠
٤	وعَجِبوا أن جاءهم منذر منهم . . .	١٢٤
٥	أجعل الآلهة إلها واحدا . . . ؟	١٢٤
٦	وانطلق الملأ منهم أن ِ امشُوا . . .	١٢٦
٧	ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة . . .	١٢٦
٨	أَ ءُنزِل عليه الذكر من بيننا . . . ؟	١٢٨
٩	أم عندهم خزائن رحمة ربك . . .	١٢٨
١٠	أم لهم ملك السموات والأرض . . .	١٢٩
١١	جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .	١٢٩
١٢	كذبت من قبلهم قوم نوح وعاد . . .	١٣٠
١٣	وثمود وقوم لوط . . .	١٣٠
١٤	إن كل ّ إلا كذب الرسل . . .	١٣٠
١٥	وما ينظر هؤلاء إلا صيحة . . .	١٣٢
١٦	وقالوا ، بنا عجل ْ لنا قِطّنا . . .	١٣٢
١٧	اصبر على ما يقولون . . .	١٣٥
١٨	إنا سخرنا الجبال معه . . .	١٣٥
١٩	والطّيْرَ محشورة كل ّ له أوّاب .	١٣٦
٢٠	وشددنا ملكه وآتيناه . . .	١٣٦
٢١	وهل أتاك نبأ الخصم . . .	١٤١
٢٢	إذ دخلوا عليه ففزع منهم . . .	١٤١
٢٣	إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة .	١٤٣
٢٤	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك . . .	١٤٤
٢٥	فغفرنا له ذلك . . .	١٥١
٢٦	يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض . . .	١٥١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	وما خلقنا السماء والأرض . . .	١٥٢
٢٨	أم نجعل الذين آمنوا . . .	١٥٢
٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا ...	١٥٢
٣٠	ووهبنا لداود سليمان نعم العبد . . .	١٥٣
٣١	إذ عرض عليه بالعشى الصافنات . . .	١٥٣
٣٢	فقال إنى أحببت حبّ الخير . . .	١٥٣
٣٣	ردّوها علىّ ، فطفق مَسْحا . . .	١٥٣
٣٤	ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه . . .	١٥٦
٣٥	قال ربّ اغفر لى وهب لى ملكا . . .	١٥٦
٣٦	فسخرنا له الريح تجرى بأمره . . .	١٦٠
٣٧	والشياطين كلّ بناء وغوّاص .	١٦٠
٣٨	وآخرين مُقَرَّنين فى الأصفاد .	١٦٠
٣٩	هذا عطاؤنا فامنن . . .	١٦٠
٤٠	وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .	١٦٠
٤١	واذكر عبدنا أيوب . . .	١٦٥
٤٢	اركُض برجلك هذا مغتَسَل بارد ...	١٦٥
٤٣	ووهبنا له أهله ومثلَهم معهم . . .	١٦٧
٤٤	وخذ بيدك ضغثا فاضرب به . . .	١٦٧
٤٥	واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق . . .	١٦٩
٤٦	إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . . .	١٦٩
٤٧	وإنهم عندنا لمن المصطَفَين الأخيار ...	١٦٩
٤٨	واذكر إسماعيل واليَسَع وذا الكفل ...	١٧٢
٤٩	هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب .	١٧٢
٥٠	جنات عدن مفتحة لهم الأبواب .	١٧٣
٥١	متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة . . .	١٧٣
٥٢	وعندهم قاصرات الطرف أتراب .	١٧٤
٥٣	هذا ما توعدون ليوم الحساب .	١٧٤
٥٤	إن هذا لرزقنا ماله من نفاد .	١٧٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	هذا وإن للطاغين لشرّ مآب .	١٧٥
٥٦	جهنم يصلونها فبئس المهاد .	١٧٥
٥٧	هذا فليذوقوه حميم وغسّاق .	١٧٥
٥٨	وآخر من شكله أزواج .	١٧٥
٥٩	هذا فوج مقتحِم معكم لامرحبا بهم ...	١٧٥
٦٠	قالوا بل أنتم لامرحبا بكم . . .	١٧٥
٦١	قالوا رَبنا من قدّم لنا هذا . . .	١٨٠
٦٢	وقالوا مالنا لانرى رجالا . . .	١٨٠
٦٣	أتخذناهم سِخْريا أم زاغت عنهم الأبصار؟	١٨٠
٦٤	إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار .	١٨٠
٦٥	قل إنما أنا منذر . . .	١٨٢
٦٦	ربّ السموات والأرض وما بينهما . . .	١٨٣
٦٧	قل هو نبأ عظيم .	١٨٣
٦٨	أنتم عنه معرضون .	١٨٣
٦٩	ماكان لى من علم بالملأ الأعلى . . .	١٨٣
٧٠	إن يوحى إلىّ إلا أنما أنا نذير مبين .	١٨٣
٧١	إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا . . .	١٨٤
٧٢	فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحى . . .	١٨٤
٧٣	فسجد الملائكة كلهم أجمعون .	١٨٤
٧٤	إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين .	١٨٤
٧٥	قال يا إبليس مامنعك أن تسجد . . .	١٨٥
٧٦	قال : أنا خير منه خلقتنى من نار . . .	١٨٥
٧٧	قال فاخرج منها فإنك رجيم .	١٨٦
٧٨	وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين .	١٨٦
٧٩	قال ربّ فأنظرنى إلى يوم يبعثون .	١٨٦
٨٠	قال فإنك من المنظرين .	١٨٦
٨١	إلى يوم الوقت المعلوم .	١٨٦
٨٢	قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين .	١٨٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٣	إلا عبادك منهم المخلَصين .	١٨٦
٨٤	قال فالحقُّ والحقَّ أقول .	١٨٧
٨٥	لأملأنّ جهنم منك . . .	١٨٧
٨٦	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	١٨٧
٨٧	إن هو إلا ذكر للعالمين .	١٨٨
٨٨	ولتعلمنّ نبأه بعد حين .	١٨٨
	تفسير سورة الزُّمَر	
١	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .	١٩٠
٢	إنا أنزلنا إليك الكتاب . . .	١٩٠
٣	ألا لله الدين الخالص . . .	١٩٠
٤	لو أراد الله أن يتخذ ولدا . . .	١٩٢
٥	خلق السموات والأرض بالحقّ . . .	١٩٢
٦	خلقكم من نفس واحدة . . .	١٩٣
٧	إن تكفروا فإن الله غنيّ عنكم . . .	١٩٧
٨	وإذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربه . . .	١٩٨
٩	أمّن هو قانت آناء الليل . . .	٢٠٠
١٠	قل يا عبادِ الذين آمنوا . . .	٢٠٣
١١	قل إنى أمرت أن أعبد الله . . .	٢٠٤
١٢	وأمرت لأن أكون أوّل المسلمين . . .	٢٠٤
١٣	قل إنى أخاف إن عصيتُ ربى . . .	٢٠٤
١٤	قل اللهَ أعبد مخلصا له دينى .	٢٠٤
١٥	فاعبدوا ما شئتم من دونه . . .	٢٠٤
١٦	لهم من فوقهم ظلل من النار . . .	٢٠٥
١٧	والذين اجتنبوا الطاغوت . . .	٢٠٥
١٨	الذين يستمعون القول . . .	٢٠٥
١٩	أفمن حقّ عليه كلمة العذاب .	٢٠٧
٢٠	لكن الذين اتَّقَوا ربهم . . .	٢٠٧
٢١	ألم تر أن الله أنزل من السماء . . .	٢٠٨
٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام . . .	٢٠٩
٢٣	الله نزّل أحسن الحديث كتابا . . .	٢٠٩
٢٤	أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب . . .	٢١١
٢٥	كذب الذين من قبلهم . . .	٢١١
٢٦	فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا . . .	٢١٢
٢٧	ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن	٢١٢
٢٨	قرآنا عربيا غير [ذى عوج . . .	٢١٢
٢٩	ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء . . .	٢١٣

٢ — فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله تعالى « وما أنزلنا على قومه » . والصواب فى معنى الجند بعد ذكر الخلاف فيه .

٢ تأويل قوله « يا حسرةً على العباد » ، وأن الحسرة من العباد على أنفسها .

٥ معنى سلخ الليل من النهار ، وما ورد فى الشمس وغروبها وسجودها .

٦ تأويل قوله « والقمر قدّرناه منازل » . . . الآية . ووجه تشبيه القمر بالعُرْجون .

١٠ المراد بالمثل فى قوله « وخلقنا لهم » . . . الخ .

١١ تأويل قوله « وإذا قيل لهم اتقوا » . . . الآية ، وأن المراد بما بين الأيدى هى الذنوب .

١٥ الصور والنفخات الثلاث التى تنفخ فيه .

١٧ نعيم أهل الجنة الذى هو شغل لهم .

٢٠ تأويل قوله « هم وأزواجهم » . . . الآية ، والسلام الذى يكون لأهل الجنة من الله .

٢٢ ما يأمر الله به جهنم يوم القيامة ، وما يخاطب به أهل الموقف .

٢٤ كيفية الحساب الواقع يوم القيامة للمؤمن والكافر

٢٦ تأويل قوله « ومن نُعَمِّره » . . . الآية، وأن القرآن مستبين أمره لمن كان غير ميت الفؤاد بليد .

٢٨ ما يطلق عليه النَّعَم من الحيوان .

الصفحة

٣٠ تأويل قوله « أو لم ير الإنسان » ، وسبب نزول الآية .

تفسير سورة الصافات

٣٥ عدد مشارق الشمس ومغاربها .

٣٦ ما كانت تفعله الشياطين من استراق السمع ، وما فعلته بعد منعها .

٣٩ العذاب المرسل على من يسترق السمع الآن من الشياطين .

٤٢ ما تفعله العرب من إبدال بعض الحروف ببعض ، والشواهد على ذلك .

٤٣ بيان أن القراءتين ربما يختلف معناهما ، ولا يلزم من ذلك التنزيل مرّتين .

٤٦ تأويل قوله « احشروا الذين ظلموا » . . . الآية ، والمراد من الأزواج .

٤٨ ما يتجلى الله به لليهود والنصارى يوم القيامة .

٥٠ تأويل قوله « قالوا بل لم تكونوا مؤمنين » ، وما يجرى بين الإنس والجنّ من التحاور يوم القيامة .

٥٢ صفة شراب أهل الجنة .

٥٧ الصواب فى لون نساء أهل الجنة .

٥٨ تأويل قوله « قال قائل منهم » . . . الآية . وسوق قصة شريكين اكتسبا مالا ، فتصدّق أحدهما ، وبخل الآخر .

الصفحة
٦٣ الشبهة التى أوردها المشركون على شجرة الزقوم ، وما ردّ الله به عليهم .
٦٤ تأويل قوله « ثم إن لهم عليها لشوبا » . . . الآية ، ومعنى الشوب .
٦٧ نسبة أصناف العالم إلى نوح .
٧٠ ما فعله إبراهيم عليه السلام حين قال « إنى سقيم » من إظهار الاعتلال وكسر الأصنام .
٧٦ تأويل قوله « فبشرناه بغلام حليم » ، وأن المبشر به إسحاق .
٨١ تأويل قوله « وفديناه بذبح عظيم » ، والخلاف فى الذبيح ، وذكر الدلائل لكلّ .
٨٥ ما اختاره المفسر من أن الذبيح إسحاق ، وسوق الأدلة على ذلك .
٩١ إلياس ومبعثه ، وسوق طَرَف من تاريخه .
٩٨ تأويل قوله « وإن يونس » . . . الآية ، وسوق طَرَف من تاريخه .
١٠٧ تأويل قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » والقول الذى كانوا يقولونه .
١١٢ ما ورد من أن السموات مملوءة بالملائكة .
١١٧ تفسير سورة صٓ
١٢٠ تأويل قوله « كم أهلكنا قبلهم من قرن » ، والشواهد على عمل لاتَ .
١٢٥ ما قالته قريش لأبى طالب فى شأن رسول الله ، وما فعلوه حين اجتمع بهم عند عمه .
١٣٠ السبب فى تسمية فرعون ذى الأوتاد .

الصفحة
١٣٢ تأويل قوله « وما ينظر هؤلاء » .
١٣٤ الخلاف فى المراد بالقِطّ .
١٣٦ تأويل قوله « اصبر على ما يقولون » ، وذكر طرف من تاريخ ملك داود .
١٤١ ما حصل لنبىّ الله داود من دخول الملائكة عليه ، وما قيل فى أسباب ذلك .
١٥٣ تأويل قوله « ووهبنا لداود سليمان » ، وما عرض على نبىّ الله سليمان .
١٥٦ ما قيل فى فتنة نبىّ الله سليمان .
١٦٠ ما أُعْطِيه نبىّ الله سليمان .
١٦٥ تأويل قوله « واذكر عبدنا أيوب » ، وما حصل له من المرض ، وما تمّ له بعد ذلك .
١٦٩ تأويل قوله « واذكر عبادنا إبراهيم » . . . الآية ، ومعنى خالصة الدار .
١٧٥ طرف من عذاب أهل النار .
١٨٣ تأويل قوله « قل هو نبأ عظيم » . . . الآية ، واختصام الملأ الأعلى فى أمر آدم .
١٨٥ من سجد من الملائكة لآدم .
١٩٠ تفسير سورة الزُّمَر
١٩١ ما كانت تقوله المشركون فى عبادتهم لآلهتهم .
١٩٣ تأويل قوله « خلقكم من نفس واحدة » .
١٩٦ الصواب فى الظلمات الثلاث .
٢٠٩ تأويل قوله « أفمن شرح الله صدره » ، ووجه ترك المقابل فى الآية .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
أ	
بقاءِ	١٢٢
ب	
وسيَذهَبُ	١٦٥
لاتِبُ	٤٢
كاذبِ . والحَواجِبِ	١٧٣
لازِبِ	٤٢
الكَواكِبِ	١٦٥
مُتطيِّبِ	١٦٨
مُصْعَبِ	١٤١
ثيابِى	١٠١
واصِبا	٤٠
الرِّقابا	١٧٤
ح	
شَراحِى	٦١
د	
عَضُدُ	٢٠١
أبعَدُ	١٤٢
ومَحصُودُ	١٧٦
ولا جُحُدِ	١٦٥
التَّعدِّى . الجهدِ	١٩٤
ر	
تامِرْ	١٩
التَّحريرُ	٧٢
أمجَرا	٥٥
وأقهَرا	٧٤
ص	
وتَبُوصُ	١٢٠
ض	
مَناصُ . خَصاصُ	١٢٠
ع	
لو رَضِعا	١٣٣
مَدفَعا	٢٠١
ف	
أحلِفُ . أعرِفُ	٦٤
زُقُفُ	٧٣
قارِفُ	٣٩
ق	
ويأفِقُ	١٣٤
مُضيَّقِ	١٧٩
ك	
الأرائكِ	٢٠
ل	
تَتْلُو	١٧٦
يُغلُّوا	١٩٩
يُخبِلُوا	١٩٩
الوَقِلُ . جبَلُ	١٥٩
مُتثاقِلُ	١٤٢
المُحمَلِ	٥٣
الأوَّلِ	٥٣
يُبْخَلِ . المُحوَلِ	١٩٩
باطِلِ	١٤٢
إغفالها	١٤٥
م	
لم يَرِمْ	٦٢
المُطعِمِ	١٢٣
تَميمِ	٣
حَكيمِ	٩٩
مَندَمِ	١٢٢
لازِمِ	٤٢
المُتضاجِمِ	٩٦
وخَثعَما . مُحجَّما	١٤٢
بالكرامهْ	٩٥
ن	
أجمعينا	١١٠
جينا . إسرائينا	٩٥
السَّعدينا	٩٥
القَرينا	١٢٢
جُمانا . تلانا	١٢٣
أخبرانا . عُريانا	١٨٤
مكنونِ	٥٨
باليمينِ	٤٩
ى	
ضاحِيا	١٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) ﴾

يقول تعالى ذكره : وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذى قتله قومه، لدعائه إياهم إلى الله، ونصيحته لهم. (مِنْ بَعْدِهِ) يعنى : من بعد مهلكه (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ)

واختلف أهل التأويل فى معنى الجند الذى أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة ، ولا بعث إليهم نبيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ) قال : رسالة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما أَنْزَلْنا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ ، وَما كُنَّا مُنْزِلِينَ) قال : فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً ، فإِذَا هُمْ خامِدُونَ) .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه، أن عبد الله بن مسعود ، قال : غضب الله له، يعنى لهذا المؤمن ، لاستضعافهم إياه ، غضبةً لم تبق من القوم شيئا ، فعجّل لهم النقمة

بما استحلوا منه ، وقال : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) يقول : ما كاثرناهم بالجموع : أى الأمر أيسر علينا من ذلك (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم تبق منهم باقية .

وهذا القول الثانى : أولى القولين بتأويل الآية ، وذلك أن الرسالة لايقال لها جند، إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسُل ، فيكون وجها ، وإن كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا . وذلك أن الرسُل من بنى آدم لاينزلون من السماء، والخبر فى ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جندا ؛ وذلك بالملائكة أشبه منه ببنى آدم .

وقوله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) يقول : ما كانت هَلَكَتهم إلا صيحة واحدة، أنزلها الله من السماء عليهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) نصبا على التأويل الذى ذكرت ، وأنّ فى كانت مضمرا . وذُكر عن أبى جعفر المدنى : أنه قرأه إلا صيحةٌ واحدةٌ رفعا ، على أنها مرفوعة بكان ، ولا مضمر فى كان .

✽ والصواب من القراءة فى ذلك عندى : النصب ، لإجماع الحجة على ذلك ، وعلى أن فى كانت مضمرا .

وقوله (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) يقول : فإذا هم هالكون .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠)

✽ يقول تعالى ذكره : ياحسرةً من العباد على أنفسها ، وتندّما وتلهفا فى استهزائهم برسل الله(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ) من الله (إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) . وذُكر أن ذلك فى بعض القراءات (يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) : أى ياحسرة العباد على أنفسها ، على ما ضيَّعت من أمر الله، وفرّطت فى جنب الله . قال : وفى بعض القراءات (يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) قال : كان حسرةً عليهم استهزاؤهم بالرسل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَاحَسْرَةً عَلَى العِبَادِ) يقول : ياويلا للعباد . وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : يا لها حسرةً على العباد .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يامحمد: كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا ، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لايَرْجِعُونَ) يقول : ألم يروا أنهم إليهم لايرجعون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لايَرْجِعُونَ) قال : عاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثير . و « كم » من قوله (كَمْ أَهْلَكْنَا) فى موضع نصب، إن شئت بوقوع يروا عليها . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (أَلَمْ يَرَوْا مَنْ أَهْلَكْنَا) وإن شئت بوقوع أهلكنا عليها ، وأما أنهم، فإن الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها ، وذُكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها ، على وجه الاستئناف بها ، وترك إعمال يروا فيها .

وقوله (وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التى أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم ، عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) أى هم يوم القيامة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وَإِنْ كُلٌّ لَمَا) بالتخفيف، توجيها منهم إلى أن ذلك «ما» أدخلت عليها اللام التى تدخل جوابا لإنْ، وأن معنى الكلام: وإنْ كلّ لجميع لدينا محضرون . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (لَمَّا) بتشديد الميم . ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان : أحدهما : أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به ، وإن كلّ لمما جميع ، ثم حذفت إحدى الميمات لما كثرت ، كما قال الشاعر :

غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... وَعُجْنَا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ[1]

(١) هذا بيت من مقطوعة نسبها البلاذرى فى « أنساب الأشراف» إلى صالح بن عبد الله العبشمى الخارجى ، فى محاربة حارثة بن بدر الغداق للأزارقة ، قبل أن يحاربهم المهلب . ونسبها المبرد فى الكامل إلى قطرى بن الفجاءة الخارجى فى يوم دولاب . ورواية البلاذرى « طفت فى الماء » ورواية المبرد : « طفت علماء » . وأصله على الماء ، كما تقول فى بنى الحارث : بلحارث . والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٦٩) قال : وقوله « وإن كل لما جميع » : شددها (لما) الأعمش وعاصم ، وقد خففها قوم كثير من قراء أهل المدينة . وبلغنى أن عليا خففها، وهو الوجه ؛ لأنها « ما » أدخلت عليها لام ، تكون جوابا لإن، كأنك قلت : وإن كل لجميع =

والآخر : أن يكونوا أرادوا أن تكون (لَمَّا) بمعنى إلا ، مع إنْ خاصة ، فتكون نظيرة إنما إذا وضعت موضع « إلاّ » . وقد كان بعض نحويّ الكوفة يقول : كأنها « لم » ضمت إليها « ما » ، فصارتا جميعا استثناء، وخرجتا من حدّ الجحد . وكان بعض أهل العربية يقول : لاأعرف وجه « لمّا » بالتشديد .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مشهورتان، متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا،وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ، (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ، وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤)

❊ يقول تعالى ذكره : ودلالة لهؤلاء المشركين على قُدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه من مات من خلقه ، وإعادته بعد فنائه ، كهيئته قبل مماته، إحياؤه الأرض الميتة ، التى لانبت فيها ولا زرع ، بالغيث الذى ينزله من السماء ، حتى يخرج زرعها ، ثم إخراجه منها الحبّ ، الذى هو قوت لهم وغذاء ، فمنه يأكلون .

وقوله (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنَابٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا فى هذه الأرض التى أحييناها بعد موتها ، بساتين من نخيل وأعناب (وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ) يقول : وأنبعنا فيها من عيون الماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

❊ يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات فى هذه الأرض، ليأكل عبادى من ثمره،وما عملت أيديهم : يقول : ليأكلوا من ثمر الجنات التى أنشأنا لهم ، وما عملت أيديهم ، مما غرسوا هم وزرعوا . و « ما » التى فى قوله (وَما عَمِلَتْهُ أيْدِيهِمْ) : فى موضع خفض ، عطفا على الثمر ، بمعنى : ومن الذى عملت ، هى فى قراءة عبد الله فيما ذُكر (ومِمَّا عَمِلَتْهُ) بالهاء، على هذا المعنى ، فالهاء فى قراءتنا مضمرة ، لأن العرب تضمرها أحيانا ، وتُظْهرها فى صلات : من ، وما ، والذى . ولو قيل : « ما » بمعنى المصدر كان مذهبا ، فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم . ولو قيل: إنها بمعنى الجحد، ولا موضع لها ، كان أيضا مذهبا، فيكون معنى الكلام : ليأكلوا من ثمره ، ولم تعمله أيديهم . وقوله (أفَلا يَشْكُرُونَ) يقول : أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق، من هذه الأرض الميتة التى أحييناها لهم، مَنْ رَزَقهم ذلك، وأنعم عليهم به :

= لدينا محضرون » ؛ ولم ينقلها من ثقلها إلا عن صواب ، فإن شئت أردت : وإن كل « لمن ما » جميع ، ثم حذفت إحدى الميمات لكثرتهن ، كما قال « غداة طفت علماء . . . البيت » . والوجه الآخر من التثقيل : أن يجعلوا « لما » بمنزلة « إلا » مع « إن » خاصة ، فتكون فى مذهبها بمنزلة « إنما » إذا وضعت فى معنى « إلا » ، كأنها « لم » ضمت إليها « ما » فصارا جميعا حرفا واحدا ، وخرجا من حد الجحد . وكان الكسائى ينفى هذا القول ، يقول : لا أعرف جهة « لما » فى التشديد فى القراءة. وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٠٤) : « وإن كل » : إذا خففت « إن » رفعتها بها ، وإن ثقلت نصبت . « لما جميع » تفسيرها : وإن كل لجميع . و « ما » : مجازها مجاز « مثلا ما بعوضة » ، و « عما قليل » .

القول فى تأويل قوله تعالى

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذى خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض ، ومن أنفسهم : يقول : وخلق من أولادهم ذكورا وإناثا ، ومما لايعلمون أيضا من الأشياء التى لم يُطْلِعهم عليها ، خلق كذلك أزواجا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون ، ويصفونه به من الشركاء ، وغير ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ، فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : ودليل لهم أيضا على قدرة الله على فعل كل ماشاء (اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ) يقول : ننزع عنه النهار . ومعنى «منه» فى هذا الموضع : «عنه» ، كأنه قيل : نسلخ عنه النهار ، فنأتى بالظلمة ونذهب بالنهار . ومنه قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) : أى خرج منها وتركها ، فكذلك انسلاخ الليل من النهار . وقوله (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) يقول : فإذا هم قد صاروا فى ظلمة بمجىء الليل .

وقال قتادة فى ذلك ماحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) قال : يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وهذا الذى قاله قتادة فى ذلك عندى ، من معنى سلخ النهار من الليل بعيد ، وذلك أن إيلاج الليل فى النهار ، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا فى ساعات الآخر ، وليس السلخ من ذلك فى شىء ، لأن النهار يسلخ من الليل كله ، وكذلك الليل من النهار كله ، وليس يولج كلّ الليل فى كل النهار ، ولا كلّ النهار فى كلّ الليل .

وقوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) يقول تعالى ذكره : والشمس تجرى لموضع قرارها ، بمعنى : إلى موضع قرارها ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمىّ ، عن أبيه ، عن أبى ذرّ الغفارىّ ، قال : «كنت جالسا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فلما غَرَبت الشمس ، قال : يا أبا ذرّ ، هَلْ تَدْرِى أيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب فتسجد بَيْنَ يَدَىْ رَبِّها ، ثُمَّ تَستأذِنُ بالرُّجُوعِ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وكأنَّها قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعَ مِنْ مَكانِها ، وَذَلِكَ مُسْتَقَرُّها » .

وقال بعضهم فى ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) قال : وقت واحد لاتعدوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : تجرى لمجرى لها ، إلى مقادير مواضعها ، بمعنى : أنها تجرى إلى أبعد منازلها فى الغروب ، ثم ترجع ولا تجاوزه ، قالوا : وذلك أنها لاتزال تتقدّم كل ليلة حتى تنتهى إلى أبعد مغاربها ، ثم ترجع .

وقوله (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول : هذا الذى وصفنا من جرى الشمس لمستقرّ لها ، تقدير العزيز فى انتقامه من أعدائه ، العليم بمصالح خلقه ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لايخفى عليه خافية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ، وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) فقرأه بعض المكيين ، وبعض المدنيين ، وبعض البصريين : (وَالْقَمَرُ) رفعا عطفا بها على الشمس ، إذ كانت الشمس معطوفة على الليل ، فأتبعوا القمر أيضا الشمس فى الإعراب ، لأنه أيضا من الآيات ، كما الليل والنهار آيتان ، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام : وآية لهم القمرُ قدّرناه منازل ، وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين ، وعامة قرّاء الكوفة نصبا (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ) بمعنى : وقدّرنا القمر منازل ، كما فعلنا ذلك بالشمس ، فردّوه على الهاء من الشمس فى المعنى ، لأن الواو التى فيها للفعل المتأخر .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، فتأويل الكلام : وآية لهم : تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه ، حتى عاد كالعُرْجون القديم ، والعُرْجون : من العذق من الموضع النابت فى النخلة ، إلى موضع الشماريخ ، وإنما شبهه جلّ ثناؤه بالعُرْجون القديم ، والقديم هو اليابس ، لأن ذلك من العِذْق ، لايكاد يوجد إلا متقوّسا منحنيا ، إذا قدم ويبس ، ولا يكاد أن يُصاب مستويا معتدلا ، كأغصان سائر الأشجار وفروعها ، فكذلك القمرُ إذا كان فى آخر الشهر قبل استسراره ، صار فى انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) يقول : أصل العِذق العتيق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) يعنى بالعُرجون : العذقَ اليابس .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : كعذق النخلة إذا قدم فانحنى .

حدثنى أحمد بن إبراهيم الدورقى ، قال : ثنا أبو يزيد الخرّاز ، يعنى خالد بن حيان الرقىّ ، عن جعفر ابن برقان، عن يزيد بن الأصمّ فى قوله (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : عذق النخلة إذا قدم انحنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن عكرمة ، فى قوله : (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : النخلة القديمة .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى عن مجاهد (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : العِذْق اليابس .

حدثنى محمد بن عمر بن علىّ المقدمى وابن سنان القزّاز ، قالا : ثنا أبو عاصم والمقدمى ، قال : سمعت أبا عاصم يقول : سمعت سليمان التيمى فى قوله (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : العذْق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) قال : قدّره الله منازل ، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة ، شبهه بعذق النخلة .

وقوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) يقول تعالى ذكره : لاالشمس يصلح لها إدراك القمر ، فيذهب ضوءها بضوئه ، فتكون الأوقات كلها نهارا لاليل فيها (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يقول تعالى ذكره : ولا الليل بفائت النهار ، حتى تذهب ظلمته بضيائه ، فتكون الأوقات كلها ليلا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويل ذلك، إلا أن معانىَ عامتهم الذى قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة، عن مجاهد فى قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) قال : لايشبه ضوءُها ضوء الآخر، لاينبغى لها ذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) قال : لايُشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ، ولا ينبغى ذلك لهما . وفى قوله (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) قال : يتطالبان حثيثين ، ينسلخ أحدهما من الآخر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح : (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) قال: لايدرك هذا ضوءَ هذا ولا هذا ضوء هذا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله

(لاالشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ) وهذا فى ضوء القمر وضوء الشمس ، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء ، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء (وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ) قال : فى قضاء الله وعلمه أن لايفوت الليل النهار حتى يدركه، فيذهب ظلمته ، وفى قضاء الله أن لايفوت النهار الليل حتى يدركه ، فيذهب بضوئه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاالشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ ، وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ) ولكلٍّ حدٌّ وعلم لايعدوه ، ولا يقصر دونه: إذا جاء سلطان هذا ، ذهب سلطان هذا ، وإذا جاء سلطان هذا ، ذهب سلطان هذا .

ورُوى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لاالشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ،وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ) يقول : إذا اجتمعا فى السماء كان أحدهما بين يدى الآخر ،فإذا غابا غاب أحدهما بين يدى الآخر . وأن من قوله (أَنْ تُدْرِكَ) فى موضع رفع بقوله : ينبغى .

وقوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يقول : وكلّ ماذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار فى فلك يَجْرُون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جُبَير ،عن ابن عباس (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال : فى فلك كفلك المِغْزَل.

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال: ثنا ورقاء جميعا ، عن أبى ابن نجيح ، عن مجاهد ، قال : مجرى كلّ واحد منهما ، يعنى الليل والنهار : فى فَلَكٍ يسبحون : يجرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون) : أى فى فلك السماء يسبحون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) دورانا ، يقول : دورانا يسبحون : يقول : يجرون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يعنى : كلّ فى فلك فى السموات .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)

❊ يقول تعالى ذكره : ودليل لهم أيضا ، وعلامة على قُدرتنا على كلّ ما نشاء ، حملنا ذرّيّتهم ، يعنى من نجا من ولد آدم فى سفينة نوح ، وإياها عنى جلّ ثناؤه بالفُلك المشحون ، والفلك : هى السفينة ، والمشحون المملوء الموقر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الفُلْكِ المَشْحُونِ) يقول : الممتلئ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فى الفُلْكِ المَشْحُونِ) يعنى المثقل .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد : (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : الموقَر .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (المَشْحُونِ) قال : المحمول .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الفُلْكِ المَشْحُونِ) يعنى : سفينة نوح عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الفُلْكِ المَشْحُونِ) المُوقَر ، يعنى سفينة نوح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : الفلك المشحون : المَرْكَب الذى كان فيه نوح ، والذرية التى كانت فى ذلك المركب ، قال : والمشحون : الذى قد شُحِن ، الذى قد جعل فيه ليركبه أهله ، جعلوا فيه ما يريدون ، فربما امتلأ ، وربما لم يمتلئ .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : أتدرون ما الفُلك المشحون ؟ قلنا : لا ، قال : هو المُوقَر .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلىّ ، قال : ثنا هارون ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : المُوقَر .

وقوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) يقول تعالى ذكره : وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذّبيك يامحمد ، تفضلا منا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذى كنا حملنا من ذرّية آدم مَنْ حملنا فيه، الذى يركبونه من المراكب .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى بقوله (ما يَرْكَبُونَ) فقال بعضهم : هى السفن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل، عن عطاء ،عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : تدرون ما (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ)؟ قلنا : لا قال : هى السفن جُعِلت من بعد سفينة نوح على مِثْلها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك فى قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، فى قوله : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار ، ألا ترى أنه قال : (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) ؟

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال: ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن فى هذه الآية (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

حدثنا حاتم بن بكر الضّبى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول :ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) يعنى : السفن التى اتخذت بعدها ، يعنى بعد سفينة نوح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : هى السفن التى ينتفع بها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : وهى هذه الفلك .

حدثنى يونس ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : نعم من مثل سفينة .

وقال آخرون : بل عنى بذلك الإبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس،

قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) يعنى : الإبل، خلقها الله كما رأيت ، فهى سفن البرّ ، يُحمَلون عليها ويركبونها .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا غندر ، عن عثمان بن غياث ، عن عكرمة (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) قال : الإبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، قال : قال عبد الله بن شدّاد (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ) هى الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مايَرْكَبُونَ) قال : من الأنعام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هى الإبل .

وأشبه القولين بتأويل ذلك قول مَن قال : عُنِى بذلك السفن ، وذلك لدلالة قوله (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) على أن ذلك كذلك ، وذلك أن الغرق معلوم أنه لايكون إلا فى الماء ، ولا غرق فى البرّ .

وقوله (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفُلك فى البحر (فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) يقول : فلا مُغيثَ لهم إذا نحن غرّقناهم يُغيثهم ، فينجيهم من الغرق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) : أى لامُغيث .

وقوله (وَلاهُمْ يُنْقَذُونَ) يقول : ولا هو ينقذهم من الغرق شىء ، إن نحن أغرقناهم فى البحر ، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم ، فننجيهم منه .

وقوله (وَمَتَاعا إلى حِينٍ) يقول : ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه ، فكأنه قال : ولا هم يُنقَذون ، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَتَاعا إلى حِينٍ) : أى إلى الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، وَمَا خَلْفَكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) ، وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله ، المكذّبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم :

احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثُلاته بمن حلّ ذلك به من الأمم قبلكم، أن يحلّ مثله بكم، بشرككم وتكذيبكم رسوله . (وَمَا خَلْفَكُمْ) يقول : وما بعد هلاككم، مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذى أنتم عليه (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم، والإيمان به ، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بينَ أَيْدِيكُمْ) : وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم ، وما خلفهم من أمر الساعة .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ماحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما بينَ أَيْدِيكُمْ) قال : ما مضى من ذنوبهم ، وهذا القول قريب المعنى من القول الذى قلنا ، لأن معناه : اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم ، وما خلفكم، مما تعملون من الذنوب، ولم تعملوه بعد، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم .

وقوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يقول تعالى ذكره : وما تجىء هؤلاء المشركين من قريش آية ، يعنى حجة من حُجَج الله، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده ، وتصديق رسُوله ، إلا كانوا عنها معرضين ، لايتفكرون فيها ، ولا يتدبرونها ، فيعلموا بها ما احتجّ الله عليهم بها .

فإن قال قائل : وأين جواب قوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) ؟ قيل : جوابه وجواب قوله(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) . . . قولُه (إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) ، لأن الإعراض منهم كان عن كلّ آية لله، فاكتفى بالجواب عن قوله(اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) وعن قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك ، لأن معنى الكلام : وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ، وإذا أتتهم آية أعرضوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ، قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ، أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ ، إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله : أنفقوا من رزق الله الذى رزقكم ، فأدُّوا منه مافرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم، قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا مَنْ دونه، للذين آمنوا بالله ورسوله ، أنطعم أموالنا وطعامنا مَنْ لو يشاء الله أطعمه .

وفى قوله (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وجهان : أحدهما أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين ،

فيكون تأويل الكلام حينئذ: ما أنتم أيها القومُ فى قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا فى ذهاب عن الحقّ ، وجَوْر عن الرُّشد ، مُبِين لمن تأمله وتدبره ، أنه فى ضلال ، وهذا أولى وجهيه بتأويله . والوجه الآخر : أن يكون ذلك مِن قيل الله للمشركين ، فيكون تأويله حينئذ : ما أنتم أيها الكافرون فى قيلكم للمؤمنين : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، إلا فى ضلال مبين ، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨)

❊ يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون المكذّبون وعيدَ الله ، والبعثَ بعد الممات ، يستعجلون ربهم بالعذاب (مَتَى هَذَا الوَعْدُ ؟) : أى الوعد بقيام الساعة (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أيُّها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

❊ يقول تعالى ذكره : ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم ، إلا صيحة واحدة تأخذهم ، وذلك نفخة الفزَع عند قيام الساعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وجاءت الآثار .

ذكر من قال ذلك ، وما فيه من الأثر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا عوف بن أبى جميلة ، عن أبى المغيرة القوّاس، عن عبد الله بن عمرو ،قال : « لَيُنْفَخَنَّ فى الصور ، والناس فى طرقهم وأسواقهم ومجالسهم ،حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان ، فما يُرسله أحدهما من يده حتى يُنفَخ فى الصور ، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته ، فلا يرجع حتى ينفخ فى الصُّور ، وهى التى قال الله (ما يَنْظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ، فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) . . . الآية » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يَنْظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) . ذُكر لنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقول : « تَهِيجُ السَّاعَةُ بالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يَسْقِى ماشِيَتَهُ ، وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ ، وَالرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فى سُوقِهِ ، والرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ ، وَتَهِيجُ بِهِمْ وَهُمْ كَذَلِكَ ، فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إلى أهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ما يَنظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً) قال : النفخة نفخة واحدة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ ، عن إسماعيل بن رافع ، عمن ذكره ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فأعْطاهُ إسْرافِيلَ ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلى فِيهِ ، شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ؟ قال أبو هريرة : يا رسول الله : وما الصور ؟ قال : قَرْنٌ ، قال : وكَيْفَ هُوَ ، قال : قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ ، الأُولى نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ ، يَأْمُرُ اللهُ إسْرافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، وَيأْمُرُهُ اللهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوِّلُها ، فَلا يَفْتُرُ ، وَهِيَ الَّتي يَقُولُ اللهُ (ما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَها مِنْ فَوَاقٍ) ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ إسْرافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، فَيَصْعَقُ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، فإذَا هُمْ خامِدُونَ ثُمَّ يُمِيتُ مَنْ بَقِيَ ، فإذَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ، بَدَّلَ الأرْضَ غَيْرَ الأرْضِ والسَّمَوَاتِ ، فَيَبْسُطُها وَيَسْطَحُها ، وَيَمُدُّها مَدَّ الأدِيمِ العُكاظِيِّ ، لاتَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أمْتاً ، ثُمَّ يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرَةً ، فإذَا هُمْ فِي هَذِهِ المُبَدَّلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الأُولى ، ما كانَ فِي بَطْنِها كانَ فِي بَطْنِها ، وَما كانَ عَلى ظَهْرِها كانَ عَلى ظَهْرِها » .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة (وَهُمْ يَخْصِّمُونَ) بسكون الخاء وتشديد الصاد ، فجمع بين الساكنين ، بمعنى : يختصمون ، ثم أدغم التاء في الصاد ، فجعلها صادا مشدّدة ، وترك الخاء على سكونها في الأصل . وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (وَهُمْ يَخَصِّمون) بفتح الخاء وتشديد الصاد ، بمعنى : يختصمون ، غير أنهم نقلوا حركة التاء ، وهي الفتحة التي في (يفتعلون) إلى الخاء منها ، فحرّكوها بتحريكها ، وأدغموا التاء في الصاد وشدّدوها . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة : (يَخِصِّمُونَ) بكسر الخاء ، وتشديد الصاد ، فكسروا الخاء بكسر الصاد ، وأدغموا التاء في الصاد وشدّدوها .

وقرأ ذلك آخرون منهم (يَخْصِمُونَ) بسكون الخاء وتخفيف الصاد ، بمعنى (يَفْعِلُونَ) من الخصومة ، وكأن معنى قارئ ذلك كذلك : كأنّهم يتكلمون ، أو يكون معناه عنده : كان وهم عند أنفسهم يَخْصِمُونَ مَن وعدهم مجيء الساعة ، وقيام القيامة ، ويغلبونه بالجدل في ذلك .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات ، معروفات في قرّاء الأمصار ، متقاربات المعاني ، فبأيّتهنّ قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) يقول تعالى ذكره : فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ

فى الصُّور أن يوصوا فى أموالهم أحدا (وَلا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع إليهم ، لأنهم لا يُمْهَلون بذلك . ولكن يُعَجَّلون بالهلاك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) : أى فيما فى أيديهم (وَلا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) قال : أُعْجِلوا عن ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما يَنْظُرُ هَؤُلاء إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً) . . . الآية ، قال : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وقرأ (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) حتى بلغ (إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُواْ : يَٰوَيْلَنَا ، مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ؟ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ، وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)

❁ يقول تعالى ذكره : (ونُفِخَ فِي الصُّورِ) ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين ، والصواب من القول فيه بشواهده فيما مضى قبلُ ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ويُعْنَى بهذه النفخة ، نفخة البعث .

وقوله (فإذَا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ) يعنى من أجداثهم ، وهى قبورهم ، واحدها جَدَث ، وفيها لغتان ، فأما أهل العالية ، فتقوله بالثاء : جَدَث ، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء : جَدَف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنَ الأجْدَاثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يقول : من القبور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فإذَا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ) : أى من القبور .

وقوله (إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يقول : إلى ربهم يَخرُجون سِراعا ، والنَّسَلان : الإسراع فى المشى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ،عن ابن عباس ، قوله (يَنْسِلُونَ) يقول : يخرجون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) : أى يخرجون .

وقوله (قالُوا : يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا ، هَذَا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركونَ لمّا نُفخ فى الصور نفخة البعث ، لموقف القيامة ، فردّت أرواحهم إلى أجسامهم ، وذلك بعد نومة ناموها (يا وَيْلَنا ، مَنْ بَعَثَنامِنْ مَرْقَدِنا ؟) وقد قيل : إن ذلك نومة بين النفختين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن خيثمة ، عن الحسن ، عن أُبَىّ بن كعب ، فى قوله (يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) قال : ناموا نومة قبل البعث .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن رجل يقال له خيثمة فى قوله (يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) قال : ينامون نومة قبل البعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالُوا ياوَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) ؟ هذا قول أهل الضلالة . والرَّقدة : ما بين النفختين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا) قال : الكافرون يقولونه .

ويعنى بقوله (مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا) من أيقظنا من منامنا ، وهو من قولهم : بعث فلان ناقته فانبعثت ، إذا أثارها فثارت . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (مَنْ أَهَبَّنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا) . وفى قوله « هَذَا » وجهان : أحدهما : أن تكون إشارة إلى « ما » ، ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهى الخبر الأوّل بقوله (مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا ؟) فتكون « ما » حينئذ مرفوعة بهذا ، ويكون معنى الكلام : هذا وعد الرحمن ، وصدق المرسلون . والوجه الآخر : أن تكون من صفة المَرْقَد ، وتكون خفضا ، ردّا على المرقد ، وعند تمام الخبر عن الأوّل ، فيكون معنى الكلام : من بعثنا من مرقدنا هذا ، ثم يبتدئ الكلام فيقال : ما وعدَ الرحمن ، بمعنى : بعثُكم وعدُ الرحمن ، فتكون « ما » حينئذ رفعا على هذا المعنى .

* وقد اختلف أهل التأويل فى الذى يقول حينئذ : هذا ما وعد الرحمن ، فقال بعضهم : يقول ذلك أهل الإيمان بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَذَا ماوَعَدَ الرَّحْمَنُ) مما سَرَّ المؤمنون يقولون هذا حين البعث .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (هَذَا ماوَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ) قال : قال أهل الهدى : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

وقال آخرون : بل كلا القولين ، أعنى (يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ) : من قول الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : خبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) ثم قال بعضهم لبعض: (هَذَا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ) كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت ، ونُحاسب ونُجازَى .

والقول الأول : أشبه بظاهر التنزيل ، وهو أن يكون من كلام المؤمنين . لأن الكفار فى قيلهم (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا؟) دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ،ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم ، ممن خالفت صفته صفتهم فى ذلك .

وقوله (إنْ كانَتْ إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً فإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول تعالى ذكره إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة ، وهى النفخة الثالثة فى الصور (فإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ) يقول : فإذا هم مجتمعون لدينا قد أُحْضِروا، فأُشهدوا مَوْقفَ العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد . وقد بينا اختلاف المختلفين فى قراءتهم (إلاَّ صَيْحَةً) بالنصب والرفع فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره (فالْيَوْمَ) يعنى يوم القيامة (لاتُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً) كذلك ربنا لايظلم نفسا شيئا ، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح ، ولا يحمل عليها وِزْرَغيرها ، ولكنه يوفّ كل نفس أجر ماعملت من صالح ، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شىء (وَلا تُجْزَوْنَ إلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول: ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الدنيا .

وقوله (إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِى شُغُلٍ فاكِهُونَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الشغل الذى وصف الله جلّ ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة ، فقال بعضهم : ذلك افتضاض العذارَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شَمِر بن عطية ، عن شقيق بن سلمة ،

عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ) قال : شغلهم افتضاض العذارى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ) قال : افتضاض الأبكار .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ) قال : افتضاض الأبكار .

حدثنى الحسن بن زُرَيْق الطُّهَوِىّ ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبو النضر ، عن الأشجعىّ ، عن وائل بن داود ، عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ) قال : فى افتضاض العذارَى .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : أنهم فى نعمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ) قال : فى نعمة .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْبِر ، عن أبى سهل ، عن الحسن ، فى قول الله : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) . . . الآية ، قال : شَغَلَهم النعيمُ عما فيه أهل النار من العذاب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم فى شغل عما فيه أهل النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ الجَهْضَمِىّ ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن إسماعيل ابن أبى خالد (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) . . . الآية ، قال : فى شغل عما يلقى أهلُ النار .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) وهم أهلها ، (فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ) بنعم تأتيهم فى شغل . وذلك الشغل الذى هم فيه نعمة ، وافتضاض أبكار ، ولهو ولذّة ، وشغل عما يَلْقَى أهل النار .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فى شُغُلٍ) ، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة ، وبعض البصريين على اختلاف عنه (فِى شُغْلٍ) بضم الشين وتسكين الغين . وقد رُوِى عن أبى عمرو الضمّ فى الشين والتسكين فى الغين ، والفتح فى الشين والغين جميعا فى شغل . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قرّاء أهل الكوفة (فِى شُغُلٍ) بضم الشين والغين .

والصواب فى ذلك عندى : قراءته بضم الشين والغين ، أو بضم الشين وسكون الغين ، بأىّ ذلك قرأه القارئ

فهو مصيب، لأن ذلك هو القراءة المعروفة فى قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما . وأما قراءته بفتح الشين والغين ، فغير جائزة عندى ، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله (فَاكِهُونَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (فَاكِهُونَ) بالألف . وذُكر عن أبى جعفر القارئ ، أنه كان يقرؤه (فَكِهُونَ) بغير ألف .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : قراءة من قرأه بالألف ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فَرِحون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فى شُغُلٍ فَاكِهُونَ) يقول : فرحون .

وقال آخرون : معناه : عجبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَاكِهُونَ) قال : عجبون .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَكِهُونَ) قال : عَجِبون .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى ذلك ، فقال بعض البصريّين : منهم الفكه الذى يتفكّه . وقال : تقول العرب للرجل الذى يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة ، أو بأعراض الناس : إن فلانا لفكِه بأعراض الناس ، قال : ومن قرأها (فَاكِهُونَ) جعله كثير الفواكه ، صاحب فاكهة ، واستشهد لقوله ذلك ببيت الحُطَيئة :

وَدَعَوْتَنِى وَزَعَمْتَ أنَّـــكَ لابِنٌ بالصَّيْفِ تامِرُ[1]

أى عنده لبن كثير ، وتمر كثير ، وكذلك عاسل ، ولاحم ، وشاحم . وقال بعض الكوفيين : ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون ، وهذا القول الثانى أشبه بالكلمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨)

---

(١) البيت للحطيئة ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٠٧ - ا) قال فى تفسير قوله تعالى : « فى شغل فكهون » : الفكه الذى يتفكه ، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس : إن فلانا لفكه بأعراض الناس . ومن قرأها « فاكهون » : جعلها كثير الفواكه ، صاحب فاكهة ؛ قال الحطيئة : « ودعوتنى . . . » البيت ، أى عنده لبن كثير ، وتمر كثير . وكذلك عاسل ، ولاحم ، وشاحم . اهـ . وفى (اللسان : فكه) : رجل فكه : يأكل الفاكهة ، وفاكه : عنده فاكهة . وكلاهما على النسب . أبو معاذ النحوى : الفاكه : الذى كثرت فاكهته . والفكه : الذى ينال من أعراض الناس . اهـ .

يعنى تعالى بقوله (هُمْ) أصحاب الجنة (وأَزْوَاجُهُمْ) من أهل الجنة فى الجنة .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هُمْ وأَزْوَجُهُمْ فى ظِلَالٍ) قال : حلائلهم فى ظُلَلٍ .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأه بعضهم (فِى ظُلَلٍ) بمعنى : جمع ظلة، كما تُجمع الحُلة حللا . وقرأه آخرون : (فِى ظِلَالٍ) وإذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان : أحدهما : أن يكون مُرادا به جمع الظُلَل الذى هو بمعنى الكِنّ ، فيكون معنى الكلمة حينئذ : هم وأزواجهم فى كِنّ لايضْحَوْن لشمس كما يَضْحَى لها أهلُ الدنيا ، لأنه لاشمس فيها . والآخر : أن يكون مرادا به جمع ظُلَّة، فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الحُلَّة فى الكثرة : الحِلال ، والقُلَّة : قِلال .

وقوله (عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) والأرائك : هى الحِجال فيها السُرر والفُرُش : واحدتها أريكة . وكان بعضهم يزعم أن كلّ فِراش فأريكة ، ويستشهد لقوله ذلك بقول ذى الرمة :

. . . . كأنَّما يُباشِرْنَ بالمَعْزاءِ مَسّ الأَرَائِكِ [١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَيْن ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله : (عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) قال : هى السُرُر فى الحِجال .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن مجاهد ، فى قول الله (عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) قال : الأرائك : السُرر عليها الحِجال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، فى قوله : (مُتَّكِئِينَ عَلَى الأَرَائِكِ) قال : الأرائك : السُرُر فى الحِجال .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حُصَيْن ، عن مجاهد ، فى قوله (على الأرائكِ) قال : سُرُر عليها الحِجال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم محمد أن عكرمة قال : الأرائك : السُرُر فى الحِجال .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن ، وسأله رجل عن الأرائك

= وفى معانى القرآن للفراء (مصورة الجامعة ص ٢٧٠) : وقوله « فاكهون » بالألف ، وتقرأ « فكهون » . وهى بمنزلة « حذرون » و« حاذرون » . وهى فى قراءة عبد الله : « فاكهين » بالألف . وقد نقله عنه المؤلف ، ورجحه .

(١) هذا جزء من بيت لذى الرمة (ديوانه ٤٢٢) وصدره : « خدودا جفت فى السير حتى كأنما » . « خدودا منصوب مفعول به لكسا فى البيت الذى قبله . وقال شارح ديوانه : أراد كسوا حيث موتت الرياح خدودا . . . الخ . أى صيروا المكان الذى نادوا فيه كسوة الخدود . اهـ . والمعزاء : الأرض فيها الحجارة والحصى . والأرائك ؛ واحدها أريكة وهى السرير فى الحجلة . يقول : من شدة النوم يرون الأرض ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك . واستشهد أبو عبيدة بالبيت فى مجاز القرآن (الورقة ٢٠٧) عند قوله تعالى « على الأرائك » وقال : واحدتها : أريكة ، وهو الفرش فى الحجال . قال ذو الرمة : « خدودا . . . البيت » ، جعلها فراشا .

قال: هي الحجال. أهل اليمن، يقولون: أريكة فلان، وسمعت عكرمة، وسئل عنها فقال: هي الحجال على السُّرُر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (على الأرائكِ مُتَّكِئُونَ) قال: هي الحجال فيها السرر.

وقوله (لَهُمْ فِيهَا فاكِهَةٌ): يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة. (وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ) يقول: ولهم فيها ما يتمنّون. وذُكر عن العرب أنها تقول: دع عليّ ماشئت: أي: تمنّ عليّ ما شئت.

وقوله (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) في رفع سلام وجهان، في قول بعض نحويّي الكوفة: أحدهما: أن يكون خبرا لما يدّعون، فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدّعون مسلَّم لهم خالص. وإذا وُجّه معنى الكلام إلى ذلك، كان القول حينئذ منصوبا، توكيدا خارجا من السلام، كأنه قيل: ولهم فيها مايدّعون مسلَّم خالص حقا، كأنه قيل: قاله قولا. والوجه الثاني: أن يكون قوله (سَلامٌ) مرفوعا على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولا من الله. وقد ذُكر أنها في قراءة عبد الله (سَلاما قَوْلاً) على أن الخبر متناه عند قوله: (وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ) ثم نصب سلاما على التوكيد، بمعنى: مسلما قولا. وكان بعضُ نحويّي البصرة يقول: انتصب قولا على البدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولا. قال: ومن نصبها، نصبها على خبر المعرفة على قوله (وَلَهُمْ فيها ما يَدَّعُونَ).

❊ والذى هو أولى بالصواب، على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القُرَظيّ: أن يكون (سَلامٌ) خبرا لقوله (وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ)، فيكون معنى ذلك: ولهم فيها مايدّعون، وذلك هو سلام من الله عليهم، بمعنى: تسليم من الله، ويكون سلام ترجمة عما يدّعون، ويكون القول خارجا من قوله: سلام.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لما حدّثنا به إبراهيم بن سعيد الجوهريّ، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقرى عن حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب، يحدّث عمر بن عبد العزيز، قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشى في ظُلَل من الغمام والملائكة، فيقف على أوّل أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردّون عليه السلام، وهو في القرآن (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) فيقول: سَلُوا، فيقولون: ما نسألك وعزّتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثَّقَلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سَلُوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائى أحلّكم دار كرامتى، فيفعل ذلك بأهل كلّ درجة حتى ينتهى، قال: ولو أن امرأة من الحُور العِين طلعت، لأطفأ ضوء سِوارَيْها الشمس والقمر، فكيف بالمُسَوَّرة».

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد ابن كعب القرظيّ يحدّث عمر بن عبد العزيز، قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظُلَل من الغمام والملائكة، قال: فيسلم على أهل الجنة، فيردّون عليه السلام، قال القُرَظيّ: وهذا في كتاب الله (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)؟ فيقول: سَلُونى، فيقولون: ماذا نسألك؟ أى رَبٍّ، قال: بل سلونى،

قالوا : نسألك أى ربّ رضاك ، قال : رضائى أحلكم دار كرامتى ، قالوا : يا ربّ وما الذى نسألك ؟ فوعزّتك وجلالك ، وارتفاع مكانك ، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ، ولأسقيناهم ، ولألبسناهم ولأخدمناهم ، لاينقصنا ذلك شيئا ، قال : إن لدىّ مزيدا ، قال : فيفعل الله ذلك بهم فى درجهم ،حتى يستوى فى مجلسه ، قال : ثم تأتيهم التحف من الله تحملها إليهم الملائكة » . ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عبد الرحمن ، قال : ثنا حرملة ، قال : ثنا سليمان بن حميد ، أنه سمع محمد بن كعب القرظى يحدّث عمر بن عبد العزيز ، قال : « إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار ، أقبل يمشى فى ظُلل من الغمام ويقف ، قال : ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فيقولون : فماذا نسألك يارب ؟ فوعزّتك وجلالك وارتفاع مكانك ، لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين ، الجنّ والإنس ، لأطعمناهم ، ولسقيناهم ، ولأخدمناهم ، من غير أن ينتقص ذلك شيئا مما عندنا ، قال : بلى فسلونى ، قالوا : نسألك رضاك قال : رضائى أحلّكم دار كرامتى ، فيفعل هذا بأهل كلّ درجة ، حتى ينتهى إلى مجلسه . وسائر الحديث مثله». فهذا القول الذى قاله محمد بن كعب ،ينبئ عن أن « سلام »بيان عن قوله (ما يَدَّعُونَ) ، وأن القول خارج من السلام . وقوله (مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) يعنى : رحيم بهم ، إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرْم فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٥٩) * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)

يعنى بقوله (وَامْتَازُوا) : تميزوا ، وهى افتعلوا ، من ماز يميز ، فعل يفعل منه : امتاز يمتاز امتيازا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) قال : عُزلوا عن كلّ خير .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن إسماعيل بن رافع ، عمن حدثه ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أمَرَ اللهُ جَهَنَّمَ ، فَيَخْرُجُ مِنْها عُنُقٌ ساطِعٌ مُظْلِمٌ ، ثُمَّ يَقُولُ : (أَلَمْ أَعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أنْ لاتَعْبُدُوا الشَّيْطانَ) . . . الآية ، إلى قوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ التى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، وَامْتازُوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمُونَ) ، فَيَتَمَيَّزُ النَّاسُ وَيجْثُونَ ، وَهِىَ قَوْلُ اللهِ : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ) . . . الآية » .

فتأويل الكلام إذن : وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله ، فإنكم واردون غير موردهم ، داخلون غير مدخلهم .

وقوله (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ، وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه ، وهو ثم يقال : ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ، يقول : ألم أوصكم وآمركم فى الدنيا أن لاتعبدوا الشيطان، فتطيعوه فى معصية الله (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول: وأقول لكم : إن الشيطان لكم عدوّ مبين ، قد أبان لكم عداوته ، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم ، حسدا منه له ، على ما كان الله أعطاه من الكرامة ، وغروره إياه ، حتى أخرجه وزوجته من الجنة .

وقوله (وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدونى دون كلّ ما سواى من الآلهة والأنداد ، وإياى فأطيعوا ، فإن إخلاص عبادتى ، وإفراد طاعتى ، ومعصية الشيطان ، هو الدين الصحيح ، والطريق المستقيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) : ولقد صدّ الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتى ، وإفرادى بالألوهة حتى عبدوه ، واتخذوا من دونى آلهة يعبدونها .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا) قال : خلقا .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين (جِبِلًّا) بكسر الجيم ، وتشديد اللام ، وكان بعض المكّيين وعامة قرّاء الكوفة يقرءونه (جُبُلًا) بضم الجيم والباء ، وتخفيف اللام . وكان بعض قرّاء البصرة يقرؤه (جُبْلًا) بضم الجيم ، وتسكين الباء ، وكل هذه لغات معروفات ، غير أنى لاأحبّ القراءة فى ذلك إلا بإحدى القراءتين اللتين إحداهما بكسر الجيم وتشديد اللام ، والأخرى : ضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، لأن ذلك هو القراءة التى عليها عامة قرّاء الأمصار .

وقوله (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون ، إذ أطعتم الشيطان فى عبادة غير الله ، أنه لاينبغى لكم أن تطيعوا عدوّكم وعدوّ الله ، وتعبدوا غير الله . وقوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) يقول : هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا على كفركم بالله ، وتكذيبكم رسله ، فكنتم بها تكذّبون . وقيل : إن جهنم أوّل باب من أبواب النار . وقوله (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : احترقوا بها اليوم وردوها ، يعنى باليوم : يوم القيامة (بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ): يقول : بما كنتم تجحدونها فى الدنيا ، وتكذّبون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ، وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٦٥) ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ) : اليوم نطبع على أفواه المشركين ، وذلك يوم القيامة (وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ) بما عملوا فى الدنيا من معاصى الله (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم) قيل : إن الذى ينطق من أرجلهم : أفخاذهم من الرجل اليُسرى (بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) فى الدنيا من الآثام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا يونس بن عُبيد ، عن حميد بن هلال ، قال : قال أبو بُرْدة : قال أبو موسى : « يُدْعَى المؤمن للحساب يوم القيامة ، فيَعرض عليه ربُّه عمله فيما بينه وبينه ، فيعترف فيقول : نعم أى ربّ ، عملت عملت عملت ، قال : فيغفر الله له ذنوبه ، ويستره منها ، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئا ، وتبدو حسناته ، فودّ أن الناس كلَّهم يرونها ، ويُدْعى الكافر والمنافق للحساب ، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ، ويقول : أى ربّ ، وعزّتك لقد كتب علىّ هذا الملك ما لم أعمل ، فيقول له الملك : أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزّتك أى ربّ ، ما عملته ، فإذا فعل ذلك ختم على فيه . قال الأشعرىّ : فإنى أحسب أوّل ما ينطق منه لفَخِذُهُ اليمنى ، ثم تلا : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) » .

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنى يحيى ، عن أبى بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن الشعبىّ ، قال : « يقال للرجل يوم القيامة : عملت كذا وكذا ، فيقول : ما عملت ، فيختم على فيه ، وتنطق جوارحه ، فيقول لجوارحه : أبْعَدَكُنَّ الله ما خاصمت إلا فيكنّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) ... الآية ، قال : قد كانت خصومات وكلام ، فكان هذا آخره ، (وَنَخْتِمَ على أفْوَاهِهِمْ) .

حدثنى محمد بن عوف الطائى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن عقبة بن عامر ، أنه سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « أوَّلُ شَىْءٍ يَتَكَلَّمُ مِنَ الإنْسانِ ، يَوْمَ يَخْتِمُ اللهُ على الأفْوَاهِ ، فَخِذُهُ مِنْ رِجْلِهِ اليُسْرَى » .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ، فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧) ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِم فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، وأضللناهم عن قصد المَحَجَّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلَى أعْيُنِهِمْ) يقول : أضللتهم وأعميتهم عن الهدى .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولو نشاء لتركناهم عميا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلَى أعْيُنِهِمْ ، فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فأنَّى يُبْصِرُونَ) قال : لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يتردّدون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فأنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : لوشئنا لتركناهم عميا يتردّدون . وهذا القول الذى ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام ، لأن الله إنما تهدّد به قوما كفارا ، فلا وجه لأن يقال : وهم كفار ، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم ، ولكنه قال : لونشاء لعاقبناهم على كفرهم ، فطمسنا على أعينهم فصيّرناهم عميا لايبصرون طريقا ، ولا يهتدون له ، والطّمْس على العين : هو ألاّ يكون بين جفنى العين غرٌّ ، وذلك هو الشقّ الذى بين الجفنين [1] ، كما تطمس الريح الأثر ، يقال : أعمى مطموس وطميس .

وقوله (فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) يقول : فابتدروا الطريق .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) قال الطريق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) : أى الطريق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) قال : الصراط : الطريق .

وقوله (فأنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : فأىّ وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق ، وقد طمسنا على أعينهم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فأنَّى يُبْصِرُونَ) وقد طمسنا على أعينهم .

وقال الذين وجهوا تأويل قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ) إلى أنه معنىّ به العَمَى عن الهدى : تأويل قوله (فأنَّى يُبْصِرُونَ) : فأنى يهتدون للحقّ .

(١) كذا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٠٧) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : فكيف يهتدون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : لايبصرون الحقّ .

وقوله (وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ على مَكانَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم فى منازلهم (فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ) يقول : فلايستطيعون أن يمضوا أمامهم ، ولا أن يرجعوا وراءهم .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ) قال : لو نشاء لأقعدناهُمْ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، ثنا سعيد عن قتادة (وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ) : أى لأقعدناهم على أرجلهم (فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ) فلم يستطيعوا أن يتقدّموا ولا تأخروا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولو نشاء لأهلكناهم فى منازلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ) يقول : ولو نشاء أهلكناهم فى مساكنهم ، والمكانة والمكان بمعنى واحد . وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ؟ (٦٨) وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) فنمُدّ له فى العمر (نُنَكِّسْهُ فِى الخَلْقِ) نردّه إلى مثل حاله فى الصبا من الهرم والكبر ، وذلك هو النكس فى الخلق ، فيصير لايعلم شيئا بعد العلم الذى كان يعلمه .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى الخَلْقِ) يقول : من نُمُدّ له فى العمر ننكسه فى الخلق ، لكيلا يعلم بعد علم شيئا ، يعنى الهَرَم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نُنَكِّسْهُ) فقرأه عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (نَنْكُسْهُ) بفتح النون الأولى ، وتسكين الثانية ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (نُنَكِّسْهُ) بضم النون الأولى وفتح الثانية ، وتشديد الكاف .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن التى عليها عامة قرّاء الكوفيين أعجبُ إلىّ ، لأن التنكيس من الله فى الخلق إنما هو حال بعد حال ، وشىء بعد شىء ، فذلك تأييد للتشديد .

وكذلك اختلفوا فى قراءة قوله (أَفَلا يَعْقِلُونَ) فقرأته قرّاء المدينة (أفلا تَعْقِلُونَ) بالتاء على وجه الخطاب . وقرأته قرّاء الكوفة بالياء على الخبر ، وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل ، لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال (وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) فإخراج ذلك خبرا على نحو ما خرج قوله (لَطَمَسْنا على أَعْيُنِهِمْ) أعجب إلىّ ، وإن كان الآخر غير مدفوع .

ويعنى تعالى ذكره بقوله (أَفَلا يَعْقِلُونَ ؟) : أفلا يعقل هؤلاء المشركون قُدْرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون منْ تصريفه خلقه فيما شاء وأحبّ، من صغر إلى كبر ، ومن تنكيس بعد كبر فى هرم .

وقوله (وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ) يقول تعالى ذكره : وما علّمنا محمدا الشعر ، وما ينبغى له أن يكون شاعرا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ) قال : « قيل لعائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشىء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثّل ببيت أخى بنى قيس ، فيجعل آخره أوّله ، وأوّله آخره ، فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا ، فقال نبىّ الله : إنّى وَاللهِ ما أنا بِشاعِرٍ ، ولا يَنْبَغِى لى » .

وقوله (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ) يقول تعالى ذكره : ما هو إلا ذكر ، يعنى بقوله (إِنْ هُوَ) : أى محمدا إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكّركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبّهكم به على حظكم. (وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) يقول: وهذا الذى جاءكم به محمد قرآن مبين ، يقول : يتبين لمن تدبّره بعقل ولبّ ، أنه تنزيل من الله ، أنزله إلى محمد ، وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) قال : هذا القرآن .

وقوله (لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا) يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم، أيها الناس من كان حىّ القلب ، يعقل ما يقال له ، ويفهم ما يُبَيَّن له ، غير ميت الفؤاد بليد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن رجل ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، فى قوله: (لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا) قال : من كان عاقلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا) : حيّ القلب ، حيّ البصر .

قوله (وَيَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ) يقول : ويحقّ العذاب على أهل الكفر بالله ، المولّين عن اتباعه ، المعرضين عما أتاهم به من عند الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ) بأعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره (أَوَلَمْ يَرَ) هؤلاء المشركون بالله الآلهةَ والأوثانَ (أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا) يقول : مما خلقنا من الخلق (أَنْعاما) وهى المواشى التى خلقها الله لبنى آدم ، فسخّرها لهم من الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَها مالِكُونَ) يقول : فهم لها مصرّفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهُمْ لَها مالِكُونَ) : أى ضابطون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنالَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاما فَهُمْ لَها مالِكُونَ) فقيل له : أهى الإبل ؟ فقال : نعم ، قال : والبقر من الأنعام ، وليست بداخلة فى هذه الآية ، قال : والإبل والبقر والغنم من الأنعام ، وقرأ (ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ) قال : والبقر والإبل هى النعم ، وليست تدخل الشاء فى النعم .

وقوله (وَذَلَّلْناها لَهُمْ) يقول : وذللنا هذه الأنعام لهم (فَمِنْها رَكُوبُهُمْ) يقول : فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها ؛ يقال : هذه دابة ركوب ، والرُّكوب بالضمّ : هو الفعل (وَمِنْها يَأْكُلُونَ) لحومها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ) : يركبونها يسافرون عليها (وَمِنْها يَأْكُلُونَ) لحومها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤)

﴿ يقول تعالى ذكره : ولهم فى هذه الأنعام منافع ، وذلك منافع فى أصوافها وأوبارها وأشعارها ، باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا ، ومن جلودها أكنانا ، ومشارب يشربون ألبانها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) : يلبسون أصوافها (وَمَشَارِبُ) يشربون ألبانها .

وقوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يقول : أفلا يشكرون نعمتى هذه ، وإحسانى إليهم بطاعتى ، وإفراد الألوهية لى والعبادة ، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام .

قوله (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً) يقول : واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ، (لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) يقول : طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ، (٧٥) فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : لاتستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا ، ولا تدفع عنهم ضرا .

وقوله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ) يقول : وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مُحْضَرُونَ) وأين حضورهم إياهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك : وهم لهم جند محضرون عند الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ) قال : عند الحساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهم لهم جند محضرون فى الدنيا يغضبون لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) الآلهة (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ) والمشركون يغضبون للآلهة فى الدنيا ، وهى لاتسوق إليهم خيرا ، ولا تدفع عنهم سوءا ، إنما هى أصنام .

وهذا الذى قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن المشركين عند الحساب تبرأ منهم الأصنام ، وماكانوا يعبدونه ، فكيف يكونون لها جندا حينئذ ، ولكنهم فى الدنيا لهم جند يغضبون لهم ، ويقاتلون دونهم .

وقوله تعالى (فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا يحزنك يامحمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك : إنك شاعر ، وما جئتنا به شعر ، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك . وقوله (إنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إنا نعلم أن الذى يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد ، وهم يعلمون أن الذى جئتهم به ليس بشعر ، ولا يشبه الشعر ، وأنك لست بكذاب ، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ماتدعوهم إليه ، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ، (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ (٧٨) قُلْ : يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)

* يقول تعالى (أَوَ لَمْ يَرَ الإنْسانَ أنَّا خَلَقْناهُ) واختُلف فى الإنسان الذى عُنى بقوله (أَوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ) فقال بعضهم : عُنى به أُبَىّ بن خلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، فى قوله (مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) قال : أُبَىّ بن خَلَف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَظْم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً) أُبَىّ بن خلف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) : ذُكر لنا أن أُبَىّ بن خلف ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظْم حائل ، ففتّه ، ثم ذرّاه فى الريح ، ثم قال : يامحمد من يحيى هذا وهو رميم ، قال : الله يحييه ، ثم يميته ، ثم يُدخلك النار ؛ قال : فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد .

وقال آخرون : بل عُنى به : العاص بن وائل السّهمىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : « جاء العاص بن وائل السهمىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظْم حائل ، ففتّه بين يديه ، فقال : يامحمد

أيبعث الله هذا حيًا بعدما أرمّ ؟ قال : نَعَمْ يَبْعَثُ اللهُ هَذَا ، ثُمَّ يُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نارَ جَهَنَّمَ » قال : ونزلت الآيات : (أَوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : بل عُنِى به : عبدُ الله بن أُبَىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ) . . . إلى قوله (وَهِيَ رَمِيمٌ) قال : «جاء عبد الله بن أُبَىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بعظمٍ حائل ، فكسره بيده ، ثم قال : يامحمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَبْعَثُ اللهُ هَذَا ، وَيُمِيتُكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ ، فقال الله (قُلْ يُحْيِيها الَّذِى أنشأها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) » .

فتأويل الكلام إذن : أو لم ير هذا الإنسان الذى يقول : (مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟) أنا خلقناه من نطفة فسوّيناه خلقا سَوِيًّا (فإذَا هوَ خَصِيمٌ) يقول : فإذا هو ذو خصومة لربه ، يخاصمه فيما قال له ربه إنى فاعل ، وذلك إخبار الله إياه أنه مُحْيِى خلقه بعد مماتهم ، فيقول : مَنْ يحيى هذه العظام وهى رميم ؟ إنكارا منه لقُدرة الله على إحيائها .

وقوله (مُبِينٌ) يقول : يبين لمن سمع خُصومته وقيله ذلك ، أنه مخاصم ربه الذى خلقه . وقوله (وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ) يقول : ومثّل لنا شبها بقوله (مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) إذ كان لايقدر على إحياء ذلك أحد ، يقول : فجعلنا كمن لايقدر على إحياء ذلك من الخلق (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) يقول : ونسى خَلْقَنا إياه كيف خلقناه ، وأنه لم يكن إلا نطفة ، فجعلناها خلقا سَوِيًّا ناطقا . يقول : فلم يفكر فى خلقناه ، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرّفا ، لايعجز أن يعيد الأموات أحياء ، والعظام الرَّميم بشرا كهيئتهم التى كانوا بها قبل الفناء ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) لهذا المشرك القائل لك : من يُحيى العظام وهى رميم (يُحْيِيها الَّذِى أنشأها أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : يحييها الذى ابتدع خلقها أوّل مرّة ولم تكن شيئا (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت ، وكيف يحيى ، وكيف يبدئ ، وكيف يعيد ، لايخفى عليه شىء من أمر خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨١)

۞ يقول تعالى ذكره : قل يحييها الذى أنشأها أول مرة (الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نارًا) يقول : الذى أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تُحْرق الشجر ، لايمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التى قد رَمَّت، وإعادتها بشرا سويًا ، وخلقا جديدا ، كما بدأها أول مرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نارًا) يقول : الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه .

قوله (فإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) يقول : فإذا أنتم من الشجر توقدون النار . وقال (مِنْهُ) والهاء من ذكر الشجر ، ولم يقل : منها ، والشجر جمع شجرة ، لأنه خرج مخرج الثمر والحصَى ، ولو قيل : منها كان صوابا أيضا ، لأن العرب تُذَكِّر مثل هذا وتؤنّثه . وقوله (أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) : يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذى قال (مَنْ يُحْيِى العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ) على خطأ قوله، وعظيم جهله (أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ) السبع (وَالأَرْضَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ) مثلكم ، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض يقول : فمن لم يتعذّر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم ، فكيف يتعذّر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمّت وبليت ؟ وقوله (بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ) يقول : بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم ، وهو الخلاق لما يشاء ، الفعّال لما يريد ، العليم بكلّ ماخلق ويخلق ، لايخفى عليه خافية .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

۞ يقول تعالى ذكره : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ) قال : هذا مثل إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، قال : ليس من كلام العرب شىء هو أخفّ من ذلك ، ولا أهون ، فأمر الله كذلك .

وقوله (فَسُبْحانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ) يقول تعالى ذكره : فتنزيه الذى بيده ملك كلّ شىء وخزائنه . وقوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردّون ، وتصيرون بعد مماتكم .

آخر تفسير سورة يس

تفسير سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالصَّٰفَّٰتِ صَفًّا (١) فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣)

قال أبو جعفر : أقسم الله تعالى ذكره بالصّافات ، والزاجرات ، والتاليات ذكرا ؛ فأما الصّافات : فإنها الملائكة الصافّات لربها فى السماء ، وهى جمع صافّة ، فالصافات : جَمعُ جَمْعٍ ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : كان مسروق يقول فى الصّافّات : هى الملائكة .

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شُعْبة ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصَّافَّاتِ صَفًّا) قال : قسم أقسم الله بخلق ثم خلق ثم خلق . والصّافّات : الملائكة صُفوفا فى السماء .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (والصّافّاتِ) قال : هم الملائكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والصَّافّاتِ صَفًّا) قال : هذا قسم أقسم الله به .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) فقال بعضهم : هى الملائكة تزجُر السحاب تسوقه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) : قال : الملائكة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) قال : هم الملائكة .

وقال آخرون : بل ذلك آى القرآن التى زجر الله بها عما زَجر بها عنه فى القرآن ؛

ذكر من قال ذلك

حدثنابشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) قال : مازجر الله عنه فى القرآن .

والذى هو أولى بتأويل الآية عندنا: ما قال مجاهد ، ومن قال هم الملائكة ، لأن الله تعالى ذكره ، ابتدأ القسم بنوع من الملائكة ، وهم الصافُّون بإجماع من أهل التأويل ، فلأن يكون الذى بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه .

وقوله (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) يقول : فالقارئات كتابا .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بذلك ، فقال بعضهم : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : هم الملائكة .

وقال آخرون : هو ما يُتلى فى القرآن من أخبار الأمم قبلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : ما يُتلى عليكم فى القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله : (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ) والصافات صفّا ، إن معبودكم الذى يستوجب عليكم أيها الناس العبادة ، وإخلاص الطاعة منكم له ، لواحد لاثانى له ولا شريك : يقول : فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالطاعة ، ولا تجعلوا له فى عبادتكم إياه شريكا . وقوله (رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول : هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق ، ومالك ذلك كله ، والقيّم على جميع ذلك ،

يقول : فالعبادة لاتصلح إلا لمن هذه صفته ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشركوا معه فى عبادتكم إياه من لايضرّ ولا ينفع ، ولا يخلق شيئا ولا يُفْنيه .

واختلف أهل العربية فى وجه رفع ربّ السموات ، فقال بعض نحويّ البصرة : رُفع على معنى : إن إلهكم لربٌّ . وقال غيره : هو رَدٌّ على أن إلهكم لواحد ، ثم فَسَّر الواحد ، فقال : ربّ السموات ، وهو ردٌّ على واحد . وهذا القول عندى أشبه بالصواب فى ذلك ، لأن الخبر هو قوله (لَوَاحِدٌ) ، وقوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ) ترجمة عنه ، وبيان مردود على إعرابه .

وقوله (وَرَبُّ المَشَارِقِ) يقول : ومدبّرُ مشارق الشمس فى الشتاء والصيف ومغاربها ، والقيمُ على ذلك ومصلحه ، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه ، واستغنى بذكر المشارق من ذكرها ، إذ كان معلوما أن معها المغارب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ إلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) وقع القسم على هذا ، إن إلهكم لواحد (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ) قال : مَشارق الشمس فى الشتاء والصيف .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (رَبُّ المَشَارِقِ) قال : المشارق ستون وثلاثُ مئة مَشْرِق ، والمغارب مثلها ، عدد أيام السنة .

وقوله (إنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة : بزينةِ الكواكب ، بإضافة الزينة إلى الكواكب ، وخفض الكواكب : (إنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا) التى تليكم أيها الناس وهى الدنيا ، إليكم بتزيينها الكواكبُ : أى بأنْ زينتْها الكواكب . وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة (بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ) بتنوين زينة ، وخفض الكواكب ردّا لها على الزينة ، بمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة هى الكواكب ، كأنه قال : زيناها بالكواكب . ورُوِى عن بعض قرّاء الكوفة ، أنه كان ينوّن الزينة ، وينصب الكواكبَ ، بمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكبَ . ولو كانت القراءة فى الكواكب جاءت رفعا ، إذا نوّنت الزينة ، لم يكن لحنا ، وكان صوابا فى العربية ، وكان معناه : إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكبُ : أى بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر ، فجائز توجيهها إلى أىّ هذه الوجوه التى وُصِفت فى العربية .

وأما القراءة فأعجبها إلىّ بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب ، لصحة معنى ذلك فى التأويل والعربية ، وأنها قراءة أكثر قرّاء الأمصار . وإن كان التنوين فى الزينة وخفض الكواكب عندى صحيحا أيضا . فأما النصب فى الكواكب والرفع ، فلا أستجيز القراءةَ بهما ، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافهما ، وإن كان لهما فى الإعراب والمعنى وجه صحيح .

وقد اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك إذا أضيفت الزينة إلى الكواكب ، فكان بعض نحويّى البصرة يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فليس يعنى بعضها ، ولكن زينتها حسنها ، وكان غيره يقول : معنى ذلك : إذا قرئ كذلك : إنا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب . وقد بيّنا الصواب فى ذلك عندنا .

وقوله (وَحِفْظًا) يقول تعالى ذكره : (وَحِفْظًا) للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (وَحِفْظًا) فقال بعض نحويّى البصرة : قال وحفظا ، لأنه بدل من اللفظ بالفعل ، كأنه قال : وحفظناها حفظا . وقال بعض نحويّى الكوفة : إنما هو من صلة التزيين أنا زينا السماء الدنيا حفظا لها ، فأدخل الواو على التكرير : أى وزيناها حفظا لها ، فجعله من التزيين ، وقد بيّنا القول فيه عندنا وتأويل الكلام : وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَحِفْظًا) يقول : جعلتها حفظا من كلّ شيطان مارد .

وقوله (لايَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لايَسَّمَّعُونَ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (لايَسْمَعُونَ) بتخفيف السين من يسمعون ، بمعنى أنهم يتسمّعون ولا يسمعون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين بعد لايسمعون ، بمعنى : لايتسمعون ، ثم أدغموا التاء فى السين فشدّدوها .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بالتخفيف ، لأن الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، أن الشياطين قد تتسمع الوحى ، ولكنها تُرْمَى بالشهب لئلا تسمع .

ذكر رواية بعض ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كانت للشياطين مَقاعد فى السماء ، قال : فكانوا يسمعون الوحى ، قال : وكانت النجوم لاتجرى ، وكانت الشياطين لاترمى ، قال : فإذا سمعوا الوحى ، نزلوا إلى الأرض ، فزادوا فى الكلمة تسعا ؛ قال : فلما بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطانُ إذا قعد مقعده جاء شهاب ، فلم يُخطئه حتى يحرقه ، قال : فشكَوا ذلك إلى إبليس ، فقال : ما هو إلا لأمر حدث ؛ قال : فبعث جنوده ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين جبلَيْ نخلة ؛ قال أبو كُرَيب ، قال وكيع : يعنى بطن نخلة ، قال : فرجعوا إلى إبليس فأخبروه ، قال : فقال هذا الذى حدث .

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفىّ ، قالا : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الجنّ يصعدون إلى السماء الدنيا يستمعون الوحى ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زادوا فيكون باطلا ؛ فلما بُعث النبىّ صلى الله عليه وسلم مُنِعوا مقاعدَهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس :

ما هذا إلا لأمر حدث فى الأرض ، فبعث جنوده ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذى حدث .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الجنّ لهم مقاعد ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الزهرىّ ، عن علىّ بن الحسين ، عن أبى إسحاق ، عن ابن عباس ، قال : حدثنى رهط من الأنصار ، قالوا : « بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ رأى كوكبا رُمِىَ به ، فقال : ما تقولون فى هذا الكوكب الذى يُرْمى به ؟ فقلنا : يُولد مولود ، أو يهلك هالك ، ويموت ملك ، ويملك ملك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولكِنَّ اللهَ كانَ إذَا قَضَى أمْرًا فى السَّماءِ ، سَبَّحَ لذَلِكَ حَمَلَةُ العَرْشِ ، فَيُسَبِّحُ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ مِنَ المَلائِكَةِ ، فَمَا يَزَالُونَ كذلكَ حَتى يَنْتَهِىَ التَّسْبِيحُ إلى السَّماءِ الدُّنْيا ، فَيَقُولُ أهْلُ السَّماءِ الدُّنيا لِمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ المَلائِكَةِ : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : ما نَدْرِى سَمِعْنا مَنْ فَوْقَنا مِنَ المَلائِكَةِ سَبَّحُوا ، فَسَبَّحْنا اللهَ لِتَسْبِيحِهِمْ ، ولكِنَّا سَنَسْأَلُ ، فَيَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَمَا يَزَالُونَ كذلكَ حَتى يَنْتَهِىَ إلى حَمَلَةِ العَرْشِ ، فَيَقُولُونَ : قَضَى اللهُ كَذَا وكَذَا ، فَيُخْبِرُونَ بِهِ مَنْ يَلِيهِمْ حَتَّى يَنْتَهُوا إلى السَّماءِ الدُّنْيا ، فَتَسْتَرِقُ الجِنُّ ما يَقُولُونَ ، فَيَنْزِلُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ مِنَ الإنْسِ ، فَيُلْقُونَهُ على ألْسِنَتِهِمْ ، بِتَوَهُّمٍ مِنْهُمْ ، فَيُخْبِرُونَهُمْ بِهِ ، فَيَكُون بَعْضُهُ حَقًّا وبَعْضُهُ كَذِبا ، فَلَمْ تَزَلِ الجِنّ كذلكَ حَتى رُمُوا بِهذِهِ الشُّهُبِ » .

حدثنا ابن وكيع وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن علىّ بن حسين ، عن ابن عباس ، قال : « بينما النبىّ صلى الله عليه وسلم فى نفر من الأنصار ، إذ رُمِىَ بنجم ، فاستنار ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا فى الجاهِلِيَّةِ إذَا رأَيْتُمُوهُ ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم ، أو يولد عظيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنَّهُ لا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ ، وَلكِنَّ رَبَّنا تَبارَكَ اسْمُهُ إذَا قَضَى أمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ ، ثُمَّ سَبَّحَ أهْلُ السَّماءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أهْلَ هَذِهِ السماءِ ، ثُمَّ يَسْأَلُ أهْلُ السَّماءِ السابعة حملة العرش : فإذا قال ربنا ، فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهلُ كل سماء ، حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدُّنْيا ، وتَخْطَفُ الشَّياطِينُ السَّمْعَ ، فَيَرْمُونَ ، فَيَقْذِفُونَهُ إلى أوْلِيائِهِمْ ، فَمَا جاءُوا بِهِ على وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَلَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا معمر ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن علىّ بن حسين ، عن ابن عباس ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى نفر من أصحابه ، قال : فرُمِىَ بنجم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه زاد فيه : قلتُ للزهرىّ : أكان يُرْمى بها فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بُعث النبىّ صلى الله عليه وسلم » .

حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عاصم بن عليّ ، قال : ثنا أبي عليّ بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : «كان للجنّ مقاعد في السماء، يستمعون الوحي ، وكان الوحي إذا أُوحِيَ سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يُرْمَى بها على الصَّفْوان. فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خرّ لجباههم مَنْ في السماء من الملائكة ، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي (قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا الحَقَّ ،وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) قال : فيتنادون ، قال : ربكم الحقّ وهو العليّ الكبير ؛ قال : فإذا أنزل إلى السماء الدنيا ، قالوا : يكون في الأرض كذا وكذا موتا ، وكذا وكذا حياة ، وكذا وكذا جُدوبة ، وكذا وكذا خِصْبا ، وما يريد أن يصنع ، وما يريد أن يبتدئ تبارك وتعالى ، فنزلت الجنّ ، فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس ، مما يكون في الأرض ، فبيناهم كذلك ، إذ بعث الله النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فزجرت الشياطين عن السماء ورَمَوْهم بالكواكب ، فجعل لايصعَد أحد منهم إلا احترق ، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك ، وقالوا : هلك مَنْ في السماء ، وكان أهل الطائف أوّل من فزع ، فينطلق الرجل إلى إبله ، فينحَر كلّ يوم بعيرا لآلهتهم ، وينطلق صاحب الغنم ، فيذبح كلّ يوم شاة ، وينطلق صاحب البقر ،فيذبح كلّ يوم بقرة، فقال لهم رجل: ويلَكم! لا تُهلكوا أموالكم ، فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء، فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم . وقال إبليس : حدث في الأرض حدث، فأتى من كلّ أرض بتربة ، فجعل لايؤتى بتربة أرض إلا شمها ، فلما أتى بتربة تهامة قال : هاهنا حدث الحدث ، وصرف الله إليه نفرا من الجنّ وهو يقرأ القرآن ، فقالوا (إنَّا سَمِعْنا قُرْآنا عَجَبا ؟ حتى ختم الآية ، فولَّوا إلى قومهم منذرين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لَهيعة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عُروة،عن عائشة : أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ في العَنانِ وَهُوَ السَّحابُ، فَتَذْكُرُ ما قُضِيَ في السَّماءِ ، فَتَسْتَرِقُ الشَّياطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إلى الكُهَّانِ ، فَيَكْذِبُونَ مَعَها مِئَةَ كِذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ » ، فهذه الأخبار تُنبئ عن أن الشياطين تسمع ، ولكنها تُرْمَى بالشهب لئلا تسمع .

فإن ظنّ ظانّ أنه لما كان في الكلام « إلى» ، كان التسمع أولى بالكلام من السمع ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن العرب تقول : سمعت فلانا يقول كذا ، وسمعت إلى فلان يقول كذا ، وسمعت من فلان .

وتأويل الكلام : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كلّ شيطان مارد أن لايسَّمَّع إلى الملأ الأعلى ، فحذفت « إن » اكتفاء بدلالة الكلام عليها ، كما قيل : «كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لايؤمنون به » ، بمعنى : أن لايؤمنوا به ، ولو كان مكان « لا» أن ، لكان فصيحا ، كما قيل : (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا) بمعنى : أن لاتضلوا ، وكما قال : (وأَلْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ)

بمعنى : أن لاتميد بكم . والعرب قد تجزم مع «لا» في مثل هذا الموضع الكلام ، فتقول : ربطت الفرس لايَنْفَلِتْ ، كما قال بعض بني عُقَيل :

وَحَتَّى رَأَيْنا أَحْسَنَ الوُدِّ بَيْنَنا　　مُساكَنَةً لايَقْرِفِ الشَّرَّ قارِفُ [١]

ويُروى : لايقرف رفعا ، والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل .

وقال قتادة في ذلك ما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لايَسَّمَّعُونَ إلى المَلإِ الأَعْلَى) قال : منعوها . ويعني بقوله (إلى المَلإِ) : إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم .

وقوله (وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً) ويُرْمون من كلّ جانب من جوانب السماء دُحُورا .

والدحور : مصدر من قولك : دَحَرْته أدحَرُه دَحْرا ودُحورا ، والدَّحْر : الدفع والإبعاد ، يقال منه : ادْحَرْ عنك الشيطان : أي ادفعه عنك وأبعده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً) قذفا قذفا بالشهب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيُقْذَفُونَ) يُرمون (مِنْ كُلِّ جانِبٍ) قال : من كلّ مكان . وقوله (دُحُوراً) قال : مطرودين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً) قال : الشياطين يُدْحَرون بها عن الاستماع ، وقرأ وقال (إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) .

وقوله (وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ) يقول تعالى ذكره : ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب .

واختلف أهل التأويل في معنى الواصب ، فقال بعضهم : معناه : الموجع :

---

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧١) قال في تفسير قوله تعالى : « لا يسمعون » قرأها عبد الله بالتشديد ، على معنى « لا يتسمعون » . وكذلك قرأها ابن عباس ، وقال : يسمعون ولا يتسمعون . قال الفراء : ومعنى « لا » كقوله « كذلك سلكناه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به » ، لو كان في موضع « لا » « أن » صلح ذلك ، كما قال : « يبين الله لكم أن تضلوا » . وكما قال : « وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » . ويصلح في « لا » على هذا المعنى الجزم . العرب تقول : ربطت الفرس لاينفلت ، وأوثقت عبدى لا يفرر . وأنشد بعض بني عقيل « وحتى رأينا . . . . . البيت » . وبعضهم يقول : لايقرف الشر (برفع الفعل) قال : والرفع لغة أهل الحجاز ، وبذلك جاء القرآن . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : موجع .

وحدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : الموجع .

وقال آخرون : بل معناه : الدائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) : أى دائم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : دائم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) يقول لهم عذاب : دائم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عمن ذكره ، عن عكرمة (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : دائم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال : الواصب : الدائب .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : تأويل من قال : معناه : دائم خالص ، وذلك أن الله قال (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع ، وإنما وصفه بالثبات والخلوص ؛ ومنه قول أبى الأسود الدؤلىّ :

لا أشْتَرِى الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ   يَوْمًا بِذَمِّ الدَّهْرِ أجْمَعَ وَاصِبا[1]

أى دائما .

وقوله (إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ) يقول : إلا من استرق السمع منهم (فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) : يعنى : مضىء متوقد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) من نار وثقوبه : ضوءه .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٠٨ – ١) قال فى تفسير قوله تعالى « عذاب واصب » : دائم قال أبو الأسود الدؤلى : « لا أشترى الحمد . . . » البيت . اهـ . وفى معانى القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٧١) : وقوله « عذاب واصب » « وله الدين واصبا » : دائم خالص . اهـ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (شِهابٌ ثاقِبٌ) قال : شهاب مضىء يحرقه حين يُرْمى به .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فأَتْبَعَهُ شِهابٌ) قال : كان ابن عباس يقول : لايقتلون الشهاب ، ولا يموتون ، ولكنها تحرقهم من غير قتل ، وتُخَبِّل وتُخْدِج من غير قتل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) قال : والثاقب : المستوقد ؛ قال : والرجل يقول : أثقِب نارك ، ويقول : استثقِب نارك ، استوقد نارك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : سُئل الضحاك ، هل للشياطين أجنحة ؟ فقال : كيف يطيرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ، إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاستفت يامحمد هؤلاء المشركين الذين يُنكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء : يقول : فسَلْهم : أهم أشدّ خلقا ؟ يقول : أخلقُهم أشدّ ؟ أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود : (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنا) ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنا) ؟ قال : السموات والأرض والجبال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك أنه قرأ (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنا) ؟ . وفى قراءة عبد الله بن مسعود (عَدَدْنا) يقول : (رَبُّ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَما بَيْنَهُما ، وَرَبُّ المَشارِقِ) يقول : أهم أشدّ خلقا ، أم السموات والأرض ؟ يقول : السموات والأرض أشدّ خلقا منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنا) من خلق السموات والأرض ، قال الله : (لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) قال يعنى المشركين ، سلهم أهم أشدّ خلقا (أَمْ مَنْ خَلَقْنا) ؟

وقوله (إنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) يقول : إنا خلقناهم من طين لاصق . وإنما وصفه جلّ ثناؤه باللُّزوب ، لأنه تراب مخلوط بماء ، وكذلك خَلْق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء ، والتراب إذا خُلط بماء صار طينا لازبا ، والعرب تُبدل أحيانا هذه الباء ميما ، فتقول : طين لازم ؛ ومنه قول النجاشىّ الحارثى :

بَنى اللُّؤْمُ بَيْنَنا فاسْتَقَرَّتْ عِمادُهُ عليكُمْ بَنِي النَّجَّارِ ضَرْبَةَ لازِمِ[1]

ومن اللازب قول نابغة بنى ذُبيان :

ولا يَحْسَبُونَ الخَيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ وَلا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ[2]

وربما أبدلوا الزاى التى فى اللازب تاء ، فيقولون : طين لاتب ، وذُكر أن ذلك فى قَيس ، زعم الفراء أن أبا الجرّاح أنشده :

صُداعٌ وَتَوْصِيمُ العِظامِ وَفَتْرَةٌ وغَثْىٌ معَ الإشْراقِ فى الجوْفِ لاتِبُ[3]

بمعنى : لازم ، والفعل من لازب : لَزِبَ يَلْزُبُ لزْبا[4] ولُزوبا ، وكذلك من لاتب : لَتَبَ يَلْتُبُ لُتُوبا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى (لازِبٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرى ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال : هو الطين الحرّ الجيد اللزج .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : اللازب : الجيد .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٨ - ا) قال فى قوله تعالى « من طين لازب » : مجازه مجاز لازم » . قال النجاشى : « بنى اللؤم . . . . البيت » . اهـ .

(٢) وهذا البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٨ . ا) . وهو كالشاهد الذى قبله على أن معنى اللازب اللازم . قال نابغة بنى ذبيان : ولا يحسبون الخير . . . البيت » : اهـ .

(٣) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧١) قال : اللازب : اللاصق . قال : وقيس تقول : « طين لاتب » أنشدنى بعضهم : صداع وتوصيم . . . البيت . قال : والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازب ، ولازم ؛ يبدلون الباء ميما ، لتقارب المخرج . اهـ . وفى (اللسان : « لتب » اللاتب : الثابت ؛ تقول منه : لتب يلتب) . (بوزن يقتل) لتبا ولتوبا ، وأنشد أبو الجراح :

فإن يك هذا من نبيذ شربته فإنى من شرب النبيذ لتائب

صداع وتوصيم . . . .

البيت : وفى اللسان عن الفراء فى قوله تعالى « من طين لازب » : قال : اللازب واللاتب واحد . قال : وقيس تقول : طين لاتب . واللاتب : اللازق ، مثل اللازب . وهذا الشىء ضربة لاتب كضربة لازم . اهـ .

(٤) فى الأصل : ويلزب . وهو تحريف عما أثبتناه . لتصريحهم بأن الفعل من باب نقد . وأن المصدر لزبا ولزوبا . (انظر اللسان والمصباح : لزب) . وضبط فى التاج ككرم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك، عن ابن عباس قال : اللازب : اللَّزج : الطيب .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ طِينٍ لازِبٍ) يقول : ملتصق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال : من التراب والماء فيصير طينا يَلْزَق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال : اللازب : اللَّزج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سلمان ، عن الضحاك (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) واللازب : الطين الجيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) واللازب : الذى يَلْزَق باليد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال : لازم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِىّ ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال : هو اللازق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال : اللازب : الذى يلتصق كأنه غِراء ، ذلك اللازب .

قوله (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة : (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من عَجِبْتَ ، بمعنى : بل عظم عندى وكبر اتخاذهم لى شريكا، وتكذيبهم تنزيلى وهم يَسْخَرُون . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء بمعنى : بل عجبت أنت يامحمد ويسخرون من هذا القرآن .

والصواب من القول فى ذلك : أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

فإن قال قائل : وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما ؟ قيل : إنهما وإن اختلف معنياهما فكلّ واحد من معنييه صحيح ، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل ، وسخر منه أهل الشرك بالله ، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون فى الله ، وسخر المشركون بما قالوه .

فإن قال : أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما ؟ قيل : التنزيل بكلتيهما . فإن قال : وكيف يكون تنزيل

حرف مرّتين ؟ قيل : إنه لم ينزل مرّتين ، إنما أنزل مرّة ، ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما ، وهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه ، بما فيه الكفاية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قال : عجب محمد عليه السلام من هذا القرآن حين أُعطيه ، وسخر منه أهل الضلالة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا ذُكِّر هؤلاء المشركون حُجَجَ الله عليهم ، ليعتبروا ويتفكروا ، فينيبوا إلى طاعة الله (لايذكرون) : يقول : لاينتفعون بالتذكير فيتذكروا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا ذُكِّرُوا لايَذْكُرُونَ) : أى لاينتفعون ولا يُبْصرون .

وقوله (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) يقول : وإذا رأوا حُجّة من حجج الله عليهم ، ودلالة على نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يستسخرون : يقول : يَسْخَرون ويستهزئون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) : يَسْخَرون منها ويستهزئون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) قال : يستهزئون ، يَسْخَرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون من قُرَيش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذى جئتنا به إلاّ سحرٌ مبين : يقول : يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر (أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا وَعِظاما أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) يقولون : منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم ، أئنا لمبعوثون أحياءً من قبورنا بعد مماتنا ، ومصيرنا ترابا وعظاما ، قد ذهب عنها اللحوم (أوَ آباؤُنا الأوَّلُونَ) الذين مضوا من قبلنا ، فبادوا وهلكوا ؟ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء : نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم وأنتم داخرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا وَعِظاما أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أوآباؤُنا الأوَّلُونَ) تكذيبا بالبعث (قُلْ نَعَمْ وأنْتُمْ داخِرُونَ) .

وقوله (وأنْتُمْ داخِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وأنتم صاغرون أشدّ الصَّغَر من قولهم صاغر داخر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنْتُمْ داخِرُونَ) : أى صاغرون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وأنْتُمْ دَاخِرُونَ) قال : صاغرون .

وقوله (فإنَّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فإذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى ذكره : فإنما هى صيحة واحدة ، وذلك هو النفخ فى الصور (فإذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) يقول : فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : هى النفخة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُواْ : يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١)

﴿ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون المكذّبون إذا زُجِرَتْ زَجْرَةٌ واحدة ، ونُفخ فى الصور نفخة واحدة : يا ويلنا هذا يوم الدين . يقولون : هذا يوم الجزاء والمحاسبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) قال : يدين الله فيه العباد بأعمالهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) قال : يوم الحساب .

وقوله (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) يقول تعالى ذكره : هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه ، الذى كنتم به تكذّبون فى الدنيا فتنكرونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) يعنى : يوم القيامة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ) قال : يوم يُقضى بين أهل الجنة وأهل النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

* احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ ، فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)

وفى هذا الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذُكر عما تُرِك ، وهوَ : فيقال : احشروا الذين ظلموا ، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله فى الدنيا ، وعَصَوْه وأزواجهم وأشياعهم ، على ما كانوا عليه من الكفر بالله ، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بَشير ، عن عمر بن الخطاب (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ) قال : ضُرَباءهم .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ) يقول : نظراءهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ) يعنى : أتباعهم ، ومن أشبههم من الظلمة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، قال : سألت أبا العالية ، عن قول الله

(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) قال : الذين ظلموا وأشياعهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبى العالية ، أنه قال فى هذه الآية (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ) قال : وأشياعهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود ، عن أبى العالية مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) : أى وأشياعهم الكفار مع الكفار .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ) قال : وأشباههم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أزواجهم فى الأعمال ، وقرأ (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ،وأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ،والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) فالسابقون زوج، وأصحاب الميمنة زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، قال : كلّ من كان من هذا حشره الله معه . وقرأ (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوّجت على الأعمال ، لكل واحد من هؤلاء زوج ، زوّج الله بعض هؤلاء بعضا ، زوّج أصحاب اليمين أصحاب اليمين ، وأصحاب المشأمة أصحابَ المشأمة ، والسابقين السابقين ، قال : فهذا قوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ) قال : أزواج الأعمال التى زوّجهن الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَزْوَاجَهُمْ) قال : أمثالهم .

وقوله (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ، فوجّهوهم إلى طريق الجحيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) الأصنام .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) يقول : وجّهوهم ، وقيل : إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره (وَقِفُوهُمْ) : احبسوهم : أى احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم ، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) فاختلف أهل التأويل فى المعنى الذى يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه ، فقال بعضهم : يسألهم : هل يعجبهم ورود النار؟.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، قال : «كنا عند عبد الله ، فذكر قصة ، ثم قال : يتمثل الله للخلق فيلقاهم ، فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال : فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون ؟فيقولون : نعبد عُزَيرا ، قال : فيقول : هل يسرّكم الماء ؟ فيقولون : نعم ، فيريهم جهنم وهى كهيئة السَّراب ، ثم قرأ (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا) قال : ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : المسيح ، فيقول : هل يسرّكم الماء ؟ فيقولون : نعم ، فيريهم جهنم ، وهى كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ، ثم قرأ عبد الله (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) .

وقال آخرون : بل ذلك للسؤال عن أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن رجل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَيُّمَا رَجُلٍ دَعَا رَجُلاً إِلَى شَيْءٍ كَانَ مَوْقُوفًا لازِمًا بِهِ ، لايُغَادِرُهُ ، وَلا يُفَارِقُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم ، إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله .

وقوله (ما لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ) يقول : مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) يقول : بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه ، موقنون بعذابه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما لَكُمْ لاتَنَاصَرُونَ) لاوالله لايتناصرون ، ولا يدفع بعضهم عن بعض (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) فى عذاب الله .

وقوله (وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) قيل : معنى ذلك : وأقبل الإنس على الجنّ يتساءلون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) الإنسُ على الجنّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوٓاْ : إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨) قَالُواْ : بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ، بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : قالت الإنس للجنّ : إنكم أيها الجنّ كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحقّ ، فتخدعوننا بأقوى الوجوه ، واليمين : القوّة والقدرة فى كلام العرب ؛ ومنه قول الشاعر :

إذَا مارَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ　　　تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ[1]

يعنى : بالقوّة والقدرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) قال : عن الحق ، الكفار تقوله للشياطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالُوا إنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) قال : قالت الإنس للجنّ : إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال : من قبل الخير ، فتنهوننا عنه ، وتبطّئوننا عنه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) قال : تأتوننا من قبل الحقّ ، تزينّون لنا الباطل ، وتصدّوننا عن الحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) قال : قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا : إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال : تحولون بيننا وبين الخير ، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان ، والعمل بالخير الذى أمر الله به .

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٧٢) قال فى قوله تعالى : « كنتم تأتوننا عن اليمين » : يقول : كنتم تأتوننا من قبل الدين ، أى تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه . واليمين أى بالقوة والقدرة . قلت : والبيت للشماخ يمدح عرابة الأوسى ، وقبله :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو　　　إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

انظر (اللسان : يمن) . وفسره كما فسره الفراء . وعرابة الأوسى : هو ابن أوس بن قيظى ، قيل : هو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فى غزوة الخندق : « إن بيوتنا عورة » . قال السهيلى فى « الروض الأنف ٢ : ١٩٠ » : وكان عرابة الأوسى سيدا ، ولا صحبة له ، وقد قيل له صحبة ، وذكرناه فيمن استصغر يوم أحد ، وهو الذى يقول فيه الشماخ : « إذا ما راية رفعت لمجد . . . البيت » .

وقوله (قالُوا بَلْ لَمْ تكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) يقول تعالى ذكره : قالت الجنّ للإنس مجيبة لهم : بل لم تكونوا بتوحيد الله مُقِرّين ، وكنتم للأصنام عابدين (وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) يقول : قالوا : وما كان لنا عليكم من حُجَّة ، فنصدّكم بها عن الإيمان ، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحقّ (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طاغِينَ) يقول : قالوا لهم : بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين ، على الله متعدّين ، إلى ما ليس لكم التعدّى إليه ، من معصية الله وخلاف أمره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قالت لهم الجنّ (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) حتى بلغ (قَوْمًا طاغِينَ) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) قال : الحجة . . وفى قوله (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طاغِينَ) قال : كفّار ضلال .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤)

❁ يقول تعالى ذكره : فحقّ علينا قول ربنا ، فوجب علينا عذاب ربنا ، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم ، بما قدّمنا من ذنوبنا ومعصيتنا فى الدنيا ، فهذا خبر من الله عن قيل الجنّ والإنس .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا) . . . الآية ، قال : هذا قول الجنّ .

وقوله (فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ) يقول : فأضللناكم عن سبيل الله ، والإيمان به ، إنا كنا ضالين ، وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجنّ والإنس ، قال الله : (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى العَذابِ مُشْتَرِكُونَ) . يقول : فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم ، وما كانوا يعبدون من دون الله ، والّذين أغوَوا الإنس من الجنّ يوم القيامة ، فى العذاب مشتركون جميعا فى النار ، كما اشتركوا فى الدنيا فى معصية الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى العَذابِ مُشْتَرِكُونَ) قال : هم والشياطين . (إِنَّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصىَ الله فى الدنيا على طاعته ، والكفرَ به على الإيمان ، فنذيقهم العذاب الأليم ، ونجمع بينهم وبين قرنائهم فى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات ، كانوا فى الدنيا إذا قيل لهم : قولوا (لاإلهَ إلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ) يقول : يتعظَّمون عن قيل ذلك ويتكبرون ، وترك من الكلام قولوا ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إذَا قِيلَ لَهُمْ لاإلهَ إلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ) قال : يعنى المشركين خاصّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُمْ كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لاإلهَ إلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ) قال : قال عمر بن الخطاب : احْضُروا موتاكم ، ولقنوهم لاإله إلا الله ، فإنهم يرون ويسمعون .

وقوله (وَيَقُولُونَ أئِنَّا لَتارِكُو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون من قريش : أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون . يقول : لاتباع شاعر مجنون ، يعنون بذلك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، ونقول لاإله إلا الله ؟

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُونَ أئِنَّا لَتارِكُو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (بَلْ جاءَ بالحَقّ) وهذا خبر من الله مكذّبا للمشركين الذين قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : شاعر مجنون : كذَبوا ، ما محمد كما وصفوه به ، من أنه شاعر مجنون ، بل هو لله نبىّ جاء بالحقّ من عنده ، وهو القرآن الذى أنزله عليه ، وصدّق المرسلين الذين كانوا من قبله .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ جاءَ بالحَقّ) بالقرآن (وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ) : أي صدّق من كان قبله من المرسلين .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة ، القائلين لمحمد : شاعر مجنون (إِنَّكُمْ) أيها المشركون (لَذَائِقُوا العَذَابِ) الموجع فى الآخرة ، (وَمَا تُجْزَوْنَ) يقول : وما تُثابون فى الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها (إِلاَّ) ثواب (ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا ، معاصيَ الله . وقوله (إِلاَّ عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ) يقول : إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته ، وكتب لهم السعادة فى أمّ الكتاب ، فإنهم لايذوقون العذاب ، لأنهم أهل طاعة الله ، وأهل الإيمان به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلاَّ عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ) قال : هذه ثَنِيَّةُ الله .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) يقول : هؤلاء وهم عباد الله المخلَصون لهم رزق معلوم ، وذلك الرزق المعلوم : هو الفواكه التى خلقها الله لهم فى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) فى الجنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) قال : فى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧)

قوله (فَوَاكِهُ) ردّا على الرزق المعلوم ، تفسيرا له ، ولذلك رفعت . وقوله (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) يقول : وهم مع الذى لهم من الرزق المعلوم فى الجنة ، مكرمون بكرامة الله التى أكرمهم الله بها (فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يعنى : فى بساتين النعيم (على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) يعنى : أن بعضهم يقابل بعضا ، ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض . وقوله (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) يقول تعالى ذكره : يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ، ظاهرة لأعينهم غير غائرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) قال : كأس من خمر جاريه . والمعين : هى الجارية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم ، فى قوله (بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) قال : كلّ كأس فى القرآن فهو خمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : كل كأس فى القرآن فهو خمر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) قال : الخمر . والكأس عند العرب : كلّ إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا ، ولكنه يكون إناء .

وقوله (بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يعنى بالبيضاء : الكأس ، ولتأنيث الكأس أنث البيضاء ، ولم يقل أبيض ، وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : صفراء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (بَيْضَاءَ) قال السدىّ فى قراءة عبد الله : صفراء .

وقوله (لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يقول : هذه الخمر لذّة يلتذّها شاربوها .

وقوله (لا فِيهَا غَوْلٌ) يقول : لا فى هذه الخمر غَوْل ، وهو أن تغتال عقولهم : يقول : لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها ، كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها ، فأكثروا منها ، كما قال الشاعر :

وَمَا زَالَتِ الكَأْسُ تَغْتَالُنَا　　وَتَذْهَبُ بِالأَوَّلِ الأَوَّلِ [١]

والعرب تقول : ليس فيها غِيلَة وغائلة وغَوْل ، بمعنى واحد ، ورفع غَوْل ولم ينصب بلا، لدخول حرف الصفة بينها وبين الغَوْل ، وكذلك تفعل العرب فى التبرئة ، إذا حالت بين لا والاسم ، بحرف من حروف الصفات ، رفعوا الاسم ولم ينصبوه . وقد يحتمل قوله (لا فِيهَا غَوْلٌ) أن يكون مَعْنيا به : ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه . وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه ، أو ينال بداهية عظيمة : غال فلانا غُول .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ليس فيها صُداع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لا فِيهَا غَوْلٌ) يقول : ليس فيها صُداع .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها أذًى ، فتشتكى منه بطونهم .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة : الورقة ٢٠٩ - ١) قال : « لا فيها غول » : مجازه : ليس فيها غول . والغول : أن تغتال عقولهم . قال الشاعر : « وما زالت الكأس . . . البيت » . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) : وقوله : « لا فيها غول » : لو قلت : لا غول فيها ، كان رفعا ونصبا (أى كانت « لا » عاملة عمل ليس ، أو عمل إن) . قال فإذا حلت بين الغول بلام أو بغيرها من الصفات (حروف الجر) لم يكن إلا الرفع . والغول : يقول : ليس فيها غيلة ، وغائلة وغول . اهـ . وأنشد البيت فى (اللسان : غول) عن أبى عبيدة ، وفيه : « الخمر » فى موضع : « الكأس » . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لافيها غَوْلٌ) قال : هي الخمر ليس فيها وجع بطن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قوله لافيها غَوْلٌ) قال : وجع بطن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : الغَوْل ما يوجع البطون ، وشارب الخمر هاهنا يشتكي بطنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لافيها غَوْلٌ) يقول : ليس فيها وجع بطن ، ولا صُداع رأس .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها لاتغول عقولهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (لافيها غَوْلٌ) قال : لاتغتال عقولهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها أذًى ولا مكروه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَيْر ، في قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : أذًى ولا مكروه .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبد الله بن بزيعة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبَيْر ، في قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : ليس فيها أذًى ولا مكروه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها إثم .

ولكلّ هذه الأقوال التي ذكرناها وجه ، وذلك أن الغَوْل في كلام العرب : هوما غال الإنسان ، فذهب به ، فكلّ من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل ، فقالوا : غالت فلانا غُول ، فالذاهب العقل من شرب الشراب ، والمشتكي البطن منه ، والمصدَّع الرأس من ذلك ، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غُوْل .

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد نَفَى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْل ، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه ، كما قال جلّ ثناؤه (لافيها غَوْلٌ) فيعمّ بنفي كلّ معاني الغَوْل عنه ، وأعمّ ذلك أن يقال : لاأذى فيها ولا مكروه على شاربيها ، في جسم ولا عقل ، ولا غير ذلك .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاى ، بمعنى : ولا هم عن شربها تُنْزَف عقولهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (ولا هُمْ عَنْها يُنْزِفُونَ) بكسر الزاى ، بمعنى : ولا هم عن شربها يَنْفَد شرابهم .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، غير مختلفتيه ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن أهل الجنة لاينفَدُ شرابهم ، ولا يُسكرهم شربهم إياه ، فيُذهِب عقولَهم .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لاتذهب عقولهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) يقول : لاتذهب عقولهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) قال : لاتُنْزَف ، فتذهب عقولهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) قال : لاتذهب عقولهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) قال : لاتُنْزَف عقولهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) قال : لاتُنْزَف العقول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) قال : لاتغلبهم على عقولهم .

وهذا التأويل الذى ذكرناه عمن ذكرنا عنه ، لم تفصّل لنا رُواته القراءة الذى هذا تأويلها ، وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها يَنْزِفُونَ ويُنْزَفُون كلتيهما ، وذلك أن العرب تقول : قد نُزِف الرجل فهو منزوف : إذا ذهب عقله من السكر ، وأَنْزَف فهو مُنْزِف . محكية عنهم اللغتان كلتاهما ، فى ذهاب العقل من السكر ؛ وأما إذا فَنِيت خمر القوم ، فإنى لم أسمع فيه إلا أنزَفَ القومُ بالألف ، ومن الإنزاف بمعنى ذهاب العقل من السكر ، قول الأُبَيْرِد :

لَعَمْرِى لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا[1]

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ – ١) قال فى « ولاهم عنها ينزفون » : تقول العرب لاتقطع عنه وتنزف سكرا . وقال الأبيرد الرياحى من بنى عجل : « لعمرى . . . البيت » قال : « آل أبجرا » : آل أبجر من عجل . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) : وقوله « ولاهم عنها ينزفون » وينزفون (مبينا للمجهول والمعلوم) وأصحاب عبد الله يقرءون : ينزفون ، وله معنيان يقال : قد أنزف الرجل : إذا فنيت خمره ، وأنزف : إذا ذهب عقله . فهذا ن وجهان . ومن قال : ينزفون يقول : لاتذهب عقولهم ، وهو منزوف . وفى (اللسان : نزف) : وفى التنزيل : « لايصدعون عنها ولا ينزفون » : أى لا يسكرون . وأنشد الجوهرى للأبيرد :

لَعَمْرِى لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا
شَرِبْتُمْ وَمَدَّرْتُمْ وكانَ أَبُوكُمُ ... كذاكُمْ إذا ما يَشْرَبُ الكَأْسَ مَدَّرَا

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠)

❁ يقول تعالى ذكره : وعند هؤلاء المخلَصين من عباد الله فى الجنة قاصرات الطرف ، وهنّ النساء اللواتى قَصَرْنَ أطرافهنّ على بُعُولتهنّ ، ولا يُرِدْنَ غيرهم ، ولا يَمُدُّنَ أبصارهنّ إلى غيرهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) يقول : عن غير أزواجهنّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ) قال : على أزواجهن ؛ زاد الحارث فى حديثه : لاتبغى غيرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ) قال : قَصَرْنَ أبصارهنّ وقلوبهنّ على أزواجهن ، فلا يُرِدن غيرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذُكر أيضا عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ) قال : قَصَرْنَ طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يُرِدْنَ غيرهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (قاصِراتُ الطَّرْفِ) قال : لاينظرن إلا إلى أزواجهنّ ، قد قَصَرْنَ أطرافهنّ على أزواجهنّ ، ليس كما يكون نساءُ أهل الدنيا .

وقوله (عِينٌ) يعنى بالعين : النُّجْلَ العيون عِظامها ، وهى جمع عَيْناء ، والعيناء : المرأة الواسعة العين عظيمتها ، وهى أحسن ما تكون من العيون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (عِينٌ) قال : عظام الأعين .

= قال ابن برى : هو أبجر بن جابر العجلى ، وكان نصرانيا . قال : وقوم يجعلون المزف مثل المزوف ، الذى قد نُزِف دمه . وقال اللحيانى : نُزِف الرجل ، فهو منزوف ونزيف سكر ، فذهب عقله . اهـ . وقول الأبيرد « شربتم ومدرتم » لعله يريد : سلحتم على أنفسكم لذهاب عقولكم ؛ من قولهم : مدرت الضبع : إذا سلحت . وانظر (اللسان : مدر) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عِينٌ) قال : العَيناء : العظيمة العين .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفيّ الدِّمْياطيّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن أبيه ، عن أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها قالت : «قلت يا رسول الله، أخبرني عن قول الله (حُورٌ عِينٌ) قال : العِينُ : الضِّخامُ العُيُونِ شُفْرُ الحَوراءِ بِمَنْزِلَةِ جَناحِ النَّسْرِ » .

وقوله (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) اختلف أهل التأويل في الذي به شُبِّهن من البيض بهذا القول ، فقال بعضهم : شُبِّهن ببطن البيض في البياض ، وهو الذي داخل القِشْر ، وذلك أن ذلك لم يمسَّه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، في قوله (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : كأنهن بطْن البيض .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : البيض حين يُقْشر قبل أن تمسَّه الأيدى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) لم تمرّ به الأيدى ، ولم تمسه ، يشبهن بياضه .

وقال آخرون : بل شبهن بالبيض الذى يحضنه الطائر ، فهو إلى الصفرة ، فشبه بياضهنّ في الصفرة بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : البيض الذى يُكِنه الريش ، مثل بيض النعام الذى قد أكنه الريش من الريح ، فهو أبيض إلى الصُّفْرة، فكأنه يَبْرُق ، فذلك المكنون .

وقال آخرون : بل عنى بالبيض في هذا الموضع : اللؤلؤ ، وبه شُبِّهن في بياضه وصفائه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) يقول : اللؤلؤ المكنون .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى : قول من قال : شبهن في بياضهن ، وأنهن لم يمسّهنّ قبل أزواجهنّ إنس ولا جانّ ، ببياض البيض ، الذى هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة المُلْبَسَة المُخَّ ، قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها ، وذلك لاشكّ هو المكنون ؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسُّها ، والأيدى تباشرها ، والعُشّ يلقاها . والعرب تقول لكلّ مصون : مكنون ، ما كان ذلك الشيء : لؤلؤا كان ، أو بيضا ، أو متاعا ، كما قال أبو دَهْبَل :

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوّ اصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ [١]

وتقول لكلّ شيء أضمرته الصدور : أكنته ، فهو مُكنٌّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفىّ الدِّمياطىّ ، عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة ، عن هشام ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سلمة ، قلتُ : « يا رسول ، الله أخبرنى عن قوله (كأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الجِلْدَةِ التى رأيتَها فى داخلِ البَيْضَةِ ، التى تَلِى القِشْرَ ، وَهِيَ الغِرْقِىءُ » .

وقوله (فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) يقول تعالى ذكره : فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون ؛ يقول : يسأل بعضهم بعضا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) : أهل الجنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) قال : أهل الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : قال قائل من أهل الجنة ، إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون (إِنّى كانَ لى قَرِينٌ) . فاختلف أهل التأويل فى القرين الذى ذُكر فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : كان ذلك القرين شيطانا ، وهو الذى كان يقول له (أئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ) بالبعث بعد الممات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إِنّى كانَ لى قَرِينٌ) قال : شيطان .

وقال آخرون : ذلك القرين شريك كان له من بنى آدم ، أو صاحب .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ — ١) قال فى قوله تعالى : « بيض مكنون » أى مصون . كل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنته ، فهو مكنون . وكل شىء أضمرته فى نفسك فقد أكننته . قال الشاعر : « وهى زهراء . . . البيت » اه . ولم يصرح باسم القائل ، وصرح به المؤلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ يقول أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) قال : هو الرجل المشرك يكون له الصاحب فى الدنيا من أهل الإيمان ، فيقول له المشرك : إنك لتُصدّق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا ؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة ، وأدخل المؤمنُ الجنة ، وأدخل المشرك النار ، فاطلع المؤمن ، فرأى صاحبه فى سَواء الجحيم (قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : عتاب بن بشير ، عن خَصِيف ، عن فُرات بن ثعلبة البَهْرانىّ فى قوله (إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ) قال : إن رجلين كانا شريكين ، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حِرْفة ، والآخر ليس له حرفة ، فقال الذى له حرفة للآخر : ليس لك حرفة ، ما أُرانى إلا مُفارِقَك ومُقاسِمَك ، فقاسمه وفارقه ، ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار ، كانت لملك مات ، فدعا صاحبه فأراه ، فقال : كيف ترى هذه الدار ، ابتعتُها بألف دينار ؟ قال : ما أحسنَها ! فلما خرج قال : اللهمّ إن صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار ، وإنى أسألك دارا من دور الجنة ، فتَصَدّقَ بألف دينار ؛ ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه تزوّج امرأة بألف دينار ، فدعاه وصنع له طعاما ؛ فلما أتاه قال : إنى تزوّجت هذه المرأة بألف دينار ؛ قال : ما أحسن هذا ؛ فلما انصرف قال : يا ربّ إن صاحبى تزوّج امرأة بألف دينار ، وإنى أسألك امرأة من الحور العين ، فتصدّقَ بألف دينار ؛ ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم اشترى بستانين بألفى دينار ، ثم دعاه فأراه ، فقال : إنى ابتعت هذين البستانين ، فقال : ما أحسن هذا ! فلما خرج قال : يا ربّ إن صاحبى قد اشترى بستانين بألفى دينار ، وأنا أسألك بستانين من الجنة ، فتصدّقَ بألفى دينار ؛ ثم إن الملك أتاهما فتوفّاهما ؛ ثم انطلق بهذا المتصدّق ، فأدخله دارا تعجبه ، فإذا امرأة تَطَّلِعُ يضىء ما تحتها من حُسنها ، ثم أدخله بستانين ، وشيئا الله به عليم ، فقال عند ذلك : ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا ، قال : فإنه ذاك ، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة ، قال : فإنه كان لى صاحب يقول : (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) ؟ قيل له : فإنه فى الجحيم ، قال : فهل أنتم مُطَّلِعون ، فاطَّلَع فرآه فى سواء الجحيم ، فقال عند ذلك (تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) . . . الآيات .

وهذا التأويل الذى تأوّله فُراتُ بن ثعلبة يقوّى قراءة من قرأ (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَّدِّقِينَ) بتشديد الصاد بمعنى : لمن المتصدقين ، لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره ، إنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة ، لا على التصديق ، وقراءة قرّاء الأمصار على خلاف ذلك ، بل قراءتها بتخفيف الصاد ، وتشديد الدال ، بمعنى : إنكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت ، كأنه قال : أتصدّق بأنك تُبعث بعد مماتك ، وتُجْزَى بعملك ، وتحاسَب ؟ يدل على ذلك قول الله (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ) وهى القراءة الصحيحة عندنا ، التى لا يجوز خلافُها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (أئِنَّا لَمَدِينُونَ) يقول : أئنا لمحاسبون ومجزيُّون بعد مصيرنا عظاما ، ولحومنا ترابا ؟
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أئِنَّا لَمَدِينُونَ) يقول : أئنا لمجازَوْن بالعمل كما تَدِين تُدان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أئِنَّا لَمَدِينُونَ) : أئنا لمحاسبون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أئِنَّا لَمَدِينُونَ) : محاسبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)

❊ يقول تعالى ذكره : قال هذا المؤمن الذى أُدخل الجنة لأصحابه : (هل أنتم مُطَّلِعون) فى النار ، لعلّى أرى قرينى الذى كان يقول لى : إنك لمن المصدِّقين بأنا مبعوثون بعد الممات . وقوله (فاطَّلَعَ فرآهُ فى سَوَاءِ الجَحِيمِ) يقول : فاطلع فى النار ، فرآه فى وَسَط الجحيم . وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو فقالوا : نعم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (فاطَّلَعَ فرآهُ فى سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فى سَوَاءِ الجَحِيمِ) يعنى : فى وَسَط الجحيم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فى سَوَاءِ الجَحِيمِ) يعنى : فى وسط الجحيم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، فى قوله (فى سَوَاءِ الجَحِيمِ) يقول : فى وسط الجحيم .

حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت الحسن ، فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : وَسَطها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَلْ أنتُمْ مُطَّلِعُونَ) قال : سأل ربه أن يطلعه ، قال (فاطَّلَعَ فرآهُ فى سَوَاءِ الجَحِيمِ) : أى فى وسط الجحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن خُلَيد العَصَرىّ ، قال : لولا أن الله عرّفه إياه ما عرفه ، لقد تغير حِبْرُهُ وسِبْرُه [1] بعده . وذُكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم ، فقال : (تَاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ، وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبّى لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إبراهيم بن أبى الوزير ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ، فى قوله (فاطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : والله لولا أنه عرّفه ماعرفه ، لقد غيرت النار حِبْرَهُ وسِبْره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) قال : كان ابن عباس يقرؤها (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونِ ، فاطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : فى وسط الجحيم .

وهذه القراءة التى ذكرها السدىّ ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ فى (مُطَّلِعُونِ) ، إن كانت محفوظة عنه ، فإنها من شواذّ الحروف ، وذلك أن العرب لاتُؤْثر فى المكنىّ من الأسماء إذا اتصل بفاعل على الإضافة ، فى جمع أوتوحيد ، لايكادون أن يقولوا أنت مُكَلِّمُنى ، ولا أنتما مكلِّمانى ، ولا أنتم مكلِّمونى ولا مُكَلِّمُونَنِى ، وإنما يقولون : أنت مُكَلِّمى ، وأنتما مكلماىَ ، وأنتم مُكَلِّمِىَّ ؛ وإن قال قائل منهم ذلك ، قاله على وجه الغلط ، توهما به : أنت تكلمنى ، وأنتما تكلماننى ، وأنتم تكلموننى ، كما قال الشاعر :

وَمَا أَدْرِى وَظَنِّى كُلُّ ظَنٍّ		أَمُسْلِمُنِى إلى قَوْمى شَرَاحِى؟[2]

فقال : مسلمنى ، وليس ذلك وجه الكلام ، بل وجه الكلام أمسلمى ؛ فأما إذا كان الكلام ظاهرا ولم يكن متصلا بالفاعل ، فإنهم ربما أضافوا ، وربما لم يضيفوا ، فيقال : هذا مكلمٌ أخاك ، ومكلمُ أخيك ، وهذان مكلما أخيك ، ومكلمان أخاك ، وهؤلاء مكلمو أخيك ، ومكلمون أخاك ؛ وإنما تختار الإضافة فى المكنى المتصل بفاعل ، لمصير الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه ، كالحرف الواحد .

وقوله (تَاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) يقول : فلما رأى قرينه فى النار قال : تالله إن كدت فى الدنيا لتهلكنى بصدك إياى عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب .

(١) فى (اللسان : حبر) الحبر والسبر : الحسن والبهاء .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) قال فى قوله تعالى « هل أنتم مطلعون » : وقرأ بعض القراء : « هل أنتم مطلعون فاطلع » فكسر النون ، وهو شاذ ؛ لأن العرب لا تختار على الإضافة إذا أسندوا فاعلا مجموعا أو موحدا ، إلى مكنى عنه . فى ذلك أن يقولوا : أنت ضاربى ، ويقولون للاثنين : أنتما ضارباى ، وللجميع أنتم ضاربى ، ولا يقولون للاثنين أنتما ضاربانى ، ولا للجميع : أنتم ضاربونى ؛ وإنما تكون هذه النون فى يضربونى يضربنى وربما غلط الشاعر ، فيذهب إلى المعنى ، فيقول : أنت ضاربنى؟يتوهم أنه أراد : هل تضربنى ، فيكون ذلك على غير صحة ، قال الشاعر : « وما أدرى وظنى . . . . البيت » ، يريد شراحيل ، ولم يقل : أمسلمى ، وهو وجه الكلام . وقال آخر :

هم القائلون الخير والفاعلونه		إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل : « الفاعلوه » ، وهو وجه الكلام . وإنما اختاروا (العرب) الإضافة فى الاسم المكنى ، لأنه يختلط بما قبله (أى يلتصق به) فيصير الحرفان كالحرف الواحد ، فلذلك استحبوا الإضافة فى المكنى ، وقالوا هما ضاربان زيدا ، وضاربا زيد ، لأن زيدا فى ظهوره لايختلط بما قبله ، لأنه ليس بحرف واحد ، والمكنى (الضمير) : حرف . فأما قوله « فاطلع » : فإنه على جهة فعل ذلك به ، كما تقول : دعا فأجيب ياهذا . ويكون : هل أنتم مطلعون فأطلع أنا ، فيكون منصوبا بجواب الفاء . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قوله (إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) قال : لتهلكنى ، يقال منه : أردَى فلان فلانا : إذا أهلكه ، وردِى فلان : إذا هلك ، كما قال الأعشى :

أَفِى الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَىَّ الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْــلَهُ لَمْ يَرِمْ[1]

يعنى بقوله : « وكم من رَدٍ » : وكم من هالك .

وقوله (وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ) يقول : ولولا أن الله أنعم علىّ بهدايته ، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت ، لكنتُ من المحضَرين معك فى عذاب الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ) : أى فى عذاب الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ) قال : من المعذّبين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ؟ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن ، الذى أعطاه الله ما أعطاه من كرامته فى جنته ، سرورا منه بما أعطاه فيها (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَى؟) يقول : أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى فى الدنيا ، (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) يقول : وما نحن بمعذّبين بعد دخولنا الجنة . (إنَّ هَذَا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) : يقول : إن هذا الذى أعطاناه الله من الكرامة فى الجنة ، أنا لا نعذّب ولا نموت ، لهو النَّجاء العظيم ، مما كنا فى الدنيا نحذر من عقاب الله ، وإدراك ما كنا فيها ، نؤمل بإيماننا ، وطاعتنا ربنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ) . . . إلى قوله (الفَوْزُ العَظِيمُ) قال : هذا قول أهل الجنة .

وقوله (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ) يقول تعالى ذكره : لمثل هذا الذى أعطيتُ هؤلاء المؤمنين ، من الكرامة فى الآخرة ، فليعمل فى الدنيا لأنفسهم العاملون ، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن معد يكرب . والبيت من أبيات فى آخرها ، يخاطب الشاعر بها ابنته التى تخشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها ، فيرد عليها قائلا : أخفت على الموت بسبب السفر ؛ فانظرى كم إنسان يموت ولا يبرح ديار أهله . والردى : الهلاك ، وهو محل الشاهد على قوله تعالى : « إن كدت لتردين » أى إنك كدت تهلكنى . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ – ب) : أرديته : أهلكته وردى هو : أى هلك . اهـ .

وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٧٢) قال : « هل أنتم مطلعون » : هذا رجل من أهل الجنة ، قد كان له أخ من أهل الكفر ، فأحب أن يرى مكانه ، فيأذن الله له ، فيطلع فى النار ويخاطبه ، فإذا رآه قال : « تالله إن كدت لتردين » . وفى قراءة عبدالله (هو ابن مسعود) : « إن كدت لتغوين . ولولا رحمة ربى لكنت من المحضرين » : أى معك فى النار محضرا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : أهذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين ،الذين وصفت صفتهم، من كرامتى فى الجنة ، ورزقتهم فيها من النعيم خير ،أو ما أعددت لأهل النار من الزقّوم . وعُنِى بالنُّزُل : الفضل ، وفيه لغتان : نُزُل ونُزْل ، يقال للطعام الذى له رَيْع : هوطعام له نزل ونزل . وقوله (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية، قال المشركون: كيف ينبتُ الشجر فى النار ،والنار تُحْرِق الشجر ؟ فقال الله : (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) يعنى لهؤلاء المشركين الذين قالوا فى ذلك ماقالوا ، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة ، (فَقَالَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) ؟ حتى بلغ (فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ) قال: لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظَّلَمة ، فقالوا : ينبئكم صاحبكم هذا،أن فى النار شجرة ،والنار تأكل الشجر ، فأنزل الله ماتسمعون: أنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، غُذِيت بالنار ، ومنها خُلقت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال أبو جهل : لما نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ) قال : تعرفونها فى كلام العرب : أنا آتيكم بها ، فدعا جارية فقال: ائتينى بتمر وزُبْد ، فقال: دونكم تزقَّموا ، فهذا الزَّقوم الذى يخوّفكم به محمد ، فأنزل الله تفسيرها (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) قال : لأبى جهل وأصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) قال : قول أبى جهل : إنما الزَّقوم التمر والزبد أتزقَّمه .

وقوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) يقول تعالى ذكره : كأن طلع هذه الشجرة ، يعنى شجرة الزقوم فى قُبحه وسماجته : رءوس الشياطين فى قُبحها .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (إِنَّهَا شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) قال : شبهه بذلك .

فإن قال قائل : وما وجه تشبيه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين فى القبح ، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين ، وإنما يمثّل الشىء بالشىء تعريفا من المُمثِّل المُمثَّل له ، قربُ اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه ، مع معرفة المُمثَّل له الشيئين كليهما ، أو أحدهما ، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين ، لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم ، ولا برءوس الشياطين ، ولا كانوا رأوهما ، ولا واحدا منهما ؟

قيل له : أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها ، حتى عرفوها ما هى وما صفتها ، فقال لهم (شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الجَحِيمِ ، طَلْعُها كأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) فلم يتركهم فى عماء منها . وأما فى تمثيله طلعها برءوس الشياطين ، فأقوال ، لكل منها وجه مفهوم : أحدها أن يكون مثّل ذلك برءوس الشياطين ، على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم ، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم ، إذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشىء ، قال : كأنه شيطان ، فذلك أحد الأقوال . والثانى : أن يكون مُثّل برأس حية معروفة عند العرب ، تسمى شيطانا ، وهى حية له عُرْف فيما ذُكر ، قبيح الوجه والمنظر ، وإياه عنى الراجز بقوله :

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الحَمَاطِ أَعْرَفُ[1]

ويروى : عُجَيِّزٌ . والثالث : أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين ذُكر أنه قبيح الرأس (فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ) يقول تعالى ذكره : فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة ، لآكلون من هذه الشجرة التى هى شجرة الزّقوم ، فمالئون من زَقّومها بطونهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم ، شَوْبا ، وهو الخَلْط من قول العرب : شاب فلان طعامه فهو يشوبه شَوْبا وشِيابا (مِنْ حَمِيمٍ) والحميم : الماء المحموم ، وهو الذى أُسخن فانتهى حرّه ، وأصله مفعول ، صُرف إلى فعيل .

---

(١) هذان البيتان من مشطور الرجز ، أنشدهما الفراء فى معانى القرآن . (مصورة الجامعة ٢٧٣) عند تفسير قوله تعالى : « كأنه رءوس الشياطين » قال : فإن فيه فى العربية ثلاثة أوجه : أحدها : أن تشبه طلعها فى قبحه برءوس الشياطين ، لأنها موصوفة بالقبح ، وإن كانت لا ترى ، وأنت قائل للرجل كأنه شيطان : إذا استقبحته . والآخران : العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وهو حية ذو عرف ، قال الشاعر وهو يذم امرأة له : « عنجرد تحلف . . . البيت » . ويقال : إنه نبت قبيح يسمى برءوس الشياطين . والأوجه الثلاثة إلى معنى واحد فى القبح . اهـ . وفى (اللسان : عنجرد) : الأزهرى - الفراء : امرأة عنجرد خبيثة سيئة الخلق ، وأنشد بيت الشاهد . وقال غيره : امرأة عنجرد : سليطة . وفى (اللسان : حمط) عن الجوهرى : الحماط يبيس الأفاق ، تألفه الحيات ، يقال شيطان حماط ، كما يقال : ذئب غضى ، وتيس حلب . وقال الأزهرى العرب تقول لجنس من الحيات : شيطان الحماط . وقيل الحماطة بلغة هذيل : شجر عظام تنبت فى بلادهم ، تألفها الحيات . والحماط : تبن الذرة خاصة عن أبى حنيفة . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) . يقول : لَمَزْجا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) يعنى : شرب الحميم على الزّقوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) قال : مزاجا من حميم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) قال : الشّوب : الخَلْط ، وهو المَزْج .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) قال : حميم يُشاب لهم بغساق مما تَغْسِقُ أعينهم ، وصديد من قيحهم ودمائهم ، مما يخرج من أجسادهم .

وقوله (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : ثم إن مآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) فهم فى عناء وعذاب من نار جهنم ، وتلا هذه الآية (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدّى ، فى قوله (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) قال فى قراءة عبد الله (ثُمَّ إِنَّ مُنْقَلَبَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) وكان عبد الله يقول : « والذى نفسى بيده ، لاينتصف النهار يوم القيامة ، حتى يَقيلَ أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، ثم قال (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) قال : موتهم [1] .

وقوله (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) يقول : إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم : قولوا لا إله إلا الله يستكبرون ، وجدوا آباءهم ضُلالا عن قصد السبيل ، غير سالكين مَحَجّة الحقّ (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) يقول : فهؤلاء يُسْرِع بهم فى طريقهم ، ليقتفوا آثارهم وسنتهم ، يقال منه : أُهْرِع فلان : إذا سار سيرا حثيثا ، فيه شَبَه بالرعدة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) : أى وجدوا آباءهم ضالّين .

---

(١) لعله : مقرهم أو مآلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ) : أى وجدوا آباءهم .

وبنحو الذى قلنا فى يُهرَعون أيضا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) قال : كهيئة الهرْوَلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) : أى يُسرعون إسراعا فى ذلك .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (يُهْرَعُونَ) قال : يُسْتَرعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يستعجلون إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)

* يقول تعالى ذكره : ولقد ضلّ يامحمد عن قصد السبيل ومَحجّة الحقّ قبل مشركى قومك من قريش ، أكثر الأمم الخالية من قبلهم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ) يقول : ولقد أرسلنا فى الأمم التى خلت من قبل أمتك ، ومن قبل قومك المكذّبيك ، منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا ، فكذّبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم ، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) يقول : فتأمل وتبين كيف كان غِبُّ أمر الذين أنذرْتهم أنبياؤنا ، وإلامَ صار أمرهم ؟ وما الذى أعقبهم كفرهم بالله ؟ ألم نُهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ؟ ولمن بعدهم عظة ؟

وقوله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) يقول تعالى : فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين ، إلا عبادَ الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله ، واستثنى عباد الله من المنذَرين ، لأن معنى الكلام : فانظر كيف أهلكنا المنذَرين إلا عباد الله المؤمنين ، فلذلك حسن استثناؤهم منهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إلاَّ عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ) قال : الذين استخلصهم الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : لقد نادانا نوح بمسئلته إيانا هلاك قومه ، فقال : (رَبِّ إنِّى دَعَوْتُ قَوْمى لَيْلاً وَنَهارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائى إلاَّ فِرارًا) . . . إلى قوله (رَبِّ لاتَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) . وقوله (فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ) يقول : فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا ، فأجبنا له دعاءه ، فأهلكنا قومه (وَنَجَّيْناهُ وأهْلَهُ) يعنى : أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة . وقد ذكرناهم فيما مضى قبل ، وبيّنا اختلاف العلماء فى عددهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ نادَانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ) قال : أجابه الله .

وقوله (مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) يقول : من الأذى والمكروه الذى كان فيه من الكافرين ، ومن كرب الطُّوفان والغرق الذى هلك به قوم نوح .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضّل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنَجَّيْناهُ وأهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) قال : من الغرق .

وقوله (وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ) يقول : وجعلنا ذرّيّة نوح هم الذين بقوا فى الأرض بعد مَهْلِك قومه ، وذلك أن الناس كلهم من بعد مَهْلِك نوح إلى اليوم ، إنما هم ذرّيّة نوح ، فالعجم والعرب أولاد سام ابن نوح ، والترك والصقالبة والخزَر أولاد يافث بن نوح ، والسودان أولاد حام بن نوح ، وبذلك جاءت الآثار ، وقالت العلماء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عَثْمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ) قال : سام وحام ويافث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ) قال : فالناس كلهم من ذرّيّة نوح .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ) يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ (٧٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ (٨٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ) وأبقينا عليه ، يعنى على نوح ذكرا جميلا ، وثناء حسنا فى الآخِرين ، يعنى : فيمن تأخّر بعده من الناس ، يذكرونه به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ) يقول : يُذْكَر بخير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ) يقول : جعلنا لسان صدق للأنبياء كُلِّهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ) قال : أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ) قال : الثناء الحسن .

وقوله (سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِى العالَمِينَ) يقول : أَمَنَةٌ من الله لنوح فى العالمين ، أن يَذْكُره أحد بسوء ، وسلام مرفوع بعلى . وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : معناه : وتركنا عليه فى الآخِرين . (سَلامٌ عَلَى نُوحٍ) : أى تركنا عليه هذه الكلمة ، كما تقول : قرأت من القرآن (الحمد لله ربّ العالمين) ، فتكون الجملة فى معنى نصب ، وترفعها باللام ، كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى ، وهو فى تأويل نصب ، قال : ولو كان : تركنا عليه سلاما ، كان صوابا .

وقوله (إِنَّا كَذَلكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا كما فعلنا بنوح ، مجازاة له على طاعتنا ، وصبره على أذى قومه فى رضانا (فَأَنْجَيْناهُ وأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ، وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ) ، وأبقينا عليه ثناءً فى الآخِرين (كَذَلكَ نَجْزِى) الذين يُحْسِنون فيطيعوننا ، وينتهون إلى أمرنا ، ويصبرون على الأذى فينا . وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ) يقول : إن نوحا من عبادنا الذين آمنوا

بنا ، فوحدونا ، وأخلصوا لنا العبادة ، وأفردونا بالألوهة . وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ) يقول تعالى ذكره : ثم أغرقنا حين نجّينا نوحا وأهله من الكرب العظيم ، من بَقِىَ من قومه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ) قال : أنجاه الله ومن معه فى السفينة ، وأغرق بقية قومه .

القول فى تأويل قوله تعالى

*** وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ؟ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ؟ (٨٦)**

يقول تعالى ذكره : وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته ، والله لإبراهيمَ خليلَ الرحمن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) يقول : من أهل دينه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) قال : على منهاج نوح وسنته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) قال : على منهاجه وسنته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) قال : على دينه وملته .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) قال : من أهل دينه .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك : وإن من شيعة محمد لإبراهيم ، وقال ذلك مثل قوله (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) بمعنى : أنا حملنا ذرية من هم منه ، فجعلها ذرية لهم ، وقد سبقتهم .

وقوله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إذ جاء إبراهيمُ ربَّه بقلب سليم من الشرك ، مخلص له التوحيد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) والله من الشرك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشكّ فيه .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثّام بن علىّ ، قال : ثنا هشام ، عن أبيه ، قال : يا بنىّ لاتكونوا لعانين ، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئا قطّ . فقال الله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

وقوله (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ؟) يقول حين قال : يعنى إبراهيم لأبيه وقومه : أىّ شىء تعبدون ؟

وقوله (أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ ؟) يقول : أكذبا معبودا غير الله تريدون ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ؟ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ، فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ؟ (٩٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه : (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ؟ يقول : فأىّ شىء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره .

وقوله (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم ، فرأى نجما قد طلع ، فعصب رأسه وقال : إنى مَطْعُون . وكان قومه يهربون من الطاعون ، فأراد أن يتركوه فى بيت آلهتهم ، ويخرجوا عنه ، ليخالفهم إليها فيكسرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) قال : قالوا له وهو فى بيت آلهتهم : اخرج ، فقال إنى مَطْعُون ، فتركوه مخافة الطاعون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ، فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) : رأى نجما طلع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه رأى نجما طلع فقال (إِنِّى سَقِيمٌ) قال : كايَدَ نبىّ الله عن دينه ، فقال : إنى سقيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) قالوا لإبراهيم وهو فى بيت آلهتهم : اخرج معنا ، فقال لهم : إنى مطعون ، فتركوه مخافة أن يعديهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن أبيه ، فى قول الله (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ، فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) قال : أرسلَ إليه ملكهم ، فقال : إن غدًا عيدنا ، فاحضر معنا ، قال : فنظر إلى نجم ، فقال : إن ذلك النجم لم يطلع قطُّ إلا طلع بسقم لى ، فقال : (إِنِّى سَقِيمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ، فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) يقول الله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) . وقوله (إِنِّى سَقِيمٌ) : أى طَعِين ، أو لسقم كانوا يهرُبون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ، ليبلغ من أصنامهم الذى يريد .

واختلف فى وجه قيل إبراهيم لقومه : (إِنِّى سَقِيمٌ) وهو صحيح ، فروُى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلاَّ ثَلاثَ كَذَبَاتٍ » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنى هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غَيْرَ ثَلاثِ كَذَبَاتٍ ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ ، قوله : إِنِّى سَقِيمٌ ، وقَوْلِهِ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، وقَوْلِهِ فِي سارَةَ : هِيَ أُخْتِى » .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ فِي ثَلاثٍ » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبى هريرة ، قال : « ما كذب إبراهيم غير ثلاث كَذَبات ، قوله (إِنِّى سَقِيمٌ) ، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك ، فقال أختى لسارَة ، وكانت امرأته » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : « إن إبراهيم ما كذب إلا ثلاث كذبات ، ثنتان فى الله ، وواحدة فى ذات نفسه ؛ فأما الثنتان فقوله (إِنِّى سَقِيمٌ) ، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وقصته فى سارة ، وذكر قصتها وقصة الملك » .

وقال آخرون : إن قوله (إِنِّى سَقِيمٌ) كلمة فيها مِعْرَاض ، ومعناها أن كلّ من كان فى عقبة الموت فهو سقيم ، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر ، والخبر عن رسول الله صلى الله عليهوسلم بخلاف هذا القول ،

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحقّ دون غيره ، قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) يقول : فتولّوا عن إبراهيم مدبرين عنه ، خوفا من أن يعديَهُم السقم الذى ذكر أنه به .

كما حُدثت عن يحيى بن زكريا ، عن بعض أصحابه ، عن حكيم بن جُبَيْر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (إِنِّى سَقِيمٌ) يقول: مطعون، فتولّوا عنه مدبرين. قال سعيد: إن كان الفرار من الطاعون لقديما.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَوَلَّوْا) فنكصوا عنه مدبرين منطلقين .

وقوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فمال إلى آلهتهم بعدما خرجوا عنه وأدبروا ، وأرى أن أصل ذلك من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه. فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه ، والخروج معهم إلى آلهتهم ؛ كما قال عدىّ بن زيد :

حِينَ لا يَنْفَعُ الرَّوَاغُ وَلا يَنْــــفَعُ إلاَّ المُصَادِقُ النِّحْرِيرُ[1]

يعنى بقوله : « لاينفع الرّوَاغ » : الحِياد . أما أهل التأويل فإنهم فسّروه بمعنى : فمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ) : أى فمال إلى آلهتهم ، قال : ذهب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدّىّ ، قوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ) قال : ذهب .

وقوله (فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ؟ما لَكُمْ لاتَنْطِقُونَ ؟) هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو فقرّب إليها الطعام فلم يرها تأكل ، فقال لها : (أَلا تَأْكُلُونَ) ؟ فلما لم يرها تأكل قال لها : مالكم لا تأكلون ، فلم يرها تنطق ، فقال لها : (ما لَكُمْ لاتَنْطِقُونَ) مستهزئا بها ، وكذلك ذكر أنه فعَل بها ، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبلُ .

وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد، عن قتادة (فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ) ؟ يستنطقهم: (مالَكُمْ لاتَنْطِقُونَ) ؟

---

(١) البيت نسبه المؤلف لعدى بن زيد العبادى ، ولم أجده فى ترجمته فى الأغانى ، ولا فى شعره فى شعراء النصرانية . ولعله من قصيدته التى مطلعها « أرواح مودع أم بكور » . واستشهد به المؤلف عند قول الله تعالى : « فراغ عليهم ضربا باليمين » ، على أن معنى راغ : حاد ، وفسره بعضهم بمال . وفى « اللسان : روغ » : راغ يروغ روغا وروغانا: حاد . وراغ : إلى كذا : أى مال إليه سرا وحاد . وقوله تعالى : « فراغ عليهم ضربا » أى مال وأقبل . اهـ . وفى (اللسان : نحر) : والنحر (بكسر النون) والنحرير : الحاذق الماهر العاقل المجرب . وقيل : النحرير : الرجل الطبن الفطن المتقن البصير فى كل شىء . وجمعه : النحارير . اهـ .

وقال الفراء فى معانى القرآن ٢٧٣ : « فراغ عليهم ضربا باليمين » : أى مال عليهم ضربا ، واغتنم خلوتهم من أهل دينهم . وفى قراءة عبد الله (أى ابن مسعود) : « فراغ عليهم صفقا باليمين » .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ؟ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين ، بفأس فى يده يكسرهنّ .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) فأقبل عليهم يكسرهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين ، ثم جعل يكسرهنّ بفأس فى يده .

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى : فراغ عليهم ضربا بالقوّة والقدرة ، ويقول : اليمين فى هذا الموضع : القوّة . وبعضهم كان يتأوّل اليمين فى هذا الموضع : الحَلِف ، ويقول : جعل يضربهنّ باليمين التى حلف بها بقوله (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (فَرَاغَ عَلَيْهِم صَفْقًا بِالْيَمِينِ) . ورُوى نحو ذلك عن الحسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الحُشَمِىّ ، قال : سمعت الحسن قرأ (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقًا بِالْيَمِينِ) : أى ضربا باليمين .

وقوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض قرّاء الكوفة (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم : زَفَّتِ النعامة ، وذلك أوّل عدوها ، وآخر مشيها ؛ ومنه قول الفرزدق :

وَجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا ... يَزِفُّ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ وَهْىَ زُفَّفُ[1]

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة (يُزِفُّونَ) بضم الياء ، وتشديد الفاء ، من أَزَفَّ فهو يُزِفُّ . وكان الفرّاء يزعم أنه لم يسمع فى ذلك إلا زَفَفْتُ ، ويقول : لعلّ قراءة من قرأه (يُزِفُّونَ) بضم الياء من قول العرب :

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٥٥٨) من قصيدته التى مطلعها : « عزفت بأعشاش وما كدت تعزف » . وفى (اللسان قرع) : القريع من الابل الذى يأخذ بذراع الناقة فينيخها . وقيل سمى قريعا ، لأنه يقرع الناقة ، قال الفرزدق (وأنشد بيت الشاهد) . والإفال : جمع أفيل وأفيلة ، وهو الفصيل . وقال أبو عبيد : الإفال : بنات المخاض . وفى (اللسان : زفف) الزفيف : سرعة المشى مع تقارب وسكون . وقيل : هو أول عدو النعام . زف يزف زفا ، وزفيفا ، وزفوفا ، وأزف عن ابن الأعرابى . قال الفراء فى معانى القرآن : والناس يزفون ، بفتح الياء ، أى يسرعون . وقرأها الأعمش يزفون (بضم الياء) أى يجيئون على هيئة الزفيف ، بمنزلة المزفوفة على هذه الحال . وقال الزجاج : يزفون : يسرعون . وأصله من زفيف النعامة ، وهو ابتداء عدوها . ا هـ .

أَطْرَدتُ الرجل: أى صيرته طريدا ، وطردته : إذا أنت خسأته، إذا قلت : اذهب عنا، فيكون يزفون : أى جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة ، فتدخل الألف كما تقول : أحمدت الرجل : إذا أظهرت حمده، وهو محمد إذا رأيت أمره إلى الحمد ، ولم تنشر حمده ؛ قال : وأنشدنى المفضَّل :

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أنْ يَسُودَ جِذاعَهُ فأمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أذَلَّ وأقْهَرَا(١)

فقال : أَقْهَر ، وإنما هو قُهِر ، ولكنه أراد: صار إلى حال قهر . وقرأ ذلك بعضهم(يَزِفُونَ) بفتح الياء، وتخفيف الفاء، من وَزَفَ يَزِف . وذُكر عن الكسائى أنه لايعرفها، وقال الفرّاء: لاأعرفها إلا أن تكون لغة لم أسمعها . وذُكر عن مجاهد أنه كان يقول : الوَزْف : النَّسَلان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (إلَيْهِ يَزِفُونَ) قال: الوزيف : النَّسَلان .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا: قراءة من قرأه بفتح الياء، وتشديد الفاء ، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب ، والذى عليه قراءة الفصحاء من القرّاء .

وقد اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : معناه : فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرُون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ) : فأقبلوا إليه يجرون .

وقال آخرون : أقبلوا إليه يَمْشُون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ) قال : يَمْشُون .

وقال آخرون : معناه : فأقبلوا يستعجلون .

---

(١) البيت للمخبل السعدى يهجو الزبرقان . واستشهد به الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٧٣) لتخريج قراءة الأعمش قوله تعالى : « فأقبلوا إليه يزفون » بضم الياء . قال كأنها من أزففت ، ولم نسمعها إلا زففت . تقول الرجل : جاءنا يزف (بفتح الياء) . ولعل قراءة الأعمش من قول العرب : قد أطردت الرجل : أى صيرته طريدا ، وطردته : إذا أنت قلت له : اذهب عنا . « يزفون » : أى جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحال ، فتدخل الألف ؛ كما تقول الرجل : هو محمود : إذا أظهرت حمده ، وهو محمد : إذا رأيت أمره إلى الحمد ؛ ولم تنشر حمده . قال : وأنشدنى المفضل : « تمنى حصين . . . البيت » فقال : أقهر : أى صار إلى القهر ، وإنما هو قهر . وقرأ الناس بعد « يزفون » بفتح الياء ، وكسر الزاى . وقد قرأ بعض القراء : « يزفون » بالتخفيف كأنها من وزف يزف . وزعم الكسائى أنه لا يعرفها . وقال الفراء : لاأعرفها أيضا ، إلا أن تكون لم تقع إلينا . وفى اللسان والمحكم : جذع : (وجذاع الرجل : قومه ، لا واحد لها) . قال المخبل يهجو الزبرقان : « تمنى . . . البيت » . أى قد صار أصحابه أذلاء مقهورين . ورواه الأصمعى : قد أذل وأقهرا (بالبناء للمجهول) : فأقهر على هذا ، لغة فى « قهر » (مبنيا للمجهول) . أو يكون « أقهر » وجد مقهورا . وخص أبو عبيدة بالجذاع رهط الزبرقان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن أبيه (فأَقبَلُوا إليهِ يَزِفُّونَ) قال : يستعجلون ، قال : يَزِفُّ : يستعجل .

وقوله (قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أتعبدون أيها القوم ما تنحِتون بأيديكم من الأصنام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ) الأصنام .

وقوله (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ): يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه : والله خلقكم أيها القومُ وما تعملون . وفى قوله (وَما تَعْمَلُونَ) وجهان : أحدهما : أن يكون قوله « ما » بمعنى المصدر ، فيكون معنى الكلام حينئذ : والله خلقكم وعَمَلَكم . والآخر : أن يكون بمعنى الذى ، فيكون معنى الكلام عند ذلك : والله خلقكم والذى تعملونه : أى والذى تعملون منه الأصنام ، وهو الخشب والنحاس والأشياء التى كانوا ينحِتون منها أصنامهم .

وهذا المعنى الثانى قصد إن شاء الله قتادةُ بقوله الذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ بِأيْدِيكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُواْ : ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم : (أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ) : ابنُوا لإبراهيم بنيانا . ذُكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التَّنُّور ، ثم نقلوا إليه الحطب ، وأوقدوا عليه .(فألْقُوهُ فى الجَحِيمِ) والجحيم عند العرب : جمر النار بعضُه على بعض ، والنار على النار .

وقوله (فأرَادُوا بِهِ كَيْدًا) يقول تعالى ذكره : فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدا . وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار ، يقول الله (فَجَعَلْناهُم) أى فجعلنا قوم إبراهيم (الأسْفَلِينَ) يعنى الأذلِّين حُجَّةً ، وغلَّبنا إبراهيم عليهم بالحجة ، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (وأرادُوا بِهِ كَيْدًا فجَعَلْناهُمُ الأسْفَلِينَ) قال : فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم .

وقوله(وَقالَ إنّى ذَاهِبٌ إلى رَبّى سَيَهْدِينِ) يقول : وقال إبراهيم لما أفلَجَه الله على قومه ، ونجّاه من كيدهم (إنّى ذاهِبٌ إلى رَبّى) يقول : إنى مهاجِرٌ من بلدة قومى إلى الله : أى إلى الأرض المقدَّسة ، ومفارقهم ، فمعتزلهم لعبادة الله .

وكان قتادة يقول فى ذلك ماحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ) : ذاهب بعمله وقلبه ونيته .

وقال آخرون فى ذلك : إنما قال إبراهيم : (إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى) حين أرادوا أن يُلْقُوه فى النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت سليمان بن صُرَدَ يقول : لما أرادوا أن يُلْقُوا إبراهيم فى النار (قَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ) فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب ، فقيل لها : أين تريدين ؟ قالت : أريد أذهب إلى هذا الرجل الذى يُلْقَى فى النار ، فلما أُلْقِىَ فيها ، قال : حَسْبِىَ الله عليه توكلت ، أو قال : حسبى الله ونعم الوكيل ، قال : فقال الله : (يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) قال : فقال ابن لُوط ، أو ابن أخى لوط ، إن النار لم تحرقه من أجلى ، وكان بينهما قرابة ، قال : فأرسل الله عليه عُنُقًا من النار فأحرقته .

وإنما اخترت القول الذى قلت فى ذلك ، لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه فى موضع آخر ، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه ، قال : (إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى) ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه : إنى مهاجر إلى أرض الشام ، فكذلك قوله (إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى) لأنه كقوله (إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى) . وقوله (سَيَهْدِينِ) يقول : سيثبتنى على الهدى الذى أبصرته ، ويعيننى عليه .

وقوله (رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ) وهذا مسئلة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا ، يقول : قال : يارب ، هب لى منك ولدا يكون من الصالحين ، الذين يطيعونك ، ولا يعصُونك ، ويصلحون فى الأرض ، ولا يفسدون .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : ولدا صالحا ، وقال : من الصالحين ، ولم يَقُلْ : صالحا من الصالحين ، اجتزاء بمن ذكر المتروك ، كما قال عزّ وجلّ (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) بمعنى : زاهدين من الزاهدين .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ، قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ؟ قَالَ : يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢)

❊ يقول تعالى ذكره : فبشّرنا إبراهيم بغلام حليم ، يعنى بغلام ذى حِلْم إذا هو كَبِر ، فأما فى طفولته فى المهد ، فلا يوصف بذلك . وذُكر أن الغلام الذى بَشّر الله به إبراهيم : إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة : (فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ) بشر بإسحاق ، قال : لم يُثْنَ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم .

وقوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول : فلما بلغ الغلام الذى بُشِّر به إبراهيم ، معَ إبراهيم العملَ ، وهو السعى ، وذلك حين أطاق معونته على عمله .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول : العمل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قالْ : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) قال : لما شبّ حتى أدرك سعيُه سَعْيَ إبراهيمَ فى العمل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : لما شبّ حين أدرك سعيه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) قال : سعى إبراهيم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن شُعْبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) : سَعَى لإبراهيم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) قال : السَّعْيُ هاهنا : العبادة .

وقال آخرون : معنى ذلك : فلما مشى مع إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) : أى لما مشى مع أبيه .

وقوله (قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه : (يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) وكان فيما ذُكر أن إبراهيم نذر حين بشّرته الملائكة بإسحاق ولدا ، أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحا ، فلما بلغ إسحاقُ مع أبيه السَّعْيَ أُرِىَ إبراهيمُ فى المنام ،

فقيل له : أوف لله بنذرك ، ورؤيا الأنبياء يقين ، فلذلك مضى لما رأى فى المنام ، وقال له ابنه إسحاق ماقال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : « قال جبرائيل لسارَة : أبشرى بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت جبهتها عَجَبا ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ أَأَلِدُ وأنا عَجُوزٌ ، وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إنَّ هذَا لَشَيْءٌ عَجِيب) . . . إلى قوله (حَمِيدٌ مَجِيدٌ) قالت : سارَة لجبريل : ما آية ذلك ، فأخذ بيده عودا يابسا ، فلواه بين أصابعه ، فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهيم : هو لله إذن ذَبيح ؛ فلما كبر إسحاق أَتَى إبراهيمُ فى النوم ، فقيل له : أوف بنذرك الذى نَذَرْتَ ، إنّ الله رزقك غلاما من سارَة أن تذبحه ، فقال لإسحاق : انطلق نقرّب قُرْبانا إلى الله ، وأخذ سكينا وحبلا ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال ، قال له الغلام : يا أبت أين قُرْبانك ؟ قال : (يا بنىّ إنى رأيت فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) فقال له إسحاق : يا أَبَتَ اشْدُدْ رباطى حتى لاأضطرب ، واكفُفْ عنى ثيابك ، حتى لاينتضح عليها من دمى شىء ، فتراه سارَة فتحزَن ، وأسْرِعْ مرّ السكين على حلْقى ، ليكون أهون للموت علىّ ، فإذا أتيتَ سارَة ، فاقرأ عليها منى السلام ، فأقبل عليه إبراهيم يقبِّله ، وقد ربطه وهو يبكى ، وإسحاق يبكى ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على حلقه ، فلم تَحِكِ السكين ، وضرب الله صفيحة من نحاس على حلق إسحاق ؛ فلما رأى ذلك ، ضرب به على جبينه ، وحزّ من قفاه ، فذلك قوله : (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يقول : سلَّما لله الأمر (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) ، فنودى يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا بالحقّ ، فالتفت فإذا بكبش ، فأخذه وخلَّى عن ابنه ، فأكبّ على ابنه يقبله ، وهو يقول اليوم : يا بنىّ وُهِبْتَ لى ، فلذلك يقول الله (وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) فرجع إلى سارَة ، فأخبرها الخبر ، فجزِعت سارَة ، وقالت : يا إبراهيم أردت أن تذبح ابنى ولا تُعلمنى » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) قال : رؤيا الأنبياء حقّ ، إذا رأوا فى المنام شيئا فعلوه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال : رؤيا الأنبياء وَحْى ، ثم تلا هذه الآية (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) .

وقوله (فانْظُرْ ماذَا تَرَى) : اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ماذَا تَرَى ؟) ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قرّاء أهل الكوفة (فانْظُرْ ماذَا تَرَى ؟) بفتح التاء ، بمعنى : أىّ شىء تأمر ، أو فانظر ما الذى تأمر ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (ماذَا تُرَى ؟) بضم التاء ، بمعنى : ماذا تُشير ، وماذا تُرَى من صبرك أو جزعك من الذبح .

والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه (ماذَا تَرَى ؟) بفتح التاء ، بمعنى : ماذا ترى من الرأى .

فإن قال قائل : أو كان إبراهيم يؤامر ابنه فى المضىّ لأمر الله ، والانتهاء إلى طاعته ؟ قيل : لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه فى طاعة الله ، ولكنه كان منه ليعلم ماعند ابنه من العزْم : هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذى هو عليه ، فيسر بذلك ؟ أم لا ، وهو فى الأحوال كلها ماض لأمر الله .

وقوله (قالَ يا أبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) يقول تعالى ذكره : قال إسحاق لأبيه : يا أبت افعل مايأمرك به ربك من ذبحى . (سَتَجِدُنِى إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) يقول : ستجدنى إن شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا ، وقال : افعل ما تؤمر ، ولم يقل : ما تُؤْمَر به ، لأن المعنى : افعل الأمر الذى تؤمره ، وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : (إنى أرى فى المنام افعل ما أُمِرْتَ به) .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : فلما أسلما أمرهما لله ، وفوّضاه إليه ، واتفقا على التسليم لأمره ، والرضا بقضائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد ؛ وحدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن صالح ، قالا : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (فَلَمَّا أسْلَمَا) قال : اتفقا على أمر واحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله (فَلَمَّا أسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قال : أسلما جميعا لأمر الله ، ورضى الغلام بالذبح ، ورضى الأب بأن يذبحه ، فقال : يا أبت اقذفنى للوجه ، كيلا تنظر إلىّ فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله (فَلَمَّا أسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) فلما فعل ذلك (نادَيْناهُ أنْ يا إبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا أسْلَمَا) قال : أسلم هذا نفسه لله ، وأسلم هذا ابنه لله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (فَلَمَّا أسْلَمَا) قال : أسلما ما أمرا به .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا أسْلَمَا) يقول : سلّما لأمر الله.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أسْلَمَا) : أى سلّم إبراهيم لذبحه حين أمر به ، وسلم ابنه للصبر عليه ، حين عرف أن الله أمره بذلك فيه .

وقوله (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) يقول : وصَرَعَه للجَبِين ، والجبينان ما عن يمين الجبهة ، وعن شمالها ، وللوجه جبينان ، والجبهة بينهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قال : وضع وجهه للأرض ، قال : لاتذبحنى وأنت تنظر إلى وجهى ، عسى أن ترحمنى ، ولا تجهز علىّ ، اربط يدىّ إلى رقبتى ، ثم ضع وجهى للأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) : أى وكبه لفيه ، وأخذ الشَّفرة (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) حتى بلغ (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قال : أَكَبَّه على جبهته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قال : جبينه ، قال : أخذ جبينه ليذبحه .

حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبى عاصم الغَنَوِىّ ، عن أبى الطُّفَيل ، قال : قال ابن عباس : « إن إبراهيم لما أُمِر بالمناسك ، عرض له الشيطان عند المسعَى فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جَمْرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حَصَيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوُسطَى ، فرماه بسبع حَصَيات حتى ذهب ، ثم تلَّه للجَبِين ، وعلى إسماعيل قَميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غير هذا ، فاخلعه حتى تكفننى فيه ، فالتفت إبراهيم ، فإذا هو بكبش أعيَنَ أبيض ، فذبحه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكِباش » .

وقوله (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) . وهذا جواب قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا) . ومعنى الكلام : فلما أسلما وتلَّه للجبين ، ناديناه : أن يا إبراهيم ، وأدخلت الواو فى ذلك ، كما أدخلت فى قوله (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) وقد تفعل العرب ذلك ، فتدخل الواو فى جواب فلما ، وحتى إذا ، وتلقيها .

ويعنى بقوله (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) التى أريناكها فى منامك بأمرناك بذبح ابنك .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : إنا كما جزَيْناك بطاعتنا يا إبراهيم ، كذلك نجزى الذين أحسنوا ، وأطاعوا أمرنا ، وعملوا فى رضانا .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) : يقول تعالى ذكره : إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق ، لهو البلاء ، يقول : لهو الاختبار الذى يبين لمن فكَّر فيه ، أنه بلاء شديد ومِحْنة عظيمة . وكان ابن زيد يقول : البلاء فى هذا الموضع : الشرّ ، وليس باختبار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) قال : هذا في البلاء الذي نزل به، في أن يذبح ابنه . (صدّقت الرؤيا) : ابتليتَ ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك ، قال : وهذا من البلاء المكروه ، وهو الشرّ ، وليس من بلاء الاختبار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١١)

وقوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) يقول : وفدينا إسحاق بذبح عظيم ، والفدية : الجزاء ، يقول : جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم ، وأنقذناه من الذبح .

واختلف أهل التأويل في المفدِيّ من الذبح ، من ابنَي إبراهيم ، فقال بعضهم : هو إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ابن عبد المطلب (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثني الحسين بن يزيد بن إسحاق ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذي أُمِر بذبحه إبراهيم : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح إسحاق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن الحسن بن دينار ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ، قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام . فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن الزهريّ ، عن العلاء بن حارثة الثقفيّ ، عن أبي هريرة ، عن كعب في قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : من ابنه إسحاق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا زكريا وشعبة ، عن ابن إسحاق ، عن مسروق ، في قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبيد بن عمير ، قال : هو إسحاق .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمير قال : « قال موسى : يا ربّ ، يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئا قطّ إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جاد لي بالذبح ، وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظنّ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد ابن عمير ، عن أبيه ، قال : « قال موسى : أي ربّ ، بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ » ، فذكر معنى حديث عمرو بن عليّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي سنان الشيبانيّ ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب : أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفيّ ، أخبره أن كعبا ، قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبيّ ، قال أبو هريرة : بلى ، قال كعب : لما رأى إبراهيمُ ذبحَ إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم ، لاأفتن أحدا منهم أبدا . فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه . فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه ، دخل على سارَة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق ، قالت سارَة غدا لبعض حاجته . قال الشيطان : لاوالله ما لذلك غدا به . قالت سارَة : فلم غدا به ؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارَة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارَة : فلِمَ يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارَة : فهذا أحسن ، بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارَة ، حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه ، فقال : أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكن غدا بك ليذبحك ، قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لِمَ ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنّه ، قال : فتركه الشيطان ، وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غاديا بابنك ، قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لِمَ أذبحه ؟ قال : زعمتَ أن ربك أمرك بذلك ، قال : الله ، فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلنّ ؛ قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه ، وسَلَّم إسحاق ، أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم ، قال إبراهيم لإسحاق : قم أي بنيّ ، فإن الله قد أعفاك ، وأوحى الله إلى إسحاق : إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهمّ إني أدعوك أن تستجيب لي ، أيّما عبد لقيك من الأوّلين والآخرين لايُشرك بك شيئا ، فأدخله الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن

مسلم الزهرىّ ، عن أبى سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفىّ ، حليف بنى زُهرة ، عن أبى هريرة ، عن كعب الأحبار : أن الذى أُمِر إبراهيم بذبحه من ابنه إسحاق ، وأن الله لما فرّج له ولابنه من البلاء العظيم الذى كان فيه ، قال الله لإسحاق : إنى قد أعطيتك بصبرك لأمرى ، دعوة أعطيك فيها ما سألت ، فسلنى ، قال : ربّ أسألك أن لاتعذّب عبدا من عبادك ، لقيك وهو مؤمن بك ، فكانت تلك مسئلته التى سأل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا سفيان بن عُقْبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبى ميسرة ، قال : قال يوسف للملِك فى وجهه : ترغب أن تأكل معى ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبىّ الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

قال : ثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهُذَيل ، قال : قال يوسف للملِك ، فذكر نحوه .

وقال آخرون : الذى فُدِى بالذِّبح العظيم من بنى إبراهيم : إسماعيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : الذبيح : إسماعيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى بيان ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن محمد بن ميمون السكرىّ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن الذى أُمر بذبحه إبراهيم : إسماعيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن علىّ بن زيد ، عن عمار ، مولى بنى هاشم ، أو عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : هو إسماعيل ، يعنى (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا داود ، عن الشعبىّ ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثنى به يعقوب مرّة أخرى ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : سئل داود بن أبى هند : أىّ ابنى إبراهيم الذى أُمر بذبحه ، فزعم أن الشعبىّ قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن بيان ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس ، أنه قال فى الذى فداه الله بذبح عظيم ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رَباح ، عن عبد الله بن عباس : أنه قال : المفْدِيّ إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس : الذى فداه الله : هو إسماعيل .

حدثنا ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا حجاج بن حماد ، عن أبي عاصم الغَنَوِيّ ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، قال : الذى أراد إبراهيم ذبحه : إسماعيل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال فى هذه الآية (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل ، قال : وكان قَرْنَا الكبش مَنُوطين بالكعبة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، قال : الذبيح إسماعيل.

قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبى ، قال : رأيت قرنى الكبش فى الكعبة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، عن يوسف بن مِهْران ، قال : هو إسماعيل .

قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ وهو يقول : إن الذى أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن إبراهيم ، وما أُمر به من ذبح ابنه إسماعيل ، وذلك أن الله يقول : حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم ، قال (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : بشّرناه بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله ، وما الذى أُمِر بذبحه إلا إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن البصريّ : أنه كان لا يشكّ فى ذلك ، أن الذى أُمِر بذبحه من ابنى إبراهيم : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ يقول ذلك كثيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بُرَيدة بن سفيان بن فَرْوة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ ، أنه حدثهم أنه ذَكَر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإنى لأراه كما هو ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام ،

كان يهوديا ، فأسلم فحسُن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود . فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، فقال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز . فقال له عمر : أىّ ابنى إبراهيم أُمِر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسُدونكم معشر العرب ، على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه ، لصبره لما أمر به . فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، لأن إسحاق أبوهم . فالله أعلم أيهما كان . كلٌّ قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه .

حدثنى محمد بن عمار الرازىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمة ، قال : ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابىّ ، عن عبيد الله بن محمد العُتْبى ، من ولد عتبة بن أبى سفيان ، عن أبيه ، قال : ثنى عبد الله بن سعيد ، عن الصُّنابحىّ ، قال : كنا عند معاوية بن أبى سفيان ، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق . فقال : على الخبير سقطتم : « كنا عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل ، فقال : يا رسول الله عُدْ علىّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين . فضحك عليه الصلاة والسلام . فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم ، نذر لله لئن سَهُل عليه أمرها ، ليذبحنّ أحد ولده . قال : فخرج السهم على عبد الله ، فمنعه أخواله ، وقالوا : افْدِ ابنك بمئة من الإبل ، ففداه بمئة من الإبل ، وإسماعيل الثانى » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : الذى فُدِىَ به إسماعيل ، ويعنى تعالى ذكره الكبش الذى فُدِىَ به إسحاق ، والعرب تقول : لكلّ ما أُعِدّ للذبح ذِبْح . وأما الذَّبح بفتح الذال ، فهو الفعل .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب فى المفدِىّ من ابنى إبراهيم خليل الرحمن ، على ظاهر التنزيل ، قول من قال : هو إسحاق ، لأن الله قال (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذى بُشِّر به إبراهيم ، حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين ، فقال (رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ) فإذ كان المفدِىّ بالذبح من ابنيه هو المبشَّر به ، وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بُشِّر به هو إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فقال جلّ ثناؤه (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد ، فإنما هو معنىّ به إسحاق ، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) فى هذا الموضع ، نحو سائر أخباره فى غيره من آيات القرآن .

وبعد ، فإن الله أخبر جلّ ثناؤه فى هذه الآية عن خليله أنه بشَّره بالغلام الحليم ، عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين ، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا فى حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين ، لأنه لم يكن من ابنيه له إلا إمام الصالحين ، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه فى هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له ، فإذ كان ذلك كذلك ، فعلوم أن الذى ذكر تعالى ذكره فى هذا الموضع ، هو الذى ذكر فى سائر القرآن أنه بشَّره به ، وذلك لاشك أنه إسحاق ، إذ كان المفدِىّ هو المبشَّر به . وأما الذى اعتلّ به من اعتلّ فى أنه إسماعيل ، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن ، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه ، مع الوعد الذى قد تقدم . فإن الله إنما أمره

بذبحه بعد أن بلغ معه السعى . وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد . فكيف الواحد ؟

وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدىّ من ولد إبراهيم بقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) ، ولو كان المفدىّ هو إسحاق لم يبشَّر به بعد ، وقد ولد ، وبلغ معه السعى ، فإن البشارة بنبوّة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار ، جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدِى ، تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه ، فيما امتحنه به من الذبح ، وقد تقدمت الرواية قبلُ عمن قال ذلك . وأما اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقا فى الكعبة ، فغير مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى مكة . وقد رُوى عن جماعة من أهل العلم ، أن إبراهيم إنما أُمِر بذبح ابنه إسحاق بالشام ، وبها أراد ذبحه .

واختلف أهل العلم فى الذِّبح الذى فُدِى به إسحاق ، فقال بعضهم : كان كبشا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كبش أبيض أقرن أعين ، مربوط بسَمُرَة فى ثَبِير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كبش ، قال عبيد بن عمير ، ذُبِح بالمَقام ، وقال مجاهد : ذبح بمِنًى فى المَنْحَر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : الكبش الذى ذبحه إبراهيم ، هو الكبش الذى قرّبه ابن آدم ، فتقبل منه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن عكرمة ، أن ابن عباس كان أفتى الذى جَعَلَ عليه أن ينحر نفسه ، فأمره بمئة من الإبل ، قال : فقال ابن عباس بعد ذلك : لو كنت أفتيته بكبش ، لأجزأه أن يذبح كبشا ، فإن الله قال فى كتابه (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : ذِبْح : كبش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : قال ابن عباس : التفت فإذا كبش ، فأخذه فذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كان الكبش الذى ذبحه إبراهيم رعى فى الجنة أربعين سنة ، وكان كبشا أملح ، صوفه مثل العِهْن الأحمر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : بكبش .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : أخبرنا ليث ، قال : قال مجاهد : الذبح العظيم : شاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : بكبش .

وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : الذِّبح الكبش .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قال : التفت ، يعنى إبراهيم ، فإذا بكبش ، فأخذه وخلّى عن ابنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الذِّبح العظيم : الكبش الذى فَدَى الله به إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن قتادة بن دِعامة ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن العباس ، فى قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : خرج عليه كبش من الجنة ، قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا ، فأرسل إبراهيم ابنه ، واتبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى ، فرمى بسبع حصيات ، فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته ، فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحَر من مِنَى ، فذبحه ، فوالذى نفس ابن عباس بيده ، لقد كان أوّلُ الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلّق بقرنيه عند ميزاب الكعبة قد حُشّ ، يعنى يبس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ابن إسحاق : ويزعم أهل الكتاب الأول وكثير من العلماء ، أن ذبيحة إبراهيم التى فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : بكبش .

وقال آخرون : كان الذبح وَعِلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كان وَعِلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدِى إسماعيل إلا بتيس من الأروىّ ، أُهبط عليه من ثبير .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للذّبح الذى فدى به إسحاق : عظيم ، فقال بعضهم : قيل ذلك كذلك ، لأنه كان رَعَى فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : رعى فى الجنة أربعين خريفا .

وقال آخرون : قيل له عظيم ، لأنه كان ذِبحا متقبَّلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عظيم ، قال : متقبَّل .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد فى (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال : العظيم : المتقبل .

وقال آخرون : قيل له عظيم ، لأنه ذِبْحٌ ذُبِحَ بالحقّ ، وذلك ذبحه بدين إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما يقول الله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) لذبيحته التى ذبح فقط ، ولكنه الذّبح على دينه ، فتلك السُّنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السَّوء ، فضحُّوا عباد الله .

قال أبو جعفر : ولا قول فى ذلك أصحّ مما قال الله جلّ ثناؤه ، وهو أن يقال : فداه الله بذبح عظيم ، وذلك أن الله عمّ وصفه إياه بالعظم ، دون تخصيصه ، فهو كما عمه به .

وقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) يقول تعالى ذكره : وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ، ثناءً حسنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) قال : أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) قال : سأل إبراهيم ، فقال : واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، قال : فترك الله عليه الثناءَ الحسن فى الآخرين ، كما ترك اللسانَ السَّوْء على فرعون وأشباهه ، كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه فى الآخرين السلام ، وهو قوله (سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) ، وذلك قول يُرْوَى عن ابن عباس ، تركنا ذكره ، لأن فى إسناده من لم نستجز ذكره ، وقد ذكرنا الأخبار المروية فى قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) فيما مضى قبلُ . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه فى الآخرين : أن يقال سلام على إبراهيم .

وقوله (سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) يقول تعالى ذكره : أَمَنَةٌ من الله فى الأرض لإبراهيم ، أن لا يُذْكَر من بعده إلا بالجميل من الذكر . وقوله (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا ، وإحسانه فى الانتهاء إلى أمرنا ، كذلك نجزى المحسنين . (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٢) وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : وبشّرنا إبراهيم بإسحاق نبيا ، شكرا له على إحسانه وطاعته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) . قال : بشر به بعد ذلك نبيا ، بعد ما كان هذا من أمره ، لمّا جاد لله بنفسه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح إسحاق ؛ قال : وقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) : قال بُشِّر بنبوّته . قال : وقوله : (وَوَهَبْنَا لَهُ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد : وَهَبَ الله له نبوّته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود يحدّث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى هذه الآية (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : إنما بشّره به نبيا حين فداه من الذبح ، ولم تكن البشارة بالنبوّة عند مولده .

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) قال : إنما بُشِّر بالنبوّة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِين) قال : بُشِّر إبراهيم بإسحاق .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : بنبوّته .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن شيخ من أهل المسجد ، قال : بُشِّر إبراهيم لسبع عشرة ومئة سنة .

وقوله (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) يقول تعالى ذكره : وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) يعنى بالمحسن : المؤمن المطيع لله ، المحسن فى طاعته إياه (وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) ويعنى بالظالم لنفسه : الكافر بالله ، الجالب على نفسه بكفره عذابَ الله وأليم عقابه (مبين) : يعنى الذى قد أبان ظلمَه نفسَه بكفره بالله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) قال : المحسن : المطيع لله ، والظالم لنفسه : العاصى لله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابنى عمران ، فجعلناهما نبيين ، ونجيناهما وقومهما من الغم ، والمكروه العظيم الذى كانوا فيه ، من عبودة آل فرعون ، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) قال : من الغرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) : أى من آل فرعون .

وقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) يقول : ونصرنا موسى وهارون وقومهما ، على فرعون وآله بتغريقناهم ، (فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ) لهم .

وقال بعض أهل العربية : إنما أُريد بالهاء والميم فى قوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) موسى وهارون ، ولكنها أُخرجت على مخرج مكنىّ الجمع ، لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبىّ والأمير وشبهه ، إلى الجمع بجنوده وأتباعه ، وإلى التوحيد ، لأنه واحد فى الأصل ، ومثله (على خوف من فرعون وملئهم) وفى موضع آخر : وملئه . قال : وربما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع ، كما تذهب بالواحد إلى الجمع ، فتخاطب الرجل ، فتقول : ما أحسنتم ولا أجملتم ، وإنما تريده بعينه ، وهذا القول الذى قاله هذا الذى حكينا قوله فى قوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) وإن كان قولا غير مدفوع ، فإنه لاحاجة بنا إلى الاحتيال به لقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) ، لأن الله أتبع ذلك قوله (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) ثم قال : (وَنَصَرْنَاهُمْ) يعنى : هما وقومهما ، لأن فرعون وقومه ، كانوا أعداءً لجميع بنى إسرائيل ، قد استضعفوهم ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، فنصرهم الله عليهم ، بأن غرقهم ، ونجى الآخرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١١٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)

❊ يقول تعالى ذكره : وآتينا موسى وهارون الكتاب : يعنى التوراة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ) : التوراة . ويعنى بالمستبين : المتبيّن هُدَى مافيه وتفصيله وأحكامه .

وقوله (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ) يقول تعالى ذكره : وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم ، الذى لااعوجاج فيه ، وهو الإسلام دين الله ، الذى ابتعث به أنبياءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ) : الإسلام .

وقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى الآخِرِينَ) يقول : وتركنا عليهما فى الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما .

وقوله (سَلَامٌ على مُوسَى وَهَارُونَ) يقول : وذلك أن يقال : سلام على موسى وهارون .

وقوله (إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول : هكذا نجزى أهل طاعتنا ، والعاملين بما يرضينا عنهم (إنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ) يقول : إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ (١٢٥) ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ (١٢٩)

❊ يقول تعالى ذكره : وإن إلياس ، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقيل : إنه إدريس ، حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان يقال : إلياس هو إدريس ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (لَمِنَ المُرْسَلِينَ) يقول جلّ ثناؤه : لمرسل من المرسلين (إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ) ؟ يقول حين قال لقومه من بنى إسرائيل : ألا تتقون الله أيها القوم ، فتخافونه ، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله ، وإلها سواه (وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخَالِقِينَ) يقول : وتدعون عبادة أحسن مَن قيل له خالق .

وقد اختلف فى معنى بَعْل ، فقال بعضهم : معناه : أتدعون ربا ؟ ، وقالوا : هى لغة لأهل اليمن ، معروفة فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمىّ بن عُمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عُمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (أتَدْعُونَ بَعْلًا) ؟ قال : إلها .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (أَتَدْعونَ بَعْلاً ؟) يقول : أتدعون ربا ؟ وهى لغة أهل اليمن ، تقول : مَنْ بَعْلُ هذا الثور : أى من رَبُّه ؟

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَتَدْعونَ بَعْلاً ؟) قال : ربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَتَدْعُونَ بَعْلاً) قال : هذه لغة باليمانية : أتدعون ربا دون الله ؟

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (أَتَدْعُونَ بَعْلاً ؟) قال : رَبًّا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن عبد الله بن أبى يزيد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فسألوه عن هذه الآية (أَتَدْعُونَ بَعْلاً ؟) قال : فسكت ابن عباس ، فقال رجل : أنا بعلُها ، فقال ابن عباس : كفانى هذا الجواب .

وقال آخرون : هو صنم كان لهم يقال له بَعْل ، وبه سميت بعلبك .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَتَدْعُونَ بَعْلاً ؟) يعنى : صنما كان لهم يسمى بَعْلا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالِقِينَ ؟) قال : بعل : صنم كانوا يعبدون ، كانوا ببعلبك ، وهى وراء دمشق ، وكان بها البعل الذى كانوا يعبدون .

وقال آخرون : كان بَعْل : امرأة كانوا يعبدونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بَعْل إلا امرأة يعبدونها من دون الله .

وللبَعْل فى كلام العرب أوجه : يقولون لربّ الشيء هو بَعْلُه ، يقال : هذا بَعْل هذه الدار ، يعنى ربّها ، ويقولون لزوج المرأة بعلُها ، ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء ، ولم يكن سَقِيًّا هو بعل ، وهو العَذْى . وذُكر أن الله بعث إلى بنى إسرائيل إلياس بعد مهلك حِزْقيل بن بوزا .

وكان من قصته ، وقصة قومه فيما بلغنا ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، قال : إن الله قبض حِزْقيل ، وعظمت فى بنى إسرائيل الأحداث ، ونسُوا ما كان من عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن ار بن هارون بن عمران نبيا . وإنما كانت الأنبياء من بنى إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد مانسُوا

من التوراة ، فكان إلياس مع ملك من ملوك بنى إسرائيل ، يقال له : أحاب ، كان اسم امرأته : أربل ، وكان يسمع منه ويصدّقه ، وكان إلياس يقيم له أمره ، وكان سائر بنى إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله ، يقال له بعل .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم يقول : « ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله ، يقول الله لمحمد : (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ؟) فجعل إلياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرّقة بالشام ، كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملك الذى كان إلياس معه يقوّم له أمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما : يا إلياس، والله ما أرى ماتدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلانا وفلانا ، يعدّد ملوكا من ملوك بنى إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله، الأعلى مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرُهم الذى تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل . فيزعمون والله أعلم، أن إلياس استرجع ، وقام شعر رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه : عبد الأوثان ، وصنع مايصنعون ، فقال إلياس : اللهمّ إن بنى إسرائيل قد أبَوْا إلا أن يكفروا بك والعبادةَ لغيرك ، فغيِّرْ ما بهم من نعمتك ، أو كما قال » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : فذكر لى أنه أُوحى إليه : إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك، حتى تكون أنت الذى تأذن فى ذلك ، فقال إلياس : اللهمّ فأمسك عليهم المطر ، فحُبِس عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت الماشية والهوامّ والدوابّ والشجر ، وجَهِد الناس جَهْدا شديدا . وكان إلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بنى إسرائيل ، قد استخفى ، شفقا على نفسه منهم ، وكان حيثما كان وضع له رزق ، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت ، قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان فطلبوه ، ولقى منهم أهل ذلك المنزل شرّا . ثم إنه أَوَى ليلة إلى امرأة من بنى إسرائيل لها ابن، يقال له : اليسع ابن أخطوب به ضرّ ، فآوته وأخفت أمره ، فدعا إلياس لابنها، فعُوفِىَ من الضرّ الذى كان به، واتبع اليسعُ إلياس ، فآمن به وصدّقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب . وكان إلياس قد أسنّ وكبر ، وكان اليسعُ غلاما شابا ، فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى إلى إلياس: إنك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بنى إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر ، بحبس المطر عن بنى إسرائيل ، فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال: أى ربّ، دعنى أنا الذى أدعو لهم، وأكون أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا وينزِعوا عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل له : نعم ؛ فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جَهْدا، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر ، بخطاياكم ، وإنكم على باطل وغرور ، أو كما قال لهم ، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك ، وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحقّ ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التى تعبدون، وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ، فإن استجابت لكم ، فذلك كما تقولون ، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل ،

فزعتم ، ودعوت الله، ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت . فخرجوا بأوثانهم ، وما يتقرّبون به إلى الله من إحداثهم الذى لايرضى ، فدعوها ، فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ، ثم قالوا لإلياس : يا إلياس، إنا قد هلكنا، فادع الله لنا . فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه، وأن يُسْقَوا، فخرجت سحابة مثل التُّرس بإذن الله، على ظهر البحر ،وهم ينظرون، ثم ترامى إليه السحاب ، ثم أَدْجَنَتْ ، ثم أرسل المطر ، فأغاثهم، فحييت بلادهم ، وفرّج عنهم ماكانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ، ولم يرجعوا ، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه ، فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم ، دعا ربه أن يقبضه إليه ، فيريحه منهم ، فقيل له فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا ، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فماذا جاءك من شيء، فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب ، حتى إذا كان فى البلد الذى ذُكر له، فى المكان الذى أُمر به ، أقبل إليه فرس من نار ،حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فانطلق به ، فناداه اليسع : يا إلياس يا إلياس ما تأمرنى ؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب ، وطار فى الملائكة ، فكان إنسيا ملكيا ، أرضيا سماويا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله : (اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ) فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (اللهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ) رفعا على الاستئناف ، وأن الخبر قد تناهى عند قوله (أَحْسَنَ الخالِقِينَ) . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة : (اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ) نصبا ، على الردّ على قوله (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالِقِينَ) على أن ذلك كله كلام واحد .

والصواب من القول فى ذلك عندنا: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مع استفاضة القراءة بهما فى القرّاء، فبأىّ ذلك قرأ القارئُ فصيب . وتأويل الكلام: ذلك معبودكم أيها الناس،الذى يستحقّ عليكم العبادة،ربكم الذى خلقكم ، وربّ آبائكم الماضين قبلكم ، لاالصنم الذى لايخلق شيئا ، ولا يضرّ ولا ينفع .

وقوله (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) يقول : فكذّب إلياسَ قومه . فإنهم لمحضرون: يقول : فإنهم لمحضرون فى عذاب الله ، فيشهدونه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) فى عذاب الله . (إِلاَّ عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ) يقول : فإنهم يُحْضَرون فى عذاب الله ، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب (وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ) يقول : وأبقينا عليه الثناء الحسن فى الآخرين من الأمم بعده .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

يقول تعالى ذكره : أمنة من الله لآل ياسين .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَلامٌ عَلَى إِلْياسِينَ) فقرأته عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة : (سَلامٌ عَلَى إِلْياسِينَ) بكسر الألف من إلياسين ، فكان بعضهم يقول : هو اسم إلياس ، ويقول : إنه

كان يُسمى باسمين : إلياس ، وإلياسين ، مثل إبراهيم ، وإبراهام ؛ يُستشهد على أن ذلك كذلك، بأن جميع ما في السورة من قوله (سَلامٌ) فإنه سلام على النبيّ الذى ذكر دون آله . فكذلك إلياسين ، إنما هو سلام على إلياس دون آله . وكان بعض أهل العربية يقول : إلياس : اسم من أسماء العبرانية ، كقولهم : إسماعيل وإسحاق ، والألف واللام منه ، ويقول : لو جعلته عربيا من الألس ، فتجعله إفعالا ، مثل الإخراج ، والإدخال أُجْرِى . ويقول : قال سلام على إلياسين ، فتجعله بالنون والعَجَمِىّ من الأسماء قد تفعل به هذا العرب ، تقول : ميكال وميكائيل وميكائين ، وهى فى بنى أسد تقول : هذا إسماعين قد جاء ، وسائر العرب باللام ؛ قال : وأنشدنى بعض بنى نُمير لضبّ صاده :

يَقُولُ رَبُّ السُّوقِ لَمَّا جِينا　　　هَــذَا وَرَبِّ البَيْتِ إسْرَائِينا[1]

قال : فهذا كقوله : إلياسين ؛ قال : وإن شئت ذهبت بالياسين إلى أن تجعله جمعا ، فتجعل أصحابه داخلين فى اسمه ، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب : قد جاءتكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف ، والسعدين بالتخفيف وشبهه ، قال الشاعر :

أنا ابْنُ سَعْدٍ سَيِّدِ السَّعْدِينَا[2]

قال : وهو فى الاثنين أن يضمّ أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر :

جَزَانِى الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سَوْءٍ　　　وَكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بِالكَرَامَه[3]

(١) هذان البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٤) قال : وقوله : « وإن الياس لمن المرسلين » : ذكر أنه نبى ، وأن هذا الاسم اسم من أسماء العبرانية ، كقولهم : إسماعيل وإسحاق ، والألف واللام منه . ولو جعلته عربيا من الألس ، فتجعل إفعالا ، مثل الإخراج والإدخال ، لجرى (أى صرف) . ثم قال : « سلام على إلياسين » ، فجعله بالنون ، والعجمى من الأسماء قد يفعل به هذا العرب . تقول : ميكال وميكائيل وميكائين ، بالنون ، وهى فى بنى أسد ، يقولون : هذا إسماعين قد جاء ، بالنون ، وسائر العرب باللام . قال : وأنشدنى بعض بنى نمير ، لضب صاده بعضهم : « يقول أهل السوق . . . البيتين » . فهذا وجه لقوله « إلياسين » وقال أبو عبيدة فى (مجاز القرآن : مصورة الجامعة الورقة ٢١٠ — ١) قال أبو عبيدة : « سلام على إلياسين » : أى سلام على إلياس وأهله ، وعلى أهل دينه جميعهم ، بغير إضافة الياء على العدد . قال الشاعر « قدنى من نصر الخبيبين قدى » فجعل عبد الله بن الزبير أبا خبيب ، مصغراً ، ومن كان على رأيه عددا ، ولم يضفهما بالياء (أى لم ينسبهم إليه بياء النسب) فيقول خبيبيون وقال أبو عمرو بن العلاء : نادى مناد يوم الكلاب فقال : هلك اليزيدون . يعنى يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هوبر ، ويزيد بن مخرمة الحارثيون . ويقال : جاءك الحارثون والأشعرون .

(٢) وهذا أيضا من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، جاء بعد الشاهد الذى قبله . قال الفراء : بعد كلامه السابق فى أن إلياسين لغة فى إلياس عند بنى أسد : وإن شئت ذهبت « بإلياسين » إلى أن تجعله جمعا ، فتجعل أصحابه داخلين فى اسمه ، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب : قد جاءتكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قوله : الأشعرين والسعدين وشبهه . قال الشاعر : « أنا ابن سعد . . . . » البيت . وهذا يشبه كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، وقد نقلناه فى آخر الشاهد السابق على هذا .

(٣) هذا الشاهد الثالث على قراءة قوله تعالى : « سلام على إلياسين » . نقله الفراء وأبو عبيدة فى كتابيهما . قال الفراء بعد كلامه السابق . وهو فى الاثنين أكثر أن يضم أحدهما إلى صاحبه ، إذا كان أشهر منه اسما ، كقول الشاعر : « جزانى الزهدمان . . . البيت » . واسم أحدهما زهدم . وقال أبو عبيدة : وكذلك يقال فى الاثنين . وأنشد البيت ، ونسبه إلى قيس بن زهير . ثم قال بعده : وإنما هو زهدم وكردم العبسيان ، أخوان . وقيل لعلى بن أبى طالب : تسألك سنة العمرين : يعنون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . ثم ذكر أبو عبيدة بعد ذلك وجها آخر ، فقال : إن أهل المدينة يقولون : « سلام على آل ياسين » أى على أهل ياسين . فقال سعد بن أبى وقاص وأبو عمرو وأهل الشام : هم قومه ومن كان معه على دينه . وقالت الشيعة : آل محمد أهل بيته . واحتجوا بأنك تصغر الآل ، فتجعله أهيلا . اه . وذكر بعد كلامه السابق فى الموضوع ، وجها آخر ، فقال : وقد قرأ بعضهم : « وإن الياس » يجعل اسمه « ياسا » أدخل عليه الألف واللام . ثم يقرءون : « سلام على آل ياسين » . جاء التفسير فى التفسير الكلبى : على آل ياسين : على آل محمد صلى الله عليه وسلم =

واسم أحدهما : زهدم ؛ وقال الآخر :

جَزَى اللهُ فِيها الأعْوَرَيْنِ ذَمامَةً وَفَرْوَةَ ثَفْرَ الثَّوْرَةِ المُتَضَاجِمِ(١)

واسم أحدهما أعور .

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة : (سَلاَمٌ عَلَى آلِ ياسِينَ) بقطع آل من ياسين . فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى : سلام على آل محمد . وذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ قوله (وَإنَّ الْيَاسَ) بترك الهمز في الياس ، ويجعل الألف واللام داخلتين على « ياس » للتعريف ، ويقول : إنما كان اسمه « ياس » ، أدخلت عليه ألف ولام ، ثم يقرأ على ذلك سلام على الياسين .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه سَلامٌ عَلَى إلْياسِينَ) بكسر ألفها ، على مثال إدراسين ، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كلّ موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة ، بأن عليه سلاما ، لا على آله ، فكذلك السلام في هذا الموضع ، ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه ، لا على آله ، على نحو ما بيّنّا من معنى ذلك .

فإن ظنّ ظانّ أن إلياسين غير إلياس ، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتجّ بأن إلياسين هو إلياس غنى عن الزيادة فيه .

مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (سَلامٌ عَلَى إلْياسِينَ) قال : إلياس . وفي قراءة عبد الله بن مسعود : (سَلامٌ عَلَى إدْرَاسِينَ) دلالةً واضحة على خطأ قول من قال : عنى بذلك سلام على آل محمد ، وفساد قراءة من قرأ (وإنَّ الياسَ) بوصل النون من « إن » بالياس ، وتوجيه الألف واللام فيه ، إلى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذى هو ياس ، وذلك أن عبد الله كان يقول : إلياس هو إدريس ، ويقرأ (وَإنَّ إدْرِيسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ) ، ثم يقرأ على ذلك (سلامٌ عَلَى إدْرَاسِينَ) ، كما قرأ الآخرون (سَلامٌ عَلَى إلياسِينَ) ، فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله ، لقراءة من قرأ ذلك : (سَلامٌ عَلَى آلِ ياسِينَ) بقطع الآل من ياسين ، ونظير تسمية إلياس بالياسين : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سيناءَ) ، ثم قال في موضع آخر (وَطُورِ سِينِينَ) ، وهو موضع واحد ، سمى بذلك .

وقوله (إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا هكذا نجزى أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا . وقوله (إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ) يقول : إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا ، فوحّدونا ، وأطاعونا ، ولم يُشركوا بنا شيئا .

= والأول أشبه بالصواب والله أعلم ، لأن في قراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) : « وإن إدريس لمن المرسلين » « سلام على إدراسين » . وقد يشهد على صواب هذا قوله : « وشجرة تخرج من طور سيناء » . ثم قال في موضع آخر : « وطور سينين » ، وهو معنى واحد . والله أعلم .

(١) هذا هو الشاهد الرابع في الموضوع نفسه ، أنشده الفراء في معاني القرآن بعد سابقه . وأنشده صاحب اللسان في ضجم ، ونسبه إلى الأخطل ، وروايته فيه « ملامة » في موضع « ذمامة » . وقال : الضجم : العوج في الأنف ، يميل إلى أحد شقيه . والمتضاجم : المعوج الفم . قال الأخطل : « جزى الله . . . البيت » . وفروة : اسم رجل . اهـ . وموضع الشاهد فيه قوله « الأعورين » كالذى قبله تماما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (١٣٦)

❁ يقول تعالى ذكره : وإن لوطا المرسل من المرسلين (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ) يقول : إذ نجّينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذى أحللناه بقومه ، فأهلكناهم به (إِلاَّ عَجُوزًا فِي الغَابِرِينَ) يقول : إلا عجوزا فى الباقين ، وهى امرأة لوط ، وقد ذكرنا خبرها فيما مضى ، واختلاف المختلفين فى معنى قوله (فِي الغابِرِينَ) ، والصواب من القول فى ذلك عندنا .

وقد حُدثت عن المسيَّب بن شريك ، عن أبى رَوق ، عن الضحاك (إِلاَّ عَجُوزًا فِي الغابِرِينَ) يقول : إلا امرأته تخلّفت ، فمسخت حجرا ، وكانت تسمى هيشفع [1] .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إِلاَّ عَجُوزًا فِي الغابِرِينَ) قال : الهالكين .

وقوله (ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ) يقول : ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم ، فأهلكناهم بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِٱلَّيْلِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (١٣٨)

❁ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : وإنكم لتمرّون على قوم لوط الذين دمّرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ) قالوا : نعم والله صباحا ومساء ، يطئونها وطئاً ، مَن أخذ من المدينة إلى الشام ، أخذ على سدوم ، قرية قوم لوط .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدّى فى قوله (لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ) قال : فى أسفاركم .

وقوله (أَفَلا تَعْقِلُونَ) يقول : أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكّرون ، فتعلمون أن من سلك من عباد الله فى الكفر به ، وتكذيب رسله ، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط ، نازل بهم من عقوبة الله ، مثل الذى نزل بهم على كفرهم بالله ، وتكذيب رسوله ، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله ، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَفَلا تَعْقِلُونَ) قال : أفلا تتفكّرون ما أصابهم فى معاصى الله أن يصيبكم ما أصابهم ، قال : وذلك المرور أن يمرّ عليهم .

(١) فى عرائس المجالس للثعلبى ، طبعة الحلبى ١٠٦ : وكانت تسمى هلسفع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

يقول تعالى ذكره : وإن يونس لمرسلٌ من المرسلين إلى أقوامهم (إذْ أبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ) يقول حين فرّ إلى الفُلك ، وهو السفينة ، المشحون : وهو المملوء من الحمولة المُوقَر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ) كنّا نحدّث أنه الموقر من الفُلك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : الموقر.

وقوله (فَساهَمَ) يقول : فقارَعَ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَساهَمَ) يقول : أقْرَعَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَساهَمَ فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ) قال : فاحتبست السفينة ، فعلم القوم أنما احتبست من حدثٍ أحدثوه ، فتساهموا ، فقُرِع يونس ، فرمى بنفسه ، فالتقمه الحوت .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فَساهَمَ) قال : قارعَ .

وقوله (فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ) يعنى : فكان من المسهومين المغلوبين ، يقال منه : أدحض الله حجة فلان فدحضت : أى أبطلها فبطلت ، والدَّحْض : أصله الزلق فى الماء والطين ، وقد ذُكر عنهم : دَحَضَ الله حجته ، وهى قليلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ) يقول : من المقروعين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ المُدْحَضِينَ) قال : من المسهومين .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ) قال : من المقروعين .

وقوله (فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ) يقول : فابتلعه الحوت ، وهو افتعل من اللَّقْم . وقوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول : وهو مكتسب اللوم ، يقال : قد ألام الرجل ، إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر ، وإن لم يُلَم ، كما يقال : أصبحتَ مُحْمِقا مُعْطِشا : أى عندك الحمق والعطش ؛ ومنه قول لبيد :

سَفَهًا عَذَلْتَ ولُمْتَ غيرَ مُلِيمِ وَهَدَاكَ قبلَ اليومِ غيرُ حكيمِ[1]

فأما الملوم ، فهو الذى يُلام باللسان ، ويعذل بالقول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبوعاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : مذنب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ مُلِيمٌ) : أى فى صنعه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد . فى قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : وهو مذنب ، قال : والمليم : المذنب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦)

يقول تعالى ذكره : (فَلَوْلا أَنَّهُ) يعنى يونس (كانَ مِنَ) المصلِّين لله قبل البلاء الذى ابتُلى به ، من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة ، يوم يبعث الله فيه خلقه ، محبوسا ، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء ، فذكره الله فى حال البلاء ، فأنقذه ونجّاه .

وقد اختلف أهل التأويل فى وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به ، فقال (فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ) فقال بعضهم : نحو الذى قلنا فى ذلك ، وقالوا مثل قولنا فى معنى قوله (مِنَ المُسَبِّحِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ) كان كثير الصَّلاةِ فى الرّخاء ، فنجّاه الله بذلك ؛ قال : وقد كان يقال فى الحكمة : إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عَثَرَ ، فإذا صُرِع وَجد متكئا .

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامرى . استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١١ - ا) قال فى قوله تعالى « وهو مليم » يقول العرب : ألام فلان فى أمره ؛ وذلك إذا أتى أمرا يلام عليه . وقال لبيد : « سفها . . . البيت » . اه . واستشهد به فى (اللسان : لوم) على مثل ما استشهد به أبو عبيدة . وقال : لام فلان غير مليم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، في قوله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : كان طويل الصلاة في الرّخاء ؛ قال : وإن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، وإذا صرع وجد متكئا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، أن يزيد الرّقاشيّ حدّثه ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم « أنَّ يُونُسَ النَّبِيَّ حِينَ بَدَا لَهُ أنْ يَدْعُوَ اللهَ بالكَلِماتِ ، حِينَ ناداهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ، فَقالَ : اللَّهُمَّ لاإلهَ إلاَّ أنْتَ ، سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فأقْبَلَتِ الدَّعْوَةُ تَحْتَ العَرْشِ ، فَقالَتِ المَلائِكَةُ : يارَبِّ هَذَا صَوْتٌ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ فِي بِلادٍ غَرِيبَةٍ ، قال : أما تَعْرِفُونَ ذلكَ ؟ قالُوا يارَبِّ وَمَنْ هُوَ ؟ قالَ : ذلكَ عَبْدِي يُونُسُ ، قالُوا : عَبْدُكَ يُونُسُ الَّذِي لمْ يَزَلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ ، وَدَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ ، قالُوا : يارَبِّ أوَلا يُرْحَمُ بِمَا كانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخاءِ ، فَتُنَجِّيهِ مِنَ البَلاءِ ، قالَ بَلَى ، فأمَرَ الحُوتَ فَطَرَحَهُ بالعَرَاءِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (فَلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : من المصلّين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جُبَير (فلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : من المصلّين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (فَلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : كان له عمل صالح فيما خلا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : المصلين :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا ميمون بن مهران ، ن قال : سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره : اذكروا الله في الرخاء ، يذكركم في الشدّة ، إن يونس كا عبدا لله ذاكرا ، فلما أصابته الشدّة دعا الله فقال الله (لَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فذكره الله بما كان منه ، وكان فرعون طاغيا باغيا (فلمَّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ : آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيلَ ، وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) قال الضحاك : فاذكروا الله في الرخاء ، يذكركم في الشدّة .

قال أبو جعفر : وقيل : إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها ، فقال : (فَلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) في بطن الحوت .

وقال بعضهم : كان ذلك تسبيحا ، لا صلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران القطان ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها فى بطن الحوت ؛ قال عمران : فذكرت ذلك لقتادة ، فأنكر ذلك وقال : كان والله يكثر الصلاة فى الرخاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جُبَيْر : (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : قال (لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) . فلما قالها ، قذفه الحوت ، وهو مغرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) : لصار له بطن الحوت قبرا إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : لبث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما .

وقوله (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول : فقذفناه بالفضاء من الأرض ، حيث لا يواريه شىء من شجر ولا غيره ؛ ومنه قول الشاعر :

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخَافُ عِثَارَها ... وَنَبَذْتُ بالبَلَدِ العَرَاءِ ثِيابِى[1]

يعنى بالبلد : الفضاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول : ألقيناه بالساحل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) بأرض ليس فيها شىء ولا نبات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (بِالْعَرَاءِ) قال : بالأرض .

وقوله (وَهُوَ سَقِيمٌ) يقول : وهو كالصبىّ المنفوس لحم نىء .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ، الورقة ٢١١ — ب) . قال فى قوله تعالى : « فنبذناه بالعراء » : يقول العرب : « نبذته بالعراء » : أى الأرض الفضاء . قال الخزاعى : « ورفعت رجلا ... الخ البيت » . العراء : لاشىء يواريه من شجر ، ولا من غيره . اهـ . وأنشده صاحب (اللسان : عرا) ولم ينسبه . قال وقال أبو عبيدة : إنما قيل له عراء ، لأنه لاشجر فيه ، ولاشىء يغطيه . وقيل إن العراء وجه الأرض الخالى ، وأنشد : « ورفعته رجلا . . . البيت » . ونقل بعد ذلك كلام الزجاج فى معنى العراء ، فراجعه ثمة .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَهُوَ سَقِيمٌ) كهيئة الصبىّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبى سلمة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : خرج به ، يعنى الحوت حتى لفظه فى ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبىّ المنفوس ، لم ينقص من خلقه شىء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ما لفَظَه الحوت حتى صار مثل الصبىّ المنفوس ، قد نشر اللحم والعظم ، فصار مثل الصبىّ المنفوس ، فألقاه فى موضع ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين .

وقوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) يقول تعالى ذكره : وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التى لا تقوم على ساق ، وكل شجرة لاتقوم على ساق كالدُّباء والبِطِّيخ والحَنْظَل ونحو ذلك ، فهى عند العرب يَقْطِين .

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، فى قوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : هو كلّ شىء ينبت على وجه الأرض ليس له ساق .

حدثنى مطر بن محمد الضبى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، فى قوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : كلّ شىء ينبت ثم يموت من عامه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) فقالوا عنده : القرع ؛ قال : وما يجعله أحقّ من البطيخ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : غير ذات أصل من الدُّبَّاء ، أو غيره من نحوه .

وقال آخرون : هو القرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، أنه قال فى هذه الآية (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنى مطر بن محمد الضبىّ ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطى ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودى ، فى قوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) كنّا نحدَّث أنها الدُّبَّاء ، هذا القرع الذى رأيتم ، أنبتها الله عليه يأكل منها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو صخر ، قال : ثنى ابن قسيط ، أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : « طُرِح بالعراء ، فأنبت الله عليه يقطينة ، فقلنا : يا أبا هريرة وما اليقطينة ؟ قال : الشجرة الدُّبَّاء ، هيأ الله له أرْوِية وحشية تأكل من خَشاش الأرض أو هَشاش ، فتفشح عليه ، فترويه من لبنها كلّ عشية وبكرة ، حتى نبت » . وقال ابن أبى الصلت قبل الإسلام فى ذلك بيتا من شعر :

فأَنْبَتَ يَقْطِينا عَلَيْــهِ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ اللهِ لَوْلا اللهُ أُلْفِىَ ضَاحِيا[1]

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن مغيرة فى قوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أنبت الله عليه شجرة من يقطين ؛ قال : فكان لايتناول منها ورقة فيأخذها إلا أروته لبنا ، أو قال : شرب منها ماشاء حتى نبت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : هو القرع ، والعرب تسميه الدُّبَّاء .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، عن سعيد بن جُبَيْر فى قول الله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : هو القرع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

وقال آخرون : كان اليقطين شجرة أظلَّت يونس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خباب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : اليقطين : شجرة سماها الله يقطينا أظلته ، وليس بالقرع . قال : فيما ذُكر أرسل الله عليه

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت كما قال المؤلف ، ولم أجده فى شعراء النصرانية ولا فى ترجمته فى الأغانى . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١١ — ب) : فى قوله تعالى « شجرة من يقطين » : كل شجرة لا تقوم على ساق فهى يقطين ، مثل الدباء والحنظل والبطيخ . اهـ . وفى (اللسان : قطن) : قال الفراء قيل عند ابن عباس : هو ورق القرع . وما جعل القرع من بين الشجر يقطينا ؟ كل ورقة اتسعت وسترت ، فهى يقطين . قال الفراء : وقال مجاهد : كل شىء ذهب بسطا فى الأرض : يقطين . ونحو ذلك قال الكلبى . قال : ومنه القرع ، والبطيخ ، والقثاء والشريان . وقال سعيد بن جبير : كل شىء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين . اهـ .

دابة الأرض ، فجعلت تقرض عروقها ، وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها ، فقال : يا يونس ، جزعت من حرّ الشمس ، ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إليّ ، فتبتُ عليهم ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨) فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩)

يقول تعالى ذكره : فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس ، أو يزيدون على مئة ألف . وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقول : معنى قوله (أوْ) : بل يزيدون .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن الحكم بن عبد الله بن الأزور ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ) قال : بل يزيدون ، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، فى قوله (مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ) قال : يزيدون سبعين ألفا ، وقد كان العذاب أرسل عليهم ، فلما فرّقوا بين النساء وأولادها ، والبهائم وأولادها ، وعجّوا إلى الله ، كشف عنهم العذاب ، وأمطرت السماء دما .

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرق ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت زُهَيرا ، عمن سمع أبا العالية ، قال : ثنى أُبيّ بن كعب « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (وأرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ) قال : يزيدون عشرين ألفا » .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى ذلك : معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عندكم ، يقول : كذلك كانوا عندكم .

وإنما عنى بقوله (وأرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ) أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب ، فلما أظلّهم تابوا ، فكشف الله عنهم . وقيل : إنهم أهل نِينَوَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ) أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل ، قال : قال الحسن : بعثه الله قبل أنْ يصيبه ما أصابه (فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ) قال : قوم يونس الذين أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت .

وقيل : إن يونس أُرسل إلى أهل نِينَوَى بعد ما نبذه الحوت بالعراء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سليمان ، قال : ثنا شَهْر بن حَوْشَب ، قال : «أتاه جبرائيل ، يعنى يونس وقال انطَلِقْ إلى أهل نِينَوَى ، فأنذِرْهم أن العذاب قد حضرهم ، قال : ألتمِسُ دابة ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : ألتمِس حذاء ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ؛ فلما ركب احتبست السفينة ، لاتَقَدَّم ولا تُؤَخَّر ؛ قال : فتساهموا ، قال : فسُهِم ، فجاء الحوت يبصبص بذنبه ، فنُودى الحوت : أيا حوت ، إنا لم نجعل يونس لك رزقا ، إنما جعلناك له حِرْزا ومسجدا ؛ قال : فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان ، حتى مرّ به على الأيلة ، ثم انطلق به ، حتى مرّ به على دِجْلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه فى نِينَوَى » .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا شَهْر بن حَوْشَب ، عن ابن عباس قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

وقوله (فَآمَنُوا) يقول : فوحَّدُوا الله الذى أرسلَ إليهم يُونُس ، وصدّقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله .

وقوله (فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ) يقول : فأخّرنا عنهم العذاب ، ومتعناهم إلى حين بحياتهم ، إلى بلوغ آجالهم من الموت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ) : الموت .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ) قال : الموت .

وقوله (فاسْتَفْتِهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سل يامحمد مشركى قومك من قريش .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاسْتَفْتِهِمْ : أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ) : يعنى مشركى قريش .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ) قال : سلهم ، وقرأ (وَيَسْتَفْتُونَكَ) قال : يسألونك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فاسْتَفْتِهِمْ) يقول : يامحمد سلهم .

وقوله (أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ) : ذُكِر أن مشركى قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ، وكان يعبدونها ، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام : سلهم ، وقل لهم : ألرّبى البنات ولكم البنون ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) ؟ لأنهم قالوا : يعنى مشركى قريش : لله البنات ، ولهم البنون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (فاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) قال : كانوا يعبدون الملائكة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)

يعنى تعالى ذكره : أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين : الملائكة بنات الله، خلقى الملائكة وأنا أخلقهم إناثا ، فشهدوا هذه الشهادة ، ووصفوا الملائكة بأنها إناث ؟

وقوله (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم (لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ ، وإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) فى قيلهم ذلك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ) يقول : من كذبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ؟ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ؟ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)

يقول تعالى ذكره مُوَبِّخًا هؤلاء القائلين لله البنات، من مشركى قريش : (أَصْطَفَى) الله أيها القوم (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ)؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا، وطرحوها أحيانا، كما قيل : أذْهَبْتُمْ . بالقصر ، طيباتكم فى حياتكم الدنيا ؟ يستفهم بها ، ولا يُستفهم بها ، والمعنى فى الحالين واحد ، وإذا لم يستفهم فى قوله (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ) ذهبت ألف اصطفى فى الوصل ، ويبتدأ بها بالكسر ، وإذا استفهم فُتحت وقطعت .

وقد ذُكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل. فأما قرّاء الكوفة والبصرة، فإنهم فى ذلك على قراءته بالاستفهام ، وفتح ألفه فى الأحوال كلها ، وهى القراءة التى نختار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (مالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟) يقول: بئس الحكمُ تحكمون أيها القوم، أن يكون لله البنات ولكم البنون ، وأنتم لاترضون البنات لأنفسكم ، فتجعلون له مالاترضونه لأنفسكم ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة(أَصْطَفَى الْبَناتِ على الْبَنِينَ ، ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يقول : كيف يجعل لكم البنين ، ولنفسه البنات ؟ مالكم كيف تحكمون ؟

وقوله (أفَلا تَذَكَّرُونَ ؟) يقول : أفلا تتدبرون ما تقولون ؟ فتعرفوا خطأه ، فتنتهوا عن قيله .

وقوله (أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ) يقول : ألكم حجة تَبَيَّن صحتها لمن سمعها بحقيقة ماتقولون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ) : أى عذر مبين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (سُلْطانٌ مُبِينٌ) قال حجة .

وقوله (فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ) يقول : فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله، بأن الذى تقولون، من أن له البنات ولكم البنين ، كما تقولون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ) : أى بعذركم إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ) أن هذا كذا، بأن له البنات ولكم البنون .

وقوله (إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حُجَّة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا .

واختلف أهل التأويل فى معنى النسب ، الذى أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى ، فقال بعضهم : هو أنهم قالوا ، أعداء الله : إن الله وإبليس أخوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَبًا) قال : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان .

وقال آخرون : هو أنهم قالوا : الملائكة بناتُ الله ، وقالوا : الجنة : هى الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَبًا) قال : قال كفار كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فسأل أبو بكر : مَنْ أمهاتهنّ ؟ فقالوا : بنات سَرَوَات الجنّ ، يحسبون أنهم خُلِقوا مما خُلِق منه إبليس .

حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة ، قال : ثنا عمرو بن سعيد الأبح ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَبًا) قالت اليهود : إن الله تبارك وتعالى تزوّج إلى الجنّ ، فخرج منهما الملائكة ، قال : سبحانه ، سبّح نفسه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا) قال : الجنة : الملائكة ، قالوا : هنّ بنات الله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبينَ الجِنَّةِ نَسَبًا) : الملائكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا) قال : بين الله وبين الجنة نسبا ، افتروا .

وقوله (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ولقد علمت الجنة إنهم لمشهدون الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) : أنها ستُحْضَرُ الحساب .

وقال آخرون : معناه : إن قائلى هذا القول سيُحْضَرون العذاب فى النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) إن هؤلاء الذين قالوا هذا لمحضرون : لمعذّبون .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : إنهم لمحضَرُون العذاب ، لأن سائر الآيات التى ذكر فيها الإحضار فى هذه السورة ، إنما عنى به الإحضار فى العذاب ، فكذلك فى هذا الموضع .

وقوله (سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله ، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به ، ويفترون عليه ، ويصفونه ، من أن له بنات ، وأن له صاحبة .

وقوله (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) يقول : ولقد علمت الجِنَّةُ أن الذين قالوا : إن الملائكة بنات الله ، لَمحضرون العذاب ، إلا عباد الله الذين أخلَصَهُمْ لرحمته ، وخلقهم لجنته .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : (فَإِنَّكُمْ) أيها المشركون بالله (وَمَا تَعْبُدُونَ) من الآلهة والأوثان (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) يقول : ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين : أى بمضلِّينَ أحدا (إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) يقول : إلا أحدا سبق فى علمى أنه صال الجحيم .

وقد قيل : إن معنى (عَلَيْهِ) فى قوله : (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) بمعنى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) يقول : لاتضلون أنتم ، ولا أضلّ منكم إلا من قد قضيتُ أنه صال الجحيم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) يقول : ما أنتم بفاتنين على أوثانكم أحدا ، إلا من قد سبق له أنه صال الجحيم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن خالد ، قال : قلت للحسن ، قوله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) : إلا من أوجب الله عليه أن يَصْلَى الجحيم .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن ، عن قول الله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) قال : ما أنتم عليه بمضلّين إلا من كان فى علم الله أنه سيصْلَى الجحيم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) : إلا من قدر عليه أنه يَصْلَى الجحيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز ، وكانوا متكلمين كلُّهم ، فتكلموا ، ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلم بشيء . فظننا أنه تكلم بشيء ردَّ به ما كان فى أيدينا ؛ فقال لنا : هل تعرفون تفسير هذه الآية (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) قال : إنكم والآلهة التى تعبدونها لستم بالذى تفتنون عليها إلا من قَضَيْتُ عليه أنه يصلى الجحيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) قال : ما أنتم بمضلِّين إلا من كتب عليه أنه يَصْلَى الجحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) حتى بلغ (صالِ الجَحيم) يقول : ما أنتم بمضلين أحدا من عبادى بباطلكم هذا ، إلا من تولاَّكم بعمل النار .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) إلا من كتب الله أنه يَصْلَى الجحيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) يقول : لاتضلون بآلهتكم أحدا ، إلا من سبقت له الشقاوة ، ومن هو صال الجحيم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) يقول : لاتفتنون به أحدا ، ولا تُضِلّونه ، إلا من قضى الله أنه صال الجحيمَ ، إلا من قد قضى أنه من أهل النار .

وقيل (بِفَاتِنِينَ) من فتنت أفتِن ، وذلك لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد فإنهم يقولون : أفتنته فأنا أفتنه . وقد ذُكر عن الحسن أنه قرأ (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالُ الْجَحِيمِ) برفع اللام من « صالِ » ، فإن كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر :

إذَا ما حاتِمٌ وُجِد ابْنَ عَمِّى ... مَجَدْنا مَنْ تَكَلَّمُ أجْمَعِينا [1]

فقال : أجمعينا ، ولم يقل : تكلموا ، وكما يقال فى الرجال : من هو إخوتك ، يذهب بهو إلى الاسم المجهول

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٧٥) ولم ينسبه . قال : وقد يكون أن تجعل « صالو » جمعا ، كما تقول : من الرجال من هو إخوتك . تذهب بهو إلى الاسم المجهول ، وتخرج فعله على الجمع ، كما قال الشاعر : « إذا ما حاتم . . . البيت » . ولم يقل تكلموا . وأجود ذلك فى العربية ، إذا أخرجت الكناية ، أن تخرجها على المعنى والعدد ، لأنك تنوى تحقيق الاسم . اهـ . وفى فتح القدير للشوكانى (٤ : ٤٠٣) فى تفسير قوله تعالى : « إلا من هو صال الجحيم » : قرأ الجمهور : « صال » بكسر اللام ، لأنه منقوص مضاف ، حذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وحمل على لفظ من ، وأفرد ، كما أفرد « هو » . وقرأ الحسن وابن أبى عبلة ، بضم اللام ، مع واو بعدها ؛ وروى عنهما قرأ بضم اللام بدون واو . فأما مع الواو فعلى أنه جمع سلامة بالواو ، حملا على معنى « من » وحذفت نون الجمع للإضافة . وأما بدون الواو ، فيحتمل أن يكون جمعا ، وإنما حذفت الواو خطا ، كما حذفت لفظا . ويحتمل أن يكون مفردا ؛ وحقه على هذا كسر اللام . قال النحاس : وجماعة أهل التفسير يقولون : إنه لحن ، لأنه لا يجوز : هذا قاض المدينة . والمعنى أن الكفار وما يعبدونه ، لا يقدرون على إضلال أحد من عباد الله ، إلا من هو من أهل النار . أى يدخلها . اهـ .

ويخرج فعله على الجمع ، فذلك وجه ،وإن كان غيره أفصح منه ، وإن كان أراد بذلك واحدا ، فهو عند أهل العربية لحن ، لأنه لحن عندهم أن يقال : هذا رامٌ وقاضٌ . إلا أن يكون سمع فى ذلك من العرب لغة مقلوبة ، مثل قولهم : شاكُ السلاح ، وشاكى السلاح ، وعاث وعثا ، وعاق وعقا ، فيكون لغة ، ولم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب .

وقوله (وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) وهذا خبر من الله عن قِيل الملائكة أنهم قالوا : وما منا معشر الملائكة ، إلا من له مقام فى السماء معلوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) قال : الملائكة .

حدثنى يونس ، قال: ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله (وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) قال الملائكة.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) هؤلاء الملائكة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ) كان مسروق بن الأجدع يروى عن عائشة ، أنها قالت : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « ما فِى سَماءِ الدُّنْيا مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أوْ قائمٌ » ، فذلك قول الملائكة : (وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ، وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ) .

حدثنى موسى بن إسحاق الجَبَنِىّ المعروف بابن القوّاس ،قال: ثنا يحيى بن عيسى الرملىّ ، عن الأعمش عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال: «لو أن قطرة من زَقُّوم جهنم أنزلت إلى الدنيا ، لأفسدت على الناس معايشهم ، وإن ناركم هذه لتعوذ من نار جهنم» .

حدثنا موسى بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قال عبد الله بن مسعود : «إن ناركم هذه لما أنزلت، ضُرِبت فى البحر مرّتين ،ففتَرت، فلولا ذلك لم تنتفعوا بها» .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته : (وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) لله لعبادته (وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ لَهُ) : يعنى بذلك : المصلون له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال به أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا أبومعاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مُزاحم يقول قوله : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) كان مسروق بن الأجدع ، يروى عن عائشة أنها قالت : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « ما فى السَّماءِ الدُّنْيا مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أوْ قائمٌ » ، فذلك قول الله (وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : إن من السموات لسماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما ، قال : ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق عن عبد الله ، قال : إن من السموات سماءً ما فيها موضع إلا فيه ملك ساجد ، أو قدماه ، قائم ، ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا الجريرى ، عن أبى نضرة ، قال : كان عمر إذا أُقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه ، فقال : يا أيها الناس استَوُوا ، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) استَوُوا ، تقدّم أنت يافلان ، تأخر أنت أى هذا ، فاذا استَوَوْا تقدّم فكبر .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنى أبوأُسامة ، قال : ثنى الجريرى سعيد بن إياس أبو مسعود ، قال : ثنى أبونضرة ، كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم واستَوُوا ، فإنما يُريد الله بكم هدى الملائكة ، يقول : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) ثم ذكر نحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : يعنى الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) قال : الملائكة صافون تسبّح لله عزّ وجلّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : الملائكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبوهلال ، عن قتادة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : صفوف فى السماء . (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) : أى المصلون. هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : للصلاة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ ، قال : وذكر السدىّ ، عن عبد الله ، قال : ما فى السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه، ساجدا أو قائما أو راكعا ، ثم قرأ هذه الآية : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) : قال : الملائكة ، هذا كله لهم .

وقوله (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ، لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ) : يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون ، قبل أن يبعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم نبيا . (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ) يعنى كتابا أنزل من السماء ، كالتوراة والإنجيل ، أو نبىّ أتانا، مثل الذى أتى اليهود والنصارى (لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ) الذين أخلصهم لعبادته ، واصطفاهم لجنته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) قال : قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم : لو كان عندنا ذكر من الأولين، لكنا عباد الله المخلصين ؛ فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به ، فسوف يعلمون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله (ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ) قال : هؤلاء ناس من مشركى العرب قالوا : لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين ، أو جاءنا علم من علم الأولين ؟ قال : قد جاءكم محمد بذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد: رجع الحديث إلى الأولين أهل الشرك: (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله: (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ، لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) هذا قول مشركى أهل مكة ؛ فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين ، كفروا به ، فسوف يعلمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به ، وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب ، يقول الله : فسوف يعلمون إذا وردوا علىّ ، ماذا لهم من العذاب ، بكفرهم بذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) قال : لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين ، كفروا بالكتاب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) يقول : قد جاءكم محمد بذلك ، فكفروا بالقرآن ، وبما جاء به محمد .

وقوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) يقول تعالى ذكره : ولقد سبق منا القول لرسلنا : إنهم لهم لمنصورون : أى مضى بهذا منا القضاء والحكم فى أمّ الكتاب ، وهو أنهم لهم النُّصرة والغلبة بالحجج .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) حتى بلغ (لَهُمُ الْغَالِبُونَ) قال : سبق هذا من الله لهم : أن ينصرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ : إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) يقول : بالحجج .

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا على عبادنا الْمُرْسَلِينَ) فجعلت «على» مكان اللام ، فكأن المعنى : حقت عليهم ولهم ، كما قيل : على مُلك سليمان ، وفى مُلك سليمان ، إذ كان معنى ذلك واحدا .

وقوله (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) يقول : وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون ، يقول : لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا ، والخلاف علينا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ (١٧٧)

يعني تعالى ذكره بقوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) : فأعرض عنهم إلى حين .

واختلف أهل التأويل في هذا الحين . فقال بعضهم : معناه إلى الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) : أي إلى الموت .

وقال آخرون : إلى يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، في قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) قال : حتى يوم بدر .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلى يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) ، قال : يوم القيامة .

وهذا القول الذى قاله السدىّ ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذى كانوا يستعجلونه ، فقال : (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْرِض عليهم إلى مجيء حينه . فتأويل الكلام : فتولّ عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا ، ونزوله بهم .

وقوله (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) : وأنظرهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من عقابنا .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) حين لا ينفعهم البصر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) يقول : أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم قال : يقول : يبصرون يوم القيامة ماضيّعوا من أمر الله ، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه ، قال : فأبصرهم ، وأبصر واحد .

وقوله (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) يقول : فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد ، وذلك قولهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم : (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وقوله (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) يقول : فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب . العرب تقول : نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة ، وذلك إذا نزل به ؛ والساحة : هى فناء دار الرجل ،

(فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِين) يقول : فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم، فلم يصدّقوا به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) قال : بدارهم ، (فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ) قال : بئس ما يصبحون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأعرض يامحمد عن هؤلاء المشركين ، وخلّهم وفريتهم على ربهم (حَتَّى حِينٍ) يقول : إلى حين يأذن الله بهلاكهم (وأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) يقول : وأنظرهم فسوف يروْن ما يحلّ بهم من عقابنا ، فى حين لاتنفعهم التوبة ، وذلك عند نزول بأس الله بهم . وقوله (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) : يقول تعالى ذكره : تنزيها لربك يامحمد، وتبرئة له : (ربّ العزّة) : يقول : ربّ القوّة والبطش (عَمَّا يَصِفُونَ) يقول : عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركى قريش ، من قولهم ولد الله ، وقولهم : الملائكة بنات الله ، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) : أى عما يكذبون ، يسبح نفسه إذا قيل عليه البُهتان .

وقوله (وَسَلَامٌ على المُرْسَلِينَ) يقول : وأمَنَة من الله للمرسلين ، الذين أرسلهم إلى أممهم الذين ذكرهم فى هذه السورة وغيرهم ، من فزع يوم العذاب الأكبر ، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قِبل الله تبارك وتعالى.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَلَامٌ على المُرْسَلِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلى المُرْسَلِينَ ، فإِنَّمَا أنا رَسُولٌ مِنَ المُرْسَلِينَ » .

(والحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : والحمد لله ربّ الثقلين الجن والإنس ، خالصا دون ماسواه ، لأن كلّ نعمة لعباده فمنه ، فالحمد له خالص لاشريك له ، كما لاشريك له فى نعمه عندهم ، بل كلها من قِبَله ، ومن عنده .

آخر تفسير سورة الصافات

تفسير سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

ص وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ (١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله عزّ وجلّ (ص) ، فقال بعضهم : هو من المصاداة ، من صاديت فلانا ، وهو أمر من ذلك ، كأن معناه عندهم : صادِ بعملك القرآن : أى عارضه به ، ومن قال هذا تأويله ، فإنه يقرؤه بكسر الدال ، لأنه أمر ، وكذلك رُوِى عن الحسن .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (ص) قال : حادث القرآن .

وحُدثت عن علىّ بن عاصم ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، فى قوله (ص) قال : عارض القرآن بعملك .

حُدثت عن عبدالوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (ص والقرآن) قال : عارض القرآن ، قال عبد الوهاب : يقول اعرضه على عملك ، فانظر أين عملك من القرآن .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن أنه كان يقرأ (ص والقرآن) بخفض الدال ، وكان يجعلها من المصاداة ، يقول : عارض القرآن .

وقال آخرون : هى حرف هجاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : أما (ص) فمن الحروف .

وقال آخرون : هو قسم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ص) قال : قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن ، أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ص) قال : هو اسم من أسماء القرآن ، أقسم الله به .

وقال آخرون : معنى ذلك : صدق الله .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك فى قوله (صۤ) قال : صدق الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، خلا عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ، بسكون الدال ، فأما عبد الله بن أبي إسحاق فإنه كان يكسرها ، لاجتماع الساكنين ، ويجعل ذلك بمنزلة الأداة ، كقول العرب : تركته حاثِ باثِ ، وخازِ بازِ ، يخفضان من أجل أن الذى يلى آخر الحروف ألف ، فيخفضون مع الألف ، وينصبون مع غيرها ، فيقولون حيث بيث ، ولأجعلنك فى حيص بيص : إذا ضيق عليه . وأما عيسى بن عمر فكان يوفّق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف ، وما كان قبل آخره ياء أو واو فيفتح جميع ذلك وينصبه ، فيقول : صَ وقَ ونَ ويسَ ، فيجعل ذلك مثل الأداة ، كقولهم : ليتَ ، وأينَ وما أشبهَ ذلك .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : السكون فى كل ذلك ، لأن ذلك القراءة التى جاءت بها قرّاء الأمصار مستفيضة فيهم ، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات ، فيعربن إعراب الأسماء والأدوات والأصوات ، فيسلك بهنّ مسالكهنّ ، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التى قد تقدم بياننا قبلُ فيما مضى .

وكان بعض أهل العربية يقول : (صۤ) فى معناها كقولك : وجب والله ، نزل والله ، وحقٌّ والله ، وهى جواب لقوله (والقُرآنِ) كما تقول : حقا والله ، نزل والله .

وقوله (والقُرآنِ ذِى الذِّكْرِ) وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن ، فقال (والقُرآنِ ذِى الذِّكْرِ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ذِى الذِّكْرِ) فقال بعضهم : معناه : ذى الشرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد (صۤ والقُرآنِ ذِى الذِّكْرِ) قال : ذى الشرف .

حدثنا نصر بن علىّ وابن بشار ، قالا : ثنا أبو أحمد ، عن مسعر ، عن أبي حصين (ذِى الذِّكْرِ) : ذى الشرف .

قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح أو غيره (ذِى الذِّكْرِ) : ذى الشرف .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (والقُرآنِ ذِى الذِّكْرِ) قال : ذى الشرف .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن يحيى بن عُمارة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (صۤ والقُرآنِ ذِى الذِّكْرِ) : ذى الشرف .

وقال بعضهم : بل معناه : ذى التذكير ، ذكّركمُ الله به .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (ذِى الذِّكْرِ) قال : فيه ذكركم ، قال : ونظيرها (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتابا فيهِ ذِكْرُكُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذِى الذِّكْرِ) : أى ما ذكر فيه .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : ذى التذكير لكم ، لأن الله أتبع ذلك قولَه : (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقاقٍ) فكان معلوما بذلك ، أنه إنما أخبر عن القرآن ، أنه أنزله ذكرا لعباده ذكَّرهم به ، وأن الكفار من الإيمان به فى عزّة وشقاق .

واختلف فى الذى وقع عليه اسم القسم ، فقال بعضهم : وقع القسم على قوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقاقٍ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ) قال : هاهنا وقع القسم .

وكان بعض أهل العربية يقول : « بل » : دليل على تكذيبهم ، فاكتفى ببل من جواب القسم ، وكأنه قيل ص ، ما الأمر كما قلتم ، بل أنتم فى عزّة وشقاق . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : زعموا أن موضع القسم فى قوله (إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) . وقال بعض نحويى الكوفة : قد زعم قوم أن جواب (وَالقرآنِ) قوله (إن ذلكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أهْلِ النَّارِ) قال : وذلك كلام قد تأخر عن قوله (وَالقُرآنِ) تأخرا شديدا ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا نجد ذلك مستقيما فى العربية ، والله أعلم .

قال : ويقال : إن قوله (والقُرآنِ) يمين ، اعترض كلام دون موقع جوابها ، فصار جوابها للمعترض ولليمين ، فكأنه أراد : والقرآن ذى الذكر لَكَمْ أهلكنا ، فلما اعترض قوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ) صارت كم جوابا للعزّة واليمين . قال : ومثله قوله : (والشَّمْسِ وضُحاها) اعترض دون الجواب قوله (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ، فَأَلْهَمَها) فصارت قد أفلح تابعة لقوله : فألهمها ، وكفى من جواب القسم ، فكأنه قال : والشمس وضحاها لقد أفلح .

والصواب من القول فى ذلك عندى : القول الذى قاله قتادة ، وأن قوله (بَلْ) لما دلَّت على التكذيب ، وحلَّت محلّ الجواب ، استغنى بها من الجواب ، إذ عرف المعنى ، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك (صَ والقُرآنِ ذِى الذِّكْرِ) ما الأمر ، كما يقول هؤلاء الكافرون : بل هم فى عزّة وشقاق .

وقوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقاقٍ) يقول تعالى ذكره : بل الذين كفروا بالله من مشركى قريش : فى حمية ومشاقة ، وفراق لمحمد وعداوة ، وما بهم أن لايكونوا أهل علم ، بأنه ليس بساحر ولا كذّاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال : مُعازِّين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) : أي في حمية وفراق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال : يعادون أمر الله ورسله وكتابه ، ويشاقّون، ذلك عزّة وشقاق ، فقلت له : الشقاق : الخلاف ، فقال نعم .

القول في تأويل قوله تعالى

كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ، فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣)

يقول تعالى ذكره : كثيرا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عندنا من الحقّ (مِنْ قَرْنٍ) يعني : من الأمم الذين كانوا قبلهم ، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله (فَنَادَوْا) يقول: فعَجُّوا إلى ربهم ، وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله، وعاينوا به عذابه، فرارا من عقابه ، وهربا من أليم عذابه (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) يقول : وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة ، وقد حقّت كلمة العذاب عليهم ، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة ، واستقالوا في غير وقت الإقالة . وقوله (مَنَاصٍ) مَفْعَل من النَّوْص ، والنوص في كلام العرب : التأخر ، والمناص : المَفَرّ ؛ ومنه قول امرئ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... فَتَقْصُرُ عَنْهَا خَطْوَةً وَتَبُوصُ[1]

يقول : أو تقدّم، يقال من ذلك : ناصني فلان : إذا ذهب عنك، وباصني : إذا سبقك، وناض في البلاد: إذا ذهب فيها ، بالضاد . وذكر الفراء أن العقيليّ أنشده :

إِذا عاشَ إِسْحاقٌ وَشَيْخُهُ لَمْ أُبَلْ ... فَقِيدًا وَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيَّ مَنَاصُ[2]

وَلَوْ أَشْرَفَتْ مِنْ كُفَّةِ السِّتْرِ عاطِلًا ... لَقُلْتُ غَزالٌ ما عَلَيْهِ خُضَاضُ

والخضاض : الحليّ .

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ١٢٧) قال : نأتك : بعدت عنك . وتنوص : تتأخر ؛ فتقصر عنها : يقال : أقصر عنه خطوه : إذا كفه عنه . وتبوص : تتقدم . يقول : أمن حقك إذ نأت عنك سلمى ، وذكرتها واشتقت إليها ، أن تتأخر عنها . وتقصر خطابك دونها ، أم تتقدم نحوها ، جادا في أثرها . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (٢٧٦) قال في تفسير قوله تعالى : « ولات حين مناص » يقول : ليس بحين فرار . والنوص : التأخر في كلام العرب . والبوص : التقدم ، وقال امرؤ القيس : « أمن ذكر . . . البيت » . فناص : مفعل ، مثل مقام . ومن العرب من يضيف « لات » ، فيخفض . أنشدوني : « لات ساعة مندم » . اهـ .

(٢) قال المؤلف إن الفراء ذكر أن العقيلي أنشده البيتين . ويفهم منه أن البيتين نقلهما الفراء في معاني القرآن عند تفسير قوله تعالى « ولات حين مناص » . فلعلهما في نسخة غير التي في أيدينا منه . وذكر صاحب اللسان البيت الثاني في (خضض) وقال قبله: الخضاض: =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق عن التميمىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس بحين نزو ، ولا حين فرار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن التميمى ، قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس بحين نزو ولا فرار ، ضبط القوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق الهمدانىّ ، عن التميمىّ ، قال : سألت ابن عباس ، قول الله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس حين نزو ولا فرار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس حين نزو ولا فرار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) يقول : ليس حين مَغاث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس هذا بحين فرار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : نادى القوم على غير حين نداء ، وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله ، فلم يقبل منهم ذلك .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال : حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع إلى التوبة ، ولا فرارا من العذاب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) يقول : وليس حين فرار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) : ولات حين مَنْجًى ينجون منه ، ونصب حين فى قوله (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) تشبيها للات بليس ، وأضمر فيها اسم الفاعل .

وحكى بعض نحوِيِّى أهل البصرة الرفع مع لات ، فى حين زعم أن بعضهم رفع (وَلاتَ حِينُ مَنَاصٍ) فجعله فى قوله ليس ، كأنه قال : ليس وأضمر الحين ؛ قال : وفى الشعر :

= الشىء اليسير من الحل . وأنشد القنانى : « ولو أشرفت . . . البيت » — قلت : ولعل لفظتا العقيل والقنانى محرفة إحداهما عن الأخرى . ومحل الشاهد والبيت الأول فى قوله « مناص » : أى ذهاب فى الأرض ، فهو مصدر ميمى . وهو قريب فى معناه من معنى مناص ، بالصاد المهملة ، أى مفر . قال فى (اللسان : نوص) : وناص فلان ينوص نوصا : ذهب فى البلاد . وناص نوصا ، كناص : عدل . ا هـ .

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أَوانٍ فَأَجَبْنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ[1]

فجرّ « أوانٍ » ، وأضمر الحين إلى أوان ، لأن لاتَ لاتكون إلا مع الحين ؛ قال : ولا تكون لات إلا مع حين . وقالَ بعض نحويى الكوفة من العرب من يضيف لات فيخفض بها ، وذكر أنه أنشد :

« لاتَ ساعةِ مَنْدَمٍ »[2]

بخفض الساعة ؛ قال : والكلام أن ينصب بها ، لأنها فى معنى ليس ، وذكر أنه أنشد :

تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِينًا وأضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينا[3]

قال : وأنشدنى بعضهم :

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أَوانٍ فَأَجَبْنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ[4]

بخفض « أوانٍ » ؛ قال : وتكون لات مع الأوقات كلها .

واختلفوا فى وجه الوقف على قراءة (لاتَ حِينَ) فقال بعض أهل العربية : الوقف عليه ولاتْ بالتاء ،

---

(١) وهذا البيت لأبى زبيد المنذر بن حرملة الطائى النصرانى، وقد أدرك الاسلام . وكان عثمان رضى الله عنه يقربه، ويدنى مجلسه . (فرائد القلائد ، فى مختصر شرح الشواهد، للعينى) قال : والشاهد فى قوله : « ولات أوان » ، حيث وقع خبره (خبر لات) لفظة أوان كالحين ، أى ليس الأوان أوانَ صلح ، فحذف المضاف إليه ، ثم بنى أوان ، كما بنى قبل وبعد عند حذف المضاف إليه ، ولكنه بنى على الكسر ، بشبهه بنزال فى الوزن ، ثم نون للضرورة . وأن : تفسيرية . وليس للنفى، واسمه محذوف . وحين بقاء : خبره . أى ليس الحين حين بقاء الصلح . اهـ . قال الفراء بعد كلامه الذى نقلناه تحت الشاهد السابق: وأنشدنى بعضهم: « طلبوا صلحنا . . . » فخفض أوان . اهـ . قلت : ولم يقل إنه بنى على الكسر .

(٢) هذا جزء من بيت . هو بتمامه كما فى « فرائد القلائد » فى مختصر شرح الشواهد، للعينى (ص ١٠٥ مستقلة عن الخزانة للبغدادى) .

نَدِمَ البُغاةُ ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ والبَغْىُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وَخِيمُ

والرواية فيه عند العينى بنصب ساعة ، لابجرها . وقال فى شرحه : وقائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى، وقيل: مهلهل بن مالك الكنانى . وقال الفراء : بعد أن أنشد البيت (٢٧٦ : والكلام : أن ينصب بها فى معنى ليس.اهـ . قلت :وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ١٤٤ - ١٤٧) نقاش كثير بين النحويين فى إعراب « ساعة » فى البيت : أبالنصب ، وهى الرواية المشهورة ، وقد وافق عليها الفراء فى آخر كلامه . وأما الجر فإنه يحكيه عن أنشده"هذا الجزء من البيت، الذى قال إنه لايحفظ صدره،ولم يرض الفراء عن الجر بلات ، وإنما قرر أن وجه الكلام النصب بها ، لأنها فى معنى ليس ، وأنشد عليه الشاهد الذى بعده ، مؤكدا كلامه ، فى عملها النصب .

وأما رواية البيت فقد ذكرنا روايته عند ابن عقيل وغيره من شراح الألفية . ونسبته إلى رجل من طيىء .وفى خزانة الأدب (٢ : ١٤٧) أن ابن السكيت رواه فى كتاب الأضداد ، وهو :

وَلَتَعْرِفُنَّ خَلائِقًا مَشْمُولَةً وَلَتَنْدَمُنَّ وَلاتَ ساعةَ مَنْدَمِ

قال ابن الأعرابى فى تفسير قوله « مشمولة » : يقال أخلاق مشمولة : أى مشئومة ، وأخلاق سوء . قال : ويقال أيضا : رجل مشمول الخلائق : أى كريم الأخلاق .

(٣) البيت من شواهد الفراء (الورقة ٢٧٦) على أن لات تعمل النصب فيما بعدها . قال فى معانى القرآن مبينا الوجه فى عمل ليت : والكلام : أن ينصب بها فى معنى ليس . أنشدنى المفضل : « تذكر حب . . . » البيت . ثم قال : بعده : فهذا نصب ، ثم أنشد شاهدا آخر على الجر بها ، وهو قول الشاعر : « طلبوا صلحنا ولات أوان ... البيت » . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٠ - ا) فى أول سورة ص : و « لات حين مناص » : إنما هى : « ولا » . وبعض العرب يزيد فيها الهاء ، فيقول : « ولاه » فيزيد فيها هاء للوقف ، فإذا اتصلت صارت تاء . والمناص : مصدر ناص ينوص . وهو المنجى والفوت . قال عمرو بن شأس الأسدى : « تذكرت ليلى لات حين تذكر » . وقال الفراء فى معانى القرآن (٢٧٦) : أقف على « لات » بالتاء . والكسائى يقف عليها بالهاء . اهـ .

(٤) تقدم الكلام على البيت قريبا ، فراجعه فى موضعه .

ثم يبتدأ حين مناص ، قالوا : وإنما هى « لا » التى بمعنى : « ما » ، وإن فى الجحد وُصلت بالتاء ، كما وُصلت ثم بها ، فقيل : ثمت ، وكما وصلت ربَّ ، فقيل : ربت .

وقال آخرون منهم : بل هى هاء زيدت فى لا ، فالوقف عليها لاه ، لأنها هاء زيدت للوقف ، كما زيدت فى قولهم :

العاطِفُونَةَ حِينَ ما مِنْ عاطِفٍ والمُطْعِمُونَةَ حِينَ أَيْنَ المَطْعَمُ؟[1]

فإذا وُصلت صارت تاء . وقال بعضهم : الوقف على « لا » ، والابتداء بعدها تحين ، وزعم أن حكم التاء أن تكون فى ابتداء حين ، وأوان ، والآن ؛ ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر :

تَوَلَّى قَبْلَ يَوْمِ سَبْيِ جُمانا وَصِلِينا كَما زَعَمْتِ تَلانا[2]

وأنه ليس هاهنا « لا » فيوصل بها هاء أو تاء ؛ ويقول : إن قوله (لاتَ حِينَ) إنما هى : ليس حين ، ولم توجد لات فى شىء من الكلام .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنّ « لا » حرف جحد كما ، وإن وُصلت بهاء تصير فى الوصل تاء ، كما فعلت العرب ذلك بالأدوات ، ولم تستعمل ذلك كذلك مع « لا » المُدَّة ، إلا للأوقات دون غيرها ، ولا وجه للعلة التى اعتلّ بها القائل : إنه لم يجد لات فى شىء من كلام العرب ، فيجوز توجيه قوله (وَلاتَ حِينَ) إلى ذلك ، لأنها تستعمل الكلمة فى موضع ، ثم تستعملها فى موضع آخر بخلاف ذلك ، وليس ذلك بأبعد فى القياس من الصحة من قولهم : رأيت بالهمز ، ثم قالوا : فأنا أراه بترك الهمز ، لما جرى به استعمالهم ، وما أشبه ذلك من الحروف التى تأتى فى موضع على صورة ، ثم تأتى بخلاف ذلك فى موضع آخر ، للجارى من

(١) هذا الشاهد أيضا أنشده صاحب الخزانة (٢ : ١٤٧) ونقل كثيرا من أقوال النحويين فى تخريجه . ومن أحسن تخريجاته قول ابن جنى الذى نقله صاحب الخزانة عن « سر صناعة الإعراب » لابن جنى ، قال : وسبقه ابن السيراف فى شرح شواهد الغريب المصنف ، وأبوعلى الفارسى ، فى المسائل المنثورة . وهو أنها (التاء فى العاطفونة) فى الاصل هاء السكت ، لاحقة لقوله : « العاطفون » ، اضطر الشاعر إلى تحريكها ، فأبدلها تاء ، وفتحها . قال ابن جنى أراد أن يجريه فى الأصل على حد ما يكون عليه فى الوقف . وذلك أن يقال فى الوقف : هؤلاء مسلمونه ، وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون . فصار التقرير : العاطفونه . ثم إنه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن ، إلى حركة الهاء ، قلبها تاء ، كما تقول فى الوقف : هذا طلحه ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء ، فقلت : هذا طلحتنا . وعلى هذا قال : العاطفونة . قال : ويؤنس لصحة هذا قول الراجز :

من بعد ما وبعد ما وبعد مت صارت نفوس القوم عند الغلصمت

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف فى التقدير هاء ، فصارت : بعدمه ، ثم إنه أبدل الهاء تاء ، لتوافق بقية القوافى التى تليها . وشجعه شبه الهاء المقدرة فى قوله : « وبعدمه » بهاء التأنيث فى طلحة وحمزة . . . الخ . وذكر ابن مالك فى التسهيل أن التاء بقية لات . فحذفت لا ، وبقيت التاء . وربما استغنى مع التقدير عن (لا) بالتاء . . . . اه . والبيت من قصيدة لأبى وجزة السعدى ، مدح بها آل الزبير ابن العوام ، لكنه مركب من مصراعى بيتين . والمصراع الثانى منه « والمسبغون يدا إذا ما أنعموا » .

(٢) البيت لعمرو بن أحمر الباهلى ، كما فى هامش رقم ١ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب ١٨٥ طبعة الحلبى ، وروايته فى الأصل : نولى قبل نأى دار جمانا وصليه كما زعمت تلانا

ورواه ابن الأنبارى فى كتاب « الإنصاف فى مسائل الخلاف » . (طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٥١) :

نولى قبل يوم نأى جمانا وصلينا كما زعمت تلانا

نولى : من النوال ، وأصله العطاء . والمراد هنا ما يزود به المحب من قبلة . وجمانا : مرخم : جمانة ، وهو اسم امرأة ، والألف للإطلاق . والشاهد فى قوله « تلانا » حيث زاد تاء قبل الآن ، كما زاد قبل حين .

استعمال العرب ذلك بينها . وأما ما استشهد به من قول الشاعر : « كما زعمت تلانا » ، فإن ذلك منه غلط في تأويل الكلمة ، وإنما أراد الشاعر بقوله : « وصلينا كما زعمتِ تلانا » : وصلينا كما زعمت أنتِ الآن ، فأسقط الهمزة من أنت ، فلقيت التاء من زعمت النون من أنت ، وهي ساكنة ، فسقطت من اللفظ ، وبقيت التاء من أنت ، ثم حذفت الهمزة من الآن ، فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلان ، والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن ، لأنها تاء أنت . وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الإمام ، التاء متصلة بحين ، فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها ، هو الحجة على أهل الإسلام ، والتاء في جميعها منفصلة عن حين ، فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله (وَلاتَ حِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ، وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ : هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ، إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ (٥)

يقول تعالى ذكره : وعجب هؤلاء المشركون من قريش ، أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله ، على كفرهم به من أنفسهم ، ولم يأتهم ملك من السماء بذلك (وَقَالَ الكافِرُونَ هَذَا ساحِرٌ كَذَّابٌ) يقول : وقال المنكرون وحدانية الله : هذا : يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم : ساحر كذاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (فقالَ الكافِرُونَ هَذَا ساحِرٌ كَذَّابٌ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ساحِرٌ كَذَّابٌ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً وَاحِداً) يقول : وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا : محمد ساحر كذاب ، أجعل محمد المعبودات كلها واحدا ، يسمع دعاءنا جميعنا ، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا . (إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ) : أي إن هذا لشيء عجيب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها وَاحِداً ؟ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ) قال : عجب المشركون أن دُعُوا إلى الله وحده ، وقالوا : يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد ؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة .

وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ، ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه من ذلك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « أسألُكُمْ أنْ تُجِيبُونِي إلى وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِها العَرَبُ ، وَتُعْطِيكُمْ بِها

الخَرَاجَ العَجَمُ ، فقالوا : وما هي ؟ فقال : تقولون لاإلهَ إلاّ اللهُ ، فعند ذلك قالوا : (أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهًا وَاحِدًا) تعجبا منهم من ذلك » .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا عباد ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : « لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ، فبعث إليه ، فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فدخل البيت ، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشى أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون ، أرقّ له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول ؛ قال : فأكثروا عليه القول . وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عَمّ إنّى أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَها ، تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ ، وَتُؤَدّى إلَيْهِمْ بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ ، ففزعوا لكلمته ولقوله ، فقال القوم كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشرا . فقالوا : وما هي ؟ فقال أبو طالب : وأىّ كلمة هي يا ابن أخى ؟ قال : لاإلهَ إلاّ اللهُ ؛ قال : فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون (أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهًا وَاحِدًا؟ إنّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ) قال : ونزلت من هذا الموضع إلى قوله (لَمّا يَذُوقُوا عَذَابِ) . اللفظ لأبي كريب » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ، قال : « مرض أبو طالب ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، وهم حوله جلوس ، وعند رأسه مكان فارغ ، فقام أبو جهل فجلس فيه ، فقال أبو طالب : يا ابن أخى ما لقومك يشكونك ؟ قال : يا عَمّ ، أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ ، وتُؤَدّى إلَيْهِمْ بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ . قال : ما هي ؟ قال : لاإلهَ إلاّ اللهُ ، فقاموا وهم يقولون : (ما سَمِعْنا بِهَذَا فِى المِلّةِ الآخِرَةِ ، إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاقٌ) ونزل القرآن : (ص وَالقُرآنِ ذي الذِّكْرِ) ذي الشرف (بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزّةٍ وَشِقاقٍ) حتى قوله (أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهًا وَاحِدًا) » ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه لم يقل ذى الشرف ، وقال : إلى قوله : (إنّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عُمارة ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : « مرض أبو طالب ، قال : فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم يعوده ، فكان عند رأسه مقعدُ رجل ، فقام أبو جهل ، فجلس فيه ، فشكوا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب ، وقالوا : إنه يقع في آلهتنا ، فقال : يا ابن أخى ما تريد إلى هذا ؟ قال : ياعَمّ إنّى أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ تَدِينُ

لهم بها العرب، وتؤدى إليهم العجم الجزية؟ قال: وما هى؟ قال: لا إله إلا الله، فقالوا: (أجعل الآلهة إلها واحدا؟ إن هذا لشىء عجاب)»!

القول فى تأويل قوله تعالى

وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ، إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)

❊ يقول تعالى ذكره: وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم. فأن من قوله (أن امشوا) فى موضع نصب، بتعلق انطلقوا بها، كأنه قيل: انطلقوا مشيا، ومضيا على دينكم. وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله: (وانطلق الملأ منهم يمشون، أن اصبروا على آلهتكم). وذكر أن قائل ذلك كان عقبة ابن أبى معيط.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد: (وانطلق الملأ منهم) قال عقبة بن أبى معيط.

وقوله (إن هذا لشىء يراد): أى إن هذا القول الذى يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شىء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا، ولسنا مجيبيه إلى ذلك.

وقوله (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) اختلف أهل التأويل فى تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذى يدعونا إليه محمد، من البراءة من جميع الآلهة، إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذى جاء به فى الملة النصرانية، قالوا: وهى الملة الآخرة.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) يقول: النصرانية.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) يعنى النصرانية، فقالوا: لو كان هذا القرآن حقا، أخبرتنا به النصارى.

حدثنى محمد بن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن معين، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبى لبيد، عن القرظىّ فى قوله (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) قال: ملة عيسى.

حدثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السدىّ (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) النصرانية.

وقال آخرون : بل عنَوا بذلك : ما سمعنا بهذا فى ديننا دين قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (ما سَمِعْنا بِهَذا فِى المِلَّةِ الآخِرَةِ) قال : ملة قريش .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فِى المِلَّةِ الآخِرَةِ) قال : ملة قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما سَمِعْنا بِهَذا فِى المِلَّةِ الآخِرَةِ) : أى فى ديننا هذا ، ولا فى زماننا قطّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (ما سَمِعْنا بِهَذا فِى المِلَّةِ الآخِرَةِ) قال : الملة الآخرة : الدين الآخر . قال : والملة : الدين .

وقيل : إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش ، منهم أبو جهل ، والعاص بن وائل ، والأسود ابن عبد يغوث .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : أن أناسا من قُرَيش اجتمعوا ، فيهم أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، فى نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبى طالب ، فلنكلمه فيه ، فلينصفنا منه ، فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا ، وندَعه وإلهه الذى يَعبُد ، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكون منا شىء ، فتعيرنا العرب ، فيقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه ؛ قال : فبعثوا رجلا منهم يُدعى المطَّلب ، فاستأذن لهم على أبى طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك وسَرَوَاتهم يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ؛ فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فَمُره فليكفّ عن شتم آلهتنا ، ونَدَعَه وإلهه ؛ قال : فبعث إليه أبو طالب ؛ فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا بن أخى ، هؤلاء مشيخة قومك وسَرَوَاتهم ، وقد سألوك النَّصَف ، أن تكفّ عن شتم آلهتهم ، ويَدَعُوك وإلهك ، قال : فقال : أىْ عَمّ ، أوَلا أدْعُوهُمْ إلى ما هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْها ؟ قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلِمَةٍ تَدِينَ لَهُمْ بِها العَرَبُ ، وَيَمْلِكُونَ بِها العَجَمُ ؛ قال : فقال أبو جهل من بين القوم : ما هى وأبيك ؟ لنعطينكها وعشر أمثالها ، قال : تَقُولونَ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، قال : فنفروا وقالوا : سلنا غير هذه ، قال : لَوْ جِئْتُمُونِي بالشَّمْسِ حتى تَضَعُوها فِي يَدِي ، ما سأَلْتُكُمْ غَيْرَها ؛ قال : فغضبوا ، وقاموا من عنده غضابا ، وقالوا : والله لنشتمنك والذى يأمرك بهذا . (وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ ، إنَّ هَذَا لَشَىْءٌ يُرادُ) . . . إلى قوله (إلاَّ اخْتِلاقٌ) وأقبل على عمه ، فقال له عمه : يا بن أخى ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمه

فدعاه، فقال: قل: كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ، تَقُولُ: لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فقال: لولا أن تعيبكم بها العرب، يقولون جزع من الموت لأعطيتكها. ولكن على ملّة الأشياخ، قال: فنزلت هذه الآية: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ).

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ، إِنَّ هَذا لَشَيْءٌ يُرادُ) قال: نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبى طالب، فكلموه فى النبىّ صلى الله عليه وسلم.

وقوله (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين فى القرآن: ماهذا القرآن إلا اختلاق: أى كذب اختلقه محمد وتخرّصه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول: تخريص.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) قال: كذب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبى بزّة، عن مجاهد (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول: كذب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) إلا شىء تخلّقه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِنْ هَذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) قالوا: إن هذا إلا كذب.

القول فى تأويل قوله تعالى

أَءُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى، بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)

❁ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أأنزل على محمد الذكر من بيننا، فخصّ به، وليس بأشرف منا حسبا؟ وقوله (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى) يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين أن لايكونوا أهل علم بأن محمدا صادق، ولكنهم فى شكّ من وحينا إليه، وفى هذا القرآن الذى أنزلناه إليه أنه من عندنا (بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ) يقول: بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا، وشكهم فى تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به

مكذّبون ، حين لاينفعهم علمهم (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) : يقول تعالى ذكره : أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحىَ الله إلى محمد ، خزائن رحمة ربك ، يعنى مفاتيح رحمة ربك يامحمد ، العزيز فى سلطانه ، الوهاب لمن يشاء من خلقه ، ما يشاء من مُلك وسلطان ونبوّة ، فيمنعوك يامحمد ، ما منّ الله به عليك من الكرامة ، وفضّلك به من الرسالة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ (١١)

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين الذين هم فى عزّة وشقاق (مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فإنه لايُعازّنى ويُشاقّنى من كان فى مُلكى وسلطانى . وقوله (فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ) يقول : وإن كان لهم مُلك السموات والأرض وما بينهما ، فليصعدوا فى أبواب السماء وطرقها ، فإن من كان له مُلك شىء ، لم يتعذّر عليه الإشراف عليه ، وتفقّده وتعهّده .

واختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِى بها أبواب السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ) قال : طرق السماء وأبوابها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ) يقول : فى أبواب السماء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فِى الأَسْبَابِ) قال : أسباب السموات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ) قال : طرق السموات .

حُدثت عن الحارثى ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك : (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : يقول : إن كان (لَهُمْ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ) يقول : فليرتقوا إلى السماء السابعة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِى الأَسْبَابِ) يقول : فى السماء .

وذُكر عن الربيع بن أنس فى ذلك ما حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، قال : الأسباب : أدقّ من الشعر ، وأشدّ من الحديد ، وهو بكلّ مكان ، غير أنه لايُرَى . وأصل السبب عند العرب : كل ما تسبَّب به إلى الوصول إلى المطلوب ، من حبل ، أو وسيلة، أو رحم ، أو قرابة ، أو طريق ، أو محجة ، وغير ذلك .

وقوله (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) يقول تعالى ذكره هم (جُنْدٌ) يعنى الذين فى عزة وشقاق هنالك. يعنى : ببدر مهزوم . وقوله (هُنَالِكَ) من صلة مهزوم وقوله (مِنَ الْأَحْزَابِ) يعنى من أحزاب إبليس وأتباعه ، الذين مضوا قبلهم . فأهلكهم الله بذنوبهم . و« مِنَ » من قوله (مِنَ الْأَحْزَابِ) من صلة قوله جند. ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك. و«ما» فى قوله (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ) صلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) قال: قُريش من الأحزاب ، قال : القرون الماضية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : : ثنا سعيد ، عن قتادة (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) قال : وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندا من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر .

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ) مغلوب عن أن يصعد إلى السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْئَيْكَةِ ، أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)

* يقول تعالى ذكره : كذّبت قبل هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : أجعل الآلهة إلها واحدا ، رسلها ، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد ، فقال بعضهم : قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد ، يُلْعَب له عليها .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن علىّ بن الهيثم ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) قال : كانت ملاعب يلعب له تحتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) قال : كان له أوتاد وأرسان ، وملاعب يلعب له عليها .

وقال آخرون : بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (ذُو الأَوْتَادِ) قال : كان يعذّب الناسَ بالأوتاد ، يعذّبهم بأربعة أوتاد ، ثم يرفع صخرة تُمَدّ بالحبال ، ثم تُلْقَى عليه فتشدخه .

حُدثت عن عليّ بن الهيثم ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان يعذّب الناس بالأوتاد .

وقال آخرون : معنى ذلك : ذو البنيان ، قالوا : والبنيان : هو الأوتاد .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (ذُو الأَوْتَادِ) قال : ذو البنيان .

❊ وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِى بذلك الأوتاد ، إما لتعذيب الناس ، وإما للعب كان يُلْعَب له بها ، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد ، وثمود وقوم لوط ، وقد ذكرنا أخبار كلّ هؤلاء فيما مضى قبلُ من كتابنا هذا (وأَصْحَابُ الأَيْكَةِ) يعنى : وأصحاب الغَيْضة .

وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حُدثت عن معمر بن المثنى ، عن أبى عمرو : يقول : الأيكة : الحرجة من النبع والسدر ، وهو الملتفّ منه ، قال الشاعر :

أَفَمِنْ بُكاءِ حَمامَةٍ فى أيْكَةٍ يَرْفَضُّ دَمْعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ المِحْمَلِ [1]

يعنى : مِحْمَل السيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَصْحَابُ الأَيْكَةِ) قال : كانوا أصحاب شجر ، قال : وكان عامّة شجرهم الدوم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (وأَصْحَابُ الأَيْكَةِ) قال : أصحاب الغَيْضة .

وقوله (أُولَئِكَ الأَحْزَابُ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الجماعات المجتمعة ، والأحزاب المتحزّبة على معاصى الله والكفر به ، الذين منهم يامحمد مشركو قومك ، وهم مسلوك بهم سبيلهم (إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ) يقول : ما كلّ هؤلاء الأمم إلا كذّب رسل الله ، وهى فى قراءة عبدالله كما ذكر لى ، (إِنْ كُلٌّ لَمَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) يقول : فوجب عليهم عقاب الله إياهم .

---

(١) البيت لعنترة العبسى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣٨٧) وهو الرابع من قصيدة يهجو بها قيس ابن زهير ، قائد تيم فى بعض حروبها مع عبس . قال شارحه : الأيكة الشجر الكثير الملتف . وذرفت دموعك : سالت . والمحمل علاقة السيف . واستشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٣ – ا) وقال : الأيكة : الحرجة : من النبع والسدر . وهو الملتف قال رجل ، وهو يسنده إلى عنترة : « أفمن بكاء . . . . » البيت . يعنى محمل السيف . وهو الحمالة والحمائل . وجماع المحمل : محامل . وبعضهم يقول : « ليكة » . لايقطعون الألف ، ولم يعرفوا معناها . اهـ .

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) قال: هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل، فحقّ عليهم العذاب.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ (١٦)

يقول تعالى ذكره: (وَمَا يَنْظُرُ هؤُلاءِ) المشركون بالله من قُريش (إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً) يعنى بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى فى الصور (ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة، يعنى من فتور ولا انقطاع.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً) يعنى: أمة محمد (ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ).

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا المحاربى، عن إسماعيل بن رافع، عن يزيد بن زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القُرظى، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إسْرافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ على فِيهِ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ». قال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: قَرْنٌ، قال: كيف هو؟ قال: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فيه ثَلاثُ نَفَخاتٍ: نَفْخَةُ الفَزَعِ الأُولى، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ، يَأْمُرُ اللهُ إسْرافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وأَهْلُ الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ، وَيَأْمُرُهُ اللهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوِّلُها، فَلا يَفْتُرُ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ (وَما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ)».

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) فقال بعضهم: يعنى بذلك: ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس (ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول: من ترداد.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول: ما لها من رجعة.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) قال : من رجوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يعنى الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ، ولا رجوع إلى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول : ليس لهم بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا .

وقال آخرون : الصيحة فى هذا الموضع : العذاب . ومعنى الكلام : ما ينتظر هؤلاء المشركون إلا عذابا يهلكهم ، لا إفاقة لهم منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) قال : ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق . يا لها من صيحة لا يفيقون فيها ، كما يفيق الذى يغشى عليه ، وكما يفيق المريض تهلكهم ، ليس لهم فيها إفاقة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (مِنْ فَوَاقٍ) بفتح الفاء . وقرأته عامة أهل الكوفة (مِنْ فُوَاقٍ) بضم الفاء .

واختلف أهل العربية فى معناها إذا قُرِئت بفتح الفاء وضمها . فقال بعض البصريين منهم : معناها : إذا فتحت الفاء ما لها من راحة ، وإذا ضمت جعلها فُواق ناقة : ما بين الحلبتين . وكان بعض الكوفيين منهم يقول : معنى الفتح والضمّ فيها واحد ، وإنما هما لغتان مثل السَّوَاف والسُّواف ، وجَمام المكوك وجُمامه ، وقَصاص الشعر وقُصاصه .

❁ والصواب من القول فى ذلك : أنهما لغتان ، وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم فى قراءته ، يفرّقون بين معنى الضمّ فيه والفتح ، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم ، لقد كانوا فرقوا بين ذلك فى المعنى . فإذ كان ذلك كذلك ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب ، وأصل ذلك من قولهم : أفاقت الناقة ، فهى تُفيق إفاقة ، وذلك إذا ردّت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى ، وذلك أن ترضع البهيمة أمها ، ثم تتركها حتى ينزل شىء من اللبن . فتلك الإفاقة ؛ يقال إذا اجتمع ذلك فى الضرع فيقة . كما قال الأعشى :

حَتَّى إذَا فِيقَةٌ فى ضَرْعِها اجْتَمَعَتْ　　جاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضِعا[1]

(١) البيت فى ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص ١٣ وهو الثالث والثلاثون من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى . والفيقة : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . وشق الشىء : شطره ، والقطعة منه ، وشق النفس : ولدها ، لأنه قطعة منها . يقول : حتى إذا =

وقوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش ، يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة . والقِطّ فى كلام العرب : الصحيفة المكتوبة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَلَا المَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتُهُ بِنِعْمَتِهِ يُعْطِى القُطُوطَ وَيَأْفِقُ[1]

يعنى بالقُطوط : جمع القِط ، وهى الكتب بالجوائز .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القطّ لهم . فقال بعضهم : إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب ،الذى أعدّ لهم فى الآخرة فى الدنيا ، كما قال بعضهم (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) يقول : العذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قال : سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد ، فى قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) قال : عذابنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) قال : عذابنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) : أى نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة ، قال : قد قال ذلك أبو جهل : اللهمّ إن كان ما يقول محمد حقا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) . . . الآية .

= اجتمع اللبن فى ضرعها ، عادت ترضع ولدها ، لو أنه حى يرضع . والضمير فى ضرعها : راجع إلى راحلته المذكورة قبل . واستشهد المؤلف بالبيت على معنى قوله تعالى : « ما لها من فواق » . قال أبو عبيدة (٢١٣ — ١) من فتحها قال : ما لها من راحة . ومن ضمها قال فواق ، وجعلها من « فواق ناقة » : ما بين الحلبتين . وقوم قالوا : هما واحد . بمنزلة جمام المكوك وجمام المكوك ، وقصاص الشعر وقصاص الشعر (الأول بضم أوله ، والثانى بفتحه فيهن) . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٧٧) : « ما لها من فواق » : من راحة ولا إفاقة . وأصله من الإفاقة فى الرضاع ، إذا ارتضعت البهمة أمها ، ثم تركتها حتى تنزل شيئا من اللبن ، فتلك الإفاقة والفواق بغير همز . وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العيادة قدر فواق ناقة » . وقرأها الحسن ، وأهل المدينة ، وعاصم : فواق بالفتح ؛ وهى لغة جيدة عالية . وضم حمزة ، ويحيى ، والأعمش ، والكسائى . اهـ .

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة (ص ٢٣) من قصيدة يمدح بها المحلق بن حنتم بن شداد بن ربيعة . وفيه « بأمته » فى مكان « بنعمته » . والقطوط : جمع قط بكسر القاف ، وهو الصك بالجائزة . ويأفق كيضرب : يفضل بعض الناس فى الجوائز على بعض . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، الورقة ٢١٣ — ١) قال فى قوله تعالى : « ربنا عجل لنا قطنا » القط : الكتاب . قال الأعشى : « ولا الملك . . . . . . » البيت . القطوط : الكتب بالجوائز . يأفق : يفضل ويعلو . يقال : ناقة أفقة ، وفرس آفق إذا فضله على غيره .

وقال آخرون : بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها ، فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فيؤمنوا حينئذ به ويصدّقوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) قالوا : أرنا منازلنا فى الجنة حتى نتابعك .

وقال آخرون : مسألتهم نصيبهم من الجنة ، ولكنهم سألوا تعجيله لهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ثابت الحدّاد ، قال : سمعت سعيد بن جُبَيْر يقول فى قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قال : نصيبنا من الجنة .

وقال آخرون : بل سألوا ربهم تعجيل الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمر بن علىّ ، قال : ثنا أشعث السجستانى ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد فى قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) قال : رزقنا .

وقال آخرون : سألوا أن يعجل لهم كتبهم التى قال الله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) ، وأما من أوتى كتابه بشماله فى الدنيا ، لينظروا بأيمانهم يُعْطَوْنها أم بشمائلهم ؟ ولينظروا مِن أهل الجنة هم ، أم من أهل النار ، قبل يوم القيامة ، استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن القوم سألوا ربهم تعجيل صِكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشرّ ، الذى وعد الله عباده أن يؤتيهموها فى الآخرة ، قبل يوم القيامة فى الدنيا ، استهزاء بوعيد الله .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن القطّ هو ماوصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم ، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه (اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ) فكان معلوما بذلك أن مسألتهم ماسألوا النبىّ صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم ،لم يكن بالذى يتبع الأمر بالصبر عليه ، ولكن لما كان ذلك استهزاء ، وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى ، أمره الله بالصبر عليه منهم، حتى يأتيه قضاؤه فيهم . ولما لم يكن فى قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) بيان أىّ القطوط إرادتهم ، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معنىّ به القُطوط ، ببعض معانى الخير أو الشرّ ، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ، وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إنا سخرنا الجبالَ معهُ

يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اصبر يامحمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك ، فإنا ممتحنوك بالمكاره ، امتحاننا سائر رسلنا قبلك ، ثم جاعلو العلوّ والرفعة والظفر لك ، على من كذبك وشاقّك ، سنتنا فى الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك ، فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا ، فاذكره ذا الأيد ، ويعنى بقوله (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوّة والبطش الشديد فى ذات الله ، والصبر على طاعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوّة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوّة فى طاعة الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : أُعْطِىَ قوّة فى العبادة ، وفقها فى الإسلام .

وقد ذُكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) ذا القوّة فى طاعة الله .

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوّة فى عبادة الله ، الأيد : القوّة ، وقرأ (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) قال : بقوّة .

وقوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إن داود رَجّاع لما يكرهه الله ، إلى مايرضيه أوّاب ، وهو من قولهم : آب الرجل إلى أهله : إذا رجع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : رجاع عن الذنوب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الراجع عن الذنوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) : أى كان مطيعا لله كثير الصلاة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : المسبح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الأوّاب التوّاب الذى يئوب إلى طاعة الله ويرجع إليها ، ذلك الأوّاب . قال : والأوّاب : المطيع .

وقوله (إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ) يقول تعالى ذكره : إنا سخرنا الجبال يسبِّحن مع داود بالعشىّ ، وذلك من وقت العصر إلى الليل . والإشراق ، وذلك بالغداة وقت الضحى . ذُكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالْعَشِيِّ والإِشْراقِ) يسبحن مع داود إذا سبح بالعشىّ والإشراق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بالْعَشِيِّ والإِشْراقِ) قال : حين تُشْرِق الشمس وتضحى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر بن عبد الكريم ، عن موسى بن أبى كثير ، عن ابن عباس ، أنه بلغه « أن أمّ هانئ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، صلى الضحى ثمان ركعات . فقال ابن عباس : قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة ، يقول الله (يُسَبِّحْنَ بالْعَشِيِّ والإِشْراقِ) » .

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : ثنا صدقة ، قال : ثنى سعيد بن أبى عَروبة ، عن أبى المتوكل ، عن أيوب بن صفوان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل « أن ابن عباس كان لايصلى الضحى ، قال : فأدخلته على أم هانئ ، فقلت : أخبرى هذا بما أخبرتنى به ، فقالت أمّ هانئ : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فى بيتى ، فأمر بماء ، فصبّ فى قصعة ، ثم أمر بثوب ، فأخذ بينى وبينه ، فاغتسل ، ثم رشّ ناحية البيت ، فصلى ثمان ركعات ، وذلك من الضحى ، قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلوسهنّ سواء ، قريب بعضهنّ من بعض . فخرج ابن عباس ، وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ، ماعرفت صلاة الضحى إلا الآن (يُسَبِّحْنَ بالْعَشِيِّ والإِشْراقِ) وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ، ثم قال : بعدهنّ صلاة الإشراق » .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن متوكل ، عن أيوب بن صفوان ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن الحارث « أن أمّ هانئ ابنة أبى طالب ، حدّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، دخل عليها ، ثم ذكر نحوه » .

وعن ابن عباس فى قوله (يُسَبِّحْنَ بالْعَشِيِّ) مثل ذلك .

وقوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً) يقول تعالى ذكره : وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة ، بمعنى : مجموعة

له ، ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبح أجابته الجبال ، واجتمعت إليه الطير ، فسبحت معه، واجتماعها إليه كان حشرها . وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل فى معنى الحشر فيما مضى ، فكرهنا إعادته .

وكان قتادة يقول فى ذلك فى هذا الموضع ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً) : مسخَّرة .

وقوله (كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ) يقول: كلّ ذلك له مطيع ،رجّاع إلى طاعته وأمره . ويعنى بالكلّ : كلّ الطير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ) : أى مطيع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ) قال : كلّ له مطيع .

وقال آخرون : معنى ذلك : كل ذلك لله مسبِّح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ) يقول : مسبِّح لله .

وقوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) : اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى به شدّد ملكه ، فقال بعضهم : شدّد ذلك بالجنود والرجال ، فكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف ، أربعة آلاف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال: ثنا أسباط ، عن السدّىّ ، قوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قال : كان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف ، أربعة آلاف .

وقال آخرون : كان الذى شدّد به ملكه ، أن أُعْطِىَ هيبة من الناس له ، لقضية كان قضاها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن حرب ، قال : ثنا موسى ، قال : ثنا داود ، عن علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « أن رجلا من بنى إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم ، فاجتمعا عند داود النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال المستعدِى: إن هذا اغتصبنى بقرا لى ، فسأل داود الرجل عن ذلك، فجحده ، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بيِّنة ، فقال لهما داود ، قوما حتى أنظر فى أمركما ، فقاما من عنده ، فأوحى الله إلى داود فى منامه أن يقتل الرجل الذى استُعْدِى عليه، فقال : هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى الله إلى داود فى منامه مرّة أخرى أن يقتل الرجل ، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله، أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل : إن الله قد أوحى إلىّ أن أقتلك ، فقال الرجل : تقتلنى بغير بينة ولا تثبت ؟ فقال له

داود : نعم ، والله لأنفذنّ أمر الله فيك ؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله ، قال : لاتعجل علىّ حتى أخبرك ، إنى والله ما أُخِذت بهذا الذنب ، ولكنى كنت اغتلت والد هذا ، فقتلته ، فبذلك قُتلت ، فأمر به داود فقُتل ، فاشتدّت هيبة بنى إسرائيل عند ذلك لداود ، وشدّد به ملكه ، فهو قول الله (وَشَدَدْنا مُلْكَهُ) » .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدّد ملك داود ، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود ، دون الهيبة من الناس له ، ولا على هيبة الناس له دون الجنود . وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ماذكرنا ، وجائز أن يكون كان بجميعها ، ولا قول أولى فى ذلك بالصحة من قول الله ، إذ لم يحصُرْ ذلك على بعض معانى التشديد ، خبر يجب التسليم له .

وقوله (وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الحكمة فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها النبوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ ، قوله (وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ) قال : النبوّة .

وقال آخرون : عنى بها أنه علم السنن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ) : أى السنة .

وقد بيَّنا معنى الحكمة فى غير هذا الموضع بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَفَصْلَ الخِطابِ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك . فقال بعضهم : عنى به أنه علم القضاء والفهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ) قال : أعطى الفهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَفَصْلَ الخِطابِ) قال : إصابة القضاء وفهمه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : (وَفَصْلَ الخِطابِ) قال : علم القضاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ) قال : الخصومات التى يخاصم الناس إليه فصل ذلك الخطاب ، الكلام الفهم ، وإصابة القضاء والبيِّنات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حُصين ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن يقول : فصل الخطاب : القضاء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفصل الخطاب ، بتكليف المدّعى البينة ، واليمين على المدعى عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، قال : ثنى الشعبيّ أو غيره ، عن شريح ، أنه قال في قوله (وَفَصْلَ الْخِطابِ) قال : بيِّنة المدّعى ، أو يمين المُدّعى عليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود بن أبي هند ، في قوله (وآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ) قال : نُبِّئت عن شريح أنه قال : شاهدان أو يمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، قال : سمعت داود ، قال : بلغني أن شريحا ، قال : (فَصْلُ الْخِطابِ) : الشاهدان على المدعى ، واليمين على المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طاوس ، أن شريحا قال لرجل : إن هذا يعيب عليّ ما أُعْطِيَ داود : الشهود والأيمان .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن شريح أنه قال في هذه الآية (وَفَصْلَ الْخِطابِ) قال : الشهود والأيمان .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبيّ ، في قوله (وآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ) قال : يمين أوْ شاهِدٌ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفَصْلَ الْخِطابِ) البينة على الطالب ، واليمين على المطلوب ، هذا فصل الخطاب .

وقال آخرون : بل هو قولُ : أما بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن الشعبيّ في قوله (وَفَصْلَ الْخِطابِ) قال : قول الرجل : أما بعد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب . والفصل : هو القطع ، والخطاب هو المخاطبة ، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجلَ في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه ، قطعُ المحتكَم إليه الحكمَ بين المحتكم إليه وخصمه ، بصواب من الحكم ، ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ، ما يجب عليه إن كان مدعيا ، فإقامة البينة على دعواه ، وإن كان مدعىً عليه ، فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه . ومن قطع الخطاب أيضا ، الذي هو خطبة ، عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى ، الفصل بينهما بأما بعد ؛ فإذ كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ، ولم تكن في هذه الآية دلالة على

أىُّ ذلك المرادُ ، ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت، فالصواب أن يعمّ الخبر ، كما عمه الله ، فيقال : أُوتى داود فصل الخطاب، فى القضاء والمحاورة والخطب .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ، قَالُوا : لَا تَخَفْ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ، وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وهل أتاك يامحمد نبأ الخصم . وقيل : إنه عنى بالخصم فى هذا الموضع ملكان ، وخرج فى لفظ الواحد ، لأنه مصدر مثل الزور والسفر ، لايثنى ولا يجمع ؛ ومنه قول لبيد :

وَخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كَأَنَّهُمْ　　قُرُومٌ غَيَارَى كلُّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ[1]

وقوله (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقول : دخلوا عليه من غير باب المحراب ، والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه . وقوله (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ) فكرّر إذ مرّتين . وكان بعض أهل العربية يقول فى ذلك : قد يكون معناهما كالواحد، كقولك : ضربتك إذ دخلت علىّ، إذ اجترأت ، فيكون الدخول هو الاجتراء ، ويكون أن تجعل إحداهما على مذهب لما ، فكأنه قال : إذ تسوّروا المحراب لما دخلوا ، قال : وإن شئت جعلت لما فى الأوّل ، فإذا كان لما أوّلا أو آخرا ، فهى بعد صاحبتها، كما تقول : أعطيته لما سألنى ، فالسؤال قبل الإعطاء فى تقدّمه وتأخره .

وقوله (فَفَزِعَ مِنْهُمْ) يقول القائل: وما كان وجه فزعه منهما، وهما خصمان ، فإن فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذى كان المَدْخَل عليه، فراعه دخولهما كذلك عليه . وقيل : إن فزعه كان منهما ، لأنهما دخلا عليه ليلا فى غير وقت نظره بين الناس ، قالوا (لا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره : قال له الخصم : لاتخف ياداود ، وذلك لمّا رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب . وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام منه ، وهو مرافع خصمان ، وذلك نحن . وإنما جاز ترك إظهار ذلك مع حاجة الخصمين إلى المرافع ، لأن قوله (خَصْمَانِ) فعل للمتكلم ، والعرب تضمر للمتكلم والمكلم والمخاطب مايرفع أفعالهما ، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما ، فيقولون للرجل يخاطبونه : أمنطلق يافلان؟ ويقول المتكلم لصاحبه : أحسن إليك وتجمل، وإنما يفعلون ذلك كذلك فى المتكلم والمكلَّم ، لأنهما حاضران

(١) البيت لبيد (مجاز القرآن لأبى عبيدة ، الورقة ٢١٣ - ب) . قال : « نبأ الخصم » : يقع على الواحد والجمع . قال لبيد : « وخصم . . . البيت » . والذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . والقروم : جمع قرم ، وهو الفحل العظيم من الإبل . وغيارى : جمع غيران . والأزهر : الأبيض والمصعب : الشديد القوى، الذى يودع من الركوب والعمل ، للفحلة . (اللسان : صعب) . اهـ . شبه الخصوم الأقوياء بالفحول من الإبل .

يعرف السامع مراد المتكلم إذا حُذف الاسم ، وأكثر ما يجيء ذلك فى الاستفهام ، وإن كان جائزًا فى غير الاستفهام ، فيقال : أجالس راكب ، فن ذلك قوله خَصْمَانِ ؛ ومنه قول الشاعر :

وَقُولا إذَا جاوَزْتُمَا أرْضَ عامِرٍ وَجاوَزْتُمَا الحَيَّيْنِ نَهْدًا وخَثْعَمَا
نَزِيعانِ مِنْ جَرْمِ بْنِ رَبَّانَ إنهُمْ أَبَوْا أن يُمِيرُوا فى الهَزَاهِزِ مِحْجَما[١]

وقول الآخر :

تَقُولُ ابْنَةُ الكَعْبِيِّ يوْمَ لَقِيتُها أَمُنْطَلِقٌ فى الجَيْشِ أمْ مُتَثاقِلُ[٢]

ومنه قولهم : « مُحْسِنَة فهيلى » . وقول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « آئِبُونَ تائِبُونَ » . وقوله : « جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ مَكْتُوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ ايِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ » كلّ ذلك بضمير رَفَعه . وقوله عزّ وجل (بَغَى بَعْضُنَا على بَعْضٍ) يقول : تعدّى أحدنا على صاحبه بغير حقّ (فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ) يقول : فاقضِ بيننا بالعدْل (وَلا تُشْطِطْ) : يقول : ولا تَجُر ، ولا تُسْرِف فى حكمك ، بالميل منك مع أحدنا علىّ صاحبه . وفيه لغتان : أشَطّ ، وشَطّ . ومن الإشطاط قول الأحوص :

ألا يا لَقَوْمٍ قدْ أشَطَّتْ عَوَاذِلِى وَيَزْعُمْنَ أنْ أوْدَى بحَقِّى باطِلِى[٣]

ومسموع من بعضهم : شَطَطتَ علىّ فى السَّوْم . فأما فى البعد فان أكثر كلامهم : شَطَّت الدار ، فهى تَشِطّ ، كما قال الشاعر :

تَشِطُّ غَـــدًا دَارُ جِيرَانِنا ولَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أبْعَـــدُ[٤]

وقوله (وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ) يقول : وأرشدنا إلى قَصْد الطريق المستقيم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَلا تُشْطِطْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تُشْطِطْ) : أى لا تمل .

---

(١) البيتان : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٧٨) على أن خصمان من قوله تعالى : « قالوا خصمان » : رفع بإضمار نحن ، قال : والعرب تضمر للمتكلم والمخاطب ما يرفع فعله ، ولا يكادون يفعلون ذلك بغير المخاطب أو المتكلم . من ذلك أن تقول للرجل : أذاهب ؟ أو أن يقول المتكلم : واصلكم إن شاء الله ، ومحسن إليكم . وذلك أن المتكلم والمكلم حاضران ، فتعرف معنى أسمائهما إذ تركت . وأكثره فى الاستفهام ، يقولون : أجاد ؟ أمنطلق وقد يكون فى غير الاستفهام . فقوله « خصمان » من ذلك . وقال الشاعر : « وقولا إذا . . . البيتين » . وقد جاء فى آثار للراجع من سفر : « تائبون آيبون ، لربنا حامدون » . . . . . . الخ . قلت : والشاهد فى البيتين قوله « نزيعان » : أى نحن نزيعان . فهو مرفوع على تقدير مضمر قبله ، وإن لم يكن معه استفهام .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، على أنه قد يكون المبتدأ محذوفا ، ويكثر أن يكون ذلك مع وجود الاستفهام فى الكلام ، كقوله فى البيت : أمنطلق فى الجيش أم متثاقل ؟ أى أأنت منطلق . . . الخ .

(٣) وهذا البيت للأحوص ، وهو كسابقه مروى فى اللسان : « شطط » وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة ، شاهدا على أن معنى أشطت ، بالهمز فى أوله : أبعدت . وأودى بحقه : ذهب به أهلكه .

(٤) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٣) عند قوله تعالى : « ولاتشطط » أى : لاتسرف . وأنشد : « تشط غدا دار جيراننا . . . البيت » . ويقال : كلفتنى شططا : منه . وشطت الدار : بعدت . اهـ . وفى اللسان : (شطط) : وفى التنزيل « ولا تشطط » . وقرئ : « ولا تشطط » بضم الطاء الأولى ، وفتح التاء ، ومعناها : لاتبعد عن الحق . اهـ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا تُشْطِطْ) يقول : لا تَحِفْ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تُشْطِطْ): تخالف عن الحقّ . وكالذى قلنا أيضا فى قوله (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى عدله وخيره

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى عدل القضاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) قال : إلى الحقّ الذى هو الحقّ : الطريق المستقيم (وَلَا تُشْطِطْ) تذهب إلى غيرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) : أى احملنا على الحقّ ، ولا تخالف بنا إلى غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣)

وهذا مثل ضربه الخصم المتسوّرون على داود محرابه له، وذلك أن داود كانت له فيما قيل : تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل الذى أغزاه حتى قُتل، امرأة واحدة؛ فلما قُتل نَكَحَ (فيها) ذُكر داودُ امرأته، فقال له أحدهما : (إِنَّ هَٰذَا أَخِي) يقول : أخى على دينى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبه : (إِنَّ هَٰذَا أَخِي) : أى على دينى (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ، ولى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله: (إِنَّ هَٰذَا أخى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى) وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة ، كقولهم : هذا رجل ذكر ، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك إلا فى المؤنث، والمذكر الذى تذكيره وتأنيثه فى نفسه كالمرأة والرجل والناقة ، ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى ، ومِلْحفة أنثى ، لأن تأنيثها فى اسمها ، لافى معناها . وقيل : عُنِى بقوله : أنثى : أنها حسنة .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثتُ عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (إِنَّ هَٰذَا أخى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى)، يعنى بتأنيثها : حسنها .

وقوله (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) يقول : فقال لى : انزل عنها لى ، وضمها إلىّ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَكْفِلْنِيهَا) قال : أعطنيها ، طلّقها لى أنكحها ، وخلّ سبيلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، فقال : (أَكْفِلْنِيهَا) أى احملنى عليها .

وقوله (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) يقول : وصار أعزّ منى فى مخاطبته إياى ، لأنه إن تكلم فهو أبين منى ، وإن بطش كان أشدّ منى فقهرنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله فى قوله (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) قال : ما زاد داود على أن قال : انزل لى عنها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن المسعودىّ ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : ما زاد على أن قال : انزل لى عنها .

وحدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : ما زاد داود على أن قال (أَكْفِلْنِيهَا) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) قال : إن دعوتُ ودعا كان أكثر ، وإن بطشتُ وبطش كان أشدّ منى ، فذلك قوله (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) : أى ظلمنى وقهرنى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) قال : قهرنى ، وذلك العزّ ؛ قال : والخطاب : الكلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) : أى قهرنى فى الخطاب ، وكان أقوى منى ، فحاز نعجتى إلى نعاجه ، وتركنى لا شىء لى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ) قال : إن تكلم كان أبين منى ، وإن بطش كان أشدّ منى ، وإن دعا كان أكثر منى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)

❁ يقول تعالى ذكره : قال داود للخصم المتظلم من صاحبه : لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه . وهذا مما حُذفت منه الهاء ، فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به . ومثله قوله عزّ وجلّ : (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) والمعنى : من دعائه بالخير ؛ فلما أُلقِيت الهاء من الدعاء ، أضيف إلى الخير ، وأُلقى من الخير الباء ، وإنما كنى بالنعجة هاهنا عن المرأة ، والعرب تفعل ذلك ؛ ومنه قول الأعشى :

قَدْ كُنْتُ رَائِدَهَا وَشَاةِ مُحَاذِرٍ   حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ إِغْفَالَهَا[1]

يعنى بالشاة : امرأة رجل يحذر الناس عليها ، وإنما يعنى : لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه .

وقوله (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) يقول : وإن كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، ولم يتجاوزوه (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) وفى « ما » التى فى قوله (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) وجهان : أحدهما أن تكون صلة ، بمعنى : وقليل هم ، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يُفسد معنى الكلام والآخر : أن تكون اسما ، وهم صلة لها ، بمعنى : وقليل ما تجدهم ، كما يقال : قد كنت أحسبك أعقل مما أنت ، فتكون أنت صلة لما ، والمعنى : كنت أحسب عقلك أكثر مما هو ، فتكون « ما » والاسم مصدرا ، ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن ، لأن من التى تكون للناس وأشباههم ، ومحكىّ عن العرب ، قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك ، وقد كنت أرى أنه غير ما هو ، بمعنى : كنت أراه على غير ما رأيت .

ورُوى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) يقول : وقليل الذين هم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) قال : قليلٌ من لا يبغى . فعلى هذا التأويل الذى تأوّله ابن عباس . معنى الكلام : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل الذين هم كذلك ، بمعنى : الذين لا يبغى بعضهم على بعض ، و « ما » على هذا القول بمعنى : مَنْ .

وقوله (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) يقول : وعلم داود أنما ابتليناه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَنَّ دَاوُدُ) : علم داود .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) قال : ظنّ : أنما ابتُلِى بذاك .

---

(١) البيت فى ديوان الأعشى ميمون بن قيس (طبعة القاهرة ص ٢٧) من لاميته التى مطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها .... » البيت وفيه : « بت » فى مكان « كنت » . والضمير فى رائدها : راجع إلى الأرض التى تزينت بأنواع النبات فى البيت السابق . والشاة من الحيوان : يكنى بها عن المرأة . ومحاذر : شديد المحاذرة عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها . وقوله « شاة » بالجر : معطوف على قوله فى بيت سابق : « رب غانية صرمت وصالها » . يقول : رب مصاب سحابة بت رائدها ، ورب امرأة لها زوج يحذر عليها ويراقبها مراقبة شديدة ، حتى إذا غفل عنها آخر الليل ، دنوت منها . . . . . الخ .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) قال : ظنّ أنما ابتلى بذاك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَظَنَّ دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) اختبرناه . والعرب توجه الظنّ إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم، الذى هو من غير وجه العيان .

وقوله (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه (وَخَرَّ رَاكِعاً) يقول: وخرّ ساجدا لله (وأنابَ) يقول : ورجع إلى رضا ربه ، وتاب من خطيئته .

واختُلف فى سبب البلاء الذى ابتُلى به نبىّ الله داود صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقى لهم فى الناس ، فتمنى مثله ، فقيل له : إنهم امتُحنوا فصبروا ، فسأل أن يُبْتَلى كالذى ابتلوا ، ويُعْطَى كالذى أُعْطُوا إن هو صبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله: (وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ) قال: إن داود قال: يارب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوَدِدت أنك أعطيتنى مثله . قال الله: إنى ابتليتهم بما لم أبتلك به ، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطيتك كما أعطيتهم . قال : نعم . قال له : فاعمل حتى أرى بلاءك ، فكان ماشاء الله أن يكون . وطال ذلك عليه . فكاد أن ينساه ، فبينا هو فى محرابه ، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب ، فأراد أن يأخذها ، فطارت إلى كوّة المحراب ، فذهب ليأخذها ، فطارت ، فاطلع من الكوّة ، فرأى امرأة تغتسل ، فنزل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من المحراب ، فأرسل إليها فجاءته ، فسألها عن زوجها وعن شأنها ، فأخبرته أن زوجها غائب ، فكتب إلى أمير تلك السَّرية أن يؤمّره على السرايا ، ليهلك زوجها ، ففعل ، فكان يُصاب أصحابه وينجو ، وربما نُصروا ، وإن الله عزّ وجلّ لما رأى الذى وقع فيه داود، أراد أن يستنقذه ، فبينما داود ذات يوم فى محرابه، إذ تسوّر عليه الخَصْمان من قِبَل وجهه؛ فلما رآهما وهو يقرأ، فزع وسكت، وقال : لقد استضعفت فى مُلكى ، حتى إن الناس يتسوّرون علىّ محرابى ، قالا له (لاَ تَخَفْ، خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنا عَلَى بَعْضٍ) ولم يكن لنا بدّ من أن نأتيك ، فاسمع منا ، قال أحدهما : (إنَّ هَذَا أخى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) أنثى (ولى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ أَكْفِلْنِيها) يريد أن يتمم بها مئة ، ويتركنى ليس لى شىء (وَعَزَّنِى فِى الخِطابِ) قال : إن دعوت ودعا كان أكثر ، وإن بطشت وبطش كان أشدّ منى ، فذلك قوله (وَعَزَّنِى فِى الخِطابِ) . قال له داود : أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ) ... إلى قوله (وَقَلِيلٌ ما هُمْ)، ونسى نفسه صلى الله عليه وسلم، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر ،حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخر ، فرآه داود، وظنّ أنما فتن، (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وأنابَ) أربعين ليلة ،حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه، ثم شدد الله له ملكه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ) قال : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوم يَقْضِى فيه بين الناس ، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوم يخلو فيه لنسائه . وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرأ من الكتب ، أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب ، قال : يا ربّ إن الخير كله قد ذهب به آبائى ، الذين كانوا قبلى ، فأعطنى مثل ما أعطيتهم ، وافعل بى مثل مافعلت بهم . قال : فأوحى الله إليه : إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تُبْتَلَ بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتُلى إسحاق بذهاب بصره ، وابتُلى يعقوب بحُزنه على يوسف ، وإنك لم تُبْتَل من ذلك بشىء ، قال : يا ربّ ابتلنى بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطنى مثل ما أعطيتهم ؛ قال : فأُوحِىَ إليه : إنك مبتلىً فاحترس ؛ قال : فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، إذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب ، حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلى ، فمدّ يده ليأخذه ، فتنحّى ، فتبعه ، فتباعد ، حتى وقع فى كوّة ، فذهب ليأخذه ، فطار من الكوّة ، فنظر أين يقع ، فيبعث فى أثره . قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل الناس خَلْقًا ، فحانت منها التفاتة فأبصرته ، فألقت شعرها ، فاستترت به ، قال : فزاده ذلك فيها رغبة ، قال : فسأل عنها ، فأخبر أن لها زوجا ، وأن زوجها غائب بمَسْلَحة كذا وكذا ؛ قال : فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث «أهريا»[1] إلى عدوّ كذا وكذا ، قال : فبعثه ، ففُتح له . قال : وكتب إليه بذلك ، قال : فكتب إليه أيضا : أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا ، أشدّ منهم بأسا ، قال : فبعثه ، ففُتح له أيضا . قال : فكتب إلى داود بذلك ، قال : فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا ، فبعثه فقُتل المرّة الثالثة ، قال : وتزوّج امرأته .

قال : فلما دخلت عليه ، قال : لم تلبث عنده إلا يسيرا ، حتى بعث الله ملَكين فى صورة إنسيين ، فطلبا أن يدخلا عليه ، فوجداه فى يوم عبادته ، فمنعهما الحرس أن يدخلا ، فتسوّروا عليه المحراب ، قال : فما شعر وهو يصلى إذ هو بهما بين يديه جالسين ، قال : ففزع منهما ، فقالا : (لا تَخَفْ) إنما نحن (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا على بَعْضٍ ، فاحْكُمْ بَيْنَنَا بالحَقّ وَلا تُشْطِطْ) يقول : لاتخف (واهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ) : إلى عدل القضاء . قال : فقال : قُصّا علىّ قصتكما . قال : فقال أحدهما : (إنَّ هَذَا أخى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) فهو يريد أن يأخذ نعجتى ، فيكمل بها نعاجه مئة . قال : فقال للآخر : ما تقول ؟ فقال : إن لى تسعا وتسعين نعجة ، ولأخى هذا نعجة واحدة ، فأنا أريد أن آخذها منه ، فأكمل بها نعاجى مئة ، قال : وهو كاره ؟ قال : وهو كاره ، قال : وهو كاره ؟ ، قال : إذن لاندعُك وذاك ، قال : ما أنت على ذلك بقادر ، قال : فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد ، ضربنا منك هذا وهذا وهذا . وفسر أسباط طرف الأنف ، وأصل الأنف والجبهة ؛ قال : يا داود أنت أحقّ أن يُضرب منك هذا وهذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون نعجةً ، امرأة ، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة ، فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قتلته ، وتزوّجت امرأته . قال : فنظر فلم ير شيئا ، فعرف ماقد وقع فيه ، وما قد ابتُلى به . قال : فخرّ ساجدا ، قال : فبكى . قال : فمكث يبكى ساجدا أربعين يوما ، لايرفع رأسه إلا

(١) سيأتى فى ١٤٩ أن اسمه « أوريا » .

لحاجة منها ، ثم يقع ساجدا يبكى ، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه . قال : فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما : ياداود ارفع رأسك ، فقد غفرت لك ، فقال : يا ربّ كيف أعلم أنك قد غفرت لى وأنت حكم عدل لاتحيف فى القضاء ، إذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه دما فى قبل عرشك يقول : يا ربّ سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : فأوحى إليه : إذا كان ذلك دعوت أهريا ، فأستوهبك منه ، فيهبك لى ، فأثيبه بذلك الجنة ، قال : ربّ الآن علمت أنك قد غفرت لى ، قال : فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه ، حتى قُبض صلى الله عليه وسلم .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : ثنى عطاء الخراسانىّ ، قال : نقش داود خطيئته فى كفه ، لكيلا ينساها ، قال : فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت .

وقال آخرون : بل كان ذلك لعارض كان عرض فى نفسه ، من ظنّ أنه يُطيق أن يتمّ يوما لايصيب فيه حوبة ، فابتلى بالفتنة التى ابتلى بها فى اليوم الذى طمع فى نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن : إن داود جزّأ الدهر أربعة أجزاء : يوما لنسائه ، ويوما لعبادته ، ويوما لقضاء بنى إسرائيل ، ويوما لبنى إسرائيل ، يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبكونه ؛ فلما كان يوم بنى إسرائيل قال : ذَكِّروا فقالوا : هل يأتى على الإنسان يوم لايصيب فيه ذنبا ؟ فأضمر داود فى نفسه أنه سيطيق ذلك ؛ فلما كان يوم عبادته ، أغلق أبوابه ، وأمر أن لايدخل عليه أحد ، وأكبّ على التوراة ، فبينما هو يقرؤها ، فإذا حمامة من ذهب ، فيها من كلّ لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : فطارت ، فوقعت غير بعيد ، من غير أن تُؤْيسه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها وحُسنها ؛ قال : فلما رأت ظله فى الأرض ، جللت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضا إعجابا بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا ، مكان إذا سار إليه لم يرجع ، قال : ففعل ، فأُصيب فخطبها فتزوّجها . قال : وقال قتادة : بلغنا أنها أمّ سليمان ، قال : فبينما هو فى المحراب ، إذ تسوّر الملَكان عليه ، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب ، فقالوا (لَا تَخَفْ ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) . . . حتى بلغ (وَلَا تُشْطِطْ) : أى لا تَمِل (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) : أى أعدله وخيره (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) . وكان لداود تسع وتسعون امرأة (وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ، وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) : أى ظلمنى وقهرنى ، فقال : (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) . . . إلى قوله (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وَظَنَّ دَاوُدُ) فعلم داود أنما صُمِدله : أى عُنِى به ذلك (فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) قال : وكان فى حديث مطر ، أنه سجد أربعين ليلة ، حتى أوحى الله إليه : إنى قد غفرت لك ، قال : ربّ وكيف تغفرلى

وأنت حكم عدل ، لاتظلم أحدا ؟ قال : إنى أُقضيك له ، ثم أستوهبه دمك أو ذنبك ، ثم أثيبه حتى يرضى ، قال : الآن طابت نفسى ، وعلمت أنك قد غفرت لى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه اليمانىّ ، قال : لما اجتمعت بنو إسرائيل ، على داود ، أنزل الله عليه الزَّبور ، وعلّمه صنعة الحديد ، فألانه له ، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته . كان إذا قرأ الزبور فيما يذكرون ، تدنو له الوحوش ، حتى يأخذ بأعناقها ، وإنها لمصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج ، إلا على أصناف صوته . وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، فأقام فى بنى إسرائيل ، يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا ، وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء ، كثير البكاء ، ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له ، وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزَّبور ، ولصلاته إذا صلى ، وكان أسفل منه جُنَيْنة لرجل من بنى إسرائيل ، كان عند ذلك الرجل ، المرأة التى أصاب داود فيها ما أصابه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم ، قال : لايدخلنّ علىّ محرابى اليوم أحد حتى الليل ، ولا يشغلنى شىء عما خلوت له حتى أُمسى ، ودخل محرابه ونشر زَبوره يقرؤه ، وفى المحراب كوّة تطلعه على تلك الجنينة ، فبينا هو جالس يقرأ زَبوره ، إذ أقبلت حمامة من ذهب ، حتى وقعت فى الكوّة ، فرفع رأسه فرآها ، فأعجبته ، ثم ذكر ما كان قال : لايشغله شىء عما دخل له ، فنكّس رأسه ، وأقبل على زَبوره ، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوّة ، فوقعت بين يديه ، فتناولها بيده ، فاستأخرت غير بعيد ، فاتبعها ، فنهضت إلى الكوّة ، فتناولها فى الكوّة ، فتصوّبت إلى الجُنينة ، فأتبعها بصره أين تقع ، فإذا المرأة جالسة تغتسل ، بهيئة الله أعلم بها فى الجمال والحُسن والخَلق . فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه ، واختطفت قلبه ، ورجع إلى زَبوره ومجلسه ، وهى من شأنه ، لايفارق قلبه ذكرها ، وتمادى به البلاء ، حتى أغزى زوجها ، ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدّم زوجها للمهالك ، حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ، ولداود تسع وتسعون امرأة ؛ فلما أصيب زوجُها خطبها داود ، فنكحها ، فبعث الله إليه وهو فى محرابه ملكين يختصمان إليه ، مثلا يضربه له ولصاحبه ، فلم يُرَعْ داود إلا بهما واقفين على رأسه فى محرابه ، فقال : ما أدخلكما علىّ ؟ قالا : لاتخف ، لم ندخل لبأس ولا لريبة (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنا عَلَى بَعْضٍ) فجئناك لتقضى بيننا (فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ وَلا تُشْطِطْ ، وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ) : أى احملنا على الحقّ ، ولا تخالف بنا إلى غيره ، قال الملك الذى يتكلم عن أوريا بن حَنانيا زوج المرأة (إنَّ هذَا أخى) : أى على دينى (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقالَ أكْفِلْنِيها) : أى احملنى عليها ، ثم عزّنى فى الخطاب : أى قهرنى فى الخطاب ، وكان أقوى منى هو وأعزّ ، فحاز نعجتى إلى نعاجه ، وتركنى لاشىء لى . فغضب داود ، فنظر إلى خصمه الذى لم يتكلم ، فقال : لئن كان صدقنى ما يقول : لأضربنّ بين عينيك بالفأس ، ثم ارعوى داود ، فعرف أنه هو الذى يُراد بما صنع فى امرأة « أوريا » ، فوقع

ساجدا تائبا منيبا باكيا ، فسجد أربعين صباحا صائما لا يأكل فيها ولا يشرب ، حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه ، وحتى أندب السجود فى لحم وجهه ، فتاب الله عليه ، وقبل منه .

ويزعمون أنه قال : أى ربّ هذا غفرت ما جنيت فى شأن المرأة ، فكيف بدم القتيل المظلوم ؟ قيل له : ياداود ، فيما زعم أهل الكتاب : أما إن ربك لم يظلمه بدمه ، ولكنه سيسأله إياك فيعطيه ، فيضعه عنك ؛ فلما فُرِّج عن داود ما كان فيه ، رسم خطيئته فى كفه اليمنى : بطن راحته ، فما رفع إلى فيه طعاما ولا شرابا قطّ إلا بكى إذا رآها ، وما قام خطيبا فى الناس قطّ إلا نشر راحته ، فاستقبل بها الناس ، ليروا رسم خطيئته فى يده .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد قال : « لما أصاب داود الخطيئة خرّ لله ساجدا أربعين يوما ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسه ، ثم نادى : ربّ قَرِح الجبين ، وجَمدت العين ، وداود لم يرجع إليه فى خطيئته شىء ، فنودى : أجائع فتطعم ، أم مريض فتشفى ، أم مظلوم فيُنْتَصَر لك ؟ قال : فنَحب نَحْبة هاج كلّ شىء كان نبت ، فعند ذلك غُفر له ، وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يؤتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ، وكان يذكر خطيئته ، فينحب النَّحْبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ، ثم ما يتمّ شرابه حتى يملأه من دموعه ، وكان يقال : إن دمعة داود ، تعدل دمعة الخلائق ، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق ، قال : فهو يجىء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه ، فيقول : ربّ ذنبى ، ذنبى قدّمنى ، قال : فيقدّم ، فلا يأمن ، فيقول : ربّ أخّرنى ، فيؤخّر فلا يأمن » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لَهيعة ، عن أبى صخر ، عن يزيد الرقاشىّ ، عن أنس بن مالك ، سمعه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ داوُدَ النَّبىَّ صلى اللهُ عليه وسلَّم ، حِينَ نَظَرَ إلى المرأةِ ، فأَهَمَّ ، قَطَعَ عَلَى بَنِى إسْرائيلَ ، فأَوْصَى صاحِبَ البَعْثِ ، فقالَ : إذَا حَضَرَ العَدُوُّ ، فقَرِّبْ فُلانا بينَ يَدَىِ التَّابُوتِ ، وكانَ التَّابُوتُ فى ذلكَ الزَّمانِ يُسْتَنْصَرُ به ، مَنْ قُدِّمَ بينَ يَدَىِ التَّابُوتِ ، لَمْ يَرْجِعْ حتى يُقْتَلَ أَوْ يَنْهَزِمَ عَنْهُ الجَيْشُ ، فقُتِلَ زَوْجُ المرأةِ ، ونَزَلَ المَلَكانِ على داوُدَ يَقُصَّانِ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، ففَطِنَ داوُدُ ، فسَجَدَ ، فمَكَثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ساجِدًا ، حتى نَبَتَ الزَّرْعُ مِنْ دُمُوعِهِ عَلى رَأْسِهِ ، وأَكَلَتِ الأَرْضُ جَبِينَهُ ، وهُوَ يَقُولُ فى سُجُودِهِ ، فلم أُحصِ من الرقاشىّ إلا هؤلاء الكلمات : رَبِّ زَلَّ داوُدُ زَلَّةً أَبْعَدُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، إنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعْفَ داوُدَ وتَغْفِرْ ذَنْبَهُ ، جَعَلْتَ ذَنْبَهُ حَدِيثًا فى الخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ . فجاءَهُ جِبْرائيلُ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنْ بَعْدِ الأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فقالَ : ياداوُدُ إنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ الهَمَّ الَّذى هَمَمْتَ بهِ ، فقالَ داوُدُ : عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ قادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لى الهَمَّ الَّذى هَمَمْتُ بِهِ ، وقَدْ عَرَفْتُ أنَّ اللهَ عَدْلٌ لا يَمِيلُ ، فكَيْفَ بفُلانٍ إذَا جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ ؟ فقالَ : يارَبِّ دَمِى الَّذى عِنْدَ داوُدَ ، فقالَ جِبْرائيلُ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : ما سَأَلْتُ رَبَّكَ عَنْ ذلكَ ، ولَئِنْ شِئْتَ لأَفْعَلَنَّ ، فقالَ : نَعَمْ ، فعَرَجَ جِبْرِيلُ وسَجَدَ داوُدُ ، فمَكَثَ ما شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نَزَلَ فقالَ : قَدْ سأَلْتُ رَبَّكَ عَزَّ

وَجَلَّ يا داوُدُ، عَنِ الَّذى أرْسَلْتَنِى فيه ، فيقالَ : قُلْ لداوُدَ : إنَّ اللهَ يَجْمَعُكُما يَوْمَ القيامَةِ، فَيَقُولُ : هَبْ لى دَمَكَ الَّذى عِنْدَ داوُدَ ، فَيَقُولُ : هُوَ لَكَ يا رَبِّ ، فيقُولُ : فإنَّ لَكَ فى الجَنَّةِ ما شِئْتَ وَما اشْتَهَيْتَ عِوَضًا » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا ابن جابر ، عن عطاء الخراسانىّ : «أن كتاب صاحب البعث جاء ينعِى من قُتل ؛ فلما قرأ داود نعى رجل منهم، رجع ، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال : كتب الله على كل نفس الموت ، قال : فلما انقضت عِدّتها خطبها » .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ، وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ، فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَغَفَرْنا لَهُ ذلكَ) فعفونا عنه ، وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك . (وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى) يقول : وإن له عندنا لَلْقُرْبة منا يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (فَغَفَرْنا لَهُ ذلكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَغَفَرْنا لَهُ ذَلكَ) الذنب .

وقوله (وَحُسْنَ مآبٍ) يقول : مَرْجع ومنقَلَب ينقلب إليه يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحُسْنَ مآبٍ) : أى حسن مصير .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَحُسْنَ مآبٍ) قال : حسن المنقلَب .

وقوله (يا داوُدُ إنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِى الأرْضِ) يقول تعالى ذكره : وقلنا لداود : ياداود إنا استخلفناك فى الأرض ، من بعد من كان قبلك من رسلنا ، حكَمًا بين أهلها .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً) ملّكه فى الأرض (فاحْكُمْ بينَ النَّاسِ بالحَقِّ) يعنى : بالعدل والإنصاف (وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى) يقول : ولا تُؤْثِر هواك فى قضائك بينهم ، على الحقّ والعدل فيه، فتجور عن الحقّ (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ)

يقول : فيميل بك اتباعك هواك فى قضائك على العدل والعمل بالحقّ عن طريق الله الذى جعله لأهل الإيمان به ، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : إن الذين يميلون عن سبيل الله ، وذلك الحقّ الذى شرعه لعباده ، وأمرهم بالعمل به ، فيجورون عنه فى الدنيا ، لهم فى الآخرة يوم الحساب عذاب شديد ، على ضلالهم عن سبيل الله ، بما نسُوا أمر الله ، يقول : بما تركوا القضاء بالعدل ، والعمل بطاعة الله (يَوْمَ الحِسَابِ) من صلة العذاب الشديد .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن عكرمة ، فى قوله (عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ) قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ) قال : نسُوا : تركوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ، ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ، أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ؟ (٢٨) كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩)

يقول تعالى ذكره (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) عبثا ولهوا ، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا ، وينتهى إلى أمرنا ونهينا . (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : أى ظنّ أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا ، ظنّ الذين كفروا بالله فلم يوحّدوه ، ولم يعرفوا عظمته ، وأنه لاينبغى أن يَعْبَث ، فيتيقنوا بذلك أنه لايخلق شيئا باطلا (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) يعنى : من نار جهنم . وقوله (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ) يقول : أنجعل الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه (كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ) يقول : كالذين يشركون بالله ويعصُونه ويخالفون أمره ونهيه (أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ) يقول : الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه ، فحذروا معاصيه (كَالْفُجَّارِ) يعنى : كالكفار المنتهكين حرمات الله . وقوله (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يقول تعالى ذكره

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك يامحمد مبارك (لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ) : يقول : ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه ، وما شرع فيه من شرائعه ، فيتعظوا ويعملوا به .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القرّاء (لِيَدَّبَّرُوا) بالياء ، يعني : ليتدبَّر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يامحمد . وقرأه أبو جعفر وعاصم (لِتَدَبَّرُوا آياتِهِ) بالتاء ، بمعنى: لتتدبره أنت يامحمد وأتباعك .

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك: أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبابِ) يقول : وليعتبر أولو العقول والحجا ما في هذا الكتاب من الآيات ، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة ، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب .
وبنحو الذى قلنا في معنى قوله (أُولُو الأَلْبابِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أُولُو الأَلْبابِ) قال : أولو العقول من الناس . وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل بشواهده ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ (٣٣)

يقول تعالى ذكره (وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ) ابنه ولدا (نِعْمَ العَبْدُ) يقول : نعم العبد سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إنه رجاع إلى طاعة الله، توّاب إليه مما يكرهه منه . وقيل : إنه عُنِىَ به أنه كثير الذكر لله والطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الأوّاب : المسبِّح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : كان مطيعا لله كثير الصلاة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : المسبِّح ، والمسبِّح قد يكون في الصلاة والذكر . وقد بيّنا معنى الأوّاب ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله (إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِناتُ الجِيادُ) يقول تعالى ذكره : إنه توّاب إلى الله من خطيئته التى أخطأها ، إذ عرض عليه بالعشىّ الصافنات ، فإذ من ّصلة أوّاب ، والصافنات : جمع الصافن من الخيل ، والأنثى : صافنة ، والصافن منها عند بعض العرب : الذى يجمع بين يديه ، ويثنى طرف سُنْبُك إحدى رجليه ، وعند آخرين : الذى يجمع يديه . وزعم الفراء أن الصافن : هو القائم ، يقال منه : صَفَنَتِ الخيلُ تَصْفِن صُفُونا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الصَّافِناتُ الجِيادُ) قال : صُفُون الفرس : رَفْعُ إحدى يديه ، حتى يكون على طرف الحافر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : صَفَنَ الفرسُ : رفع إحدى يديه ، حتى يكون على طرف الحافر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِناتُ الجِيادُ) يعنى : الخيل ، وصُفونها : قيامها وبَسْطها قوائمها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : الصافنات ، قال : الخيل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الصَّافِناتُ الجِيادُ) قال : الخيل ، أخرجها الشيطان لسليمان ، من مَرْج من مروج البحر ، قال : الخيل والبغال والحمير تَصْفِن ، والصَّفْن[1] أن تقوم على ثلاث ، وترفع رجلا واحدة ، حتى يكون طرف الحافر على الأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الصافنات : الخيل ، وكانت لها أجنحة . وأما الجياد : فإنها السِّراع ، واحدها : جواد .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الجياد : قال : السِّراع .

وذُكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمى ، فى قوله : (إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِناتُ الجِيادُ) قال : كانت عشرين فرسا ذات أجنحة .

وقوله (فَقَالَ إِنّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبّى حَتّى تَوارَتْ بالحِجابِ) وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره ، فلهِىَ عن الصلاة حتى فاتته ، فقال : إنى أحببت حبّ الخير . ويعنى بقوله : (فَقَالَ إِنّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ) : أى أحببت حبا للخير ، ثم أضيف الحبّ إلى الخير ، وعنى بالخير فى هذا الموضع : الخيل ، والعرب فيما بلغنى تسمى الخيل الخير ، والمال أيضا يسمونه الخير .

(١) لم نجد « الصفن » بسكون الفاء مصدرا لصفنت الخيل ، وإنما مصدره الصفون مثل جلس يجلس جلوسا ، وهو القياس ، لأن الفعل لازم ، والصفن : مصدر المتعدى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) : أى المال والخيل ، أو الخير من المال .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السُّدِّىّ (قال إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) قال : الخيل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) قال : المال .

وقوله (عَنْ ذِكْرِ رَبِّى) يقول : إنى أحببت حبّ الخير ، حتى سهوت عن ذكر ربى ، وأداء فريضته : وقيل : إن ذلك كان صلاة العصر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَنْ ذِكْرِ رَبِّى) عن صلاة العصر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (عَنْ ذِكْرِ رَبِّى) قال : صلاة العصر .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : ثنا أبو صخر ، أنه سمع أبا معاوية البَجَلِىّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصَّهباء البكرىّ يقول : سألت علىّ ابن أبى طالب ، عن الصلاة الوُسْطَى ، فقال : هى العصر ، وهى التى فُتن بها سليمان بن داود .

وقوله (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) يقول : حتى توارت الشمس بالحجاب ، يعنى : تغيبت فى مغيبها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ميكائيل ، عن داود بن أبى هند ، قال : قال ابن مسعود ، فى قوله (إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى ، حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) قال : توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء ، فخُضْرة السماء منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) حتى دَلَكَتْ بَرَاحِ . قال قتادة : فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كابروه ، ولكن ولَّوه من ذلك ما وَلاه الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) حتى غابت .

وقوله (رُدُّوهَا عَلَىَّ) يقول : ردّوا علىّ الخيلَ التى عُرِضت علىّ ، فشغلتنى عن الصلاة ، فكرُّوها علىّ .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (رُدُّوهَا عَلَىَّ) قال : الخيل .

وقوله (فَطَفِقَ مَسْحًا بالسُّوقِ والأعْنَاقِ) يقول : فجعل يمسح منها السُّوق ، وهى جمع الساق والأعناق .

واختلف أهل التأويل فى معنى مَسْحِ سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها . فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه عقرها وضرب أعناقها ، من قولهم : مَسَحَ علاوته : إذا ضرب عنقه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَطَفِقَ مَسْحًا بالسُّوقِ والأعْنَاقِ) قال : قال الحسن : قال لا والله لاتشغلينى عن عبادة ربى آخر ماعليك ، قال قولهما فيه ، يعنى قتادة والحسن قال : فكَسَف عراقيبها ، وضرب أعناقها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَطَفِقَ مَسْحًا بالسُّوقِ والأعْنَاقِ) فضرب سوقها وأعناقها .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : أمر بها فعُقِرت .

وقال آخرون : بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده ، حُبًّا لها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَطَفِقَ مَسْحًا بالسُّوقِ والأعْنَاقِ) يقول : جعل يمسح أعراف الخيل ، وعراقيبها : حبا لها . وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية ، لأن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذّب حيوانا بالعرقبة ، ويهلك مالا من ماله بغير سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد ابتلينا سليمان ، وألقينا على كرسيه جسدا ، شيطانا متمثلا بإنسان ، ذكروا أن اسمه صخر . وقيل : إن اسمه آصف . وقيل : إن اسمه آصر . وقيل : إن اسمه حبقيق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : هو صخر الجنىّ ، تمثّل على كرسيه جسدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ، ثُمَّ أَنَابَ) قال : الجسد : الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه ، فقذفه فى البحر ، وكان مُلك سليمان فى خاتمه ، وكان اسم الجنىّ صخرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا يقال له آصر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : شيطانا يقال له آصف ، فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أَرِنى خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه آصف فى البحر ، فساح سليمان وذهب مُلكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان ، فلم يقربهنّ ، وأنكرنه ؛ قال : فكان سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفونى ، أطعمونى أنا سليمان ، فيكذّبونه ، حتى أعطته امرأة يوما حُوتا يطيب بطنه ، فوجد خاتمه فى بطنه ، فرجع إليه مُلكه ، وفرّ آصف ، فدخل البحر فارًّا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال فى حديثه ، فيقول : لو تعرفونى أطعمتمونى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) قال : حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه ، فقيل له : إن شيطانا فى البحر يقال له صخر شبه المارد ، قال : فطلبه ، وكانت عين فى البحر ، يردها فى كلّ سبعة أيام مرّة ، فنزح ماؤها ، وجعل فيها خمر ، فجاء يوم وروده ، فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تُصَبِّين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلا ، قال : ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ، ثم أتاها فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تُصَبِّين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلا ؛ قال : ثم شربها حتى غلبت على عقله ، قال : فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه ، فذلّ ، قال : فكان مُلكه فى خاتمه ، فأتى به سليمان ، فقال : إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت . وقيل لنا : لا يسمعنّ فيه صوت حديد ، قال : فأتى ببيض الهدهد ، فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد ، فدار حولها ، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس ، فوضعه عليه ، فقطعها به ، حتى أفضى إلى بيضه ، فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة ، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام ، لم يدخلها بخاتمه ؛ فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه ، وذلك عند مقارفة ذنب قارف

فيه بعض نسائه ، قال : فدخل الحمام ، وأعطى الشيطان خاتمه ، فألقاه فى البحر ، فالتقمته سمكة ، ونُزِع مُلْكُ سليمان منه ، وألقى على الشيطان شبه سليمان ؛ قال : فجاء فقعد على كرسيه وسريره ، وسلِّط على مُلْكِ سليمان كله غير نسائه ؛ قال : فجعل يقضى بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء ، حتى قالوا : لقد فُتِنَ نبيّ الله ، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطَّاب فى القوّة ، فقال : والله لأجربنه ؛ قال : فقال له : يانبيّ الله ، وهو لايرى إلا أنه نبيّ الله ، أحدنا تصيبه الجَنابة فى الليلة الباردة ، فيدع الغُسْلَ عمدا ، حتى تطلع الشمس ، أترى عليه بأسا؟ قال : لا . قال : فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبيّ الله خاتمه فى بطن سمكة ، فأقبل فجعل لايستقبله جنيّ ولا طير إلا سجد له ، حتى انتهى إليهم (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) ، قال : هو الشيطان صخر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ) قال : لقد ابتلينا (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما ؛ قال : كان لسليمان مئة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة ، وهى آثر نسائه عنده ، وآمنهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها ، فجاءته يوما من الأيام ، فقالت : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تَقْضِيَ له إذا جاءك ، فقال لها : نعم ، ولم يفعل ، فابتُلى وأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج ، فخرج الشيطان فى صورته ، فقال لها : هاتى الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ، فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج مكانه تائها ؛ قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قرّاء بنى إسرائيل وعلماؤهم ، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه ، فقالوا إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه . قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحدقوا به ، ثم نشروا التوراة ، فقرءوا ؛ قال : فطار من بين أيديهم ، حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه فى البحر ، فابتلعه حوتٌ من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان فى حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع ، وقد اشتدّ جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، قال : إنى أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجّه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه ، فقالوا : بئس ماصنعت حيث ضربته ، قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين ، مما قد مَذِر عندهم ، ولم يشغله ما كان به من الضرر ، حتى قام إلى شطّ البحر ، فشقّ بطونهما ، فجعل يغسل ، فوجد خاتمه فى بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكه ، وجاءت الطير ، حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على عذركم ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لابدّ منه ، قال : فجاء حتى أتى مُلْكه ، فأرسل إلى الشيطان ، فجيء به ، وسُخِّر له الريح والشياطين به مئذ ، ولم تكن سُخِّرت له قبل ذلك ، وهو قوله (وَهَبْ لِى مُلْكًا لايَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى ، إِنَّكَ

أَنْتَ الوَهَّابُ) قال : وبعث إلى الشيطان ، فأتى به ، فأمر به ، فجُعِل فى صندوق من حديد ، ثم أُطبق عليه ، فأقفل عليه بقفل ، وخَتَم عليه بخاتمه ، ثم أمر به ، فأُلْقِى فى البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حبقيق .

وقوله (ثُمَّ أنابَ) سليمان ، فرجع إلى مُلكه من بعد ما زال عنه مُلكه فذهب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن المحاربى ، عن عبد الرحمن ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (ثُمَّ أنابَ) قال : دخل سليمان على امرأة تبيع السمك ، فاشترى منها سمكة ، فشقّ بطنها ، فوجد خاتمه ، فجعل لايمرّ على شجر ولا حجر ولا شىء إلا سجد له ، حتى أتى مُلكه وأهله ، فذلك قوله (ثُمَّ أنابَ) : يقول : ثم رجع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ أنابَ) وأقبل ، يعنى سليمان .

قوله (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لى وَهَبْ لى مُلْكا لايَنْبَغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى) يقول تعالى ذكره : قال سليمان راغبا إلى ربه : ربّ استر علىّ ذنبى الذى أذنبت بينى وبينك ، فلا تعاقبنى به (وَهَبْ لى مُلْكا لايَنْبَغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى) لايسلبنيه أحدٌ كما سلَبنيه قبل هذه الشيطان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لى وَهَبْ لى مُلْكا لايَنْبَغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى) يقول : ملكا لاأُسلبه كما سُلِبته .

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله (لايَنْبَغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى) إلى أن لايكون لأحد من بعدى ، كما قال ابن أحمر :

ما أُمُّ غُفْرٍ على دَعْجاءِ ذى عَلَقٍ ... يَنْفِى القَراميدَ عنها الأعْصَمُ الوَقِلُ
فى رأسِ خَلْقاءَ مِن عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍ ... لايَنْبَغِى دُونَها سَهْلٌ ولا جَبَلُ[1]

بمعنى : لايكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها .

---

(١) البيتان لابن أحمر الباهلى . أنشد أولهما صاحب اللسان فى (دعج ، علق) وأنشد الثانى فى (علق) ، وقال : دعجاء : هضبة عن أبى عبيدة . والغفر ، بضم أوله وفتحه : ولد الأروية ، والأنثى بالهاء ، والقراميد فى البيت والقراميد : أولاد الوعول . والقرمود : ذكر الوعول : والقراميد فى غير هذا : الصخور وطوابيق الدار والحمامات . وبناء مقرمد : مبنى بالآجر أو الحجارة . والأعصم : الوعل الذى فى ذراعيه أو أحدهما بياض والوعل بكسر القاف وضمها : الذى يسرع : فى الصعود فى الجبل . وهضبة خلقاء : مصمتة ملساء ، لانبات فيها . ويقال : هضبة معنقة وعنقاء : إذا كانت مرتفعة طويلة فى السماء . ولاينبغى : أى لا يكون مثلها فى سهل أو جبل . وهذا محل الشاهد فى البيتين ، وهو مثل قوله تعالى : « هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى » : قال أبو عبيدة وأنشد البيتين (الورقة ٢١٤) لاينبغى أن يكون فوقها سهل ولا جبل أعز منها أو أحصن منها » . ورواية البيت الثانى فى (اللسان : علق) : لايبتغى ، تحريف . وقد مر هذا البيت فى شواهد المؤلف مرتين فى الجزء (١٦ : ٨٤ ، ١٣١) . اه .

وقوله (إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ) يقول : إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء، بيدك خزائن كلّ شيء، تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فاستجبنا له دعاءه ، فأعطيناه مُلكا لاينبغى لأحد من بعده ، فسخَّرنا له الريح مكان الخيل التى شغلته عن الصلاة (تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً) يعنى : رخوة لينة ، وهى من الرَّخاوة .

كما حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، أنّ نبىّ الله سليمان صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل ، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر (حَتّى تَوارَتْ بِالحِجابِ) فغضب لله ، فأمر بها فعُقرت ، فأبدله الله مكانها أسرع منها ، سخر الريح تجرى بأمره رُخاء حيث شاء ، فكان يغدو من إيلياء ، ويقيل بقَزْوين ، ثم يروح من قزوين ويبيت بكابُل .

حدثت عن الحُسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَهَبْ لى مُلْكا لايَنْبَغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى) فإنه دعا يوم دعا ، ولم يكن فى مُلكه الريح ، وكلّ بنّاء وغوّاص من الشياطين ، فدعا ربه عند توبته واستغفاره ، فوهب الله له ماسأل ، فتمّ مُلكه .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرخاء ، فقال فيه بعضهم : نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً) قال : طيّبة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أصابَ) قال : سريعة طيبة ، قال : ليست بعاصفة ولا بطيئة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رُخاءً) قال : الرخاء اللينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (رُخاءً حَيْثُ أصابَ) قال : ليست بعاصفة ، ولا الهيّنة ، بين ذلك رُخاء .

وقال آخرون : معنى ذلك : مطيعة لسليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رُخاءً) يقول : مُطيعة له .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً) قال : يعنى بالرُّخاء : المطيعة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً) قال : مطيعة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (رُخاءً) يقول : مطيعة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (رُخاءً) قال طوعا ، وقوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد من قولهم : أصاب الله بك خيرا : أى أراد الله بك خيرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد انتهى عليها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث شاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (حَيْثُ أَصَابَ) : قال : حيث أراد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَيْثُ أَصَابَ) قال : إلى حيث أراد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (حَيْثُ أَصَابَ) : أى حيث أراد .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

وقوله (والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا له الشياطين ، فسلطناه عليها ، مكان ما ابتليناه بالذى ألقينا على كرسيّه منها ، يستعملها فيما شاء من أعماله ، من بناء وغوّاص ، فالبُناة منها يصنعون محاريب وتماثيل ، والغاصة يستخرجون له الحُلِيّ من البحار ، وآخرون ينحتون له جِفانا وقدورا ، والمَرَدة فى الأغلال مُقَرَّنون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ) قال : يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ، وغوّاص يستخرجون الحُلِيّ من البحر (وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) قال : مَرَدة الشياطين فى الأغلال .

حُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) قال : لم يكن هذا فى مُلك داود ، أعطاه الله مُلك داود ، وزاده الريح ، (والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ ، وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) يقول : فى السلاسل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (الأَصْفَادِ) : قال : تجمع اليدين إلى عنقه ، والأصفاد : جمع صَفَد وهى الأغلال .

وقوله (هَذَا عَطَاؤُنَا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

❊ اختلف أهل التأويل فى المشار إليه بقوله (هَذَا) من العطاء ، وأىّ عطاء أريد بقوله : عَطاؤنا ، فقال بعضهم : عُنِى به الملك الذى أعطاه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (هَذَا عَطَاؤُنا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بغَيْرِ حِسابٍ) قال : قال الحسن : الملك الذى أعطيناك ، فأعط ماشئت ، وامنع ما شئت .

حُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (هَذَا عَطَاؤُنا) : هذا ملكنا .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك تسخيره له الشياطين ، وقالوا : ومعنى الكلام هذا الذى أعطيناك من كلّ بناء وغوّاص ، من الشياطين وغيرهم ، عطاؤنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا عَطَاؤُنا ، فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) قال : هؤلاء الشياطين ، احبس من شئت منهم فى وَثاقك ، وفى عذابك ، أو سرّح من شئت منهم ، تتخذ عنده يدا ، اصنع ما شئت .

وقال آخرون : بل ذلك ما كان أوتى من القوّة على الجماع .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن أبى يوسف ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان

فى ظهره ماء مئة رجل، وكان له ثلاث مئة امرأة، وتسع مئة سُرِّيَّة، هذا عطاؤنا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) .

﴿ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب: القولُ الذى ذكرناه عن الحسن والضحاك، من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره ، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر ذلك عُقَيب خبره عن مسئلة نبيه سليمان، صلوات الله وسلامه عليه ، إياه مُلكا لاينبغى لأحد من بعده ، فأخبر أنه سخر له ما لم يُسَخِّر لأحد من بنى آدم ، وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ماوصفت ، ثم قال له عزّ ذكره : هذا الذى أعطيناك من المُلك ، وتسخيرنا ما سخرنا لك ، عطاؤنا ، ووهبنا لك ماسألتنا أن نهبه لك ، من الملك الذى لاينبغى لأحد من بعدك ، (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) فقال بعضهم : عُنِى ذلك : فأعط من شئت ماشئت من المُلك الذى آتيناك ، وامنع من شئت منه ماشئت ، لاحساب عليك فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) المُلك الذى أعطيناك ، فأعط ماشئت ، وامنع ما شئت ، فليس عليك تَبِعة ولا حساب .

حُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) : سأل مُلكا هنيئا ، لا يُحاسب به يوم القيامة ، فقال : ما أَعْطَيْت ، وما أَمْسَكْت ، فلا حرج عليك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) قال : أعط أو أمسك ، فلا حساب عليك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فامْنُنْ) قال : أعط أو أمسك بغير حساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أَعْتِق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة، أو من الوَثاق، ممن كان منهم مُقَرَّنا فى الأصفاد ، مَن شئت ، واحبس مَنْ شئت ، فلا حرج عليك فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) يقول : هؤلاء الشياطين ، احبس من شئت منهم فى وَثاقك وفى عذابك ، وسرّح من شئت منهم، تتخذ عنده يدا ، ، اصنع ماشئت لاحساب عليك فى ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) يقول : أعتق من الجنّ من شئت ، وأمسك من شئت .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) قال : تَمُنّ على من تشاء منهم فتُعْتِقه، و تمْسِك من شئت فتستخدمه، ليس عليه فى ذلك حساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هذا الذى أعطيناك من القوّة على الجماع عطاؤنا ، فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت ، بغير حساب ، واترك جماع من شئت منهنّ .

وقال آخرون : بل ذلك من المقدّم والمؤخر . ومعنى الكلام : هذا عطاؤنا بغير حساب ، فامْنُنْ أو أمسك . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (هذا فامْنُنْ أوْ أمْسِكْ . عَطاؤُنا بِغَيْرِ حِسابٍ) .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول فى قوله (بِغَيْرِ حِسابٍ) وجهان : أحدهما : بغير جزاء ولا ثواب ، والآخر : مِنَّةٍ : ولا قِلَّةٍ .

والصواب من القول فى ذلك: ماذكرته عن أهل التأويل،من أن معناه: لايحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان .

وإنما قلنا ذلك هو الصواب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

وقوله(وَإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مآبٍ) يقول: وإن لسليمان عندنا لقُرْبَةً، بإنابته إلينا وتوبته، وطاعته لنا ، وحُسْنَ مآب: يقول: وحسن مرجع ومصير فى الآخرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مآبٍ) : أى مصير .

إن قال لنا قائل : وما وجه رغبة سليمان إلى ربه فى الملك ، وهو نبيّ من الأنبياء ، وإنما يرغب فى الملك أهل الدنيا، المؤثرون لها على الآخرة ؟ أم ما وجه مسئلته إياه، إذ سأله ذلك، مُلكا لاينبغى لأحد من بعده ، وما كان يضرّه أن يكون كلّ من بعده يُؤْتَى مثلَ الذى أوتى من ذلك؟، أكان به بخل بذلك ، فلم يكن من مُلكه، يُعطى ذلك من يُعطاه ، أم حسدٌ للناس ، كما ذُكر عن الحجاج بن يوسف ، فإنه ذكر أنه قرأ قوله (وَهَبْ لى مُلْكا لايَنْبَغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى) فقال : إن كان لحسودا ، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء ؟ قيل : أمّا رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من المُلك، فلم تكن إن شاء الله به رغبةٌ فى الدنيا ، ولكن إرادةٌ منه أن يعلم منزلته من الله، فى إجابته فيما رغب إليه فيه ، وقبوله توبته ، وإجابته دعاءَه .

وأما مسئلته ربه مُلكا لاينبغى لأحد من بعده ، فإنا قد ذكرنا فيما مضى قبلُ قولَ من قال : إن معنى ذلك: هب لى مُلكا لاأُسْلَبه كما سُلِبْتُه قبْلُ . وإنما معناه عند هؤلاء: هب لى مُلكا لاينبغى لأحد من بعدى أن يَسلُبنيه . وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى : لاينبغى لأحد سواى من أهل زمانى ، فيكون حجة وعلما لى على نبوّتى، وأنّى رسولك إليهم مبعوث ، إذ كانت الرسل لابدّ لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم؛ ويتجه أيضا لأن يكون معناه : وهب لى مُلكا تَخُصُّنِى به، لاتعطيه أحدا غيرى تشريفا منك لى بذلك ، وتكرمة، لتبين منزلتى منك به من منازل من سواى ، وليس فى وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج فى معنى ذلك شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاذْكُرْ) أيضا يامحمد (عَبْدَنا أيُّوبَ إذْ نادَى رَبَّهُ) مستغيثا به، فيما نزل به من البلاء: يا ربّ (أنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ) فاختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِنُصْبٍ)، فقرأته عامة قرّاء الأمصار، خلا أبى جعفر القارئ (بِنُصْبٍ) بضم النون، وسكون الصاد. وقرأ ذلك أبو جعفر: بضم النون والصاد كليهما. وقد حُكى عنه بفتح النون والصاد، والنُّصْب والنَّصَب بمنزلة الحُزْن والحَزَن، والعُدْم والعَدَم، والرُّشْد والرَّشَد، والصُّلْب والصَلَب. وكان الفرّاء يقول: إذا ضُمّ أوّله لم يثقل، لأنهم جعلوهما على سمتين: إذا فتحوا أوّله ثقّلوا، وإذا ضموا أوّله خففوا. قال: وأنشدنى بعض العرب:

لَئِنْ بَعَثَتْ أُمُّ الحُمَيْدَيْنِ مائِرًا ... لَقَدْ غَنِيَتْ فى غَيْرِ بُؤْسٍ ولا جُحْدِ[1]

من قولهم: جَحِدَ عيشه: إذا ضاق واشتدّ؛ قال: فلما قال جُحْد خفّف. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين: النُّصْب من العذاب؛ وقال العرب: تقول: أنصبنى: عذّبنى وبرّح بى. قال: وبعضهم يقول: نَصَبَنى؛ واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبى خازم:

تَعَنَّاكَ نَصْبٌ مِن أُمَيْمَةَ مُنْصِبُ ... كَذِى الشَّجْوِ لَمّا يَسْلُه وسيَذْهَبُ[2]

وقال: يعنى بالنَّصْب: البلاء والشرّ؛ ومنه قول نابغة بنى ذُبيان:

كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ ... ولَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِىءِ الكَوَاكِبِ[3]

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٠). قال: وقوله «بنصب وعذاب»: اجتمعت القراء على ضم النون من نصب وتخفيفها (أى الكلمة بتسكين وسطها)، وذكروا أن أبا جعفر المدنى قرأ: «بنصب وعذاب» بنصب النون والصاد. وكلاهما فى التفسير واحد. وذكروا أنه المرض، وما أصابه من العناء فيه والنصب، بمنزلة الحزن والحزن، والعدم والعدم، والرشد والرشد، والصلب والصلب: إذا خفف ضم أوله، ولم يثقل، لأنهم جعلوها على سمتين: إذا فتحوا أوله، ثقلوا، وإذا ضموا أوله خففوا؛ قال: وأنشدنى بعض العرب: «لئن بعثت أم الحميدين... البيت». قال: والعرب تقول: جحد عيشهم جحدا: إذا ضاق واشتد. فلما قال جحد وضم أوله خفف. فابن على هذا ما رأيت من هاتين اللغتين. اهـ. قلت: والمائر الذى يجلب الميرة.

(٢) البيت لبشر بن أبى خازم «مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ٢١٥» قال: بنصب وعذاب»: قال بشر بن أبى خازم... البيت». وقال النابغة: «كلينى لهم يا أميمة ناصب.... البيت.» ثم قال بعد البيتين: تقول العرب: أنصبنى: أى عذبنى وبرح بى. وبعضهم يقول: نصبنى. والنصب: إذا فتحت وحركت حروفها، كانت من الإعياء. والنصب، إذا فتح أولها وأسكن ثانيها: واحد أنصاب الحرم، وكل شىء نصبته وجعلته علما. يقال: لأنصبنك نصب العود.

(٣) البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبى ص ١٥٩) قال شارحه: كلينى: دعينى. وأميمة بالفتح (والأحسن بالضم): منادى. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادى المؤنث بالترخيم، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن): أجراها على لفظها مرخمة، وأتى بها بالفتح. وناصب: متعب. وبطىء الكواكب: أى لاتغور كواكبه، وهو كناية عن الطول، لأن الشاعر كان قلقا. اهـ. وقد تقدم ذكر البيت فى شرح الشاهد الذى قبله، عن أبى عبيدة لأن موضع الشاهد فيهما مشترك.

قال : والنَّصَب إذا فُتحت وحُرِّكتْ حروفها، كانت من الإعياء. والنَّصْب إذا فُتح أوله وسكن ثانيه: واحد أنصاب الحرم ، وكلّ ما نصب علما؛ وكأن معنى النُّصب فى هذا الموضع : العلة التى نالته فى جسده، والعناء الذى لاقى فيه ، والعذاب فى ذهاب ماله .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا: ما عليه قرّاء الأمصار، وذلك الضمّ فى النون، والسكون فى الصاد .

وأما التأويل ، فبنحو الذى قلنا فيه قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ) حتى بلغ (بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) : ذهاب المال والأهل ، والضرّ الذى أصابه فى جسده ، قال : ابتُلِى سبع سنين وأشهرا، مُلْقَى على كُناسة لبنى إسرائيل، تختلف الدوابّ فى جسده، ففرّج الله عنه، وعظَّم له الأجر ، وأحسن عليه الثناء .

حدثنا محمد بن الحسين، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) قال : نصب فى جسدى ، وعذاب فى مالى .

حُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) يعنى : البلاء فى الجسد (وَعَذَابٍ) . قوله : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) .

وقوله (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) ومعنى الكلام : إذ نادى ربه مستغيثا به ، أنى مسنى الشيطان ببلاء فى جسدى، وعذاب بذهاب مالى وولدى ، فاستجبنا له ، وقلنا له : اركض برجلك الأرض : أى حرّكها وادفعها برجلك ، والركض: حركة الرِّجل ، يقال منه : ركضت الدابة ، ولا تركض ثوبك برجلك .

وقيل : إن الأرض التى أُمر أيوب أن يركضها برجله : الجابية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) . . . الآية ، قال : ضرب برجله الأرض ، أرضا يقال لها الجابية .

وقوله (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) ذُكر أنه نَبَعَت له حين ضرب برجله الأرض عينان، فشرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ضرب برجله الأرض ، فإذا عينان تنبعان ، فشرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) قال : فركض برجله ، فانفجرت له عين ، فدخل فيها واغتسل ، فأذهب الله عنه كلّ ما كان من البلاء .

حدثنى بشر بن آدم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت الحسن ، فى قول الله : (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) : فركض برجله ، فنبعت عين ، فاغتسل منها ، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا ، ثم ركض برجله ، فنبعت عين ، فشرب منها ، فذلك قوله (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) وعنى بقوله (مُغْتَسَلٌ) : ما يُغْتَسل به من الماء ، يقال منه : هذا مُغْتَسل ، وغَسول للذى يُغتسل به من الماء . وقوله (وَشَرَابٌ) يعنى : ويشرب منه ، والموضع الذى يغتسل فيه ، يسمى مغتسلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ، رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَٰبِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ ، وَلَا تَحْنَثْ ، إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ، نِّعْمَ الْعَبْدُ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)

* اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) ، وقد ذكرنا اختلافهم فى ذلك . والصواب من القول عندنا فيه ، فى سورة الأنبياء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . فتأويل الكلام : فاغتسل وشرب ، ففرّجنا عنه ما كان فيه من البلاء ، ووهبنا له أهله ، من زوجة وولد (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ، رَحْمَةً مِنَّا) له ورأفة (وَذِكْرَى) يقول : وتذكيرا لأولى العقول ، ليعتبروا بها فيتعظوا .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ نَبِىَّ اللهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمانِىَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَرَفَضَهُ القَرِيبُ والبَعِيدُ ، إلاَّ رَجُلانِ مِنْ إخْوَانِهِ ، كانا مِنْ أَخَصِّ إخْوَانِهِ بِهِ ، كانا يَغْدُوَانِ إلَيْهِ وَيَرُوحانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُما لِصَاحِبِهِ : تَعْلَمُ وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا ما أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ العالَمِينَ ، قال لَهُ صَاحِبُهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قال : مِن ثَمانِى عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ ، فَيَكْشِفَ ما بِهِ ، فَلَمَّا رَاحا إلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتى ذَكَرَ ذلكَ لَهُ ، فَقالَ أَيُّوبُ : لاأَدْرِى ما تَقُولُ ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنازَعانِ ، فَيَذْكُرانِ اللهَ ، فَأَرْجِعُ إلى بَيْتِى ، فَأُكَفِّرُ عَنْهُما ، كَراهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إلاَّ فى حَقٍّ ؛ قال : وكانَ يَخْرُجُ إلى حاجَتِهِ ، فإذَا قَضَاها أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ ، حتى يَبْلُغَ ، فَلَمَّا كانَ ذاتَ يَوْمٍ أَبْطأَ عَلَيْها ، وأُوحِىَ إلى أَيُّوبَ فى مَكانِهِ : (أَنِ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ) ، فاسْتَبْطأَتْهُ ، فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ ، فأَقْبَلَ عَلَيْها قَدْ أَذْهَبَ اللهُ ما بِهِ مِنَ البَلاءِ ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ ما كانَ ؛ فَلَمَّا رأَتْهُ قالَتْ : أَىْ بارَكَ اللهُ فِيكَ ، هَلْ رأَيْتَ نَبِىَّ اللهِ هَذَا المُبْتَلَى ، فَوَاللهِ على ذلكَ ما رأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إذْ كانَ صَحِيحا ؛ قالَ : فإنِّى أنا هُوَ ؛ قال : وكانَ لَهُ أَنْدَرَانِ : أَنْدَرٌ لِلقَمْحِ ، وأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ ، فَبَعَثَ اللهُ سَحابَتَيْنِ ، فَلَمَّا كانَتْ إحْداهُما على أَنْدَرِ القَمْحِ ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتى فاضَ ، وأَفْرَغَتِ الأُخْرَى فى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الوَرِقَ ، حَتى فاضَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) قال : قال الحسن وقتادة : فأحياهم الله بأعيانهم ، وزادهم مثلهم .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن جُبَير ، قال : لما ابتُلِى نبىّ الله أيوب صلى الله عليه وسلم ، بماله وولده وجسده ، وطُرِح فى مَزْبلة ، جَعَلَت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه ، فحسده الشيطان على ذلك ، وكان يأتى أصحاب الخبز والشوىّ الذين كانوا يتصدّقون عليها ، فيقول : اطردوا هذه المرأة التى تغشاكم ، فإنها تعالج صاحبها وتلمُسُه بيدها ، فالناس يتقذّرون طعامكم ، من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك ، وكان يلقاها إذ خرجت كالمحزون لما لقى أيوب ، فيقول : لَجَّ صاحبك ، فأبى إلا ما أتى ، فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كلّ ضرّ ، ولرجع إليه ماله وولده ، فتجىء ، فتخبر أيوب ، فيقول لها : لقيك عدوّ الله ، فلقّاك هذا الكلام ، ويلك إنما مثلك كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشىء ، قبلته وأدخلته ، وإن لم يأتها بشىء طردته ، وأغلقت بابها عنه ، لما أعطانا الله المال والولد آمنا به ، وإذا قُبِض الذى له منا نكفر به ، وتبدّل غيره إن أقامنى الله من مرضى هذا لأجلدنّك مئة ، قال : فلذلك قال الله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ) .

وقوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يقول : وقلنا لأيوب : خذ بيدك ضغثا ، وهو ما يجمع من شىء ، مثل حزمة الرُّطْبة ، وكملء الكفّ من الشجر أو الحشيش والشماريخ ، ونحو ذلك مما قام على ساق ؛ ومنه قول عوف بن الخَرِع :

وأَسْفَلَ مِنِّى نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُها ... وأَلْقَيْتُ ضِغْثًا مِن خَلًا مُتَطَيِّبِ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية عن ، علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يقول : حُزْمة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ) : قال : أمر أنْ يأخذ ضغثا من رُطْبة ، بقدر ما حلف عليه ، فيضرب به .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، فى قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) قال : عيدانا رطبة .

---

(١) البيت لعوف بن الخرع ، (مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ٢١٥ – ب) ويؤيده أنه فى معجم الشعراء : عوف بن عطية بن الخرع ، وكذا فى التاج . قال أبو عبيدة عند تفسير قوله تعالى : « وخذ بيدك ضغثا » : وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك ، قال عوف بن الخرع : « وأسفل منى . . . البيت » . وفى اللسان : وفرس نهد جسيم مشرف وقيل النهد الضخم القوى . والأنثى نهدة . والخلا : الرطب من الحشيش (مثل البرسيم ، أو هو البرسيم) .

حدثنا أبو هشام الرِّفاعىّ ، قال : ثنا يحيى ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) : قال : هو الأَثْل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) . . . الآية ، قال : كانت امرأته قد عَرَضت له بأمر ، وأرادها إبليس على شىء ، فقال : لو تكلمت بكذا وكذا ، وإنما حملها عليها الجَزَع ، فحلف نبىّ الله : لئن الله شفاه ليجلدنّها مئة جلدة ؛ قال : فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبا ، والأصل تكملة المئة ، فضربها ضَربة واحدة ، فأبرّ نبىُّ الله ، وخفّف الله عن أَمَته ، والله رحيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يعنى : ضِغْثًا من الشجر الرَّطْب ، كان حلف على يمين ، فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه ، فضرب به ضَرْبة واحدة ، فبرّت يمينه ، وهو اليوم فى الناس يمين أيوب ، من أخذ بها فهو حسن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ) قال : ضِغْثًا واحدا من الكلأ ، فيه أكثر من مئة عود ، فضرب به ضربة واحدة ، فذلك مئة ضربة .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن جُبَير (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ) يقول : فاضرب زوجتك بالضِّغْث ، لتبرّ فى يمينك التى حلفت بها عليها أن تضربها ، (وَلَا تَحْنَثْ) يقول : ولا تحنث فى يمينك .

وقوله (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول : إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء ، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله ، والدخول فى معصيته (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إنه إلى طاعة الله مقبل ، وإلى رضاه رَجَّاع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٧)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (عِبادَنا) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَاذْكُرْ عِبادَنا) على الجماع غير ابن كثير ، فإنه ذكر عنه أنه قرأه (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا) على التوحيد ، كأنه يوجه الكلام إلى أن إسحاق ويعقوب من ذرّيّة إبراهيم ، وأنهما ذُكِرا من بعده .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، سمع ابنَ عباس يقرأ (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ) قال : إنما ذُكِر إبراهيم ، ثم ذُكِر ولده بعده .

۞ والصواب عندنا من القراءة فى ذلك : قراءة من قرأه على الجماع ، على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب بيان عن العباد ، وترجمة عنه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (أُولى الأَيْدى والأَبْصَارِ) ويعنى بالأيدى : القوّة ، يقول أهل القوّة على عبادة الله وطاعته . ويعنى بالأبصار : أنهم أهل أبصار القلوب ، يعنى به : أولى العقول [١] للحقّ .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم فى ذلك نحوا مما قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أُولى الأَيْدى والأَبْصَارِ) يقول : أولى القوّة والعبادة (والأَبْصَارُ) يقول : الفقه فى الدين .

حدثنى محمدّ بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أُولى الأَيْدى والأَبْصَارِ) قال : فُضِّلُوا بالقوّة والعبادة .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور أنه قال فى هذه الآية (أُولى الأَيْدى) قال : القوّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (أُولى الأَيْدى) قال : القوّة فى أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (أُولى الأَيْدى) قال : الأيدى : القوّة فى أمر الله ، والأبصار : العقول .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أُولى الأَيْدى والأَبْصَارِ) قال : القوّة فى طاعة الله ، والأبصار : قال : البصر فى الحقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أُولى الأَيْدى والأَبْصَارِ) يقول : أُعْطُوا قوّة فى العبادة ، وبصرا فى الدين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (أُولى الأَيْدِى والأَبْصَارِ) قال : الأيدى : القوّة فى طاعة الله ، والأبصار : البصر بعقولهم فى دينهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (أُولى الأَيْدِى والأَبْصَارِ) قال : الأيدى : القوّة ، والأبصار : العقول .

فإن قال لنا قائل : وما الأيدى من القوّة ، والأيدى : إنما هى جمع يد ، واليد جارحة ، وما العقول من الأبصار ، وإنما الأبصار جمع بصر ؟ قيل : إن ذلك مثل ، وذلك أن باليد البطش ، وبالبطش تُعرف قوّة القوىّ ، فلذلك قيل للقوىّ : ذو يَدٍ ؛ وأما البصر ، فإنه عُنِى به بصر القلب ، وبه تنال معرفة الأشياء ، فلذلك قيل للرجل العالم بالشىء : بصير به . وقد يُمكن أن يكون عُنِى بقوله (أُولى الأَيْدى) : أولى الأيدى عند الله بالأعمال الصالحة ، فجعل الله أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا أيديا لهم عند الله ، تمثيلا لها باليد ، تكون عند الرجل لآخر .

---

(١) لعل العبارة قد سقط منها كلمة « والإبصار » . كما يفهم مما قبله ، ومما يجىء .

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه : (أُولى الأَيْدِ) بغير ياء ، وقد يُحتمل أن يكون ذلك من التأييد ، وأن يكون بمعنى الأيدى ، ولكنه أسقط منه الياء ، كما قيل (يَوْمَ يُنادِى المُنادِ) بحذف الياء ، وقوله عزّ وجلّ (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ) يقول تعالى ذكره : إنا خصصناهم بخاصة ذكرى الدار .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة (بِخالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ) بإضافة خالصة إلى ذكرى الدار ، بمعنى : أنهم أُخْلِصُوا بخالصة الذكرى ، والذكرى إذا قُرِئَ كذلك غير الخالصة ، كما المتكبر إذا قُرِئَ على كلّ قلب متكبر ، بإضافة القلب إلى المتكبر ، هوالذى له القلب وليس بالقلب . وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق (بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) بتنوين قوله (خالِصَةٍ) وردّ ذكرى عليها ، على أن الدار هى الخالصة ، فردّوا الذكرى وهى معرفة ، على خالصة ، وهى نكرة ، كما قيل : لشرّ مآب : جهنم ، فردّ جهنم وهى معرفة على المآب وهى نكرة .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرَأَة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئْ فمصيب .

وقد اختلف أهل التأويل ، فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إنا أخلصناهم بخالصةٍ هى ذكرى الدار : أى أنهم كانوا يُذَكِّرُون الناس الدارَ الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بهذه أخلصهم الله ، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة ، وذِكْرِهم لها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدى ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بذكر الآخرة ، فليس لهم همٌّ غيرها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بذكرهم الدار الآخرة ، وعملهم للآخرة .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنا أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة ، وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة . وأما القولان الأوّلان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا أَخْلَصْنا هُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بأفضل ما فى الآخرة أخلصناهم به ، وأعطيناهم إياه ؛ قال : والدار : الجنة ، وقرأ (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ) قال : الجنة ، وقرأ (وَلَنِعْمَ دارُ المُتَّقِينَ) قال : هذا كله الجنة ، وقال : أخلصناهم بخير الآخرة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خالصة عُقْبَى الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَيْر (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : عقبى الدار .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بخالصة أهل الدار .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جُرَيج ، قال : ثنى ابن أبي نجيح ، أنه سمع مجاهدا يقول : (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) هم أهل الدار ، وذو الدار ، كقولك : ذو الكلاع ، وذو يَزَن .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين ، يتأوّل ذلك على القراءة بالتنوين (بِخَالِصَةٍ) عمل في ذكرى الآخرة .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، على قراءة من قرأه بالتنوين : أن يقال : معناه : إنا أخلصنا هُمْ بخالصة ، هي ذكرى الدار الآخرة ، فعملوا لها في الدنيا ، فأطاعوا الله وراقبوه ، وقد يدخل في وصفهم بذلك ، أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله ، وإلى الدار الآخرة ، لأن ذلك من طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ، غير أن معنى الكلمة ما ذكرْت . وأما على قراءة من قرأه بالإضافة ، فأن يقال : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة ؛ فلمّا لم تُذْكر « في » أضيفت الذكرى إلى الدار ، كما قد بيّنّا قبلُ في معنى قوله : (لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْرِ) ، وقوله (بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) ، وقوله (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ) يقول : وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة ، الأخيار ، الذين اخترناهم لطاعتنا ، ورسالتنا إلى خلقنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَٰذَا ذِكْرٌ ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إسماعيلَ واليَسَعَ وذا الكِفل ، وما أبلَوْا في طاعة الله ، فتأسَّ بهم ، واسلك منها جَهم في الصبر على ما نالك في الله ، والنفاذ لبلاغ رسالته . وقد بيّنّا قبلُ من أخبار إسماعيلَ واليَسَعَ وذا الكفل ، فيما مضى من كتابنا هذا ، ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، والكِفْل في كلام العرب : الحظّ والجَدّ .

وقوله (هَٰذَا ذِكْرٌ) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ، ذِكْر لك ولقومك ، ذكرناك وإياهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (هَـٰذَا ذِكْرٌ) قال : القرآن .

وقوله (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) يقول : وإن للمتقين الذين اتَّقَوُا الله فخافوه،بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه،لحسنَ مَرْجع ، يرجعون إليه فى الآخرة ، ومَصير يصيرون إليه . ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذى وعدهم من حُسن المآب ما هو ؟ فقال : (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) قال : لحسن منقلب .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)

قوله تعالى ذكره (جَنَّاتِ عَدْنٍ) : بيان عن حسن المآب ، وترجمة عنه ، ومعناه : بساتينُ إقامة . وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده ، وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : سأل عمر كعبا ما عَدْن ؟ قال : يا أمير المؤمنين،قصور فى الجنة من ذهب،يسكنها النبيون والصدّيقون والشهداء وأئمةُ العدل .

وقوله (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ) يعنى : مفتحة لهم أبوابها ، وأدخلت الألف واللام فى الأبواب بدلا من الإضافة ، كما قيل (فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى) بمعنى : هى مَأْواه ؛ وكما قال الشاعر :

ما وَلَدَتْكُمْ حَيَّـةُ بْنَةُ مالِكٍ سِفاحا وَما كانَتْ أحادِيثَ كاذِبِ
وَلَكِنْ نَرَى أقْدامنا فِي نِعالِكُمْ وآنُفَنا بينَ اللِّحَى والحَواجِبِ(1)

بمعنى : بين لحاكم وحواجبكم ، ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب،لم يكن لحنا ، وكان نصبه على توجيه المفتحة فى اللفظ إلى جنات وإن كان فى المعنى للأبواب ، وكان كقول الشاعر :

---

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨١) على أن قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » برفع الأبواب ، لأن المعنى مفتحة لهم أبوابها . والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة،ومنه قوله : « فإن الجحيم هى المأوى » فالمعنى والله أعلم : مأواه . ومثله قول الشاعر : « ما ولدتكم حية ربعية . . . . البيتين » . فمعناه : ونرى آنفنا بين لحاكم وحواجبكم فى الشبه . اهـ . وحية ابنة مالك : قبيلة . وسفاحا : زنا . واللحى : جمع لحية .

وَما قَوْمِى بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلا بِفَزَارَةَ الشُّعْرَ الرِّقابا(١)

ثم نوّنت مفتحة ، ونصبت الأبواب .

فإن قال لنا قائل : وما فى قوله (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ) من فائدة خبر حتى ذكر ذلك ؟ قيل : فإن الفائدة فى ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها ، بمعاناة بيد ولا جارحة ، ولكن بالأمر فيما ذُكر .

كما حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا ابن تفيل ، قال : ثنا ابن دعيج ، عن الحسن ، فى قوله (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ) قال : أبواب تكلم ، فتكلم : انفتحى ، انغلقى .

وقوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) يقول : متكئين فى جنات عدن ، على سُرر يدعون فيها بفاكهة ، يعنى بثمار من ثمار الجنة كثيرة ، وشراب من شرابها .

القول فى تأويل قوله تعالى

*وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٤) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف فى هذه الآية من إسكانهم جنات عدن (قاصِرَاتُ الطَّرْفِ) يعنى : نساء قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم ، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قصَرن أبصارهنّ وقلوبهنّ وأسماعهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

وقوله (أَتْرَابٌ) يعنى : أسنان واحدة .

---

(١) البيت للحارث بن ظالم المرى ، من قصيدة من الوافر ، قالها لما هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش .(انظر فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد للعينى ص ٢٦٤) والرواية فيه « الشعر بدون ألف بعد الراء . قال : والشاهد فى الشعر الرقابا » فإنه مثل الحسن الوجه بنصب الوجه (على أنه شبيه بالمفعول به) لأن الشعر جمع أشعر ، كثير شعر الجسد ، صفة مشبهة . وأنشد الفراء البيت فى معانى القرآن (الورقة ٢٨١) مع الشاهد السابق وقال فى قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » : وقال : ولو قال : « مفتحة لهم الأبواب » (بنصب الأبواب) على أن تجعل المفتحة فى اللفظ للجنات ، وفى المعنى للأبواب ، فيكون مثل قول الشاعر :

ما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعرى رقابا

ولم يأت الفراء فى كلامه بجواب لو . . . أى لكان وجها . والخلاصة أن فى لفظة « الأبواب » من قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » وجهان من الإعراب : الرفع على أنه نائب فاعل ، أى مفتحة لهم أبوابها . والنصب على أن نائب الفاعل ضمير راجع إلى الجنات ، وتنصب الأبواب على أنه شبيه بالمفعول به . وكذلك فى قوله : « الشعر الرقابا » النصب فيه على أنه شبيه بالمفعول به ، لأن فعله « شعر » لازم لاينصب المفعول به ، وعلى رواية « الشعرى رقابا » : « تنصب رقابا على أنه تمييز . وانظر معمول اسم المفعول ومعمول الصفة المشبهة فى التصريح والأشمونى . .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ) قال : أمثال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَتْرَابٌ) : سن واحدة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَتْرَابٌ) قال : مستويات . قال : وقال بعضهم : متواخيات لايتباغضن ، ولا يتعادين ، ولا يتغايرن ، ولا يتحاسدن .

وقوله (هَـٰذَا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسابِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى يعدكم الله فى الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم فى الآخرة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (هَـٰذَا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسابِ) قال : هو فى الدنيا ليوم القيامة .

وقوله (إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى جنَّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب ، والقاصرات الطرف ، ومكنَّاهم فيها من الوصول إلى اللذّات وما اشتهته فيها أنفسهم ،لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منالهم(ما لَهُ مِنْ نَفادٍ) يقول : ليس له عنهم انقطاع ، ولا له فناء ، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها فأكلوها ، عادت مكانها أخرى مثلها ، فذلك لهم دائم أبدا ،لاينقطع انقطاع ماكان أهل الدنيا أوتوه فى الدنيا،فانقطع بالفناء ، ونَفِد بالإنفاد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ) قال : رزق الجنة ، كلما أُخذ منه شىء ، عاد مثله مكانه ، ورزق الدنيا له نَفاد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما لَهُ مِنْ نَفادٍ) : أى ماله انقطاع .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَـٰذَا ، وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ، لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ، إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُوا۟ : بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ، أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٦٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله (هَـٰذَا) الذى وصفت لهؤلاء المتقين . ثم استأنف جلّ وعزّ الخبر عن الكافرين به الذين طَغَوا عليه وبَغَوا، فقال : (وإنَّ للطَّاغينَ)وهم الذين تمرّدوا على ربهم ، فعصَوْا أمره ،

مع إحسانه إليهم(لَشَرَّ مَآبٍ) يقول : لشرّ مرجع ومصير ، يصيرون إليه فى الآخرة ، بعد خروجهم من الدنيا :

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ) قال : لشرّ مُنْقَلَب . ثم بين تعالى ذكره ، ماذلك الذى إليه ينقلبون ويصيرون فى الآخرة ، فقال (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) فترجم عن جهنم بقوله (لَشَرَّ مَآبٍ) . ومعنى الكلام : إن للكافرين لشرّ مَصير يصيرون إليه يوم القيامة ، لأن مصيرهم إلى جهنم ، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم (فَبِئْسَ المِهَادُ) يقول تعالى ذكره : فبئس الفراش الذى افترشوه لأنفسهم جهنم .

وقوله (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) يقول تعالى ذكره : هذا حميم ؛ وهو الذى قد أغلى حتى انتهى حرّه . وغساق فليذوقوه ، فالحميم مرفوع بهذا ، وقوله (فَلْيَذُوقُوهُ) معناه التأخير ، لأن معنى الكلام ما ذكرت ، وهو : هذا حميم وغسّاق فليذوقوه . وقد يتجه ذلك إلى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يُبْتدأ فيقال : حميمٌ وغسّاق ، بمعنى : منه حميم ومنه غسّاق ؛ كما قال الشاعر :

حَتّى إذا ما أضَاءَ الصُّبْحُ فى غَلَسٍ وَغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِىٌّ وَمَحْصُودُ[1]

وإذا وُجّه إلى هذا المعنى ، جاز فى هذا النصب والرفع . النصب : على أن يُضْمر قبلها لها ناصب ، كما قال الشاعر :

زِيادَتَنا نُعْمانُ لا تَحْرِمَنَّنا تَقِ اللهَ فِينا والكِتابَ الَّذى تَتْلُو[2]

والرفع بالهاء فى قوله (فَلْيَذُوقُوهُ) كما يقال : الليلَ فبادروه ، والليلُ فبادروه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : الحميم : الذى قد انتهى حَرُّه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الحميم : دموع أعينهم ، تجمع فى حياض النار ، فيسقونه .

وقوله (وَغَسَّاقٌ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف (وَغَسَاقٌ) وقالوا : هو اسم موضوع . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (وَغَسَّاقٌ) مشدّدة ، ووجهوه إلى أنه صفة من قولهم : غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقا : إذا سال ، وقالوا : إنما معناه : أنهم يُسْقَوْن الحميم ، وما يسيل من صديدهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨١) قال فى قوله تعالى : « هذا فليذوقوه حميم وغساق » : رفعت الحميم والغساق بهذا ، مقدما ومؤخرا . والمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه . وإن شئت جعلته (حميم وغساق) : مستأنفا ، وجعلت الكلام قبله مكتفيا ، كأنك قلت : « هذا فليذوقوه » ثم قلت : منه غساق . كقول الشاعر : « حتى إذا . . . البيت » . اه .

(٢) هذا البيت لعبد الله بن همام السلولى (اللسان : وقى) يخاطب النعمان بن بشير الأنصارى ، وكان قد ولى الكوفة لمعاوية ، وكان معاوية قد زادنا ناسا فى أعطياتهم عشرة ، فأنفذ النعمان ، وترك بعضهم ، لأنهم جاءوا بكتب بعد ما فرغ من الحملة ، وكان ابن همام من تخلف ، فكلمه ، فأبى عليه ، فقال ابن همام قصيدة يرققه عليه ، ويتشفع بالأنصار ، ويمدح معاوية . وقوله « زيادتنا » منصوب بفعل محذوف يفسره الفعل المؤكد بالنون . لأنه لايعمل فيما قبله ، كما قال الرضى . والفعل المؤكد يروى : لا تنسينها ، ويروى : لا تحرمننا . (انظر شرح شواهد الشافية للرضى ص ٤٩٧) .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كان التشديد فى السّين أتمّ عندنا فى ذلك ، لأن المعروف ذلك فى الكلام ، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : هو مايَسيل من جلودهم من الصديد والدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : كنا نحدَّث أن الغَسَّاق : مايسيل من بين جلده ولحمه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : الغسَّاق : الذى يسيل من أعينهم من دموعهم ، يُسْقَونه مع الحميم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الغسَّاق : ما يسيل من سُرْمهم ، وما يسقط من جلودهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (الغسَّاق) : الصديد الذى يجمع من جلودهم ، مما تصهرهم النار ، فى حياض يجتمع فيها فيُسقونه .

حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا ابن لَهيعة ، قال : ثنى أبو قبيل ، أنه سمع أبا هبيرة الزيادى يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : أىّ شىء الغسَّاق ؟ قالوا : الله أعلم ، فقال عبد الله بن عمرو : هو القَيْح الغليظ ، لو أن قطرة منه تُهَراق فى المغرب ، لأنتنت أهل المشرق ، ولو تُهَراق فى المشرق لأنتنت أهل المغرب .

قال : يحيى بن عثمان ، قال أبى : ثنا ابن لَهيعة مرّة أخرى ، فقال : ثنا أبو قبيل ، عن عبد الله بن هبيرة ، ولم يذكر لنا أبا هبيرة .

حدثنا ابن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو يحيى عطية الكلاعىّ ، أن كعبا كان يقول : هل تدرون ما غَسَّاق ؟ قالوا : لا والله ، قال : عين فى جهنم يسيل إليها حُمَةُ كلّ ذات حُمَةٍ ، من حية أو عقرب أو غيرها ، فيستنقِـع فيؤْتَى بالآدمىّ ، فيغْمَس فيها غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، حتى يتعلّق جلده فى كعبيه وعقبيه ، وينجرّ لحمه كجرّ الرجل ثوبه .

وقال آخرون : هو البارد الذى لايُستطاع من برده .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن يحيى بن أبى زائدة ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد : وغسَّاق : قال : بارد لايُستطاع ، أو قال : برد لايُستطاع .

حدثنى علىّ بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : يقال : الغسَّاق : أبرد البرد . ويقول آخرون : لابل هو أنتن النتْن .

وقال آخرون : بل هو المُنْتِن .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب ، عن إبراهيم النكرى ، عن صالح بن حيان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، قال : الغسَّاق : المنتن ، وهو بالطُّخارية [١] .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِى الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أهْلَ الدُّنْيَا » .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو مايسيل من صديدهم ، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغُسُوق ، وإن كان للآخر وجه صحيح .

وقوله (وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة : (وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ) على التوحيد ، بمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع ، كما يقال : لك عذاب من فلان ضروب وأنواع . وقد يحتمل أن يكون مرادا بالأزواج ، الخبرُ عن الحميم والغسّاق ، وآخرُ من شكله ، وذلك ثلاثة ، فقيل أزواج ، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة . وقرأ ذلك بعضُ المكيين وبعضُ البصريين (وأُخَرُ) على الجماع ، وكأنّ من قرأ ذلك كذلك ، كان عنده لايصلح أن يكون الأزواج وهى جمع ، نعتا لواحد ، فلذلك جَمَع أُخَر ، لتكون الأزواج نعتا لها ، والعرب لاتمنع أن ينعَت الاسم إذا كان فعلا بالكثير والقليل والاثنين ، كما بيّنّا ، فتقول : عذاب فلان أنواع ، ونوعان مختلفان .

وأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها (وآخَرُ) على التوحيد ، وإن كانت الأخرى صحيحة ، لاستفاضة القراءة بها فى قرّاء الأمصار ، وإنما اخترنا التوحيد ، لأنه أصح مخرجا فى العربية ، وأنه فى التفسير بمعنى التوحيد . وقيل إنه الزَّمهرير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن مُرّة ، عن عبد الله : (وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ) قال : الزمهرير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عمن أخبره عن عبد الله ، بمثله ، إلا أنه قال : عذاب الزمهرير .

حدثنا محمد قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن مرّة الهمدانى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : هو الزمهرير .

حُدثت عن يحيى بن أبى زائدة ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : ذكر الله العذاب ، فذكر السلاسل والأغلال ، وما يكون فى الدنيا ، ثم قال (وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ) قال : وآخر لم يُرَ فى الدنيا .

(١) لعله يريد بالطخارية : المنسوبة إلى طخارستان ، بضم أوله ، وهو إقليم من بلاد العجم ، شرق جرجان . يريد أن لفظة « غساق » ليست عربية الأصل .

وأما قوله (مِنْ شَكْلِهِ) فإن معناه : من ضربه ونحوه ، يقول الرجل للرجل : ما أنت من شكلي ، بمعنى : ما أنت من ضربي . بفتح الشين . وأما الشِّكْل فإنه من المرأة : ما علّقَتْ مما تحسن به ، وهو الدَّلّ أيضا منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) يقول : من نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) من نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : من كلّ شكْلِ ذلك العذاب الذى سمّى الله ، أزواج لم يسمها الله ، قال : والشّكل : الشبيه .

وقوله (أَزْوَاجٌ) يعنى : ألوان وأنواع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : ألوان من العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَزْوَاجٌ) : زوج زوج من العذاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَزْوَاجٌ) قال : أزواج من العذاب فى النار .

وقوله (هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) : يعنى تعالى ذكره بقوله (هَذَا فَوْجٌ) : هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار ، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة ، لامرحبا بهم ، وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم ، للفوج المقتحِم فيها عليهم ، لامرحبا بهم ، ولكن الكلام اتصل ، فصار كأنه قول واحد ، كما قيل : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) فاتصل قول فرعون بقول ملائه ، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) .

ويعنى بقوله (لامَرْحَبا بِهِمْ) : لااتّسعت بهم مداخلُهم ، كما قال أبو الأسود :

لا مَرْحَبٌ وَادِيكَ غيرُ مُضَيَّقِ [١]

(١) هذا شطر بيت لأبى الأسود الدؤلى ، ذكره أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٢ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٥٩) قال عند قوله تعالى : « لامرحبا بهم » : تقول العرب للرجل : « لامرحبا بك » أى لارحبت عليك ، أى لا اتسعت . قال أبو الأسود : « لامرحب واديك غير مضيق » . ولم أجده فى ترجمته فى الأغانى ، ولا فى معجم ياقوت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ،) فى النار (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ . إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) . . . حتى بلغ : (فَبِئْسَ الْقَرَارُ) قال : هؤلاء التُّباع ، يقولون للرءوس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ . لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) قال : الفوج : القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج ، وقرأ : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التى كانت قبلها . وقوله (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) يقول : إنهم واردو النار وداخلوها . (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) يقول : قال الفوج الواردون جهنم ، على الطاغين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم لهم : بل أنتم أيها القوم لامرحبا بكم : أى لااتسعت بكم أماكنكم ، (أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) يعنون : أنتم قدمتم لنا سُكنى هذا المكان ، وصِلِىّ النار بإضلالكم إيانا ، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله ، وتكذيب رُسله ، حتى ضَلَلْنا باتباعكم ، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم ، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا فى الدنيا ، من عذاب الله لهم فى الآخرة . (فَبِئْسَ الْقَرَارُ) يقول : فبئس المكان يُسْتَقَرّ فيه جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى النَّارِ (٦١)

☼ وهذا أيضا قول الفوج المقتحم على الطاغين ، وهم كانوا أتباع الطاغين فى الدنيا ، يقول جلّ ثناؤه : وقال الأتباع : (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا) يعنون : من قدّم لهم فى الدنيا ، بدعائهم إلى العمل الذى يوجب لهم النار التى وردوها ، وسُكنى المنزل الذى سكنوه منها . ويعنون بقولهم (هَٰذَا) : العذاب الذى وردناه . (فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى النَّارِ) يقولون : فأضعف له العذاب فى النار على العذاب الذى هو فيه فيها ، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤)

☼ يقول تعالى ذكره : قال الطاغون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هذه الآيات ، وهم فيما ذُكر أبو جهل والوليد بن المُغيرة وذووهما : (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا) يقول : مابالنا لا نرى معنا فى النار رجالا (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) يقول : كنا نعدّهم فى الدنيا من أشرارنا ، وعَنَوا بذلك فيما ذُكر صُهَيْبا ، وخَبَّابا ، وبِلالا ، وسَلْمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن ليث ، عن مجاهد، فى قوله : (ما لَنَا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ) قال : ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة ، وذكر أناسا: صُهيبا ، وعَمَّارا ، وخبابا ، كنَّا نعدّهم من الأشرار فى الدنيا .

حدثنا أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد فى قوله (وَقَالُوا مالَنَا لانَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ) قال : قالوا : أين سَلْمان ؟ أين خَبَّاب ؟ أين بِلال .

وقوله (أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام وبعض قرّاء الكوفة (أَتَّخَذْناهُمْ) بفتح الألف من أتخذناهم ، وقطعها على وجه الاستفهام . وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة ، وبعض قرّاء مكة، بوصل الألف من الأشرار (اتَّخَذْناهُمْ) . وقد بيَّنا فيما مضى قبلُ ، أن كلَّ استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ ، فإن العرب تستفهم فيه أحيانا ، وتُخرجه على وجه الخبر أحيانا .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب: قراءة من قرأه بالوصل، على غير وجه الاستفهام، لتقدّم الاستفهام قبلَ ذلك فى قوله (مالَنَا لانَرَى رِجالاً كُنَّا) فيصير قوله (اتَّخَذْناهُمْ) بالخبر أولى ، وإن كان للاستفهام وجه مفهوم ، لما وصفتُ قبلُ ، من أنه بمعنى التعجب .

وإذ كان الصواب من القراءة فى ذلك ما اخترنا، لما وصفنا ، فمعنى الكلام: وقال الطاغون: مالنا لانرى سَلْمان وبِلالا وخبَّابا، الذين كنَّا نعدّهم فى الدنيا أشرارا، اتخذناهم فيها سُخريا، نهزأ بهم فيها معنا اليوم فى النار .

وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: من كسر السين من السِّخْرِيّ، فإنه يريد به الهُزْء، يريد: يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعله من السُّخْرة، يستسخرونهم: يستذِلُّونهم، أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (اتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) يقول : أهم فى النار ، لانعرف مكانهم ؟

وحُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (وَقَالُوا ما لَنَا لانَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ) قال: هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه، فانطُلِق به وبأصحابه إلى الجنة ، وذهب بهم إلى النار (فَقَالُوا ما لَنَا لانَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ اتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) يقولون : أزاغت أبصارنا عنهم ، فلا ندرى أين هم ؟

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا) قال : أخطأناهم (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) ولا نراهم ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا مَالَنَا لاَنَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ) قال : فقدوا أهل الجنة (أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا) فى الدنيا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) وهم معنا فى النار .

وقوله (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أخبرتكم أيها الناس ،من الخبر عن تراجع أهل النار ، ولعن بعضهم بعضا ، ودعاء بعضهم على بعض فى النار ،لحقّ يقين ، فلا تشكّوا فى ذلك ، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار . وقوله (تَخَاصُمُ) ردّ على قوله (لَحَقٌّ) . ومعنى الكلام : إن تخاصم أهل النار الذى أخبرتكم به لحقّ .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) إلى : بل زاغت عنهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) ، فقرأ (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ) ، وقرأ (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) . . . حتى بلغ (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) قال : إن كنتم تعبدوننا كما تقولون : إن كنا عن عبادتكم لغافلين ، ماكنا نسمع ولا نبصر ، قال : وهذه الأصنام ،قال : هذه خصومة أهل النار ، وقرأ : (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاكَانُوا يَفْتَرُونَ) قال : وضلّ عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ، وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ (٦٦)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد لمشركى قومك : (إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ) لكم يامعشر قريش ،بين يدى عذاب شديد ،أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحلّ بكم ،على كفركم به ، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ) يقول : وما من معبود تصلح له العبادة ، وتنبغى له الربوبية ، إلا الله الذى يدين له كلّ شيء ،ويعبدُه كلّ خلق ، الواحد الذى لاينبغى أنيكون له فى ملكه شريك ، ولا ينبغى أن تكون له صاحبة ، القهّار لكلّ ما دونه بقدرته .ربّ السموات والأرض ، يقول : مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق : يقول : فهذا الذى هذه صفته ، هو الإله الذى لاإله سواه ، لاالذى لايملك شيئا ، ولا يضرّ ، ولا ينفع . وقوله (العَزِيزُ الغَفَّارُ)

يقول : العزيز فى نقمته من أهل الكفر به ، المدّعين معه إلها غيره ، الغفّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، من كفره ومعاصيه ، فأناب إلى الإيمان به ، والطاعة له ، بالانتهاء إلى أمره ونهيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ نَبَؤٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد لقومك المكذّبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه : إن هذا إلا اختلاق، (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) يقول : هذا القرآن خبر عظيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل الأسدىّ ، قال : ثنا أبا أُسامة ، عن شبل بن عباد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) قال : القرآن .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح ، أن رجلا قال له : أتقضى علىّ بالنبأ ؟ قال : فقال له شريح : أَوَ لَيْسَ القرآن نبأ ؟ قال : وتلا هذه الآية : (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) قال : وقضى عليه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) قال : القرآن . وقوله (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) يقول : أنتم عنه منصرفون، لاتعملون به ، ولا تصدّقون بما فيه من حجج الله وآياته .

وقوله (ما كانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بالمَلإِ الأَعْلَى) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذْ يَخْتَصِمُونَ) فى شأن آدم من قبل أن يوحى إلىّ ربّى، فيعلمنى ذلك ، يقول : فى إخبارى لكم عن ذلك، دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله، وتنزيل من عنده ، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندى قبل نزول هذا القرآن ، ولا هو مما شاهدته فعاينته ، ولكنى علمت ذلك بإخبار الله إياى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما كانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بالمَلإِ الأَعْلَى إذْ يَخْتَصِمُونَ) قال : الملأ الأعلى : الملائكة حين شوورا فى خلق آدم ، فاختصموا فيه ، وقالوا : لاتجعل فى الأرض خليفة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ) : هو (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى) قال : هم الملائكة ، كانت خصومتهم فى شأن آدم حين قال ربك للملائكة : (إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) . . . حتى بلغ (سَاجِدِينَ) ، وحين قال : (إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) . . . حتى بلغ (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ، ففى هذا اختصم الملأ الأعلى .

وقوله (إِنْ يُوحَى إِلَىَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قريش : ما يوحى الله إلى علم مالا علم لى به ، من نحو العلم بالملأ الأعلى ، واختصامهم فى أمر آدم إذ أراد خلقه ، إلا لأنى إنما أنا نذير مبين ، « فإنما » على هذا التأويل : فى موضع خفض ، على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذى ذكرنا لا بد له من حرف خافض ، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته . وأما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض ، فإنه على مذهبه نصب ، وقد بيَّنا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر ، وهو أن يكون معناه : ما يوحى الله إلاَّ إنذاركم . وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت أنما فى موضع رفع ، لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى : ما يُوحَى إلىَّ إلاالإنذار .

قوله (إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : إلا أنى نذير لكم ، مُبين لكم إنذاره إياكم . وقيل : إلا أنما أنا ، ولم يقل : إلا أنما أنك ، والخبر من محمد عن الله ، لأن الوحىَ قول ، فصار فى معنى الحكاية ، كما يُقال فى الكلام : أخبرونى أنى مسىء ، وأخبرونى أنك مسىء ، بمعنى واحد ، كما قال الشاعر :

رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانَا ... أَنَّا رَأَيْنَا رَجُلاً عُرْيَانَا[1]

بمعنى : أخبرانا أنهما رأيا ، وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤)

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٢) قال : وقوله « إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين » : إن شئت جعلت « أنما » فى موضع رفع (نائب فاعل يوحى) كأنك قلت : ما يوحى إلى إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى : ما يوحى إلى لأنى نبى ونذير . فإذا ألقيت اللام كان موضع « إنما » نصبا ، ويكون فى هذا الموضع ما يوحى إلى إلا أنك نذير مبين ، لأن المعنى حكاية ، كما تقول فى الكلام : أخبرونى أنى مسىء ، وأخبرونى أنك مسىء . وهو كقوله : « رجلان من ضبة . . . البيت » . والمعنى : أخبرانا أنهما رأيا . فجاز ذلك ، لأن أصله الحكاية . اهـ .

۞ وقوله (إِذْ قالَ رَبُّكَ) من صلة قوله (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) ، وتأويل الكلام : ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك : يامحمد (للمَلائِكَةِ إِنِّى خالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) يعنى بذلك خلق آدم .

وقوله (فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحى) يقول تعالى ذكره : فإذا سوّيت خلقه ، وعدّلت صورته ، ونفخت فيه من روحى ، قيل : عُنِى بذلك : ونفخت فيه من قُدرتى .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى روق ، عن الضحاك (وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحى) قال : من قدرتى .

(فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ) يقول: فاسجدوا له وخرّوا له سُجّدا . وقوله (فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : فلما سوّى الله خلق ذلك البشر ، وهو آدم ، ونفخ فيه من روحه ، سجد له الملائكة كلهم أجمعون ، يعنى بذلك: الملائكة الذين هم فى السموات والأرض (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) يقول : غيرَ إبليس ، فإنه لم يسجد ، استكبر عن السجود له، تعظما وتكبرا (وَكانَ مِنَ الكافِرِينَ) يقول: وكان بتعظُّمه ذلك، وتكبره على ربه، ومعصيته أمره ، ممن كفر فى علم الله السابق، فجَحَد ربوبيته ، وأنكر ما عليه الإقرار له به ، من الإذعان له بالطاعة .

كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : قال أبو بكر فى (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الكافِرِينَ) قال قال ابن عباس : كان فى علم الله من الكافرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ: يَـٰٓإِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦)

۞ يقول تعالى ذكره : (قالَ) الله لإبليس ، إذ لم يسجد لآدم ، وخالف أمره : (يا إِبْلِيسُ مامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ) يقول : أىّ شىء منعك من السجود (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ) يقول : لخلق يدىّ ، يخبر تعالى ذكره بذلك ، أنه خلق آدم بيديه .

كما حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عُبيد المُكْتِب ، قال : سمعت مجاهدا يحدّث عن ابن عمر ، قال : خلق الله أربعة بيده : العرش ، وعَدْن ، والقلم ، وآدم ، ثم قال لكلّ شىء كن ، فكان .

وقوله (أَسْتَكْبَرْتَ ؟) يقول لإبليس : تعظّمت عن السجود لآدم ، فتركتَ السجود له استكبارا عليه ، ولم تكن من المتكبرّين العالين قبل ذلك ؟ (أَمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ ؟) يقول : أم كنتَ كذلك من قبل

ذا علوّ وتكبّر على ربك ؟ (قالَ أناخَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ) يقول جلّ ثناؤه : قال إبليس لربه : فعلت ذلك، فلم أسجد للذى أمرتنى بالسجود له ، لأنى خير منه ، وكنت خيراً ، لأنك خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ، والنار تأكل الطين وتُحرقه ، فالنار خير منه . يقول : لم أفعل ذلك استكبارا عليك ، ولا لأنى كنت من العالين ، ولكنى فعلته من أجل أنى أشرف منه ، وهذا تقريع من الله للمشركين ، الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأبَوا الانقياد له ، واتباع ما جاءهم به من عند الله ، استكبارا عن أن يكونوا تبعا لرجل منهم ، حين قالُوا (أأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا) ؟ (وَهَلْ هَذَا إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فقصّ عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه ، باستكباره عن السجود لآدم ، بدعواه أنه خير منه ، من أجل أنه خلق من نار ، وخلق آدم من طين ، حتى صار شيطانا رجيما ، وحقّت عليه من الله لعنته ، محذّرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد ، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله ، حسدا وتعظما من اللعن والسخط ، ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)

❊ يقول تعالى ذكره لإبليس : (فاخْرُجْ مِنْها) يعنى من الجنة (فإنَّكَ رَجِيمٌ) يقول : فإنك مرجوم بالقول ، مشتوم ملعون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاخْرُجْ مِنْها فإنَّكَ رَجِيمٌ) قال : والرجيم : اللعين .

حُدثت عن المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك بمثله .

وقوله (وَإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) يقول : وإن لك طردى من الجنة (إلى يَوْمِ الدِّينِ) يعنى : إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم (قال : رَبِّ فأنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبليس لربه : ربِّ فإذ لعنتنى ، وأخرجتنى من جنتك (فأنْظِرْنِي) يقول : فأخرنى فى الأجل ، ولا تهلكنى (إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : إلى يوم تَبْعَثُ خلقك من قبورهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)

❊ يقول تعالى ذكره : قال الله لإبليس : فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم ، وذلك الوقت الذى

جعله الله أجلا لهلاكه . وقد بيَّنت وقت ذلك فيما مضى ، على اختلاف أهل العلم فيه ، وقال : (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول تعالى ذكره : قال إبليس : فبعزّتك : أى بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : لأُضلنّ بنى آدم أجمعين (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يقول : إلا من أخلصته منهم لعبادتك ، وعصمته من إضلالى ، فلم تجعل لى عليه سبيلا ، فإنى لا أقدر على إضلاله وإغوائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : علِمَ عدوّ الله أنه ليست له عزّة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحقّ الأوّل ، ونصب الثانى . وفى رفع الحقّ الأوّل إذا قُرِئَ كذلك وجهان : أحدهما رفعه بضمير لله الحقّ ، أو أنا الحقّ ، وأقول الحقّ . والثانى : أن يكون مرفوعا بتأويل قوله (لَأَمْلَأَنَّ) فيكون معنى الكلام حينئذ : فالحقّ أن أملأ جهنم منك ، كما يقول : عزمة صادقة لآتينك ، فرفع عزمة بتأويل لآتينك ، لأن تأويله أن آتيك ، كما قال : (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ) فلا بدّ لقوله (بَدَا لَهُمْ) من مرفوع ، وهو مضمر فى المعنى . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين ، بنصب الحقّ الأوّل والثانى كليهما ، بمعنى : حقا لأملأن جهنم ، والحقّ أقول ، ثم أدخلت الألف واللام عليه ، وهو منصوب ، لأن دخولهما ـ إذا كان كذلك معنى الكلام ـ وخروجهما منه سواء ، كما سواء قولهم : حمدا لله ، والحمد لله عندهم إذا نصب . وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء ، بمعنى : الزموا الحقّ ، واتبعوا الحقّ . والأوّل أشبه ، لأنه خطاب من الله لإبليس ، بما هو فاعل به وبتُبّاعه .

✲ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاءة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لصحة معنييهما .

وأما الحقّ الثانى ، فلا اختلاف فى نصبه بين قرّاء الأمصار كلهم ، بمعنى : وأقول الحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) يقول الله : أنا الحقُّ ، والحقَّ أقول .

وحُدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فالحَقُّ والحَقَّ أقُولُ) يقول الله : الحقّ مني ، وأقول الحقّ .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن طلحة اليامي ، عن مجاهد ، أنه قرأها (فالحَقُّ) بالرفع (والحَقَّ أقُولُ) نصبا وقال : يقول الله : أنا الحقّ ، والحقّ أقول .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (الحَقُّ والحَقَّ أقُولُ) قال : قسم أقسم الله به .

وقوله (لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) يقول لإبليس : لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين . وقوله (قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد لمشركي قومك، القائلين لك (أأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا ؟): ما أسألكم على هذا الذكر ، وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله، أجرا ، يعني ثوابا وجزاء (وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ) يقول : وما أنا ممن يتكلف تخرُّصه وافتراءه ، فتقولون : (إنْ هَذَا إلا إفْكٌ افْتَرَاه) و (إنْ هَذَا إلا اخْتِلاقٌ) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ ،وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ) قال : لاأسألكم على القرآن أجرا تعطونى شيئا،وما أنا من المتكلفين : أتخرّص وأتكلف ما لم يأمرني الله به .

القول في تأويل قوله تعالى

إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٧٨) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين من قومك : (إنْ هُوَ) يعني : ما هذا القرآن (إلاَّ ذِكْرٌ) يقول : إلا تذكير من الله (لِلْعالَمِينَ) من الجنّ والإنس ، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة . وقوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) يقول: ولتعلمُنّ أيها المشركون بالله من قُرَيش نبأه ، يعني : نبأ هذا القرآن ، وهوخبره ، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد، بعد حين .

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ) قال : صدق هذا الحديث نبأ ما كذّبوا به . وقيل : نبأه حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه نبيّ .

ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع : ماهي ، وما نهايتها ؟ فقال بعضهم : نهايتها الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) : أى بعد الموت ، وقال الحسن : يا بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

وقال بعضهم : كانت نهايتها إلى يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) قال : يوم بدر .

وقال بعضهم : يوم القيامة . وقال بعضهم : نهايتها القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) قال: يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذّبوا به بعد حين من الدنيا ، وهو يوم القيامة . وقرأ (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : وهذا أيضا الآخرة يستقرّ فيها الحقّ ، ويبطُل الباطل .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذّبين بهذا القرآن، أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حدّ منه لذلك الحين بحدّ ، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته ، ووضوح صحته فى الدنيا ، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر ، وقبل ذلك ، ولا حدّ عند العرب للحين لا يُجاوَز ، ولا يقصُر عنه . فإذ كان ذلك كذلك ، فلا قول فيه أصحّ من أن يُطْلَق كما أطلقه الله، من غير حصر ذلك على وقت دون وقت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال : ثنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سُئِلْتُ عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حينا لا يُدرك ، ومن الحين حينٌ يُدرك فالحين الذى لا يُدرك قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)، والحين الذى يُدرك قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِع ، وذلك ستة أشهر .

آخر تفسير سورة صٓ

تفسير سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله عز وجل

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

❁ يقول تعالى ذكره : (تَنْزِيلُ الكِتابِ) الذى نزّلناه عليك يامحمد (مِنَ اللهِ العَزِيزِ) فى انتقامه من أعدائه (الحَكِيمِ) فى تدبيره خلقه ، لامن غيره ، فلا تكوننّ فى شكّ من ذلك ، ورفع قوله (تَنْزِيلُ) بقوله (مِنَ اللهِ) . وتأويل الكلام : من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب . وجائز رفعه بإضمار هذا ، كما قيل (سُورَةٌ أَنْزَلْناها) غير أن الرفع فى قوله (تَنْزِيلُ الكِتابِ) بما بعده ، أحسن من رفع سورة بما بعدها ، لأن تنزيل ، وإن كان فعلا ، فانه إلى المعرفة أقرب ، إذ كان مضافا إلى معرفة ، فحسن رفعه بما بعده ، وليس ذلك بالحسن فى « سُورَةٌ » ، لأنه نكرة .

وقوله (إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بالحَقِّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا أنزلنا إليك يامحمد الكتاب ، يعنى بالكتاب : القرآن ، بالحقّ ، يعنى بالعدل : يقول : أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحقّ والعدل ، ومن ذلك الحقّ والعدل : أن تعبد الله مخلصا له الدين ، لأن الدين له ، لاللأوثان التى لاتملك ضرّا ولا نفعا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (الكِتابَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بالحَقِّ) يعنى : القرآن .

وقوله (فاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره : فاخشع لله يامحمد بالطاعة ، وأخلص له الألوهة ، وأفرده بالعبادة ، ولا تجعل له فى عبادتك إياه شريكا ، كما فعلَتْ عبَدة الأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب ، وفى صحيفته أمثال الجبال من الحسنات ، فيقول ربّ العزّة جلّ وعزّ : صلّيت يوم كذا وكذا ، ليقال :

صلّى فلان أنا الله لاإله إلا أنا ، لى الدين الخالص . صمتَ يوم كذا وكذا ، ليقال : صام فلان ، أنا الله لاإله إلا أنا ، لى الدين الخالص ، تصدّقت يوم كذا وكذا ، ليقال : تصدّق فلان ، أنا الله لاإله إلا أنا ، لى الدين الخالص ، فما يزال يمحوشيئا بعد شىء ، حتى تبقى صحيفته ما فيها شىء ، فيقول ملكاه : يافلان ، ألغير الله كنت تعمل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما قوله (مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) فالتوحيد ، والدين منصوب بوقوع مخلصا عليه .

وقوله (أَلا لِلهِ الدِّينُ الخَالِصُ) يقول تعالى ذكره : ألا لله العبادة والطاعة وحده ، لا شريك له ، خالصة ، لاشرك لأحد معه فيها ، فلا ينبغى ذلك لأحد ، لأن كل مادونه ملكه ، وعلى المملوك طاعة مالكه ، لامن لايملك منه شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلا لِلهِ الدِّينُ الخَالِصُ) شهادة أن لاإله إلا الله .

وقوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) يقول تعالى ذكره : والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولّونهم ، ويعبدونهم من دون الله ، يقولون لهم : مانعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى : قربة ومنزلة ، وتشفعوا لنا عنده فى حاجاتنا ، وهى فيما ذُكر فى قراءة أُبَىّ (ما نَعْبُدُكُمْ) ، وفى قراءة عبد الله (قالُوا ما نَعْبُدُهُمْ) وإنما حسُن ذلك ، لأن الحكاية إذا كانت بالقول ، مضمرا كان أو ظاهرا ، جعل الغائب أحيانا كالمخاطب ، ويترك أخرى كالغائب ، وقد بيّنت ذلك فى موضعه فيما مضى .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : هى فى قراءة عبد الله (قالُوا ما نَعْبُدُهُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) قال : قريش تقوله للأوثان ، ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعُزَير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) قالوا : ما نعبد هؤلاء إلا ليقرّبونا ، إلا ليشفعوا لنا عند الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) قال : هى منزلة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) ٧ .

وقوله (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكُوا) يقول سبحانه : لوشئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) قال: قالوا: هم شفعاؤنا عند الله، وهم الذين يقرّبوننا إلى الله زلفى يوم القيامة، للأوثان، والزلفى: القُرَب .

وقوله (إنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا فى الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة ، فيما هم فيه يختلفون فى الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها ، بأن يُصْلِيَهم جميعا جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ، سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٤)

❁ يقول تعالى ذكره (إنَّ اللهَ لا يَهْدِى) إلى الحقّ ودينه الإسلام ، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له (مَنْ هُوَ كاذِبٌ) مفتر على الله ، يتقوّل عليه الباطل ، ويضيف إليه ما ليس من صفته ، ويزعم أن له ولدا افتراءً عليه كفار لنعمه ، جحود لربوبيته . وقوله (لَوْ أرادَ اللهُ أنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول تعالى ذكره : لو شاء الله اتخاذ ولد ، ولا ينبغى له ذلك ، لاصطفى مما يخلق ما يشاء ، يقول : لاختار من خلقه ما يشاء . وقوله (سُبْحانَهُ هُوَ اللهُ الواحِدُ القَهَّارُ) يقول : تنزيها لله عن أن يكون له ولد ، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم (هُوَ اللهُ) يقول: هو الذى يَعْبُده كلّ شىء ، ولو كان له ولد لم يكن له عبدا ، يقول : فالأشياء كلها له ملك ، فأنّى يكون له ولد، وهو الواحد الذى لاشريك له فى مُلكه وسلطانه ، والقهار لخلقه بقدرته ، فكل شىء له متذلّل ، ومن سطوته خاشع .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ، يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ، وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ (٥)

❁ يقول تعالى ذكره واصفا نفسه بصفتها: (خَلَقَ السَّمَواتِ والأرْضَ بالحَقِّ، يُكَوِّرُ اللَّيْلَ على النَّهارِ،

وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ) يقول : يغشى هذا على هذا ، وهذا على هذا ، كما قال (يُولِجُ اللَّيْلَ فى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ ، وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ) يقول : يَحْمِل الليل على النهار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ على النَّهارِ) قال : يُدَهْوِره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ على النَّهارِ ، وَيُكَوِّرُ النَّهارَ على اللَّيْلِ) قال : يغشى هذا هذا ، ويَغْشَى هذا هذا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ ويُكَوِّرُ النَّهارَ على اللَّيْلِ) قال : يجىء بالنهار ، ويذهب بالليل ، ويجىء بالليل ، ويذهب بالنهار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ ، ويُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ) حين يذهب بالليل ، ويكوّر النهار عليه ويذهب بالنهار ، ويكوّر الليل عليه .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لعباده ، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب ، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم (كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى) يقول : (كُلٌّ) ذلك يعنى الشمس والقمر (يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى) يعنى إلى قيام الساعة ، وذلك إلى أن تكوّر الشمس ، وتنكدر النجوم . وقيل : معنى ذلك : أن لكل واحد منهما منازل لاتعدوه ، ولا تقصر دونه . (ألا هُوَ العَزِيزُ الغَفَّارُ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الله الذى فعل هذه الأفعال ، وأنعم على خلقه هذه النعم ، هو العزيز فى انتقامه ممن عاداه ، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها ، بعفوه لهم عنها .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ، ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦)

❁ يقول تعالى ذكره : (خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعنى من آدم (ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها) يقول : ثم جعل من آدم زوجه حوّاء ، وذلك أن الله خلقها من ضِلَع من أضلاعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني آدم ، ثم خلق منها زوجها حوّاء ، خلقها من ضِلَع من أضلاعه .

فإن قال قائل : وكيف قيل : خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ؟ وإنما خلق ولد آدم من آدم وزوجته ، ولا شكّ أن الوالدين قبل الولد ، فإن في ذلك أقوالا : أحدها أن يقال : قيل ذلك لأنه رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ ، فأخْرَجَ كُلَّ نَسَمَةٍ هِيَ كائِنَةٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، ثُمَّ أسْكَنَهُ بَعْدَ ذلكَ الجَنَّةَ ، وَخَلَقَ بَعْدَ ذلكَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أضْلاعِهِ » فهذا قول . والآخر : أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين ، فيردّ الأول منهما في المعنى بثم ، إذا كان من خبر المتكلم ، كما يقال : قد بلغني ما كان منك اليوم ، ثم ما كان منك أمس أعجب ، فذلك نسق من خبر المتكلم . والوجه الآخر : أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدها ، كأنه قيل : خلقكم من نفس وحدها ، ثم جعل منها زوجها ، فيكون في واحدة معنى : خلقها وحدها ، كما قال الراجز :

أعْدَدْتُهُ لِلْخَصْمِ ذِي التَّعَدِّي كَوَّحْتُهُ مِنْكَ بِدُونِ الجَهْدِ[1]

بمعنى : الذي إذا تعدّى كوّحته ، ومعنى : كوّحته : غلبته .

والقول الذي يقوله أهل العلم أولى بالصواب ، وهو القول الأول الذي ذكرت أنه يقال : إن الله أخرج ذرّية آدم من صلبه قبل أن يخلق حوّاء ، وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية .

وقوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ) يقول تعالى ذكره : وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين ، ومن البقر زوجين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، كما قال جلّ ثناؤه (ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ) .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ الأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ) قال : من الإبل والبقر والضأن والمعز .

---

(١) البيتان من الرجز أنشدهما صاحب اللسان في « كوح » شاهدا على أن كوحه بمعنى رده . وقال الأزهري : التكويح التغليب ، وأنشد أبو عمرو : « أعددته للخصم . . . البيت » . وهو أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٣) . قال : في تفسير قوله تعالى « خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها » . يقول القائل : كيف قال : « خلقكم » لبني آدم ، ثم قال : « ثم جعل منها زوجها » ، والزوج : مخلوق قبل الولد ؟ ففي ذلك وجهان من العربية . أحدهما : أن العرب إذا خبرت عن رجل بفعلين ردوا الآخر بثم ، إذا كان هو الآخر في المعنى . وربما جعلوا « ثم » فيما معناه التقديم . ويجعلون « ثم » من خبر المتكلم . من ذلك أن تقول : قد بلغني ما صنعت يومك هذا ، ثم ما صنعت أمس أعجب ، فهذا نسق من خبر المتكلم . وتقول : قد أعطيتك اليوم شيئا ، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر . فهذا من ذلك . والوجه الآخر أن تجعل خلقة الزوج مردودا على واحدة ، كأنه قال : خلقكم من نفس وحدها ، ثم جعل منها زوجها ، فني « واحدة » معنى خلقها واحد . قال : أنشدني بعض العرب : أعددته للخصم . . . البيت . ومعناه : الذي إذا تعدى كوحته . وكوحته : غلبته . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) : من الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، من كل واحد زوج .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) : يعنى من المَعْز اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الإبل اثنين .

وقوله (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) يقول تعالى ذكره : يبتدئ خلقكم أيها الناس فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ، وذلك أنه يُحْدث فيها نطفة ، ثم يجعلها علقة ، ثم مُضْغة ، ثم عظاما ، ثم يكسو العظام لحما ، ثم يُنْشئه خلقا آخر ، تبارك الله وتعالى ، فذلك خَلْقه إياه خلقا بعد خلق .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : نُطفة ، ثم عَلَقة ، ثم مضغة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : نطفة ، ثم ما يتبعها ، حتى تمّ خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) نطفة ، ثم علقة ، ثم مُضْغة ، ثم عظاما ، ثم لحما ، ثم أنبت الشعر ، أطوار الخلق .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : يعنى يخلق بعد الخلق ، علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : يكونون نُطَفا ، ثم يكونون عَلَقا ، ثم يكونون مُضَغا ، ثم يكونون عظاما ، ثم ينفخ فيهم الروح .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) خَلْق نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يخلقكم فى بطون أمهاتكم من بعد خَلْقه إياكم فى ظهر آدم ، قالوا : فذلك هو الخلق من بعد الخلق :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : خَلْقا فى البطون ، من بعد الخلق الأوّل الذى خلقهم فى ظهر آدم .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : القول الذى قاله عكرمة ومجاهد، ومن قال فى ذلك مثل قولهما ، لأن الله جلّ وعزّ أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق فى بطون أمهاتنا فى ظلمات ثلاث ، ولم يخبر أنه يخلقنا فى بطون أمهاتنا من بعد خلقنا فى ظهر آدم ، وذلك نحو قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) . . . الآية .

وقوله (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) يعنى : فى ظلمة البطْن ، وظلمة الرَّحِم ، وظُلْمة المَشِيمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (فى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) قال : الظلمات الثلاث : البطن ، والرحم ، والمَشِيمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (فى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) قال : البطن ، والمشيمة ، والرحم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) قال : يعنى بالظلمات الثلاث : بطن أمه ، والرحم ، والمَشِيمة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) قال : البطن ، والرحم والمَشِيمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) المَشِيمة، والرحم، والبطن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) قال : ظلمات المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) قال : المشيمة فى الرحم ، والرحم فى البطن .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) : الرحم ، والمَشِيمة ، والبطن ، والمَشِيمة : التى تكون على الولد إذا خرج ، وهى من الدوابّ السَّلَى .

وقوله (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم ، لامن لايجلُب لنفسه نفعا ، ولا يدفع عنها ضُرًّا ، ولا يسوق إليكم خيرا ، ولا يدفع عنكم سوءا ، من أوثانكم وآلهتكم .

وقوله (لَهُ المُلْكُ) يقول جلّ وعزّ : لربكم أيها الناس الذى صفته ما وصف لكم ، وقُدرته ما بين

لكم المُلك مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره ؛ فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهم شيئاً دون شيء ، فإنما له خاصٌّ من المُلك . وأما المُلك التامّ الذى هو المُلك بالإطلاق ، فلله الواحد القهار .

وقوله (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : لا ينبغى أن يكون معبود سواه ، ولا تصلح العبادة إلا له (فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم ، الذى هذه الصفة صفته ، إلى عبادة من لا ضرّ عنده لكم ، ولا نفع ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ؟) قال : كقوله : (تُؤْفَكُونَ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ؟) قال للمشركين : أنّى تصرف عقولكم عن هذا ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) فقال بعضهم : ذلك لخاصٍّ من الناس ، ومعناه : إن تكفروا أيها المشركون بالله ، فإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) يعنى الكفار الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم ، فيقولوا : لا إله إلا الله ، ثم قال : (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وهم عباده المخلصون الذين قال : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله ، وحبّبها إليهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) قال : لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا .

وقال آخرون : بل ذلك عامٌّ لجميع الناس ، ومعناه : أيها الناس إن تكفروا ، فإن الله غنىٌّ عنكم ، ولا يرضى لكم أن تكفروا به ؛

والصواب من القول فى ذلك ما قال الله جلّ وعزّ : إن تكفروا بالله أيها الكفار به ، فإن الله غنىٌّ عن إيمانكم وعبادتكم إياه ، ولا يرضى لعباده الكفر ؛ بمعنى : ولا يرضى لعباده أن يكفروا به ، كما يقال : لست أحبّ الظلم وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب .

وقوله (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) يقول : وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه ، يرض شكركم له ، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه ، فكنى عن الشكر ولم يُذْكَر ، وإنما ذكر الفعل الدالّ عليه ، وذلك نظير قوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا) بمعنى : فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) قال : إن تطيعوا يرضه لكم .

وقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول : لاتأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها ، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها . يُعْلِم عزّ وجلّ عباده أن على كلّ نفس ما جنت ، وأنها لاتؤاخذ بذنب غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) قال : لايؤخذ أحد بذنب أحد .

وقوله (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : ثم بعد اجتراحكم فى الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ ، وإيمان وكفر أيها الناس ، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم ، فينبئكم : يقول : فيخبركم بما كنتم فى الدنيا تعملونه من خير وشرّ ، فيجازيكم على كلّ ذلك جزاءكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بما يستحقه ، يقول عزّ وجلّ لعباده : فاتقوا أن تلقَوْا ربكم وقد عملتم فى الدنيا بما لايرضاه منكم فتهلكوا ، فإنه لايخفى عليه عمل عامل منكم .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله لايخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لاتُدركه أعينكم ، فكيف بما أدركته العيون ، ورأته الأبصار ؟ وإنما يعنى جلّ وعزّ بذلك ، الخبر عن أنه لايخفى عليه شىء ، وأنه مُحصٍ على عباده أعمالهم ، ليجازيهم بها ، كى يتقوه فى سرّ أمورهم وعلانيتها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ : تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) ﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا مسّ الإنسان بَلاء فى جسده من مرض ، أو عاهة ، أو شدّة فى معيشته ، وجهد وضيق (دَعا رَبَّهُ) يقول : استغاث بربه الذى خلقه من شدّة ذلك ، ورغب إليه فى كشف ما نزل به من شدّة ذلك . وقوله (مُنِيباً إليْهِ) يقول: تائبا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به ، وإشراك الآلهة والأوثان به فى عبادته ، راجعا إلى طاعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذَا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ) قال : الوجع والبلاء والشدّة ، (دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إليْهِ) قال : مستغيثا به .

وقوله (ثُمَّ إذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ) يقول تعالى ذكره : ثم إذا منحه ربه نعمة منه ، يعنى عافية ، فكشف عنه ضرّه ، وأبدله بالسقم صحة ، وبالشدة رخاء . والعرب تقول لكلّ من أعطى غيره من مال أو غيره : قد خوّله ؛ ومنه قول أبى النجْم العِجْلِىّ :

أعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلْ كُومَ الذُّرَا مِنْ خَوَلِ المُخَوَّلِ[١]

وحُدثت عن أبى عُبيدة معمر بن المثنى أنه قال : سمعت أبا عمرو يقول فى بيت زُهَيْر :

هُنالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخْوِلوا وإنْ يُسْئَلُوا يُعْطُوا وَإنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا[٢]

قال معمر : قال يونس : إنما سمعناه :

هُنالكَ إنْ يُسْتَخْبَلُوا المَالَ يُخْبِلوا[٣]

قال : وهى بمعناها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ إذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ) : إذا أصابته عافية أو خير .

---

(١) البيت لأبى النجم العجلى الراجز المشهور (اللسان : خول) . وهو يمدح إنسانا أنه أعطى من سأله النوق السمينة العالية السنام ، والذرا : جمع ذروة ، وهو أعلى الشىء . وهى مما خوله الله ومنحه ، وكان عطاؤه كثيرا ، فلم يبخل به ، ولم ينسبه أحد إلى البخل . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٦) ، عند قوله تعالى : « ثم إذا خوله نعمة منه » : كل مال لك ، وكل شىء أعطيته فقد خولته ؛ قال أبو النجم : « أعطى فلم يبخل . . . . البيت » .

(٢) البيت لزهير بن أبى سلمى المزنى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ص ٢٣٩) والرواية فيه « يستخبلوا » فى موضع يستخولوا قال فى اللسان : والاستخوال أيضا مثل الاستخبال ، من أخبله المال : إذا أعرته ناقة ، لينتفع بألبانها وأوبارها ، أو فرسا يغزو عليه . ومنه قول زهير : « هنالك إن يستخولوا المال . . . البيت . ومعنى ييسروا : يقامروا . ويغلوا : يختاروا سمان الإبل بالثمن الغالى ، ويقامروا عليها . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (٢١٦) ب قال : وسمعت أبا عمرو يقول فى بيت زهير « هنالك . . . الخ » : قال يونس : إنما سمعناه : « هنالك إن يستخبلوا المال . أى يخبلوا ، وهو بمعناها .

(٣) تقدم الكلام على رواية هذا الشطر من بيت زهير بن أبى سلمى ، فى الشاهد الذى قبله .

وقوله (نَسِيَ ما كانَ يَدْعُو إلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) يقول : ترك دعاءه الذى كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرّ (وَجَعَلَ للهِ أنْدادًا) يعنى : شركاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (نَسِيَ) يقول : ترك ، هذا فى الكافر خاصة .

و « لما » التى فى قوله (نَسِيَ ما كانَ) وجهان : أحدهما : أن يكون بمعنى الذى ، ويكون معنى الكلام حينئذ : ترك الذى كان يدعوه فى حال الضرّ الذى كان به ، يعنى به الله تعالى ذكره ، فتكون « ما » موضوعة عند ذلك موضع « مَنْ » كما قيل : (وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ) يعنى به الله ، وكما قيل : (فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ). والثانى أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت ، وإذا كانت بمعنى المصدر ، كان فى الهاء التى فى قوله(إلَيْهِ) وجهان : أحدهما : أن يكون من ذكر «ما». والآخر: من ذكر الربّ .

وقوله (وَجَعَلَ للهِ أنْدادًا) يقول : وجعل لله أمثالا وأشباها .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى جعلوها فيه : له أندادا ، قال بعضهم : جعلوها له أندادا فى طاعتهم إياه ، فى معاصى الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلَ للهِ أنْدادًا) قال : الأنداد من الرجال : يطيعونهم فى معاصى الله .

وقال آخرون : عنى بذلك أنه عبد الأوثان ، فجعلها لله أندادا فى عبادتهم إياها .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِيَ به أنه أطاع الشيطان فى عبادة الأوثان ، فجعل له الأوثان أندادا ، لأن ذلك فى سياق عتاب الله إياهم على عبادتها .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول : ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده ، والإقرار به ، والدخول فى الإسلام . وقوله (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لفاعل ذلك : تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفى أجلك ، فتأتيك منيتك (إنَّكَ مِنْ أصْحابِ النَّارِ) : أى إنك من أهل النار الماكثين فيها .

وقوله (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) : وعيد من الله وتهدّد .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ، قُلْ : هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٩)

۞ اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَمَّنْ) ، فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين : (أَمَنْ) ، بتخفيف الميم ، ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان : أحدهما أن يكون الألف فى « أمَن » بمعنى الدعاء ، يراد بها : يا من هو قانت آناء الليل ، والعرب تنادى بالألف كما تنادى بيا ، فتقول : أزيد أقبل ، ويا زيد أقبل ؛ ومنه قول أوس بن حجر :

أَبَنِى لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ إلاَّ يَداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[1]

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام : قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا ، إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ، إنك من أهل الجنة ، ويكون فى النار عمى للفريق الكافر عند الله من الجزاء فى الآخرة ، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن ، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما فى الدنيا ، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه ، أن الآخر من أصحاب الجنة ، فحذف الخبر عما له ، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره ، إذ كان قد دلّ على المحذوف بالمذكور . والثانى : أن تكون الألف التى فى قوله (أمَنْ) ألف استفهام ، فيكون معنى الكلام : أهذا كالذى جعل لله أندادا ليضلّ عن سبيله ، ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه ، إذ كان مفهوما المراد بالكلام ، كما قال الشاعر :

فَأُقْسِمُ لَوْ شَىْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعاً[2]

فحذف لدفعناه وهو مراد فى الكلام إذ كان مفهوما عند السامع مراده . وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة : (أمَّنْ) بتشديد الميم ، بمعنى : أم من هو ؟ ويقولون : إنما هى (أمَّنْ) استفهام اعترض فى الكلام بعد كلام قد مضى ، فجاء بأم ، فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر ، وما أُعدّ له فى الآخرة ، ثم أُتبع الخبر عن فريق الإيمان ، فعُلم بذلك المراد ، فاستغنى بمعرفة السامع بمعناه من ذكره ، إذ كان معقولا أن معناه : هذا أفضل أم هذا ؟

---

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت فى الجزء (١٤ : ١١٠) وشرحناه شرحا مفصلا ، فراجعه ثمة . والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٤) وموضع الاستشهاد به فى هذا الموضع : أن العرب تنادى بالهمزة ، كما تنادى بيا . قال الفراء : عند قوله تعالى « أم من هو قانت آناء الليل » قرأها يحيى بن وثاب بالتخفيف . وذكر ذلك عن نافع وحمزة ، وفسروها : يريد : يامن هو قانت ، وهو وجه حسن . العرب تدعو بألف كما يدعون بيا ، فيقولون : يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل ؛ قال الشاعر : « أبنى لبينى . . . البيت » . وقال آخر : « أضمر بن ضمرة . . . البيت » . وهو كثير فى الشعر ، فيكون المعنى مردودا بالدعاء ، كالمنسوق ، لأنه ذكر الناسى الكافر ، ثم قص قصة الصالح بالنداء ، كما تقول فى الكلام : فلان لايصلى ولايصوم ، فيامن يصلى ويصوم أبشر . فهذا هو معناه . وقد تكون الألف استفهاما ، بتأويل أم ، لأن العرب قد تضع « أم » فى موضع الألف ، إذا سبقها كلام ، وقد وصفت من ذلك ما يكتفى به ، فيكون المعنى : أمن هو قانت ؟ كالأول الذى ذكر بالنسيان والكفر . ومن قرأها بالتشديد ، فإنه يريد معنى الألف ، وهو الوجه : أن تجعل « أم » إذا كانت مردودة على معنى قد سبق ، قلتها بأم . وقد قرأها الحسن وعاصم وأبو جعفر المدنى ، يريدون : « أم من هو » . فقد تبين فى الكلام أنه مضمر قد جرى معناه فى أول الكلمة ، إذ ذكر الضال ، ثم ذكر المهتدى بالاستفهام ، فهو دليل على أنه يريد : أهذا مثل هذا ؟ أو أهذا أفضل ؟ ومن لم يعرف مذاهب العرب ، ويتبين له المعنى فى هذا وشبهه ، لم يكتف ولم يشتف . اهـ .

(٢) تقدم الاستشهاد بالبيت ، وشرحناه مفصلا فى الجزء (١٢ : ١٨) فراجعه ثمة . وقد أورده الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٤) بعقب كلامه الذى نقلناه عنه فى الشاهد السابق على هذا ، قال : ألا ترى قول الشاعر « فأقسم لو شىء أتانا رسوله . . . . البيت » أن معناه : لو أتانا رسول غيرك لدفعناه ، فعلم المعنى ولم يظهر . وجرى قوله « أفمن شرح الله صدره للإسلام » على مثل هذا .

والقول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان ، قرأ بكل واحدة علماء من القرّاء ، مع صحة كلّ واحدة منهما فى التأويل والإعراب ، فبأيّتهما قرأ القارئُ فمصيب .

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين ، والصوابَ من القول عندنا فيما مضى قبلُ ، فى معنى القانت ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل فى ذلك فى هذا الموضع ، ليعلم الناظر فى الكتاب اتفاق معنى ذلك فى هذا الموضع وغيره ، فكان بعضهم يقول : هو فى هذا الموضع قراءة القارئ قائما فى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى ، عن عبيد الله ، أنه قال : أخبرنى نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان إذا سئل عن القنوت ، قال : لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام ، وقرأ (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) .

وقال آخرون : هو الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ) يعنى بالقنوت : الطاعة ، وذلك أنه قال : (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) . . . إلى (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) قال : مطيعون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) قال : القانت : المطيع .

وقوله (آنَاءَ اللَّيْلِ) يعنى : ساعات الليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ) أوّله ، وأوسطه ، وآخره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (آنَاءَ اللَّيْلِ) قال : ساعات الليل . وقد مضى بياننا عن معنى الآناء بشواهده ، وحكايةُ أقوال أهل التأويل فيها ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (سَاجِدًا وَقَائِمًا) يقول : يقنت ساجدا أحيانا ، وأحيانا قائما ، يعنى : يطيع ، والقنوت عندنا : الطاعة ، ولذلك نصب قوله (سَاجِدًا وَقَائِمًا) لأن معناه : أمَّن هو يقنت آناء الليل ساجدا طورا ، وقائما طورا ، فهما حال من قانت .

وقوله (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) يقول : يحذر عذاب الآخرة . كما حدثنا علىّ بن الحسن الأزدىّ . قال : ثنا يحيى ابن اليمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) قال : يحذر عقاب الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، يقولَ : ويرجو أن يرحمه الله ، فيدخله الجنة .

وقوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لايَعْلَمُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لقومك : هل يستوى الذين يعلمون مالهم فى طاعتهم لربهم من الثواب ، وما عليهم فى معصيتهم إياه من التبعات ، والذين لايعلمون ذلك ، فهم يخبطون فى عشواء ، لايرجون بحسن أعمالهم خيرا ، ولا يخافون بسيئها شرًا ؟ يقول : ما هذان بمتساويين .

وقد رُوى عن أبى جعفر محمد بن علىّ فى ذلك ما حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنى نصر بن مُزَاحم ، قال : ثنا سفيان الجَرِيرىّ ، عن سعيد بن أبى مجاهد ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، رضوان الله عليه (هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لايَعْلَمُونَ) قال : نحن الذين يعلمون ، وعدوّنا الذين لايعلمون .

وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره : إنما يعتبر حجج الله ، فيتعظ ، ويتفكر فيها ، ويتدبرها أهل العقول والحجا ، لاأهل الجهل والنقص فى العقول .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد لعبادى الذين آمنوا : (يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ، وصدّقوا رسوله (اتَّقُوا رَبَّكُمْ بطاعته ، واجتناب معاصيه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : للذين أطاعوا الله حسنة فى هذه الدنيا ، وقال : « فى » : من صلة حسنة ، وجعل معنى الحسنة : الصحة والعافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) قال : العافية والصحة .

وقال آخرون « فى » من صلة أحسنوا ، ومعنى الحسنة : الجنة .

وقوله (وأَرْضُ اللهُ وَاسِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : وأرض الله فسيحة واسعة ، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ) فهاجروا واعتزلوا الأوثان .

وقوله (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ) يقول تعالى ذكره : إنما يعطى الله أهل الصبر على ما لقُوا فيه فى الدنيا ، أجرهم فى الآخرة بغير حساب : يقول : ثوابهم بغير حساب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) : لاوالله ما هناكُم مِكيال ولا ميزان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : فى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ : إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك : إن الله أمرنى أن أعبده مُفْرِدا له الطاعة ، دون كلّ ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) : يقول : وأمرنى ربى جلّ ثناؤه بذلك ، لأن أكون بفعل ذلك أوّل من أسلم منكم ، فخضع له بالتوحيد ، وأخلص له العبادة ، وبرئ من كلّ مادونه من الآلهة . وقوله تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم إنى أخاف إن عصيت ربى ، فيما أمرنى به من عبادته ، مخلصا له الطاعة ، ومفرده بالربوبية . (عذابَ يومٍ عَظِيم) : يعنى عذاب يوم القيامة ، وذلك هو اليوم الذى يعظم هولُه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ، قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ، أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك : الله أعبد مخلصا ، مفردا له طاعتى وعبادتى ، لاأجعل له فى ذلك شريكا ، ولكنى أفرده بالألوهة ، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة ، فاعبدوا أنتم أيها القوم ، ما شئتم من الأوثان والأصنام وغيرَ ذلك ، مما تعبدون من سائر خلقه ، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم .

وقوله (قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهم : إن الهالكين الذين غَبَنوا أنفسهم ، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم ، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل ، وقد كان لهم فى الدنيا أهلون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : هم الكفار الذين خلقهم الله للنار ، وخلق النار لهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وحرّمت عليهم الجنة ، قال الله : (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : هؤلاء أهل النار ، خسروا أنفسهم فى الدنيا ، وخسروا الأهلين ، فلم يجدوا فى النار أهلا ، وقد كان لهم فى الدنيا أهل .

حُدثت عن ابن أبى زائدة ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : غَبَنُوا أنفسهم وأهليهم ، قال : يخسرون أهليهم ، فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم ، ويخسّرون أنفسهم ، فيهلكون فى النار ، فيموتون وهم أحياء ، فيخسرونهما .

وقوله (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) يقول تعالى ذكره : ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، وذلك هلاكها هو الخسران المبين ، يقول تعالى ذكره : هو الهلاك الذى يُبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ، ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ (١٦) وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ، لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ، أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٨)

❊ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة فى جهنم (مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) يقول : ومن تحتهم من النار ما يعلوهم ، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا ، وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه : (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد .

وقوله (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ، يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتكم أيها الناس به ، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب ، تخويف من ربكم لكم ، يخوّفكم به لتحذروه ، فتجتنبوا معاصيه ، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به ، وتصديق رسوله ، واتباع أمره ونهيه ، فتنجوا من عذابه فى الآخرة . (فَاتَّقُونِ) يقول : فاتقون بأداء فرائضى عليكم ، واجتناب معاصىّ ، لتنجوا من عذابى وسخطى .

وقوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) : أى اجتنبوا عبادة كلّ ما عُبد من دون الله من شىء . وقد بيَّنا معنى الطاغوت فيما مضى قبلُ بشواهد ذلك، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وذكرنا أنه فى هذا الموضع : الشيطان ، وهو فى هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا .

ذكر من قال ماذكرنا فى هذا الموضع

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) قال : الشيطان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها) قال : الشيطان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها) قال : الشيطان هو هاهنا واحد وهى جماعة ، والطاغوت على قول ابن زيد هذا : واحد مؤنث ، ولذلك قيل : أن يعبدوها . وقيل : إنما أُنثت لأنها فى معنى جماعة .

وقوله (وأنابُوا إلى اللهِ) يقول : وتابوا إلى الله ، ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده ، والعمل بطاعته ، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنابُوا إلى اللهِ) : وأقبلوا إلى الله.

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وأنابُوا إلى اللهِ) قال : أجابوا إليه .

وقوله (لَهُمُ البُشْرَى) يقول : لهم البشرى فى الدنيا بالجنة فى الآخرة : (فَبَشِّرْ عِبادِى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فبشر يامحمد عبادى الذين يستمعون القول من القائلين ، فيتبعون أرشده وأهداه إلى الحقّ ، وأدله على توحيد الله ، والعمل بطاعته ، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذى لايدل على رشاد ، ولا يهدى إلى سَداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وأحسنه طاعة الله.

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) قال : أحسن ما يؤمرون به فيعملون به .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ) يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه :

الذين هداهم الله ، يقول : وفقهم الله للرشاد، وإصابة الصواب،لاالذين يُعْرِضون عن سماع الحقّ ، ويعبدون ما لايضرّ ، ولا ينفع . وقوله (أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ) يعنى : أولو العقول والحجا .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى رهط معروفين وحّدوا الله ، وبرئوا من عبادة كل ما دون الله، قبل أن يُبعث نبىّ الله ، فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها . . .) الآيتين ، حدثنى أبى أن هاتين الآيتين نزلتا فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون : لاإله إلا الله : زيد بن عمرو ، وأبى ذرّ الغفارىّ ، وسلمان الفارسىّ ، نزل فيهم (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها) فى جاهليتهم (وَأَنابُوا إِلَى اللهِ ، لَهُمُ البُشْرَى . فَبَشِّرْ عِبادى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) لاإله إلا الله ، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبىّ (وأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ؟(١٩) لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ، وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ (٢٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ) : أفمن وجبت عليه كلمة العذاب فى سابق علم ربك يامحمد بكفره به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ) بكفره .

وقوله (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ ؟) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أفأنت تنقذ يامحمد من هو فى النار ، من حقّ عليه كلمة العذاب ، فأنت تنقذه ، فاستغنى بقوله (تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ) عن هذا . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : هذا مما يراد به استفهام واحد ، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه ، فيردّ الاستفهام إلى موضعه الذى هو له . وإنما المعنى والله أعلم : أفأنت تنقذ مَنْ فى النار مَنْ حقّت عليه كلمة العذاب . قال : ومثله من غير الاستفهام (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرابًا وَعِظامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) فردّد أنكم مرّتين . والمعنى والله أعلم : أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم ، ومثله قوله (لاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذَابِ) . وكان بعضهم يستخطئ القول الذى حكيناه عن البصريين ، ويقول لاتكون فى قوله (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ) كناية عمن تقدّم ، لايقال : القوم ضربت من قام ، يقول

المعنى : التجزئة أفأنت تُنقذ من فى النار منهم . وإنما معنى الكلمة : أفأنت تهدى يامحمد من قد سبق له فى علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان ، فتنقذه من النار بالإيمان ، لست على ذلك بقادر .

وقوله (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ) يقول تعالى ذكره : لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه ، لهم فى الجنة غرف من فوقها غرف مبنية ، علالىّ بعضها فوق بعض (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) يقول تعالى ذكره : تجرى من تحت أشجار جناتها الأنهار . وقوله (وَعْدَ اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : وعدنا هذه الغرف التى من فوقها غرف مبنية فى الجنة ، هؤلاء المتقين (لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ) يقول جلّ ثناؤه : والله لايخلفهم وعده ، ولكنه يوفى بوعده .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وهو المطر (فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ) يقول : فأجراه عيونا فى الأرض ، واحدها ينبوع ، وهو ما جاش من الأرض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، فى قوله (فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ) قال : كلّ ندى وماء فى الأرض من السماء نزل .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن بن مسلم بن بيان ، قال : ثم أنبت بذلك الماء الذى أنزله من السماء ، فجعله فى الأرض عيونا ، زرعا (مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) يعنى : أنواعا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) يقول : ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خُضرته ، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذَوَى : هاجت الأرض ، وهاج الزرع .

وقوله (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) يقول : فتراه من بعد خُضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر ، وكذلك الزرع إذا يبس اصفرّ (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) والحُطام : فُتات التبن والحشيش ، يقول : ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فُتاتا متكسرا .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعل الله ذلك ، كالذى وصف ، لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا ، يتذكرون به ، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذّر عليه إحداث ما شاء من الأشياء ، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض ، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته ، وإعادته

من بعد فنائه ، كهيئته قبل فنائه، كالذى فعل بالأرض التى أنزل عليها من بعد موتها الماء ، فأنبت بها الزرعَ المختلف الألوان بقدرته .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَامِ، فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ، فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ، أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته ، والإذعان لربوبيته ، والخضوع لطاعته، (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) يقول : فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، بتنوير الحقّ فى قلبه ، فهو لذلك لأمر الله متبع ، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه ، كمن أقسى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيقه عن استماع الحقّ ، واتباع الهدى ، والعمل بالصواب ، وترك ذكر الذى أقسى الله قلبه ، وجوابَ الاستفهام، اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام ، إذ ذكر أحد الصنفين ، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه، بقوله : (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) يعنى : كتاب الله هو المؤمن به يأخذ ، وإليه ينتهى .

حدثنا محمد، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ، قوله (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ) قال : وسع صدره للإسلام ، والنور : الهُدَى .

حُدثت عن ابن أبى زائدة، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد(أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ) قال : ليس المنشرح صدره مثل القاسى قلبه .

قوله(فَوَيْلٌ لِلقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : فويل للذين جفَت قلوبهم ، ونأت عن ذكر الله وأعرضت ، يعنى عن القرآن الذى أنزله تعالى ذكره ، مذكِّرًا به عباده ، فلم يؤمن به ، ولم يصدّق بما فيه . وقيل (مِنْ ذِكْرِ اللهِ) والمعنى : عن ذكر الله ، فوضعت من مكان عن ، كما يقال فى الكلام : أتخمت من طعام أكلته ، وعن طعام أكلته ، بمعنى واحد .

وقوله (أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء القاسيةُ قلوبهم من ذكر الله فى ضلال مُبين ، لمن تأمّله وتدبّره بفهم ، أنه فى ضلال عن الحقّ جائر .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ،

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)

❊ يقول تعالى ذكره : (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا) يعني به القرآن (مُتَشابِها) يقول : يشبه بعضه بعضا ، لااختلاف فيه ، ولا تضادّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها) : الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (كتابا مُتَشابِها) قال : المتشابه : يشبه بعضه بعضا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، في قوله (كِتابا مُتَشابِها) قال : يشبه بعضه بعضا ، ويصدّق بعضه بعضا ، ويدلّ بعضه على بعض .

وقوله (مَثانِيَ) يقول : تُثْنَى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحُجَج .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها مَثانِيَ) قال : ثنى الله فيه القضاء ، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها ، وسُئل عنها عكرمة [١] .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِتابا مُتَشابِها مَثانِيَ) قال : في القرآن كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثانِيَ) قال : ثَنَى الله فيه الفرائض ، والقضاء ، والحدود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثانِيَ) قال : كتاب الله مثاني ، ثنى فيه الأمر مرارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (مَثانِيَ) قال : كتاب الله مثاني ، ثَنَى فيه الأمر مرارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (مَثانِيَ) ثَنَى في غير مكان :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (مَثانِيَ) مردّد ، رُدِّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة .

---

(١) الذي في الدر : وسئل عنها عكرمة ، فقال : ثنى الله فيه القضاء .

وقوله (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) : يقول تعالى ذكره : تقشعرّ من سماعه إذا تلى عليهم ، جلود الذين يخافون ربهم (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ) يعنى إلى العمل بما فى كتاب الله ، والتصديق به .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن أصحابه سألوه الحديث .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأَوْدى ، قال : ثنا حَكّام بن سلم ، عن أيوب بن موسى ، عن عمرو المُلَئِىّ عن ابن عباس ، قالوا : « يا رسول الله ، لو حدثتنا ؟ قال : فنزلت (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يانبىّ الله ، فذكر مثله .

(ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ) : يقول تعالى ذكره : هذا الذى يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن ، من اقشعرار جلودهم ، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك ، (هُدَى اللهِ) يعنى : توفيق الله إياهم ، وفقّهم له (يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول : يهدى تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده .

وقد يتوجّه معنى قوله (ذَلِكَ هُدَى) إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن ، فيكون معنى الكلام : هذا القرآن بيان الله يهدى به من يشاء : يوفق للإيمان به من يشاء .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن ، والتصديق بما فيه ، فيضله عنه ، فما له من هاد : يقول : فما له من مُوَفِّق له ، ومسدد يسدّده فى اتباعه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥)

❊ اختلف أهل التأويل فى صفة اتقاء هذا الضالّ بوجهه سُوء العذاب ، فقال بعضهم : هو أن يُرْمَى به فى جهنم ، مكبوبا على وجهه ، فذلك اتقاؤه إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَفَمَنْ يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ) قال : يخِرّ على وجهه فى النار ، يقول : هو مثل (أَفَمَنْ يُلْقَى فِى النَّارِ خَيْرٌ ، أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِناً يَوْمَ القِيامَةِ) ؟

وقال آخرون : هو أن يُنْطَلَق به إلى النار مكتوفا، ثم يُرْمَى به فيها ، فأوّل ما تَمَسّ النار وجهه . وهذا قول يُذكر عن ابن عباس ، من وجه كرهت أن أذكره ، لضعف سَنَده . وهذا أيضا مما تُرِك جوابه ، استغناء بدلالة ماذُكِر من الكلام عليه عنه . ومعنى الكلام : أفمن يتقي بوجهه سُوء العذاب يوم القيامة خير ، أم من ينعم في الجنان ؟

وقوله (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها سُخْط الله ، ذوقوا اليوم أيها القومُ وبالَ ماكنتم فى الدنيا تَكْسِبُون من معاصى الله .

وقوله (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) : يقول تعالى ذكره : كَذَّبَ الذين من قبل هؤلاء المشركين من قُريش ، من الأمم الذين مَضَوا فى الدهور الخالية رسلهم (فَأَتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لايَشْعُرُونَ) : يقول : فجاءهم عذاب الله من الموضع الذى لايشعرون : أى لايعلمون بمجيئه منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذّبوا رسلهم الهوان فى الدنيا ، والعذاب قبل الآخرة ، ولم يُنْظِرْهم إذ عتوا عن أمر ربهم (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) يقول : ولعذاب الله إياهم فى الآخرة إذا أدخلهم النار ، فعذّبهم بها ، أكبر من العذاب الذى عذّبهم به فى الدنيا ، لو كانوا يعلمونَ : يقول : لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد مثّلنا لهؤلاء المشركين بالله ، من كلّ مثل من أمثال القُرون للأمم الخالية ، تخويفا منا لهم وتحذيرا (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله .

وقوله (قُرآنا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : لقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كلّ مثل قرآنا عربيا (غيرَ ذِى عِوَجٍ) يعنى : ذى لَبْس .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُرآنا عَرَبِيًّا غيرَ ذِى عِوَجٍ) : غير ذى لبس . ونصب قوله (قُرآنا عَرَبِيا) على الحال من قوله : هذا القرآن ، لأن القرآن معرفة ، وقوله (قُرآنا عَرَبِيًّا) نكرة .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول : جعلنا قرآنا عربيا، إذ كانوا عربا ، ليفهموا ما فيه من المواعظ ، حتى يتقوا ما حذّرهم الله فيه من بأسه وسطوته ، فينيبوا إلى عبادته ، وإفراد الألوهة له ، ويتبرءوا من الأنداد والآلهة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ ، وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً؟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : مثّل الله مثلا للكافر بالله ، الذى يعبد آلهة شتّى ، ويطيع جماعة من الشياطين ؛ والمؤمن الذى لايعبُد إلا الله الواحد ، يقول تعالى ذكره : ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء . يقول : هو بين جماعة مالكين متشاكسين ، يعنى مختلفين متنازعين ، سيئة أخلاقهم ، من قولهم : رجل شَكِس : إذا كان سيِّئ الخلق ، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه ، ورجلا سَلَما لرجل : يقول : ورجلا خُلُوصا لرجل ، يعنى المؤمن الموحد ، الذى أخلص عبادته لله ، لايعبد غيره ، ولا يدين لشىء سواه بالربوبية .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَرَجُلاً سَلَما) فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة (وَرَجُلاً سالِمًا لرجل) ، وتأوّلوه بمعنى : رجلا خالصا لرجل . وقد رُوى ذلك أيضا عن ابن عباس .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن حُمَيد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه قرأها (سالِمًا لِرَجُلٍ) يعنى بالألف ، وقال : ليس فيه لأحد شىء . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (وَرَجُلاً سَلَما لِرَجُلٍ) بمعنى : صُلْحا [١] .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن السَّلَم مصدر ، من قول القائل : سَلِم فلان لله سَلَما [٢] ، بمعنى : خَلَص له خُلوصا ، تقول العرب : ربح فلان فى تجارته رِبْحا ورَبَحا [٣] ، وسَلِم سِلْماً وسَلَما [٤] وسلامة ، وأن السالم من صفة الرجل ، وسلم مصدر من ذلك . وأما الذى توهمه من رغب عن قراءة ذلك سَلَما من أن معناه صُلْحا ، فلا وجه للصلْح فى هذا الموضع ، لأن الذى تقدّم من صفة الآخر ، إنما تقدّم

---

(١) قائل هذا : هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ الورقة ١٥٩) .

(٢) لم أجد فى اللسان (سلم لله سلما) بالتحريك ، بالمعنى الذى أورده المؤلف هنا .

(٣) فى (اللسان : ربح) : الربح (بالكسر) ، والربح (بالتحريك) ، والرباح (بفتح الراء) : النماء فى التجر اهـ . قلت : وعلى هذا ، فهما مصدران كما قال المؤلف . وقال : قال ابن الأعرابى : الربح والربح ، مثل البدل والبدل . وقال الجوهرى : مثل شبه وشبه : هو اسم ما ربحه .

(٤) ضبط الثانى فى اللسان ضبط قلم ، بفتح السين وسكون اللام ، عن أبى إسحاق الزجاج ، على أنه قراءة ، ولعله خطأ من الناسخ .

بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لاشريك له ، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سالِمًا لِرَجُلٍ) قال : هذا مثل إله الباطل ، وإله الحقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) قال : هذا المُشْرِك تتنازعه الشياطين ، لايُقَرّ به بعضهم لبعض (وَرَجُلاً سالِمًا لِرَجُلٍ) قال : هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) . . . إلى قوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) قال : الشركاء المتشاكسون : الرجل الذى يعبد آلهة شتى ، كلّ قوم يعبدون إلها يرضونه ، ويكفرون بما سواه من الآلهة ، فضرب الله هذا المثل لهم ، وضرب لنفسه مثلا ، يقول : رجلا سَلِمَ لرجل ، يقول : يعبدون إلها واحدا لايختلفون فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) قال : مثلٌ لأوثانهم التى كانوا يعبدون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ، وَرَجُلاً سالِمًا لِرَجُلٍ) قال : أرأيت الرجل الذى فيه شركاء متشاكسون ، كلهم سيئ الخلق ، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذا بطَرَف من مال ، لاستخدامه أسواؤهم ، والذى لايملكه إلا واحد ، فإنما هذا مَثَل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة ، وجعلوا لها فى أعناقهم حقوقا ، فضربه الله مثلا لهم ، وللذى يعبده وحده (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) . وفى قوله (وَرَجُلاً سالِمًا لِرَجُلٍ) يقول : ليس معه شِرْك .

وقوله (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً) يقول تعالى ذكره : هل يستوى مثلُ هذا الذى يخدمُ جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته ، مع منازعته شركاءه فيه ، والذى يخدم واحدا لاينازعه فيه منازع ، إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه ، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه . يقول : فأىّ هذين أحسن حالا ، وأروح جسما ، وأقلّ تعبا ونصبا .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول: مَن اختُلِف فيه خير، أم من لم يُختَلَف فيه ؟

وقوله (الحَمْدُ لِلهِ) يقول: الشكر الكامل ، والحمدُ التامّ لله وحده، دون كلّ معبود سواه . وقوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وما يستوى هذا المشتَرَك فيه، والذى هو منفرد مِلكُه لواحد، بل أكثرُ هؤلاء المشركين بالله، لايعلمون أنهما لايستويان ، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل : (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً) ولم يقل: مَثَلَيْنِ لأنهما كلاهما ضُرِبا مثلا واحدا، فجرى المثل بالتوحيد ، كما قال جلّ ثناؤه : (وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً) إذ كان معناهما واحدا فى الآية .

والله أعلم .

تمّ الجزء الثالث والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جَرير الطَّبَرىّ
ويليه الجزء الرابع والعشرون
أوله : القول فى تأويل قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد »

قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .

محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الرابع والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الرابع والعشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ ـ فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الزُّمَر	
٣٠	إنك ميِّت وإنهم ميِّتون .	١
٣١	ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون .	١
٣٢	فمن أظلم ممن كذب على الله . . .	١
٣٣	والذى جاء بالصدّق وصدق به . . .	٣
٣٤	لهم ما يشاءون عند ربهم . . .	٣
٣٥	ليكفِّر الله عنهم أسوأ الذى عملوا . . .	٥
٣٦	أليس الله بكافٍ عبده . . . ؟	٥
٣٧	ومن يهد الله فما له من مُضلّ . . .	٥
٣٨	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	٦
٣٩	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	٧
٤٠	من يأتيه عذاب يُخزيه . . .	٧
٤١	إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحقّ . . .	٨
٤٢	الله يتوفَّى الأنفسَ حين موتها . . .	٨
٤٣	أم اتخذوا من دون الله شُفعاء . . .	٩
٤٤	قل لله الشفاعة جميعا . . .	٩
٤٥	وإذا ذُكر الله وحدَه اشمأزّت . . .	١٠
٤٦	قل اللهمّ فاطرَ السموات والأرض . . .	١١
٤٧	ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض . . .	١١
٤٨	وبدا لهم سيئات ما كسبوا . . .	١١
٤٩	فإذا مسّ الإنسان ضُرٌّ دعانا . . .	١٢
٥٠	قد قالها الذين من قبلهم . . .	١٢
٥١	فأصابهم سيئات ما كسبوا . . .	١٢
٥٢	أوَلم يعلموا أن الله يبسط الرزق . . .	١٣
٥٣	قل يا عبادِى الذين أسرفوا على أنفسهم . . .	١٣
٥٤	وأنيبوا إلى ربكم وأسلِموا له . . .	١٧
٥٥	واتبِعوا أحسن ما أُنزِل إليكم . . .	١٧
٥٦	أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرّطت . . .	١٨
٥٧	أو تقول لو أن الله هدانى . . .	٢٠
٥٨	أو تقول حين ترى العذاب . . .	٢٠
٥٩	بلى قد جاءتك آياتى فكذّبت بها . . .	٢١
٦٠	ويومَ القيامة ترى الذين كذبوا على الله . . .	٢١
٦١	وينجِّى الله الذين اتقوا بمفازتهم . . .	٢٢
٦٢	الله خالق كلّ شىء . . .	٢٢
٦٣	له مقاليدُ السموات والأرض . . .	٢٣
٦٤	قل أفغير الله تأمروٌنى أعبد . . .	٢٤
٦٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك . . .	٢٤
٦٦	بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .	٢٤
٦٧	وما قدروا الله حقّ قدره . . .	٢٤
٦٨	ونُفخ فى الصور فصعِق . . .	٢٩
٦٩	وأشرقت الأرض بنور ربها . . .	٣٢
٧٠	ووُفّيت كل نفس ما عملت . . .	٣٣
٧١	وسيق الذين كفروا إلى جهنم زُمَرا . . .	٣٣
٧٢	قيل : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها .	٣٤
٧٣	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمَرا .	٣٤
٧٤	وقالوا الحمد لله الذى صدَقنا وعدَه . . .	٣٤
٧٥	وترى الملائكة حافِّين من حول . . .	٣٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المؤمن	
١	حم .	٣٩
٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم .	٣٩
٣	غافر الذنب وقابل التوب . . .	٣٩
٤	ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا . . .	٤٢
٥	كذبت قبلهم قوم نوح . . .	٤٢
٦	وكذلك حقت كلمة ربك . . .	٤٣
٧	الذين يحملون العرش ومن حوله . . .	٤٣
٨	ربنا وأدخلهم جنات عدن . . .	٤٥
٩	وقهم السيئات ، ومن تق السيئات . . .	٤٥
١٠	إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر . . .	٤٦
١١	قالوا ربنا أمتنا اثنتين . . .	٤٦
١٢	ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده . . .	٤٨
١٣	هو الذى يريكم آياته ، وينزل لكم . . .	٤٩
١٤	فادعوا الله مخلصين له الدين . . .	٤٩
١٥	رفيع الدرجات ذوالعرش . . .	٤٩
١٦	يوم هم بارزون لايخفى على الله . . .	٤٩
١٧	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . . .	٥١
١٨	وأنذرهم يوم الآزفة . . .	٥٢
١٩	يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .	٥٢
٢٠	والله يقضى بالحق . . .	٥٢
٢١	أو لم يسيروا فى الأرض . . .	٥٤
٢٢	ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم . . .	٥٥
٢٣	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	٥٥
٢٤	إلى فرعون وهامان وقارون . . .	٥٥
٢٥	فلما جاءهم بالحق من عندنا . . .	٥٦
٢٦	وقال فرعون : ذرونى أقتل موسى . . .	٥٦
٢٧	وقال موسى إنى عذت بربى . . .	٥٧
٢٨	وقال رجل مؤمن من آل فرعون . . .	٥٧
٢٩	يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين .	٥٩
٣٠	وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف . . .	٥٩
٣١	مثل دأب قوم نوح . . .	٥٩
٣٢	وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد .	٦٠
٣٣	يوم تولون مدبرين . . .	٦٠
٣٤	ولقد جاءكم يوسف من قبل . . .	٦٣
٣٥	الذين يجادلون فى آيات الله . . .	٦٣
٣٦	وقال فرعون : ياهامان ابن لى صرحا . .	٦٤
٣٧	أسباب السموات ، فأطلع إلى إله . . .	٦٤
٣٨	وقال الذى آمن ياقوم اتبعون . . .	٦٧
٣٩	ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع . . .	٦٧
٤٠	من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها . . .	٦٧
٤١	وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة . . .	٦٨
٤٢	تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به . . .	٦٨
٤٣	لاجرم أنما تدعوننى إليه . . .	٦٨
٤٤	فستذكرون ما أقول لكم . . .	٧٠
٤٥	فوقاه الله سيئات ما مكروا . . .	٧٠
٤٦	النار يعرضون عليها غدواً وعشياً . . .	٧١
٤٧	وإذ يتحاجون فى النار . . .	٧٣
٤٨	قال الذين استكبروا إنا كل فيها . . .	٧٣
٤٩	وقال الذين فى النار لخزنة جهنم . . .	٧٣
٥٠	قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . . .	٧٣
٥١	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا . . .	٧٤
٥٢	يوم لاينفع الظالمين معذرتهم . . .	٧٤
٥٣	ولقد آتينا موسى الهدى . . .	٧٦
٥٤	هدى وذكرى لأولى الألباب .	٧٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	فاصبر إنّ وعد الله حقّ . . .	٧٦
٥٦	إن الذين يجادلون فى آيات الله . . .	٧٦
٥٧	لخلق السموات والأرض أكبر . . .	٧٧
٥٨	وما يستوى الأعمى والبصير . . .	٧٧
٥٩	إن الساعة لآتية لاريب فيها . . .	٧٨
٦٠	وقال ربكم ادعونى أستجبْ لكم . . .	٧٨
٦١	الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه . . .	٧٩
٦٢	ذلكم الله ربكم خالق كلّ شىء . . .	٨٠
٦٣	كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله . . .	٨٠
٦٤	الله الذى جعل لكم الأرض قرارا . . .	٨٠
٦٥	هو الحىّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين ...	٨٠
٦٦	قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون . . .	٨١
٦٧	هو الذى خلقكم من تراب . . .	٨٢
٦٨	هو الذى يُحيى ويُميت . . .	٨٢
٦٩	ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله ...	٨٢
٧٠	الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا . . .	٨٣
٧١	إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل . . .	٨٣
٧٢	فى الحميم ثم فى النار يسجرون . . .	٨٣
٧٣	ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون . . . ؟	٨٣
٧٤	من دون الله قالوا ضلوا عنا . . .	٨٣
٧٥	ذلكم بماكنتم تفرحون فى الأرض . . .	٨٥
٧٦	ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها . . .	٨٥
٧٧	فاصبر إن وعد الله حقّ . . .	٨٦
٧٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . .	٨٦
٧٩	الله الذى جعل لكم الأنعام . . .	٨٧
٨٠	ولكم فيها منافع . . .	٨٧
٨١	ويريكم آياته فأىّ آيات الله تنكرون .	٨٧
٨٢	أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا . . .	٨٨
٨٣	فلما جاءتهم رسلهم بالبينات	٨٨
٨٤	فلما رأوا بأسنا قالوا . . .	٨٩
٨٥	فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ...	٨٩

سورة فُصِّلَت

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	حمٓ .	٩٠
٢	تنزيل من الرحمن الرحيم .	٩٠
٣	كتاب فُصِّلت آياته قرآنا عربيا . . .	٩٠
٤	بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم . . .	٩٠
٥	وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ...	٩١
٦	قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحَى إلىّ . . .	٩٢
٧	الذين لايؤتون الزكاة . . .	٩٢
٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٩٣
٩	قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق . . .	٩٣
١٠	وجعل فيها رواسىَ من فوقها . . .	٩٥
١١	ثم استوى إلى السماء وهى دُخان . . .	٩٥
١٢	فقضاهنّ سبع سموات فى يومين . . .	٩٩
١٣	فإن أعرضوا فقل أنذرتكم . . .	١٠٠
١٤	إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم . . .	١٠٠
١٥	فأما عاد فاستكبروا فى الأرض . . .	١٠١
١٦	فأرسلنا عليهم ريحا صَرْصرا . . .	١٠١
١٧	وأما ثمودُ فهديناهم . . .	١٠٤
١٨	ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون . . .	١٠٤
١٩	ويوم يُحشر أعداء الله إلى النار . . .	١٠٦
٢٠	حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم . . .	١٠٦
٢١	وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا . . . ؟	١٠٦
٢٢	وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم . . .	١٠٦
٢٣	وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم . . .	١٠٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	فإن يصبروا فالنار مثوًى لهم . . .	١١٠
٢٥	وقيَّضنا لهم قُرَناء . . .	١١١
٢٦	وقال الذين كفروا لاتسمعوا . . .	١١٢
٢٧	فلنُذيقنّ الذين كفروا عذابا . . .	١١٢
٢٨	ذلك جزاء أعداء الله النار .	١١٣
٢٩	وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذَين أضلانا .	١١٣
٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله . . .	١١٤
٣١	نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا . . .	١١٧
٣٢	نُزُلا من غفور رحيم . . .	١١٧
٣٣	ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله . . .	١١٧
٣٤	ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . . .	١١٧
٣٥	وما يُلقَّاها إلا الذين صبَروا . . .	١٢٠
٣٦	وإما ينزغنّك من الشيطان نَزْغ . . .	١٢٠
٣٧	ومن آياته الليل والنهار . . .	١٢١
٣٨	فإن استكبروا . . .	١٢١
٣٩	ومن آياته أنك ترى الأرض . . .	١٢٢
٤٠	إن الذين يُلْحدون فى آياتنا . . .	١٢٣
٤١	إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم . . .	١٢٤
٤٢	لايأتيه الباطل من بين يديه . . .	١٢٤
٤٣	ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل . . .	١٢٥
٤٤	ولو جعلناه قرآنا أعجميا . . .	١٢٦
٤٥	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١٢٩
٤٦	من عمل صالحا فلنفسه . . .	١٣٠

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

تفسير سورة الزُّمَر

١ تأويل قوله « إنك ميِّت وإنهم ميِّتون » . والخصام الذى يكون يوم القيامة .
٣ تأويل « والذى جاء بالصدق » . وأن الآية عامة .
٦ بعث خالد بن الوليد لكسر العُزَّى .
٩ ما يحصل للإنسان وقت نومه .
١٠ تأويل « وإذا ذُكر اللهُ وحدهَ » ومعنى الاشمئزاز .
١٤ تأويل قوله « قل يا عبادى الذين أسرفوا » . . . الآية ، ومن أنزلت فيه ، وأسباب نزولها .
١٨ بيان أن الناس يوم القيامة يكونون أصنافا .
٢٢ تأويل قوله « وينجِّى الله الذين اتقوا بمفازَتِهم »
٢٤ بيان أن الشرك يُحبط العمل فى سائر الشرائع .
٢٤ تأويل قوله « بل اللهَ فاعبدْ » . . . الآيات . ومعنى اليمين فى حقه تعالى ، وسبب النزول .
٢٩ النفَخات التى تنفخ فى الصور ، ومَن الموكَّل بها وما يجرى عند فناء الخلق وبعثهم .
٣٢ تأويل قوله « وأشرقت الأرض بنور ربها » ، وأن يوم القيامة يوم صحو لادخن فيه .
٣٤ حشر المتقين على نجائب ، وسَوْق غيرهم دَعا .
٣٧ تأويل قوله (وترى الملائكة حافِّين) . . . الآية .

الصفحة

٣٩ ## تفسير سورة المؤمن

٤٥ يدخل الجنة مع الرجل زوجته وأبواه وولده وإن لم يكونوا عملوا عمله .
٤٦ أنصح العباد للعباد الملائكة ، وأغشهم لهم الشياطين .
٤٦ للإنسان حياتان وموتتان .
٥٠ الخلق يوم القيامة بارزون لايحجبهم شىء .
٥٢ تأويل قوله « وأنذرهم يوم الآزفة » . . . الآية ، وما للقاء الله يوم القيامة من شدّة الفزع .
٥٧ مؤمن آل فرعون ، وذكر الخلاف فيه .
٦٠ تأويل قوله « ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد » . . . الآية . وما يحصل عند النفخة وبعدها .
٦٣ يوسف بن يعقوب رسولٌ إلى أهل مصر .
٦٤ طلب فرعون لبناء الصرح ، وأنه أوّل من طبخ الآجرّ .
٧٠ تأويل قوله « فستذكرون » . . . الآية ، وما صنعه مؤمن آل فرعون مما يدلّ على يقينه الكامل .
٧١ كيفية عذاب قوم فرعون فى الدنيا . وأن الآخرة لاليل فيها ولا نهار .
٧٣ تأويل قوله « وإذْ يتحاجُّون فى النار » . وأن ضعف الأصاغر لايكون عذرا لهم فى الكفر .

الصفحة

٧٤ تأويل قوله « إنا لننصر رسلنا » . . . الآية . ومعنى نصر الرسل فى الدنيا بجملة وجوه .
٧٦ معنى العشىّ والإبكار ، والخلاف فى ذلك .
٧٨ الدعاء يُطلق على العبادة .
٨١ الدليل على أنه يُطلب من قائل لا إله إلا الله أن يضمّ إليها الحمد .
٨٣ تأويل قوله « الذين كذّبوا بالكتاب » . . . الآية . وكيفية عذابهم يوم القيامة .
٩٠ تفسير سورة فُصِّلَت
٩٢ تأويل قوله « قل إنما أنا بشر مثلكم » . والخلاف فى معنى الزكاة هنا ، وذكر الصواب فى ذلك .
٩٤ الأيام التى خُلقت فيها السموات والأرض . وذكر بعض خواصّ الأيام .

الصفحة

١٠١ الريح المرسلة على عاد ، والأيام النَّحِسات .
١٠٦ تأويل قوله « ويوم يُحْشر أعداء الله » . . . الآية ، والخلاف فى معنى الجلود التى تشهد .
١٠٦ تأويل قوله « وقالوا لجلودهم » . . . الآية . وأوّل ما يشهد على المرء .
١٠٩ عمل الإنسان على حسب علمه بربه .
١١٣ تأويل قوله « وقال الذين كفروا » . . . الآية . وبيان الفريق المضل من الإنس والجنّ .
١١٤ تأويل قوله « إن الذين قالوا ربنا الله » . . . الآية . والخلاف فى الاستقامة .
١٢٦ تأويل قوله « ولو جعلناه قرآنا أعجميا » ؛ وكون القرآن شفاء .

٣ — فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
ومُغْرِبُ	٤٠
الحوَاطبِ	١٨
ت	
دُولاتِها	٦٥
لَمَّاتِها	٦٥
زَفَرَاتِها	٦٥
ح	
ذُباحا	١٠٢
مَعْدُودُ	٤٤
الشَّرُدَا	٣٦
ر	
الجُزُرِ	٤٠
الأُزُرِ	٤٠
تَخِسُ	١٠٤
تَخِسَا	١٠٤
مُضَاعا	٢٢
أَسَلْ	١٩
الأَجَلْ	٩٩
بِخَيالِ	٣٦
تَهَشَّلا	٣٦
م	
لم يَتَرِمْ	١٠٩
يَتَمَمُوا	٢٠
دُونَهُمُ	٤١
التقدُّمِ	٣٩
الأَرْقَما	٨٤
ه	
بالمُسَقَّهِ	١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنك يامحمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذّبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون . (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) يقول : ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون ، فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم ، ويَفْصِل بين جميعكم بالحقّ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عُنِى به اختصام المؤمنين والكافرين ، واختصام المظلوم والظالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) يقول : يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدى الضالّ ، والضعيف المستكبر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال : أهل الإسلام وأهل الكفر .

حدثنى ابن البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا ابن الدراوَرْدِىّ ، قال : ثنى محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : « لما نزلت هذه الآية (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال الزبير : يا رسول الله ، أينكر

علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ ، حتى يُؤَدَّى إلى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ » .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك اختصام أهل الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عمر ، قال : نزلت علينا هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها ، حتى وقعت الفتنة ، فقلنا : هذا الذى وَعَدَنا رَبُّنا أن نختصم فيه (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن عون ، عن إبراهيم ، قال : لما نزلت (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ) . . . الآية ، قالوا : ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان ، قال : فلما قُتل عثمان بن عفان ، قالوا : هذه خصومتنا بيننا .

حُدثت عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، فى قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال : هم أهل القبلة .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : عُنِيَ بذلك : إنك يامحمد ستموت ، وإنكم أيها الناس ستموتون ، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم ، مؤمنكم وكافركم ، ومحقوكم ومبطلوكم ، وظالموكم ومظلوموكم ، حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قِبَله حق حقُّه .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب : لأن الله عمّ بقوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) خطاب جميع عباده ، فلم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض ، فذلك على عمومه على ماعمه الله به ، وقد تنزل الآية فى معنى ، ثم يكون داخلا فى حكمها كلّ ما كان فى معنى مانزلت به .

وقوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ ، وكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ) يقول تعالى ذكره : فمَن مِن خلق الله أعظم فِرْيةً ممن كذب على الله ، فادّعى أن له ولدا وصاحبة ، أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم (وكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ) يقول : وكذّب بكتاب الله إذ أنزله على محمد ، وابتعثه الله به رسولا ، وأنكر قول لاإله إلا الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ) : أى بالقرآن .

وقوله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكافِرِينَ) يقول تبارك وتعالى : أليس فى النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله ، وامتنع من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما يدعوه إليه ، مما أتاه به من عند الله من التوحيد ، وحكم القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ، ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤)

اختلف أهل التأويل فى الذى جاء بالصدق وصدّق به ، وما ذلك ؟ فقال بعضهم : الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : والصدق الذى جاء به : لاإله إلا الله ، والذى صدّق به أيضا ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (وَالَّذِى جاءَ بالصِّدْقِ) يقول : من جاء بلاإله إلا الله (وَصَدَّقَ بِهِ) يعنى : رسوله .

وقال آخرون : الذى جاء بالصدق : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى صدّق به : أبو بكر رضى الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن منصور ، قال : ثنا أحمد بن مصعد المروزى ، قال : ثنا عمر بن إبراهيم بن خالد ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أسيد بن صفوان ، على علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (وَالَّذِى جاءَ بالصِّدْقِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم وصدّق به ، قال أبو بكر رضى الله عنه .

وقال آخرون : الذى جاء بالصدق : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصدق : القرآن ، والمصدقون به : المؤمنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِى جاء بالصِّدْقِ) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن ، وصدّق به المؤمنون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِى جاء بالصِّدْقِ) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدّق به المسلمون .

وقال آخرون : الذى جاء بالصدق جبريل ، والصدق : القرآن الذى جاء به من عند الله ، وصدّق به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَالَّذِى جاءَ بالصِّدْقِ وصَدَّقَ بِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون الذى جاء بالصدق : المؤمنون ، والصدق : القرآن ، وهم المصدّقون به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قوله (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قال : الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة ، فيقولون : هذا الذى أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه .

قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قال : هم أهل القرآن ، يجيئون به يوم القيامة يقولون : هذا الذى أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره عَنَى بقوله (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كلَّ من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسوله ، والعمل بما ابتُعِث به رسوله صلى الله عليه وسلم من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به ، وأن يقال الصدق : هو القرآن ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدّق به : المؤمنون بالقرآن ، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبيّ الله وأتباعه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لأن قوله تعالى ذكره : (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) عُقَيب قوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ ، وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) ، وذلك ذمّ من الله للمفترين عليه ، المكذّبين بتنزيله ووحيه ، الجاحدين وحدانيته . فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين ، وهم الذين دعوهم إلى توحيد الله ، ووصفه بالصفة التى هو بها ، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه ، والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم ، القائمون فى كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله ، وحكم كتابه ، لأن الله تعالى ذكره ، لم يخصّ وصفه بهذه الصفة التى فى هذه الآية ، على أشخاص بأعيانهم ، ولا على أهل زمان دون غيرهم ، وإنما وصفهم بصفة ، ثم مدحهم بها ، وهى المجىء بالصدق والتصديق به ، فكلّ من كان كذلك وصفه ، فهو داخل فى جملة هذه الآية ، إذا كان من بنى آدم .

ومن الدليل على صحة ماقلنا أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود (وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وصَدَّقُوا به) فقد بينّ ذلك من قراءته ، أن الذى من قوله (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ) لم يعن بها واحد بعينه ، وأنه مراد بها جِماعٌ ذلك صفتهم ، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد ، إذ لم تكن موقتة . وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين ، أن الذى فى هذا الموضع ، جُعِل فى معنى جماعة ، بمنزلة مَنْ ، ومما يؤيد ماقلنا أيضا قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) فجُعِل الخبر عن الذى جماعا ، لأنها فى معنى جماع ، وأما الذين قالوا : عُنى بقوله : (وَصَدَّقَ بِهِ) : غير الذى جاء بالصدق ، فقول بعيد من المفهوم ، لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان التنزيل والذى جاء بالصدق ، والذى صدق به ، أولئك هم المتقون ، فكانت تكون الذى مكرّرة مع التصديق ، ليكون المصدقَ غير المصدق ، فأما إذ لم يكرّر ، فإن المفهوم من الكلام ، أن التصديق من صفة الذى جاء بالصدق ، لاوجه للكلام غير ذلك . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الذى فى معنى الجماع ، بما قد بيّنا ، كان الصواب من القول فى تأويله ما بيّنا .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم الذين اتقوا الله ، بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، فخافوا عقابه .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يقول : اتَّقَوا الشرك .

وقوله (لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : لهم عند ربهم يوم القيامة ، ما تشتهيه أنفسهم ، وتلذه أعينهم (ذلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى لهم عند ربهم ، جزاء من أحسن فى الدنيا ، فأطاع الله فيها ، وأْتمر لأمره ، وانتهى عما نهاه فيها عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وجزى هؤلاء المحسنين ربُّهم بإحسانهم ، كى يكفر عنهم أسوأ الذى عملوا فى الدنيا من الأعمال ، فيما بينهم وبين ربهم ، بما كان منهم فيها من توبة ، وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها (وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ) يقول : ويثيبهم ثوابَهم (بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا) فى الدنيا (يَعْمَلُونَ) مما يرضى الله عنهم ، دون أسوئها .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : (وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) : أى [1] ولهم ذنوب ، أى ربّ نعم (لَهُمْ) فيها (ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقرأ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) . . . إلى أن بلغ (وَمَغْفِرَةٌ) لئلا ييأس من لهم الذنوب ، أن لايكونوا منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) . وقرأ (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ) . . . إلى آخر الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ؟ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ؟ (٣٧)

اختلفت القرّاء فى قراءة (أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ) فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة : (أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عِبادَهُ) على الجماع ، بمعنى : أليس الله بكاف محمدا وأنبياءه من قبله ما خوّفتهم أممهم ، من أن تنالهم آلهتهم بسوء ، وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض قرّاء الكوفة (بِكافٍ عَبْدَهُ) على التوحيد ، بمعنى : أليس الله بكاف عبده محمدا .

(١) فى الأصل : ألهم ذنوب ، و هو استفهام لامعنى له فى هذا المقام ، وقد أصلحناه على هذا النحو ، ليتفق مع ما تضمنه الحديث بعد .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرَأَة الأمصار . فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لصحة معنييهما ، واستفاضة القراءة بهما فى قرَأَة الأمصار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ) يقول : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ) : قال : بلى ، والله ليكفينه الله ، ويُعزّه وينصُره كما وعده .

وقوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويخوّفك هؤلاء المشركون يامحمد ، بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة ، أن تصيبك بسوء ، ببراءتك منها ، وعيبك لها ، والله كافيك ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الآلهة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى شعب بسُقام [1] ليكسر العُزّى ، فقال سادنها ، وهو قيّمها : ياخالد ، أنا أحذّركها ، إن لها شدّة لايقوم إليها شىء ، فمشى إليها خالد بالفأس ، فهشّم أنفها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول : بآلهتهم التى كانوا يعبدون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) قال : يخوّفونك بآلهتهم التى من دونه .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله ، فيضلّه عن طريق الحقّ وسبيل الرشد ، فما له سواه من مرشد ومسدّد إلى طريق الحقّ ، وموفّق للإيمان بالله ، وتصديق رسوله ، والعمل بطاعته (وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) يقول : ومن يوفّقه الله للإيمان به ، والعمل بكتابه ، فما له من مضلّ ، يقول : فما له من مُزيغ يزيغه عن الحقّ الذى هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر . (أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِى انْتِقامٍ) يقول جلّ ثناؤه : أليس الله يامحمد بعزيز فى انتقامه من كفرة خلقه ، ذى انتقام من أعدائه ، الجاحدين وحدانيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ، قُلْ : أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ

(١) سقام كغراب : واد بالحجاز ، حمته قريش للعزى ، يضاهئون به حرم الكعبة . اه من معجم ياقوت .

ٱللَّهِ، إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ، هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ؟ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ، هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ؟ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين، العادلين بالله الأوثان والأصنام : مَنْ خلق السموات والأرض ؟ ليقولنّ الذى خلقهنّ الله ، فإذا قالوا ذلك ، فقل: أفرأيتم أيها القوم، هذا الذى تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة (إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ) يقول: بشدّة فى معيشتى ، هل هنّ كاشفات عنى ما يصيبنى به ربى من الضرّ ؟ (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ) يقول : إن أرادنى ربى أن يصيبنى سعة فى معيشتى ، وكثرة مالى ، ورخاء وعافية فى بدنى ، هل هنّ ممسكات عنى ما أراد أن يصيبنى به من تلك الرحمة ؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه . والمعنى : فإنهم سيقولون لا . فقل حسبى الله مما سواه من الأشياء كلها ، إياه أعبد ، وإليه أفزع فى أمورى، دون كلّ شىء سواه ، فإنه الكافى ، وبيده الضرّ والنفع ، لاإلى الأصنام والأوثان، التى لاتضرّ ولا تنفع ، (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يقول: على الله يتوكل من هو متوكل ، وبه فليثق لابغيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) حتى بلغ (كاشِفاتُ ضُرِّهِ) يعنى : الأصنام (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة (كاشِفاتُ ضُرِّهِ) و (مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ) ، فقرأه بعضهم بالإضافة، وخفض الضرّ والرحمة ، وقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء البصرة بالتنوين ، ونصب الضرّ والرحمة .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وهو نظير قوله (كَيْدِ الكافِرِينَ) فى حال الإضافة والتنوين .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ،فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك ، الذين اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله ، اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذى تعملون ومنازلكم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى مَكَانَتِكُمْ) قال : على

ناحيتكم (إِنِّى عامِلٌ) كذلك على تؤدة، على عمل من سلف من أنبياء الله قبلى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا جاءكم بأس الله ، مَن المحقّ منا مِن المبطل ، والرشيد من الغوىّ .

وقوله (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ) يقول تعالى ذكره (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) مما أتاه من ذلك العذاب ، يعنى يذله ويهينه (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) يقول : : ويَنزل عليه عذاب دائم لايفارقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ، فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا أنزلنا عليك يامحمد الكتاب تبيانا للناس بالحقّ ، (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) يقول : فمن عمل بما فى الكتاب الذى أنزلناه إليك واتبعه، فلنفسه ، يقول : فإنما عمل بذلك لنفسه ، وإياها بغى الخير لاغيرها ، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة ، والنجاة من النار . (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن جار عن الكتاب الذى أنزلناه إليك ، والبيان الذى بيّناه لك ، فضل عن قصد المحجة ، وزال عن سواء السبيل ، فإنما يجور على نفسه ، وإليها يسوق العطب والهلاك ، لأنه يكسبها سخط الله ، وأليم عقابه ، والخزى الدائم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يامحمد على من أرسلتك إليه من الناس، برقيب ترقب أعمالهم ، وتحفظ عليهم أفعالهم ، إنما أنت رسول ، وإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) أى بحفيظ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) قال : بحفيظ .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا، فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ، وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة، دون كلّ ماسواه ، أنه يميت ويحيى ، ويفعل ما يشاء ، ولا يقدر على ذلك شىء سواه ، فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته ، فقال : (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها ، وانقضاء مدة حياتها ، ويتوفى أيضا التى لم تمت فى منامها ، كما التى ماتت عند مماتها (فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ) : ذُكر أن

أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام. فيتعارف ما شاء الله منها ، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها ، أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها ، وأرسل أرواح الأحياء ، حتى ترجع إلى أجسادها ، إلى أجل مسمى ، وذلك إلى انقضاء مدة حياتها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) . . . الآية قال : يجمع بين أرواح الأحياء ، وأرواح الأموات ، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويُرسلُ الأخرى إلى أجسادها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) قال: تُقْبَض الأرواح عند نيام النائم ، فتقبض روحه في منامه ، فتلقى الأرواح بعضها بعضا ، أرواح الموتى وأرواح النيام ، فتلتقي فتساءل ، قال : فيخلَّى عن أرواح الأحياء ، فترجع إلى أجسادها ، وتريد الأخرى أن ترجع ، فيحبس التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، قال : إلى بقية آجالها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) قال : فالنوم وفاة (فَيُمْسِكُ التي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ ، ويُرْسِلُ الأُخْرَى) التي لم يقبضها (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في قبض الله نفس النائم والميت ، وإرساله بعدُ نفسَ هذا ترجع إلى جسمها ، وحبسه لغيرها عن جسمها ، لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر ، وبيانا له ، أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء ، ويميت من شاء إذا شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ، قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ، لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله، في حاجاتهم . وقوله (قُلْ أَوَ لَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهم : أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ، « وَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا » ولا يعقلون شيئا ، قل لهم : إن تكونوا تعبدونها لذلك ، وتشفع لكم عند الله ، فأخلصوا عبادتكم لله ، وأفردوه بالألوهة. فإن الشفاعة جميعا له ، لايشفع عنده إلا من أذن له ، ورضي له

قولا ، وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه ، شفعكم ، (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ، يقول : له سلطان السموات والأرض ومُلكها ، وما تعبدون أيها المشركون من دونه مِلْك له: يقول : فاعبدوا المَلِك لا المملوك ، الذى لا يملك شيئا (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم إلى الله مصيركم ، وهو معاقبكم على إشراككم به ، إن متم على شرككم .

ومعنى الكلام : لله الشفاعة جميعا ، له مُلك السموات والأرض ، فاعبدوا المالك الذى له مُلك السموات والأرض ، الذى يقدر على نفعكم فى الدنيا ، وعلى ضرّكم فيها ، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم ، فإنكم إليه ترجعون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ) الآلهة (قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) الشفاعة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) قال : لا يشفع عنده أحد إلا باذنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا أُفرِد الله جلّ ثناؤه بالذكر ، فدُعِى وحده ، وقيل : لا إله إلا الله ، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات . وعنى بقوله (اشْمَأَزَّتْ) : نفرت من توحيد الله ، (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول : وإذا ذُكر الآلهة التى يدعونها من دون الله مع الله ، فقيل : تلك الغرانيق العُلَى ، وإن شفاعتها لَتُرتجَى ، إذا الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ) : أى نفرت قلوبهم واستكبرت (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الآلهة (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اشْمَأَزَّتْ) قال : انقبضت ، قال : وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قوله (اشْمأزّتْ) قال : نفرت ، (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) : أوثانُهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ، أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد ، الله خالق السموات والأرض (عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) الذى لاتراه الأبصار ،ولا تُحِسُّه العيون . (والشهادة) :الذى تشهده أبصار خلقه، وتراه أعينهم (أنْتَ تَحْكُمُ بينَ عِبادِكَ) فتفصل بينهم بالحقّ ، يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم (فيما كانُوا فِيهِ) فى الدنيا (يَخْتَلِفُونَ) من القول فيك ، وفى عظمتك وسلطانك ، وغير ذلك من اختلافهم بينهم ، فتقضى يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين ، الذين إذا ذُكِرْتَ وحدك اشمأزّت قلوبهم ، وإذا ذُكِر مَنْ دونك استبشروا بالحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال: ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) فاطر : قال :خالق . وفى قوله (عالِمَ الغَيْبِ) قال: ماغاب عن العباد فهو يعلمه ، (وَالشَّهادَةِ) : ماعرَف العباد وشهدوا ، فهو يعلمه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ، وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ (٤٧)

❁ يقول تعالى ذكره : ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة ، وهم الذين ظلموا أنفسهم (ما فى الأرْضِ جَمِيعا) : فى الدنيا من أموالها وزينتها (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) مضاعفا، فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم، لفَدَوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها ، لينجوا من سوء عذاب الله ، الذى هو معذّبهم به يومئذ (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ) يقول : وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ، الذى كان أعدّه لهم ، (مَا لَمْ يَكُونُوا) قبل ذلك (يَحْتَسِبُونَ) أنه أعدّه لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ، وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) من الأعمال فى الدنيا ، إذ أُعطوا كتبهم بشمائلهم (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ووجب عليهم حينئذ ، فلزمهم عذاب الله الذى كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم ، فكانوا به يسخرون ، إنكارا أن يصيبهم ذلك أو ينالهم ، تكذيبا منهم به ، وأحاط ذلك بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا ، قَالَ : إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ، بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ، وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدّة دعانا مستغيثا بنا ، من جهة ما أصابه من الضرّ ، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) يقول : ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضرّ ، بأن أبدلناه بالضرّ رخاء وسعة ، وبالسقم صحة وعافية ، فقال : إنما أعطيت الذى أعطيت من الرخاء والسعة فى المعيشة ، والصحة فى البدن والعافية ، على علم عندى ! ، يعنى على علم من الله ، بأنى له أهل ، لشرفى ورضاه بعملى عندى ، يعنى فيما عندى ، كما يقال : أنت محسن فى هذا الأمر عندى : أى فيما أظنّ وأحسب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) حتى بلغ (عَلَى عِلْمٍ عندى [١]) : أى على خير عندى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) قال : أعطيناه . وقوله (أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) : أى على شرف أعطانيه .

وقوله (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يقول تعالى ذكره : بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذى كانوا فيه فتنة لهم : يعنى بلاء ابتليناهم به ، واختبارا اختبرناهم به (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) لجهلهم ، وسوء رأيهم (لَا يَعْلَمُونَ) لأىّ سبب أُعطوا ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) : أى بلاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ

(١) قوله (عندى) : أضافه المؤلف إلى معنى الآية ، لمجيئه فى حديث قتادة بعده بقليل . وليس فى الآية فى هذا الموضع لفظة « عندى » ، وإنما هى فى آية القصص ، إذ جاء على لسان قارون : (قال إنما أوتيته على علم عندى) .

مَا كَسَبُوا ، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَـٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١)

❁ يقول تعالى ذكره : قد قال هذه المقالة ، يعنى قولهم : لنعمة الله التى خولهم وهم مشركون : أوتيناه على علم عندنا (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى : الذين من قبل مشركى قُرَيش من الأمم الخالية ، لرسلها ، تكذيبا منهم لهم ، واستهزاء بهم . وقوله (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله ، واستهزائهم بهم ، ما كانوا يكسبون من الأعمال ، وذلك عبادتهم الأوثان ، يقول : لم تنفعهم خدمتهم إياها ، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ ، ولكنها أسلمتهم ، وتبرأت منهم : وقوله (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) : يقول : فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية ، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال ، فعوجلوا بالخزى فى دار الدنيا ، ، وذلك كقارون الذى قال حين وُعِظ : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) ، فخسف الله به وبداره الأرض ، (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) يقول الله جلَّ ثناؤه :(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) : يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والذين كفروا بالله يامحمد من قومك ، وظلموا أنفسهم ، وقالوا هذه المقالة ، (سَيُصِيبُهُمْ) أيضا وبال (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) ، كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها (وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول : وما يفوتون ربهم ، ولايسبقونه هربا فى الأرض من عذابه إذا نزل بهم ، ولكنه يصيبهم ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ففعل ذلك بهم ، فأحلَّ بهم خزيه فى عاجل الدنيا ، فقتلهم بالسيف يوم بدر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) الأمم الماضية (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) ، قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)

❁ يقول تعالى ذكره : أو لم يعلم يامحمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرّهم ، فقالوا : إنما أوتيناه على علم منا ، أن الشدّة والرخاء ، والسعة والضيق والبلاء ، بيد الله ، دون كلّ من سواه ، يبسط الرزق لمن يشاء ، فيوسعه عليه ، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده ، فيضيقه ، وأن ذلك من حُجج الله على عباده ، ليعتبروا به ويتذكروا ، ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة ، دون الآلهة والأنداد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول : إن فى بسط الله الرزق لمن يشاء ، وتقتيره على من أراد ، لآيات : يعنى دلالات وعلامات (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) : يعنى : يصدّقون بالحقّ ، فيقرّون به إذا تبيّنوه ، وعلموا حقيقته ، أن الذى يفعل ذلك هو الله ، دون كلّ ماسواه :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣)

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِىَ بها قوم من أهل الشرك ، قالوا لما دُعوا إلى الإيمان بالله : كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا ، وقتلنا النفس التى حرّم الله ، والله يعد فاعل ذلك النار ، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان ، فنزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (قُلْ يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) وذلك أن أهل مكة قالوا : يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ، ودعا مع الله إلها آخر ، وقتل النفسَ التى حرّم الله ، لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا الآلهة ، وقتلنا النفس التى حرّم الله ، ونحن أهل الشرك ، فأنزل الله : (يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) يقول : لاتيأسوا من رحمتى (إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا) وقال : وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، وإنما يعاتب الله أولى الألباب ، وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان ، فإياهم عاتب ، وإياهم أمر ، إن أسرف أحدهم على نفسه ، أن لايَقْنَط من رحمة الله ، وأن ينيب ولا يبطئَ بالتوبة من ذلك الإسراف ، والذنب الذى عمل ، وقد ذكر الله فى سورة آل عمران المؤمنين ، حين سألوا الله المغفرة ، فقالوا : (رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ، وَإسْرافَنا فى أَمْرِنا ، وَثَبِّتْ أَقْدامَنا) ، فينبغى أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف ، فأمرهم بالتوبة من إسرافهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) قال : قَتْل النفس فى الجاهلية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة فى وحشى [١] وأصحابه (يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) إلى قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذابُ بَغْتَةً وأَنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبوصخر ، قال : قال زيد بن أسلم ، فى قوله (يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) قال : إنما هى للمشركين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) حتى بلغ (الذُّنُوبَ جَمِيعاً) قال : ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لايُتاب عليهم ، فدعاهم الله بهذه الآية : (ياعِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) .

(١) هو وحشى بن حرب الحبشى مولى جبير بن مطعم ، وهو قاتل حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أحد ، وكان فاتكا يشرب الخمر ، ثم أسلم بعد . (انظر خلاصة الخزرجى) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله : (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) قال : هؤلاء المشركون من أهل مكة ، قالوا : كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى ، أو قتل ، أو أشرك بالرحمن ، كان هالكا من أهل النار ، فكلّ هذه الأعمال قد عملناها ، فأنزلت فيهم هذه الآية : (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) . . . الآية قال : كان قوم مسخوطين فى أهل الجاهلية ، فلما بعث الله نبيه قالوا : لوأتينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنا به واتبعناه ، فقال بعضهم لبعض : كيف يقبلكم الله ورسوله فى دينه ؟ فقالوا : ألا نبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ؟ فلما بعثوا ، نزل القرآن : (قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) ، فقرأ حتى بلغ : (فأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبىّ ، قال : تجالس شُتَيْر بن شَكَل ومسروق ، فقال شُتَيْر : إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك ، وإما أن أحدّث فتصدّقنى ، فقال مسروق لا ، بل حدّث فأصدّقك ، فقال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أكبر آية فَرَجا فى القرآن (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) فقال مسروق : صدقت .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أهل الإسلام ، وقالوا : تأويل الكلام : إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ، قالوا : وهى كذلك فى مصحف عبد الله ، وقالوا : إنما نزلت هذه الآية فى قوم صدّهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم ، فأشفقوا أن لايكون لهم توبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد الأموىّ ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال : يعنى عمر : كنا نقول : ما لمن افتتن من توبة ، وكانوا يقولون : ما الله بقابل منا شيئا ، تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله فيهم : (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) . . . الآية ، قال عمر : فكتبتها بيدى ، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص ، قال هشام : فلما جاءتنى جعلت أقرؤها ولا أفهمها ، فوقع فى نفسى أنها أنزلت فينا ، لما كنا نقول ، فجلست على بعيرى ، ثم لحقت بالمدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : إنما أنزلت هذه الآيات فى عَيَّاش بن أبى ربيعة ، والوليد بن الوليد ، ونفر من المسلمين ، كانوا أسلموا ثم فُتِنوا وعذّبوا ، فافتتنوا ، كنا نقول : لايقبل الله من هؤلاء صَرْفا ولا عدلا أبدا ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه ، فنزلت هؤلاء الآيات ، وكان عمر بن الخطاب كاتبا ، قال : فكتبها بيده ، ثم بعث بها إلى عَيَّاش بن أبى ربيعة ، والوليد بن الوليد ، إلى أولئك النفر ، فأسلموا وهاجروا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا يونس ، عن ابن سيرين ، قال : قال عليّ رضى الله عنه : أيّ آية في القرآن أوسع ؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ، أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ ، يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ونحوها ، فقال عليّ : ما في القرآن آية أوسع من : (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سعيد الأزديّ ، عن أبي الكنود ، قال : دخل عبد الله المسجد ، فإذا قاصّ يذكر النار والأغلال ، قال : فجاء حتى قام على رأسه ، فقال : ما يُذَكِّرُ أتقنط الناس ؟ (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القُرَظيّ ، أنه قال في هذه الآية : (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) قال : هي للناس أجمعين .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبي قُبيل ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن المُزَنى يقول : ثنى أبو عبد الرحمن الجلانى ، أنه سمع ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أُحِبُّ أنَّ لى الدُّنيا وَما فِيها بِهَذِهِ الآيَةِ : يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ . . . الآية ، فقال رجل : يا رسول الله ، ومن أشرك ؟ فسكت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا وَمَنْ أشْرَكَ ، ألا وَمَنْ أشْرَكَ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ » .

وقال آخرون : نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار ، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن البرقيّ ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا أبو معاذ الخراسانيّ ، عن مقاتل بن حيان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول : إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة ، حتى نزلت هذه الآية (أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَلا تُبْطِلوا أَعْمالَكُمْ) فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا الذي يُبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر والفواحش ، قال : فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا : قد هلك ، حتى نزلت هذه الآية : (إنَّ اللهَ لايَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مادُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشاءُ) فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك ، فكنا إذا رأينا أحدا أصاب منها شيئا خفنا عليه ، وإن لم يصب منها شيئا رجونا له .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك ، لأن الله عمّ بقوله (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ) جميع المسرفين ، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف .

فإن قال قائل : فيغفرُ الله الشرك؟ قيل : نعم إذا تاب منه المشرك . وإنما عنى بقوله (إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) لمن يشاء ، كما قد ذكرنا قبل أن ابن مسعود كان يقرؤه ، وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه ، فقال : إن الله لايغفر أن يُشْرَك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأخبر أنه لايغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحًا) فأما ما عداه، فإن صاحبه فى مشيئة ربه ، إن شاء تفضل عليه ، فعفا له عنه ، وإن شاء عدل عليه ، فجازاه به .

وأما قوله (لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) فإنه يعنى : لاتيأسوا من رحمة الله، كذلك حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس .

وقد ذكرنا ما فى ذلك من الروايات قبلُ ، فيما مضى ، وبيَّنا معناه .

وقوله (إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) يقول : إن الله يستر على الذنوب كلها، بعفوه عن أهلها ، وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها ، إنه هو الغفور الرحيم بهم ، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)

ﷺ يقول تعالى ذكره : وأقبلوا أيها الناس إلى ربكم بالتوبة ، وارجعوا إليه بالطاعة له ، واستجيبوا له إلى ما دعاكم إليه من توحيده ، وإفراد الأُلوهة له ، وإخلاص العبادة له .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ) : أى أقبلوا إلى ربكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأنِيبُوا) قال : أجيبوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ) قال : الإنابة : الرجوع إلى الطاعة ، والنزوع عما كانوا عليه، ألا تراه يقول : (مُنِيبِينَ إلَيْهِ واتَّقُوهُ) .

وقوله (وأَسْلِمُوا لَهُ) يقول : واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفى (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَكُمُ العَذابُ) من عنده على كفركم به (ثُمَّ لاتُنْصَرُونَ) يقول : ثم لاينصركم ناصر ، فينقذكم من عذابه النازل بكم .

وقوله (واتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره : واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم فى تنزيله ، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه ، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا .

فإن قال قائل : ومن القرآن شىء هو أحسن من شىء؟ قيل له : القرآن كله حسن ، وليس معنى ذلك

ما توهمت ، وإنما معناه ، واتبعوا مما أُنزل إليكم ربكم من الأمر ، والنهى ، والخبر ، والمثَل ، والقصَص ، والجدَل ، والوعد ، والوعيد ، أحسنه ، وأحسنُه أن تأتمروا لأمره ، وتنتهوا عما نُهى عنه ، لأن النهى مما أنزل فى الكتاب ، فلو عملوا بما نُهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه ، فذلك وجهه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : ما أمرتم به فى الكتاب (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ) .

وقوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً) يقول : من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة (وَأَنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ) يقول : وأنتم لاتعلمون به حتى يغشاكم فجأة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَن تَقُولَ نَفْسٌ : يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ ، وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٧)

* يقول تعالى ذكره : وأنيبوا إلى ربكم ، وأسلموا له (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ) بمعنى : لئلا تقول نفس : (يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ) ، وهو نظير قوله : (وأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) بمعنى : أن لاتميد بكم ، فأن إذ كان ذلك معناه فى موضع نصب .

وقوله (يا حَسْرَتا) يعنى أن تقول : يا ندما .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنى أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (يا حَسْرَتا) قال : الندامة ، والألف فى قوله (يا حَسْرَتا) هى كناية المتكلم ، وإنما أريد : يا حسرتى ، ولكن العرب تحوّل الياء التى فى كناية اسم المتكلم فى الاستغاثة ألفا ، فتقول : يا ويلتا ، ويا ندما ، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء ، وربما قيل : يا حسرة على العباد ، كما قيل : يا لهف ، ويا لهفا عليه ؛ وذكر الفراء أن أبا ثَرْوانَ أنشده :

تَزُورُونَها وَلا أَزُورُ نِساءَكُمْ أَلَهْفَ لِأَوْلادِ الإماءِ الحَوَاطِبِ[1]

خفضا كما يخفض فى النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه ، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف ، فيخفضونها

(١) البيت لأبى ثروان العكلى . وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٥) قال : وقوله « يا حسرتا ، يا ويلتا » مضاف إلى المتكلم : يحول العرب الياء إلى الألف فى كل كلام كان معناه الاستغاثة ، يخرج على لفظ الدعاء . وربما قالوا : يا حسرة ، كما قالوا : يا لهف على فلان ، ويالهفا عليه . قال : أنشدنى أبو ثروان العكلى : « تزورونها ولا أزور . . . . البيت . اهـ . فخفض كما يخفض المنادى إذا أضافه المتكلم إلى نفسه . والإماء : الجوارى من الرقيق يتخذن للخدمة والعمل عند ساداتهن واحدها أمة . والحواطب : جمع حاطبة ، وهى التى ترسل فى جمع الحطب للوقود . واللهف بسكون الهاء وفتحها : الأسف والحزن والغيظ .

أحيانا ، ويرفعونها أحيانا ؛ وذكر الفراء أن بعض بنى أسد أنشد :

يَا رَبُّ يَا رَبَّاهِ إِيَّاكَ أَسَلْ عَفْرَاءَ يَا رَبَّاهِ مِنْ قَبْلِ الأَجَلْ[١]

خفضا ، قال : والخفض أكثر فى كلامهم ، إلا فى قولهم : ياهناه ، ويا هنتاه ، فإن الرفع فيهما أكثر من الخفض ، لأنه كثير فى الكلام ، حتى صار كأنه حرف واحد .

وقوله (عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) يقول : على ماضيعت من العمل بما أمرنى الله به ، وقصرت فى الدنيا فى طاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، فى قوله (يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) يقول : فى أمر الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) قال : فى أمر الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) قال : تركتُ من أمر الله .

وقوله (وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) يقول : وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) قال : فلم يكفه أن ضيّع طاعة الله ، حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله . قال : هذا قول صنف منهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٦) قال بعد كلامه الذى نقلناه فى الشاهد السابق فى إعراب المضاف إلى ياء المتكلم بعد حذف الياء ، أو قلبها ألفا : وربما أدخلت العرب الهاء (التى للسكت) بعد الألف التى فى « حسرتا » ، فيخفضونها مرة ، ويرفعونها . قال : أنشدنى أبو فقعس لبعض بنى أسد : « يا رب يا رباه إياك أسل . . . البيتين » . فخفض . قال : وأنشدنى أبو فقعس :

يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ نَاهِيَهْ إِذَا أَتَى قَرَّبْتُهُ لِلسَّانِيَهْ

والخفض أكثر فى كلام العرب إلا فى قولهم : ياهناه ، وياهنتاه ، والرفع فى هذا أكثر من الخفض ، لأنه كثر فى الكلام ، فكأنه حرف واحد مدعو (أى كأن اللفظ كله صار كلمة واحدة فى النداء) . وفى خزانة الأدب الكبرى للبغدادى (٣ : ٢٦٣) : وهذا من رجز أورده أبو محمد الأسود الأعرابى فى ضالة الأديب ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيها أيضا : وقال الزمخشرى فى المفصل : وحق هاء السكت أن تكون ساكنة ، وتحريكها لحن ، نحو ما فى إصلاح المنطق لابن السكيت ، من قوله : « يا مرحباه بحمار ناجيه » ، مما لامعرج عليه للقياس ، واستعمال الفصحاء . ومعذرة من قال ذلك : أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، مع تشبيه هاء الوقف بها ، الضمير . اهـ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) يقول : من المستهزئين بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وبالكتاب ، وبما جاء به .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِى لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ : لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس ، وأسلموا له ، أن لاتقول نفس يوم القيامة : ياحسرتا على مافرّطت فى جنب الله : فى أمر الله ، وأن لاتقول نفس أخرى : لو أن الله هدانى للحقّ ، فوفقنى للرشاد ، لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه ، أو أن لاتقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه : (لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً) تقول : لو أن لى رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) الذين أحسنوا فى طاعة ربهم ، والعمل بما أمرتهم به الرسل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ) ... الآية ، قال : هذا قول صنف منهم (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِى) ... الآية ، قال : هذا قول صنف آخر : (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ) ... الآية ، يعنى بقوله (لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا ، قال : هذا صنف آخر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ) قال : أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه ، قال : (وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِى) ... إلى قوله (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ، يقول : من المهتدين ، فأخبر الله سبحانه أنهم لو رُدّوا لم يقدروا على الهدى . وقال : (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ، وقال : (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) قال : ولو ردّوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى ، كما حُلنا بينهم وبينه أوّل مرّة وهم فى الدنيا .

وفى نصب قوله (فَأَكُونَ) وجهان : أحدهما : أن يكون نصبه على أنه جواب لو . والثانى : على الردّ على موضع الكرّة ، وتوجيه الكرّة فى المعنى إلى : لو أنّ لى أن أكرّ ، كما قال الشاعر :

فَمَا لَكَ مِنْها غيرُ ذِكْرَى وَحَسْرَةٍ وَتَسْأَلَ عَنْ رُكْبانِها أَيْنَ يَمَّمُوا ؟ (١)

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) والشاهد فى قوله « وتسأل » إذ يجوز فيه النصب بتقدير « أن » لعطف الفعل على اسم صريح ، مثل قول ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية : « ولبس عباءة وتقر عينى » أى وأن تقر عينى . ويجوز فيه أن يرفع ، لأنه لم تظهر قبله « أن » . قال الفراء : قوله « لو أن لى كرة فأكون من المحسنين » : النصب فى قوله

فنصب تسأل، عطفا بها على موضع الذكرى، لأن معنى الكلام : فمالك[1] بيرسل على موضع الوحى فى قوله (إلاَّ وَحْيًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره مكذّبا للقائل : (لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ، وللقائل : (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) : ما القول كما تقولون، (بَلَى قَدْ جاءَتْكَ) أيها المتمنى على الله الردّ إلى الدنيا، لتكون فيها من المحسنين (آياتى) يقول : قد جاءتك حُجَجى من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير (فَكَذَّبْتَ) بآياتى (وَاسْتَكْبَرْتَ) عن قبولها واتباعها (وكُنْتَ مِنَ الكافِرِينَ) : يقول : وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستنّ بسنتهم، ويتبع منهاجهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة يقول الله ردّا لقولهم ، وتكذيبا لهم ، يعنى لقول القائلين : (لَوْ أَنَّ اللهَ هَدانِي) ، والصنف الآخر : (بَلَى قَدْ جاءَتْكَ آياتِى) . . . الآية ، وبفتح الكاف والتاء من قوله (قَدْ جاءَتْكَ آياتِى فَكَذَّبْتَ) على وجه المخاطبة للذكور ، قرأه القرّاء فى جميع أمصار الإسلام . وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قرأ ذلك بكسر جميعه، على وجه الخطاب للنفس ، كأنه قال : أن تقول نفس : يا حسرتا على مافرّطت فى جنب الله ، بلى قد جاءتك أيها النفس آياتى ، فكذّبت بها ، أجرى الكلام كله على النفس ، إذ كان ابتداء الكلام بها جرى ، والقراءة التى لاأستجيز خلافها ، ما جاءت به قرّاء الأمصار مجمعة عليه ، نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الفتح فى جميع ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)

--- « فأكون » : جواب لو . وإن شئت مردودا على تأويل « أن » تضمرها فى الكرة ، كما يقولون : لو أن لى أن أكر فأكون . ومثله مما نصب على إضمار أن قوله « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل » المعنى - والله أعلم - ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا » ، ولو رفع « فيوحى » إذ لم يظهر أن قبله ولا معه ، كان صوابا . وقد قرأ به بعض القراء . وأنشدنى بعض القراء : « فمالك منها غير ذكرى وحسرة » البيت » . وقال الكسائى : سمعت من العرب : « ماهى إلا ضربة من الأسد ، فيحطم ظهره » ، أى برفع الفعل ونصبه » . اهـ .

(١) فى الكلام سقط من الناسخ ، ولعل الأصل : فمالك غير أن تذكر وتسأل : ونظيره (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل) فعطف بيرسل ... الخ .

﴿ يقول تعالى ذكره : (وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى) يا محمد هؤلاء (الَّذِينَ كَذَبُوا على اللهِ) من قومك فزعموا أن له ولدا ، وأن له شريكا ، وعبدوا آلهة من دونه (وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) ، والوجوه وإن كانت مرفوعة بمسودّة ، فإن فيها معنى نصب ، لأنها مع خبرها تمام ترى ، ولو تقدّم قوله (مسودّة) قبل الوجوه ، كان نصبا ، ولو نصب الوجوه المسودّة ناصب فى الكلام لا فى القرآن ، إذا كانت المسودّة مؤخرة ، كان جائزا ، كما قال الشاعر :

ذَرِينِى إنَّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعَا وَمَا أَلْفَيْتِنِى حِلْمِى مُضَاعَا[1]

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتنى ، وكذلك تفعل العرب فى كلّ ما احتاج إلى اسم وخبر ، مثل ظنّ وأخواتها . وفى مسودّة للعرب لغتان : مسودّة ، ومسوادّة ، وهى فى أهل الحجاز ، يقولون فيما ذكر عنهم ، قد اسوادّ وجهه ، واحمارّ ، واشهابّ . وذكر بعض نحويّى البصرة ، عن بعضهم ، أنه قال : لا يكون افعالّ إلا فى ذى اللون الواحد نحو الأشهب ، قال : ولا يكون فى نحو الأحمر ، لأن الأشهب لون يحدث ، والأحمر لا يحدث .

وقوله (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : أليس فى جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله ، فامتنع من توحيده ، والانتهاء إلى طاعته ، فيما أمره ونهاه عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : وينجى الله من جهنم وعذابها ، الذين اتقوه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى الدنيا ، بمفازتهم : يعنى بفوزهم ، وهى مفعلة منه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ، وإن خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَيُنَجِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) قال : بفضائلهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيُنَجِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا

---

(١) البيت لعدى بن زيد ، كما قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) . وهو من أبيات الكتاب لسيبويه ١ : ٨٧ . ومن شواهد (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٦٨) . وموضع الشاهد فيه : أن قوله « حلمى » بدل اشتمال من الياء فى « ألفيتنى » . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب ، إذا كان بدل البعض أو بدل الاشتمال ، نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . اهـ . وقال فى الخزانة : والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وتبعه ابن السراج فى أصوله . وعزاه الفراء والزجاج ، إلى عدى بن زيد العبادى . وهو الصحيح ، وكذلك قال صاحب الحماسة البصرية وأورد من القصيدة بعده أبياتا . اهـ .

بِمَفَازَتِهِمْ) قال: بأعمالهم ، قال : والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة « وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ » .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة ، وبعض قرّاء مكة والبصرة (بِمَفَازَتِهِمْ) على التوحيد . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (بِمَفَازَاتِهِمْ) على الجماع .

والصواب عندى من القول فى ذلك: أنهما قراءتان مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معنييهما ، والعرب توحّد مثل ذلك أحيانا وتجمع ، بمعنى واحد، فيقول أحدهم : سمعت صوت القوم ، وسمعت أصواتهم ، كما قال جلّ ثناؤه : « إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، ولم يقل : أصوات الحمير ، ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا .

وقوله (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يقول تعالى ذكره : لايمسّ المتقين من أذى جهنم شىء ، وهو السوء الذى أخبر جلّ ثناؤه أنه لن يمسهم ، ولا هم يحزنون : يقول : ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا ، إذ صاروا إلى كرامة الله ، ونعيم الجنان .

وقوله (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول تعالى ذكره : الله الذى له الألوهة من كلّ خلقه، الذى لاتصلح العبادة إلا له ، خالق كل شىء ، لاما لايقدر على خلق شىء، وهو على كل شىء وكيل : يقول : وهو على كلّ شىء قيّم بالحفظ والكلاءة .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، يفتح منها على من يشاء ، ويمسكها عمن أحبّ من خلقه . واحدها : مقليد . وأما الإقليد : فواحد الأقاليد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) مفاتيحها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أى مفاتيح السموات والأرض .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد فى قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : المقاليد : المفاتيح ، قال : له مفاتيح خزائن السموات والأرض .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) يقول تعالى ذكره : والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها ، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات ، التي بيده مفاتيحها ، لأنهم حُرِموا ذلك كله في الآخرة ، بخلودهم في النار ، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عزّ وجلّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ، لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يامحمد لمشركي قومك ، الداعيك إلى عبادة الأوثان (أَفَغَيْرَ اللهِ) أيها الجاهلون بالله (تَأْمُرُونِّي) أن (أَعْبُدُ) ولا تصلح العبادة لشيء سواه .

واختلف أهل العربية في العاملَ ، في قوله (أَفَغَيْرَ) النصبَ . فقال بعض نحويّي البصرة : قل أفغير الله تأمرونّي ، يقول : أفغيرَ الله أعبدُ تأمرُونّي؟ كأنه أراد الإلغاء ، والله أعلم ، كما تقول : "ذهب فلان(١) يدرى ، جعله على معنى : فما يدرى . وقال بعض نحويّي الكوفة : غير منتصبة بأعبد ، وأن تحذف وتدخل ، لأنها علَم للاستقبال كما تقول : أريد أن أضرب ، وأريد أضرب ، وعسى أن أضرب ، وعسى أضرب . فكانت في طلبها الاستقبال ، كقولك : زيدا سوف أضرب . فلذلك حُذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها ، "ولا حاجة بنا إلى اللغو" .

وقوله (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره : ولقد أوحي إليك يامحمد ربك ، وإلى الذين من قبلك من الرسل (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) يقول : لئن أشركت بالله شيئا يامحمد ، ليبطلنّ عملك ، ولا تنال به ثوابا ، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله ، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم . ومعنى الكلام : ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ، ولتكوننّ من الخاسرين ، وإلى الذين من قبلك ، بمعنى : وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك ، مثل الذي أوحي إليك منه . فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك .

ومعنى قوله (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ) ولتكوننّ من الهالكين ، بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يامحمد بعبادته ، بل اللهَ فاعبد ، دون كلّ ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على

(١) كذا في الأصل ، وهو غير واضح . وقد وضح الشوكاني في فتح القدير (٤ : ٤٦١) عامل النصب في « غير » توضيحا شافيا ، فراجعه ، ولعل أصل العبارة : « ذهب فلا أن يدري » . . . الخ .

نعمته عليك عليك ، بما أنعم من الهداية لعبادته ، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان . ونصب اسم الله بقوله (فاعْبُدْ) وهو بعده،لأنه ردّ كلام، ولو نصب بمضمر قبله ، إذ كانت العرب تقول : زيد فليقم، وزيدا فليقم رفعا ونصبا ، الرفع على فلينظر زيد فليقم ، والنصب على انظروا زيدا فليقم ، كان صحيحا جائزا .

وقوله (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) يقول تعالى ذكره :وما عظّم الله حقّ عظمته ، هؤلاء المشركون بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) قال: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كلّ شىء قدير ، فقد قدر الله حقّ قدره ، ومن لم يؤمن بذلك ، فلم يقدر الله حقّ قدره .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) : ما عظّموا الله حقّ عظمته .

وقوله (والأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : والأرض كلها قبضته فى يوم القيامة (والسَّمَوَاتُ) كلها (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) فالخبر عن الأرض متناه عند قوله : يوم القيامة ، والأرض مرفوعة بقوله (قَبْضَتُهُ) ، ثم استأنف الخبر عن السموات ، فقال : (والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) وهى مرفوعة بمطويات .

ورُوى عن ابن عباس وجماعة غيره ، أنهم كانوا يقولون : الأرض والسموات جميعا فى يمينه يوم القيامة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول: قد قبض الأَرَضين، والسموات جميعا بيمينه، ألم تسمع أنه قال : (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يعنى : الأرض والسموات بيمينه جميعا ، قال ابن عباس : وإنما يستعين بشماله المشغولةُ يمينُه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع ، والأرضون السبع فى يد الله ، إلا كخردلة فى يد أحدكم .

قال : ثنا مُعاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، قال : ثنا النضر بن أنس ، عن ربيعة الجُرَشىّ ، قال : (والأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) قال : ويده الأخرى خِلْو ليس فيها شىء .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عمار بن عمرو ، عن الحسن ، فى قوله (والأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ) قال : كأنها جوزة بقَضِّها وقَضِيضها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (والأرْضُ جَميعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ) يقول : السموات والأرض مطويات بيمينه جميعا .

وكان ابن عباس يقول : إنما يستعين بشماله ، المشغولةُ يمينُه ، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه ، وليس فى شماله شىء .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أسامة بن زيد ، عن أبى حازم ، عن عبد الله بن عمر « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على المنبر يخطب الناس ، فمرّ بهذه الآية (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرْضُ جَميعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَأخُذُ السَّمواتِ والأرَضينَ السَّبْعِ فَيَجْعَلُها فى كَفِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِما كَما يَقُولُ الغُلامُ بالكُرَةِ : أنا اللهُ الواحِدُ ، أنا اللهُ العَزيزُ ، حتى لقد رأينا المنبر ، وإنه ليكاد أن يسقط به » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، قال : ثنى منصور وسليمان ، عن إبراهيم ، عن عبيدة السَّلْمانى ، عن عبد الله ، قال : « جاء يهودىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد إن الله يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، قال : فضحك النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : (وَماقَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة عن عبد الله ، قال : فضحك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، تعجبا وتصديقا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن منصور ، عن خيثمة بن عبد الرحمن ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين جاءه حبر من أحبار اليهود ، فجلس إليه ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : حَدِّثْنا ، قال : إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ، جعل السموات على أصبع ، والأرَضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والماء والشجر على أصبع ، وجميع الخلائق على أصبع ، ثم يهزهنّ ، ثم يقول : أنا الملك ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقا لما قال ، ثم قرأ هذه الآية : (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . . . الآية » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، نحو ذلك .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، وعباس بن أبى طالب ، قالا : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قال : « مرّ يهودىّ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، فقال : يا يَهُودِيُّ حَدِّثْنا ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم ، يوم يجعل الله السماء على ذه ، والأرض على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، فأنزل الله (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . . . الآية » .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ،

قال : « أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله يحمل الخلائق على أصبع ، والسموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، قال فضحك النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، والأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : بل السموات فى يمينه ، والأرضون فى شماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن داود . قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا ابن أبى حازم ، قال : ثنى أبوحازم ، عن عبيد الله بن مِقْسَم، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَوَاتِه وأَرْضَه بِيَدَيْهِ ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وجعل يقبضهما ويبسطهما، قال: ثمَّ يَقُولُ: أنا الرَّحْمَنُ ، أنا المَلِكُ ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ ، أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرّك من أسفل شىء منه ، حتى إنى لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنى أبوعلقمة الفَرْوِىّ عبد الله بن محمد ، قال : ثنى عبد الله بن نافع ، عن عبد العزيز بن أبى حازم، عن أبيه ، عن عبيد بن عمير ، عن عبد الله بن عمر ، أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَوَاتِه وأَرْضَه بِيَدِهِ ، وقبض يده، فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول : أنا الجَبَّارُ، أنا المَلِكُ ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ ، أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ قال : ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرّك من أسفل شىء منه ، حتى إنى لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟

حدثنى الحسن بن علىّ بن عياش الحِمْصِىّ ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن شهاب ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة، أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقْبِضُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الأَرْضَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَيَطْوِى السَّمواتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أنا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ ؟ » .

حُدِّثت عن حرملة بن يحيى ، قال : ثنا إدريس بن يحيى القائد ، قال : أخبرنا حَيْوَة ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ اللهَ يَقْبِضُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيامَةِ بِيَدِهِ ، وَيَطْوِى السَّماءَ بِيَمِينِهِ وَيَقُولُ : أنا المَلِكُ ».

حدثنى محمد بن عون ، قال: ثنا أبوالمغيرة ، قال: ثنا ابن أبى مريم ، قال: ثنا سعيد بن ثَوْبان الكَلاعىّ ، عن أبى أيوبَ الأنصارىّ، قال: « أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حبرٌ من اليهود ، قال: أرأيت إذ يقول الله فى كتابه (والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال : هُمْ فِيها كَرَقْمِ الكِتابِ » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا أبوأسامة ، قال : ثنا عمرو بن حمزة ، قال : ثنى سالم ، عن أبيه، أنه أخبره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطْوِى اللهُ السَّمٰوَاتِ، فَيأْخُذُهُنَّ بِيَمِينِهِ ، وَيَطْوِى الأَرْضَ ، فَيأْخُذُها بشِمالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أنا المَلِكُ ؟ أيْنَ الجَبَّارُونَ ؟ أينَ المُتَكَبِّرُونَ »

وقيل : إن هذه الآية نزلت من أجل يهودىّ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة الربّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن محمد ، عن سعيد ، قال : «أتى رهط من اليهود نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى انتُقِع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه ، فجاءه جبريل فسكّنه ، وقال : اخفض عليك جناحك يامحمد ، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه ، قال : يقول الله تبارك وتعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فلما تلاها عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم قالوا : صف لنا ربك ؟ كيف خَلْقه ؟ وكيف عَضُده ؟ وكيف ذِراعه ؟ فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأول، ثم ساورهم ، فأتاه جبريل ، فقال مثل مقالته ، وأتاه بجواب ما سألوه عنه، (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ،وَالأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحانَهُ وَتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : تكلمت اليهود فى صفة الربّ ، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ثم بين للناس عظمته، فقال : (وَالأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحانَهُ وَتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، فجعل صفتهم التى وصفوا الله بها شركا .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة (والأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يقول فى قدرته، نحو قوله (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ): أى وما كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد ، قال : وقوله (قَبْضَتُهُ) نحو قولك للرجل هذا فى يدك ، وفى قبضتك، والأخبار التى ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه وغيرهم ، تشهد على بُطُول هذا القول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن حبيب بن أبى عَمْرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس، عن عائشة ، قالت : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قوله (وَالأَرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ) فأين الناس يومئذ ؟ قال : عَلَى الصِّراطِ » .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره ، تنزيها وتبرئة لله، وعلوّا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يامحمد ، القائلون لك : اُعْبُد الأوثان من دون الله ، واسجد لآلهتنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ﴾

يقول تعالى ذكره : ونفخ إسرافيل فى القرن ، وقد بيّنا معنى الصُّور فيما مضى بشواهده ، وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه ، والصوابَ من القول فيه بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ) يقول : مات ، وذلك فى النفخة الأولى .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ) قال : مات .

وقوله (إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) اختلف أهل التأويل فى الذى عَنَى اللهُ بالاستثناء فى هذه الآية، فقال بعضهم عَنَى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنُفِخَ فِى الصور فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) قال : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملَك الموتَ .

حدثنى هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الفضل بن عيسى ، عن عمه يزيد الرقاشىّ ، عن أنس بن مالك، قال: « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) فقيل : من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : جِبْرائِيلَ ، وَمِيكائِيلَ ، وَمَلَكَ المَوْتِ ، فإذَا قَبَضَ أرْوَاحَ الخَلائِقِ قالَ : يا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِىَ ؟ وَهُوَ أعْلَمُ ، قال : يَقُولُ : سُبْحانَكَ تَبارَكْتَ رَبِّى ذَا الجَلالِ والإكْرَامِ ، بَقِىَ جِبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ وَمَلَكُ المَوْتِ ، قالَ : يَقُولُ يامَلَكَ المَوْتِ ، خُذْ نَفْسَ مِيكائِيلَ ، قالَ : فَيَقَعُ كالطَّوْدِ العَظِيمِ ، قالَ : ثُمَّ يَقُولُ يا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِىَ ؟ فَيَقُولُ : سُبْحانَكَ رَبِّى ياذَا الجَلالِ والإكْرَامِ ، بَقِىَ جِبْرِيل وَمَلَكُ المَوْتِ ، قالَ : فَيَقُولُ : يا مَلَكَ المَوْتِ مُتْ ، قال : فَيَمُوتُ ، قالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يا جِبرِيلُ مَنْ بَقِىَ ؟ قال : فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : سُبْحانَكَ رَبِّى ياذَا الجَلالِ والإكْرامِ ، بَقِىَ جِبْرِيلُ ، وَهُوَ مِنَ اللهِ بالمَكانِ الَّذِى هُوَ بِهِ ، قال : فَيَقُولُ ياجِبْرِيلُ ، لابُدَّ مِنْ مَوْتَةٍ ؛ قالَ : فَيَقَعُ ساجِداً يَخْفِقُ بِجَناحَيْهِ ، يَقُولُ : سُبْحانَكَ رَبِّى ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ ياذَا الجَلالِ والإكْرَامِ ، أنْتَ الباقِى ، وَجِبْرِيلُ المَيِّتُ الفانِى ، قال : وَيَأْخُذُ رُوحَهُ فِى الخَلْقَةِ الَّتِى خُلِقَ مِنْها ، قالَ : فَيَقَعُ عَلى مِيكائِيلَ إنَّ فَضْلَ خَلْقِهِ على خَلْقِ مِيكائِيلَ ، كَفَضْلِ الطَّوْدِ العَظِيمِ عَلَى الظَّرِبِ[1] مِنَ الظِّرابِ » .

(١) فى اللسان : الظرب : الجبل المنبسط ، وقيل : هو الجبل الصغير ، وقيل : الروابي الصغار ، والجمع : ظراب .

وقال آخرون : عنَى بذلك الشهداء .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن عمارة ، عن ذى حجر اليحمدىّ ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله : (فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) قال : الشهداء ثنية الله حول العرش ، متقلدين السيوف .

وقال آخرون : عنى بالاستثناء فى الفزَع : الشهداء ، وفى الصَّعْق : جبريل ، وملك الموت ، وحملة العرش .

ذكر من قال ذلك ، والخبر الذى جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا المحاربىّ عبد الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدنىّ ، عن يزيد عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة ، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُنْفَخُ فِى الصُّورِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ : الأُولى : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ : نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ، تَبارَكَ وَتَعالى ، يَأْمُرُ اللهُ إسْرافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَتَفْزَعُ أهْلُ السَّمٰوَاتِ وأهْلُ الأَرْضِ ، إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ؛ قال أبوهريرة : يا رسول الله، فمن استثْنَى حين يقول: (فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) قال : أُولَئِكَ الشُّهَداءُ ، وإنَّما يَصِلُ الفَزَعُ إلى الأَحْياءِ ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وأمَّنَهُمْ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ إسْرافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، فَيَصْعَقُ أهْلُ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، فإذَا هُمْ خامِدُونَ ، ثُمَّ يَأْتِى مَلَكُ المَوْتِ إلى الجَبَّارِ تَبارَكَ وَتَعالى ، فَيَقُولُ : يارَبِّ قَدْ ماتَ أهْلُ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شِئْتَ ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أعْلَمُ : فَمَنْ بَقِىَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيتَ أنْتَ الحَىُّ الَّذِى لا يَمُوتُ ، وَبَقِىَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِىَ جِبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ ؛ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : اسْكُتْ ، إنِّى كَتَبْتُ المَوْتَ على مَنْ كانَ تَحْتَ عَرْشِى ؛ ثُمَّ يَأْتِى مَلَكُ المَوْتِ فَيَقُولُ : يا رَبِّ قَدْ ماتَ جِبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ ؛ فَيَقُولُ اللهُ وَهُوَ أعْلَمُ : فَمَنْ بَقِىَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيتَ أنتَ الحَىُّ الَّذِى لا يَمُوتُ ، وَبَقِىَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيتُ أنا ، فَيَقُولُ اللهُ : فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ العَرْشِ ، فَيَمُوتُونَ ، وَيَأْمُرُ اللهُ تَعالى العَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ ، فَيَقُولُ : أىْ رَبِّ قَدْ ماتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ؛ فَيَقُولُ : مَنْ بَقِىَ ؟ وَهُوَ أعْلَمُ ، فَيَقُولُ : بَقِيتَ أنْتَ الحَىُّ الَّذِى لا يَمُوتُ ، وَبَقِيت أنا ، قال : فَيَقُولُ اللهُ : أنْتَ مِنْ خَلْقِى خَلَقْتُكَ لِمَا رأيْتَ ، فَمُتْ لا تَحْىَ ، فَيَمُوتُ » .

وهذا القول الذى رُوِى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة ، لأن الصَّعْقة فى هذا الموضع : الموت . والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء ، كما أخبر الله تعالى ذكره ، فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك.

وإنما عنى جل ّ ثناؤه بالاستثناء فى هذا الموضع ، الاستثناء من الذين صُعِقوا عند نفخة الصَّعْق ، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل ، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، وذاق

الموت قبل وقت نفخه الصَّعْق ، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، فذاق الموت من قبل ذلك ، لأنه ممن لايصعق فى ذلك الوقت ، إذا كان الميت لايجدّد له موت آخر فى تلك الحال .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) قال الحسن : يستثنى الله وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت ؟ قال قتادة : قد استثنى الله ، والله أعلم إلى ماصارت ثَنِيَّته .

قال : ذُكر لنا أن نبىَّ الله قال : « أتانِى مَلَكٌ فقالَ : يا مُحَمَّدُ اخْتَرْ نَبِيًّا مَلِكا ، أوْ نَبِيًّا عَبْدًا ، فأوْمأ إلىَّ أنْ تَوَاضَعْ ، قال : نَبِيًّا عَبْدًا ، قال : فأُعْطِيتُ خَصْلَتَيْنِ : أنْ جُعِلْتُ أوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ ، وأوَّلُ شافِعٍ ، فأرْفَعُ رأسِى ، فأجِدُ مُوسَى آخِذًا بالعَرْشِ ، فاللهُ أعْلَمُ أصَعِقَ بَعْدَ الصَّعْقَةِ الأُولى أمْ لا ؟»

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوسلمة ، عن أبى هريرة ، قال : «قال يهودىّ بسوق المدينة : والذى اصطفى موسى على البشر ، قال : فرفع رجل من الأنصار يده ، فصكّ بها وجهه ، فقال : تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ، فأكُونُ أنا أوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ ، فإذَا مُوسَى آخِذٌ بقائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ ، فَلا أدْرِى أرَفَعَ رأسَهُ قَبْلِى ، أوْ كانَ مِمَّنِ استثنى الله؟»

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن الحسن ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « كأنِّى أنْفُضُ رأسِى مِنَ التُّرابِ أوَّلَ خارِجٍ ، فألْتَفِتُ فَلا أرَى أحَدًا إلاَّ مُوسَى مُتَعَلِّقا بالعَرْشِ ، فَلا أدْرِى أمِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ أنْ لاتُصِيبَهُ النَّفْخَةُ ، أوْ بُعِثَ قَبْلِى » ؟

وقوله (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ثم نُفخ فى الصور نفخة أخرى ، والهاء التى فى فيه من ذكر الصور .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى) قال : فى الصُّور ، وهى نفخة البعث .

وذُكر أن بين النفختين أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ ، قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال : أبَيْتُ ، قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فَيَنْبُتُونَ كَما يَنْبُتُ البَقْلُ ، قالَ : ولَيْسَ مِنَ الإنْسانِ شَىْءٌ إلاَّ يَبْلَى ، إلاَّ عَظْما وَاحِدًا ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيامَةِ » .

حدثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا البلخيّ بن إياس ، قال : سمعت عكرمة يقول فى قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ) . . . الآية ، قال : الأولى من الدنيا ، والأخيرة من الآخرة .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال نبيّ الله : « بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ » ـ قال : قال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ، ولا زادنا على ذلك ، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة .

وذُكر لنا أنه يبعث فى تلك الأربعين مطر ، يقال له مطر ، الحياة ، حتى تطيب الأرض وتهتزّ ، وتنبت أجساد الناس نباتَ البقل ، ثم ينفخ فيه الثانية (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال : « ذُكر لنا أن معاذ بن جبل ، سأل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : كيف يُبعث المؤمنون يوم القيامة ؟ قال ؟ يُبْعَثُونَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ بَنِى ثَلاثِينَ سَنَةً » .

وقوله (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) يقول : فإذا من صَعِق عند النفخة التى قبلها وغيرهم ، من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك ، قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء ، كهيئتهم قبل مماتهم ، ينظرون أمر الله فيهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال : حين يبعثون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩)

۞ يقول تعالى ذكره : فأضاءت الأرض بنور ربها ، يقال : أشرقت الشمس : إذا صفت وأضاءت ، وأشرقت : إذا طلعت ، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَشْرَقَتِ الأَرْضِ بِنُورِ رَبِّها) قال : فما يتضارُّون فى نوره إلا كما يتضارّون فى الشمس فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها) قال : أضاءت .

وقوله (وَوُضِعَ الكِتابُ) يعنى : كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوُضِعَ الكِتابُ) قال : كتاب أعمالهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَوُضِعَ الكِتابُ) قال : الحساب .

وقوله (وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ) يقول : وجىء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم ، وردّت عليهم فى الدنيا ، حين أتتهم رسالة الله والشهداء ، يعنى بالشهداء : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يستشهدهم ربُّهم على الرسل ، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التى أرسلهم بها ربُّهم إلى أممها ، إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله . والشهداء : جمع شهيد . وهذا نظير قول الله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا ، لِتَكُونُوا شُهَداءَ على النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) وقيل : عَنَى بقوله (الشُّهَداءِ) : الذين قتلوا فى سبيل الله ، وليس لما قالوا من ذلك فى هذا الموضع كبير معنى ، لأن عقيب قوله (وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقّ) ، وفى ذلك دليل واضح على صحة ماقلنا ، من أنه إنما دُعِى بالنبيين والشهداء ، للقضاء بين الأنبياء وأممها ، وأن الشهداء إنما هى جمع شهيد ، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم ، كما ذكرنا .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ) فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة ، وبتكذيب الأمم إياهم .

ذكر من قال ما حكينا قوله من القول الآخر

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ) : الذين استُشْهِدوا فى طاعة الله .

وقوله (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقّ) يقول تعالى ذكره : وقضى بين النبيين وأممها بالحقّ ، وقضاؤه بينهم بالحق ، ألاّ يحمل على أحد ذنب غيره ، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَى ، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : ووفّى الله حينئذ كلّ نفس جزاء عملها من خير وشرّ ، وهو أعلم بما يفعلون فى الدنيا ، من طاعة أو معصية ، ولا يعزُب عنه علم شىء من ذلك ، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة ، فيثيب المحسن بإحسانه ، والمسىء بما أساء .

وقوله (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ) يقول : وحُشر الذين كفروا بالله ، إلى ناره التى أعدّها لهم يوم القيامة جماعات ، جماعةً جماعةً ، وحزبا حزبا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (زُمَرًا) قال : جماعات .

وقوله (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) السبعة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) قوّامها : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) يعنى : كتاب الله المنزل على رسله ، وحُجَجه التى بعث بها رسله إلى أممهم (وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) يقول : وينذرونكم ما تلقون فى يومكم هذا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم (قَالُوا : بَلَى) يقول : قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم : بلى ؛ قد أتتنا الرسل منا ، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول : قالوا : ولكن وجبت كلمة الله، أن عذابه لأهل الكفر به علينا ، بكفرنا به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) بأعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)

❁ يقول تعالى ذكره : فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ : (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) السبعة ، على قدر منازلكم فيها (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ماكثين فيها ، لايُنقلون عنها إلى غيرها . (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فبئس مسكن المتكبرين على الله فى الدنيا ، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة ، جهنم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا۟ : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ، وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤)

❁ يقول تعالى ذكره : وحُشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى الدنيا ، وأخلصوا له فيها الألوهة ، وأفردوا له العبادة ، فلم يشركوا فى عبادتهم إياه شيئا (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) يعنى جماعات فكان سَوْق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدًا ، على ما قد بيّنّا قبل فى سورة مريم ، على نجائب من نجائب الجنة ، وسَوْق الآخرين إلى النار دعًّا وورِدا ، كما قال الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وقد ذكرنا ذلك فى أماكنه من هذا الكتاب .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) ، وفى قوله (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) قال : كان سوق أولئك عنفا وتعبا ودفعا ، وقرأ (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يدفعون دفعا . وقرأ (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه ، وقرأ (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ، وَنَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) ثم قال : فهؤلاء وفد الله .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا شريك بن عبد الله ، عن أبى إسحاق ، عن عاصم بن ضَمْرة ، عن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه قوله (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) حتى إذا انتهوا إلى بابها ، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان ، فعمدوا إلى إحداهما ، فشربوا منها ، كأنما أمروا بها ، فخرج ما فى بطونهم من قذر أو أذى أو قَذًى ، ثم عمدوا إلى الأخرى ، فتوضئوا منها كأنما أُمروا به ، فجرت عليهم نَضْرة النعيم ، فلن تَشْعَث رءوسهم بعدها أبدا ، ولن تبلى ثيابهم بعدها ، ثم دخلوا الجنة ، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، فيقولون : أبشر ، أعدّ الله لك كذا ، وأعدّ لك كذا وكذا ، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه ، جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر ، يتلألأ كأنه البرق ، فلولا أن الله قضى ألاّ يذهب بصره لذهب ، ثم يأتى بعضهم إلى بعض أزواجه ، فيقول : أبشرى قد قدم فلان ابن فلان ، فيسميه باسمه واسم أبيه ، فتقول : أنت رأيته ؟ أنت رأيته ؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم ، فتجلس على أُسْكُفَة بابها ، فيدخل فيتكئ على سريره ، ويقرأ هذه الآية : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) . . . الآية .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذكر أبو إسحاق عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : يساقون إلى الجنة ، فينتهون إليها ، فيجدون عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان تجريان ، فيعمدون إلى إحداهما ، فيغتسلون منها ، فتجرى عليهم نَضْرة النعيم ، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا ، ولن تغبرّ جلودهم بعدها أبدا ، كأنما دُهِنوا بالدّهان ، ويعمدون إلى الأخرى ، فيشربون منها ، فيذهب ما فى بطونهم من قذى أو أذى ، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون ، فيُفتح لهم ، فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ !) قال : وتتلقاهم الولدان المخلّدون ، يُطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة ، يقولون : أبشر أعدّ الله لك كذا ، وأعدّ لك كذا ، فينطلق أحدهم إلى زوجته ، فيبشرها به ، فيقول : قدم فلان ، باسمه الذى كان يسمى به فى الدنيا ، وقال : فيستخفها الفرح ، حتى تقوم على أسكفة بابها ، وتقول : أنت رأيته ؟ أنت رأيته ؟ قال : فيقول : نعم ، قال : فيجىء حتى يأتى منزله ، فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ ، من بين أصفر وأحمر وأخضر ، قال : فيدخل ، فإذا الأكواب موضوعة ، والنمارق مصفوفة ، والزرابىّ مبثوثة ، قال : ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين ، فلولا أن الله أعدّها له ، لالتمع بصره من نورها وحسنها ؛ قال : فاتكأ عند ذلك ويقول :

(الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانا لِهَذَا ، وَما كُنّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أنْ هَدانا اللهُ) قال : فتناديهم الملائكة : أن تلكمُ الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ذكر السدىّ نحوه أيضا ، غير أنه قال : لهو أهدى إلى منزله فى الجنة ، منه إلى منزله فى الدنيا ، ثم قرأ السدىّ (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنّةَ عَرَّفَها لَهُمْ) .

واختلف أهل العربية فى موضع جواب « إذا » التى فى قوله (حَتّى إذَا جاءُوها) فقال بعض نحوىّ البصرة : يقال إن قوله (وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها) فى معنى : قال لهم ، كأنه يلغى الواو ، وقد جاء فى الشعر شىء يشبه أن تكون الواو زائدة ، كما قال الشاعر :

فإذَا وَذَلكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ إلاّ تَوَهُّمَ حالِمٍ بِخَيالِ[1]

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن . قال : وقال بعضهم : فأضمر الخبر ، وإضمار الخبر أيضا أحسن فى الآية ، وإضمار الخبر فى الكلام كثير . وقال آخر منهم : هو مكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل مثل هذا ، قال عبد مَناف بن ربْع فى آخر قصيدة :

حتّى إذَا أسْلَكُوهُمْ فِى قُتائِدَةٍ شَلاًّ كما تَطْرُدُ الجَمّالَةُ الشُّرُدا[2]

وقال الأخطل فى آخر قصيدة :

خَلا أنَّ حَيًّا مِنْ قُرَيْشٍ تَفَضَّلوا على النّاسِ أوْ أنَّ الأكارِمَ نَهْشَلا[3]

وقال بعضُ نحوىّ الكوفة : أدخلت فى حتى إذا وفى فلما ، الواو فى جوابها وأخرجت ، فأما من أخرجها فلا شىء فيه ، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب ، فجعل الثانى نسقا على الأوّل . وإن كان الثانى جوابا ، كأنه قال : أتعجب لهذا وهذا .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : الجواب متروك ، وإن كان القول الآخر غير مدفوع ، وذلك أن قوله (وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فادْخُلُوها خالِدِينَ) يدلّ على أن فى الكلام متروكا ، إذ كان عقيبه (وَقالُوا الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى صَدَقَنا وَعْدَهُ) ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الكلام : حتى إذا جاءوها ، وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها

(١) هذا البيت لم نقف على قائله . استشهد به المؤلف عند قوله تعالى « حتى إذا جاءوها وفتحت » على أن الواو زائدة فى قوله تعالى « وفتحت أبوابها » كزيادتها فى قول الشاعر : « فإذا وذلك » لأن الشاعر يريد : « فإذا ذلك » بدون واو .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربع الهذلى (اللسان : جل) . و(خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ١٧٠) شاهد على أن جواب إذ عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف لتفخيم الأمر . (وقد تقدم الاستشهاد به على هذا وغيره فى الجزء ١٤ : ٩) فراجعه ثمة . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ٢١٧) قال : وقوله « حتى إذا جاءوها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » : مكفوف عن خبره (أى محذوف خبره) والعرب تفعل مثل هذا . قال عبد مناف : « حتى إذا أسلكوهم . . . البيت » . وفى خزانة الأدب للبغدادى (٣ : ١٧١) : وقال فى الصحاح : إذا : زائدة . أو يكون قد كف عن خبره ، لعلم السامع . اهـ . ورد قوله بأن إذا اسم ، والاسم لايكون لغوا . اهـ .

(٣) البيت للأخطل ، قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٧) وذكر البيت يعقب البيت الذى قبله ، ولم يبين موضع الشاهد فيه ، وهو قوله « أو أن المكارم نهشلا » ... فلم يذكر خبر أن الثانية ، كما لم يذكر جواب « إذا » فى بيت عبد مناف قبله . والعرب تفعل ذلك إذا كان مفهوما من السياق . وتقدير المحذوف فى هذا البيت : أو أن الأكارم نهشلا تفضلوا على الناس .

خالدين ، دخلوها وقالوا: الحمد لله الذى صدقنا وعده . وعنى بقوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) : أَمَنَةٌ من الله لكم ، أن ينالكم بعدُ مكروه أو أذى وقوله (طِبْتُمْ) يقول : طابت أعمالكم فى الدنيا ، فطاب اليوم مثواكم .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ، ماحدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طِبْتُمْ) قال : كنتم طيبين فى طاعة الله .

وقوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) يقول: وقال الذين سيقُوا زُمَرًا ودخلوها: الشكر خالص لله ، الذى صدقنا وعده ، الذى كان وعدناه فى الدنيا على طاعته ، فحققه بإنجازه لنا اليوم ، (وأَوْرَثَنا الأَرْضَ) يقول : وجعل أرض الجنة التى كانت لأهل النار ، لوكانوا أطاعوا الله فى الدنيا ، فدخلوها ، ميراثا لنا عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَوْرَثَنا الأَرْضَ) قال: أرض الجنة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأَوْرَثَنا الأَرْضَ) أرض الجنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَوْرَثَنا الأَرْضَ) قال : أرض الجنة ، وقرأ (أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ) .

وقوله (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ) يقول : نتخذ من الجنة بيتا ، ونسكن منها حيث نحبّ ونشتهى .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (نَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ نَشاءُ): ننزل منها حيث نشاء .

وقوله (فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ) يقول : فنعم ثواب المطيعين لله ، العاملين له فى الدنيا ، الجنةُ لمن أعطاه الله إياها فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : وترى يامحمد الملائكة مُحْدِقين من حوْل عرش الرحمن ، ويعنى بالعرش : السرير.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ) : مُحْدِقين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ،عن السدىّ (وَتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ) قال : مُحْدِقين حول العرش ، قال : العرش : السرير ، واختلف أهل العربية فى وجه دخول « مِنْ » فى قوله : (حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ) والمعنى : حافِّين حول العرش .

وفى قوله(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ : لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) ، فقال بعض نحويِّ البصرة : أدخلت « مِنْ » فى هذين الموضعين توكيدا ، والله أعلم ، كقولك : ما جاءنى من أحد ، وقال غيره : قبل وحول وما أشبههما : ظروف تدخل فيها « مِنْ » وتخرج ، نحو : أتيتك قبل زيد ، ومن قبل زيد ، وطفنا حولك ومن حولك ، وليس ذلك من نوع : ما جاءنى من أحد ، لأن موضع « مِنْ » فى قولهم : ما جاءنى من أحد : رفع ، وهو اسم .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن « مِنْ » فى هذه الأماكن ، أعنى فى قوله (مِنْ حَوْلِ العَرْشِ) ومن قبلك ، وما أشبه ذلك ، وإن كانت دخلت على الظروف ، فإنها بمعنى التوكيد .

وقوله(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) : يقول : يُصلّون حول عرش الله ، شكرا له . والعرب تدخل الباء أحيانا فى التسبيح ، وتحذفها أحيانا ، فتقول : سبحْ بحمدِ الله ، وسبحْ حَمْدَ الله ، كما قال جلّ ثناؤه(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) ، وقال فى موضع آخر : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ) .

وقوله (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ) يقول : وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم ، والشهداء وأممها بالعدل ، فأسكن أهل الإيمان بالله ، وبما جاءت به رسله الجنة ، وأهل الكفر به ، وبما جاءت به رسله النار . (وَقِيلَ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) : يقول : وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذى ابتدأ خلقهم ، الذى له الألوهية ، ومُلك جميع ما فى السموات والأرض من الخلق ، من ملَك وجنّ وإنس ، وغير ذلك من أصناف الخلق .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . . . الآية ، كلها قال : فتح أوّل الخلق بالحمد لله ، فقال : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وختم بالحمد فقال : (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

آخر تفسير سورة الزُّمَر

تفسير سورة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ، ذِى ٱلطَّوْلِ ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣)

❊ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (حمٓ) فقال بعضهم : هو حروف مقطعة من اسم الله ، الذى هو الرحمن الرحيم ، وهو الحاء والميم منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شَبُّويه المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا علىّ بن الحسن ، قال : ثنى أبى ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : الرٓ ، وحمٓ ، ونٓ ، حروف الرحمن مقطعة .

وقال آخرون : هو قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : (حمٓ) : قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ . قوله (حمٓ) : من حروف أسماء الله .

وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حمٓ) قال : اسم من أسماء القرآن .

وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : بل هو اسم ، واحتجوا لقولهم ذلك ، بقول شريح بن أوفى العبسىّ :

يُذَكِّرُنى حاميمُ والرُّمْحُ شاجِرٌ فَهَلاَّ تَلاَحم قَبْلَ التَّقَدُّمِ[١]

---

(١) البيت لشريح بن أوفى العبسى ، كما قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢١٧ ب) وكما فى (اللسان : حمم) وقال : وأنشده غير أبى عبيدة للأشتر النخعى . وقال : قال ابن مسعود : « آل حاميم » : ديباج القرآن . قال الفراء : هو كقولك آل فلان وآل فلان . وقال الجوهرى : أما قول العامة « الحواميم » فليس من كلام العرب . قال أبو عبيدة : « الحواميم » : سور فى القرآن ، على غير قياس ، وأنشد :

وبالطَّوَاسِينِ التى قَدْ ثُلِّثَتْ وبالحَوَامِيمِ التى قَدْ سُبِّعَتْ

قال : والأولى أن تجمع « بذوات حاميم » . وأنشد أبو عبيدة فى « حاميم » لشريح بن أوفى العبسى : « يذكرنى حاميم . . . البيت » قال : وأنشده غيره للأشتر النخعى . والضمير فى « يذكرنى » : هو محمد بن طلحة ، وقتله الأشتر أو شريح . (أى فى يوم الجمل) اهـ .

وبقول الكُمَيت :

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حاميمَ آيَةً تَأَوَّلَها مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ[١]

وحُدِّثت عن معمر بن المثنى أنه قال : قال يونس : يعنى الجرمى[١] ، ومن قال هذا القول فهو منكَر عليه ، لأن السُّورة (حمٓ) ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج التهجِّى ،وهذه أسماء سور خرجت متحركات وإذا سميت سورة بشىء من هذه الأحرف المجزومة ، دخله الإعراب .

والقول فى ذلك عندى : نظير القول فى أخواتها ، وقد بيَّنَّا ذلك ، فى قوله (المٓ) ، ففى ذلك كفاية عن إعادته فى هذا الموضع ، إذ كان القول فى حمٓ ، وجميع ما جاء فى القرآن على هذا الوجه ،أعنى حروف التهجى ، قولا واحدا .

وقوله (تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ) :يقول الله تعالى ذكره : من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه ، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب ، فالتنزيل مرفوع بقوله (مِنَ اللهِ)

وفى قوله (غافِرِ الذَّنْبِ) وجهان : أحدهما : أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد ، وإذا أريد هذا المعنى ، كان خفض غافر وقابل من وجهين ، أحدهما : من نية تكرير « مِنْ » ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، من غافر الذنب ، وقابل التوب ، لأن غافر الذنب نكرة ، وليس بالأفصح أن يكون نعتا للمعرفة ، وهو نكرة ، والآخر : أن يكون أجرى فى إعرابه وهو نكرة ، على إعراب الأوّل ، كالنعت له ، لوقوعه بينه وبين قوله (ذِى الطَّوْلِ) وهو معرفة . وقد يجوز أن يكون أتبع إعرابه وهو نكرة إعراب الأوّل ، إذ كان مدحا ، وكان المدح يتبع إعرابه ما قبله أحيانا ، ويعدل به عن إعراب الأوّل أحيانا ، بالنصب والرفع ، كما قال الشاعر :

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ سَمُّ العُداةِ وَآفَةُ الجُزُرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِينَ مَعاقِدَ الأُزُرِ[٢]

---

(١) البيت للكميت بن زيد الأسدى (مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢١٨ — ا) وديوانه طبعة الموسوعات بالقاهرة ١٨ . وآل حاميم وذوات حاميم : السور التى أولها « حمٓ » ، نص الحريرى فى درة الغواص ، على أنه يقال : آل حاميم وذوات حاميم ، وآل طسم ، ولا يقال : حواميم ولا طواسيم اهـ . والآية هى قوله تعالى فى سورة الشورى : « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » . وفى سورة الأحزاب من غير آل حاميم : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا » . والتقى : الساكت عن التفضيل ، والمعرب : الناطق به ، ورواية البيت فى مجاز القرآن :

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حمٓ آيَةً وفى غَيْرِها آيٌ ، وآيٌ يُعْرِبُ

ثم قال : قال يونس : من قال بهذا القول ، فهو منكر عليه ، لأن السورة « حمٓ » ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج حروف التهجى ، وهذه أسماء سور خرجن متحركات ؛ وإذا سميت سورة بشىء من هذه الأحرف المجزومة (كذا) ، دخلها الإعراب . اهـ . وقول المؤلف : يعنى الجرمى : نبهنا عليه فيما مضى ، لأن الجرمى اسمه صالح ابن إسحاق أبو عمر .

(٢) البيتان لخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى ، وابنها علقمة بن بشر وجماعة من قومها قتلوا فى معركة (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٠٦) ومحل الشاهد فى البيتين أنه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، فقولها : والطيبون نعت مقطوع بالواو من قومى ، للمدح والتعظيم ، بجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وقوله : « النازلين » : مقطوع بالنصب ، مع أنه نعت لقومى المرفوع . وإنما نصب بفعل مقدر ، أى أمدح أو أعنى ، أو نحوهما ، واستشهد بهما المؤلف (الطبرى) على أن قوله تعالى : « غافر الذنب » نعت لفظ « الله » المجرور بمن ، ويجوز فى هذا النعت الجر على الإتباع ، كما يجوز فيه القطع بالنصب ، بتقدير فعل : أى أخص غافر الذنب ، أو بالرفع ، بتقدير مبتدأ : أى هو غافر الذنب .

وكما قال جلّ ثناؤه (وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ ، ذُو العَرْشِ المَجِيدُ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) فرفع فعّالٌ وهو نكرة محضة ، وأتبع إعراب الغفور الودود ، والآخر : أن يكون معناه : أن ذلك من صفته تعالى ، إذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية ، وفى حال نزولها ، ومن بعد ذلك ، فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ، ونعتا على الصحة . وقال (غافِرِ الذَّنْبِ) ولم يقل الذنوب ، لأنه أريد به الفعل . وأما قوله (وَقابِلِ التَّوْبِ) فإن التوب قد يكون جمع توبة ، كما يجمع الدَّومة دَوما ، والعَومة عَوما ، من عومة السفينة ، كما قال الشاعر :

عَوْمَ السَّفِينَ فَلَمَّا حالَ دُونَهُمُ [1]

وقد يكون مصدر : تاب يتوب توبا .

وقد حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى إسحاق ، قال : جاء رجل إلى عمر ، فقال : إنى قتلت فهل لى من توبة ؟ قال : نعم ، اعمل ولا تيأس ، ثم قرأ (حم . تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ، غافِرِ الذَّنْبِ ، وَقابِلِ التَّوْبِ) .

وقوله (شَدِيدِ العِقابِ) يقول تعالى ذكره : شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له ، فلا تتكلوا على سعة رحمته ، ولكن كونوا منه على حذر ، باجتناب معاصيه ، وأداء فرائضه ، فإنه كما أنه لا يؤيس أهل الإجرام والآثام من عفوه ، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه ، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه ، وركبوا من معاصيه .

وقوله (ذِى الطَّوْلِ) يقول : ذى الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه ، يقال منه : إن فلانا لذو طَوْل على أصحابه : إذا كان ذا فضل عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذِى الطَّوْلِ) يقول : ذى السعة والغنى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ذِى الطَّوْلِ) : الغنى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذِى الطَّوْلِ) : أى ذى النعم .

وقال بعضهم : الطَّول : القدرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذِى الطَّوْلِ) قال : الطول القدرة ، ذاك الطول .

(١) هذا صدر بيت لم نعرف قائله ، ولا عجزه . استشهد به المؤلف على أن التوب فى قوله تعالى : « قابل التوب » : قد يكون جمع توبة ، كما يجمع الدومة دوما ، والعومة عوما ، من عوم السفينة .

وقوله (لَاإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) يقول : لامعبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم ، الذى صفته ما وصف جلّ ثناؤه ، فلا تعبدوا شيئا سواه (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس ، فإياه فاعبدوا ، فإنه لاينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَٰدِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَٰدَلُوا۟ بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما يخاصم فى حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها ، إلا الذين جحدوا توحيده .

وقوله (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) : يقول جلّ ثناؤه : فلا يخدعك يامحمد تصرّفهم فى البلاد ، وبقاؤهم ومكثهم فيها ، مع كفرهم بربهم ، فتحسب أنهم إنما أُمهلوا وتقلبوا ، فتصرّفوا فى البلاد مع كفرهم بالله ، ولم يعاجَلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم ، لأنهم على شىء من الحق ، فإنا لم نُمهلهم لذلك ، ولكن ليبلغ الكتاب أجله ، ولتحقّ عليهم كلمة العذاب ، عذاب ربك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) : أسفارهم فيها ، ومجيئهم وذهابهم ، ثم قصّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قَصَص الأمم المكذّبة رسلها ، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله ، على مثل الذى عليه قومه الذين أُرسل إليهم ، وأنه أحلّ بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم ، بعد إعذار رسله إليهم ، وإنذارهم بأسه ماقد ذكر فى كتابه ، إعلاما منه بذلك نبيه ، أن سنته فى قومه الذين سلكوا سبيل أولئك فى تكذيبه وجداله ، سنته من إحلال نقمته بهم ، وسطوته بهم ، فقال تعالى ذكره : كذبت قبل قومك المكذّبين لرسالتك إليهم رسولا ، المجادليك بالباطل ، قومُ نوح والأحزاب من بعدهم ، وهم الأمم الذين تحزّبوا وتجمّعوا على رسلهم بالتكذيب لها ، كعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مَدْيَن وأشباههم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : الكفار .

وقوله (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره : وهمت كلّ أمة من هذه الأمم المكذّبة رسلها ، المتحزّبة على أنبيائها ، برسولهم الذى أُرسل إليهم ، ليأخذوه فيقتلوه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ

ليأخذوه) : أى ليقتلوه ، وقيل برسولهم ، وقد قيل : كلّ أمة ، فوجّهت الهاء والميم إلى الرجل دون لفظ الأمة ، وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله برسولها ، يعنى برسول الأمة .

وقوله (وَجادَلُوا بالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقّ) يقول : وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ، ليبطلوا بجدالهم إياه ، وخصومتهم له ، الحقّ الذى جاءهم به من عند الله ، من الدخول فى طاعته ، والإقرار بتوحيده ، والبراءة من عبادة ما سواه ، كما يخاصمك كفار قومك يامحمد بالباطل .

وقوله (فَأَخَذْتُهُمْ فكَيْفَ كانَ عِقابِ) يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين همّوا برسولهم ليأخذوه، بالعذاب من عندى ، فكيف كان عقابى إياهم ، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة ، ولمن بعدهم عظة ؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء ، وللوحوش ثواء ؟

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَخَذْتُهُمْ فكَيْفَ كانَ عِقابِ) قال : شديد والله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ (٦)

❁ يقول تعالى ذكره : وكما حقّ على الأمم التى كذّبت رسلها ، التى قصصت عليك يامحمد قصصها ، عذابى ، وحلّ بها عقابى ، بتكذيبهم رسلهم ، وجدالهم إياهم بالباطل ، ليدحضوا به الحقّ ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك ، الذين يجادلون فى آيات الله .

وقوله (أَنَّهُمْ أصحابُ النَّارِ) اختلف أهل العربية فى موضع قوله (أَنَّهُمْ) ، فقال بعض نحويّى البصرة : معنى ذلك : حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار : أى لأنهم ، أو بأنهم ، وليس أنهم فى موضع مفعول ، ليس مثل قولك : أحققت أنهم ، لو كان كذلك كان أيضا أحققت لأنهم . وكان غيره يقول : « أنهم » بدل من الكلمة ، كأنه حقت الكلمة حقا : أنهم أصحاب النار .

❁ والصواب من القول فى ذلك ، أن قوله « أنهم » ترجمة عن الكلمة ، بمعنى : وكذلك حقّ عليهم عذاب النار ، الذى وعد الله أهل الكفر به .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ، فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٧)

❁ يقول تعالى ذكره : الذين يحملون عرش الله من ملائكته ، ومَنْ حول عرشه ، ممن يحفّ به من الملائكة .

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول : يصلون لربهم بحمده وشكره (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول : ويقرّون بالله أنه لا إله لهم سواه ، ويشهدون بذلك ، لا يستكبرون عن عبادته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) : يقول : ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله ، والبراءة من كلّ معبود سواه، ذنوبهم ، فيعفوها عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) : لأهل لا إله إلا الله .

وقوله (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) ، وفي هذا الكلام محذوف ، وهو يقولون : ومعنى الكلام : ويستغفرون للذين آمنوا يقولون : يا ربنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلما . ويعني بقوله : (وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) : وسعت رحمتك وعلمك كلّ شيء من خلقك ، فعلمت كلّ شيء ، فلم يخف عليك شيء ، ورحمت خلقك ، ووسعتهم برحمتك .

وقد اختلف أهلُ العربية في وجه نصب الرحمة والعلم . فقال بعض نحويّي البصرة : انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبدا ، لأنك قد جعلت وسعت كلّ شيء ، وهو مفعول له ، والفاعل التاء ، وجاء بالرحمة والعلم تفسيرا ، وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء ، فلذلك نصبته ، تشبيها بالمفعول بعد الفاعل ، وقال غيره : هو من المنقول ، وهو مفسر ، وسعتْ رحمته وعلمه ، ووسع هو كلّ شيء رحمة ، كما تقول : طابت به نفسي ، وطبت به نفسا ، وقال : أما لك مثله عبدا ، فإن المقادير لا تكون إلا معلومة ، مثل عندي رطل زيتا ، والمثل غير معلوم ، ولكن لفظه لفظ المعرفة ، والعبد نكرة ، فلذلك نصب العبد ، وله أن يرفع ، واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر :

ما في مَعَــدٍّ والقَبائِلِ كُلِّها ... قَحْطانَ مِثْلُكَ واحِدٌ مَعْدُودُ[1]

وقال ردّ الواحد على مثل ، لأنه نكرة ، قال : ولو قلت : ما مثلك رجل ، ومثلك رجل ، ومثلك رجلا ، جاز ، لأن مثل يكون نكرة ، وإن كان لفظها معرفة .

وقوله (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) يقول : فاصفح عن جُرْم من تاب من الشرك بك من عبادك ، فرجع إلى توحيدك ، واتبع أمرك ونهيك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك .

وقوله (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) يقول : وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه ، ولزموا المنهاج الذي أمرتهم بلزومه ، وذلك الدخول في الإسلام .

(١) لم أقف على قائله . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » وقد اختلف أهل العربية في نصب رحمة . . . الخ . والشاهد في البيت قوله « مثلك واحد » : فيجوز في « واحد » أن يرد على « مثلك » بطريق البدل منه . ويجوز أيضا أن يكون تفسيرا : أي تمييزا لمثل ، لأنه وإن كان معرفة في لفظه ، فهو نكرة في معناه ، فاحتاج من أجل ذلك إلى التفسير (التمييز) مثل قولك : لك مثله أرضا ، وعندي فدان أرضا ، ورطل زيتا . لأن المقادير لا تكون إلا معلومة ، وقوله « مثلك » في معنى ألفاظ المقادير . وأما نصب رحمة في الآية ، فقد بينه المؤلف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) : أى طاعتك .

وقوله (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يقول : واصرف عن الذين تابوا من الشرك ، واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ، وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٨)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده، تقول: يا(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) يعنى : بساتين إقامة (الَّتِى وَعَدْتَهُمْ) يعنى التى وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها . (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) جنات عدن، من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة فى الدنيا ، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة ، وإن لم يكونوا عملوا عمله ، بفضل رحمة الله إياه .

كما حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان العجلىّ ، قال: ثنا شريك ، عن سعيد ، قال : يدخل الرجل الجنة ، فيقول : أين أبى ؟ أين أمى ؟ أين ولدى ؟ أين زوجتى ؟ فيقال : لم يعملوا مثل عملك ، فيقول : كنت أعمل لى ولهم ، فيقال : أدخلوهم الجنة ، ثم قرأ (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) فَمَنْ إذنْ إذ كان ذلك معناه، فى موضع نصب عطفا على الهاء والميم فى قوله (وَأَدْخِلْهُمْ) وجائز أن يكون نصبا، على العطف على الهاء والميم فى وعدتهم (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : إنك أنت يا ربنا العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ، وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٩)

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله مخبرا عن قيل ملائكته : وقهم : اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التى كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم ، يقولون : لاتؤاخذهم بذلك ، فتعذّبهم به (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ): يقول : ومن تصرّف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة ، فقد رحمته ، فنجيته من عذابك (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة ، فقد فاز ، وذلك لاشكّ هو الفوز العظيم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السيئات قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) : أى العذاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معمر بن بشير ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة ، عن مطرِّف ، قال : وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة ، وأغشّ العباد للعباد الشياطين . وتلا (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال مطرف : وجدنا أغشّ عباد الله لعباد الله الشياطين ، ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُواْ : رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ينادَون فى النار يوم القيامة إذا دخلوها ، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم ، حين عاينوا ما أعدّ الله لهم فيها من أنواع العذاب ، فيقال لهم : لمقت الله إياكم أيُّها القوم فى الدنيا ، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون ، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم ، لما حلّ بكم من سخط الله عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم ، ومقت الله إياهم فى الدنيا ، إذ يدعون إلى الإيمان فيكفرون ، أكبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ) يقول : لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا ، فتركوه ، وأبوا أن يقبلوا أكبر مما مقتوا أنفسهم ، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فى النار (إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ) فى الدنيا (فَتَكْفُرُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ) ...

الآية ، قال : لما دخلوا النار مَقَتوا أنفسهم فى معاصى الله التى ركبوها ، فنُودوا : إن مقت الله إياكم حين دعاكم إلى الإسلام ، أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه اللام فى قوله (لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ) فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة : هى لام الابتداء ، كأنّ ينادون : يقال لهم ، لأن فى النداء قول . قال : ومثله فى الإعراب يقال : لزيد أفضل من عمرو . وقال بعض نحويّ الكوفة : المعنى فيه : ينادَوْن إن مقت الله إياكم ، ولكن اللام تكفى من أن تقول فى الكلام : ناديت إنّ زيدا قائم ، قال : ومثله قوله (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) اللام بمنزلة إن فى كلّ كلام ضارع القول ، مثل ينادَوْن ويخبَرُون ، وأشباه ذلك .

وقال آخر غيره منهم : هذه لام اليمين ، تدخل مع الحكاية ، وما ضارع الحكاية ، لتدلّ على أن مابعدها ائتناف . قال : ولا يجوز فى جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين ، لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن ، فاكتفى بها من اليمين ، لأنها لاتقع إلا معها .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : دخلت لتؤذن أن مابعدها ائتناف ، وأنها لام اليمين .

وقوله (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قد أتينا عليه فى سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، ولكنا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم ، فأحياهم الله فى الدنيا ، ثم أماتهم الموتة التى لابدّ منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) : هو قول الله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : هو كقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، فى قوله (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : هى كالتى فى البقرة : (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) .

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبى مالك فى هذه الآية : (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : خلقتنا ولم نكن شيئا ، ثم أمتنا ، ثم أحييتنا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قالوا : كانوا أمواتا فأحياهم الله ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم .

وقال آخرون فيه ، ما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي . قوله (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : أميتوا في الدنيا ، ثم أحيوا في قبورهم ، فسئلوا أو خوطبوا ، ثم أميتوا في قبورهم ، ثم أحيوا في الآخرة .

وقال آخرون في ذلك ماحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : خلقهم من ظهر آدم ، حين أخذ عليهم الميثاق ، وقرأ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ، فقرأ حتى بلغ (المُبْطِلُونَ) قال : فنسّاهم الفعل ، وأخذ عليهم الميثاق ، قال : وانتزع ضِلعا من أضلاع آدم القُصْرَى ، فخلق منه حوّاء ، ذكره عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : وذلك قول الله : (يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها ، وَبَثَّ مِنْهُما رِجالا كَثِيرًا وَنِساءً) . قال : بثّ منهما بعد ذلك في الأرحام خلقا كثيرا ، وقرأ (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : خلقا بعد ذلك ، قال : فلما أخذ عليهم الميثاق ، أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ، فاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا) ، وقرأ قول الله (وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِيظا) قال يومئذ ، وقرأ قول الله (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ، إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وأَطَعْنا) .

وقوله (فاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا) يقول : فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) : يقول : فهل إلى خروج من النار لنا سبيل ، لنرجع إلى الدنيا ، فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) : فهل إلى كرّة إلى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ، وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ (١٢)

وفي هذا الكلام متروك ، استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه ، وهو فأجيبوا أن لاسبيل إلى ذلك ، هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون (بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ) ، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة ، وقلتم (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا) .

(وإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) يقول : وإن يجعل لله شريك تصدّقوا من جعل ذلك له (فالحُكْمُ لِلَّهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ) يقول : فالقضاء لله العليّ على كل شيء ، الكبير ، الذي كلّ شيء دونه متصاغرا له اليوم .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣) فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : الذى يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) : يقول : ينزّل لكم من أرزاقكم من السماء ، بإدرار الغيث الذى يخرج به أقواتكم من الأرض ، وغذاء أنعامكم عليكم (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) : يقول : وما يتذكر حُجَج الله التى جعلها أدلة على وحدانيته ، فيعتبر بها ويتعظ ، ويعلم حقيقة ما تدلّ عليه ، إلا من يُنِيب : يقول : إلا من يرجع إلى توحيده ، ويُقبل على طاعته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) قال : من يقبل إلى طاعة الله .

وقوله (فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له ، مخلصين له الطاعة ، غير مشركين به شيئا مما دونه (وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) يقول : ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة ، الكافرون المشركون فى عبادتهم إياه الأوثان والأنداد .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ (١٦)

يقول تعالى ذكره : هو رفيع الدرجات ، ورفع قوله (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) على الابتداء ، ولو جاء نصبا على الردّ على قوله : فادعوا الله ، كان صوابا (ذُو العَرْشِ) يقول : ذو السرير المحيط بما دونه .

وقوله (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ينزل الوحى من أمره على من يشاء من عباده .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به الوحى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) قال : الوحى من أمره .

وقال آخرون : عُنِى به القرآن والكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك

فى قوله (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) قال : يعنى بالرُّوح : الكتابَ يُنزله على من يشاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) ، وقرأ (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا) قال : هذا القرآن هو الروح ، أوحاه الله إلى جبريل ، وجبريل روح نزل به على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) قال : فالكتب التى أنزلها الله على أنبيائه هى الرُّوح ، لِيُنذر بها ما قال الله يوم التلاق ، (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً) ، قال : الروح : القرآن ، كان أبى يقوله ، قال ابن زيد : يقومون له صفابين السماء والأرض ، حين ينزل جلّ جلاله .

وقال آخرون : عنى به النبوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قول الله (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) قال : النبوّة على من يشاء ، وهذه الأقوال متقاربات المعانى ، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها .

وقوله (لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ) يقول : لينذر من يلقى الروح عليه من عباده من أمر الله ، بإنذاره من خلقه عذاب يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض ، وهو يوم التلاق ، وذلك يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ التَّلاقِ) من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ التَّلاقِ) : يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق والخلق .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَوْمَ التَّلاقِ) تلتقى أهل السماء وأهل الأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يَوْمَ التَّلاقِ)قال : يوم القيامة . قال : يوم تلاقى العباد .

وقوله (يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ) يعنى بقوله (يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ) يعنى المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله ، لينذروهم وهم ظاهرون ، يعنى للناظرين ، لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر ، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر ، ولكنهم بقاع صَفْصَف ، لا أَمْتَ فيه ولا عِوَج ، وهم من قوله (يَوْمَ هُمْ) فى موضع رفع بما بعده ، كقول القائل : فعلت ذلك يومَ الحجاجُ أمير .

واختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم تخفض هُمْ بيوم ، وقد أضيف إليه ، فقال بعض نحويّ البصرة : أضاف يوم إلى هم فى المعنى ، فلذلك لاينوّن اليوم ، كما قال (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) . وقال : (هَذَا يَوْمُ لاَيَنْطِقُونَ) ومعناه : هذا يوم فتنتهم ، ولكن لما ابتدأ بالإسم ، وبنى عليه ، لم يقدر على جرّه ، وكانت الإضافة فى المعنى إلى الفتنة ، وهذا إنما يكون إذا كان اليوم فى معنى إذ ، وإلا فهو قبيح ؛ ألا ترى أنك تقول : لقيتك زمنَ زيدٌ أمير : أى إذ زيد أمير ، ولو قلت : ألقاك زمنَ زيدٌ أمير ، لم يحسن. وقال غيره : معنى ذلك : أن الأوقات جعلت بمعنى إذ وإذا ، فلذلك بقيت على نصبها فى الرفع والخفض والنصب ، فقال (وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ) فنصبوا ، والموضع خفض ، وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة ، ويجوز أن يعرب بوجوه الإعراب ، لأنه ظهر ظهور الأسماء ،ألا ترى أنه لايعود عليه العائد ، كما يعود على الأسماء ، فإن عاد العائد نوّن وأعرب ولم يضف ، فقيل : أعجبنى يومٌ فيه تقول ،لما أن خرج من معنى الأداة ، وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا . قال : وجائز فى إذ أن تقول : أتيتك إذ تقوم ، كما تقول : أتيتك يوم يجلس القاضى ، فيكون زمنا معلوما ، فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه ،وهو جائز عند جميعهم ، وقال : وهذه التى تسمى إضافة غير محضة .

والصواب من القول عندى فى ذلك ، أن نصب يوم وسائر الأزمنة فى مثل هذا الموضع ، نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها ، وإذ أعربت بوجوه الإعراب ، فلأنها ظهرت ظهور الأسماء ، فعوملت معاملتها ؛

وقوله (لاَيَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ) اى ولا من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا (شَيْءٌ) .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَيَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) ولكنهم برزوا له يوم القيامة ، فلا يستترون بجبل ولا مَدَر .

وقوله (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟) يعنى بذلك : يقول الربّ : لمن الملكُ اليوم ؟ وترك ذكر «يقول» استغناء بدلالة الكلام عليه ، وقوله (لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل . ومعنى الكلام : يقول الربّ : لمن السلطان اليوم ؟ وذلك يوم القيامة ، فيجيب نفسه ، فيقول : (لِلهِ الْوَاحِدِ) الذى لامثل له ولا شبيه (الْقَهَّارِ) لكلّ شىء سواه بقدرته ، الغالب بعزّته .

القول فى تأويل قوله تعالى

الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة ، حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول : اليوم يثاب كل عامل بعمله ، فيوفّى أجر عمله ، فعامل الخير يجزى الخير ، وعامل الشرّ يجزى جزاءه .

وقوله (لاَظُلْمَ الْيَوْمَ) يقول : لا بَخْس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله فى الدنيا ، فينقص منه إن كان محسنا ، ولا حُمِل على مسىء إثم ذنب لم يعمله ، فيعاقب عليه (إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول : إن الله

ذو سرعة فى محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا . ذُكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، وقد فُرِغ من حسابهم ، والقضاء بينهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ، مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ (١٩) وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ، وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ، إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (٢٠)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه : وأنذر يامحمد مشركى قومك يوم الآزفة، يعنى يوم القيامة ، أن يُوافُوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة ، فيستحقوا من الله عقابه الأليم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَوْمَ الآزِفَةِ) قال : يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ) : يوم القيامة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ) قال : يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ) قال : يوم القيامة ، وقرأ (أزِفَتِ الآزِفَةِ ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كاشِفَةٌ) .

وقوله (إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله ، لدى حناجرهم ، قد شخصت من صدورهم ، فتعلقت بحلوقهم كاظميها ، يرومون ردّها إلى مواضعها من صدورهم ، فلا ترجع ، ولا هى تخرج من أبدانهم فيموتوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ) قال : قد وقعت القلوب فى الحناجر من المخافة ، فلا هى تخرج ، ولا تعود إلى أمكنتها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمِينَ) قال : شَخَصَت أفئدتهم عن أمكنتها ، فنشبت فى حلوقهم ، فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا ، ولم ترجع إلى أمكنتها فتستقرّ .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب (كاظِمِينَ) فقال بعض نحويى البصرة : انتصابه على الحال ، كأنه أراد : إذ القلوب لدى الحناجر فى هذه الحال . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : الألف واللام بدل من الإضافة ، كأنه قال : إذ قلوبهم لدى حناجرهم فى حال كظمهم . وقال آخر منهم : هو نصب على القطع من المعنى الذى يرجع من ذكرهم فى القلوب والحناجر ، المعنى : إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين . قال : فإن شئت جعلت قطعه من الهاء التى فى قوله (وأَنْذِرْهُمْ) قال : والأول أجود فى العربية ، وقد تقدم بيان وجه ذلك .

وقوله (ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ) : يقول جل ثناؤه : ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحتم لهم ، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم ، فيطاع فيما شفع ، ويجاب فيما سأل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ) : قال : من يعنيه أمرهم ، ولا شفيع لهم .

وقوله (يُطاعُ) صلة للشفيع . ومعنى الكلام : ما للظالمين من حميم ، ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع ، فأجيب وقبلت شفاعته له .

وقوله (يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ) : يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه : يعلم ربكم ما خانت أعين عباده ، وما أخفته صدورهم ، يعنى : وما أضمرته قلوبهم : يقول : لايخفى عليه شىء من أمورهم ، حتى ما يحدث به نفسه ، ويضمره قلبه ، إذا نظر ماذا يريد بنظره ، وما ينوى ذلك بقلبه (وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) : يقول : والله تعالى ذكره يقضى فى الذى خانته الأعين بنظرها ، وأخفته الصدور عند نظر العيون ، بالحق ، فيجزى الذين أغمضوا أبصارهم ، وصرفوها عن محارمه ، حذار الموقف بين يديه ، ومسئلته عنه بالحسنى ، والذين رددوا النظر ، وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش إذا قدرت ، جزاءها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أحمد المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا علىّ بن حسين بن واقد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ) إذا نظرت إليها : تريد الخيانة أم لا (وما تُخْفِي الصُّدُورُ) إذا قدرت عليها أتزنى بها أم لا ؟ قال : ثم سكت ، ثم قال : ألا أخبركم بالتى تليها ؟ قلت : نعم ، قال : والله يقضى بالحق ، قادر على أن يجزىَ بالحسنة الحسنة ، وبالسيئة السيئة ، إن الله هو السميع البصير . قال الحسن : فقلت للأعمش : حدثنى الكلبى ، إلا أنه قال : إن الله قادر

(١) فى اللسان : حتى : الأمر وأحتى : أهتى . وقال الأزهرى : أحتى هذا الأمر واحتممت له ، كأنه اهتمام بحميم قريب .

على أن يجزى بالسيئة السيئة ، وبالحسنة عشرا . وقال الأعمش : أن الذى عند الكلبىّ عندى ، ما خرج منى إلا بحقير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ) قال : نَظَرَ الأعين إلى ما نهى الله عنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خائِنَةَ الأَعْيُنِ) : أى يعلم همزه بعينه ، وإغماضه فيما لا يحبّ الله ولا يرضاه .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) : يقول : والأوثان والآلهة التى يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه ، لا يقضون بشىء ، لأنها لا تعلم شيئا ، ولا تقدر على شىء ، يقول جلّ ثناؤه لهم : فاعبدوا الذى يقدر على كلّ شىء ، ولا يخفى عليه شىء من أعمالكم ، فيجزى محسنكم بالإحسان ، والمسىء بالإساءة ، لا ما لا يقدر على شىء ، ولا يعلم شيئا ، فيعرف المحسن من المسىء ، فيثيب المحسن ، ويعاقب المسىء .

وقوله (إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول : إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس ، البصير بما تفعلون من الأفعال ، محيط بكل ذلك ، محصيه عليكم ، ليجازى جميعكم جزاءه يوم الجزاء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) بالتاء على وجه الخطاب . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالياء على وجه الخبر .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَاقٍ (٢١)

يقول تعالى ذكره : أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله ، المكذّبون رسوله من قريش فى البلاد ، (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : فيروا ما الذى كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم ، فى الكفر بالله ، وتكذيب رسله (كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) يقول : كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشدّ منهم بطشا ، وأبقى فى الأرض آثارا ، فلم تنفعهم شدّة قواهم ، وعظم أجسامهم ، إذ جاءهم أمر الله ، وأخذهم بما أجرموا من معاصيه ، واكتسبوا من الآثام ، ولكنه أباد جمعهم ، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا (وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ) يقول : وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم ، من واق يقيهم ، فيدفعه عنهم .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ) يقيهم ، ولا ينفعهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ ، فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ اللهُ ، إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركى قريش ، من إهلاكناهم بذنوبهم ، فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات ، يعنى بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، والانتهاء إلى طاعته ، فكفروا : يقول : فأنكروا رسالتها ، وجحدوا توحيد الله ، وأبَوا أن يطيعوا الله (فأخَذَهُمُ اللهُ) يقول : فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم (إنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ) : يقول : إن الله ذو قوّة ، لا يقهره شىء ، ولا يغلبه ، ولا يُعْجِزه شىء أراده ، شديد عقابه من عاقب من خلقه ، وهذا وعيد من الله مشركى قريش ، المكذّبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول لهم جلّ ثناؤه : فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، وجحود توحيد الله ، ومخالفة أمره ونهيه ، فيسلك بكم فى تعجيل الهلاك لكم مسلكهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ ، فَقَالُواْ : سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)

يقول تعالى ذكره مُسَلِّيا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، عما كان يلقى من مشركى قومه من قريش ، بإعلامه ما لقى موسى ممن أرسل إليه من التكذيب ، ومخبره أنه معليه عليهم ، وجاعل دائرة السَّوْء على من حادّه وشاقّه ، كسنته فى موسى صلوات الله عليه ، إذ أعلاه ، وأهلك عدوّه فرعون (وَلَقَدْ أرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا) : يعنى بأدلته . (وَسُلْطانٍ مُبِينٍ) : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسُلْطانٍ مُبِينٍ) : أى عذر مبين ، يقول : وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى . (إلى فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ ، فَقالُوا ساحِرٌ كَذّابٌ) يقول : فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى : هو ساحر يسحر العصا ، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى . (كذّاب) يقول : يكذب على الله ، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا، قَالُوا۟ : ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ، وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (٢٥) ﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحقّ من عندنا ، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله ، والعملِ بطاعته ، مع إقامة الحجة عليهم ، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك (قالوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذينَ آمَنُوا) بالله (مَعَهُ) من بنى إسرائيل (وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ) يقول : واستبقوا نساءهم للخدمة .

فإن قال قائل : وكيف قيل (فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسَى بالحَقّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، واسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ) ، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بنى إسرائيل حذار المولود الذى كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه ، وهلاك قومه ، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيًّا ؟ قيل : إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى ، واستحياء نسائهم ، كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الأمر الأوّل الذى كان من فرعون قبل مولد موسى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا جاءَهُمْ بالحَقّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ) قال : هذا قتل غير القتل الأوّل الذى كان .

وقوله (وَما كَيْدُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) يقول : وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا فى جور عن سبيل الحقّ ، وصد عن قصد المَحَجَّة ، وأخذ على غير هدى .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ، إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ (٢٦) ﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقالَ فِرْعَوْنُ) لملئه : (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) الذى يزعم انه أرسله إلينا فيمنعه منا (إنّى أخافُ أنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) يقول : إنى أخاف أن يغير دينكم الذى أنتم عليه بسحره .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أوْ أنْ يُظْهِرَ فِي الأرْضِ الفَسادَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والشأم والبصرة (وأنْ يُظْهِرَ فِي الأرْضِ الفَسادَ) بغير ألف ، وكذلك ذلك فى مصاحف أهل المدينة ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (أوْ أنْ) بالألف ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم (يَظْهَرَ فِي الأرْضِ) بفتح الياء ، ورفع الفساد .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاءة الأمصار متقاربتا المعنى ، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهر كان ظاهرا ، وإذا ظهر فبإظهار مُظهره يظهر ، ففى القراءة بإحدى القراءتين فى ذلك ، دليل واضح على صحة معنى الأخرى . وأما القراءة فى (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ) بالألف وبحذفها ، فإنهما أيضا متقاربتا المعنى ، وذلك أن الشيء إذا بُدِّل إلى خلافه ، فلا شكّ أن خلافه المبدل إليه الأوّل ، هو الظاهر دون المبدَّل ، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدّل دينهم ، بالواو أو بأو ، لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد ، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين .

فتأويل الكلام إذن : إنى أخاف من موسى أن يغير دينكم الذى أنتم عليه ، أو أن يظهر فى أرضكم أرض مصر ، عبادة ربه الذى يدعوكم إلى عبادته ، وذلك كان عنده هو الفساد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) : أى أمركم الذى أنتم عليه (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسَادَ) ، والفساد عنده : أن يعمل بطاعة الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ، وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ، وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ؛ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وقال موسى لفرعون وملئه : إنى استجرت أيها القوم بربى وربكم ، من كلّ متكبر عليه ، تكَبّر عن توحيده ، والإقرار بألوهيته وطاعته ، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقَه ، فيجازى المحسنَ بإحسانه ، والمسيءَ بما أساء ، وإنما خصّ موسى صلوات الله وسلامه عليه ، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب ، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدّقا ، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا ، ولا للعقاب على الإساءة ، وقبيح ما يأتى من الأفعال خائفا ، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة .

وقوله (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) اختلف أهل العلم فى هذا الرجل المؤمن ، فقال بعضهم : كان من قوم فرعون ، غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون وقومه ، خوفا على نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدّىّ (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قال : هو ابن عمّ فرعون ، ويقال : هو الذى نجا مع موسى .

فمن قال هذا القول ، وتأوّل هذا التأويل ، كان صوابا الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) ، لأن ذلك خبر متناه قد تمّ .

وقال آخرون : بل كان الرجل إسرائيليا ، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون .

والصوابُ على هذا القول ، لمن أراد الوقف ، أن يجعل وقفه على قوله (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) ، لأن قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) صلة لقوله (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) فتمامه قوله : يكتم إيمانه ، وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون : « جبريل » . كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى : القول الذى قاله السدىّ ، من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه ماقاله ، وتوقّف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله ، وقيله ماقال ، وقال له : ما أريكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد ، ولو كان إسرائيليا ، لكان حَرِيا أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال ، بالعقوبة على قوله ، لأنه لم يكن يستنصح بنى إسرائيل ، لاعتداده إياهم أعداء له ، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا ، ولكنه لما كان من ملأ قومه ، استمع قوله ، وكفّ عما كان همّ به فى موسى .

وقوله (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) يقول : أتقتلون أيها القوم موسى ، لأن يقول ربى الله ، فأن فى موضع نصب لما وصفت (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك ، وتلك البينات من الآيات يدُه وعصاه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) : بعصاه وبيده .

وقوله (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) يقول : وإن يك موسى كاذبا فى قيله : إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته ، وترك دينكم الذى أنتم عليه ، فإنما إثم كذبه عليه دونكم . (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) يقول : وإن يك صادقا فى قيله ذلك ، أصابكم الذى وعدكم ، من العقوبة على مُقامكم على الدين الذى أنتم عليه مُقيمون ، فلا حاجة بكم إلى قتله ، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطا . (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) يقول : إن الله لايوفّق للحقّ من هو متعدّ إلى فعل ما ليس له فعله . كذّاب : عليه يكذب ، ويقول عليه الباطل وغير الحقّ .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الإسراف الذى ذكره المؤمن فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به الشرك ، وأراد : إن الله لايهدى من هو مشرك به ، مُفْتَر عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) : مشرك أسرف على نفسه بالشرك .

وقال آخرون : عُنِى به من هو قتّال سفّاك للدماء بغير حق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) قال : المُسْرِف : هو صاحب الدم ، ويقال : هم المشركون .

❊ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عمّ بقوله (إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) والشرك من الإسراف ، وسفك الدم بغير حق من الإسراف ، وقد كان مجتمعا فى فرعون الأمران كلاهما ، فالحقّ أن يَعُمّ ذلك ، كما أخبر جلّ ثناؤه عن قائله ، أنه عمّ القول بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ، فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ؟ قَالَ فِرْعَوْنُ : مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ، وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه : (يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فى الأَرْضِ) يعنى : أرض مصر ، يقول : لكم السلطان اليوم والملك ، ظاهرين أنتم على بنى إسرائيل فى أرض مصر (فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللهِ) يقول : فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حلّ بنا ، وعقوبته إن جاءتنا ؟ قال فرعون : (ما أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَرَى) يقول : قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهى عن قتل موسى : ما أريكم أيها الناس من الرأى والنصيحة إلا ما أرى لنفسى ولكم ، صلاحا وصوابا ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد : يقول : وما أدعوكم إلا إلى طريق الحقّ والصواب فى أمر موسى وقتله ، فإنكم إن لم تقتلوه بدّل دينكم ، وأظهر فى أرضكم الفساد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ : يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ، وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١)

❊ يقول تعالى ذكره : وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه : ياقوم إنى أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على رسل الله : نوح وهود وصالح ، فأهلكهم الله بتجرّئهم عليهم ، فيهلككم كما أهلكهم .

وقوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول : يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته فى قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم . وقد بيّنا معنى الدأب فيما مضى بشواهده ، المغنية عن إعادته، مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه .

وقد حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول : مثل حال .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) قال : مثل ما أصابهم .

وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعنى قوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وهم أيضا من الأحزاب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : هم الأحزاب .

وقوله (وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه : وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم ، بغير جرم اجترموه بينهم وبينه ، لأنه لا يريد ظلم عباده ، ولا يشاؤه ، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به ، وخلافهم أمره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه (وَيَاقَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بقتلكم موسى إن قتلتموه ، عقاب الله (يَوْمَ التَّنَادِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (يَوْمَ التَّنَادِ) بتخفيف الدال ، وترك إثبات الياء ، بمعنى التفاعل ، من تنادى القوم تناديا ، كما قال جلّ ثناؤه (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ) وقال : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ : أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) فلذلك تأوّله قارئو ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الأنصارىّ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه قال فى هذه الآية (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : يوم ينادى أهل النار أهل الجنة : أن أفيضوا علينا من الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) : يوم ينادى أهل الجنة أهل النار : (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ

ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟) وينادى أهل النار أهل الجنة (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : يوم القيامة ينادى أهل الجنة أهل النار .

وقد رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى معنى ذلك على هذه القراءة ، تأويل آخر على غير هذا الوجه .

وهو ما حدثنا به أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنىّ ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الأُولى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَفَزِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وأَهْلُ الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، وَيأْمُرُهُ اللهُ أَنْ يُدِيمَها وَيُطَوِّلَها فَلا يَفْتُرُ ، وَهِيَ الَّتى يَقُولُ اللهُ : (وَما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً ما لَها مِنْ فَوَاقٍ) ، فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبالَ فَتَكُونُ سَرابا ، فَتُرَجُّ الأَرْضُ بأَهْلِها رَجًّا ، وَهِيَ الَّتى يَقُولُ اللهُ : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) ، فَتَكُونُ كالسَّفِينَةِ المرتعة فِى البَحْرِ ؟ تَضْرِبُها الأَمْوَاجُ تكفأ بأَهْلِها ، أَوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالعَرْشِ تَرُجُّهُ الأَرْوَاحُ ، فَتَمِيدُ النَّاسِ عَلى ظَهْرِها ، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ ، وَتَضَعُ الحَوامِلُ ، وَتَشِيبُ الوِلْدانُ ، وَتَطِيرُ الشَّياطِينُ هارِبَةً ، حَتى تَأْتِيَ الأَقْطار ، فَتَلَقَّاها المَلائِكَةُ ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها ، فَتَرْجِعُ ، وَيُوَلِّى النَّاسُ مُدْبِرِينَ ، يُنادِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِى يَقُولُ اللهُ يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ » .

فعلى هذا التأويل معنى الكلام : ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا من فزع نفخة الفزع .

وقرأ ذلك آخرون : (يَوْمَ التَّنادِّ) بتشديد الدال ، بمعنى : التفاعل من النَّدِّ ، وذلك إذا هربوا فنَدُّوا فى الأرض ، كما تَنِدُّ الإبل : إذا شَرَدَتْ على أربابها .

ذكر من قال ذلك كذلك ، وذكر المعنى الذى قَصَد بقراءته ذلك كذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، قال : « إذا كان يوم القيامة ، أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فصفُّوا صفا دون صف ، ثم ينزل المَلَك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنّم ، فإذا رآها أهل الأرض نَدُّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض ، إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه ، فذلك قول الله (إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) ، وذلك قوله (وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إِنِ

اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا ، لاتَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ) ، وذلك قوله (وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) قال: تَنِدون .

ورُوِى عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك (يَوْمَ التَّنَادِى) بإثبات الياء ، وتخفيف الدال .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا: ما عليه قرّاء الأمصار ، وهو تخفيف الدال ، وبغير إثبات الياء ، وذلك أن ذلك هو القراءة التى عليها الحُجّة مجمعة من قرّاء الأمصار ، وغير جائز خلافُها فيما جاءت به نقلا ، فإذا كان ذلك هو الصواب ، فمعنى الكلام: ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضُهم بعضا ، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله ، وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم ، وإما لتذكير بعضهم بعضا إنجاز الله إياهم الوعد الذى وعدهم فى الدنيا ، واستغاثة من بعضهم ببعض ، مما لقى من عظيم البلاء فيه .

وقوله (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) فتأويله على التأويل الذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَوْمَ يُوَلُّونَ هارِبِينَ فِى الأَرْضِ حِذَارَ عَذَابِ اللهِ وَعِقابِهِ عِنْدَ مُعايَنَتِهِمْ جَهَنَّمْ » .

وتأويله على التأويل الذى قاله قتادة فى معنى (يَوْمَ التَّنادِ) يوم تولّون منصرفين عن موقف الحساب إلى جهنم .

وبنحو ذلك رُوِى الخبر عنه ، وعمن قال نحو مقالته فى معنى (يَوْمَ التَّنادِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) : أى منطلَقا بكم إلى النار .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، القول الذى رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان الذى قاله قتادة فى ذلك غير بعيد من الحقّ ، وبه قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) قال : فارّين غير معجزين .

وقوله (ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) يقول : مالكم من الله مانع يمنعكم ، وناصر ينصركم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) : أى من ناصر .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ) يقول : ومن يخذله الله فلم يوفّقه لرشده ، فماله من موفِّق يوفقه له .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِ ، حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ، كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب ياقوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) قال : قبل موسى .

وقوله (فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ) يقول : فلم تزالوا مُرْتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم ، غير موقنى القلوب بحقيقته (حتى إذَا هَلَكَ) يقول : حتى إذا مات يوسف قلتم : أيها القوم لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحقّ (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ) يقول : هكذا يصدّ الله عن إصابة الحقّ وقصد السبيل ، من هو كافر به مرتاب ، شاكّ فى حقيقة أخبار رسله .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ، كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون : (الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أتاهُمْ) فقوله « الذين » مردود على « من » فى قوله (مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) . وتأويل الكلام : كذلك يضلّ الله أهل الإسراف والغلوّ فى ضلالهم بكفرهم بالله ، واجترائهم على معاصيه ، المرتابين فى أخبار رسله ، الذين يخاصمون فى حججه التى أتتهم بها رسله ، ليدحضوها بالباطل من الحُجَج ، بغير سلطان أتاهم ، يقول : بغير حجة أتتهم من عند ربهم ، يدفعون بها حقيقة الحُجَج التى أتتهم بها الرسل ، و « الذين » إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا : فى موضع نصب ردّا على مَن .

وقوله (كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللهِ) يقول : كبر ذلك الجدال الذى يجادلونه فى آيات الله مقتا عند الله ، (وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ، وإنما نصب قوله (مَقْتا) لما فى قوله (كَبُرَ) من ضمير الجدال ، وهو نظير قوله (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ) فنصب كلمة من نصبها ، لأنه جعل فى قوله (كَبُرَتْ) ضمير قولهم (اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا) ، وأما من لم يضمر ذلك فإنه رفع الكلمة .

وقوله (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) : يقول : كما طبع الله على قلوب

المسرفين الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ، ويصدّق رسله . جبار : يعنى متعظم عن اتباع الحقّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، خلا أبى عمرو بن العلاء ، (على كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ) بإضافة القلب إلى المتكبر ، بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ؛ ومن كان ذلك قراءته ، كان قوله « جبار » من نعت « متكبر » . وقد رُوى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) .

حدثنى بذلك ابن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون أنه كذلك فى حرف ابن مسعود . وهذا الذى ذُكر عن ابن مسعود من قراءته ، يحقق قراءة من قرأ ذلك بإضافة قلب إلى المتكبر ، لأن تقديم كلّ قبل القلب ، وتأخيرها بعده ، لايغير المعنى ، بل معنى ذلك فى الحالتين واحد ؛ وقد حُكى عن بعض العرب سماعا : هو يرجّل شعره يوم كلّ جمعة ، يعنى : كلّ يوم جمعة . وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك إضافته إلى متكبر ، وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بإضافة القلب إلى المتكبر ، لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه ، كما أن القاتل إذا قتل قتيلا ، وإن كان قتله بيده ، فإن الفعل مضاف إليه ، وإنما القلب جارحة من جوارح المتكبر ، وإن كان بها التكبر ، فإن الفعل إلى فاعله مضاف ، نظير الذى قلنا فى القتل ، وذلك وإن كان كما قلنا ، فإن الأخرى غير مدفوعة ، لأن العرب لاتمنع أن تقول : بطشت يد فلان ، ورأت عيناه كذا ، وفهم قلبه ، فتضيف الأفعال إلى الجوارح ، وإن كانت فى الحقيقة لأصحابها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ (٣٦) أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ، وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به ، وزجره عن قتل موسى نبىّ الله وحذره من بأس الله على قيله اقتله ، ما حذره لوزيره وزير السوء هامان (يا هامانُ ابْنِ لى صَرْحًا لَعَلّى أَبْلُغُ الأَسْبابَ) يعنى بناء . وقد بيّنا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(لَعَلّى أَبْلُغُ الأَسْبابَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : أسباب السموات : طرقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبي صالح (أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) قال : طُرُق السموات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) قال : طُرق السموات .

وقال آخرون : عنى بأسباب السموات : أبواب السموات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لى صَرْحًا وكان أوّل من بنى بهذا الآجرّ وطبخه (لَعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) : أى أبواب السموات .

وقال آخرون : بل عُنِى به مَنْزِل السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) قال : منزل السماء .

وقد بيّنّا فيما مضى قبل ، أن السبب : هو كلّ ما تُسُبِّب به إلى الوصول إلى ما يُطلب ، من حبل وسلم وطريق وغير ذلك .

❁ فأولى الأقوال بالصواب فى ذلك : أن يقال : معناه لعلى أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى ، طرقا كانت تلك الأسباب منها ، أو أبوابا ، أو منازل ، أو غير ذلك .

وقوله (فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَأَطَّلِعَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (فَأَطَّلِعُ) بضم العين ، ردّا على قوله (أَبْلُغُ الأَسْبَابَ) ، وعطفا به عليه. وذُكر عن حميد الأعرج أنه قرأ (فأَطَّلِعَ) نصبا جوابا للعلّى ؛ وقد ذكر الفرّاء أن بعض العرب أنشده :

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُوْلاتِها
يُدِلْنَنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِها
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِها[1]

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز . قال الفراء فى معانى القرآن (٢٨٨ مصورة الجامعة) وقوله « لعل أبلغ الأسباب فأطلع » بالرفع ، يرده على قوله « أبلغ » . ومن جعله جوابا « لعل » نصبه . وقد قرأ به بعض القراء . قال : وأنشدنى بعض العرب : « على صروف الدهر . . . . الأبيات » ، فنصب على الجواب بلعل . والرجز لم يعلم قائله . وعل : لغة فى لعل . والدولات : جمع دولة فى المال . وبالفتح فى الحرب . وقيل هما واحد . ويدلننا : من الإدالة ، وهى الغلبة . واللمة ، بالفتح : الشدة . وهى مفعول ثان ليدلننا . والشاهد فى « فتستريح » حيث نصب فى جواب لعل ، الذى هو أداة الترجى . قاله الفراء . وهو الصحيح ، لثبوت ذلك فى القرآن : « لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » . والزفرات جمع زفرة ، وهى المرة من الزفر ، وهو أن يملأ الرجل صدره هواء بالشهيق ، ثم يزفر به ، أى يخرجه ويرمى به ، وذلك عند الغم والحزن . والأصل : تحريك الفاء فى الجمع ، على نحو سجدة وسجدات . وسكن هنا للضرورة .

فنَصَب فتستريحَ على أنها جواب للعلّ .

والقراءة التى لاأستجيز غيرها : الرفع فى ذلك ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (وَإِنّى لأَظُنُّهُ كاذِبا) يقول : وإنى لأظنّ موسى كاذبا فيما يقول ويدّعى ،من أن له فى السماء ربا أرسله إلينا .

وقوله(وكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ)يقول الله تعالى ذكره : وهكذا زيّن الله لفرعون حين عتا عليه وتمرّد ، قبيحَ عمله ، حتى سوّلت له نفسه بلوغ أسباب السموات ، ليطلع إلى إله موسى .

وقوله (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة : (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بضمّ الصاد ، على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) قال : فُعِل ذلك به ، زُيِّن له سوءُ عمله ، وصُدَّ عن السبيل .

وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قرّاء البصرة (وَصَدَّ) بفتح الصاد ، بمعنى : وأعرض فرعون عن سبيل الله التى ابتُعِث بها موسى استكبارا .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاّ فِى تَبابٍ) يقول تعالى ذكره : وما احتيال فرعون الذى يحتال للاطلاع إلى إله موسى ، إلا فى خسار وذهاب مال وغَبْن ، لأنه ذهبت نفقته التى أنفقها على الصَّرْح باطلا ، ولم ينل بما أنفق شيئا مما أراده ، فذلك هو الخَسار والتَّباب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاّ فِى تَبابٍ) يقول : فى خُسران .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِى تَبابٍ) قال : خَسار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاّ فِى تَبابٍ) : أى فى ضلال وخسار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاّ فِى تَبابٍ) قال : التَّباب والضَّلال واحد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِى ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٣٨) يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ ، وَإِنَّ ٱلْأَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ (٣٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون (وَقَالَ الَّذِى آمَنَ) من قوم فرعون لقومه : (يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) يقول : إن اتبعتمونى فقبلتم منى ما أقول لكم ، بينت لكم طريق الصواب الذى ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه ، وذلك هو دين الله ، الذى ابتعث به موسى ، يقول : (إِنَّمَا هَـٰذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) يقول لقومه : ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التى عجلت لكم فى هذه الدار ، إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه ، ثم تموتون وتزول عنكم (وَإِنَّ الآخِرَةَ هِىَ دَارُ القَرَارِ) . يقول : وإن الدار الآخرة ، وهى دار القرار التى تستقرّون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم ، يقول : فلها فاعملوا ، وإياها فاطلبوا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَإِنَّ الآخِرَةَ هِىَ دَارُ القَرَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ الآخِرَةَ هِىَ دَارُ القَرَارِ) استقرّت الجنة بأهلها ، واستقرّت النار بأهلها .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

يقول : من عمل بمعصية الله فى هذه الحياة الدنيا ، فلا يجزيه الله فى الآخرة إلا سيئة مثلها ، وذلك أن يعاقبه بها ، (وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) يقول : ومن عمل بطاعة الله فى الدنيا ، وأتمر لأمره ، وانتهى فيها عما نهاه عنه ، من رجل أو امرأة ، وهو مؤمن بالله ، (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ) يقول : فالذين يعملون ذلك من عباد الله ، يدخلون فى الآخرة الجنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها) : أى شركا ، السيئة عند قتادة شرك (وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً) : أى خيرا (مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

وقوله (يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ) يقول : يرزقهم الله فى الجنة من ثمارها ، وما فيها من نعيمها ولذّاتها ، بغير حساب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ) قال : لا والله ماهُناكُم مِكيال ولا مِيزان .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ، وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ (٤٢) ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة : (ما لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ) من عذاب الله وعقوبته ، بالإيمان به ، واتباع رسوله موسى ، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه (وَتَدْعُونَنِى إِلَى النَّارِ) يقول : وتدعوننى إلى عمل أهل النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ) قال : الإيمان بالله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِى إِلَى النَّارِ) قال : هذا مؤمن آل فرعون ، قال : يدعونه إلى دينهم والإقامة معهم .

وقوله (تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللهِ ، وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ) يقول : وأشرك بالله فى عبادته أوثانا ، لست أعلم أنه يصلح لى عبادتها وإشراكها فى عبادة الله ، لأن الله لم يأذن لى فى ذلك بخبر ولا عقل .

وقوله (وأنا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ) يقول : وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز فى انتقامه ، ممن كفر به ، الذى لا يمنعه إذا انتقم من عدوّ له شيء ، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه ، لعفوه عنه ، فلا يضرّه شيء مع عفوه عنه ، يقول : فهذا الذى هذه الصفة صفته ، فاعبدوا ، لا ما لا ضُرّ عنده ولا نفع .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ، وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ ، وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ (٤٣) ﴾

يقول : حقا أن الذى تدعوننى إليه من الأوثان ، ليس له دعاء فى الدنيا ولا فى الآخرة ، لأنه جماد لا ينطق ، ولا يفهم شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا) قال : الوثن ليس بشىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ) : أى لا ينفع ولا يضرّ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ)[1] .

وقوله (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ) يقول : وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : وأن المشركين بالله المتعدّين حدوده ، القتلةَ النفوسَ التى حرّم الله قتلها ، هم أصحاب نار جهنم ، عند مرجعنا إلى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم فى معنى المسرفين فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هم سفّاكو الدماء بغير حقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : السفّاكون الدماءَ بغير حقها .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : هم السفاكون الدماءَ بغير حقها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) قال : السفاكون الدماءَ بغير حقها ، هم أصحاب النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : سماهم الله مسرفين ، فرعون ومن معه .

وقال آخرون : هم المشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) : أى المشركون . وقد بيّنا معنى الإسراف فيما مضى قبلُ بما فيه الكفاية من إعادته فى هذا الموضع .

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ ، والذى فى ابن كثير عنه : « لا يجيب داعيه ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة » . اهـ .

وإنما اخترنا فى تأويل ذلك فى هذا الموضع ما اخترنا . لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه ، إنما قصد فرعون به لكفره ، وما كان همّ به من قتل موسى ، وكان فرعون عاليا عاتيا فى كفره بالله، سفاكا للدماء التى كان محرّما عليه سفكها ، وكلّ ذلك من الإسراف . فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ، وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ (٤٥) ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون، لفرعون وقومه : فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حلّ بكم ، ولقيتم ما لقيتموه ، صدق ما أقول ، وحقيقة ما أخبركم به ، من أن المسرفين هم أصحاب النار .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ) ، فقلت له : أو ذلك فى الآخرة ؟ قال : نعم .

وقوله (وأُفَوِّضُ أَمْرِى إلى اللهِ) يقول : وأسلم أمرى إلى الله ، وأجعله إليه ، وأتوكل عليه ، فإنه الكافى مَنْ تَوَكَّلَ عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأُفَوِّضُ أَمْرِى إلى اللهِ) قال : أجعل أمرى إلى الله .

وقوله (إنَّ اللهَ بَصِيرٌ بالعِبادِ) يقول : إن الله عالم بأمور عباده ، ومَنَ المطيع منهم ، والعاصى له ، والمستحقّ جميل الثواب ، والمستوجب سَيِّئ العقاب .

وقوله (فَوَقاهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا) يقول تعالى ذكره : فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون ، بإيمانه وتصديق رسوله موسى ، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه ، من العذاب والبلاء ، فنجاه منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا) قال : وكان قِبْطيا من قوم فرعون ، فنجا مع موسى . قال : وذُكر لنا أنه بين يدى موسى يومئذ يسير ويقول : أين أمرت يا نبىّ الله ؟ فيقول : أمامك ، فيقول له المؤمن : وهل أمامى إلا البحر ؟ فيقول موسى : لا والله

ما كذَبْتَ ولا كُذِبْتَ ، ثم يسير ساعة ويقول: أين أُمرت يا نبيّ الله ؟ فيقول: أمامك ، فيقول : وهل أمامى إلا البحر ؟ فيقول : لا والله ما كَذَبْتُ ، ولا كُذِبْتَ ، حتى أتى على البحر ، فضربه بعصاه ، فانفلق اثنى عشر طريقا ، لكلّ سِبْط طريق .

وقوله (وَحاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ) يقول : وحلّ بآل فرعون، ووجب عليهم . وعنى بآل فرعون فى هذا الموضع ، تُبّاعه وأهل طاعته من قومه .

كما حدثنا محمد، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قول الله: (وَحاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ) قال : قوم فرعون .

وعنى بقوله (سُوءُ العَذابِ) : ما ساءهم من عذاب الله ، وذلك نارجهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ (٤٦) ﴾

يقول تعالى ذكره ، مبيِّنا عن سوء العذاب الذى حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون، ذلك الذى حاق بهم من سوء عذاب الله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها) إنهم لما هلكوا وغرّقهم الله ، جُعلت أرواحهم فى أجواف طَيْر سود ، فهى تُعْرَض على النار كلّ يوم مرتين (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) إلى أن تقوم الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي قيس ، عن الهذيل بن شُرَحْبيل ، قال : أرواح آل فرعون فى أجواف طير سُود ، تغدو وتروح على النار ، وذلك عرضها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : بلغنى أن أرواح قوم فرعون فى أجواف طير سُوْد ، تعرض على النار غُدُوًّا وعشيًّا ، حتى تقوم الساعة .

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا حماد بن محمد الفزارى البلخىّ ، قال : سمعت الأوزاعىّ وسأله رجل فقال : رحمك الله، رأينا طيورا تخرج من البحر ، تأخذ ناحية الغرب ، بِيضًا ، فوْجا فوجا، لا يعلم عددها إلا الله ، فإذا كان العشىّ رجع مثلها سُودا ، قال : وفطنتم إلى ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال: إن تلك الطيور فى حواصلها أرواح آل فرعون، يعرضون على النار غُدُوًّا وعشيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها ، وصارت سوداء ، فتنبت عليها من الليل رياش بيض ، وتتناثر السود ، ثم تغدو ، ويُعرضون على النار غدوًا وعشيًّا ، ثم ترجع إلى وكورها ، فذلك دأْبُها فى الدنيا ؛ فإذا كان يوم القيامة ، قال الله : (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ) قالوا : وكانوا يقولون : إنهم ستُّ مِئة ألفِ مقاتل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى حرملة ، عن سليمان بن حميد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القرظى يقول : ليس فى الآخرة ليل ولا نصف نهار ، وإنما هو بُكرة وعشىّ ، وذلك فى القرآن فى آل فرعون (يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا) وكذلك قال لأهل الجنة (لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا) .

وقيل : عُنِى بذلك : أنهم يعرضون على منازلهم فى النار ، تعذيبا لهم ، غُدُوًّا وعشيًّا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) : قال : يُعرضون عليها صباحا ومساء ، يقال لهم : يا آلَ فرعون هذه منازلكم ، توبيخا ونقمة وصَغارا لهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) قال : ما كانت الدنيا .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيا . وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ماذكرناه عن الهُذَيل ومن قال مثل قوله ، وأن يكون كما قال قتادة ، ولا خبر يُوجِب الحجة بأن ذلك المعنىّ به ، فلا فى ذلك إلا ما دلّ عليه ظاهر القرآن ، وهو أنهم يعرضون على النار غدوًّا وعشيا ، وأصل الغدوّ والعشىّ مصادر جعلت أوقاتا .

وكان بعض نحويّى البصرة يقول فى ذلك : إنما هو مصدر ، كما تقول : أتيته ظلاما ، جعله ظرفا وهو مصدر . قال : ولو قلت : موعدُك غُدْوة ، أو موعدك ظلام فرفعته ، كما تقول : موعدك يوم الجمعة ، لم يحسن ، لأن هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لاتجعل إلا ظرفا ، قال : والظرف كله ليس بمتمكن . وقال نحويّو الكوفة : لم يسمع فى هذه الأوقات ، وإن كانت مصادر إلا التعريب ، موعدك يوم ، موعدك صباح ورواح ، كما قال جلّ ثناؤه (غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ) فرفع ، وذكروا أنهم سمعوا : إنما الطيلسان شهْران[1] ، قالوا : ولم يسمع فى الأوقات النكرات إلا الرفع إلا قولهم : إنما سخاؤك أحيانا ، وقالوا : إنما جاز ذلك ، لأنه بمعنى : إنما سخاؤك الحين بعد الحين ، فلما كان تأويله الإضافة نُصِب .

وقوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ، سوى عاصم وأبى عمرو : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) بفتح الألف من أدخلوا فى الوصل . والقطع بمعنى : الأمر بادخالهم النار . وإذا قُرِئَ ذلك كذلك ، كان الآل نصبا ، بوقوع أدخلوا عليه . وقرأ ذلكَ عاصم وأبو عمرو (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخُلُوا) بوصل الألف وسقوطها فى الوصل من اللفظ ، وبضمها إذا ابتدئ بعد الوقف على الساعة . ومن قرأ ذلك كذلك ، كان الآل على قراءته نصبا بالنداء ، لأن معنى الكلام على قراءته : ادْخُلُوا يا آل فرعون أشدّ العذاب .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . فمعنى الكلام إذن : ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون : ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب ، فهذا على قراءة من وصل الألف من ادْخُلوا ولم يقطع ، ومعناه على القراءة الأخرى ، ويوم تقوم الساعة يقول الله لملائكته : (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

---

(١) الطيلسان : شيء كان يضعه العلماء والكبراء حول أعناقهم وعلى أكتافهم ، اتقاء البرد . يريد أن مدة لبس الطيلسان شهران .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا، فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ؟ (٤٧) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ ، إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ (٤٨)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَأَنْذِرْهُم يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمِينَ) ، (وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِى النَّارِ) يقول : وإذ يتخاصمون فى النار . وعُنِى بذلك : إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذارهم من مشركى قومه فى النار ، فيقول الضعفاء منهم ، وهم المتبعون على الشرك بالله : (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة : إنا كنا لكم فى الدنيا تبعا على الكفر بالله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) اليوم (عَنَّا نَصِيبا مِنَ النَّارِ؟) يعنون حظا ، فتخففوه عنا ، فقد كنا نسارع فى محبتكم فى الدنيا ، ومن قِبَلكم أُتينا ، لولا أنتم لكنا فى الدنيا مؤمنين ، فلم يصبنا اليوم هذا البلاء . والتبع يكون واحدا وجماعة فى قول بعض نحويِّى البصرة ، وفى قول بعض نحويِّى الكوفة ، جمع لا واحد له ، لأنه كالمصدر . قال : وإن شئت كان واحده تابع ، فيكون مثل خائل وخول ، وغائب وغَيَب .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنه جمع ، واحده تابع ، وقد يجوز أن يكون واحدا ، فيكون جمعه أتباع فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم ، قال الذين استكبروا ، وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة فى الدنيا : إنا أيها القوم ، وأنتم ، كلنا فى هذه النار مخلدون ، لاخلاص لنا منها (إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ) بفصل قضائه ، فأسكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون ، ولا هم مما فيه من النعيم منتقلون ، ورفع قوله (كُلٌّ) بقوله (فيها) ولم ينصب على النعت .

وقد اختلف فى جواز النصب فى ذلك فى الكلام . وكان بعض نحويِّى البصرة يقول : إذا لم يضف كلّ لم يجز الإتباع . وكان بعض نحويِّى الكوفة يقول : ذلك جائز فى الحذف وغير الحذف ، لأن أسماءها إذا حُذفت اكتفى بها منها . وقد بيَّنا الصواب من القول فى ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ (٤٩) قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ؟ قَالُواْ بَلَىٰ ، قَالُواْ : فَٱدْعُواْ ، وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ (٥٠)

❊ يقول تعالى ذكره : وقال أهل جهنم لخزنتها وقوّامها ، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ،

ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا (ادْعُوا رَبَّكُمْ) لنا (يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) واحدا ، يعنى قدر يوم واحد من أيام الدنيا (مِنَ العَذَابِ) الذى نحن فيه ، وإنما قلنا : معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا لأن يوم الآخرة يوم لاليل فيه ، فيقال : خفف عنهم يوما واحدا .

وقوله (قالُوا أوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بالبَيِّناتِ): يقول تعالى ذكره : قالت خزنة جهنم لهم : أو لم تك تأتيكم فى الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله ، فتوحدوه وتؤمنوا به ، وتتبرءوا مما دونه من الآلهة ؟ قالوا : بلى ، قد أتتنا رسلنا بذلك .

وقوله (قالُوا فادْعُوا) يقول جلّ ثناؤه : قالت الخزنة لهم : فادعوا إذن ربكم الذى أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به .

وقوله (وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِى ضَلالٍ) يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا فى ضلال ، لأنه دعاء لاينفعهم ، ولا يستجاب لهم ، بل يقال لهم : اخسئوا فيها ولا تكلمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢)

✲ يقول القائل : وما معنى : (إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا) وقد علمنا أن منهم منهم من قتله أعداؤه ، ومثلوا به ، كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما . ومنهم من همّ بقتله قومه ، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم ، حتى فارقهم ناجيا بنفسه ، كإبراهيم الذى هاجر إلى الشام من أرضه ، مفارقا لقومه ، وعيسى الذى رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله ، فأين النصرة التى أخبرنا أنه ينصرها رسله ، والمؤمنين به فى الحياة الدنيا ، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت ، وما نُصروا على من نالهم بما نالهم به ؟ قيل : إن لقوله (إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا) وجهين ، كلاهما صحيح معناه : أحدهما أن يكون معناه : إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا إما بإعلائنا هم على من كذّبنا وإظفارنا بهم ، حتى يقهروهم غَلَبة ، ويُذلوهم بالظفر ذِلَّة ، كالذى فعل من ذلك بداود وسليمان ، فأعطاهما من المُلك والسلطان ما قهرا به كل كافر ، وكالذى فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذّبه من قومه ، وإما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقّهم ، بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذّبهم وعاداهم ، كالذى فعل تعالى ذكره بنوح وقومه ، من تغريق قومه وإنجائه منهم ، وكالذى فَعَل بموسى وفرعون وقومه ، إذ أهلكهم غرقا ، ونجّى موسى ومن آمن به من بنى إسرائيل وغيرهم ، ونحو ذلك ، أو بانتقامنا فى الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم ، كالذى فعلنا من نُصرتنا شعْياء بعد مهلكه ، بتسليطنا على قتلته من سلّطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته ، وكفعلنا بقتلة يحيى ، من تسليطنا بختنصر عليهم ، حتى انتصرنا به من قتله له ، وكانتصارنا

لعيسى من مريدى قتله بالروم ، حتى أهلكناهم بهم ، فهذا أحد وجهيه . وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قول الله (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قد كانت الأنبياء والمؤمنون يُقْتَلون في الدنيا وهم منصورون. وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين ، لاتذهب حتى يبعث الله قوما ، فينتصر بهم لأولئك الذين قُتلوا منهم . والوجه الآخر : أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين ، والمراد واحد ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : إنا لننصر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، كما بيَّنا فيما مضى أن العرب تُخرج الخبر بلفظ الجميع ، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (وَيَوْمَ يَقُومُ) بالياء . وينفع أيضا بالياء . وقرأ ذلك بعض أهل مكة وبعض قرّاء البصرة : (تَقُومُ) بالتاء ، و (تَنْفَعُ) بالتاء .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقد بيَّنا فيما مضى أن العرب تذكّر فعل جمع الرجل وتؤنث إذا تقدّم ، بما أغنى عن إعادته . وعُنى بقوله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، على الأمم المكذّبة رسلها ، بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ، وأن الأمم كذّبتهم . والأشهاد : جمع شهيد ، كما الأشراف : جمع شريف .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) من ملائكة الله وأنبيائه ، والمؤمنين به .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) قال الملائكة .

وقوله (لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم ، لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل ، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا ، وتابع عليهم الحجج فيها ، فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب ، بأن يقولوا (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

وقوله (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) يقول : وللظالمين اللعنة ، وهى البُعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) . يقول : ولهم مع اللعنة من الله شرّ ما في الدار الآخرة ، وهو العذاب الأليم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٥٤) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ (٥٥)﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى البيان للحق الذى بعثناه به ، كما آتينا ذلك محمدا ، فكذب به فرعون وقومه ، كما كذبت قريش محمدا (وَأَوْرَثْنَا بَنِى إِسْرائيلَ الكِتابَ) يقول : وأورثنا بنى إسرائيل التوراة ، فعلّمناهموها ، وأنزلناها إليهم (هُدًى) يعنى بيانا لأمر دينهم ، وما ألزمناهم من فرائضها ، (وَذِكْرَى لِأُولى الألْبابِ) يقول : وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها .

وقوله (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يامحمد لأمر ربك ، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة ، وبلّغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك ، وأيقن بحقيقة وعد الله الذى وعدك ، من نُصرتك ونصرة من صدّقك وآمن بك ، على من كذّبك ، وأنكر ماجئته به من عند ربك ، إن وعد الله حقّ لاخلف له، وهو منجز له (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) يقول : وسله غفران ذنبك ، وعفوه لك عنه (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : وصلّ بالشكر منك لربك بالعشىّ ، وذلك من زوال الشمس إلى الليل ؛ والإبكار : وذلك من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس . وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى ، وخروج وقت الضحى ، والمعروف عند العرب القول الأول .

واختلف أهل العربية فى وجه عطف الإبكار ، والباء غير حسن دخولها فيه على العشىّ ، والباء تحسن فيه ، فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : وسبح بحمد ربك بالعشىّ وفى الإبكار . وقال : قد يقال : بالدار زيد ، يراد : فى الدار زيد . وقال غيره : إنما قيل ذلك كذلك ، لأن معنى الكلام : صلّ بالحمد بهذين الوقتين ، وفى هذين الوقتين ، فإدخال الباء و« فى » واحد فيهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (٥٦)﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخاصمونك يامحمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير سلطان أتاهم : يقول : بغير حُجّة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها (إنْ فى صُدُورِهِمْ إلاّ كِبْرٌ) يقول : ما فى صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك ، وقبول الحقّ الذى أتيتهم به ، حسدا منهم على الفضل الذى آتاك الله ، والكرامة التى أكرمك بها من النبوّة (ما هُمْ بِبالِغِيهِ) يقول : الذى حسدوك عليه أمر

ليسوا بمُدركيه ولا نائليه ، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وليس بالأمر الذى يُدْرَك بالأمانىّ. وقد قيل : إن معناه : إن فى صدورهم إلا عظمة، ما هم ببالغى تلك العظمة، لأن الله مذلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ) قال : عظمة.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ) لم يأتهم بذلك سلطان .

وقوله (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : فاستجر بالله يامحمد،من شرّ هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعْرِض فى قلبك منه شىء (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون فى آيات الله وغيرهم من قول، البصير بما تعمله جوارحهم ، لايخفى عليه شىء من ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : لابْتداعُ السموات والأرض وإنشاؤها من غير شىء،أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمى خلق الناس وإنشاءهم من غير شىء ، من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لايعلمون أن خلق جميع ذلك هيّن على الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

(وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى) الذى لايبصر شيئا ، وهو مَثَل الكافر الذى لايتأمّل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها ، فيعلم وحدانيته وقُدرته على خلق ماشاء من شىء،ويؤمن به ويصدّق .(وَالبَصِيرُ) الذى يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره ، وذلك مَثَل للمؤمن الذى يرى بعينيه حجج الله ، فيتفكّر فيها ويتعظ ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه ، وعظيم سلطانه وقُدرته على خلق ما يشاء . يقول جلّ ثناؤه : كذلك لايستوى الكافر والمؤمن. (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول جل ثناؤه : ولا يستوى أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله ، المطيعون لربهم ، ولا المسىء ، وهو الكافر بربه ، العاصى له ،

المخالف أمره . (قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله ، فتعتبرون وتتعظون ، يقول : لو تذكرتم آياته واعتبرتم ، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فنى من خلقه من بعد الفناء ، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم ، وعلمتم قبح شرككم من تشركون فى عبادة ربكم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تَتَذَكَّرُونَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (يَتَذَكَّرُونَ) بالياء على وجه الخبر . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (تَتَذَكَّرُونَ) بالتاء على وجه الخطاب . والقول فى ذلك : أن القراءة بهما صواب .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : إن الساعة التى يحيى الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لاشكّ فى مجيئها . يقول : فأيقنوا بمجيئها ، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، ومجازَوْن بأعمالكم ، فتوبوا إلى ربكم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايُؤْمِنُونَ) يقول : ولكن أكثر قريش لايصدّقون بمجيئها .

وقوله (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول تعالى ذكره : ويقول ربكم أيها الناس لكم : ادعونى . يقول : اعبدونى وأخلصوا لى العبادة ، دون من تعبدون من دونى ، من الأوثان والأصنام وغير ذلك ، (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول : أجب دعاءكم ، فأعفو عنكم وأرحمكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول : وَحِّدونى أغفر لكم .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن الأعمش ، عن زرّ ، عن يُسَيْع الحضرمىّ ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ » . وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي).

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، والأعمش عن زرّ ، عن يُسَيْع الحضرمى ، عن النعمان بن بشير ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ ، وقال رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) . . . الآية » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زرّ ، عن يُسَيْع .

قال أبوموسى : هكذا قال غُنْدَر ، عن سعيد ، عن منصور ، عن زرّ ، عن يُسَيْع ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الدُّعاءَ هُوَ العبادةُ ، وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكم » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زرّ ، عن يسيع عن النعمان بن بشير ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يوسف بن العرف الباهلى ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن محمد بن جحادة ، عن يُسَيْع الحضرميّ ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عِبادَتِى دُعائى ، ثُمّ تلا هذه الآية (وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) قال : عَنْ دُعائى » .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا عمارة ، عن ثابت ، قال : قلت لأنس : يا أبا حمزة ، أبلغك أن الدعاء نصف العبادة ؟ قال : لا ، بل هو العبادة كلها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أخبرنا منصور ، عن زرّ ، عن يسيع الحضرمىّ ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ ، ثم قرأ هذه الآية (وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعى ، قال : قيل لسفيان : ادع الله قال : إن ترك الذنوب هو الدعاء .

وقوله (إنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) يقول : إن الذين يتعظمون عن إفرادى بالعبادة ، وإفراد الألوهة لى (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ) بمعنى : صاغرين . وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد قيل : إن معنى قوله (إنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) : إن الذين يستكبرون عن دعائى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) قال : عن دعائى .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (داخِرِينَ) قال : صاغرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ، إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : الله الذى لاتصلح الألوهة إلا له ، ولا تنبغى العبادة لغيره ، الذى صفته أنه جعل

لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه ، فتهدءوا من التصرّف والاضطراب للمعاش ، والأسباب التى كنتم تتصرّفون فيها فى نهاركم (وَالنَّهارَ مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه ، وطلب حاجاته ، نعمة منه بذلك عليكم (إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلى النَّاسِ) يقول : إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثرهم لا يشكرونه ، بالطاعة له ، وإخلاص الألوهة والعبادة له ، ولا يد تقدّمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣)

❊ يقول تعالى ذكره : الذى فعل هذه الأفعال ، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس ، الله مالككم ، ومصلح أموركم ، وهو خالقكم وخالق كلّ شىء (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود تصلح له العبادة غيره ، (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأىّ وجه تأخذون ؟ وإلى أين تذهبون عنه ، فتعبدون سواه ؟

وقوله (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) يقول : كذهابكم عنه أيها القوم ، وانصرافكم عن الحقّ إلى الباطل ، والرشد إلى الضلال ، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله ، يعنى : بحجج الله وأدلته ، يكذّبون فلا يؤمنون ؛ يقول : فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم ، وركبتم محجتهم فى الضلال .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٤) هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٥)

❊ يقول تعالى ذكره : (اللهُ) الذى له الألوهة خالصة أيها الناس (الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ) التى أنتم على ظهرها سكان (قَرَارًا) تستقرّون عليها ، وتسكنون فوقها ، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) : بناها ، فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها ، لمصالحكم ، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) يقول : وخلقكم فأحسن خلقكم (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال الرزق ، ولذيذات المطاعم والمشارب . وقوله (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : فالذى فعل هذه الأفعال ، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم ، هو الله الذى لا تنبغى الألوهة إلا له ، وربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره ، لا الذى لا ينفع ولا يضرّ ، ولا يخلق ولا يرزق (فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول : فتبارك الله مالك جميع

الخلق جنهم وإنسهم ، وسائر أجناس الخلق غيرهم (هُوَ الحَيُّ) يقول : هو الحيّ الذى لايموت ، الدائم الحياة ، وكلّ شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها (لاإلَهَ إلاَّ هُوَ) يقول : لامعبود بحقّ تجوز عبادته ، وتصلح الألوهة له ، إلا الله الذى هذه الصفات صفاته ، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين ، مخلصين له الطاعة ، مفردين له الألوهة ، لاتشركوا فى عبادته شيئا سواه ، من وثن وصنم ، ولا تجعلوا له نِدًّا ولا عِدلاً. (الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) يقول : الشكر لله الذى هو مالك جميع أجناس الخلق ، من مَلَك وجنّ وإنس وغيرهم ، لا للآلهة والأوثان التى لاتملك شيئا ، ولا تقدر على ضرّ ولا نفع ، بل هو مملوك ، إن ناله نائل بسوء ، لم يقدر له عن نفسه دفعا .

وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لاإله إلا الله ، أن يتبع ذلك الحمد لله ربّ العالمين ، تأوّلا منهم هذه الآية ، بأنها أمر من الله بقيل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبى ، قال : أخبرنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : من قال لاإله إلا الله ، فليقُل على إثرها : الحمد لله ربّ العالمين ، فذلك قوله (فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى[١] ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قال أحدكم : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، فليقل: الحمد لله ربّ العالمين ، ثم قرأ (فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

حدثنى محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن سعيد بن جُبير أنه كان يَستحب إذا قال : لاإله إلا الله ، يتبعها : الحمد لله ، ثم قرأ هذه الآية (هُوَ الحَيُّ لاإلَهَ إلاَّ هُوَ ، فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن عامر ، عن سعيد بن جُبير ، قال : إذا قال أحدكم لاإله إلا الله وحده ، فليقل بإثرها : الحمد لله ربّ العالمين ، ثم قرأ (فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي، وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يامحمد لمشركى قومك من قريش (إنِّى نُهِيتُ) أيها القوم (أنْ أعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) من الآلهة والأوثان (لَمَّا جاءَنِي البَيِّناتُ

(١) كذا فى التقريب والتهذيب . وفى الخلاصة : عبد الحميد بن بيان اليشكرى ، أبو الحسن العطار الوسطى توفى سنة ٢٤٤ هـ .

مِنْ رَبِّي) يقول : لما جاءنى الآيات الواضحات من عند ربى ، وذلك آيات كتاب الله الذى أنزله (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ) يقول : وأمرنى ربى أن أذل لرب كل شىء ، ومالك كل خلق بالخضوع ، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)

❊ يقول تعالى ذكره آمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتنبيه مشركى قومه على حججه عليهم فى وحدانيته : قل يامحمد لقومك : أمرت أن أسلم لرب العالمين ، الذى صفته هذه الصفات ، وهى أنه خلق أباكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ) خلقكم (مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) بعد أن كنتم نطفا (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) من بطون أمهاتكم صغارا ، (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) ، فتتكامل قواكم ، ويتناهى شبابكم ، وتمام خلقكم شيوخا (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ) أن يبلغ الشيخوخة (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى) : يقول : ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم ، وأجلا محدودا لاتجاوزونه ، ولا تتقدمون قبله (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك ، وتتدبروا آياته ، فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك.

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يامحمد (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) يقول قل لهم : ومن صفته جل ثناؤه ، أنه هو الذى يحيى من يشاء بعد مماته ، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته. (إِذَا قَضَى أَمْرًا) يقول : وإذا قضى كون أمر من الأمور التى يريد تكوينها (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) يعنى للذى يريد تكوينه ، كن فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ، ولا كلفة مؤنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ ، أَنَّى يُصْرَفُونَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يامحمد هؤلاء المشركين من قومك ، الذين يخاصمونك فى حجج الله وآياته (أَنَّى يُصْرَفُونَ) يقول : أى وجه يصرفون عن الحق ، ويعدلون عن الرشد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَنَّى يُصْرَفُونَ) : أنى يكذبون ويعدلون.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَنَّى يُصْرَفُونَ) قال : يصرفون عن الحق .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِى بها أهل القَدَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن محمد بن سيرين ، قال : إن لم تكن هذه الآية نزلت فى القَدَرية ، فإنى لا أدرى فيمن نزلت : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللهِ ، أَنَّى يُصْرَفُونَ) إلى قوله (لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكافِرِينَ) .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن ابن سيرين ، قال : إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون فى آيات الله فلا علم لنا به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مالك بن أبى الخير الزيادىّ ، عن أبى قَبِيل ، قال : أخبرنى عقبة بن عامر الجهنى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سَيَهْلِكُ مِنْ أُمَّتِى أَهْلُ الكِتابِ ، وأَهْلُ اللِّينِ ، فقال عقبة : يا رسول الله ، وما أهل الكتاب ؟ قال : قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتابَ اللهِ يُجادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ، فقال عقبة : يا رسول الله ، وما أهل اللين ؟ قال : قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، ويُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ » . قال أبو قَبِيل : لا أحسب المكذِّبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا ، وأما أهل اللين ، فلا أحسبهم إلا أهل العمود[1] ليس عليهم إمام جماعة ، ولا يعرفون شهر رمضان .

وقال آخرون : بل عنى به أهل الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فى آياتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ) قال : هؤلاء المشركون .

والصواب من القول فى ذلك : ما قاله ابن زيد ، وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتابِ وَبِمَا أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا) .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ ، قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ، كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤)

---

(١) كذا فى الأصل ، ولم أجد معنى للعمود فى النهاية لابن الأثير ، ولعله محرف عن (العمور) بضم العين ، جمع عمر ، بفتح فسكون ، وبضمتين ، وهو ضرب من النخيل ، وهو السحوق الطويل . يريد أصحاب هذه النخل الملازمين لها ، يجادلون فى الدين ، بلا علم ولا فقه .

﴿ يقول تعالى ذكره : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ؟ الَّذِينَ كَذَّبُوا) بكتاب الله ، وهو هذا القرآن ، والذين الثانية فى موضع خفض ردًّا لها على الذين الأولى ، على وجه النعت (وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) يقول : وكذّبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله ، بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله ، والبراءة مما يعبد دونه من الآلهة والأنداد ، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب .

وقوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ) ، وهذا تهديد من الله المشركين به ، يقول جلّ ثناؤه : فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله ، المكذّبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد ، وصحة ما هم به اليوم مكذّبون من هذا الكتاب ، حين تجعل الأغلال والسلاسل فى أعناقهم فى جهنم ، وقرأت قرأة الأمصار : والسلاسلُ برفعها ، عطفا بها على الأغلال ، على المعنى الذى بيّنت . وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه (والسَّلاسِلَ يُسْحَبُونَ) بنصب السلاسل فى الحميم . وقد حكى أيضا عنه أنه كان يقول : إنما هو ، وهم فى السلاسل يسحبون ، ولا يجيز أهل العلم بالعربية ، خفضَ الاسم والخافض مضمر . وكان بعضهم يقول فى ذلك : لو أن متوهّما قال : إنما المعنى : إذ أعناقهم فى الأغلال والسلاسل يسحبون ، جاز الخفض فى السلاسل على هذا المذهب ، وقال مثله : مما ردّ إلى المعنى قول الشاعر :

قَدْ سالَمَ الحَيَّاتُ مِنْهُ القَدَمَا الأُفْعُوَانَ والشُّجاعَ الأَرْقَمَا[1]

فنصب الشُّجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأن المعنى : قد سالمت رجلُه الحياتِ وسالمتها ، فلما احتاج إلى نصب القافية ، جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات .

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك : ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة عليه ، وهو رفع السلاسل عطفا بها على ما فى قوله (فِي أَعْنَاقِهِمْ) من ذكر الأغلال .

وقوله (يُسْحَبُونَ) يقول : يسحب هؤلاء الذين كذّبوا فى الدنيا بالكتاب ، زبانيةُ العذاب يوم القيامة فى الحميم ، وهو ما قد انتهى حرّه ، وبلغ غايته .

وقوله (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) يقول : ثم فى نار جهنم يحرقون ، يقول : تسجر بهم جهنم : أى توقد بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يُسْجَرُونَ) قال : يوقد بهم النار .

---

(١) البيتان من مشطور الرجز (اللسان : شجع) . قال الشجاع : الحية ، وفى الحديث : « يجىء كنز أحدهم يوم القيامة شجاعا أقرع . » وأنشد الأحمر : « قد سالم الحيات . . . . البيتين » . نصب الشجاع والأفعوان بمعنى الكلام ، لأن الحيات إذا سالمت القدم ، فقد سالمها القدم ، فكأنه قال : سالم القدم الحيات ؛ ثم جعل الأفعوان بدلا منها . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة «٢٨٩») نصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأن المعنى قد سالمت رجله الحيات وسالمتها . فلما احتاج إلى نصب القافية ، جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات . اهـ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) قال : يُحرَقون فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) قال : يُسْجَرون فى النار : يُوقد عليهم فيها .

وقوله (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : ثم قيل : أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله ، من آلهتكم وأوثانكم ، حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب ، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه ؛ وإنما يقال هذا لهم توبيخا وتقريعا ، على ما كان منهم فى الدنيا ، من الكفر بالله وطاعة الشيطان ؛ فأجاب المساكين عند ذلك ، فقالوا : ضلوا عنا : يقول : عدَلوا عنا ، فأخذوا غير طريقنا ، وتركونا فى هذا البلاء ، بل ما ضلوا عنا ، ولكنا لم نكن ندعو من قبل فى الدنيا شيئا : أى لم نكن نعبد شيئا ، يقول الله تعالى ذكره (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكافِرِينَ) يقول : كما أضلّ هؤلاء ، الذين ضلّ عنهم فى جهنم ما كانوا يعبدون فى الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم ، كذلك يضلّ الله أهل الكفر به عنه ، وعن رحمته وعبادته ، فلا يرحمهم فينجيهم من النار ، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)

﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) هذا الذى فعلنا اليوم بكم أيها القوم ، من تعذيبناكم العذاب الذى أنتم فيه ، بفرحكم الذى كنتم تفرحونه فى الدنيا ، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصى ، وبمرحكم فيها . والمرح : هو الأشَر والبطَر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) ، إلى (فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ) قال : الفرح والمرَح : الفخر والخُيَلاء ، والعمل فى الأرض بالخطيئة ، وكان ذلك فى الشرك ، وهو مثل قوله لقارون : (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ) ، وذلك فى الشرك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ، وبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) قال : تَبْطَرون وتأشَرُون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (تَمْرَحُونَ) قال : تبطرون .

وقوله (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) يقول تعالى ذكره لهم : ادخلوا أبواب جهنم السبعة ، من كل باب منها جزء مقسوم منكم (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فبئس منزل المتكبرين فى الدنيا على الله أن يوحدوه ، ويؤمنوا برسله اليوم ، جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يامحمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون ، فى آيات الله التى أنزلناها عليك ، وعلى تكذيبهم إياك ، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم ، والعلو عليهم ، وإحلال العقاب بهم ، كسنتنا فى موسى بن عمران ومن كذبه (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) يقول جل ثناؤه : فإما نرينك يامحمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل أن يحل ذلك بهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) يقول : فإلينا مصيرك ومصيرهم ، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم فى النار ، وإكرامناك بجوارنا فى جنات النعيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ) إلى أممها (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ) يقول : من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم (وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) نبأهم .

وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا على بن شعيب السمسار ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار ، عن محمد بن المنكدر ، عن يزيد بن أبان ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف من الأنبياء ، منهم أربعة آلاف من بنى إسرائيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، عن عتبة بن عتيبة البصرى العبدى ، عن أبى سهل ، عن وهب ابن عبد الله بن كعب بن سور الأزدى ، عن سلمان ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث الله أربعة آلاف نبى .

حدثنى أحمد بن الحسين الترمذى ، قال : ثنا آدم بن أبى إياس ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن

عبد الله بن يحيى ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فى قوله (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) قال : بعث الله عبدا حبشيا نبيا ، فهو الذى لم نقصص عليك .

وقوله (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك ، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتى قومه بآية فاصلة بينه وبينهم ، إلا بإذن الله له بذلك ، فيأتيهم بها ، يقول جلّ ثناؤه لنبيه : فلذلك لم يجعل لك أن تأتى قومك بما يسألونك من الآيات دون[إذننا لك بذلك ، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ) يعنى بالعدل ، وهو أن ينجى رسله والذين آمنوا معهم(وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) يقول : وهلك هنالك الذين أبطلوا فى قيلهم الكذب ، وافترائهم على الله وادعائهم له شريكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ، وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ، وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ (٨١)

❁ يقول تعالى ذكره (اللهُ) الذى لاتصلح الأُلوهة إلا له أيها المشركون به من قريش (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ) من الإبل والبقر والغنم والخيل ، وغير ذلك من البهائم التى يقتنيها أهل الإسلام، لمركب أو لمطعم (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) يعنى : الخيل والحمير (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يعنى الإبل والبقر والغنم . وقال : (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) ومعناه : لتركبوا منها بعضا . ومنها بعضا تأكلون . فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف .

وقوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعْنكم ، ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين .

وقوله (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) يقول : ولتبلغوا بالحمولة على بعضها ، وذلك الإبل ، حاجة فى صدوركم ، لم تكونوا بالغيها لولاهى ، إلا بشقّ أنفسكم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) يعنى الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) لحاجتكم ما كانت .

وقوله (وَعَلَيْهَا) يعنى : وعلى هذه الإبل ، وما جانسها من الأنعام المركوبة (وَعَلَى الفُلْكِ) يعنى : وعلى السفن (تُحْمَلُونَ) يقول : نحملكم على هذه فى البرّ، وعلى هذه فى البحر ، (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) يقول : ويريكم حُجَجه ، (فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ) يقول : فأىّ حجج الله التى يريكم أيها الناس . فى السماء والأرض تنكرون صحتها ، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله ، وتدعون من دونه إلهًا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)

❁ يقول تعالى ذكره : أفلم يسر يامحمد هؤلاء المجادلون فى آيات الله من مشركى قومك فى البلاد ؟ فإنهم أهل سفر إلى الشأم واليمن ، رحلتهم فى الشتاء والصيف ، فينظروا فيما وَطِئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم ، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا ، وجحودهم آياتنا ، كيف كان عُقْبَى تكذيبهم ، كانوا أكثر منهم : يقول : كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذّبيك من قريش ، أكثر عددا من هؤلاء وأشدّ بطشا ، وأقوى قوّة ، وأبقى فى الأرض آثارا ، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ، ويتخذون مصانع .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) المشى بأرجلهم (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا ، لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت فى الجبال ، ولم يدفع عنهم ذلك شيئا ، ولكنهم بادوا جميعا فهلكوا . وقد قيل : إن معنى قوله (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ) فأىّ شىء أغنى عنهم ؟ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون ما الأولى فى موضع نصب ، والثانية فى موضع رفع . يقول : فلهؤلاء المجادليك من قومك يامحمد ، فى أولئك معتبر إن اعتبروا ، ومتَّعَظ إن اتعظوا ، وإن بأسنا إذا حلّ بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع ، ولم يمنعه مانع ، وهو بهم إن لم ينيبوا إلى تصديقك واقع .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣)

❁ يقول تعالى ذكره : فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذّبة رُسُلَها ، رسلُهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينات ، يعنى : بالواضحات من حجج الله عزّ وجلّ (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ) يقول : فرحوا ، جهلا منهم بما عندهم من العلم ، وقالوا : لن نبعث ، ولن يعذّبنا الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ) قال : قولهم : نحن أعلم منهم ، لن نعذَّب ، ولن نبعث .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ) : بجهالتهم .

وقوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به ، استهزاء وسخرية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ما جاءتهم به رسلهم من الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا : ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : فلما رأت هذه الأمم المكذّبة رسلها بأسنا، يعنى عقاب الله الذى وعدتهم به رسلهم قد حلّ بهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) قال : النقمات التى نزلت بهم .

وقوله (قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ) يقول : قالوا : أقررنا بتوحيد الله ، وصدّقنا أنه لا إله غيره . (وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) يقول : وجحدنا الآلهة التى كنا قبل وقتنا هذا نشركها فى عبادتنا الله، ونعبدها معه ، ونتخذها آلهة ، فبرئنا منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : فلم يك ينفعهم تصديقهم فى الدنيا بتوحيد الله ، عند معاينة عقابه قد نزل ، وعذابه

قد حلّ ، لأنهم صدّقوا حين لاينفع التصديق مُصدّقا ، إذ كان قد مضى حكم الله فى السابق من علمه ، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه ، لم تنفعه توبته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بأْسَنا) : لما رأوا عذاب الله فى الدنيا ، لم ينفعهم الإيمان عند ذلك .

وقوله (سُنَّةَ اللهِ التى قَدْ خَلَتْ فى عِبادِهِ) يقول : ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم ، وقبول التوبة منهم ، ومراجعتهم الإيمان بالله ، وتصديق رسلهم ، بعد معاينتهم بأسه قد نزل بهم ، سنته التى قد مضت فى خلقه ، فلذلك لم يُقِلْهُمْ ، ولم يقبل توبتهم فى تلك الحال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُنَّةَ اللهِ التى قَدْ خَلَتْ فى عِبادِهِ) يقول : كذلك كانت سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك .

وقوله (وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ) يقول : وهلك عند مجىء بأس الله ، فَغَبِنَت صفقته ، ووضُع فى بيعه الآخرة بالدنيا ، والمغفرة بالعذاب ، والإيمان بالكفر ، الكافرون بربهم ، الجاحدون توحيد خالقهم ، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم .

آخر تفسير سورة حم المؤمن

تفسير سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢) كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ (٤)

قال أبو جعفر : قد تقدم القول منا فيما مضى قبلُ فى معنى « حم » ، والقول فى هذا الموضع كالقول فى ذلك .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم ، نزّله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ) يقول : كتاب بُيِّنت آياته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فُصِّلَتْ آياتُهُ) قال : بينت آياته .

وقوله (قُرآنا عَرَبِيا) يقول تعالى ذكره : فُصلت آياته هكذا .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب القرآن . فقال بعض نحويّ البصرة : قوله (كِتابٌ فُصِّلَتْ) : الكتاب خبر لمبتدأ أخبر أن التنزيل كتاب ، ثم قال (فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآنا عَرَبِيا) شغلَ الفعلَ بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل ، فنُصِبَ القرآن . وقال : (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) على أنه صفة ، وإن شئت جعلت نصبه على المدح ، كأنه حين ذكره أقبل فى مدحته ، فقال : ذكرنا قرآنا عربيا بشيرا ونذيرا ، وذكرناه قرآنا عربيا ، وكان فيما مضى من ذكره ، دليل على ما أضمر . وقال بعض نحويّ الكوفة : نصب قرآنا على الفعل : أى فصلت آياته كذلك . قال : وقد يكون النصب فيه على القطع ، لأن الكلام تامّ عند قوله « آياته » . قال : ولو كان رفعا على أنه من نعت الكتاب كان صوابا ، كما قال فى موضع آخر (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ) وقال : وكذلك قوله (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) فيه ما فى (قُرآنا عَرَبِيًّا) .

وقوله (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول : فصلت آيات هذا الكتاب قرآنا عربيا لقوم يعلمون اللسان العربىّ ، بشيرا لهم يبشرهم إن هم آمنوا به ، وعملوا بما أُنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة . ونذيرا : يقول : ومُنذرا من كذّب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله فى عاجل الدنيا ، وخلود الأبد فى نار جهنم فى آجل الآخرة .

وقوله (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ) يقول تعالى ذكره : فاستكبر عن الإصغاء له ، وتدبر مافيه من حجج الله ، وأعرض عنه ، أكثرُ هؤلاء القوم الذين أُنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا ، وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَهُمْ لايَسْمَعُونَ) يقول : فهم لايصغون له فيسمعوه ، إعراضا عنه واستكبارا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركى قريش ، إذ دعاهم محمد نبىّ الله إلى الإقرار بتوحيد الله ، وتصديق ما فى هذا القرآن من أمر الله ونهيه ، وسائر ما أُنزل فيه (قُلُوبُنا فِى أَكِنَّةٍ) يقول : فى أغطية (مِمّا تَدْعُونا) يامحمد (إِلَيْهِ) من توحيد الله ، وتصديقك فيما جئتنا به ، لانفقه ما تقول (وَفِى آذانِنا وَقْرٌ) وهو الثِّقَل ، لانسمع ما تدعونا إليه ، استثقالا لما يدعو إليه ، وكراهة له . وقد مضى البيان قبلُ عن معانى هذه الأحرف بشواهده ، وذكر ما قال أهل التأويل فيه ، فكرهنا إعادة ذلك فى هذا الموضع .

وقد حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قُلُوبُنا فِى أَكِنَّةٍ) قال : عليها أغطية كالجَعْبَة للنَّبْل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط : عن السدىّ، قوله (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) قال : عليها أغطية (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) قال : صَمَم .

وقوله (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) يقولون : ومن بيننا وبينك يامحمد ساتر، لانجتمع من أجله نحن وأنت ، فيرى بعضنا بعضا ، وذلك الحجاب هو اختلافهم فى الدين ، لأن دينهم كان عبادةَ الأوثان ، ودين محمد صلى الله عليه وسلم عبادةُ الله وحده لاشريك له ، فذلك هو الحجاب الذى زعموا أنه بينهم وبين نبىّ الله ، وذلك هو خِلاف بعضهم بعضًا فى الدين .

وقوله (فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) يقول : قالوا له صلى الله عليه وسلم : فاعمل يامحمد بدينك وما تقول إنه الحقّ ، إننا عاملون بديننا ، وما نقول إنه الحقّ ، ودع دعاءنا إلى ماتدعونا إليه من دينك ، فإنا ندَع دعاءك إلى ديننا. وأدخلت « مِنْ » فى قوله (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) والمعنى :وبيننا وبينك حجاب ، توكيدا للكلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ، وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك : أيها القوم ما أنا إلا بشر من بنى آدم مثلكم فى الجنس والصورة والهيئة، لست بملَك (يُوحَى إِلَيَّ) يقول: يوحى الله إلىّ أن لامعبود لكم تصلح عبادتُه إلا معبودٌ واحد(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) يقول : فاستقيموا إليه بالطاعة،ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة،دون الآلهة والأوثان (وَاسْتَغْفِرُوهُ) يقول :وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التى سلفت منكم ، بالتوبة من شرككم ، يَتُبْ عليكم ، ويغفر لكم .

وقوله (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره:وصديد أهل النار،وما يسيل منهم للمدّعين لله شريكا،العابدين الأوثان دونه،الذين لايؤتون الزكاة.

اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : معناه: الذين لايُعطون الله الطاعة التى تطهرهم ، وتزكى أبدانهم ، ولا يوحّدونه ، وذلك قولٌ يُذكر عن ابن عباس .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : هم الذين لايشهدون أن لاإله إلا الله .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكَم، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا الحكَم بن أبان،عن عِكْرمة، قوله (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ): الذين لايقولون لاإله إلا الله.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين لايقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ، ولا يعطونها أهلها ، وقد ذكرنا أيضا قائلي ذلك قبلُ .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لايُؤْتُونَ الزَّكاةَ) قال : لايقرّون بها ولا يؤمنون بها ، وكان يقال: إن الزكاة قَنْطرة الإسلام ، فمن قطعها نجا ، ومن تخلف عنها هلك . وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا : أما الصلاة فنصلّي ، وأما الزكاة فوالله لاتُغْصَب أموالنا. قال :فقال أبو بكر :والله لاأفرّق بين شيء جمع الله بينه ،والله لومنعوني عقالا مما فرض الله ورسوله ، لقاتلناهم عليه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لايُؤْتُونَ الزَّكاةَ) قال : لو زَكَّوا وهم مشركون لم ينفعهم .

والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذين قالوا: معناه : لايؤدّون زكاة أموالهم ، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأن قوله في (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) دليلا على أن ذلك كذلك ، لأن الكفار الذين عُنُوا بهذه الآية كانوا لايشهدون أن لاإله إلا الله، فلو كان قوله(الَّذِينَ لايُؤْتُونَ الزَّكاةَ) مرادا به الذين لايشهدون أن لاإله إلا الله،لم يكن لقوله (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) معنى ، لأنه معلوم أن من لايشهدأن لاإله إلا الله لايؤمن بالآخرة ، وفي إتباع الله قوله(وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُون) قوله (الَّذِينَ لايُؤْتُونَ الزَّكاةَ) ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيّ بها زكاةَ الأموال .

وقوله (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) يقول : وهم بقيام الساعة ، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم ، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ، ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩)

❊ يقول تعالى ذكره : إن الذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، وذلك هو الصالحات من الأعمال (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجُرَهم عليه .

وقد اختلف في تأويل ذلك أهل التأويل ، وقد بيّنّاه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال بعضهم : غير منقوص . وقال بعضهم : غير ممنون عليهم .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : غير منقوص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : محسوب .

وقوله (أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين ، وبذلك جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالته العلماء . وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبلُ ، ونذكر بعض ما لم نذكره قبلُ إن شاء الله .

ذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الأخبار بذلك

حدثنا هَنّاد بن السريّ ، قال : ثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن أبي سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال هناد : قرأت سائر الحديث على أبي بكر : أن اليهود أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض ، قال : خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ وَالاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ وَما فِيهِنَّ مِنْ مَنافِعَ ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ الشَّجَرَ والماءَ وَالمَدائِنَ والعُمْرانَ والخَرابَ ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ ، ثُمَّ قالَ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ، ذلِكَ رَبُّ العالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها ، وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ لِمَنْ سَأَلَ . قالَ : وَخَلَقَ يَوْمَ الخَمِيسِ السَّماءَ ، وَخَلَقَ يَوْمَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ والشَّمْسَ والقَمَرَ والمَلائِكَةَ إِلى ثَلاثِ ساعاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ ، فَخَلَقَ فِي أَوَّلِ ساعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلاثَةِ الآجالَ حِينَ يَمُوتُ مَنْ ماتَ ، وَفِي الثّانِيَةِ أَلْقَى الآفَةَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مِمّا يَنْتَفِعُ بِهِ النّاسُ ؛ وَفِي الثّالِثَةِ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْها فِي آخِرِ ساعَةٍ ، قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ ، قالوا : قد أصبت لو أتممت ، قالوا ثم استراح ، فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فنزل (وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَواتِ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ، وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ ، فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : « إن الله خلق يوما واحدا ، فسماه الأحد ، ثم خلق ثانيا ، فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثا ، فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعا ، فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامسا ، فسماه الخميس ؛ قال : فخلق الأرض في يومين : الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل ، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والهوامّ والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرَغ من خلق كلّ شيء يوم الجمعة » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) في الأحد والاثنين ، وقد قيل غير ذلك .

وذلك ما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن عليّ ، قالا : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ،

قال : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة قال : « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى، فقال : خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فيها الجِبالَ يَوْمَ الأحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأرْبِعاءِ ، وَبَثَّ فيها الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ آخِرَ خَلْقٍ فى آخِرِ ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ الجُمُعَةِ ، فيما بَيْنَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ » .

وقوله (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا ، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم فى معاصى الله . وقد بيَّنا معنى النِّدّ بشواهده فيما مضى قبلُ .

وقوله (ذَلِكَ رَبُّ العالَمِينَ) يقول : الذى فعل هذا الفعل ، وخلق الأرض فى يومين ، مالك جميع الجن والإنس ، وسائر أجناس الخلق ، وكلّ ما دونه مملوك له ، فكيف يجوز أن يكون له نِدّ ، وهل يكون المملوك العاجز الذى لايقدر على شىء نِدًّا لمالكه القادر عليه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)

❊ يقول تعالى ذكره : وجعل فى الأرض التى خلق فى يومين جبالا رواسىَ ، وهى الثوابت فى الأرض من فوقها ، يعنى : من فوق الأرض على ظهرها .

وقوله (وَبارَكَ فيها) يقول :وبارك فى الأرض، فجعلها دائمة الخير لأهلها .

وقد ذُكر عن السدىّ فى ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : (وَبارَكَ فيها) قال : أنبت شجرها .

(وَقَدَّرَ فيها أقواتَها) :

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : وقدّر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَقَدَّرَ فيها أقْوَاتَها) قال: أرزاقها ؛

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَقَدَّرَ فيها أقْوَاتَها) قال : قدّر فيها أرزاق العباد ، ذلك الأقواتُ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَقَدَّرَ فيها أقْوَاتَها) يقول : أقواتها لأهلها .

وقال آخرون : بل معناه : وقدّر فيها ما يصلحها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن خليد بن دِعْلِج ، عن قتادة ، قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : صلاحها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدّر فيها جبالها وأنهارها وأشجارها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) : خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها ، وساكنها من الدوابّ كلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدّر فيها أقواتها من المطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : من المطر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدّر فى كلّ بلدة منها ما لم يجعله فى الآخر منها ، لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا أبو محصن ، قال : ثنا حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : اليمانىّ باليمن ، والسابرىّ بسابور .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، قال : قال عكرمة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) اليمانية باليمن ، والسابرية بسابور ، وأشباه هذا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا عن عكرمة فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : فى كلّ أرض قوت لا يصلح فى غيرها ، اليمانىّ باليمن ، والسابرىّ بسابور .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : البلد يكون فيه القوت أو الشىء لا يكون لغيره ، ألا ترى أن السابرىّ إنما يكون بسابور ، وأن العَصْب إنما يكون باليمن ونحو ذلك .

حدثنى إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا ابن عبد الواحد بن زياد ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : السابرىّ بسابور ، والطيالسة من الرىّ .

حدثنى إسماعيل ، قال : ثنا أبو النضر صاحب البصرىّ ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن مُطَرِّف ، عن الضحاك فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال السابرىّ من سابور ، والطيالسة من الرىّ .

فى قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : السابرىّ من سابور ، والطيالسة من الرىّ، والحِبَر من اليمن .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى أخبر أنه قدّر فى الأرض أقوات أهلها ، وذلك ما يقوتهم من الغذاء ، ويصلحهم من المعاش ، ولم يخصّص جلّ ثناؤه بقوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) أنه قدّر فيها قوتا دون قوت ، بل عمّ الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات ، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرّف فى البلاد، لما خصّ به بعضا دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر ، ومن البحر من المآكل والحلىّ ، ولا قول فى ذلك أصحّ مما قال جلّ ثناؤه : قدّر فى الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة .

وقال جلّ ثناؤه : (فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) لما ذكرنا قبل من الخبر الذى روينا عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها ، من الأشجار والماء والمدائن والعمران ، والخراب ، فى أربعة أيام ، أوّلهنّ يوم الأحد ، وآخرهنّ يوم الأربعاء .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين ، فى الثلاثاء والأربعاء .

وقال بعض نحوىّ البصرة : قال خلق الأرض فى يومين ، ثم قال فى أربعة أيام ، لأنه يعنى أن هذا مع الأوّل أربعة أيام ، كما تقول : تزوّجت أمس امرأة ، واليوم ثنتين ، وإحداهما التى تزوّجتها أمس .

وقوله (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذى خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسىَ من فوقها والبركة ، وقدّر فيها الأقوات بأهلها ، وجده كما أخبر الله أربعة أيام ، لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) من سأل عن ذلك وجده ، كما قال الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) قال : من سأل فهو كما قال الله .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) يقول : من سأل فهكذا الأمر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة إليه من الرزق ، فإن الله قد قدّر له من الأقوات فى الأرض، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله، لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) قال : قدّر ذلك على قدر مسائلهم ، يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شىء، إلا شىء قد علمه قبل أن يكون .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار، غير أبى جعفر والحسن البصرىّ (سَوَاءً) بالنصب . وقرأه أبو جعفر القارئُ (سَوَاءٌ) بالرفع . وقرأ الحسن (سَوَاءٍ) بالجرّ .

والصواب من القراءة فى ذلك ماعليه قرّاء الأمصار ، وذلك قراءته بالنصب، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، ولصحة معناه . وذلك أن معنى الكلام : وقدّر فيها أقواتها سواء لسائليها، على ما بهم إليه الحاجة ، وعلى ما يصلحهم .

وقد ذُكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك (وَقَسَّمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب سواءً ، فقال بعض نحوىّ البصرة : من نصبه جعله مصدرا ، كأنه قال : استواء . قال : وقد قُرِئَ بالجرّ، وجعل اسما للمستويات : أى فى أربعة أيام تامّة . وقال بعض نحوىّ الكوفة: من خفض سواء، جعلها من نعت الأيام ، وإن شئت من نعت الأربعة ، ومن نصبها جعلها متصلة بالأقوات . قال : وقد تُرفع كأنه ابتداء ، كأنه قال ذلك(سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ) يقول: لمن أراد علمه .

والصواب من القول فى ذلك: أن يكون نصبه إذا نصب حالا من الأقوات ، إذ كانت سواء قد شبهت بالأسماء النكرة، فقيل: مررت بقوم سواء ، فصارت تتبع النكرات . وإذا تبعت النكرات انقطعت من المعارف، فنصبت، فقيل: مررت بإخوتك سواء، وقد يجوز أن يكون إذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبّه بالمصادر . وأما إذا رُفعت ، فإنما تُرفع ابتداء بضمير ذلك ونحوه . وإذا جُرّت فعلى الاتباع للأيام، أو للأربعة .

وقوله (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) يعنى تعالى ذكره : ثم استوى إلى السماء ، ثم ارتفع إلى السماء . وقد بيّنّا أقوال أهل العلم فى ذلك ، فيما مضى قبل .

وقوله (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) يقول جلّ ثناؤه : فقال الله للسماء والأرض : جيئا بما خَلَقْتُ فيكما، أما أنتِ يا سماء فأطلعى ما خلقتُ فيك من الشمس والقمر والنجوم ، وأما أنتِ يا أرض فأخرجى ما خلقتُ فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقّقى عن الأنهار، (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) : جئنا بما أحدثت فينا من خلقك ، مستجيبين لأمرك ، لانعصى أمرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) قال : قال الله للسموات : أطلعى شمسى وقمرى، وأطلعى نجومى، وقال للأرض: شققى أنهارك، وأخرجى ثمارك، فقالتا : أعطينا طائعين .

حدثنى يعقوب بن إبرهيم، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جُرَيج ، عن سليمان الأحول ، عن طاوس،

عن ابن عباس ، فى قوله (ائْتِيَا) : أعطيا . وفى قوله (قَالَتَا أَتَيْنَا) قالتا : أعطينا . وقيل : أتينا طائعين ، ولم يقل طائعتين ، والسماء والأرض مؤنثتان ، لأن النون والألف اللتين هما كناية أسمائهما فى قوله (أَتَيْنَا) نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم ، فأجرى قوله (طَائِعِينَ) على ماجرى به الخبر عن الرجال كذلك . وقد كان بعض أهل العربية يقول : ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن .

وقال آخرون منهم : قيل ذلك كذلك ، لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بنى آدم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا، ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ففرغ من خلقهن سبع سموات فى يومين ، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : استوى إلى السماء وهى دخان ، من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ففتقها ، فجعلها سبع سموات فى يومين ، فى الخميس والجمعة ، وإنما سُمّى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض .

وقوله (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) يقول : وألقى فى كلّ سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال : ما أمر الله به وأراده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال : خلق فى كلّ سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرَد ، وما لا يُعلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) : خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها .

وقوله (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا) يقول تعالى ذكره : وزيَّنا السماء الدنيا إليكم أيها الناس ، بالكواكب وهى المصابيح .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) قال : ثم زين السماء بالكواكب ، فجعلها زينة (وَحِفْظًا) من الشياطين .

واختلف أهل العربية فى وجه نصبه قوله (وَحِفْظًا) فقال بعض نحويّ البصرة : نصب بمعنى : وحفظناها حفظا ، كأنه قال : وتحفظها حفظا ، لأنه حين قال : زيناها بمصابيح قد أخبر أنه قد نظر فى أمرها وتعهدها ، فهذا يدلّ على الحفظ ، كأنه قال : وحفظناها حفظا . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : نصب ذلك على معنى : وحفظا زيناها ، لأن الواو لو سقطت لكان إنا زينا السماء الدنيا حفظا ، وهذا القول الثانى أقرب عندنا للصحة من الأوّل .

وقد بيّنّا العلة فى نظير ذلك فى غير موضع من هذا الكتاب ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصفت لكم من خلق السماء والأرض وما فيهما ، وتزيينى السماء الدنيا بزينة الكواكب ، على ما بيّنت ، تقدير العزيز فى نقمته من أعدائه ، العليم بسرائر عباده وعلانيتهم ، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ(١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، قَالُوا : لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ، فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ(١٤)

يقول تعالى ذكره : فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التى بيّنتها لهم يامحمد ، ونبهتهم عليها ، فلم يؤمنوا بها ، ولم يقرّوا أن فاعل ذلك ، هو الله الذى لا إله غيره ، فقل لهم : أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم ، مثل صاعقة عاد وثمود .

وقد بيّنّا فيما مضى أن معنى الصاعقة : كلّ ما أفسد الشىء وغيره عن هيئته . وقيل فى هذا الموضع عُنِى بها وقيعة من الله وعذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) قال : يقول : أنذرتكم وقيعة مثل وقيعة عاد وثمود ، قال : عذاب مثل عذاب عاد وثمود .

وقوله (إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) يقول : فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التى أهلكتهم ، إذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم ، فقوله « إذ » من صلة صاعقة . وعنى بقوله (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ)الرسل التى أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين ، وعُنِى بقوله (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) : من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلا إليهم ، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا ، فكذّبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضا ، فكذّبوهم ، فأهلكوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإن أعرَضُوا) . . . إلى قوله (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) قال: الرسل التى كانت قبل هود، والرسل الذين كانوا بعده ، بعث الله قبله رسلا ، وبعث من بعده رسلا .

وقوله (ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) يقول تعالى ذكره : جاءتهم الرسل بأن لاتعبدوا إلا الله وحده لاشريك له ، قالوا (لَوْ شاءَ رَبُّنا لأنْزَلَ مَلائِكَةً) يقول جلّ ثناؤه : فقالوا لرسلهم إذ دعوهم إلى الإقرار بتوحيد الله : لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئا غيره ، لأنزل إلينا ملائكةً من السماء، رسلا بما تدعوننا أنتم إليه ، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا ، ولكنه رضى عبادتنا مانعبد ، فلذلك لم يرسل إلينا بالنهى عن ذلك ملائكة .

وقوله (فإنا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ) يقول : قالوا لرسلهم : فإنا بالذى أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون ، غير مصدّقين به .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)

﴿ يقول تعالى ذكره : (فَأَمَّا عادٌ) قوم هود (فاسْتَكْبَرُوا) على ربهم وتجبروا (فِى الأرْضِ) تكبرا وعتوّا بغير ما أذن الله لهم به(وَقالُوا مَنْ أشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ أوَلَمْ يَرَوْا أنَّ اللهَ الذِى خَلَقَهُمْ) وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق ، وشدّة البطش (هُوَ أشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته ، لكفرهم به، وتكذيبهم رسله (وكانُوا بآياتِنا يَجْحَدُونَ) يقول: وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ، لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ، وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الصرصر ، فقال بعضهم : عنى بذلك أنها ريح شديدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ريحا صَرْصَرًا) قال : شديدة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (رِيحًا صَرْصَرًا) شديدة السموم عليهم .

وقال آخرون : بل عنى بها أنها باردة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) قال : الصرصر : الباردة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : باردة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : باردة ذات الصوت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) يقول : ريحا فيها برد شديد .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول مجاهد ، وذلك أن قوله (صَرْصَرًا) إنما هو صوت الريح إذا هبَّت بشدّة ، فسُمع لها كقول القائل : صرر ، ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذى فى الراء ، فقال : ثم أبدلت إحدى الراءات صادا لكثرة الراءات ، كما قيل فى ردّده : ردرده ، وفى نهّهه : نهنهه ، كما قال رؤبة :

فَالْيَوْمَ قَدْ نَهْنَهَنِى تَنَهْنُهِى وَأَوْلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسَفَّهِ[1]

وكما قيل فى كففه : كفكفه ، كما قال النابغة :

أُكَفْكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عُدَاتِى إِذَا نَهْنَهْتُهَا عَادَتْ ذُبَاحَا[2]

وقد قيل : إن النهر الذى يسمى صرصرا ، إنما سمى بذلك لصوت الماء الجارى فيه ، وإنه فعلل من صرر نظير الريح الصرصر .

وقوله (فِى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل النحسات ، فقال بعضهم : عنى بها المتتابعات .

---

(١) البيتان فى ديوانه (طبع ليبسج ١٦٦) وهما ال (١٩ ، ٢٠) ونهنهنى زجرنى وكفنى . يقول هذا بعد أن كبر وضعف . والأول : الرجوع . والحلم العقل . والمسفه : المنسوب إلى السفه . يقول : كنت أستجيب لدواعى الصبا ما دمت شابا ، أما اليوم وقد علتنى كبرة ، ورجع إلى ما عزب من عقل ، فقد كفنى عن الطيش حلمى وعقل ، فلا أفعل ما كنت أفعل فى الشباب .

(٢) نسب المؤلف البيت إلى النابغة ، ولم أجده فى الديوان ولا فى شروحه المختلفة . ومعنى أكفكف العبرة : أردها . وقوله غلبت عداتى : أى أنهم كانوا حراصا على أن أبكى بما يسيئون إلى ، فغلبتهم عبرتى التى حبستها ، ونهنهتها : كففتها ورددتها . وذباحا : ذبحا . يريد أنه حبس عبرته ، وكان حبسها كالذبح من شدة الألم ، لأن البكاء يخفف ما يضطرم فى النفس من ألم وغيظ ونحوه . والبيت عند المؤلف شاهد على أن كفكف ونهنه وصرصر ونحوها من الفعل الرباعى المضعف : أصلها : كفف ونهه وصرر ، فلما اجتمع فيه ثلاثة أحرف أمثال ، أبدلت إحدى الراءات من نوع فاء الكلمة . وهذا مذهب لبعض النحويين الكوفيين . والله أعلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : أيام متتابعات ، أنزل الله فيهنّ العذاب .

وقال آخرون : عنى بذلك المشائيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : مشائيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) أيام والله كانت مشئومات على القوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : النحسات : المشئومات النكِدات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : أيام مشئومات عليهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : أيام ذات شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد قوله : (أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : النحس : الشر ، أرسل عليهم ريح شرّ ، ليس فيها من الخير شيء .

وقال آخرون : النحسات : الشداد .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال : شِداد .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال عُنِى بها : أيام مشائيم ذات نُحوس ، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس فى كلام العرب .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، غير نافع وأبي عمرو (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) بكسر الحاء ، وقرأه نافع وأبو عمرو (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء . وكان أبو عمرو فيما ذُكِر لنا عنه يحتجّ لتسكينه الحاء بقوله (يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) وأن الحاء فيه ساكنة .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء علماء ، مع اتفاق معنييهما ، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها فى ذلك لغتان معروفتان ، يقال هذا يومٌ نَحْسٌ ، ويومٌ نَحِسٌ ، بكسر الحاء وسكونها ؛ قال الفرّاء : أنشدنى بعض العرب :

أَبْلِغْ جُذَامًا وَلَخْمًا أَنَّ إِخْوَتَهُمْ طَيًّا وَبَهْرَاءَ قَوْمٌ نَصْرُهُمْ نَحِسُ[١]

وأما من السكون فقول الله (يَوْمُ نَحْسٍ) ؛ ومنه قول الراجز :

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسَا نَجْمَيْنِ بِالسَّعْدِ وَنَجْمًا نَحْسَا[٢]

فمن كان فى لغته (يومٌ نَحْسٍ) قال : (فِي أيامٍ نَحْسَاتٍ) ، ومن كان فى لغته (يَوْمُ نَحِسٌ) قال : (فِي أيَّامٍ نَحِساتٍ) ، وقد قال بعضهم : النحْس بسكون الحاء : هو الشؤم نفسه ، وإن إضافة اليوم إلى النحس ، إنما هو إضافة إلى الشؤم ، وأن النحِس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشؤوم ، ولذلك قيل : (فِي أيَّامٍ نَحِساتٍ) لأنها أيام مشائيم .

وقوله (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول جلّ ثناؤه : ولعذابنا إياهم فى الآخرة ، أخزى لهم وأشدّ إهانة وإذلالا (وَهُمْ لايُنْصَرُونَ) يقول : وهم يعنى عادا لاينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذّبهم ناصر ، فينقذهم منه ، أو ينتصر لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (١٨)

❁ يقول تعالى ذكره : فبيَّنّا لهم سبيل الحقّ وطريق الرشد .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) : أى بيَّنّا لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بيَّنّا لهم سبيل الخير والشرّ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بيَّنّا لهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) قال : أعلمناهم الهدى والضلالة ، ونهيناهم أن يتّبعوا الضلالة ، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ثَمُودُ) فقرأته عامة القرّاء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن أبى إسحاق برفع ثمود ، وترك إجرائها ، على أنها اسم للأمة التى تعرف بذلك . وأما الأعمش فإنه ذُكِر عنه أنه

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٩) عند قوله تعالى : « فى أيام نحسات » . قال : العوام على تثقيلها بكسر الحاء . وقد خفف بعض أهل المدينة « نحسات » (بسكون الحاء) . قال وقد سمعت بعض العرب ينشد : « أبلغ جذاما ... البيت » . فهذا لمن ثقل . ومن خفف بناه على قوله « فى يوم نحس مستمر » . وفى (اللسان : نحس) وقرأ أبو عمرو : « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات » بسكون الحاء . قال الأزهرى : هى جمع أيام نحسة ثم نحسات جمع الجمع (بسكون الحاء فيهما) . وقرئت فى أيام نحسات (بكسر الحاء) وهى المشئومات عليهم فى الوجهين . اهـ .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، ولم نعرف قائلها . واستشهد المؤلف بهما على أن النحس فيه لغتان : سكون الحاء ، كهذا البيت وكسرها كالشاهد الذى قبله . وعلى هاتين اللغتين جاءت قراءة من قرأ قوله تعالى : « فى أيام نحسات » وقد سبق القول عليه فى الشاهد السابق .

كان يجرى ذلك فى القرآن كله إلا فى قوله (وآتينا ثمودَ النّاقةَ مُبْصِرةً) فإنه كان لايجريه فى هذا الموضع خاصة من أجل أنه فى خطّ المصحف فى هذا الموضع بغير ألف ، وكان يوجه ثمود إلى أنه اسم رجل بعينه معروف ، أو اسم جبل معروف . وأما ابن إسحاق فإنه كان يقرؤه نصبا . وأما ثمود بغير إجراء ، وذلك وإن كان له فى العربية وجه معروف ، فإن أفصح منه وأصحّ فى الإعراب عند أهل العربية الرفع ؛ لطلب أما الاسماء ، وأن الأفعال لا تليها ، وإنما تعمل العرب الأفعال التى بعد الأسماء فيها إذا حسن تقديمها قبلها ، والفعل فى أما لايحسن تقديمه قبل الاسم ، ألا ترى أنه لايقال : وأما هدينا فثمود ، كما يقال : (وأمّا ثمودَ فهَدَيْناهُمْ) .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : الرفع وترك الإجراء ، أما الرفع فلما وصفت ، وأما ترك الإجراء ، فلأنه اسم للأمة .

وقوله (فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى) يقول : فاختاروا العمى على البيان الذى بيّنت لهم ، والهدى الذى عرفتهم ، بأخذهم طريق الضلال على الهدى ، يعنى على البيان الذى بيّنته لهم ، من توحيد الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى) قال : اختاروا الضلالة والعمى على الهدى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأمّا ثمودُ فهَدَيْناهُمْ ، فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى) قال : أرسل الله إليهم الرسل بالهدى ، فاستحبوا العمى على الهدى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فاسْتَحَبُّوا العَمَى) يقول : بيّنّا لهم ، فاستحبُّوا العمى على الهدى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى) قال : استحبوا الضلالة على الهدى ، وقرأ (وكَذلكَ زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فزين لثمود عملها القبيح ، وقرأ (أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فرآهُ حَسَناً ، فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (فأخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ العَذابِ الهُونِ بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فأهلكتهم من العذاب المذلّ المهين لهم مُهْلكة أذلتهم وأخزتهم ، والهُون : هو الهوان .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (عذابَ الهُونِ) قال : الهوان .

وقوله (بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك ، وخلافهم إياه ، وتكذيبهم رسله .

وقوله (ونَجَّيْنا الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذى أخذهم بكفرهم بالله ، الذين وحّدوا الله ، وصدّقوا رسله (وكانُوا يَتَّقُونَ) يقول : وكانوا يخافون الله أن يُحلّ بهم من العقوبة

على كفرهم لو كفروا ، ما حلّ بالذين هلكوا منهم ، فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده ، وصدّقوا رسله ، وخلعوا الآلهة والأنداد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ويوم يُجْمَع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار ، إلى نار جهنم ، فهم يُحْبَس أوّلهم على آخرهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يحبس أوّلهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : عليهم وَزَعَة تردّ أُولاهم على أُخراهم .

وقوله (حَتَّى إذَا مَا جاءُوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأبْصَارُهُمْ) يقول : حتى إذا ما جاءوا النار ، شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به فى الدنيا إليه ، ويستمعون له ، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به ، وينظرون إليه فى الدنيا ، (وَجُلُودُهُمْ بما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

وقد قيل : عُنِى بالجلود فى هذا الموضع : الفروج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن الحَكَم الثقفىّ ، رجل من آل أبى عَقِيل رَفَع الحديث ، (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) : إنما عنى فروجهم ، ولكن كنى عنها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حرملة ، أنه سمع عبيد الله بن أبى جعفر ، يقول : (حتى إذَا ما جاءُوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) قال : جلودهم : الفروج .

وهذا القول الذى ذكرناه عمن ذكرنا عنه فى معنى الجلود ، وإن كان معنى يحتمله التأويل ، فليس بالأغلب على معنى الجلود ، ولا بالأشهر ، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشىء الأقرب إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوٓا۟ : أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)

❊ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه، لجلودهم إذ شهدت عليهم، بما كانوا فى الدنيا يعملون: (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) بما كنا نعمل فى الدنيا؟ فأجابتهم جلودهم: (أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فنطقنا. وذُكِر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم، إذا هم أنكروا الأفعال التى كانوا فعلوها فى الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر الأخبار التى رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن حازم الغِفاريّ، قال: أخبرنا علىّ بن قادم الفَزَاريّ، قال: أخبرنا شريك، عن عبيد، المُكْتِب، عن الشعبىّ، عن أنس، قال: «ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تَسْأَلُونِى مِمَّ ضَحِكْتُ؟ قالوا: ممّ ضحكتَ يا رسول الله؟ قال: عَجِبْتُ مِنْ مُجادَلَةِ العَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ، قال: يَقُولُ: يا رَبِّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِى أنْ لاتَظْلِمَنِى؟ قالَ: فإنَّ لَكَ ذلكَ، قال: فإنِّى لاأقْبَلُ عَلَىَّ شاهِداً إلاَّ مِنْ نَفْسِى، قالَ: أوَلَيْسَ كَفَى بِى شَهِيداً، وَبالمَلائِكَةِ الكِرامِ الكاتبين؟ قال فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أرْكانُهُ بِمَا كانَ يَعْمَلُ، قالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقا، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجادِلُ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبيد المُكْتِب، عن فضيل بن عمرو، عن الشعبىّ، عن أنس، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

حدثنى عباس بن أبى طالب، قال: ثنا يحيى بن أبى بكر، عن شبل، قال: سمعت أبا قزعة يحدّث عمرو بن دينار، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم «أنه قال، وأشار بيده إلى الشأم، قال: هاهُنا إلى هاهُنا تُحْشَرُونَ رُكْبانا وَمُشاةً على وُجُوهِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، على أفْواهِكُمْ الفِدامُ، تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أنْتُمْ آخرُها وأكْرَمُها على اللهِ، وإنَّ أوَّلَ ما يُعْرِبُ مِنْ أحَدِكُمْ فَخِذُهُ».

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا الجريرى، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: «تَجِيئُونَ يَوْمَ القِيامَةِ على أفْواهِكُمْ الفِدامُ، وإنَّ أوَّلَ ما يَتَكَلَّمُ مِنَ الآدَمِىّ فَخِذُهُ وكَفُّهُ».

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مالى أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ مِنَ النَّارِ؟ ألا إنَّ رَبِّى داعِىَّ وإنَّهُ سائِلِى هَلْ بَلَّغْتُ عِبادَهُ؟ وإنِّى قائِلٌ رَبِّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ، فَيُبَلِّغْ شاهِدُكُمْ غائِبَكُمْ، ثُمَّ إنَّكُمْ مُدْعَوْنَ مُفَدَّمَةً أفْوَاهُكُمْ بالفِدامِ، ثُمَّ إنَّ أولَ ما يُبِينُ عَنْ أحَدِكُمْ لَفَخِذُهُ وكَفُّهُ».

حدثنى محمد بن خلف، قال: ثنا الهيثم بن خارجة، عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زُرْعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة، سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أوَّلَ عَظْمٍ تَكَلَّمَ مِنَ الإنْسانِ يَوْمَ يُخْتَمُ على الأفْواهِ، فَخِذُهُ مِنَ الرِّجْلِ الشِّمالِ».

وقوله (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول تعالى ذكره، والله خلقكم الخلق الأوّل ولم تكونوا شيئا، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه مصيركم من بعد مماتكم ، (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) فى الدنيا (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) يوم القيامة (سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ)، فقال بعضهم : معناه : وما كنتم تستخفُون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) : أى تَسْتَخْفُون منها .

وقال آخرون : معناه : وماكنتم تتقون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) قال : تتقون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وماكنتم تظنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) يقول : وما كنتم تظنون (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) حتى بلغ (كَثِيرًا مِمَّا [كنتم [1]] تَعْمَلُونَ)، والله إن عليك يا بن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك ، فراقبهم ، واتق الله فى سرّ أمرك وعلانيتك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسرّ عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل ، ولا قوّة إلا بالله .

۞ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : وما كنتم تستخفُون ، فتركوا ركوب محارم الله فى الدنيا ، حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن المعروف من معانى الاستتار الاستخفاء .

فإن قال قائل : وكيف يستخفى الإنسان عن نفسه مما يأتى ؟ قيل : قد بيّنّا أن معنى ذلك ، إنما هو الأمانىّ وفى تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه .

وقوله (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا) كنتم [2] (تَعْمَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ولكن حسبتم حين ركبتم فى الدنيا ما ركبتم من معاصى الله ، أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة ، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، فتركوا ركوب ما حرّم الله عليكم .

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارءوا بينهم فى علم الله ، بما يقولونه ويتكلمون سرًّا .

(١ ، ٢) الظاهر أن لفظة «كنتم» زيدت سهوا من المؤلف فى الموضعين .

ذكر الخبر بذلك

حدثنى محمد بن يحيى القطعى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا قيس ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر الأزدىّ ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنت مستترا بأستار الكعبة ، فدخل ثلاثة نفر ، ثقفيان وقُرشىّ ، أو قُرشيان وثقفىّ ، كثير شحوم بطونهما ، قليل فقه قلوبهما ، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ فقال الرجلان : إذا رفعنا أصواتنا سمع ، وإذا لم نرفع لم يسمع ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فنزلت هذه الآية (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى الأعمش ، عن عُمارة بن عمير ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إنى لمستتر بأستار الكعبة ، إذ دخل ثلاثة نفر ثقفىّ وختناه قرشيان ، قليل فقه قلوبهما ، كثير شحوم بطونهما ، فتحدّثوا بينهم بحديث ، فقال أحدهم : أترى الله يسمع ما قلنا ؟ ، فقال الآخر : إنه يسمع إذا رفعنا ، ولا يسمع إذا خفضنا . وقال الآخر : إذا كان يسمع منه شيئا فهو يسمعه كله ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له . فنزلت هذه الآية (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . حتى بلغ (وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بنحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وهذا الذى كان منكم فى الدنيا من ظنكم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون : من قبائح أعمالكم ومساويها ، هو ظنكم الذى ظننتم بربكم فى الدنيا أرداكم ، يعنى أهلككم . يقال منه : أردى فلانا كذا وكذا : إذا أهلكه ، وردِىَ هو : إذا هلك فهو يردَى ردًى ؛ ومنه قول الأعشى :

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ[1]

يعنى : وكم من هالك أهلَه لم يرم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (أَرْدَاكُمْ) قال : أهلككم .

---

(١) هذا البيت للأعشى يخاطب ابنته . وقد سبق القول فيه مفصلا فى الجزء (٢٣ : ٦٢) وموضع الشاهد هنا هو (الردى) بمعنى الهلاك . وهو مصدر ردى (كفرح) يردى ردى . ومنه قوله تعالى : « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن : (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) فقال : إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن بالله الظنّ ، فأحسن العمل ؛ وأما الكافر والمنافق ، فأساءا الظنّ فأساءا العمل ، قال ربكم : (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . حتى بلغ الخاسرين . قال معمر : وحدثني رجل : « إنه يؤمر برجل إلى النار ، فيلتفت فيقول : يا ربّ ما كان هذا ظنى بك ، قال : وما كان ظنك بى ؟ قال : كان ظنى أن تغفر لى ولا تعذّبنى ، قال : فإنى عند ظنك بى . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الظنّ ظنان ، فظنّ منجٍ ، وظنّ مُرْدٍ (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ) قال (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ) ، وهذا الظنّ المنجى ظنا يقينا ، وقال هاهنا (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) هذا ظنّ مُرْدٍ .

وقوله (وَقَالَ الْكَافِرُونَ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ، وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، ويروى ذلك عن ربه : « عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي ، وأنا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي » ، وموضع قوله (ذَلِكُمْ) رفع بقوله ظنكم . وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله (أَرْدَاكُمْ) فى موضع نصب بمعنى : مرديا لكم . وقد يُحتمل أن يكون فى موضع رفع بالاستئناف ، بمعنى : مردٍ لكم ، كما قال : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةٌ) فى قراءة من قرأه بالرفع . فمعنى الكلام : هذا الظنّ الذى ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون ، هو الذى أهلككم ، لأنكم من أجل هذا الظنّ ، اجترأتم على محارم الله ، فقدمتم عليها ، وركبتم ما نهاكم الله عنه ، فأهلككم ذلك وأرداكم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) : يقول : فأصبحتم اليوم من الهالكين ، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة ، من النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)

❊ يقول تعالى ذكره : فإن يصبر هؤلاء الذين يُحشَرُون إلى النار على النار ، فالنار مسكن لهم ومنزل ، (وإن يَسْتَعْتِبُوا) يقول : وإن يسألوا العُتْبَى ، وهى الرجْعة لهم إلى الذى يحبون بتخفيف العذاب عنهم . (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) يقول : فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة ، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب ، وذلك كقوله جلّ ثناؤه مخبرا عنهم (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) . . . إلى قوله (وَلَا تُكَلِّمُونِ) وكقولهم لخزَنة جهنم : (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) . . . إلى قوله (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ (٢٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) وبعثنا لهم نُظراء من الشياطين ، فجعلناهم لهم قرناء قرنَّاهم بهم ، يزيِّنون لهم قبائح أعمالهم ، فزينوا لهم ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) قال : الشيطان.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) قال : شياطين .

وقوله (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : فزين لهؤلاء الكفار قرناؤُهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا ، فحسنوا ذلك لهم ،وحبَّبوه إليهم ،حتى آثروه على أمر الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : وحسَّنوا لهم أيضا ما بعد مماتهم ،بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يُبعث ، وأن لاثواب ولا عقاب حتى صدّقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كلّ ما يشتهونه ، وركوب كلّ ما يلتذُّونه من الفواحش، باستحسانهم ذلك لأنفسهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الدنيا (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة .

وقوله (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يقول تعالى ذكره: ووجب لهم العذاب ؛بركوبهم ما ركبوا، مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين .

وكما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) قال : العذاب فى (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) ، يقول تعالى ذكره : وحقّ على هؤلاء الذين قيَّضنا لهم قُرناء من الشياطين ، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ،العذاب فى أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حقّ عليهم من عذابنا مثل الذى حقّ على هؤلاء،بعضهم من الجنّ وبعضهم من الإنس (إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) يقول: إن تلك الأمم الذين حقّ عليهم عذابنا من الجنّ والإنس ، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من مشركى قريش (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) يقول : قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين : لاتسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه ، ولا تصغوا له ، ولا تتبعوا ما فيه ، فتعملوا به .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) قال : هذا قول المشركين ، قالوا : لاتتبعوا هذا القرآن والهوا عنه .

وقوله (وَالْغَوْا فيه) يقول : الْغَطُوا بالباطل من القول ، إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لاتسمعوه ، ولا تفهموا ما فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قول الله (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) قال : المُكاء والتصفير ، وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قرأ قريشٌ تفعله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْغَوْا فِيهِ) قال : بالمُكاء والتصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قرأ القرآن قريش تفعله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) : أى اجحدوا به وأنكروه وعادوه ، قال : هذا قول مشركى العرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال بعضهم فى قوله (وَالْغَوْا فِيهِ) قال : تحدّثوا وصيحوا كيما لاتسمعوه .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) يقول : لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه ، فلا يسمعه ، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه ، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا ، قال الله جلّ ثناؤه (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من مشركى قريش ، الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا فى الآخرة (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم ، بأقبح جزاء أعمالهم التى عملوها فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ، لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الجزاء الذى يُجْزَى به هولاء الذين كفروا من مشركى قريش جزاء أعداء الله ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء ، وما هو؟ فقال : هو النار ، فالنار بيان عن الجزاء ، وترجمة عنه ، وهى مرفوعة بالردّ عليه ، ثم قال (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ) ، يعنى لهؤلاء المشركين بالله فى النار دار الخلد ، يعنى دار المُكْث واللبث ، إلى غير نهاية ولا أمد ، والدار التى أخبر جل ثناؤه أنها لهم فى النار ، هى النار ، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين ، كما يقال لك من بلدتك دار صالحة ، ومن الكوفة دار كريمة ، والدار : هى الكوفة والبلدة ، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ . وقد ذُكر لنا أنها فى قراءة ابن مسعود (ذَلكَ جَزَاءُ أعْدَاءِ اللهِ النَّارُ دَارُ الخُلْدِ) ففى ذلك تصحيح ماقلنا من التأويل فى ذلك ، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار .

وقوله (جَزَاءً بِمَا كانُوا بآياتِنا يَجْحَدُونَ) يقول : فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء ، من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم ، جزاء منا بجحودهم فى الدنيا بآياتنا التى احتججنا بها عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ، نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ، لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم : يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك ، من جنهم وإنسهم . وقيل : إن الذى هو من الجنّ إبليس ، والذى هو من الإنس ابن آدم الذى قتل أخاه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ثابت الحداد ، عن حَبَّةَ العُرَنىّ [١] ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى قوله (أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلَّانا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ) قال : إبليس الأبالسة وابن آدم الذى قتل أخاه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مالك بن حصين ، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلَّانا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ) قال : إبليس وابن آدم الذى قتل أخاه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، عن أبى مالك

---

(١) كذا فى خلاصة الخزرجى ، حبة بن جوين العرنى ، بضم المهملة الأولى ، أبو قدامة الكوفى ؛ عن على ؛ وعنه سلمة بن كهيل ، والحكم بن عتيبة . قال العجلى : ثقة ؛ وقال ابن سعد : مات سنة ست وسبعين . وفى الأصل : العرفى ، تحريف .

وابن مالك ، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه (رَبَّنا أَرِنا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ) قال ابن آدم الذى قتل أخاه ، وإبليس الأبالسة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى قوله (رَبَّنا أَرِنا اللَّذِينَ أَضَلَّانا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ) . . . الآية ، فإنهما ابن آدم القاتل ، وإبليس الأبالسة . فأما ابن آدم ، فيدعو به كلّ صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة . وأما إبليس فيدعو به كلّ صاحب شرك يدعوانهما فى النار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (رَبَّنا أَرِنا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ) هو الشيطان ، وابن آدم الذى قتل أخاه .

وقوله (نَجْعَلْهُما تَحْتَ أقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الأسْفَلِينَ) يقول : نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا ، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ، وكلّ ماسفل منها فهو أشدّ على أهله ، وعذاب أهله أغلظ ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ، ليجعلوهما أسفل منهم ، ليكونا فى أشدّ العذاب فى الدرك الأسفل من النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : (إنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ) وحده لاشريك له ، وبرئوا من الآلهة والأنداد ، (ثُمَّ اسْتَقامُوا) على توحيد الله ، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به ، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم ، فى معنى قوله (ثُمَّ اسْتَقامُوا) ذكر الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة ، قال : ثنا سهيل بن أبى حزم القُطَعِىّ ، عن ثابت البُنانىّ ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (إنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا) قال : قد قالها الناس ، ثم كفر أكثرهم ، فمن مات عليها فهو ممن استقام .

وقال بعضهم : معناه : ولم يشركوا به شيئا ، ولكن تموا على التوحيد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن سعيد بن عمران ، قال : قرأت عند أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه هذه الآية (إنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا) قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان بإسناده ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، مثله .

قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، وعبد الله بن إدريس ، عن الشيبانىّ ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبى بكر رضى الله عنه، أنه قال لأصحابه (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا قال : قالوا : ربنا الله ثم عملوا بها ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيبانىّ ، عن أبى بكر ابن أبى موسى ، عن الأسود بن هلال المحاربىّ ، قال : قال أبو بكر : ما تقولون فى هذه الآية : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : فقالوا : ربنا الله ثم استقاموا من ذنب ، قال : فقال أبو بكر : لقد حملتم على غير المحمل ، قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : أى على لا إله إلا الله .

قال : ثنا حكام عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : أسلموا ، ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : هم [الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لقوه .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال مثل ذلك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : تموا على ذلك .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم استقاموا على طاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا يونس بن يزيد عن الزهرىّ ، قال : تلا عمر رضى الله عنه على المنبر (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا والله بطاعته ، ولم يَرُوغوا رَوَغان الثعالب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على طاعة الله . وكان الحسن إذا تلاها قال : اللّهمّ فأنت ربّنا فارزقنا الاستقامة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) يقول : على أداء فرائضه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : على عبادة الله وعلى طاعته .

وقوله (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : تتهبّط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد ، في قوله (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : عند الموت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) قال : عند الموت .

وقوله (أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) يقول : تتنزل عليهم الملائكة بأن لاتخافوا ولا تحزنوا ، فأَنْ في موضع نصب إذا كان ذلك معناه .

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) بمعنى : تتنزّل عليهم قائلة : لاتخافوا ، ولا تحزنوا . وعنى بقوله (لَا تَخَافُوا) ما تَقْدَمون عليه من بعد مماتكم (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما تخلفونه وراءكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : لاتخافوا ما أمامكم ، ولا تحزنوا على ما بعدكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيي بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : لاتخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ، ولا تحزنوا على ماخلّفتم من دنياكم من أهل وولد ، فإنا نخلُفكم في ذلك كله .

وقيل : إن ذلك في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ) فذلك في الآخرة .

وقوله (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) يقول : وسُرّوا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعَدُونها في الدنيا ، على إيمانكم بالله ، واستقامتكم على طاعته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التى تتنزّل على هؤلاء المؤمنين ،الذين استقاموا على طاعته عند موتهم (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ) أيها القوم (فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كنا نتولاكم فيها. وذكر أنهم الحفَظَة الذين كانوا يكتبون أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) نحن الحفَظَة الذين كنا معكم فى الدنيا ، ونحن أولياؤكم فى الآخرة .

وقوله (وَفِى الْآخِرَةِ) يقول : وفى الآخرة أيضا نحن أولياؤكم ، كما كنا لكم فى الدنيا أولياء ، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ) يقول : ولكم فى الآخرة عند الله ما تشتهى أنفسكم من اللذّات والشهوات . وقوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) يقول : ولكم فى الآخرة ما تدّعون . وقوله (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) يقول : أعطاكم ذلك ربكم ، نزلا لكم من ربّ غفور لذنوبكم ، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم . ونصب نُزُلاً على المصدر من معنى قوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) لأن فى ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما تشتهون من النعيم نُزُلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ، وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ، ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال :ربنا الله ثم استقام على الإيمان به ، والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن (وَمَنْ أَحْسَنُ

قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحا وقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ) قال : هذا حبيب الله ، هذا ولى الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحبّ الخلق إلى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحا فى إجابته ، وقال : إننى من المسلمين ، فهذا خليفة الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ) . . . الآية ، قال : هذا عبد صدّق قولَه عملُه ، ومولجُه مخرجَه ، وسرّه علانيتَه ، وشاهدَه مغيبُه ، وإن المنافق عبد خالف قولَه عملُه ، ومولجَه مخرجُه ، وسرّه علانيتَه ، وشاهدَه مغيبُه .

واختلف أهل العلم فى الذى أريد بهذه الصفة من الناس ، فقال بعضهم : عُنِى بها نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا إلى الإسلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحا وقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ؟) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عُنِى به المؤذّن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى داود بن سليمان بن يزيد المُكتِب البصرىّ ، قال : ثنا عمرو بن جرير البَجَلىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، فى قول الله (وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ) قال : المؤذّن (وَعَمِلَ صَالِحا) قال : الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة .

وقوله (وَقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ) يقول : وقال : إننى ممن خضع لله بالطاعة ، وذلّ له بالعبودة ، وخشع له بالإيمان بوحدانيته .

وقوله (وَلا تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ) يقول تعالى ذكره : ولا تستوى حسنةُ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فأحسنوا فى قولهم ، وإجابتهم ربهم إلى مادعاهم إليه من طاعته ، ودَعَوا عباد الله إلى مثل الذى أجابوا ربهم إليه ، وسيئةُ الذين قالوا (لاتَسْمَعُوا لِهٰذَا القُرآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) ، فكذلك لاتستوى عند الله أحوالهم ومنازلهم ، ولكنها تختلف كما وصف جلّ ثناؤه أنه خالف بينهما ، وقال جلّ ثناؤه : (وَلا تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ) فكرّر لا ، والمعنى : لاتستوى الحسنة والسيئة ، لأن كلّ ماكان غير مساو شيئا ، فالشىء الذى هو له غير مساو غير مساويه ، كما أن كلّ ماكان مساويا لشىء فالآخر الذى هو له مساو مساوٍ له ، فيقال : فلان مساو فلانا ، وفلان له مساو ، فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ، ولا فلان مساويا له ، فلذلك كرّرت لا مع السيئة ، ولو لم تكن مكرّرة معها كان الكلام صحيحا .

وقد كان بعض نحويى البصرة يقول : يجوز أن يقال : الثانية زائدة ؛ يريد : لايستوى عبد الله وزيد ،

فزيدت لا توكيدا ، كما قال (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ أَنْ لا يَقْدِرُونَ) : أى لأن يعلم ، وكما قال : (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) . وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا فى (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ) ، وفى قوله (لا أُقْسِمُ) فيقول : لا الثانية فى قوله (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ) أن لا يقدرون ردّت إلى موضعها ، لأن النفى إنما لحق يقدرون لا العلم ، كما يقال : لا أظنّ زيدا لا يقوم ، بمعنى : أظنّ زيدا لا يقوم ؛ قال : وربما استوثقوا فجاءوا به أوّلا وآخرا ، وربما اكتفوا بالأوّل من الثانى . وحُكى سماعا من العرب : ما كأنى أعرفها : أى كأنى لا أعرفها . قال : وأما « لا » فى قوله (لا أُقْسِمُ) فإنما هو جواب ، والقسم بعدها مستأنف ، ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة .

وإنما عنى بقوله (وَلا تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ) ولا يستوى الإيمان بالله والعمل بطاعته ، والشرك به والعمل بمعصيته .

وقوله (ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك ، وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسىء ، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم ، ويلقاك من قِبلهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) قال : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوّهم ، كأنه ولىّ حميم .

وقال آخرون : معنى ذلك : ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) قال : بالسلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرىّ ، عن مجاهد (ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) قال : السلام عليك إذا لقيته .

وقوله (فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) يقول تعالى ذكره : افعل هذا الذى أمرتك به يا محمد ، من دفع سيئة المسىء إليك بإحسانك الذى أمرتك به إليه ، فيصير المسىء إليك الذى بينك وبينه عداوة ، كأنه من ملاطفته إياك ، وبرّه لك ، ولىّ لك من بنى أعمامك ، قريب النسب بك ، والحميم : هو القريب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) : أى كأنه ولىّ قريب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وما يُعْطَى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره ، والأمور الشاقة ؛ وقال : (وَمَا يُلَقَّاها) ولم يقل: وما يلقّاه، لأن معنى الكلام: وما يُلَقَّى هذه الفعلة، من دفع السيئة بالتى هى أحسن .

وقوله (وَمَا يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول: وما يلقّى هذه إلا ذو نصيب وجدّ، له سابق فى المبرات عظيم.

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَمَا يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) : ذو جَدّ .

وقيل : إن ذلك الحظّ الذى أخبر الله جلّ ثناؤه فى هذه الآية أنه لهؤلاء القوم ، هو الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا يُلَقَّاها إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا) . . . الآية . والحظّ العظيم: الجنة . « ذُكر لنا أن أبا بكر رضى الله عنه شتمه رجل ونبىّ الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ ، فعفا عنه ساعة ، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب، فردّ عليه ، فقام النبىّ صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر ، فقال : يا رسول الله شتمنى الرجل ، فعفوت وصفحت وأنت قاعد ، فلما أخذتُ أنتصر قمتَ يا نبىّ الله ، فقال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّهُ كانَ يَرُدُّ عَنْكَ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ ، فَلَمَّا قَرُبْتَ تَنْتَصِرُ ذَهَبَ المَلَكُ وَجاءَ الشَّيْطانُ ، فَوَاللهِ ماكُنْتُ لأُجالِسَ الشَّيْطانَ يا أبا بَكْرٍ » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُلَقَّاها إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَما يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول : الذين أعدّ الله لهم الجنة .

وقوله (وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللهِ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : وإما يُلْقِيَنّ الشيطان يا محمد فى نفسك وَسْوسة من حديث النفس، إرادة حملك على مجازاة المسىء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته ، فاستجر بالله ، واعتصم من خطواته ، إن الله هوالسميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته ، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك ، العليم بما ألقى فى نفسك من نزغاته، وحدّثتْك به نفسك ، ومما يذهب ذلك من قلبك ، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ) قال : وسوسة ، وحديث النفس (فاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ) قال : هذا الغضب .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) ﴾

يقول تعالى ذكره: ومن حُجَج الله تعالى على خلقه، ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لاالشمس تدرك القمر (وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) لاتسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا فى الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان بها لكم بإجراء الله إياهما لكم، طائعين له فى جريهما ومسيرهما، لا لأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى، دون إجراء الله إياهما وتسييرهما. أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرًّا، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارَى فى ظلمة لاتهتدون سبيلا، ولا تبصرون شيئا. وقيل: (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع وأنث كنايتهن، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر، فيقولوا: أخواك وأختاك كلمونى، ولا يقولوا: كلمننى، لأن من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بنى آدم فى الجمع، فيقولوا: رأيت مع عمرو أثوابا فأخذتهن منه، وأعجبنى خواتيم لزيد فقبضتهن منه.

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة، وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا فى طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئا سواه، فإن العبادة لاتصلح لغيره ولا تنبغى لشىء سواه.

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ (٣٨) ﴾

يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يامحمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركى قريش، وتعظّموا عن أن يسجدوا لله الذى خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لايستكبرون عن ذلك، ولايتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلا ونهارا (وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ): يقول: وهم لايفتُرون عن عبادتها، ولا يملُّون الصلاة له.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ) قال: يعنى محمدا، يقول: عبادى ملائكة صافُّون، يسبحون ولا يستكبرون.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ، فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ، إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها ، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها ، أنك يامحمد ترى الأرض دارسة غبراء ، لانبات بها ولا زرع .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً) : أى غبراء متهشمة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً) قال : يابسة متهشمة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ) يقول تعالى ذكره : فإذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة ، اهتزّت بالنبات ، يقول : تحرّكت به .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اهتزّت) قال : بالنبات (وَرَبَتْ) يقول : انتفخت .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَرَبَتْ) انتفخت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) يُعرف الغيث فى سحتها وربوها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَرَبَتْ) للنبات ، قال : ارتفعت قبل أن تنبت .

وقوله (إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى) يقول تعالى ذكره : إن الذى أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات ، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذى أنزل عليها ، القادر أن يحيىَ أموات بنى آدم من بعد مماتهم ، بالماء الذى ينزل من السماء لإحيائهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كما يُحيى الأرض بالمطر ، كذلك يحيى الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين ، يعنى بذلك تأويل قوله (إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى) .

وقوله (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يامحمد على إحياء خلقه بعد مماتهم ، وعلى كل مايشاء ذوقدرة ، لايعجزه شىء أراده ، ولا يتعذّر عليه فعل شىء شاءه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا) : إن الذين يميلون عن الحقّ فى حججنا وأدلتنا ، ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها .

وقد بيّنت فيما مضى معنى اللحد بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .

وسنذكر بعض اختلاف المختلفين فى المراد به من معناه فى هذا الموضع . اختلف أهل التأويل فى المراد به من معنى الإلحاد فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا) قال : المكاء وما ذكر معه .

وقال بعضهم : أريد به الخبر عن كذبهم فى آيات الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا) قال : يكذّبون فى آياتنا .

وقال آخرون : أريد به يعاندون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا) قال : يشاقّون : يعاندون .

وقال آخرون : أريد به الكفر والشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا) قال : هؤلاء أهل الشرك . وقال : الإلحاد : الكفر والشرك .

وقال آخرون : أريد به الخبر عن تبديلهم معانى كتاب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا)قال : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه ، وكلّ

هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني ، وذلك أن اللَّحْد والإلحاد : هو الميل ،وقد يكون ميلا عن آيات الله ،وعُدولا عنها بالتكذيب بها ، ويكون بالاستهزاء مُكاء وتَصْدية، ويكون مفارقة لها وعنادا ، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها .

ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا ، وأن يعمّ الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله ، كما عمّ ذلك ربُّنا تبارك وتعالى .

وقوله (لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : نحن بهم عالمون لايخفَوْن علينا ، ونحن لهم بالمرصاد إذ وردوا علينا ، وذلك تهديد من الله جلّ ثناؤه لهم بقوله : سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يَلْقَون من أليم عذابنا ، ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه ، فقال : (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ ، أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين يُلحِدون في آياتنا اليومَ في الدنيا يوم القيامة عذابُ النار ،ثم قال الله: أفهذا الذي يُلْـقَى في النار خير ،أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله،لإيمانه بالله جلّ جلاله ؟ هذا الكافر ، إنه إن آمن بآيات الله ، واتبع أمر الله ونهيه ، أمّنه يوم القيامة مما حذّره منه من عقابه ، إن ورد عليه يومئذ به كافرا .

وقوله (اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ) وهذا أيضا وعيدٌ لهم من الله،خرجَ مخرجَ الأمر ،وكذلك كان مجاهد يقول.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ) قال : هذا وعيد .

وقوله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذوخبرة وعلم لايخفى عليه منها ، ولا من غيرها شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذّبوا به لما جاءهم ، وعنى بالذكر القرآن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ) كفروا بالقرآن .

وقوله (وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه ، وحفظه من كلّ من أراد له تبديلا ، أو تحريفا ، أو تغييرا ، من إنسيّ وجنيّ وشيطان مارد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ) يقول : أعزّه الله لأنه كلامه ، وحفظه من الباطل .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) قال : عزيز من الشيطان .

وقوله (لا يأتيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : لايأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) قال : النكير من بين يديه ولا من خلفه .

وقال آخرون : معنى ذلك : لايستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ، ولا يزيد فيه باطلا ، قالوا : والباطل هو الشيطان .

وقوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من قِبَل الحقّ (وَلا مِنْ خَلْفِهِ) من قِبَل الباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) الباطل : إبليس لايستطيع أن ينقص منه حقا ، ولا يزيد فيه باطلا .

وقال آخرون : معناه : أن الباطل لايطيق أن يزيد فيه شيئا من الحروف ولا ينقص منه شيئا منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) قال : الباطل : هو الشيطان لايستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، أن يقال : معناه : لايستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده ، وتبديل شىء من معانيه عما هو به ، وذلك هو الإتيان من بين يديه ، ولا إلحاق ما ليس منه فيه ، وذلك إتيانه من خلفه .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) يقول تعالى ذكره : هو تنزيل من عند ذى حكمة بتدبير عباده ، وصرفهم فيما فيه مصالحهم ، حميد : يقول : محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ، إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : مايقول لك هؤلاء المشركون المكذّبو ما جئتهم به من عند ربك ، إلا ما قد قاله مَن قبلهم من الأمم لرسلهم الذين كانوا من قبلك ، يقول له : فاصبر على ما نالك من أذى منهم ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، (وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يُقالُ لكَ إلاّ ما قدْ قِيلَ للرُّسُلِ مِنْ قبْلِكَ) يُعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون، يقول : (كَذَلكَ ما أتَى الَّذِينَ مِنْ قبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ قالُوا ساحِرٌ أوْ مجْنُونٌ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله (ما يُقالُ لكَ إلاَّ ما قدْ قِيلَ للرُّسُلِ مِنْ قبْلِكَ) قال : ما يقولون إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك .

وقوله (إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) يقول : إن ربك لذو مغفرة للذنوب التائبين إليه من ذنوبهم ، بالصفح عنهم (وَذُو عِقابٍ أليمٍ) يقول : وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصرّ على كفره وذنوبه ، فمات على الإصرار على ذلك قبل التوبة منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا هذا القرآن الذى أنزلناه يامحمد أعجميا، لقال قومك من قريش (لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ) يعنى : هلا بُينت أدلته وما فيه من آية ، فنفقهه ونعلم ماهو وما فيه ، أأعجمى ، يعنى أنهم كانوا يقولون إنكارا له : أأعجمىّ هذا القرآن ولسان الذى أُنزل عليه عربىّ ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية (لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أأعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ) قال : لو كان هذا القرآن أعجميا لقالوا القرآن أعجمىّ ، ومحمد عربىّ .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى محمد بن أبى عدىّ ، عن داود بن أبى هند ، عن جعفر بن أبى وحشية عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أأعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ) قال : الرسول عربىّ ، واللسان أعجمىّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآنا أعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أأعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ) قرآن أعجمىّ ولسان عربىّ ؟

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، عن عبد الله بن مطيع بنحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ) فجعل عربيا أعجميّ الكلام ، وعربيّ الرجل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، فى قوله (وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآنا أعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهِ) يقول : بُيِّنت آياته ، أأعجميّ وعربيّ ، نحن قوم عرب مالنا وللعُجْمة .

وقد خالف هذا القول الذى ذكرناه عن هؤلاء آخرون ، فقالوا : معنى ذلك (لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ) بعضها عربيّ ، وبعضها عجميّ . وهذا التأويل على تأويل من قرأ (أعْجَمِيّ) بترك الاستفهام فيه ، وجعله خبرا من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك ، يعنى : هلا فصّلت آياته ، منها عجميّ تعرفه العجم ، ومنها عربيّ تفقهه العرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا ، فأنزل الله (وَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أأعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفاءٌ) فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان ، فيه (حِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : فارسية أعربت « سنك وكل » . وقرأت قرّاء الأمصار (أأعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ ؟) على وجه الاستفهام . وذُكر عن الحسن البصريّ أنه قرأ ذلك أعجميّ بهمزة واحدة ، على غير مذهب الاستفهام ، على المعنى الذى ذكرناه عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة عليها ، على مذهب الاستفهام .

وقوله (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وشِفاءٌ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم هو ، ويعنى بقوله (هُوَ) القرآن ، (لِلَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله ، وصدّقوا بما جاءهم به من عند ربهم (هُدًى) يعنى بيان للحقّ (وَشِفاءٌ) يعنى أنه شفاء من الجهل .

وبنحو الذين قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفاءٌ) قال : جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) قال : القرآن .

وقوله (وَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) يقول تعالى ذكره : والذين لايؤمنون بالله ورسوله ، وما جاءهم به من عند الله فى آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن ، وصَمَم لايستمعونه ، ولكنهم يعرضون عنه ، وهو عليهم عمًى : يقول : وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمًى عنه ، فلا يبصرون حججه عليهم ، وما فيه من مواعظه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) عموا وصموا عن القرآن ، فلا ينتفعون به ، ولا يرغبون فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) قال : صمم (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) قال : عميت قلوبهم عنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) قال : العمى : الكفر .

وقرأت قرّاء الأمصار (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) بفتح الميم . وذُكر عن ابن عباس أنه قرأ (وهُوَ عليهِمْ عَمٍ) بكسر الميم ، على وجه النعت للقرآن .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار .

وقوله (أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تشبيه من الله جلّ ثناؤه : لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل فى القرآن من حججه ومواعظه ببعيد ، فهم سامع صوت من بعيد نُودِى ، فلم يفهم ما نُودِى ، كقول العرب للرجل القليل الفهم : إنك لتنادَى من بعيد ، وكقولهم للفهِم : إنك لتأخذ الأمور من قريب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد (أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : بعيد من قلوبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : ضيَّعوا أن يقبلوا الأمر من قريب ، يتوبون ويؤمنون ، فيقبل منهم ، فأبَوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنهم ينادَون يوم القيامة من مكان بعيد منهم ، بأشنع أسمائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أجلح ، عن الضحاك بن مزاحم (أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : ينادى الرجل بأشنع اسمه .

واختلف أهل العربية فى موضع تمام قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) فقال بعضهم تمامه (أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) وجعل قائلو هذا القول خبر (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ (أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) . وقال بعض نحويّى البصرة : يجوز ذلك ، ويجوز أن يكون على الأخبار التى فى القرآن يستغنى بها ، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام ، وعرف المعنى ، نحو قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) وما أشبه ذلك .

قال : وحدثنى شيخ من أهل العلم ، قال : سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) أين خبره ؟ فقال عمرو معناه فى التفسير : إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به ، وإنه لكتاب عزيز ، فقال عيسى : أجدتَ يا أبا عثمان .

وكان بعض نحويّى الكوفة يقول : إن شئت جعلت جواب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ـ أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) وإن شئت كان جوابه فى قوله (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) ، فيكون جوابه معلوما فترك ، فيكون أعرب الوجهين ، وأشبهه بما جاء فى القرآن .

وقال آخرون بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتُدِئَ به إلى الخبر عن الذى بعده من الذكر ، فعلى هذا القول تُرِكَ الخبر عن الذين كفروا بالذكر ، وجعل الخبر عن الذكر ، فتمامه على هذا القول ، وإنه لكتاب عزيز ، فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول ، أن الذكر الذى كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز وشبهه بقوله (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال : هو مما ترك خبره ، اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه ، لما تطاول الكلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) يا محمد ، يعنى التوراة ، كما آتيناك الفُرْقان ، (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) يقول : فاختلف فى العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم ، أنه أخر عذابهم إلى يوم القيامة ، لقضى بينهم : يقول : لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) قال : أُخِّروا إلى يوم القيامة .

وقوله (وإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) يقول : وإن الفريق المبطل منهم لفى شكٍّ مما قالوا فيه مُريب : يقول : يريبهم قولهم فيه ما قالوا ، لأنهم قالوا بغير ثبت ، وإنما قالوه ظنًّا .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله فى هذه الدنيا ، فأتمر لأمره ، وانتهى عما نهاه عنه (فَلِنَفْسِهِ) ، يقول : فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل ، لأنه يجازى عليه جزاءه ، فيستوجب فى المعاد من الله الجنة ، والنجاة من النار ، (وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها) يقول : ومن عمل بمعاصى الله فيها ، فعلى نفسه جنى ، لأنه أكسبها بذلك سخط الله ، والعقاب الأليم (وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه ، بل لا يعاقب أحدا إلا على جرمه الذى اكتسبه فى الدنيا ، أو على سبب استحقه به منه ، والله أعلم .

تمّ الجزء الرابع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء الخامس والعشرون

وأوّله : القول فى تأويل قوله تعالى (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الخامس والعشرون

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الخامس والعشرين

من

جامع البيان، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة فصلت	
٤٧	إليه يُرد علم الساعة . . .	١
٤٨	وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل . . .	٢
٤٩	لايسأم الإنسان من دعاء الخير . . .	٢
٥٠	ولئن أذقناه رحمة منا . . .	٣
٥١	وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض . . .	٣
٥٢	قل أرأيتم إن كان من عند الله . . .	٤
٥٣	سنريهم آياتنا فى الآفاق . . .	٤
٥٤	ألا إنهم فى مِرْية من لقاء ربهم . . .	٥
	سورة الشُّورى	
١	حم .	٦
٢	عسق .	٦
٣	كذلك يوحى إليك . . .	٦
٤	له ما فى السموات وما فى الأرض . . .	٧
٥	تكاد السموات يتفطرن من فوقهن . . .	٧
٦	والذين اتخذوا من دونه أولياء . . .	٨
٧	وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا . . .	٨
٨	ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة . . .	١٠
٩	أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولىّ . .	١٠
١٠	وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله . . .	١٠
١١	فاطر السموات والأرض . . .	١١
١٢	له مقاليد السموات والأرض . . .	١٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	شرع لكم من الدين ماوصّى به نوحا ...	١٤
١٤	وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ...	١٦
١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت . . .	١٧
١٦	والذين يحاجُّون فى الله . . .	١٨
١٧	الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان . . .	١٩
١٨	يستعجل بها الذين لايؤمنون بها . . .	١٩
١٩	الله لطيف بعباده يرزق من يشاء . . .	٢٠
٢٠	من كان يريد حرث الدنيا . . .	٢٠
٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم . . .	٢١
٢٢	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا . . .	٢١
٢٣	ذلك الذى يبشر الله عباده . . .	٢٢
٢٤	أم يقولون افترى على الله كذبا . . .	٢٧
٢٥	وهو الذى يقبل التوبة عن عباده . . .	٢٨
٢٦	ويستجيب الذين آمنوا . . .	٢٨
٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده . . .	٣٠
٢٨	وهو الذى ينزّل الغيث . . .	٣١
٢٩	ومن آياته خلق السموات والأرض ...	٣١
٣٠	وما أصابكم من مصيبة . . .	٣٢
٣١	وما أنتم بمعجزين فى الأرض . . .	٣٢
٣٢	ومن آياته الجوارِ فى البحر كالأعلام ...	٣٣
٣٣	إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد ...	٣٣
٣٤	أو يُوبقهن بما كسبوا . . .	٣٤
٣٥	ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا . . .	٣٤
٣٦	فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ...	٣٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٧	والذين يجتنبون كبائر الإثم . . .	٣٦
٣٨	والذين استجابوا لربهم . . .	٣٦
٣٩	والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . . .	٣٧
٤٠	وجزاء سيئة سيئة مثلُها . . .	٣٧
٤١	ولَمَن انتصر بعدظلمه فأولئك ما عليهم ...	٣٨
٤٢	إنما السبيل على الذين يظلمون الناس . . .	٣٨
٤٣	ولَمَن صبر وغفر . . .	٤٠
٤٤	ومن يضلل الله فما له من ولىّ . . .	٤٠
٤٥	وتراهم يعرضون عليها خاشعين ...	٤١
٤٦	وما كان لهم من أولياء ينصرونهم . . .	٤٣
٤٧	استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم ...	٤٣
٤٨	فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم . . .	٤٣
٤٩	لله ملك السموات والأرض . . .	٤٤
٥٠	أو يزوجهم ذكرانا وإناثا . . .	٤٤
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا...	٤٥
٥٢	وكذلك أوحينا إليك رُوحا من أمرنا ...	٤٦
٥٣	صراط الله الذى له ما فى السموات . . .	٤٦

سورة الزخرف

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	حم . . .	٤٧
٢	والكتاب المبين . . .	٤٧
٣	إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . . .	٤٧
٤	وإنه فى أم الكتاب . . .	٤٨
٥	أفنضرب عنكم الذكر صفحا	٤٩
٦	وكم أرسلنا من نبىّ فى الأولين . . .	٥١
٧	وما يأتيهم من نبىّ . . .	٥١
٨	فأهلكنا أشد منهم بطشا . . .	٥١
٩	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض...	٥٢
١٠	الذى جعل لكم الأرض مَهْدا . . .	٥٢
١١	والذى أنزل من السماء ماء بقدَر . . .	٥٢
١٢	والذى خلق الأزواج كلها . . .	٥٢
١٣	لتستووا على ظهوره . . .	٥٣
١٤	وإنا إلى ربنا لمنقلبون . . .	٥٣
١٥	وجعلوا له من عباده جزءا . . .	٥٥
١٦	أم اتخذ مما يخلق بنات . . .	٥٥
١٧	وإذا بشر أحدهم . . .	٥٥
١٨	أو من ينشأ فى الحلية . . .	٥٦
١٩	وجعلوا الملائكة . . .	٥٨
٢٠	وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم . . .	٥٩
٢١	أم آتيناهم كتابا من قبله . . .	٥٩
٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا . . .	٥٩
٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك . . .	٦١
٢٤	قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم . . .	٦١
٢٥	فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة ...	٦٢
٢٦	وإذا قال إبراهيم لأبيه . . .	٦٢
٢٧	إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين . . .	٦٢
٢٨	وجعلها كلمة باقية فى عقبه . . .	٦٢
٢٩	بل متعت هؤلاء وآباءهم . . .	٦٤
٣٠	ولما جاءهم الحق . . .	٦٤
٣١	وقالوا : لولا نزل هذا القرآن . . .	٦٤
٣٢	أهم يقسمون رحمة ربك . . .	٦٤
٣٣	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة . . .	٦٨
٣٤	ولبيوتهم أبوابا وسُرُرا . . .	٧٠
٣٥	وزُخْرُفا ، وإن كل ذلك . . .	٧٠
٣٦	ومن يعش عن ذكر الرحمن . . .	٧٢
٣٧	وإنهم ليصدُّونهم عن السبيل . . .	٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	حتى إذا جاءنا . . .	٧٣
٣٩	ولن ينفعكم اليوم . . .	٧٣
٤٠	أفأنت تُسمع الصُّم أو تهدى العمى . . .	٧٥
٤١	فإما نذهبن بك . . .	٧٥
٤٢	أو نرينك الذى وعدناهم . . .	٧٥
٤٣	فاستمسك بالذى أوحى إليك . . .	٧٦
٤٤	وإنه لذكر لك ولقومك . . .	٧٦
٤٥	واسأل من أرسلنا من قبلك . . .	٧٧
٤٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	٧٨
٤٧	فلما جاءهم بآياتنا . . .	٧٨
٤٨	وما نريهم من آية . . .	٧٩
٤٩	وقالوا ياأيها الساحرُ ادع لنا ربك . . .	٧٩
٥٠	فلما كشفنا عنهم العذاب . . .	٧٩
٥١	ونادى فرعون فى قومه . . .	٨٠
٥٢	أم أنا خير من هذا الذى هو مَهين . . .	٨١
٥٣	فلولا أُلقى عليه أسورة من ذهب . . .	٨١
٥٤	فاستخف قومه فأطاعوه . . .	٨٣
٥٥	فلما آسفونا انتقمنا منهم . . .	٨٣
٥٦	فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين . . .	٨٤
٥٧	ولما ضُرب ابن مريم مثلا . . .	٨٤
٥٨	وقالوا : أآلهتنا خير أم هو ؟ . . .	٨٧
٥٩	إن هو إلا عبد أنعمنا عليه . . .	٨٧
٦٠	ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة . . .	٨٧
٦١	وإنه لعلم للساعة فلا تمترُن بها . . .	٩٠
٦٢	ولا يصدَّنكم الشيطان . . .	٩٠
٦٣	ولما جاء عيسى بالبينات . . .	٩١
٦٤	إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه . . .	٩٢
٦٥	فاختلف الأحزاب من بينهم . . .	٩٣
٦٦	هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم . . .	٩٣
٦٧	الأخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدوٌّ . . .	٩٤
٦٨	ياعباد لا خوف عليكم اليوم . . .	٩٤
٦٩	الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . . .	٩٥
٧٠	ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم . . .	٩٥
٧١	يطاف عليهم بصحاف من ذهب . . .	٩٦
٧٢	وتلك الجنة التى أُورِثتموها . . .	٩٧
٧٣	لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون . . .	٩٧
٧٤	إن المجرمين فى عذاب جهنم . . .	٩٨
٧٥	لا يفتَّر عنهم وهم فيه مبلسون . . .	٩٨
٧٦	وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . .	٩٨
٧٧	ونادَوا يا مالك ليقضِ علينا ربك . . .	٩٨
٧٨	لقد جئناكم بالحق . . .	٩٨
٧٩	أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون . . .	٩٩
٨٠	أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم . . .	٩٩
٨١	قل إن كان للرحمن ولد . . .	١٠١
٨٢	سبحان رب السموات والأرض . . .	١٠١
٨٣	فذرهم يخوضوا ويلعبوا . . .	١٠٣
٨٤	وهو الذى فى السماء إله . . .	١٠٣
٨٥	وتبارك الذى له ملك السموات . . .	١٠٤
٨٦	ولا يملك الذين يدعون من دونه . . .	١٠٤
٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم . . .	١٠٥
٨٨	وقيله يارب إن هؤلاء قوم . . .	١٠٥
٨٩	فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون .	١٠٦
	سورة الدخان	
١	حمٓ . . .	١٠٧
٢	والكتاب المبين . . .	١٠٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	إنا أنزلناه فى ليلة مباركة . . .	١٠٧
٤	فيها يُفرق كل أمر حكيم . . .	١٠٧
٥	أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . . .	١٠٧
٦	رحمة من ربك إنه هو السميع العليم ...	١٠٧
٧	ربّ السموات والأرض وما بينهما ...	١١٠
٨	لآ إله إلا هو يحيى ويميت . . .	١١٠
٩	بل هم فى شك يلعبون . . .	١١٠
١٠	فارتقب يوم تأتى السماء بدخان . . .	١١١
١١	يغشى الناس هذا عذاب أليم . . .	١١١
١٢	ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ...	١١١
١٣	أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول ...	١١٥
١٤	ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون . . .	١١٥
١٥	إنا كاشفو العذاب قليلا . . .	١١٥
١٦	يوم نبطش البطشة الكبرى . . .	١١٦
١٧	ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون . . .	١١٦
١٨	أن أدّوا إلىّ عباد الله . . .	١١٦
١٩	وأن لا تعلوا على الله . . .	١١٩
٢٠	وإنى عُذت بربى وربكم أن ترجمون . . .	١١٩
٢١	وإن لم تومنوا لى فاعتزلون . . .	١١٩
٢٢	فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون . . .	١٢٠
٢٣	فأسْر بعبادى ليلا إنكم متّبعون . . .	١٢٠
٢٤	واترك البحر رَهْوا إنهم جند مغرقون . .	١٢٠
٢٥	كم تركوا من جنات وعيون . . .	١٢٣
٢٦	وزروع ومقام كريم . . .	١٢٣
٢٧	ونعمة كانوا فيها فاكهين . . .	١٢٣
٢٨	كذلك وأورثناها قوما آخرين . . .	١٢٣
٢٩	فما بكت عليهم السماء والأرض . . .	١٢٤
٣٠	ولقد نجينا بنى إسرائيل . . .	١٢٤
٣١	من فرعون إنه كان عاليا . . .	١٢٤
٣٢	ولقد اخترناهم على علم على العالمين . . .	١٢٦
٣٣	وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين .	١٢٦
٣٤	إن هؤلاء ليقولون . . .	١٢٨
٣٥	إن هى إلا موتتنا الأولى . . .	١٢٨
٣٦	فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين . . .	١٢٨
٣٧	أهم خير أم قوم تُبّع . . . ؟	١٢٨
٣٨	وما خلقنا السموات والأرض . . .	١٢٩
٣٩	ماخلقناهما إلا بالحق . . .	١٢٩
٤٠	إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . . .	١٢٩
٤١	يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا . . .	١٢٩
٤٢	إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم...	١٢٩
٤٣	إن شجرة الزّقّوم . . .	١٣٠
٤٤	طعام الأثيم . . .	١٣٠
٤٥	كالمُهل يغلى فى البطون . . .	١٣٠
٤٦	كغلى الحميم . . .	١٣٠
٤٧	خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . . .	١٣٣
٤٨	ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم .	١٣٣
٤٩	ذق إنك أنت العزيز الكريم . . .	١٣٤
٥٠	إن هذا ما كنتم به تمترون . . .	١٣٤
٥١	إن المتقين فى مقام أمين . . .	١٣٥
٥٢	فى جنات وعيون . . .	١٣٥
٥٣	يلبسون من سندس وإستبرق . . .	١٣٥
٥٤	كذلك وزوجناهم بحور عين . . .	١٣٦
٥٥	يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . . .	١٣٦
٥٦	لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى . . .	١٣٦
٥٧	فضلا من ربك . . .	١٣٦
٥٨	فإنما يسرناه بلسانك . . .	١٣٨
٥٩	فارتقب إنهم مرتقبون . . .	١٣٨

تفسير سورة الجاثية

١ حم . . . ١٣٩
٢ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ... ١٣٩
٣ إن فى السموات والأرض لآيات . . . ١٣٩
٤ وفى خلقكم وما يبث من دابة . . . ١٣٩
٥ واختلاف الليل والنهار . . . ١٤٠
٦ تلك آيات الله نتلوها عليك . . . ١٤١
٧ ويل لكل أفاك أثيم . . . ١٤١
٨ يسمع آيات الله تتلى عليه . . . ١٤١
٩ وإذا علم من آياتنا شيئا . . ١٤٢
١٠ من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم . . . ١٤٢
١١ هذا هدى والذين كفروا . . . ١٤٣
١٢ الله الذى سخر لكم البحر . . . ١٤٣
١٣ وسخر لكم ما فى السموات . . . ١٤٣
١٤ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون.. ١٤٤
١٥ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . ١٤٥
١٦ ولقد آتينا بنى إسرائيل . . . ١٤٦
١٧ وآتيناهم بينات من الأمر . . . ١٤٦
١٨ ثم جعلناك على شريعة من الأمر . . . ١٤٦
١٩ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا . . . ١٤٦
٢٠ هذا بصائر للناس . . . ١٤٧
٢١ أم حسب الذين اجترحوا السيئات . . . ١٤٧
٢٢ وخلق الله السموات والأرض . . . ١٤٩
٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ١٥٠
٢٤ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا . . . ١٥١
٢٥ وإذا تُتلى عليهم آياتنا بينات . . . ١٥٣
٢٦ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم . . . ١٥٣
٢٧ ولله ملك السموات والأرض . . . ١٥٤
٢٨ وترى كل أمة جاثية . . . ١٥٤
٢٩ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . . . ١٥٥
٣٠ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . . ١٥٥
٣١ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى . . . ١٤٦
٣٢ وإذا قيل إن وعد الله حق . . . ١٥٧
٣٣ وبدا لهم سيئات ما عملوا . . . ١٥٨
٣٤ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم . . . ١٥٨
٣٥ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا . . . ١٥٨
٣٦ فلله الحمد رب السموات . . . ١٥٩
٣٧ وله الكبرياء فى السموات والأرض... ١٥٩

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

تفسير سورة فصلت

١ تأويل قوله « إليه يُردّ علم الساعة » ، ومعنى الأكمام .
٢ طلب الخير مع القنوط من الفرج عند الشدّة من أخلاق الكفار .
٤ تأويل قوله « سنريهم آياتنا » . . . الآية ، وأن المراد منها نصرة الرسول إنجازا لوعده أنه يظهر دينه .
٦ تفسير سورة حم عسق
٦ ما ورد فى معناها .
٨ تأويل قوله « وكذلك أوحينا » .
٩ ما ورد من أن الله كتب كتابا فيه أسماء أهل الجنة والنار .
١٤ دين الأنبياء فى الأصول واحد .
١٨ العدل أحد ثلاث خصال مَن كنّ فيه أفلح ، ومن تلبّس بضدهنّ هلك .
٢٠ تأويل قوله « الله لطيف بعباده » . . . الآية .
٢٢ تأويل قوله «ذلك الذى يبشر الله» . . . الآية . ومعنى قوله « إلا المودّة فى القُرْبَى » وذكر الخلاف فيها .
٢٨ توبة الشخص مكفرة لذنوبه .
٢٩ يشفّع الله المؤمنين فى إخوان إخوانهم .

الصفحة

٣٢ تأويل قوله « وما أصابكم من مصيبة » . . . الآية ، وأن كافة المصائب تكون بذنوب العباد .
٣٧ تأويل قوله « والذين إذا أصابهم البغى » . . . الآية . وأنها محكمة ، وما يجوز الانتصار به من الظالم .
٤١ ما يحصل من الظالمين عند دخولهم النار من النظر إليها بذلة .
٤٤ تأويل قوله « لله ملك السموات والأرض »... الآية ، ومعنى تزويجهم ذكرانا وإناثا .
٤٧ تفسير سورة الزخرف
٤٩ تأويل قوله « أفنضرب عنكم الذكر » . . . الآية ، والخلاف ، والصواب فى ذلك .
٥٣ ما ينبغى أن يقوله الراكب بعد ركوبه .
٥٦ تأويل قوله « أومن يُنَشأ فى الحلية » ، وأن المراد منهم الجوارى لا الأصنام .
٥٩ المشيئة غير الرضا .
٦٣ الكلمة الباقية فى عقب إبراهيم : لا إله إلا الله .
٦٥ تأويل قوله « وقالوا لولا نزّل هذا القرآن » ، والمراد بالرجل العظيم ، وأن الفضل عند الله ليس بالدنيا .
٧٢ تأويل قوله « ومن يعشُ عن ذكر الرحمن » والفرق بين العَشْو والعَشا ، والشواهد عليه .

الصفحة

٧٦ تأويل قوله «فاستمسك بالذى أوحى إليك»، وأن القرآن شرف لقريش .
٨٠ ما افتخر به فرعون من ملك مصر .
٨٤ ما استخفَّ به فرعونُ القبطَ .
٨٩ عيسى حجة من الله على بنى إسرائيل .
٩٠ تُعْلم الساعة بمجىء عيسى عليه السلام .
٩٢ تأويل قوله « ولما جاء عيسى بالبينات » .
٩٩ المدّة التى يدعو فيها أهل جهنم مالكا خازن النار ولايجيبهم ، ثم يجيبهم .
١٠١ تأويل قوله « قل إن كان للرحمن ولد » . . . الآية ، والاختلاف فيها .
١٠٧ تفسير سورة الدخان
١٠٧ الخلاف فى الليلة المباركة وما يفعل فيها .
١١١ تأويل قوله « فارتقب يوم تأتى السماء » . . . الآية ، والدخان ومتى حصوله .

الصفحة

١١٦ المراد بالبطشة الكبرى .
١٢١ ما همَّ به موسى عليه السلام أن يفعله بالبحر بعد أن سلكه هو وقومه .
١٢٤ إذا مات المؤمن بكت عليه السماء والأرض .
١٢٨ خبر تبع .
١٣٠ معنى الزَّقوم والمُهْل .
١٣٦ تأويل قوله « لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، والصواب فى معنى إلا .
١٣٩ تفسير سورة الجاثية
١٤٤ تأويل قوله « قل للذين آمنوا يغفروا » . . . الآية ، وأنها منسوخة .
١٥٢ ما كانت العرب تقوله فى سبّ الدهر .
١٥٤ ما يفعل بالأمم يوم القيامة ودعائهم إلى كتبهم.

٣ ــ فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
تَعَّابا	١٣٦
ج	
المَعارِجِ	٧٠
تأجّجا	٧٢
د	
تعبّدُ	١٠٢
يناديدُ	١٢٢
مِن أحدِ	١٣
المُسَرَّدِ	١٣٨
يَدى	١٢
ر	
مُنْهَمِرْ	١٢
نارُ	٣٣
أحقرُ	١٤٠
القُبورُ	٦٠
الناشرِ	٥٣
ضَريرا	٧٣
ع	
المُتَقطّعُ	٥٠
الطَّوالعُ	٧٤
ق	
الخُلُقْ	٦٩
فى نيقِ	١٣
ل	
تُخْتَتَلُ	١٣٣
المُدَجّلِ	٢٢
لم تُحلَّلِ	٢٢
عوامِلِ	١٣٧
م	
والحَرَمُ	٧٤
الحَرامُ	٣٥
سَنامُ	٣٥
حِمامُها	٩٢
خازمِ	٥٠
ظالِما	١٠٢
ن	
ودَنْ	٩٦
يؤتفين	١٣
ه	
تكرهُهُ	١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي ، قَالُوٓاْ : ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) ﴾

يقول تعالى ذكره : إلى الله يَرُدّ العالمون به علم الساعة ، فإنه لايعلم ماقيامُها غيرُه (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِها) يقول : وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التى هى متغيبة فيها ، فتخرج منها بارزة (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) يقول : وما تحمل من أنثى من حَمْل حين تحمله ، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله ، لايخفى عليه شىء من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ أَكْمَامِها) قال : حين تطلعُ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِها) قال : من طَلْعها ، والأكمام جمع كُمة[1] ، وهو كل ظرف لماء أو غيره ، والعرب تدعو قشر الكُفُراة كُمًّا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ ثَمَرَاتٍ) فقرأت ذلك قرّاء المدينة (مِنْ ثَمَرَاتٍ) على الجماع ، وقرأته قرّاء الكوفة(مِنْ ثَمَرَاتٍ) على لفظ الواحدة ، وبأىّ القراءتين قُرِئَ ذلك ، فهو عندنا صواب ، لتقارب معنييهما مع شهرتهما فى القراءة .

وقوله (وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائى) يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين به فى الدنيا الأوثانَ والأصنام : أين شركائى الذين كنتم تشركونهم فى عبادتكم إياى (قالُوا آذَنَّاكَ) يقول : أعلمناك (ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) يقول : قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ : مامنا من شهيد يشهد أن لك شريكا ؛

(١) لعل الأصل : جمع كم ، بلاتاء ، لأن الأكمام جمع «كم» لاجمع كمة . وانظر (اللسان كم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (آذَنَّاكَ) يقول : أعلمناك .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) قالوا : أطعناك[1] ما منا من شهيد على أن لك شريكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ، وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨) لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ، وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ، فأخذ بها طريقٌ غير طريقهم ، فلم تنفعهم ، ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذى حلّ بهم .

وقوله (وَظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) يقول : وأيقنوا حينئذ ما لهم من مَلْجأ : أى ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) : استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ .

واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أُبْطِل عملُ الظنّ فى هذا الموضع ، فقال بعض أهل البصرة : فُعِل ذلك ، لأن معنى قوله (وَظَنُّوا) : استيقنوا . قال : وما هاهنا حرف وليس باسم . والفعل لايعمل فى مثل هذا ، فلذلك جعل الفعل مُلْغًى . وقال بعضهم : ليس يلغى الفعل وهو عامل فى المعنى إلا لعلة . قال : والعلة أنه حكاية ، فإذا وقع على ما لم يعمل فيه ، كان حكاية وتمنيا ، وإذا عمل فهو على أصله .

وقوله (لايَسْأَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ) يقول تعالى ذكره : لايملّ الكافر بالله من دعاء الخير ، يعنى من دعائه بالخير ، ومسألته إياه ربَّه ، والخير فى هذا الموضع : المال وصحة الجسم ؛ يقول : لايملّ من طلب ذلك (وَإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) يقول : وإن ناله ضُرٌّ فى نفسه، من سُقْم أو جَهْد فى معيشته ، أو احتباس من رزقه (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) يقول : فانه ذو يأس من رَوْح الله وفَرَجه ، قنوط من رحمته ، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعله « أطلعناك » ، ليكون فيه معنى العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ،عن السدى (لايَسأمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ) يقول : الكافر (وَإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) قانط من الخير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَسأمُ الإنْسانُ) قال : لايملّ . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (لايَسأمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ بالخَيْرِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ، وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ، فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ، وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم فى نفسه وضرّ ، وشدّة فى معيشته وجَهْد ، رحمة منا ، فوهبنا له العافية فى نفسه بعد السقم ، ورزقناه مالا ، فوسَّعنا عليه فى معيشته من بعد الجهد والضرّ (لَيَقُولَنَّ هذَا لى) عند الله ، لأن الله راض عنى برضاه عملى ، وما أنا عليه مقيم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَيَقُولَنَّ هذَا لى) : أى بعملى ، وأنا محقوق بهذا (وَما أظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً) يقول : وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم (وَلَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبّى) يقول : وإن قامت أيضا القيامة ، ورُددت إلى الله حيا بعد مماتى (إنَّ لى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) يقول : إن لى عنده غنًى ومالا .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إنَّ لى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) يقول : غنًى (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا) يقول تعالى ذكره : فلنخبرَنَّ هؤلاء الكفار بالله ، المتمنِّين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا فى الدنيا من المعاصى ، واجترحوا من السيئات ، ثم لنجازينّ جميعهم على ذلك جزاءهم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ) وذلك العذاب الغليظ تخليدهم فى نار جهنم ، لايموتون فيها ولا يَحْيَوْن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ، وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وإذا نحن أنعمنا على الكافر ، فكشفنا ما به من ضرّ ، ورزقناه غنًى وسعة ،

ووهبنا له صحة جسم وعافية ، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته ، وصدّ عنه (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول: وبَعُدَ من إجابتنا إلى مادعوناه إليه ، ويعنى بجانبه: بناحيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول : أعرض : صدّ بوجهه ، ونأى بجانبه : يقول : تباعد .

وقوله (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ) يعنى بالعريض : الكثير .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ) يقول : كثير ، وذلك قول الناس : أطال فلان الدعاء : إذا أكثر ، وكذلك أعرض دعاءه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ؟ (٥٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (إِنْ كَانَ) هذا الذى تكذّبون به (مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ) ألستم فى فراق للحقّ وبُعْد من الصواب ، فجعل مكان التفريق الخبر ، فقال : (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ) إذا كان مفهوما معناه .

وقوله (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ) يقول : قل لهم من أشدّ ذهابا عن قصد السبيل ، وأسلك لغير طريق الصواب ، ممن هو فى فراق لأمر الله ، وخلاف له ، بعيد من الرشاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ؟ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : سنُرى هؤلاء المكذّبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر آياتنا فى الآفاق .

واختلف أهل التأويل فى معنى الآيات التى وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم ، فقال بعضهم : عنى بالآيات فى الآفاق ، وقائع النبىّ صلى الله عليه وسلم بنواحى بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها ، وبقوله (وَفِى أَنْفُسِهِمْ) فتح مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن المنهال ، فى قوله (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ) قال : ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على الناس .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ) يقول : مانفتح لك يامحمد من الآفاق (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) فى أهل مكة ، يقول : نفتح لك مكة .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره ، وشمس النهار ، وذلك ما وعدهم أنه يريهم فى الآفاق . وقالوا : عنى بالآفاق : آفاق السماء ، وبقوله (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) سبيل الغائط والبول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) قال : آفاق السموات : نجومُها وشمسها وقمرها اللاتى يَجْرِين ، وآيات فى أنفسهم أيضا .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : القول الأوّل ، وهو ماقاله السدىّ ، وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُرِىَ هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين ، آيات فى الآفاق ، وغيرُ معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راءوه ، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم مالم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبىّ الله صلى الله عليه وسلم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم ، فأما النجوم والشمس والقمر ، فقد كانوا يَرَوْنها كثيرا قبلُ وبعدُ ، ولا وجه لتهدّدهم بأنه يريهم ذلك .

وقوله (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) يقول جلّ ثناؤه : أرى هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم ، حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد ، وأوحينا إليه ، من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلّها ، ولوكره المشركون .

وقوله (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : أو لم يكف بربك يامحمد ، أنه شاهد على كل شىء مما يفعله خلقه ، لايَعْزُبُ عنه علم شىء منه ، وهو مجازيهم على أعمالهم ، المحسنَ بالإحسان ، والمسىءَ جزاءه .

وفى قوله (أَنَّهُ) وجهان : أحدهما : أن يكون فى موضع خفض ، على وجه تكرير الباء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : أو لم يكف بربك ، بأنه على كلّ شىء شهيد ؟ والآخر : أن يكون فى موضع رفع ، رفعا بقوله : يكف ، فيكون معنى الكلام : أو لم يكف بربك شهادته على كل شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤) .

يقول تعالى ذكره : ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله فى شكّ من لقاء ربهم ، يعنى أنهم فى شكّ من البعث بعد الممات ، ومعادهم إلى ربهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) يقول : فى شكّ .

وقوله (ألا إنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الله بكل شيء مما خلق، محيط علما بجميعه ، وقُدرةً عليه ، لايعزُب عنه علم شيء منه أراده فيفوته ، ولكنه المقتدر عليه ، العالم بمكانه .

آخر تفسير سورة حم السجدة ، والحمد لله وحده.

تفسير سورة حمعسق

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣)

قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معانى حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن ، وبيَّنا الصواب من قولهم فى ذلك عندنا ، بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع ، إذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها .

وقد ذكرنا عن حُذيفة فى معنى هذه خاصة قولا ، وهو ما حدثنا به أحمد بن زُهير ، قال : ثنا عبد الوهاب ابن نَجْدة الحَوْطىّ ، قال : ثنا أبو المُغيرة عبد القُدُّوس بن الحجّاج الحِمْصىّ ، عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال له وعنده حُذيفة بن اليمان ، أخبرنى عن تفسير قول الله (حم . عسق) ، قال : فأطرق ، ثم أعرض عنه ، ثم كرّر مقالته ، فأعرض فلم يجبه بشيء ، وكره مقالته ، ثم كرّرها الثالثة ، فلم يجبه شيئا ، فقال له حُذيفة : أنا أنبئك بها ، قد عرفتُ بم كرهها ؛ نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبدالإله ، أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، تُبنى عليه مدينتان ، يشقّ النهر بينهما شقا ، فإذا أذن الله فى زوال مُلكهم ، وانقطاع دولتهم ومدّتهم ، بعث الله على إحداهما نارا ليلا ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأنها لم تكن مكانها ، وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت ، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا ، فذلك قوله (حم عسق) يعنى : عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين ، يعنى عدلا منه ، سين يعنى سيكون ، وقاف يعنى واقع بهاتين المدينتين .

وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه (حم سق) بغير عين ، ويقول : إن السين : عمر كل فرقة كائنة ، وإن القاف : كل جماعة كائنة ؛ ويقول : إن عليا إنما كان يعلم العين بها . وذُكر أن ذلك فى مصحف عبد الله[١] ، على مثل الذى ذكر عن ابن عباس ، من قراءته من غير عين .

وقوله (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : هكذا يوحى إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه . وقيل : إن (حم عين سين ق) أوحيت إلى كلّ نبيّ بُعث ، كما أوحيت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قيل (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه (الحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه .

(١) عبد الله : هو ابن مسعود رضى الله عنه ، معلم أهل الكوفة القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥)﴾

يقول تعالى ذكره : لله مُلك ما فى السموات وما فى الأرض من الأشياء كلها (وَهُوَ العَلِىُّ) يقول : وهو ذو علوّ وارتفاع على كلّ شىء ، والأشياء كلها دونه ، لأنهم فى سلطانه ، جارية عليهم قُدرته ، ماضية فيهم مشيئته ، العظيم الذى له العظمة والكبرياء والجبرية .

وقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين ، من عظمة الرحمن وجلاله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) قال : يعنى من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) : أى من عظمة الله وجلاله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) قال : يتشقّقن فى قوله (مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : منشقّ به .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) يقول : يتصدّعن من عظمة الله .

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا حسين بن محمد ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : جاء رجل إلى كعب ، فقال : يا كعب أين ربُّنا ؟ فقال له الناس : دقّ الله تعالى ، أفتسأل عن هذا ؟ فقال كعب : دعوه ، فإن يك عالما ازداد ، وإن يك جاهلا تعلّم ، سألتَ أين ربُّنا ؟ وهو على العرش العظيم متكئٌ ، واضع إحدى رجليه على الأخرى ، ومسافة هذه الأرض التى أنت عليها خمس مئة سنة ، ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة ، وكثافتها خمس مئة سنة ، حتى تمّ سبعُ أرضين ، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة ، وكثافتها خمس مئة سنة ، والله على العرش متكئٌ ، ثم تفطر السموات . ثم قال كعب : اقرءوا إن شئتم (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) . . . الآية .

وقوله (وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له ، من هيبة جلاله وعظمته .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) قال : والملائكة يسبحون له من عظمته .

وقوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ) يقول : ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من فى الأرض من أهل الإيمان به .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ) قال : للمؤمنين ، يقول الله عزّ وجلّ : ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمنى عباده ، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا) يامحمد من مشركى قومك (مِنْ دُونِ اللهِ) آلهة يتولونها ويعبدونها (اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) يُحْصِى عليهم أفعالهم ، ويحفظ أعمالهم ، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم (وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول : ولست أنت يامحمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم ، وإنما أنت منذر ، فبلّغهم ما أُرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ (٧)

يقول تعالى ذكره : وهكذا (أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) يامحمد (قُرْآنا عَرَبِيًّا) بلسان العرب ، لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب ، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم ، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره ، لأنا لانرسل رسولا إلا بلسان قومه ، ليبين لهم (لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى) وهى مكة (وَمَنْ حَوْلَهَا) يقول : ومن حول أمّ القرى من سائر الناس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى) قال : مكة .

وقوله (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ) يقول عزّ وجلّ : وتنذر عقاب الله فى يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعَرْض . وقيل : وتنذر يوم الجمع ، والمعنى : وتنذرهم يوم الجمع ، كما قيل : يخوّف أولياءه ، والمعنى : يخوّفكم أولياءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ) قال : يوم القيامة .

وقوله (لارَيْبَ فِيهِ) يقول : لاشكّ فيه .

وقوله (فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول : منهم فريق فى الجنة ، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم (وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول : ومنهم فريق فى المُوقدة من نار الله المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا بالله ، وخالفوا ما جاءهم به رسوله .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبى قبيل المعافرىّ عن شُفَىّ الأصبحىّ ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا ؟ فقلنا : لا ، إلا أن تخبرنا يا رسول الله ، قال : هَذَا كِتابٌ مِنْ رَبّ العالَمِينَ ، فِيهِ أسْماءُ أهْلِ الجَنَّةِ ، وأسْماءُ آبائِهِمْ وَقَبائِلِهِمْ ، ثُمَّ أجمَلَ [١] على آخِرِهِمْ ، فَلا يُزادُ فِيهِمْ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَدًا ، وَهَذا كِتابُ أهْلِ النَّارِ بأسْمائِهِمْ وأسْماءِ آبائِهِمْ ، ثُمَّ أجمَلَ [١] على آخِرِهِمْ ، فَلا يُزادُ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَدًا ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فُرِغ منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلْ سَدِّدُوا وقارِبُوا ، فإنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ الجَنَّةِ وَإنْ عَمِلَ أىَّ عَمَلٍ ، وَصاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ النَّارِ وَإنْ عَمِلَ أىَّ عَمَلٍ ، فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبادِ . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما : فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الخَلْقِ ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ . قالوا : سبحان الله ، فلمَ نعمل وننصَب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العَمَلُ إلى خَوَاتِمِهِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث وحَيْوة بن شُرَيح ، عن يحيي بن أبى أَسيد ، أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزْود ، فأخرج منه كلّ ذُرّية ، فخرج أمثال النغف ، فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شقىّ وسعيد ، ثم ألقاهما ، ثم قبضهما ، فقال (فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) .

قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبى سُبُوَيه ، حدثه عن ابن حُجَيْرة ، أنه بلغه أن موسى قال : يا ربّ خلقك الذين خلقتهم ، جعلت منهم فريقا فى الجنة ، وفريقا فى السعير ، لوما أدخلتهم كلهم الجنة ؟ قال : ياموسى ارفع زرعك ، فرفع ، قال : قد رفعت ، قال : ارفع فرفع ، فلم يترك شيئا ، قال : ياربّ قد رفعت ، قال : ارفع ، قال : قد رفعت إلا ما لاخير فيه ، قال : كذلك أدخل خلقى كلهم الجنة إلا ما لاخير فيه . وقيل (فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) فرفع . وقد تقدّم الكلام قبل ذلك بقوله

(١) أجمل : أى ذكر جملة عددهم فى آخر الكتاب .

(لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) بالنصب ، لأنه أريد به الابتداء، كما يقال : رأيت العسكر : مقتول أو منهزم ، بمعنى : منهم مقتول ، ومنهم منهزم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨)

﴿ يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ، ويَجْعَلهم على ملة واحدة لفعل ، ولجعلهم أمة واحدة : يقول : أهل ملة واحدة ، وجماعة مجتمعة على دين واحد (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة ، ولكن يُدخل من يشاء من عباده فى رحمته ، يعنى أنه يُدخله فى رحمته بتوفيقه إياه للدخول فى دينه ، الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ) يقول : والكافرون بالله ما لهم من ولىّ يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم ، فينقذهم من عذابه ، ويقتصّ لهم ممن عاقبهم ، وإنما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسلية له عما كان ينالهمن الهمّ بتولية قومه عنه ، وأمرا له بترك إدخال المكروه على نفسه ، من أجل إدبار من أدبر عنه منهم ، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحقّ ، وإعلاما له أن أمور عباده بيده ، وأنه الهادى إلى الحقّ من شاء ، والمضلّ من أراد دونه ، ودون كلّ أحد سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ، ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)

﴿ يقول تعالى ذكره : أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولَّونهم (فَاللهُ هُوَ الوَلِيّ) : يقول : فالله هو ولىّ أوليائه ، وإياه فليتخذوا وليا، لا الآلهة والأوثان ، ولا مالا يملك لهم ضرًا ولا نفعا، (وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى) يقول : والله يحيي الموتى من بعد مماتهم ، فيحشرهم يوم القيامة (وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم ، وعلى غير ذلك ، إنه ذوقدرة على كلّ شىء .

وقوله (وَما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلى اللهِ) يقول تعالى ذكره : وما اختلفتم أيها الناس فيه من شىء فتنازعتم بينكم ، فحكمه إلى الله : يقول : فإن الله هو الذى يقضى فيه بينكم ، ويفصل فيه الحكم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا

الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ) قال ابن عمرو فى حديثه ، فهو يحكم فيه ، وقال الحارث : فالله يحكم فيه .

وقوله (ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين بالله : هذا الذى هذه الصفات صفاته ربى ، لا آلهتكم التى تدعون من دونه ، التى لاتقدر على شىء (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فى أمورى ، وإليه فوّضت أسبابى ، وبه وثقت (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) يقول : وإليه أرجع فى أمورى ، وأتوب من ذنوبى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ، وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ، يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١١)

يقول تعالى ذكره : (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، خالق السموات السبع والأرض .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : خالق .

وقوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجا) يقول تعالى ذكره : زوّجكم ربكم من أنفسكم أزواجا ؛ وإنما قال جلّ ثناؤه (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) لأنه خلق حوّاء من ضِلَع آدم ، فهو من الرجال (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجا) يقول جلّ ثناؤه : وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ذكورا وإناثا ، ومن كل جنس من ذلك (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) : يقول : يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم ، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معنى ذلك : يخلقكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : نسل بعد نسل من الناس والأنعام .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (يَذْرَؤُكُمْ) قال : يخلقكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : نسلا بعد نسل من الناس والأنعام .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، أنه قال في هذه الآية (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : يخلقكم .

وقال آخرون : بل معناه : يعيشكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) يقول : يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : يعيشكم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : عيش من الله يعيشكم فيه . وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما ، فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد ، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه ، أراد بقوله ذلك : يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه ، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا . وقد بيّنت معنى ذرأ الله الخلق فيما مضى ، بشواهده المغنية عن إعادته .

وقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فيه وجهان : أحدهما أن يكون معناه : ليس هو كشيء ، وأدخل المثل في الكلام ، توكيدا للكلام ، إذا اختلف اللفظ به وبالكاف ، وهما بمعنى واحد ، كما قيل :

ما إنْ نَدِيتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ [1]

فأدخل على « ما » وهي حرف جحد « إن » وهي أيضا حرف جحد ، لاختلاف اللفظ بهما ، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام ، وكما قال أوس بن حجَر :

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلْ تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ [2]

ومعنى ذلك : كجذوع النخيل ، وكما قال الآخر :

---

(١) هذا مصراع أول من بيت للنابغة الذبياني . وعجزه :

إذَنْ فَلا رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ يَدِي

(انظر مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي) ورواية الشطر الأول فيه « ما قلت من سيىء مما أتيت به » قال شارحه : يقول : إذا كنت قلت هذا الذي بلغك ، فشلت يدي حتى لا أطيق رفع السوط على خفته . وروى في اللسان والتاج كرواية المؤلف ، قال الزبيدي : يقال : ما نديني من فلان شيء أكرهه ، أي ما بلني ولا أصابني . وما نديت له كفي بشر ، وما نديت بشيء ومحل الشاهد في البيت عند المؤلف قوله « ما إن » حيث أدخل حرف النفي « ما » على حرف النفي « إن » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام . وهو نظير إدخال كاف التشبيه ، على كلمة « مثل » التي تفيد التشبيه ، في قوله تعالى « ليس كمثله شيء » ، لتوكيد الكلام ، لاختلاف اللفظين .

(٢) وهذا الشاهد من كلام أوس بن حجر التميمي ، وهو شاعر جاهلي مشهور ، شاهد كالشاهد السابق ، إذ أدخل فيه أداة التشبيه « الكاف » على أختها في المعنى « مثل » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام ، وهو نظير ما في قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » .

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إِذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ما إِنْ كَمِثْلِهِمِ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدِ[1]

والآخر : أن يكون معناه : ليس مثله شيء ، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام ، كقول الراجز :

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ[2]

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه ، وكما قال الآخر :

تَنْفِي الغَيَادِيقُ عَلَى الطَّرِيقِ قَلَّصَ عَنْ كَبَيْضَةٍ فِي نِيقِ[3]

فأدخل الكاف مع « عن » ، وقد بيّنا هذا فى موضع غير هذا المكان، بشرح هو أبلغ من هذا الشرح، فلذلك تجوّزنا فى البيان عنه فى هذا الموضع .

وقوله (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول جلّ ثناؤه واصفا نفسه بما هو به ، وهو يعنى نفسه ، السميع لما تنطق به خلقه من قول ، البصير لأعمالهم ، لايخفى عليه من ذلك شيء ، ولا يعزُب عنه علم شيء منه ، وهو محيط بجميعه ، محص صغيره وكبيره (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من خير أو شرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله : (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، وبيده مغاليق الخير والشرّ ومفاتيحها ، فما يفتحْ من رحمة فلا ممسك لها ، وما يُمسكْ فلا مرسل له من بعده . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : مفاتيح بالفارسية .

---

(١) لم أقف على قائل هذا البيت . وقد استشهد به المؤلف على إدخال أداتى التشبيه (الكاف ، ومثل) معا على شيء واحد ، فهو فى معنى الشاهدين قبله .

(٢) هذا بيت من عدة أبيات من مشطور الرجز ، ينسبان إلى خطام المجاشعى ، ونسبهما الجوهرى فى الصحاح ، والصقلى فى شرحه لأبيات الإيضاح للفارسى ، إلى هميان بن قحافة . وبيت الشاهد آخرها بيتا . (انظر الأبيات فى هامش صفحة ٢٨٢ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده . وفيه : الصاليات : الأثافى التى توضع عليها القدور ، وقد صليت النار حتى اسودت . ويؤثفين : يجعلن أثافى للقدر ، وهى جمع أثفية ، يقال أثفى القدر يثفيها : جعل لها أثافى . ومحل الشاهد قوله « ككما » فإن الكاف الأولى حرف ، والثانية اسم بمعنى مثل . والمعنى : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافى . واستشهد به المؤلف على دخول الكاف على الكاف ، لتوكيد الكلام .

(٣) لم أقف على قائل البيت . ولم يتضح لى معناه تماما ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ . وموضع الشاهد فيه واضح ، وهو دخول « عن » على الكاف فى قوله « كبيضة » ، فإما أن تكون الكاف زائدة ، أى عن بيضة ؛ وإما أن تكون الكاف اسما بمعنى مثل فى محل جر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : مفاتيح السموات والأرض . وعن الحسن بمثل ذلك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

وقوله (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يقول : يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ، ويبسط له ، ويكثر ماله ويغنيه . (ويقدر) : يقول : ويُقَتِّر على من يشاء منهم ، فيضيقه ويفقره (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل ، من توسيعه على من يوسع ، وتقتيره على من يقتر ، ومن الذى يصلحه البسط عليه فى الرزق ، ويفسده من خلقه ، والذى يُصلحه التقتير عليه ويفسده ، وغير ذلك من الأمور ، ذو علم ، لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره ، من صلاح تدبير خلقه .

يقول تعالى ذكره : فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذى صفته ماوصفت لكم فى هذه الآيات أيها الناس فارغبوا ، وإياه فاعبدوا ، مخلصين له الدين ، لا الأوثان والآلهة والأصنام ، التى لا تملك لكم ضرًّا ولا نفعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ، وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾

يقول تعالى ذكره : (شَرَعَ لَكُمْ) ربكم أيها الناس (مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) أن يعمله . (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وشرع لكم من الدين الذى أوحينا إليك يا محمد ، فأمرناك به (وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) يقول : شرع لكم من الدين ، أن أقيموا الدين ، فـ(أنْ) إذ كان ذلك معنى الكلام ، فى موضع نصب على الترجمة بها عن « ما » التى فى قوله (مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) . ويجوز أن تكون فى موضع خفض ردًّا على الهاء التى فى قوله (بِهِ) ، وتفسيرا عنها ، فيكون معنى الكلام حينئذ : شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا ، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه . وجائز أن تكون فى موضع رفع على الاستئناف ، فيكون معنى الكلام حينئذ : شرع لكم من الدين ما وصّى به ، وهو أن أقيموا الدين . وإذ كان معنى الكلام ما وصفت ، فمعلوم أن الذى أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة ، وهى إقامة الدين الحق ، ولا تتفرّقوا فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما وَصَّى بِهِ نُوحا) قال : ما أوصاك به وأنبياءه ، كلّهم دين واحد .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) قال : هو الدين كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) بُعِث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال ، وتحريم الحرام (وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) قال : الحلال والحرام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) . . . إلى آخر الآية ، قال : حَسْبُكَ ماقيل لك .

وعُنِى بقوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) أن اعملوا به على ماشرع لكم وفرَض ، كما قد بينا فيما مضى قبلُ فى قوله (أَقِيمُوا الصَّلاةَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) قال : اعملوا به .

وقوله (وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) يقول : ولا تختلفوا فى الدين الذى أُمِرتم بالقيام به ، كما اختلف الأحزاب من قبلكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) : تعلّموا أن الفُرقة هَلَكة ، وأن الجماعة ثقة .

وقوله (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كبر على المشركين بالله من قومك يامحمد ، ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله ، وإفراده بالألوهية ، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) قال : أنكرها المشركون ، وكَبُرَ عليهم شهادة أن لاإله إلا الله ، فصادمها إبليس وجنوده ، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يُمْضِيَها وينصرها ويُفْلِجَها ويظهرها على من ناوأها .

وقوله (اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنيبُ) يقول : الله يصطفى إليه من يشاء من خلقه ، ويختار لنفسه وولايته من أحبَّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنيبُ) يقول : ويوفّق للعمل بطاعته ، واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحقّ ، من أقبل إلى طاعته ، وراجع التوبة من معاصيه .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنيبُ) : من يقبل إلى طاعة الله .

وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وما تفرّق المشركون بالله فى أديانهم ، فصاروا أحزابا ، إلا من بعد ما جاءهم العلم ، بأن الذى أمرهم الله به ، وبعث به نوحا ، هو إقامة الدين الحقّ ، وأن لاتتفرّقوا فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ) فقال : إياكم والفرْقة فإنها هلكة (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) يقول : بغيا من بعضكم على بعض ، وحسدا وعداوة على طلب الدنيا (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) يقول جلّ ثناؤه : ولولا قول سبق يامحمد من ربك لايعاجلهم بالعذاب ، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى ، وذلك الأجل المسمى فيما ذُكر : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) قال : يوم القيامة .

وقوله (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لفرَغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين فى الحقّ الذى بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به ، بإهلاكه أهل الباطل منهم ، وإظهاره أهل الحقّ عليهم .

وقوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يقول : وإن الذين آتاهم الله من بعد هؤلاء

المختلفين فى الحق كتابة التوراة والإنجيل (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) يقول : لفى شك من الدين الذى وصّى الله به نوحا ، وأوحاه إليك يا محمد ، وأمركما بإقامته ، مريب .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : اليهود والنصارى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فإلى ذلك الدين الذى شرع لكم ، ووصّى به نوحا ، وأوحاه إليك يا محمد ، فادع عباد الله ، واستقم على العمل به ، ولا تزغ عنه ، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة . وقيل : فلذلك فادع ، والمعنى : فإلى ذلك ، فوضعت اللام موضع إلى ، كما قيل : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) ، وقد بيّنا ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا .

وكان بعض أهل العربية يوجّه معنى ذلك ، فى قوله (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ) إلى معنى هذا ، ويقول : معنى الكلام : فإلى هذا القرآن فادع واستقم ، والذى قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه ، غير أن الذى قلنا فى ذلك أولى بتأويل الكلام ، لأنه فى سياق خبر الله جلّ ثناؤه ، عما شرع لكم من الدين ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بإقامته ، ولم يأت من الكلام ما يدلّ على انصرافه عنه إلى غيره .

وقوله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا تتّبع يا محمد أهواء الذى شكّوا فى الحقّ الذى شرعه الله لكم ، من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم ، فتشكّ فيه ، كالذى شكوا فيه ، (وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ) يقول تعالى ذكره : وقل لهم يا محمد : صدّقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب ، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف إبراهيم ، لا أكذّب بشىء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب ، وتصديقكم ببعض .

وقوله (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : وقلُ لهم يا محمد : وأمرنى ربى أن أعدل بينكم معشر الأحزاب ، فأسيرَ فيكم جميعا بالحقّ الذى أمرنى به ، وبعثنى بالدعاء إليه .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) قال : أُمِر نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل ، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه ،

والعدل ميزان الله فى الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدّق الله الصادق ، ويكذّب الكاذب ، وبالعدل يردّ المعتدى ويوبّخه .

ذُكر لنا أن نبيّ الله داود عليه السلام ، كان يقول : ثلاث من كنّ فيه أعجبنى جدا : القصد فى الفاقة والغنى ، والعدل فى الرضا والغضب ، والخشية فى السرّ والعلانية . وثلاث من كنّ فيه أهلكته : شحّ مطاع ، وهوًى متّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه . وأربع من أعطيهنّ فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن صابر ، وزوجة مؤمنة .

واختلف أهل العربية فى معنى اللام التى فى قوله (وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) فقال بعض نحويىّ البصرة : معناها : كى ، وأمرت كى أعدل ؛ وقال غيره : معنى الكلام : وأمرت بالعدل ، والأمر واقع على ما بعده ، وليست اللام التى فى لأعدل بشرط ؛ قال : (وأُمِرْتُ) تقع على « أن » وعلى « كى » و« اللام » أمرت أن أعبد ، وكى أعبد ، ولأعبد . قال : وكذلك كلّ ماطالب الاستقبال ، ففيه هذه الأوجه الثلاثة .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الأمر عامل فى معنى لأعدل ، لأن معناه : وأمرت بالعدل بينكم .

وقوله (اللهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ) يقول : الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل (لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) يقول : لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال ، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها .

وقوله (لاحُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم) يقول : لاخصومة بيننا وبينكم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لاحُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم) قال : لاخصومة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ : (لاحُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ) : لاخصومة بيننا وبينكم ، وقرأ (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالتى هِيَ أحْسَنُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا) يقول : الله يجمع بيننا يوم القيامة ، فيقضى بيننا بالحقّ فيما اختلفنا فيه ؛ (وإلَيْهِ المَصِيرُ) يقول : وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)

❁ يقول تعالى ذكره : والذين يخاصمون فى دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد ما استجاب له الناس ، فدخلوا فيه من الذين أُورثوا الكتاب (حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) يقول : خصومتهم

التى يخاصمون فيه، باطلة ذاهبة عند ربهم (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) يقول : وعليهم من الله غضب ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد ، وهو عذاب النار .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود، خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم، وطمعوا أن يَصُدّوهم عنه ، ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر .

ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ ،حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قال: هم أهل الكتاب، كانوا يجادلون المسلمين ، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله . وقال: هم أهل الضلالة، كان استجيب لهم على ضلالتهم ، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ) قال : طمع رجال بأن تعود الجاهلية .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ) قال : بعد ما دخل الناس فى الإسلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : هم اليهود والنصارى ، قالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ،لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) . . . الآية ، قال : هم اليهود والنصارى حاجُّوا أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن أولى بالله منكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : نهاه عن الخصومة .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِى أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ (١٨)

٭ يقول تعالى ذكره : (اللهُ الَّذِى أَنْزَلَ) هذا (الكِتابَ) يعنى القرآن (بالحَقِّ والمِيزَانَ) يقول : وأنزل الميزان وهو العدل ، ليقضى بين الناس بالإنصاف ، ويحكم فيهم بحكم الله الذى أمر به فى كتابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْزَلَ الكِتابَ بالحَقِّ والمِيزَانَ) قال : العدل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الَّذِى أَنْزَلَ الكِتابَ بالحَقِّ والمِيزَانَ) قال : الميزان : العدل .

وقوله (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) يقول تعالى ذكره : وأىّ شىء يدريك ويعلمك ، لعل الساعة التى تقوم فيها القيامة قريب ، (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها) : يقول : يستعجلك يامحمد بمجيئها الذين لايوقنون بمجيئها ، ظنا منهم أنها غير جائية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) يقول : والذين صدّقوا بمجيئها ، ووعد الله إياهم الحشر فيها ، (مشفقون منها) : يقول: وَجِلون من مجيئها، خائفون من قيامها ، لأنهم لايدرون ما الله فاعل بهم فيها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّها الحَقُّ) يقول : ويوقنون أن مجيئها الحقّ اليقين ، لايمترون فى مجيئها (أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِى السَّاعَةِ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الذين يخاصمون فى قيام الساعة ويجادلون فيه (لَفِى ضَلالٍ بَعِيدٍ) يقول : لفى جَوْر عن طريق الهدى ، وزيغ عن سبيل الحقّ والرشاد ، بعيد من الصواب .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)

٭ يقول تعالى ذكره : الله ذو لطف بعباده ، يرزق من يشاء ، فيوسع عليه ، ويقتّر على من يشاء منهم (وَهُوَ القَوِىُّ) الذى لايغلبه ذو أيد لشدّته ، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته (العَزِيزُ) فى انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) يقول تعالى ذكره : من كان يريد بعمله الآخرة نزد له فى حرثه : يقول : نزد له فى عمله الحسن ، فنجعل له بالواحدة عشرا ، إلى ماشاء ربنا من الزيادة (وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) يقول : ومن كان يريد بعمله الدنيا ، ولها يسعى لا للآخرة ، نؤته منها ماقسمنا له منها (وَما لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) يقول : وليس لمن طلب بعمله الدنيا ، ولم يرد الله به ، فى ثواب الله لأهل الأعمال التى أرادوه بأعمالهم فى الدنيا حظّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) . . . إلى (وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) قال : يقول : من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا) . . . الآية ، يقول : من آثر دنياه على آخرته ، لم نجعل له نصيبا فى الآخرة إلا النار ، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئا ، إلا رزقا قد فُرِغ منه ، وقُسِم له .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) قال : من كان يريد الآخرة وعملها نزد له فى عمله (وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) . . . إلى آخر الآية ، قال : من أراد الدنيا وعملَها آتيناه منها ، ولم نجعل له فى الآخرة من نصيب . الحرث : العمل . من عمل للآخرة أعطاه الله ، ومن عمل للدنيا أعطاه الله .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) قال : من كان يريد عمل الآخرة نزد له فى عمله .

وقوله (وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) قال : للكافر عذاب أليم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء فى شركهم وضلالتهم (شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ) يقول : ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه (وَلَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولولا السابق من الله ، فى أنه لايعجل لهم العذاب فى الدنيا ، وأنه مضى من قيله أنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة ، لفُرِغ من الحكم بينكم وبينهم ، بتعجيلنا العذاب لهم فى الدنيا ، ولكن لهم فى الآخرة من العذاب الأليم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) يقول : وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم مُوجِع .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ، لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٢٢)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة (مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا) يقول : وَجِلِين خائفين منْ عقاب الله على ما كسبوا فى الدنيا من أعمالهم الخبيثة (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) يقول : والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم ، وهم ذائقوه لا محالة .

وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى فى الدنيا فى رَوْضات البساتين فى الآخرة . ويعنى بالرَّوْضات : جمع روضة ، وهى المكان الذى يكثُر نبته ، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض ؛ ومنه قول أبى النجم :

والنَّغفَ مِثْلَ الأجْرَبِ المُدَجَّلِ حَدائقَ الرَّوْضِ الَّتِى لَمْ تُحْلَلِ[1]

يعنى بالروض : جمع روضة . وإنما عنى جلّ ثناؤه بذلك : الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) إلى آخر الآية . قال فى رياض الجنة ونعيمها .

وقوله (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم فى الآخرة ما تشتهيه أنفسهم ، وتلذّه أعينهم ، ذلك هو الفضل الكبير ، يقول تعالى ذكره : هذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم ، وهذه الكرامة فى الآخرة : هو الفضل من الله عليهم . الكبير الذى يفضل كلّ نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)

❁ يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتكم أيها الناس أنى أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الآخرة من النعيم والكرامة ، البشرى التى يبشر الله عباده الذين آمنوا به فى الدنيا ، وعملوا بطاعته فيها (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يمارونك فى الساعة من

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبى النجم الفضل بن قدامة العجلى ، والأرجوزة بتمامها فى مجلة المجمع العلمى (مجلد ٨ : ٤٧٢) . وروى البيت الأول منهما وفسره ابن قتيبة فى كتابه (المعانى الكبير ، طبع الهند ٣٣٢ – ٣٣٣) والنغف من أسماء الظليم ، لأنه يحرك رأسه إذا عدا . والمدجل : المهنوء بالقطران . وشبهه بالأجرب ، لأنه قد أسن وذهب ريشه من أرفاغه . وفى (اللسان : دجل) : شدة طلى الجرب بالقطران . والمدجل : المهنوء بالقطران . ونغض برأسه ينغض نغضا : حركه . وإنما سمى الظليم نغضا ، لأنه إذا عجل فى مشيته ارتفع وانخفض . اهـ . والنغض منصوب بالفعل « راعت » فى البيت قبله ، أى راقبته ونظرت إليه . والحدائق : جمع حديقة ، وهى القطعة من الزرع ؛ وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة . وما لم يكن عليه حائط ، لم يقل له حديقة . وقال الزجاج : الحدائق البساتين والشجر الملتف . وحدائق الروض : ما أعشب منه والتف . يقال : روضة بنى فلان ما هى إلا حديقة . وإذا لم يكن فيها عشب فهى روضة (اللسان : حدق) ونصب قوله حدائق . بقوله « تبقلت من أول التبقل » وهو بيت فى أول الأرجوزة . والتى لم تحلل : التى لم توطأ ولم ترعها الحيوانات ، فبقل نبتها .

مشركي قومك : لاأسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ الذى جئتكم به ، والنصيحة التى أنصحكم ، ثوابا وجزاء وعوضا من أموالكم تعطونيه (إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) فقال بعضهم: معناه : إلا أن تَوَدُّونى فى قرابتى منكم ، وتصلوا رحمى بينى وبينكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبى هِنْد ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس ،فى قوله (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة ، فقال: قل لاأسألكم عليه أجرا إلا أن تَوَدُّونِى فى القرابة التى بينى وبينكم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال: ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن مَيْسرة عن طاوس ، فى قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : سئل عنها ابن عباس ، فقال ابن جبير : هم قُرْبَى آل محمد،فقال ابن عباس : عجلتَ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة ، قال : فنزلت (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : إلا القرابة التى بينى وبينكم أن تصلوها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فى جميع قريش،فلما كذّبوه وأبَوْا أن يبايعوه،قال: ياقوم إذ أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم،لايكن غيركم من العرب أولى بحفظى ونُصرتى منكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال لقريش : لاأسألكم من أموالكم شيئا ، ولكن أسألكم أن لاتؤذونى ، لقرابة ما بينى وبينكم ، فإنكم قومى وأحقّ من أطاعنى وأجابنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة ، قال : « إن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان واسطا فى قريش ، كان له فى كلّ بطن من قريش نسب ، فقال : لاأَسْأَلُكُمْ على ما أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ إِلاَّ أَنْ تَحْفَظُونِى فى قَرَابَتِى ؛ قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسط النسب من قريش ، ليس حىّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ؛ قال : فقال الله عزّ وجلّ : (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) : إلا أن تودّونى لقرابتى منكم وتحفظونى .

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبى مالك فى هذه الآية (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم ، وأمه من بنى زهرة ، وأم أبيه من بنى مخزوم ، فقال : احفظونى فى قرابتى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمى ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : تعرفون قرابتى ، وتصدّقونى بما جئت به ، وتمنعونى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) وإن الله تبارك وتعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لايسأل الناس على هذا القرآن أجرا إلا أن يَصِلوا ما بينه وبينهم من القرابة ، وكلّ بطون قريش قد ولدته ، وبينه وبينهم قرابة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) : أن تتبعونى ، وتصدقونى وتصلوا رحمى .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة ، فقال : قل لاأسألكم عليه أجرا إلا أن تودّونى لقرابتى منكم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) يعنى قريشا . يقول : إنما أنا رجل منكم ، فأعينونى على عدوّى ، واحفظوا قرابتى ، وإن الذى جئتكم به لاأسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى ، أن تودّونى لقرابتى ، وتعينونى على عدوّى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال يقول : إلا أن تودّونى لقرابتى ، كما تَوادّون فى قرابتكم ، وتواصلون بها ، ليس هذا الذى جئت به يقطع ذلك عنى ، فلست أبتغى على الذى جئت به أجرا آخذه على ذلك منكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن عطاء بن دينار ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) يقول : لاأسألكم على ماجئتكم به أجرا ، إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم ، وتمنعونى من الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : كل قريش كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، فقال : قل لاأسألكم عليه أجرا إلا أن تودّونى بالقرابة التى بينى وبينكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لمن تبعك من المؤمنين : لا أسألكم على ماجئتكم به أجرا، إلا أن تودّوا قرابتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المُرّىّ ، عن السدىّ ، عن أبى الديلم ، قال : لما جىء بعلىّ بن الحسين رضى الله عنهما أسيرا ، فأقيم على درَج دمشق ، قام رجل من أهل الشأم فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم ، وقطع قَرْنَى الفتنة ، فقال له علىّ بن الحسين رضى الله عنه : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أقرأت آلَ حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم ، قال : ماقرأت (قُلْ لا أسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : وإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا يزيد بن أبى زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : « قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، فكأنهم فخروا ، فقال ابن عباس ، أو العباس ، شكّ عبد السلام : لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسولَ اللهَ صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فى مجالسهم ، فقال : يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ ، ألَمْ تَكُونُوا أذِلَّةً فأعزَّكُمُ اللهُ بِى ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ألَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِى ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : أفلا تُجيبُونِى؟ قالوا : ما نقول يارسول الله ؟ قال : ألا تقولونَ : ألَمْ يُخْرِجْكَ قَوْمُكَ فَآوَيْنَاكَ ، أوَلَمْ يُكَذِّبُوكَ فَصَدَّقْنَاكَ ، أوَلَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْنَاكَ ؟ قال : فما زال يقول حتى جثَوا على الركب ، وقالوا : أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله ، قال : فنزلت (قُلْ لاأسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا مروان ، عن يحيى بن كثير ، عن أبى العالية ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (قُلْ لاأسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : هى قُربَى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ومحمد بن خلف ، قالا : ثنا عُبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سألت عمرو بن شعيب ، عن قول الله عزّ وجلّ (قُلْ لاأسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : قُربَى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لاأسألكم أيها الناس على ماجئتكم به أجرا ، إلا أن تودّدوا إلى الله ، وتتقرّبوا بالعمل الصالح والطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا : ثنا عاصم بن علىّ ، قال : ثنا قزعة بن سويد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « (قُلْ لاأسأَلُكُمْ على ما أتَيْتُكُمْ بِهِ مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى أجْرًا ، إلاَّ أنْ تَوَدَّدُوا للهِ ، وتَتَقَرَّبُوا إلَيْهِ بطاعَتِهِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، أنه قال فى هذه الآية (قُلْ لاأسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : القُرْبَى إلى الله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (قُل لاأسألُكمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : إلا التقرّب إلى الله ، والتودّد إليه بالعمل الصالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قل لاأسألكم على ماجئتكم به ، وعلى هذا الكتاب أجرا ، إلا المودّة فى القُرْبَى ، إلا أن تودّدوا إلى الله بما يقرّبكم إليه ، وعمل بطاعته .

قال بشر : قال يزيد : وحدثنيه يونس ، عن الحسن . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) إلا أن تودّدوا إلى الله فيما يقرّبكم إليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تَصِلوا قرابتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا قُرَّة ، عن عبد الله بن القاسم ، فى قوله (إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال : أمرتَ أن تصل قرابتك .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، وأشبهها بظاهر التنزيل : قول من قال : معناه : قل لاأسألكم عليه أجرا يامعشر قريش ، إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم ، وتَصِلوا الرحم التى بينى وبينكم .

وإنما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية ، لدخول « فى » فى قوله (إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) ، ولو كان معنى ذلك على ماقاله من قال : إلا أن تودّوا قرابتى ، أو تقرّبوا إلى الله ، لم يكن لدخول « فى » فى الكلام فى هذا الموضع وجه معروف ، ولكان التنزيل : إلا مودّة القربَى ، إن عُنِىَ به الأمر بمودّة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلا المودّة بالقُرْبَى ، أو ذا القربَى إن عُنِى به التودّد والتقرّب . وفى دخول « فى » فى الكلام ، أوضح الدليل على أن معناه : إلا مودّتى فى قرابتى منكم ، وأن الألف واللام فى المودّة ، أدخلتا بدلا من الإضافة ، كما قيل (فإنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأْوَى) . وقوله « إلا » فى هذا الموضع استثناء منقطع . ومعنى الكلام : قل لاأسألكم عليه أجرا ، لكنى أسألكم المودّة فى القربى ، فالمودّة منصوبة على المعنى الذى ذكرت . وقد كان بعض نحويِّ البصرة يقول : هى منصوبة بمضمر من الفعل ، بمعنى : إلا أن أذكر مودّة قرابتى .

وقوله (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْنًا) يقول تعالى ذكره : ومن يعمل حسنة ، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين (نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْنًا) يقول : نضاعفْ عمله ذلك الحسن ، فنجعل له مكان الواحد عشرا إلى ماشئنا من الجزاء والثواب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) قال : يعمل حسنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) قال : من يعمل خيرا نزد له . الاقتراف : العمل .

وقوله (إنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) يقول : إن الله غفور لذنوب عباده ، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ اللهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للحسنات يضاعفها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إن اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) قال : غفر لهم الذنوب ، وشكر لهم نعما هو أعطاهم إياها ، وجعلها فيهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ، فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ، وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون بالله : (افْتَرَى) محمد (على اللهِ كَذِبا) فجاء بهذا الذى يتلوه علينا اختلاقا من قِبَل نفسه . وقوله (فَإِنْ يَشَإِ اللهُ) يامحمد يطبع على قلبك ، فتنس هذا القرآن الذى أُنزل إليك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أمْ يَقُولُونَ افْتَرَى على اللهِ كَذِباً ، فإنْ يَشإِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ) ، فينسيك القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فإنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ) قال : إن يشأ أنساك ما قد أتاك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قول الله عزّ وجلّ (فإنْ يَشإِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ) قال : يطبع .

وقوله (وَيَمْحُ اللهُ الباطِلَ) يقول : ويذهب الله بالباطل فيمحقه (وُيحِقّ الحَقّ بِكَلماتِهِ) التى أنزلها إليك يامحمد ، فيثبته .

وقوله (وَيَمْحُ اللهُ الباطِلَ) فى موضع رفع بالابتداء ، ولكنه حُذفت منه الواو فى المصحف ، كما حُذفت من قوله (سَنَدْعُ الزبانيةَ) ، ومن قوله (وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشَّرِّ) وليس بجزم على العطف على يختم .

وقوله (إنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما فى صدور خلقه ، وما

تنطوى عليه ضمائرهم ، لايخفى عليه من أمورهم شىء ، يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : لوحدّثت نفسك أن تفترىَ على الله كذبا ، لطبعت على قلبك ، وأذهبت الذى آتيتك من وحيى ، لأنى أمحو الباطل فأذهبه ، وأحقّ الحقّ ، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به ، الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه ، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ، وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)

❁ يقول تعالى ذكره : والله الذى يقبل مراجعة العبد إذا رجع توحيد الله وطاعته من بعد كفره، (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ) يقول : ويعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال ، وهى معاصيه التى تاب منها (وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (يَفْعَلُونَ) بالياء ، بمعنى : ويعلم ما يفعل عباده ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (تَفْعَلُونَ) بالتاء على وجه الخطاب .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرَاءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الياء أعجب إلىّ ، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر ، وذلك قوله (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ) ويعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) : ويعلم ربكم أيها الناس ماتفعلون من خير وشرّ ، لايخفى عليه من ذلك شىء ، وهو مُجازيكم على كل ذلك جزاءه، فاتقوا الله فى أنفسكم ، واحذرُوا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعِىّ ، عن همام بن الحارث ، قال : أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ ، وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) قال : فوجدنا عنده أناسا أو رجالا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما ، ثم تزوّجها ، فتلا هذه الآية (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ ، وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ، وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)

❁ يقول تعالى ذكره : ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه، لبعضهم دعاء بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، قال : ثنا الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة بن سبرة ، قال : خطبنا معاذ ، فقال : أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة ، ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال : أحسنت رحمك الله ، أحسنت غفر الله لك ، ثم قرأ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) .

وقوله (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم ، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله ، على مسألتهم إياه ، بأن يعطيهم ما لم يسألوه . وقيل : إن ذلك الفضل الذى ضمن جلّ ثناؤه أن يزيدَهُموه ، هو أن يُشفّعهم فى إخوان إخوانهم إذا هم شُفّعوا فى إخوانهم ، فشفّعوا فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن محمد الفِرْيابىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن إبراهيم النخعىّ ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال : يُشفّعون فى إخوانهم ، ويزيدهم من فضله ، قال : يشفعون فى إخوان إخوانهم .

وقوله (وَالكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يقول جلّ ثناؤه : والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) فقال بعضهم : أى استجاب فجعلهم هم الفاعلين ، فالذين فى قوله رفع ، والفعل لهم . وتأويل الكلام على هذا المذهب : واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به ، والعمل بطاعته إذ دعاهم إلى ذلك .

وقال آخر منهم : بل معنى ذلك : ويجيب الذين آمنوا . وهذا القول يحتمل وجهين : أحدهما الرفع ، بمعنى : ويجيب الله الذين آمنوا . والآخر ماقاله صاحب القول الذى ذكرنا .

وقال بعض نحويىّ الكوفة (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) يكون « الذين » فى موضع نصب بمعنى : ويجيب الله الذين آمنوا . وقد جاء فى التنزيل (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) والمعنى : فأجاب لهم ربهم ، إلا أنك إذا قلت استجاب ، أدخلت اللام فى المفعول ؛ وإذا قلت أجاب حذفت اللام ، ويكون استجابهم ، بمعنى : استجاب لهم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) ، والمعنى والله أعلم : وإذا كالوا لهم ، أو وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) . قال : ويكون « الذين » فى موضع رفع إن يجعل الفعل لهم ، أى الذين آمنوا يستجيبون لله ، ويزيدهُم على إجابتهم ، والتصديق به من فضله . وقد بيّنا الصواب فى ذلك من القول على ما تأوّله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ، وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ، إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ (٢٧) ﴾

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى . فقال جلّ ثناؤه : ولو بسط الله الرزق لعباده ، فوسعه وكثّره عندهم لبغوا ، فتجاوزوا الحدّ الذى حدّه الله لهم ، إلى غير الذى حدّه لهم فى بلاده ، بركوبهم فى الأرض ماحظَره عليهم ، ولكنه ينزل رزقهم بقدَر لكفايتهم الذى يشاء منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو هانئ : سمعت عمرو بن حُريث وغيره يقولون : إنما أنزلت هذه الآية فى أصحاب الصُّفَّة (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ) ذلك بأنهم قالوا : لو أن لنا ، فتمنَّوا .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عبد الرحمن المُقْرِى ، قال : ثنا حَيْوة ، قال أخبرنى أبو هانئ ، أنه سمع عمرو بن حُرَيث يقول : إنما نزلت هذه الآية ، ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ) الآية . . . قال : كان يقال : خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك .

وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخْوَفُ ما أخافُ على أُمَّتِى زَهْرَةُ الدُّنيا وكَثْرَتُها » ، فقال له قائل : يا نبىّ الله : هل يأتى الخير بالشرّ ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : هَلْ يَأْتِى الخَيْرُ بالشَّرِّ ؟ فأنزل الله عليه عند ذلك ، وكان إذا نزل عليه[1] ، كُرِب لذلك ، وتربَّد وجهه ، حتى إذا سُرِّى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : هَلْ يَأْتِى الخَيْرُ بالشَّرِّ ؟ يقولها ثلاثا : إنَّ الخَيْرَ لا يأْتِى إلاَّ بالخَيْرِ ، يقولها ثلاثا . وكان صلى الله عليه وسلم وِتْر الكلام ، ولكنه والله ما كان ربيعٌ قطُّ إلا أحبط أو ألمّ ، فأما عبد أعطاه الله مالا ، فوضعه فى سبيل الله التى افترض وارتضى ، فذلك عبد أُريد به خير ، وعزم له على الخير ، وأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى شهواته ولذّاته ، وعَدَل عن حقّ الله عليه ، فذلك عبد أريد به شرّ ، وعزَم له على شرّ » .

وقوله (إنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله بما يُصْلح عباده ويفسدهم ، من غنى وفقر وسعة وإقتار ، وغير ذلك من مصالحهم ومضارّهم ، ذو خبرة وعلم بصير بتدبيرهم ، وصرفهم فيما فيه صلاحهم .

(١) ى (اللسان : كرب) : وفى الحديث : كان إذا أتاه الوحى كرب له ، أى أصابه الكرب فهو مكروب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الذى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : والله الذى ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس (مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا) يقول : من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يقول : وينشر فى خلقه رحمته ، ويعنى بالرحمة : الغيث الذى ينزله من السماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : أجدبَت الأرض ، وقنَط الناس ، قال : مُطِروا إذن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا) قال : يئسوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين قُحِط المطر ، وقنَط الناس . قال : مُطِرتم (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا ، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) .

وقوله (وَهُوَ الوَلِيّ الحَمِيدُ) يقول : وهو الذى يليكم بإحسانه وفضله ، الحميد بأياديه عندكم ، ونعمه عليكم فى خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ، وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ومن حُجَجه عليكم أيها الناس ، أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم ، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم ، خلْقُه السموات والأرض ، وما بثّ فيهما من دابة ، يعنى وما فرّق فى السموات والأرض من دابة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دَابَّةٍ) قال : الناس والملائكة (وَهُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إذَا يَشاءُ قَدِيرٌ) يقول : وهو على جمع ما بثّ فيهما من دابة إذا شاء جمعه ، ذو قدرة لا يتعذّر عليه ، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه ، يقول تعالى ذكره : فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة ، بعد تفرّق أوصالهم فى القبور .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره : وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة فى الدنيا فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول : فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم ، فلا يعاقبكم بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا أيوب ، قال : قرأت فى كتاب أبى قِلابة ، قال : نزلت (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وأبو بكر رضى الله عنه يأكل ، فأمسك فقال : يا رسول الله إنى لراء ما عملت من خير أو شرّ ؟ فقال : « أَرَأَيْتَ ما رأيْتَ مِمَّا تَكْرَهُهُ ، فَهُوَ مِنْ مَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ ، وَتَدَّخِرُ مَثَاقِيلَ الخَيْرِ حَتى تُعْطَاهُ يَوْمَ القِيامَةِ » ، قال : قال أبو إدريس : فأرى مصداقها فى كتاب الله ، قال : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

قال أبو جعفر : حدّث هذا الحديث الهيثم بن الربيع ، فقال فيه أيوب عن أبى قِلابة ، عن أنس ، أن أبا بكر رضى الله عنه كان جالسا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث ، وهو غلط ، والصواب عن أبى إدريس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ ، وَلا عَثْرَةُ قَدَمٍ ، وَلا اخْتِلاجُ عِرْقٍ إلاّ بِذَنْبٍ ، وَما يَعْفُو عَنْهُ أَكْثَرُ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ) . . . الآية ، قال : يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ، ولا يؤاخذون بها فى الآخرة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : وما عُوقبتم فى الدنيا من عقوبة ، بحدّ حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم : يقول : فبما عملتم من معصية الله (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) فلا يوجب عليكم فيها حدًّا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ)

. . . الآية، قال: هذا فى الحدود. وقال قتادة: بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عَثْرة قَدَم، ولا خَدْش عود أو كذا وكذا إلا بذنب، أو يعفو، وما يعفو أكثر.

وقوله (وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ) يقول: وما أنتم أيها الناس بمُفيتى ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التى أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التى ركبتموها، هربا فى الأرض، فمعجزيه، حتى لايقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم فى سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته (وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِىٍّ) يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه (وَلا نَصِيرٍ) يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لادافع لعقوبته عمن أحلها به.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره: ومن حُجَج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كلّ ما يشاء، وأنه لايتعذّر عليه فعل شىء أراده، السفن: الجارية فى البحر. والجوارى: جمع جارية، وهى السائرة فى البحر.

كما حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (الجَوَارِ فى البَحْرِ) قال: السفن.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَمِنْ آياتِهِ الجَوَارِ فى البَحْرِ) قال: الجوارى: السفن.

وقوله (كالأعْلامِ) يعنى كالجبال: واحدها علم؛ ومنه قول الشاعر:

كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نارُ[1]

يعنى: جَبَل. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (كالأعْلامِ) قال: كالجبال.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: الأعلام: الجبال.

(١) هذا عجز بيت لخنساء بنت عمرو الشريد السلمى، من قصيدة ترثى بها أخاها صخرا (معاهد التنصيص العباسى) وصدره:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ

وقد استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: «وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام» على أن الأعلام فى البيت جمع علم بالتحريك، وهو الجبل. وقد كان العرب يوقدون النار فى أعالى الجبال، لهداية الغريب والجائع ونحوهما.

وقوله (إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) يقول تعالى ذكره : إن يشأ الله الذى قد أجرى هذه السفن فى البحر ، أن لاتجرى فيه ، أسكن الريح التى تجرى بها فيه ، فثبتن فى موضع واحد ، ووقفن على ظهر الماء لاتجرى فتتقدّم ، ولا تتأخر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كالأعْلامِ ، إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) سفن هذا البحر تجرى بالريح ، فإذا أمسكت عنها الريح ركدت ، قال الله عزّ وجلّ : (إنَّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) لاتجرى .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) يقول : وقوفا .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن فى جرى هذه الجوارى فى البحر بقُدرة الله ، لعظة وعبرة وحجة بينة على قُدرة الله على مايشاء ، لكل ذى صبر على طاعة الله ، شكور لنِعمه وأياديه عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ، وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : أو يوبقْ هذه الجوارى فى البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب ، واجترموا من الآثام . وجزم يوبقهنّ ، عطفا على (يُسْكِنِ الرِّيحَ) ومعنى الكلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، (أوْ يُوبِقْهُنَّ) ويعنى بقوله (أوْ يُوبِقْهُنَّ) أو يهلكْهنّ بالغرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أوْ يُوبِقْهُنَّ) يقول : يهلكهنّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أوْ يُوبِقْهُنَّ) : أو يهلكهنّ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أو يُوبِقْهُنَّ) قال : يغرقهنّ بما كسبوا .

وبنحو الذى قلنا فى قوله بما كسبوا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) : أى بذنوب أهلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) قال : بذنوب أهلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) قال : يوبقهنّ بما كسبت أصحابهنّ .

وقوله (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) يقول : ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم ، فلا يعاقب عليها .

وقوله (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِنا) يقول جلّ ثناؤه : ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين فى آياته وعبره وأدلته على توحيده .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ) رفعا على الاستئناف ، كما قال فى سورة براءة (وَيَتُوبُ اللهُ عَلى مَنْ يَشاءُ) ، وقرأته قرّاء الكوفة والبصرة (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ) نصبا كما قال فى سورة آل عمران ، (وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) على الصرف ، وكما قال النابغة :

فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ　　رَبِيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الحَرَامُ
ونُمْسِكَ بَعْدَهُ بِذِنابِ عَيْشٍ　　أجَبَّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنامُ[1]

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) يقول تعالى ذكره : ما لهم من محيد من عقاب الله ، إذا عاقبهم على ذنوبهم ، وكفرهم به ، ولا لهم منه ملجأ .

---

(١) البيتان للنابغة الذبيانى من مقطوعة يخاطب بها عصام بن شهبرة الجرمى حاجب النعمان ، ويسأله عما بلغه من مرضه (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ص ١٩١) وقوله : « ربيع الناس » جعل النعمان بمنزلة الربيع فى الخصب ، لكثرة عطائه . وهو موضع الأمن من كل مخافة لمستجير وغيره ، مثل الشهر الحرام . و « أجب الظهر » : لاسنام له . ويجوز فى الظهر : الرفع والنصب والجر . يقول : تبقى بعده فى شدة من العيش وسوء حال . وذناب الشىء : ذنبه . والشاهد فى البيتين فى قوله « ونأخذ » فإنه يجوز فيه الرفع على الاستئناف ، والنصب بتقدير « أن » ، والجزم بالعطف على يهلك (فرائد القلائد للعينى) . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٢) وقوله : « ويعف عن كثير ويعلم الذين » مردودة على الجزم إلا أنه صرف . (النصب على الصرف مذهب الفراء فى العطف على المجزوم كما فى الآية ، وفى المفعول معه ، وفى خبر المبتدأ إذا كان ظرفا) . قال : والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب ، كقول الشاعر : « فإن يهلك . . . . . البيتين » . والرفع جائز فى المنصوب على الصرف . وقد قرأ بذلك قوم ، فرفعوا ويعلم الذين يجادلون . ومثله مما استؤنف فرفع : « ويتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » فى براءة . ولو جزم « ويعلم » جازم كان مصيبا . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ ، قوله (ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) : ما لهم من ملجأ .

وقوله (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : فما أعطيتم أيها الناس من شىء من رياش الدنيا ، من المال والبنين ، فمتاع الحياة الدنيا ، يقول تعالى ذكره : فهو متاع لكم تتمتعون به فى الحياة الدنيا ، وليس من دار الآخرة ، ولا مما ينفعكم فى معادكم . (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) يقول تعالى ذكره : والذى عند الله لأهل طاعته والإيمان به فى الآخرة ، خير مما أوتيتموه فى الدنيا من متاعها وأبقى ، لأن ما أوتيتم فى الدنيا فانٍ نافد ، وما عند الله من النعيم فى جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافد (لِلَّذِينَ آمَنُوا) : يقول : وما عند الله للذين آمنوا به ، (وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ) فى أمورهم ، وإليه يقومون فى أسبابهم ، وبه يثقون ، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)

* يقول تعالى ذكره : وما عند الله للذين آمنوا (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ) ، وكبائر فواحش الإثم ، قد بيَّنا اختلاف أهل التأويل فيها ، وبيَّنا الصواب من القول عندنا فيها فى سورة النساء ، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا . (وَالفَوَاحِشَ) قيل : إنها الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالفَوَاحِشَ) قال : الفواحش : الزنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (كَبَائِرَ الإِثْمِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة على الجماع كذلك فى النجم ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (كَبِيرَ الإِثْمِ) على التوحيد فيهما جميعا ؛ وكأن من قرأ ذلك كذلك ، عنى بكبير الإثم : الشرك كما كان الفرّاء يقول : كأنى أستحب لمن قرأ كبائر الإثم أن يخفض الفواحش ، لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذ كانت جمعا ؛ وقال : ما سمعت أحدا من القرّاء خفض الفواحش .

* والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، على تقارب معنييهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) : يقول تعالى ذكره : وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرْما ، هم يغفرون لمن أجرم إليهم الجرمَ ذنبَه ، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه .

وقوله (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وأقامُوا الصَّلاةَ) يقول تعالى ذكره : والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده ، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه (وأقامُوا الصَّلاةَ) المفروضة بحدودها فى أوقاتها (وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) يقول : وإذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم ، (ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول : ومن الأموال التى رزقناهم ينفقون فى سبيل الله ، ويؤدّون مافرض عليهم من الحقوق لأهلها ، من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته . وكان ابن زيد يقول : عُنِى بقوله (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) . . . الآية الأنصار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَوَاحِشَ وَإذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال : فبدأ بهم (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) : الأنصار (وأقامُوا الصَّلاةَ)وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم(وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) ، ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ، إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا بغى عليهم باغ ، واعتدى عليهم هم ينتصرون .

ثم اختلف أهل التأويل فى الباغى الذى حمد تعالى ذكره ، المنتصر منه بعد بغيه عليه ، فقال بعضهم : هو المشرك إذا بغى على المسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب قال : قال ابن زيد : ذكر المهاجرين صنفين ، صنفا عفا ، وصنفا انتصر ، وقرأ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَوَاحِشَ وَإذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال : فبدأ بهم (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) . . . إلى قوله (ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) وهم الأنصار . ثم ذكر الصنف الثالث ، فقال (وَالَّذِينَ إذَا أصابَهُمُ البَغْىُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) من المشركين. وقال آخرون : بل هو كلّ باغ بغى فحمد المنتصر منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَالَّذِينَ إذَا أصابَهُمُ البَغْىُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) قال : ينتصرون ممن بغى عليهم ، من غير أن يعتدوا .

وهذا القول الثانى أولى فى ذلك بالصواب ، لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه .

فإن قال قائل : وما فى الانتصار من المدح ؟ قيل : إن فى إقامة الظالم على سبيل الحقّ ،وعقوبته بما هو هو له أهل تقويما له، وفى ذلك أعظم المدح .

وقوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) وقد بيّنّا فيما مضى معنى ذلك ، وأن معناه : وجزاء سيئة المسىء عقوبته بما أوجبه الله عليه ، فهى وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه ، فهى مَساءة له . والسيئة : إنما هى الفعلة من السُّوء، وذلك نظير قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها) . وقد قيل : إن معنى ذلك : أن يجاب القائل الكلمة القَزِعة بمثلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : قال لى أبو بشر : سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال : يقول أخزاه الله ، فيقول : أخزاه الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال : إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها ، من غير أن تعتدى .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) من المشركين (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ) . . . الآية، ليس أمرَكم أن تعفوا عنهم ، لأنه أحبهم(وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ)، ثم نسخ هذا كله،وأمره بالجهاد، فعلى قول ابن زيد، هذا تأويل الكلام : وجزاء سيئة من المشركين إليكم ، سيئة مثلها منكم إليهم ، وإن عفوتم وأصلحتم فى العفو ، فأجركم فى عفوكم عنهم إلى الله ، إنه لايحبّ الكافرين ، وهذا على قوله ، كقول الله عزّ وجلّ (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ) ، وللذى قال من ذلك وجه . غير أن الصواب عندنا : أن تحمل الآية على الظاهر ، ما لم ينقله إلى الباطن ما يجب التسليم له ، وأن لايحكم لحكم فى آية بالنسخ إلا بخبر يقطع العذر ، أو حجة يجب التسليم لها ، ولم تثبت حجة فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) أنه مرادبه المشركون دون المسلمين ،ولا بأن هذه الآية منسوخة ،فنسلم لها بأن ذلك كذلك .

وقوله (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه ، فغفرها له ، ولم يعاقبه بها ، وهو على عقوبته عليها قادر ، ابتغاء وجه الله ، فأجر عفوه ذلك على الله ، والله مثيبه عليه ثوابه (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) يقول : إن الله لايحبّ أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس ، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَـٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)

يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه(فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) : يقول : فأولئك المنتصرون منهم لاسبيل للمنتصَر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحقّ ، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ، ولم يتعدّ ، لم يظلم ، فيكون عليه سبيل .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بذلك، فقال بعضهم : عُنِى به كلّ منتصر ممن أساء إليه ، مسلما كان المسىء أو كافرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، قال : كنت أسأل عن الانتصار (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) . . . الآية ، فحدثنى علىّ بن زيد بن جُدْعان، عن أمّ محمد امرأة أبيه ، قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أمّ المؤمنين، قالت : قالت أمّ المؤمنين : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندنا زينب بنت جَحْش، فجعل يصنع بيده شيئا، ولم يفطُنْ لها، فقلت بيده حتى فطّنته لها ، فأمسك ، وأقبلت زينب تقَحّم لعائشة[1] ، فنهاها، فأبت أن تنتهى ، فقال لعائشة : سُبّيها، فسبّتها وغلبتها ، وانطلقت زينب فأتت عليا، فقالت: إن عائشة تقع بكم، وتفعل بكم ، فجاءت فاطمة ، فقال لها: إنها حِبّة أبيك وربّ الكعبة ، فانصرفت وقالت لعلىّ : إنى قلت له كذا وكذا ، فقال كذا وكذا ؛ قال : وجاء علىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فكلّمه فى ذلك .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) . . . الآية ، قال : هذا فى الخَمْش[2] يكون بين الناس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ، فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) قال:هذا فيما يكون بين الناس من القِصاص ، فأما لو ظلمك رجل لم يحلّ لك أن تظلمه .

وقال آخرون : بل عُنِى به الانتصار من أهل الشرك ، وقال : هذا منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ماعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ)قال: لَمَنِ انتصر بعد ظلمه من المؤمنين،انتصر من المشركين ، وهذا قد نسخ ، وليس هذا فى أهل الإسلام ، ولكن فى أهل الإسلام الذى قال الله تبارك وتعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) .

---

(١) فى النهاية لابن الأثير فى حديث عائشة : أقبلت زينب تقحم لها ، أى تتعرض لشتمها ، وتدخل عليها فيه ؛ كأنها أقبلت تشتمها من غير روية ولا تثبت .

(٢) المقصود بالخمش : ما كان دون القتل والدية من قطع أو جدع أو جرح أو ضرب أو نهب ونحو ذلك . من أنواع الأذى التى لاقصاص فيها (انظر النهاية لابن الأثير) .

❊ والصواب من القول أن يقال: إنه معنيّ به كلّ منتصر من ظالمه، وأن الآية محكمة غير منسوخة، للعلة التي بينت في الآية قبلها.

وقوله (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلما وعدوانا، بأن يعاقبوهم بظلمهم، لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه.

وقوله (وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحدّ الذي أباح لهم ربهم، إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحقّ (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحقّ، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (٤٣) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤)

❊ يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر، ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور، التي ندب إليها[1] عباده، وعزم عليهم العمل به، (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من وليّ يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدّده من بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: (هَلْ) لنا يا ربّ (إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ؟) وذلك كقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) ... الآية، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله (هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) يقول: إلى الدنيا.

واختلف أهل العربية في وجه دخول إنّ في قوله (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) مع دخول اللام في قوله (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ)، فكان نحويّ أهل البصرة يقول في ذلك: أما اللام التي في قوله (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ) فلام الابتداء، وأما (إن ذلك) فعناه والله أعلم: إن ذلك منه من عزم الأمور، وقال: قد تقول: مررت بالدار الذراعُ بدرهم: أي الذراع منها بدرهم، ومررت ببرّ قفيزٌ بدرهم، أي قفيز منه بدرهم.

(١) كذا في الأصول. ولعل فيه تحريفا من الناسخ، وأصل العبارة: الذي ندب إليه، بدليل ما بعده.

قال : وأما ابتداء « إن» فى هذا الموضع ، فمثل (: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ) يجوز ابتداء الكلام ، وهذا إذا طال الكلام فى هذا الموضع .

وكان بعضهم يستخطئ هذا القول ، ويقول : إن العرب إذا أدخلت اللام فى أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان ، بما ، ولا ، وإنّ ، واللام ؛ قال : وهذا من ذاك ، كما قال : (لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَيَخْرُجُونَ مَعَهُمْ) (وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَيَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَيُنْصَرُونَ) فجاء بلا وباللام جوابا للام الأولى . قال : ولو قال : لئن قمت إنى لقائم ، لجاز ، ولا حاجة به إلى العائد ، لأن الجواب فى اليمين قد يكون فيه العائد ، وقد لايكون ؛ ألا ترى أنك تقول : لئن قمت لأقومنّ ، ولا أقوم ، وإنى لقائم ، فلا تأتى بعائد . قال : وأما قولهم : مررت بدار الذراعُ بدرهم ، وببرّ قفيزٌ بدرهم ، فلا بدّ من أن يتصل بالأوّل بالعائد ، وإنما يحذف العائد فيه ، لأن الثانى تبعيض للأوّل ، مررت ببرّ بعضه بدرهم ، وبعضه بدرهم ؛ فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد . قال : وأما ابتداء « إنّ » فى كل موضع إذا طال الكلام ، فلا يجوز أن تبتدئ إنّ بمعنى : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ) ، فإنه جواب للجزاء ، كأنه قال : مافررتم منه من الموت ، فهو ملاقيكم .

وهذا القول الثانى عندى أولى فى ذلك بالصواب ، للعلل التى ذكرناها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥)

❊ يقول تعالى ذكره : وترى يامحمد الظالمين يعرضون على النار (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) يقول : خاضعين متذللين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الخشوع : الخوف والخشية لله عز وجلّ ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) . . . إلى قوله (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) قال : قد أذلهم الخوف الذى نزل بهم ، وخشعوا له .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (خَاشِعِينَ) قال : خاضعين من الذلّ .

وقوله (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) يقول : ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يُعْرَضون عليها من طَرْف خفىّ .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) فقال بعضهم : معناه : من طَرْف ذليل . وكأن معنى الكلام : من طرف قد خفِى من ذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) . . . إلى قوله (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) يعنى بالخفىّ : الذليل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله عزّ وجلّ (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال ذليل.

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال : يسارقون النظر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال : يسارقون النظر .

واختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعض نحويى البصرة فى ذلك : جعل الطَّرْف العين ، كأنه قال : ونظرهم من عين ضعيفة ، والله أعلم . قال : وقال يونس : إنّ (مِنْ طَرْف) مثل بطرف ، كما تقول العرب : ضربته فى السيف ، وضربته بالسيف .

وقال آخر منهم : إنما قيل (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) لأنه لايفتح عينيه ، إنما ينظر ببعضها .

وقال آخرون منهم : إنما قيل : (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) لأنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم ، لأنهم يُحشرُون عُميا .

والصواب من القول فى ذلك : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد ، وهو أن معناه : أنهم ينظرون إلى النار من طَرْف ذليل ، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء ، للذلة التى قد ركبتهم ، حتى كادت أعينهم أن تغور ، فتذهب .

وقوله (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : وقال الذين آمنوا بالله ورسوله : إن المغبونين الذين غُبِنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة فى الجنة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : غُبِنوا أنفسهم وأهليهم فى الجنة .

وقوله (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الكافرين يوم القيامة فى عذاب لهم من الله مُقيمٍ عليهم ، ثابت لايزول عنهم ، ولا يَبيد ، ولا يَخِفّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ، وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦) ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ ، مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ ، وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذّبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ، ولا ينتصرون لهم من ربهم ، على ما نالهم به من العذاب من دون الله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) ، يقول : ومن يخذله عن طريق الحقّ فما له من طريق إلى الوصول إليه ، لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه .

وقوله (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره للكافرين به : أجيبوا أيها الناس داعيَ الله وآمنوا به ، واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم ، (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ) : يقول : لاشيء يردّ مجيئه إذا جاء الله به ، وذلك يوم القيامة (ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ) يقول جلّ ثناؤه : مالكم أيها الناس من مَعْقِل تحترزون فيه ، وتلجئون إليه ، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله ، على كفركم به كان في الدنيا (وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) يقول : ولا أنتم تقدرون لما يحلّ بكم من عقابه يومئذ على تغييره ، ولا على انتصار منه ، إذا عاقبكم بما عاقبكم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ) قال : من مَحْرَز . وقوله (مِنْ نَكِيرٍ) قال : ناصر ينصركم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ) تلجئون إليه (وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) يقول : من عزّ تعتزّون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ، وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد ، عما أتيتهم به من الحقّ ، ودعوتهم إليه من

الرشد ، فلم يستجيبوا لك ، وأبوْا قبوله منك ، فدعهم ، فإنا لن نرسلك إليهم رقيبا عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها (إنْ عَلَيْكَ إلاَّ البَلاغُ) يقول : ماعليك يامحمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة ، فإذا بلغتهم ذلك ، فقد قضيت ماعليك (وَإنَّا إذَا أذَقْنا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها) يقول تعالى ذكره : فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعَة ، وذلك هوالرحمة التى ذكرها جلّ ثناؤه ، فرح بها : يقول : سرّ بما أعطيناه من الغنَى ورزقناه من السَّعة وكثرة المال ، (وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش (بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ) يقول : بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه ، جحد نعمة الله، وأيس من الخير (فإنَّ الإنْسانَ كَفُورٌ) يقول تعالى ذكره : فإن الإنسان جحود نعم ربه ، يعدّد المصائب ، ويجحد النعم . وإنما قال : (وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) فأخرج الهاء والميم مَخرج كناية جمع الذكور ، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد ، لأنه بمعنى الجمع .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : لله سلطان السموات السبع والأرضين ، يفعل فى سلطانه ما يشاء ، ويخلق ما يحبّ خلقه ، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناثَ دون الذكور ، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) يقول : ويهب لمن يشاء منهم الذكور ، بأن يجعل كلّ حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا)قال : يخلط بينهم يقول : التزويج : أن تلد المرأة غلاما ، ثم تلد جارية ، ثم تلد غلاما ، ثم تلد جارية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) قادر والله ربنا على ذلك ، أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى ، وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا ، فيجمعهم له جميعا ، (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما) لايولد له .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قول الله عزّ وجلّ (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) ليست معهم إناث (أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا) قال : يهب لهم إناثا وذكرانا ، ويجعل من يشاء عقيما لايُولَد له .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما) يقول : لايُلْقِح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما) لايلد واحدا ولا اثنين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) ليس فيهم أنثى (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا) تلد المرأة ذكرا مرّة وأنثى مرّة (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما) لايُولد له .

وقال ابن زيد فى معنى قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا) قال : أو يجعل فى الواحد ذكرا وأنثى توءما ، هذا قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا) .

وقوله (إنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما يخلق ، وقُدرة على خلق ما يشاء لايعزب عنه علم شىء من خلقه ، ولا يُعْجِزه شىء أراد خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)

* يقول تعالى ذكره : وما ينبغى لبشر من بنى آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يُوحِى الله إليه كيف شاء ، أو إلهاما (١) ، وإما غيره (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) يقول : أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه ، كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) يقول : أو يرسل الله من ملائكته رسولا ، إما جبرائيل ، وإما غيره (فَيُوحِيَ بِإذْنِهِ ما يَشاءُ) يقول : فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء ، يعنى : ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهى ، وغير ذلك من الرسالة والوحى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّىّ ، فى قوله عزّ وجلّ (وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْيا) يوحى إليه (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) موسى كلمه الله من وراء حجاب ، (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإذْنِهِ ما يَشاءُ) قال : جبرائيل يأتى بالوحى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) فيوحِيَ ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَيُوحِيَ) بنصب الياء ، عطفا على (يُرْسِلَ) ، ونصبوا (يُرْسِلَ) عطفا بها على موضع الوحى ، ومعناه ، لأن معناه : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحىَ إليه ، أو يرسلَ إليه رسولا ، فيوحىَ بإذنه ما يشاء . وقرأ ذلك نافع المدنى (فيُوحِي) بإرسال الياء ، بمعنى الرفع ، عطفا به على (يُرْسِلُ) ، وبرفع (يُرْسِلُ) على الابتداء .

---

(١) كذا فى الخط ، ولعله إما إلقاء أو إلهاما الخ .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إنه يعنى نفسه جل ثناؤه : ذو علوّ على كل شيء وارتفاع عليه ، واقتدار . حكيم : يقول : ذوحكمة فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) وكما كنا نوحى فى سائر رسلنا ، كذلك أوحينا إليك يامحمد هذا القرآن ، روحا من أمرنا : يقول : وحيا ورحمة من أمرنا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرُّوح فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِى به الرحمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله (رُوحا مِنْ أمْرِنا) قال : رحمة من أمرنا .

وقال آخرون : معناه : وحيا من أمرنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وكَذَلِكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحا مِنْ أمْرِنا) قال : وحيا من أمرنا .

وقد بيَّنا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (مَا كُنْتَ تَدْرِى ما الكِتابُ وَلا الإيمَانُ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما كنت تدرى يامحمد أىّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما (وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُورًا) يقول : ولكن جعلنا هذا القرآن ، وهو الكتاب نورا ، يعنى ضياء للناس ، يستضيئون بضوئه الذى بين الله فيه ، وهو بيانه الذى بين فيه ، مما لهم فيه فى العمل به الرشاد ، ومن النار النجاة (نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا) يقول : نهدى بهذا القرآن ، فالهاء فى قوله به من ذكر الكتاب .

ويعنى بقوله (نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ) : نسدّد إلى سبيل الصواب ، وذلك الإيمان بالله (مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا) يقول : نهدى به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ما كُنْتَ تَدْرِى ما الكِتابُ وَلا الإيمانُ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا)

يعنى بالقرآن . وقال جلّ ثناؤه (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) فوحد الهاء ، وقد ذكر قبل الكتاب والإيمان ، لأنه قصد به الخبر عن الكتاب . وقال بعضهم : عنى به الإيمان والكتاب ، ولكن وحد الهاء ، لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل ، كما يقال : إقبالك وإدبارك يعجبنى ، فيوحد وهما اثنان .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يامحمد لتهدى إلى صراط مستقيم عبادنا ، بالدعاء إلى الله ، والبيان لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال تبارك وتعالى (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) داع يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : لكل قوم هاد .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : تدعو إلى دين مستقيم ، (صِرَاطِ اللهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) يقول جلّ ثناؤه : وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، وهو الإسلام ، طريق الله الذى دعا إليه عباده ، الذى له مُلك جميع ما فى السموات وما فى الأرض ، لاشريك له فى ذلك . والصراط الثانى : ترجمة عن الصراط الأوّل .

وقوله جلّ ثناؤه (أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) يقول جلّ ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم فى الآخرة ، فيقضى بينكم بالعدل .

فإن قال قائل : أو ليست أمورهم فى الدنيا إليه ؟ قيل : هى وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكاما ووُلاة ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك ، وإن كانت الأمور كلها إليه ، وبيده قضاؤها وتدبيرها فى كل حال .

آخر تفسير سورة حمٓ عسٓقٓ

تفسير سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)

قد بيّنّا فيما مضى قوله (حمٓ) بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) قسَم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) لمن تدبّره وفكّر فى عبره وعظاته ، هداه ورشده وأدلته على حقّيته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، لااختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا افتراء من أحد (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول : إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب ، إذْ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صلى الله

عليه وسلم عربا (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ ، ولم ينزله بلسان العجم ، فيجعله أعجميا ، فتقولوا : نحن عرب ، وهذا كلام أعجمىّ لانفقه معانيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حم . والكِتابِ المُبِينِ) هو هذا الكتاب المبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حم . والكِتابِ المُبِينِ) مبين والله بركته ، وهداه ورشده .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ فِيٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذى منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلىّ : يقول : لذو علوّ ورفعة ، حكيم : قد أحكمت آياته ، ثم فصلت ، فهو ذو حكمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن هشام الدَّسْتَوائى ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، قال : ثنا عُروة ابن عامر ، أنه سمع ابن عباس يقول : أوّل ماخلق الله القلم ، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق ، قال : والكتاب عنده ، قال : (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن عطية بن سعد ، فى قول الله تبارك وتعالى : (وإِنَّهُ فى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) يعنى القرآن فى أمّ الكتاب الذى عند الله منه نسخ .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت مالكا يروى عن عمران ، عن عكرمة (وإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا) قال : أمّ الكتاب القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا) قال : أمّ الكتاب : أصل الكتاب وجملته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ) : أى جملة الكتاب أى أصل الكتاب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ) يقول : فى الكتاب الذى عند الله فى الأصل .

وقوله (لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) وقد ذكرنا معناه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) يخبر عن منزلته وفضله وشرفه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه: أفنَضْرِبُ عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون ، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجل (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : تكذّبون بالقرآن، ثم لاتعاقَبون عليه .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : بالعذاب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : أفنضرب عنكم العذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ) يقول : أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أُمرتم به .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ، ولا نذكّركم به ، لأن كنتم قوما مسرفين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا أنْ كُنْتُمْ قَوْما مُسْرِفِينَ) : أى مشركين ، والله لو كان هذا القرآن رُفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا ، فدعاهم إليه عشرين سنة ، أو ماشاء الله من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : لوأن هذه الأمة لم يؤمنوا ، لضرب عنهم الذكر صفحا ، قال : الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا ، لايذكر لكم منه شيئا .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : تأويل من تأوّله : أفنضربَ عنكم العذابَ فنترككم ونعرضَ عنكم ، لأن كنتم قوما مسرفين ، لاتؤمنون بربكم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها ، وما أحلّ بها من نقمته ، ففي ذلك دليل على أن قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك ، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر الألف من « إن » بمعنى : أفنضرب عنكم الذكر صفحا إذ كنتم قوما مسرفين . وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والكوفة وعامة قرّاء البصرة « أن » بفتح الألف من « أن » ، بمعنى : لأن كنتم .

واختلف أهل العربية في وجه فتح الألف من أَنْ في هذا الموضع ، فقال بعض نحويّي البصرة : فُتِحت لأن معنى الكلام : لأن كنتم . وقال بعض نحويّي الكوفة : من فتحها فكأنه أراد شيئا ماضيا ، فقال : وأنت تقول في الكلام : أتيت أَنْ حَرَمْتَنِي ، تريد : إذ حرمتني ، وبكسر إذا أردت : أتيت إن تَحْرِمْنِي . ومثله : (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ) و (إِنْ صَدُّوكُمْ) بكسر ، وبفتح . وقوله (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) . قال : والعرب تنشد قول الفرزدق :

أَتَجْزَعُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَارًا وَلَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابْنِ حَازِمِ [1]

قال : وينشد :

أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَ الخَلِيطُ المُوَدِّعُ وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عَزَّةَ المُتَقَطِّعُ [2]

قال : وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه ، من الكسر والفتح .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن العرب إذا تقدم « أن » وهي بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحيانا ، فمحضوا لها الجزاء ، فقالوا : أقوم إن قمت ، وفتحوها أحيانا ،

---

(١) البيت من شواهد النحويين ومن شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٤) قال عند قوله تعالى في سورة الزخرف : « أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم » : قرأ الأعمش : « إن كنتم » بالكسر . وقرأ عاصم والحسن « أن كنتم » بفتح أن ، كأنهم أرادوا شيئا ماضيا ، وأنت تقول في الكلام : أأسبك أن حرمتني ، وتكسر إذا أردت : أأسبك إن تحرمني ؟ ومثله : « لا يجرمنكم شنآن قوم إن صدوكم » تكسر إن وتفتح ، ومثله « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا » . والعرب تنشد قول الفرزدق : « أتجزع إن أذنا قتيبة . . . . . البيت » . بالفتح والكسر . ورواية البيت في شرح شواهد المغني للسيوطي : « أتغضب » في مكان « أتجزع » قال : وضمير تغضب راجع إلى قيس . والحز : القطع . وابن خازم : عبد الله بن خازم ، بمعجمتين ، كما ضبطه الدارقطني وغيره ، أمير خراسان ، وليها سنتين ، ثم ثار به أهل خراسان ، فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى عبد الملك بن مروان . وقتيبة بن مسلم الباهلي ، من أكبر قواد المسلمين ، وفاتحي بلاد الشرق ، وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى . وقتل سنة سبع وتسعين ، رحمه الله . والظاهر أن قول المؤلف « أتيت أن حرمتني » . فيه تصحيف من الناسخ لقول الفراء في معاني القرآن « أأسبك حرمتني » .

(٢) البيت لكثير عزة ، وهو من شواهد الفراء ، أورده بعد الشاهد السابق ، قال : أنشدوني « أتجزع أن بان . . . . البيت . ثم قال : وفي كل واحد من البيتين ، ما في صاحبه من الفتح والكسر .

وهم ينوون ذلك المعنى . فقالوا : أقوم أن قمت بتأويل ، لأن قمت ، فإذا كان الذى تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلّموا إلا بفتح الألف من « أن » فقالوا : قمت أن قمت ، وبذلك جاء التنزيل ، وتتابع شعر الشعراء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٧)

ﷺ يقول تعالى ذكره : وكم أرسلنا من نبيّ يامحمد فى القرون الأوّلين ، الذين مضوا قبل قرنك الذى بعثت فيه ، كما أرسلناك فى قومك من قريش(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)يقول : وما كان يأتى قرنا من أولئك القرون ، وأمة من أولئك الأمم الأوّلين لنا من نبيّ يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق ، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذى أرسله إليهم ، يستهزئون سخرية منهم بهم ، كاستهزاء قومك بك يامحمد : يقول : فلا يعظُمَنّ عليك ما يفعل بك قومك ، ولا يشقّنّ عليك ، فإنهم إنما سلكوا فى استهزائهم بك مَسْلك أسلافهم ، ومِنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨)

ﷺ يقول تعالى ذكره : فأهلكنا أشدّ من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا إذا بطشوا ، فلم يُعجزونا بقواهم وشدّة بطشهم ، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم ، فالذين هم أضعف منهم قوّة ، أحرى أن لايقدروا على الامتناع من نِقَمنا إذا حلّت بهم (وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ) يقول جلّ ثناؤه : ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم، مثَلُنا الذى مثّلناه لهم فى أمثالهم من مكذّبى رسلنا الذين أهلكناهم ، يقول: فليتوقّع هؤلاء الذين يستهزئون بك يامحمد من عقوبتنا ، مثل الذى أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ) قال : عقوبة الأوّلين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَثَلُ الأَوَّلِينَ) قال : سُنّتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين من قومك : من خلق السموات السبع والأرضين ، فأحدثهن وأنشأهن ؟ ليقولُنّ : خلقهن العزيز فى سلطانه وانتقامه من أعدائه ، العليم بهن ، وما فيهن من الأشياء ، لايخفى عليه شىء . (الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا) يقول : الذى مهّد لكم الأرض ، فجعلها لكم وطاء تطئونها بأقدامكم ، وتمشون عليها بأرجلكم (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) يقول : وسهّل لكم فيها طرقا تتطرّقونها من بلدة إلى بلدة ، لمعايشكم ومتاجركم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) أى طرقا.

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مِهادًا) قال : بساطا (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا) قال : الطرق (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) يقول : لكى تهتدوا بتلك السبل إلى حيث أردتم من البلدان والقرى والأمصار ، لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم ، ولكنها نعمة أنعم بها عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ) يعنى : مانزّل جلّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر : يقول : بمقدار حاجتكم إليه ، فلم يجعله كالطوفان ، فيكون عذابا كالذى أنزل على قوم نوح ، ولا جعله قليلا ، لاينبت به النبات والزرع من قلّته ، ولكنه جعله غيثا مغيثا ، وحيا للأرض الميتة محييا (فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) يقول جلّ ثناؤه : فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا ، يعنى مجدبة ، لانبات بها ولا زرع ، قد درست من الجدوب ، وتعفّت من القحوط (كَذلِكَ تُخْرَجُونَ) يقول تعالى ذكره : كما أخرجنا بهذا الماء الذى نزّلناه من السماء ، من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها ، النباتَ والزرع ، كذلك أيها الناس تُخرَجون من بعد فنائكم ومصيركم فى الأرض رُفاتاً ، بالماء الذى أنزله إليها ، لإحيائكم من بعد مماتكم ، منها أحياء كهيئتكم التى كنتم بها قبل مماتكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) . . . الآية، كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء، كذلك تبعثون يوم القيامة ؛ وقيل : أنشرنا به ، لأن معناه : أحيينا به ، ولو وصفت الأرض بأنها أحييت ، قيل : نَشَرَتَ الأرض ، كما قال الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يا عَجَبَا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ [1]

وقوله (وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا) يقول تعالى ذكره: والذي خلق كلّ شيء فزوّجه ، أي[2] خلق الذكور من الإناث أزواجا ، والإناث من الذكور أزواجا (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ) وهي السفن (والأنْعامِ) وهي البهائم (ما تَرْكَبُونَ) يقول : جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار ، إلى حيث قصدتم واعتمدتم في سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم ، ومن الأنعام ما تركبونه في البرّ ، إلى حيث أردتم من البُلْدان ، كالإبل والخيل والبغال والحمير .

القول في تأويل قوله تعالى

لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)

❁ يقول تعالى ذكره : كي تستووا على ظهور ما تركبون .

واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله (على ظُهُورِهِ) وتذكيرها ، فقال بعض نحويّي البصرة : تذكيره يعود على ما تركبون ، وما هو مذكر ، كما يقال : عندي من النساء من يوافقك ويسرّك ، وقد تذكَّر الأنعام وتؤنث . وقد قال في موضع آخر : (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) وقال في موضع آخر : (بُطُونِهَا) . وقال بعض نحويّي الكوفة : أضيفت الظهور إلى الواحد، لأن ذلك الواحد في معنى جمع ، بمنزلة الجند والجيش . قال : فإن قيل : فهلا قلت : لتستووا على ظهره ، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد . قلت : إن الواحد فيه معنى الجمع ، فرددت الظهور إلى المعنى ، ولم يقل ظهره ، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد . وكذلك تقول : قد كثُر نساء الجند وقلّت ، ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه. قال : وكذلك كلّ ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة ، فأخرجها على الجمع ، وإذا أضفت إليه اسما في معنى فعل ، جاز جمعه وتوحيده ، مثل قولك : رفع العسكر صوته ، وأصواته : أجود ، وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين ، إلا الصورة في الواحد .

وقال آخر منهم : قيل : لِتَسْتَوُوا على ظهوره ، لأنه وصف للفلك ، ولكنه وحد الهاء ، لأن الفلك

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس ، من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل ، في المنافرة التي جرت بينهما (ديوانه ١٣٩) وعلقمة بن علاثة صحابي ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ ، فأسلم وبايع . والبيت : من شواهد (أبي عبيدة في مجاز القرآن ، الورقة ٢٢٠ – ١) عند قوله تعالى في سورة الزخرف : « فأنشرنا به بلدة ميتا » قال : أحيينا . ونشرت الأرض : حييت ، قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » وفي (اللسان : نشر) : ونشر الله الميت ينشره نشرا ونشورا . وأنشره : أحياه فنشر هو ، قال الأعشى : « حتى يقول الناس . . . . البيت » اهـ.

(٢) في الأصل : أن . ولعله من تحريف الناسخ .

بتأويل جمع ، فجمع الظهور ووحد الهاء ، لأن أفعالَ كل واحد تأويلُه الجمع تُوَحَّد وتُجْمَع ، مثل الجند منهزم ومنهزمون ، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لاغير ، فقلت : الجند رجال ، فلذلك جمعت الظهور ، ووحدت الهاء ، ولو كان مثل الصوت وأشباهه ، جاز الجند رافع صوته وأصواته .

قوله (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره : ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكبَ في البرّ والبحر (إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) فتعظموه وتمجدوه ، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفُلْك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام ، (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وعبيد بن إسماعيل الهَبَّاريّ، قالا : ثنا المحاربيّ ، عن عاصم الأحول، عن أبي هاشم عن أبي مجلز ، قال : ركبت دابة، فقلت: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)، فسمعني رجل من أهل البيت ؛ قال أبو كُرَيب والهباريّ ، قال المحاربيّ : فسمعت سفيان يقول : هو الحسن بن عليّ رضوان الله تعالى عليهما، فقال: أهكذا أُمِرت ؟ قال : قلت : كيف أقول ؟ قال : تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي منّ علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أُخرجت للناس ، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما ، ثم تقول بعد ذلك (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، أن الحسن بن عليّ رضي الله عنه ، رأى رجلا ركب دابة ، فقال : الحمد لله الذي سخّر لنا هذا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك، تقولون (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وإذا ركبتم الإبل قلتم : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)ويعلمكم ماتقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعا تقولون : اللهمّ أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه أنه كان إذا ركب قال : اللهمّ هذا من منك وفضلك ، ثم يقول (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

وقوله (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)وما كنا له مُطيقين ولا ضابطين ،من قولهم: قد أقرنت لهذا : إذا صرت له قِرْنا وأطقته ، وفلان مُقْرِن لفلان : أي ضابط له مُطيق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) يقول : مُطيقين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عزّ وجلّ (مُقْرِنِينَ) قال : الإبل والخيل والبغال والحمير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) : أي مطيقين ، لا والله لا في الأيدي ، ولا في القوّة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) قال : في القوّة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) قال : مطيقين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) قال : لسنا له مطيقين ، قال : لانطيقها إلا بك ، لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها .

وقوله (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وليقولوا أيضا : وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)

❊ يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا ، وذلك قولهم للملائكة : هم بنات الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) قال : ولدا وبنات من الملائكة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) قال : البنات .

وقال آخرون : عَنى بالجزء هاهنا : العِدْل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) : أي عِدلا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) : أي عِدلا .

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ) توبيخا لهم على قولهم ذلك ، فكان معلوما أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلّ ثناؤه .

وقوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لذو جَحْد لنِعم ربه التي أنعمها عليه . (مبين) : يقول : يبين كفرانه نعمه عليه لمن تأمله بفكر قلبه ، وتدبر حاله .

وقوله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) يقول جلّ ثناؤه مُوَبِّخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته : أتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات ، وأنتم لاترضونه لأنفسكم ؟ وأصفاكم بالبنين : يقولُ : وأخلصكم بالبنين ، فجعلهم لكم؟(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره : وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءا بما ضرب للرحمن مثلا : يقول : بما مثل لله ، فشبهه شبها ، وذلك ما وصفه به من أن له بنات .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) قال : ولدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) بما جعل لله .

وقوله (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) يقول تعالى ذكره : ظلّ وجه هذا الذي بشّر بما ضَرَب للرحمن مثلا من البنات ، مسوداً من سوء ما بُشّر به (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : وهو حزين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ كَظِيمٌ) : أي حزين .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ؟ (١٨)

❊ يقول تعالى ذكره : أو من ينبت في الحلية ويزين بها (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ) يقول : وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين ، ومن خصمه ببرهان وحجة ، لعجزه وضعفه ، جعلتموه جزء الله من خلقه ، وزعمتم أنه نصيبه منهم . وفي الكلام متروك استغني بدلالة ماذكر منه ، وهو ما ذكرت .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله(أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك الجوارى والنساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ،قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : يعنى المرأة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ،قال : ثنا سفيان ، عن علقمة ، عن مَرْثَد ، عن مجاهد ، قال : رُخِّص للنساء فى الحرير والذهب ، وقرأ (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : يعنى المرأة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : الجوارى ، جعلتموهنّ للرحمن ولدا ، كيف تحكمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : الجوارى ، يسفّهُهُنّ بذلك ، غير مبين بضعفهنّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ،عن قتادة (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ) يقول : جعلوا له البنات وهم إذا بشّر أحدهم بهنّ ،ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم . قال: وأما قوله (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) يقول : قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها ، إلا تكلمت بالحجة عليها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : النساء .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ) . . . الآية ، قال : هذه تماثيلهم التى يضربونها من فضة وذهب يعبدونها ، هم الذين أنشئوها ، ضربوها من تلك الحلية ، ثم عبدوها (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال : لا يتكلم ، وقرأ (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ).

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال: عُنِى بذلك الجوارى والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ، وقلّة معرفتهم بحقه ، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل ، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم ، والمنعم عليهم النعم التى عددها فى أوّل هذه السورة، ما لا يرضونه لأنفسهم ؛ فإتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له، أشبه وأولى من إتباعه ما لم يجر له ذكر .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض

المكيين والكوفيين (أَوَمَنْ يَنْشَأُ) بفتح الياء والتخفيف من نشأ ينشأ . وقرأته عامة قُرّاء الكوفة (يُنَشَّأُ) بضم الياء وتشديد الشين ، من نُشِّئَ فهو يُنَشَّأُ .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَةِ الأمصار ، متقاربتا المعنى ، لأن المنشَّأَ من الإنشاء ناشئٌ ، والناشئُ مُنَشَّأٌ ، فبأيّهما قرأ القارئُ فمصيب . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (أَوَمَنْ لا يُنَشَّأُ إلاّ فى الْحِلْيَةِ) ، وفى (مَنْ) وجوه من الإعراب : الرفع على الاستئناف ، والنصب على إضمار يجعلون ، كأنه قيل : أومن ينشأ فى الحلية يجعلون بنات الله ؟ وقد يجوز النصب فيه أيضا على الردّ على قوله : أم اتخذ مما يخلق بنات ، أو من ينشأ فى الحلية ، فيردّ مَنْ على البنات ، والخفض على الردّ على « ما » التى فى قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ، أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ؟ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ) بالنون ، فكأنهم تأوّلوا فى ذلك قول الله جلّ ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لايَسْتَكْبِرُونَ) . فتأويل الكلام على هذه القراءة : وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدّسونه إناثا ، فقالوا : هم بنات الله : جهلا منهم بحقّ الله ، وجُرْأَةً منهم على قيل الكذب والباطل . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة : (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمَنِ إناثا) بمعنى : جمع عَبْد . فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء : وجعلوا ملائكة الله الذين هم خَلْقه وعباده بناتِ الله ، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَةِ الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئُ فمصيب ، وذلك أن الملائكة عبادُ الله وعندَه .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) ؟ فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة : (أَأُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ) ؟ بضم الألف ، على وجه ما لم يسمّ فاعله ، بمعنى : أأَشْهَدَ الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله إناثا ، خَلْقَ ملائكته الذين هم عنده ، فعلموا ما هم ، وأنهم إناث ، فوصفوهم بذلك ، لعلمهم بهم ، وبرؤيتهم إياهم ، ثم رُدَّ ذلك إلى ما لَمْ يسمّ فاعله . وقُرِئَ بفتح الألف ، بمعنى : أَشَهِدوا هم ذلك فعلموه ؟

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئُ فمصيب .

وقوله (سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ستكتب شهادة هؤلاء القائلين : الملائكة بنات الله فى الدنيا ، بما شهدوا به عليهم ، ويُسئلون عن شهادتهم تلك فى الآخرة ، أن يأتوا ببرهان على حقيقتها ، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون من قريش : لوشاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التى نعبدها من دونه ، وإنما لم يُحِلَّ بنا عقوبة على عبادتنا إياها ، لرضاه منا بعبادتناها .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْ شاءَ الرَّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ) للأوثان ، يقول الله عزّ وجلّ (ما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ) يقول : ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم ، وإنما يقولونه تخرّصا وتكذّبا ، لأنهم لاخبر عندهم منى بذلك ولا برُهان . وإنما يقولونه ظنا وحسبانا . (إنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ) يقول : ما هم إلا متخرّصونَ هذا القولَ الذى قالوه ، وذلك قولهم (لوْ شاءَ الرَّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ) .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ، ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ) ، ما يعلمون قُدرة الله على ذلك .

وقوله (أمْ آتَيْناهُمْ كِتابا مِنْ قَبْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ما[1] آتينا هؤلاء المتخرّصين القائلين لوشاء الرحمن ما عبدنا الآلهة ، كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك ، من قبل هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يامحمد (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) : يقول : فهم بذلك الكتاب الذى جاءهم من عندى مِنْ قَبْلِ هذا القرآن ، مستمسكون يعملون به ، ويدينون بما فيه ، ويحتجون به عليك .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ما آتينا هؤلاء القائلين : لوشاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها ، كتابا من عندنا ، ولكنهم قالوا : وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها ، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها ؛ وعَنَى جلّ ثناؤه بقوله بَلْ[2] وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ : بل وجدنا آباءنا على دين وملة ، وذلك هو عبادتهم الأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) ما : ساقطة من المطبوعة .

(٢) التلاوة : بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (على أُمَّةٍ) : مِلَّة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) يقول : وجدنا آباءنا على دين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) قال : قد قال ذلك مشركو قريش : إنا وجدنا آباءنا على دين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) قال : على دين .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (على أُمَّةٍ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (على أُمَّةٍ) بضم الألف ، بالمعنى الذى وصفت ، من الدين والملة والسنة . وذُكِرَ عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه (على إِمَّةٍ) بكسر الألف . وقد اختُلف فى معناها إذا كُسرت ألفها ، فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كُسرت ، على أنها الطريقة ، وأنها مصدر من قول القائل : أممت القوم فأنا أؤمُّهم إمَّة . وذُكر عن العرب سماعا : ما أحسن عِمَّته وإِمَّته وجِلْسَته ، إذا كان مصدرا . ووجهه بعضهم إذا كُسرت ألفها إلى أنها الإمة التى بمعنى النعيم والمُلك ، كما قال عدىّ بن زيد :

ثُمَّ بَعْدَ الفَلاحِ وَالمُلْكِ والإِمَّـــــة وَارَتْهُمْ هُنَاكَ القُبُـــورُ[1]

وقال : أراد إمامة الملك ونعيمه . وقال بعضهم : (الأُمَّة بالضم ، والإِمَّة بالكسر بمعنى واحد) .

والصواب من القراءة فى ذلك ، الذى لا أستجيز غيره : الضمّ فى الألف ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه . وأما الذين كسروها فإنى لا أراهم قصدوا بكسرها إلا معنى الطريقة والمنهاج ، على ما ذكرناه قبلُ ، لا النعمة والملك ، لأنه لا وجه لأن يقال : إنا وجدنا آباءنا على نعمة ، ونحن لهم متبعون فى ذلك ، لأن الاتباع إنما يكون فى الملل والأديان وما أشبه ذلك ، لا فى الملك والنعمة ، لأن الاتباع فى الملك ، ليس بالأمر الذى يصل إليه كلّ من أراده .

وقوله (وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون ، يعنى : لهم متبعون على منهاجهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا على دينهم .

---

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى (اللسان : أمم) وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، عند قوله تعالى « إنا وجدنا آباءنا على أمة » (الورقة ٢٩٤) قال : قرأها القراء بضم الألف من « أمة » ، وكسرها مجاهد ، وعمر بن عبد العزيز . وكأن الإمة : الطريقة ، والمصدر من أممت القوم ؛ فإن العرب تقول : ما أحسن إمته وعمته وجلسته ، إذا كان مصدرا . والأمة أيضا : الملك والنعيم . قال عدى : « ثم بعد الفلاح . . . البيت » . فكأنه أراد إمامة الملك ونعيمه . اهـ . وفى اللسان : والأمة (بالضم) والكسر الدين . والأمة (بالكسر) لغة فى الأمة (بالضم) وهى الطريقة والدين . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا متبعوهم على ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش ، فعل مَنْ قبلهم من أهل الكفر بالله ، وقالوا مثل قولهم ، لم نرسل من قبلك يامحمد فى قرية ، يعنى إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا ، على كفرهم بنا ، فأنذروهم وحذّروهم سخطنا ، وحلول عقوبتنا بهم (إلا قال مُتْرَفوها) ، وهم رؤساؤهم وكبراؤهم .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها) : قال رؤساؤهم وأشرافهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكَذلكَ ما أرسَلْنا مِن قَبْلِكَ فى قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها) : قادتهم ورءوسهم فى الشرك .

وقوله (إنَّا وَجَدنا آباءَنا على أُمَّةٍ) يقول : قالوا : إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ، (وَإنَّا على آثارِهِمْ) يعنى : وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم ، نفعل كالذى فعلوا ، ونعبد ما كانوا يعبدون . يقول جلّ ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم ، من إخوانهم من أهل الشرك بالله ، فى إجابتهم إياك بما أجابوك به ، وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة ، واحتجاجهم بما احتجوا به ، لمُقامهم على دينهم الباطل .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإنَّا على آثارِهِم مُقْتَدُونَ) قال بفعلهم

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإنَّا على آثارِهِم مُقْتَدُونَ) ، فاتبعوهم على ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ، قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون : (أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) أيها القوم من عند ربكم (بأَهْدَى) إلى طريق الحقّ ، وأدلّ لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدْتُمْ) أنتم عليه آباءكم من الدين والمِلَّة ،

(قالُوا: إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ) يقول : فقال ذلك لهم ، فأجابوه بأن قالوا له ، كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها لأنبيائها : إنا بما أرسلتم به يأيها القوم كافرون ، يعني : جاحدون منكرون . وقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر (قُلْ أوَ لَوْ جِئْتُكُمْ) بالتاء . وذُكر عن أبي جعفر القارئ، أنه قرأه (قُلْ أوَ لَوْ جِئْناكُمْ) بالنون والألف . والقراءة عندنا ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من هؤلاء المكذّبة رسلها من الأمم الكافرة بربها ، بإحلالنا العقوبة بهم ، فانظر يامحمد كيف كان عُقْبَى أمرهم ، إذ كذّبوا بآيات الله . ويعني بقوله (عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) : آخر أمر الذين كذّبوا رسل الله ، إلام صار؟ يقول : ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم ؟

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) قال : شرّ والله ، أخذهم بخسف وغرق ، ثم أهلكهم ، فأدخلهم النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : (وَإِذْ قالَ إبْراهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يامحمد : (إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) من دون الله ، فكذّبوه ، فانتقمنا منهم ، كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها . وقيل : (إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) فوضع البَراء وهو مصدر موضع النعت ، والعرب لاتثنى البراء ولا تجمع ولا تؤنث ، فتقول : نحن البراء والخلاء ، لما ذكرت أنه مصدر ، وإذا قالوا: هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا ، فقالوا : هما بريئان منك ، وهم بريئون منك . وذُكر أنها فى قراءة عبد الله : (إنَّنِي بَرِيءٌ) بالياء ، وقد يجمع بَرِيء : بِرَاء وأبراء . (إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) يقول : إنى بريء مما تعبدون من شيء إلا مِنَ الذى فطرنى ، يعنى الذى خلقنى (فإنَّهُ سَيَهْدِينِ) يقول : فإنه سيقوّمنى للدين الحقّ ، ويوفقنى لاتباع سبيل الرشد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قالَ إبْرَاهِيمُ لأبيه وقومِهِ) . . . الآية ، قال : كايدهم كانوا يقولون : إن الله ربنا (وَلَئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) فلم يبرأ من ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ): يقول : إنني بريء مما تعبدون (إلاَّ الَّذِي خَلَقَنِي) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) قال : خلقني .

وقوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) يقول تعالى ذكره : وجعل قوله (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) وهو قول لا إله إلا الله ، كلمةً باقية فى عقبه ، وهم ذرّيته ، فلم يزل فى ذرّيته من يقول ذلك من بعده .

واختلف أهل التأويل فى معنى الكلمة التى جعلها خليل الرحمن باقية فى عقبه ، فقال بعضهم : بنحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً) قال : شهادة أنْ لا إلهَ إلا الله ، والتوحيد ، لم يزل فى ذرّيته من يقولها من بعده .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) قال : التوحيد والإخلاص ، ولا يزال فى ذرّيته من يوحد الله ويعبده .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) قال : لا إله إلا الله .

وقال آخرون : الكلمة التى جعلها الله فى عقبه : اسم الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) فقرأ (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : جعل هذه باقية فى عقبه ، قال: الإسلام، وقرأ (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) ، فقرأ (وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)

وبنحو ما قلنا فى معنى العَقِب قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي عَقِبِهِ) قال : ولده .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) قال : يعنى مَنْ خلفه .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فِي عَقِبِهِ) قال : فى عقب إبراهيم : آل محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال : ثنا ابن أبي فُدَيك، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن ابن شهاب، أنه كان يقول : العقب : الولد ، وولد الولد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في عَقِبِهِ) قال : عقبه : ذرّيته .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم ، ويثوبوا إلى عبادته ، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : أي يتوبون ، أو يذّكرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ، قَالُوا۟ : هَـٰذَا سِحْرٌ، وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : (بَلْ مَتَّعْتُ) يامحمد (هَؤُلاءِ) المشركين من قومك (وآباءَهُمْ) من قبلهم بالحياة ، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءَهُمُ الحَقُّ) يعنى جلّ ثناؤه بالحقّ : هذا القرآن : يقول : لم أُهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب ، وبعثت فيهم رسولا مبينا . يعنى بقوله (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) : محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمبين : أنه يُبَيِّن لهم بالحُجَج التى يحتجّ بها عليهم ، أنه لله رسول محقّ فيما يقول ، (وَلَمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ) يقول جلّ ثناؤه : ولما جاء هؤلاء المشركين القرآنُ من عند الله ، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه (قالُوا هَذَا سِحْرٌ) يقول : هذا الذى جاءنا به هذا الرسول سحر يَسْحَرنا به، ليس بوحى من الله (وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ) يقول : قالوا : وإنا به جاحدون ، ننكر أن يكون هذا من الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ قالُوا هَذَا سِحْرٌ، وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ)قال : هؤلاء قريش . قالوا للقرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم : هذا سحر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا۟ : لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ؟

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ، لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)

❊ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش ، لما جاءهم القرآن من عند الله : هذا سحر ، فإن كان حقا ، فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين : مكة أو الطائف .

واختُلف فى الرجل الذى وصفوه بأنه عظيم ، فقالوا : هلا نزل عليه هذا القرآن ، فقال بعضهم : هلا نزل على الوليد بن المُغيرة المخزومىّ من أهل مكة ، أو حبيب بن عَمرو بن عمير الثقفىّ ، من أهل الطائف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : يعنى بالعظيم : الوليد بن المغيرة القرشىّ ، أو حبيب بن عمرو بن عُمَير الثقفى ، وبالقريتين : مكة والطائف .

وقال آخرون : بل عُنِى به عُتْبةُ بن ربيعة من أهل مكة ، وابن عبد ياليل ، من أهل الطائف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد على رجل من القريتين عظيم ، قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة ، وابن عبد ياليل الثقفىّ من الطائف .

وقال آخرون : بل عنى به من أهل مكة : الوليد بن المُغيرة ، ومن أهل الطائف : ابن مسعود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : الرجل : الوليد بن المغيرة ، قال : لو كان ما يقول محمد حقا أنزل علىّ هذا ، أو على ابن مسعود الثقفىّ ، والقريتان : الطائف ومكة ، وابن مسعود الثقفى من الطائف اسمه : عُرْوة بن مسعود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) والقريتان : مكة والطائف ؛ قال : قد قال ذلك مشركو قريش ، قال : بلغنا أنه ليس فخذ من قريش إلا قد ادّعته ، وقالوا : هو منا ، فكنا نحدّث أن الرجلين : الوليد بن المغيرة ، وعُروة الثقفىّ أبو [1] مسعود ، يقولون : هلا كان أُنزل على أحد هذين الرجلين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : كان أحد العظيمين عُرْوة بن مسعود الثقفىّ ، كان عظيم أهل الطائف .

وقال آخرون : بل عنى به من أهل مكة : الوليد بن المغيرة ، ومن أهل الطائف : كنانة بن عبد بن عمرو .

(١) هو عروة بن مسعود الثقفى ، كما تكرر فى الروايات ، لا أبو مسعود ، كما فى هذه الرواية ؛ فلعلها من تحريف الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : الوليد بن المغيرة القرشىّ ،وكنانة بن عبد بن عمرو بن عُمَير ، عظيم أهل الطائف .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال كما قال جلّ ثناؤه ، مخبرا عن هؤلاء المشركين (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عَنُوا منهم فى كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاختلاف فيه موجود على ما بيّنت .

وقوله (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء القائلون : لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يامحمد ، يقسمون رحمة ربك بين خلقه ، فيجعلون كرامته لمن شاءوا ، وفضله لمن أرادوا ، أم الله الذى يقسم ذلك ، فيعطيه من أحبّ ، ويحرمه مَنْ شاء ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : لما بَعَثَ الله محمدا رسولا ، أنكرت العرب ذلك ، ومن أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ؟) وقال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ، فاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يعنى : أهل الكتب الماضية ، أبشرا كانت الرسل التى أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم ، وإن كانوا بشرا فلا تنكرون أن يكون محمد رسولا : قال : ثم قال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى) : أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم ؛ قال : فلما كرّر الله عليهم الحجج قالوا ، وإذ كان بشرا فغير محمد كان أحقّ بالرسالة (فَلَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) يقولون : أشرف من محمد صلى الله عليه وسلم ، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومىّ ، وكان يسمى ريحانة قريش ، هذا من مكة ، ومَسْعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفىّ من أهل الطائف ، قال : يقول الله عزّ وجلّ ردّا عليهم (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟) أنا أفعل ما شئت .

وقوله (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره : بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا ، فنجعل من شئنا رسولا ، ومن أردنا صدّيقا ، ونتخذ من أردنا خليلا ، كما قسمنا بينهم معيشتهم التى يعيشون بها فى حياتهم الدنيا ، من الأرزاق والأقوات ، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة ، بل جعلنا هذا غنيا ، وهذا فقيرا ، وهذا ملكا ، وهذا مملوكا (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله تبارك وتعالى (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا) فتلقاه ضعيف الحيلة، عَيِيَّ اللسان ، وهومبسوط له فى الرزق ، وتلقاه شديد الحيلة ،سليط اللسان ، وهومقتور عليه ، قال الله جلّ ثناؤه : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا) كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم، تبارك ربنا وتعالى .

وقوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيا) يقول : ليستسخر هذا هذا فى خدمته إياه ، وفى عود هذا على هذا بما فى يديه من فضل ، يقول : جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا فى المعاش فى الدنيا .

وقد اختلف أهل التأويل فيما عُنِى بقوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) فقال بعضهم: معناه : ما قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قال : يستخدم بعضهم بعضا فى السُّخْرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قال : هم بنو آدم جميعا ، قال : وهذا عبد هذا ، ورفع هذا على هذا درجة ، فهو يسخّره بالعمل ، يستعمله به ، كما يقال : سخّر فلان فلانا .

وقال بعضهم : بل عُنِى بذلك : ليملك بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، فى قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيًّا) يعنى بذلك : العَبِيدَ والخَدَمَ سَخَّرَ لهم .

حدثنا بشر ،قال:ثنا يزيد ، قال:ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) مَلَكَةً.

وقوله (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : ورحمة ربك يامحمد، بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يعنى الجنة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ) يقول : الجنة خير مما يجمعون فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْلَا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً) : جماعة واحدة .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى لم يُؤْمَن اجتماعُهم عليه ، لو فعل ما قال جلّ ثناؤه ، وما به لم يفعله من أجله ، فقال بعضهم : ذلك اجتماعهم على الكفر . وقال : معنى الكلام : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر ، فيصيرَ جميعهم كفارا ، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول الله سبحانه : لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا ، لجعلت للكفار لبيوتهم سُقُفاً من فضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون ، يميلون إلى الدنيا ، لجعل الله تبارك وتعالى الذى قال ، ثم قال : والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها ، وما فعل ذلك ، فكيف لو فعله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) : أى كفارا كلهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يكون الناس كفارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول : كفارا على دين واحد .

وقال آخرون : اجتماعهم على طلب الدنيا ، وترك طلب الآخرة . وقال : معنى الكلام : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ، ورفض الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم ، لجعلنا هذا لأهل الكفر .

وقوله (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ) يقول تعالى ذكره : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن فى الدنيا سُقُفا ، يعنى أعالى بيوتهم ، وهى السطوح فضة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ) السقف : أعلى البيوت .

واختلف أهل العربية فى تكرير اللام التى فى قوله (لِمَنْ يَكْفُرُ) ، وفى قوله (لِبُيُوتِهِمْ) ، فكان بعض نحويّ البصرة يزعم أنها أدخلت فى البيوت على البدل . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : إن شئت جعلتها فى (لِبُيُوتِهِمْ) مكرّرة ، كما فى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) ، وإن شئت جعلت اللامين مختلفتين ، كأن الثانية فى معنى على ، كأنه قال : جعلنا لهم على بيوتهم سقفا . قال : وتقول العرب للرجل فى وجهه : جعلت لك لقومك الأعطية : أى جعلته من أجلك لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَقْفا) فقرأته عامة قرّاء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين (سَقْفا)بفتح السين ،وسكون القاف اعتبارا منهم ذلك بقوله ،(فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ)، وتوجيها منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع . وقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة (سُقُفاً) ، بضم السين والقاف ،ووجّهوها إلى أنها جمع سَقِيفة أو سُقوف . وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع ، لأن السُّقوف : جمع سَقْف ، ثم تجمع السُّقُوف سُقُفا ،فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه (فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ) بضم الراء والهاء ، وهى الجمع ، واحدها رهان ورُهُون، وواحد الرُّهون والرِّهان: رَهْن، وكذلك قراءة من قرأ (كُلُوا مِنْ ثُمُرِهِ) بضم الثاء والميم ، ونظير قول الراجز :

حَتَّى إِذَا ابْتَلَّتْ حَلاقِيمُ الحُلُقْ[1]

وقد زعم بعضهم أن السُّقُف ، بضم السين والقاف ، جمع سَقْف ، والرُّهُن ، بضم الراء والهاء ، جمع رَهْن ،فأغفل وجه الصواب فى ذلك،وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب اسم على تقدير (فَعْلٍ) بفتح الفاء وسكون العين ، مجموعا على فُعُل ، فيجعلَ السُّقُف والرُّهُن مثله .

---

(١) البيت فى (اللسان : حلق) ، ولم ينسبه ، ولعله لرؤبة . قال : الحلق : مساغ الطعام والشراب فى المرىء ، والجمع القليل : أحلاق والكثير : حلوق ، وحلق . الأخيرة ككتب عزيزة . أنشد الفارسى : « حتى إذا ابتلت حلاقيم الحلق »

وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٢٩٥) قال عند قوله تعالى : « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا » : والسقف قرأها عاصم والأعمش « سقفا » (أى بضم السين والقاف) . وإن شئت جعلت واحدها « سقيفة » ، وإن شئت جعلت « سقوفا » ، فيكون جمع الجمع ، كما قال الشاعر :

حَتَّى إِذَا بُلَّتْ حَلاقِيمُ الحُلُقْ
أَهْوَى لأَدْنَى فَقْرَةٍ عَلَى شَفَقْ

ومثله قراءة من قرأ : « كلوا من ثمره » (بضم الثاء والميم) ، وهو جمع ، وواحده : ثمار . وكقول من قرأ : « فرهن مقبوضة » واحدها « رهان » و « رهون » . اهـ .

والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، معروفتان فى قَرَأَةِ الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يقول : ومَرَاقِىَ ودَرَجًا عليها يَصْعَدُون ، فيظهرون على السُّقُفِ والمعارج : هى الدرج نفسها ، كما قال المثنى بن جندل :

يارَبَّ رَبَّ البَيْتِ ذى المَعارِجِ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَمَعَارِجَ) قال : معارج من فضة ، وهى دَرَج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) : أى دَرَجًا عليها يَصْعَدُون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : المعارج : المراقى .

حدثنا محمد ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : دَرَج عليها يُرْفَعون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : درج عليها يَصْعَدون إلى الغرف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : المعارج : دَرَج من فضة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة ، وسُرُرًا من فضة .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، وسُرُرًا قال : سرر فضة .

(١) البيت نسبه المؤلف إلى المثنى بن جندل . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، (الورقة ٢٢٠ – ب) إلى جندل بن المثنى ، وهو الصواب ، وهو جندل بن المثنى الطهوى ، كما فى سمط اللآلى (٧٠٢) . والمعارج : جمع معراج ، وهى كما فى (اللسان : عرج) المصاعد والدرج . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « ومعارج عليها يظهرون » . قال أبو عبيدة : المعارج : الدرج . قال جندل بن المثنى : « يارب رب البيت ذى المعارج »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ) قال : الأبواب من فضة ، والسرر من فضة عليها يتكئون ، يقول : على السرر يتكئون .

وقوله (وَزُخْرُفًا) يقول : ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا ، وهو الذهب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَزُخْرُفًا) وهو الذهب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب . وقال الحسن : بيت من زُخرف ، قال : ذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزُخْرُفًا) الزخرف : الذهب ، قال : قد والله كانت تُكْرَه ثيابُ الشهرة . وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إيَّاكُمْ والحُمْرَةَ ، فإنَّها مِنْ أَحَبِّ الزِّينَةِ إلى الشَّيْطانِ » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب .

حدثنا أحمد [1] قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَزُخْرُفًا) لجعلنا هذا لأهل الكفر ، يعنى لبيوتهم سُقُفاً من فضة وما ذكر معها . قال : والزخرف سمّى هذا الذى سمى : السقف ، والمعارج ، والأبواب ، والسرر ، من الأثاث والفُرُش والمتاع .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَزُخْرُفًا) يقول : ذهبا . والزخرف على قول ابن زيد هذا : هو ما تتخذه الناس فى منازلهم من الفُرُش والأمتعة والآلات .

وفى نصب الزخرف وجهان : أحدهما : أن يكون معناه : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومن زخرف ، فلما لم يكرّر عليه مِنْ نُصب على إعمال الفعل فيه ذلك ، والمعنى فيه ، فكأنه قيل : وزخرفا يجعل ذلك لهم منه . والوجه الثانى : أن يكون معطوفا على السُّرر ، فيكون معناه : لجعلنا لهم هذه الأشياء من فضة ، وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا يكون لهم غِنًى يستغنون بها ، ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف ، لكان : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف ، فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة . وأما المعارج فإنها جُمعت على مفاعل ، وواحدها مِعْراج ، على جمع مِعْرج ، كما يجمع المفتاح مفاتح ، على جمع مِفتح ، لأنهما لغتان : مِعْرَج ، ومِفتح ، ولو جمع معاريج كان صوابا ، كما يجمع المفتاح مفاتيح ، إذ كان واحده مِعراج .

(١) يظهر أن هذا مكرر .

وقوله (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : وما كلُّ هذه الأشياء التى ذكرت ، من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف ، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا فى الدنيا (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : وزَيْن الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين ، الذين اتقوا الله ، فخافوا عقابه ، فجدّوا فى طاعته ، وحذِروا معاصيَه ، خاصةً دون غيرهم من خلق الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) خصوصا .

القول فى تأويل قوله تعالى

*وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)

ﷺ يقول تعالى ذكره : ومن يُعْرِض عن ذكر الله ، فلم يَخَفْ سطوته ، ولم يخش عقابه (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) يقول : نجعل له شيطانا يُغْوِيه ، فهو له قرين : يقول : فهو للشيطان قرين ، أى يصير كذلك ، وأصل العَشْو : النظر بغير ثبت ، لعلة فى العين ؛ يقال منه : عشا فلان يعشو عَشْوا وعُشُوًّا : إذا ضعف بصره ، وأظلمت عينه ، كأن عليه غشاوة ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا[1]

يعنى : متى تفتقر فتأته يعنك . وأما إذا ذهب البصر ولم يبصر ، فإنه يقال فيه : عَشِيَ فلان يَعْشَى عَشًى ، منقوص ، ومنه قول الأعشى :

---

(١) هذا بيت مركب من شطرين من بيتين مختلفين ؛ فصدره للحطيئة من قصيدة مدح بها بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن أنف الناقة التميمى ، وعجزه من بيت لعبد الله بن الحر من قصيدة قالها وهو فى حبس مصعب بن الزبير فى الكوفة ، وبيت الحطيئة بتمامه كما فى (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٦٦٢) :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وبيت عبد الله بن الحر بتمامه هو ، كما فى (الخزانة ٣ : ٦٦٣) :

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِى دِيَارِنَا تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٠) : أى تظلم عينه عنه ، كأن عليها غشاوة . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٥) : يريد : ومن يعرض عنه . ومن قرأها « ومن يعش » بفتح الشين ، فمعناه : من يعم عنه . وقال القتيبى (اللسان : عشى) معنى قوله « ومن يعش عن ذكر الرحمن » أى يظلم بصره . قال : وهذا قول أبى عبيدة . ثم ذهب يرد قول الفراء ويقول : لم أر أحدا يجيزه : عشوت عن الشىء : أعرضت عنه . إنما يقال : تعاشيت عن الشىء : أى تغافلت عنه ، كأنى لم أره . وكذلك تعاميت . قال : وعشوت إلى النار : أى استدللت عليها ببصر ضعيف . وقال الأزهرى يرد كلام ابن قتيبة : أغفل القتيبى موضع الصواب ، واعترض مع غفلته على الفراء . والعرب تقول : عشوت إلى النار أعشو عشوا ، أى قصدتها مهتديا . وعشوت عنها : أى أعرضت عنها . فيفرقون بين إلى وعن موصولين بالفعل . اهـ .

رأتْ رَجُلاً غائِبَ الوَافِدَيْنِ مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أعْشَى ضَرِيرًا[1]

يقال منه : رجل أعشى وامرأة عشواء . وإنما معنى الكلام : ومن لاينظر فى حُجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظرا ضعيفا ، كنظر من قد عَشِى بصره (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا) يقول : إذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطانا (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) قال : يعرض .

وقد تأوّله بعضهم بمعنى : ومن يعمَ ، ومن تأوّل ذلك كذلك ، فيجب أن تكون قراءته (وَمَنْ يَعْشَ) بفتح الشين ، على ما بيَّنت قبل .

ذكر من تأوّله كذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) قال : من يعمَ عن ذكر الرحمن .

وقوله (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول تعالى ذكره : وإن الشياطين ليصدّون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله ، عن سبيل الحقّ ، فيزينون لهم الضلالة ، ويكرّهون إليهم الإيمان بالله ، والعمل بطاعته (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول : ويظنّ المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة ، أنهم على الحقّ والصواب ، يخبر تعالى ذكره عنهم ، أنهم من الذى هم عليه من الشرك على شكّ ، وعلى غير بصيرة . وقال جلّ ثناؤه : (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع ، وإنما ذُكر قبل واحدا ، فقال : (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا) ، لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدا ، فى معنى جمع .

القول فى تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) فقرأته عامة قرّاء الحجاز سوى ابن مُحَيْصِن ، وبعض

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ٩٥) الضمير فى رأت يعود على امرأة ذكرها من أول القصيدة ، وسماها ليلى . والرافدان : العينان . ومختلف الخلق : غيرته السن والأحداث عما عهدته عليه من النضرة والقوة . والأعشى الذى به سوء فى عينيه ، أو هو الذى لا يبصر ليلا ، أو هو الأعمى . وهو الأقرب لقوله بعده « ضريرا » . وفعله عشى يعشى عشا ، مثل عمى يعمى . وهو غير عشا إلى الشئ يعشو ، إذا نظر إليه وأقبل عليه ؛ أو عشا عنه يعشو عشا : إذا أعرض عنه ، كما بيناه فى الشاهد الذى قبله . اه .

الكوفيين وبعض الشاميين (حتّى إذَا جاءانا) على التثنية ، بمعنى حتّى إذا جاءنا هذا الذى عَشِىَ عن ذكر الرحمن ، وقرينه : الذى قُيِّض له من الشياطين . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة وابن محيصن : (حتّى إذَا جاءَنا) على التوحيد ، بمعنى : حتّى إذا جاءنا هذا العاشى من بنى آدم عن ذكر الرحمن .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن فى خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه ، فيما أقرنا فيه فى الدنيا ، الكفاية للسامع عن خبر الآخر ، إذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر ، وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : حتّى إذَا جاءَانا هو وقرينه جميعا .

وقوله (يا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ) يقول تعالى ذكره : قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر : وددت أن بينى وبينك بعد المشرقين : أى بُعد ما بين المشرق والمغرب ، فغلب اسم أحدهما على الآخر ، كما قيل : شبه القمرين ، وكما قال الشاعر :

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ ... لَنا قَمَراها والنُّجُومُ الطَّوالِعُ[1]

وكما قال الآخر :

فَبَصْرَةُ الأزْدِ مِنَّا والعِرَاقُ لَنا ... والمَوْصِلانِ وَمِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ[2]

يعنى : الموصل والجزيرة ، فقال : المَوْصلان ، فغلّب الموصل .

وقد قيل : عُنِى بقوله (بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ) : مشرق الشتاء ، ومشرق الصيف ، وذلك أن الشمس تطلع فى الشتاء من مشرق ، وفى الصيف من مشرق غيره ؛ وكذلك المغرب تغرب فى مغربين مختلفين ، كما قال جلّ ثناؤه : (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) .

وذُكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه ، عند لزوم كل واحد منهما صاحبه ، حتّى يورده جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن سعيد الجريرىّ ، قال : بلغنى أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره ، سَفَعَ بيده الشيطان ، فلم يفارقه حتّى يصيّرهما الله إلى النار ، فذلك حين

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٥١٩) . قال : وقمراها : الشمس والقمر ، ثناهما تغليبا . ورواه المبرد فى الكامل : « أخذنا بأطراف » فى موضع ، ورواه فى آخر « بآفاق » . اهـ . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « ياليت بينى وبينك بعد المشرقين » : أى بعد ما بين المشرق والمغرب . وأخذ كلامه من كلام الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٥) قال الفراء : يريد ما بين مشرق الشتاء ، ومشرق الصيف . ويقال إنه أراد المشرق والمغرب ، فقال : المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب ؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين ، على تسمية أشهرهما ، فيقال : جاءك الزهدمان ، وإنما أحدهما زهدم (أى والآخر : كردم ، العبسيان كما تقدم فى شاهد سابق) وقال الشاعر : « أخذنا بآفاق السماء . . . البيت .

(٢) هذا الشاهد فى معنى الذى قبله . استشهد به الفراء أيضا فى معانى القرآن كسابقه ، على أن الشيئين المختلفى اللفظ ، قد يجمعان بلفظ واحد ، فيقال البصرتان ، البصرة والكوفة ، والموصلان للموصل والجزيرة . وكل هذا من باب تغليب الأشهر من اللفظين على الآخر . قال : وأنشدنى رجل من طيىء : « فبصرة الأزد منا . . . البيت » يريد الجزيرة والموصل .

يقول : يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين ، فبئس القرين . وأما المؤمن فيوكّل به ملك، فهو معه حتى قال : إما يفصل بين الناس ، أو نصير إلى ما شاء الله .

وقوله (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) أيها العاشون عن ذكر الله فى الدنيا (إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يقول : لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه ، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه ، و « أنّ » من قوله (أَنَّكُمْ) : فى موضع رفع ، لما ذكرت أن معناه : لن ينفعكم اشتراككم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ؟ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) : من قد سلبه الله استماع حججه التى احتجّ بها فى هذا الكتاب ، فأصمه عنه ، أو تهدى إلى طريق الهُدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره ، واستحوذ عليه الشيطان ، فزيّن له الردى (وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : أو تهدى من كان فى جور عن قصد السبيل ، سالك غير سبيل الحقّ ، قد أبان ضلاله أنه عن الحقّ زائل ، وعن قصد السبيل جائر : يقول جلّ ثناؤه : ليس ذلك إليك ، إنما ذلك إلى الله ، الذى بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء ، وإنما أنت منذر ، فبلغهم النذارة .

وقوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) اختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذا الوعيد ، فقال بعضهم : عُنى به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوّار بن عبد الله العنبرىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، فى قوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) قال : لقد كانت بعد نبىّ الله نقمة شديدة ، فأكرم الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُريَه فى أمته ما كان من النقمة بعده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم ير فى أمته إلا الذى تقرّ به عينه ، وأبقى الله النقمة بعده ، وليس من نبىّ إلا وقد رأى فى أمته العقوبة ، أو قال ما لا يشتهى ، ذُكر لنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أُرِىَ الذى لقيت أمته بعده ، فما زال منقبضا ، ما انبسط ضاحكا حتى لقى الله تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فقال : ذهب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وبقيت النقمة ، ولم يُرِ الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى أمته شيئا يكرهه حتى مضى ، ولم يكن نبىّ قطّ إلا رأى العقوبة فى أمته ، إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم . قال : وذُكر لنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أُرى ما يصيب أمته بعده ، فما رُئى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله .

وقال آخرون: بل عُنِى به أهل الشرك من قريش ، وقالوا: قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فإمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) كما انتقمنا من الأمم الماضية ، أو نرينّك الذى وعدناهم ، فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه . وهذا القول الثانى أولى التأويلين فى ذلك بالصواب . وذلك أن ذلك فى سياق خبر الله عن المشركين ، فلأن يكون ذلك تهديدا لهم ، أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجْرِ له ذكر . فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يامحمد من بين أظهر هؤلاء المشركين ، فنخرجك من بينهم (فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمونَ) ، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذّبة رسلها ، (أوْ نُرِيَنَّكَ الّذِى وَعَدْناهُمْ) يامحمد من الظفر بهم ، وإعلائك عليهم (فإنّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ) أن نظهرك عليهم ، ونخزيهم بيدك وأيدى المؤمنين بك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ ، إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فتمسكْ يامحمد بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه إليك ربك ، (إنّكَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) ، ومنهاج سديد ، وذلك هو دين الله الذى أمر به ، وهو الإسلام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسْتَمْسِكْ بالّذِى أُوحِىَ إلَيْكَ إنّكَ على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) : أى الإسلام .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال: ثنا أسباط ، عن السدىّ (فاسْتَمْسِكْ بالّذِى أُوحِىَ إلَيْكَ): بالقرآن (إنّكَ على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقوله(وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ)يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن الذى أُوحِىَ إليك يامحمد، الذى أمرناك أن تستمسك به، لشرف لك ولقومك من قريش (وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ) يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه ، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه ، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه ؟

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) يقول : إن القرآن شرف لك .

حدثنى عمرو بن مالك ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : يقول للرجل : من أنت ؟ فيقول : من العرب ، فيقال : من أىّ العرب ؟ فيقول : من قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) وهو هذا القرآن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : شرف لك ولقومك ، يعنى القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : أو لم تكن النبوّة والقرآن الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ : أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ؟ (٤٥)

❊ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا)ومَن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك ؟ فقال بعضهم الذين أُمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مؤمنو أهل الكتابين : التوراة ، والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : فى قراءة عبد الله بن مسعود (وَاسْأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنا) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) إنها قراءة عبد الله : سَلِ الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) يقول:سل أهل التوراة والإنجيل : هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد: أن يوحدوا، الله وحده ؟ قال : وفى بعض القراءة : واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلنا قبلك (أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى بعض الحروف (واسْأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا) سَلْ أهل الكتاب : أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد ؟ أما كانت تأتى بالإخلاص ؟

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) فى قراءة ابن مسعود (سَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) يعنى : مؤمنى أهل الكتاب .

وقال آخرون : بل الذين أمر بمسئلتهم ذلك الأنبياء الذين جُمِعوا له ليلة أُسرى به ببيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (واسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ) . . . الآية ، قال : جُمِعوا له ليلة أُسرى به ببيت المقدس، فأَمَّهم ، وصلَّى بهم ، فقال الله له: سلهم ، قال : فكان أشدَّ إيمانا ويقينا بالله وبما جاءه من الله من أن يسألهم ، وقرأ (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال: فلم يكن في شكّ ، ولم يسأل الأنبياء ، ولا الذين يقرءون الكتاب . قال : ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقلت في نفسي : الآن يؤمنا أبونا إبراهيم ؛ قال : فدفع جبرائيل في ظهري، قال : تقدم يامحمد فصلّ ، وقرأ (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ) . . . حتى بلغ (لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا) .

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : عُنِى به : سل مؤمنى أهل الكتابين .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يقال : سل الرسل ، فيكون معناه : سل المؤمنين بهم وبكتابهم ؟ قيل : جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم . فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صحّ بمعنى خبرهم ،والمسألة عما جاءوا به: بمعنى مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم ،والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله جلّ ثناؤه إيانا بردّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول ، يقول: (فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ) ، ومعلوم أن معنى ذلك : فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله . لأن الردّ إلى ذلك ردّ إلى الله والرسول . وكذلك قوله (وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل ، فإنك تعلم صحة ذلك من قِبَلِنا،فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب ، إذ كان معلوما ما معناه .

وقوله (أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) يقول :أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله،فيما جاءوهم به ، أو أتَوْهم بالأمر بذلك من عندنا .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ؟ أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله ؟ وقيل : (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ، فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بنى آدم ، ولم يقل : تعبد ، ولا يعبدن ، فتؤنث وهى حجارة ، أوبعض الجماد، كما يفْعَل في الخبر عن بعض الجماد . وإنما فُعِل ذلك كذلك، إذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسَرَاتهم ، فأُجْرِى الخبر عنها مُجْرَى الخبر عن الملوك والأشراف من بنى آدم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسَىٰ بِآياتِنا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقالَ : إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (٤٦)
فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ (٤٧)

* يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا يامحمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه ، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك ، فقال لهم موسى : إنى رسول ربّ العالمين ، كما قلت أنت لقومك من قريش : إنى رسول الله إليكم ، (فَلَمَّا جاءَهُمْ بآياتِنا إذَا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ) يقول : فلما جاء موسى فرعونَ وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله ، والبراءة من عبادة الآلهة ، إذا فرعونُ وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعِبَر يضحكون. كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يَسْخَرون، وهذا تسلية من الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركى قومه ، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يَعْدُوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم، فى الكفر بالله وتكذيب رسله، ونَدْبٌ منه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الاستنان فى الصبر عليهم بسنن أولى العزم من الرسل، وإخبار منه له، أن عقبى مَرَدِّيهم إلى البوار والهلاك، كسنته فى المتمرّدين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره ، كالذى فعل بموسى عليه السلام ، وقومه الذين آمنوا به ، من إظهارهم على فرعون وملئه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ، وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)

* يقول تعالى ذكره : وما نرى فرعون وملأه آية، يعنى : حجة لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى (إلاَّ هِيَ أكْبَرُ مِنْ أُخْتِها) يقول : إلا التى نريه من ذلك أعظم فى الحجة عليهم، وأوكد من التى مضت قبلها من الآيات ، وأدلّ على صحة مايأمره به موسى من توحيد الله .

وقوله (وأخَذْناهُمْ بالعَذَابِ) يقول : وأنزلنا بهم العذاب، وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين، ونقص من الثمرات ، وبالجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدم .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا عن كفرهم بالله، إلى توحيده وطاعته، والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وأخَذْناهُمْ بالعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى يتوبون ، أو يذكرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُواْ : يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠)

* يقول تعالى ذكره : وقال فرعون وملؤه لموسى : (يا أيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ) وعنَوا بقولهم « بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ » : بعهده الذى عهد إليك ، أنا إن آمنا بك واتبعناك ، كُشف عنا الرِّجزُ .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) قال : لئن آمنا ليُكْشَفَنّ عنا العذاب .

إن قال لنا قائل : وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، وكيف سمّوه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ، ليكشف عنهم العذاب ؟ قيل : إن الساحر كان عندهم معناه : العالم ، ولم يكن السحر عندهم ذما ، وإنما دَعَوه بهذا الاسم ، لأن معناه عندهم كان : يا أيها العالم .

وقوله (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) يقول : قالوا : إنا لمتبعوك فمصدّقوك فيما جئتنا به ، وموحدو الله ، فبصرو سبيل الرشاد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) قال : قالوا ياموسى : ادع لنا ربك : لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك .

وقوله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) يقول تعالى ذكره : فلما رفعنا عنهم العذاب الذى أنزلنا بهم ، الذى وعدوا أنهم إن كُشف عنهم اهتدوا لسبيل الحقّ ، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذى عاهدونا : يقول : يغدرون ويُصِرّون على ضلالهم ، ويتمادَوْن فى غيهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) : أى يغدرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ ، قَالَ يَا قَوْمِ : أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ (٥١)

يقول تعالى ذكره : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ) من القبط ، ﻓ (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ) يعنى بقوله (مِنْ تَحْتِى) : من بين يدىّ فى الجنان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى) قال : كانت لهم جنات وأنهار ماء .

وقوله (أَفَلا تُبْصِرُونَ) يقول : أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير ، وما فيه موسى من الفقر وعىّ اللسان ؟ افتخر بملكه مصر عدوُّ الله ، وما قد مكّن له من الدنيا، استدراجا من الله له ، وحَسِب أن الذى هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأنّ موسى إنما لم يصل إلى الذى يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة، محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتى به من الآيات والعبر ، ولم يكن ذلك سحرا ، لأكسب نفسه من المُلك والنعمة، مثل الذى هو فيه من ذلك، جهلا بالله، واغترارا منه بإملائه إياه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ، وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيل فرعون لقومه، بعد احتجاجه عليهم بملكه و سلطانه ، وبيان لسانه، وتمام خلقه ، وفضل ما بينه وبين موسى ، بالصفات التى وصف بها نفسه وموسى : أنا خير أيها القوم ، وصفتى هذه الصفة التى وصفت لكم ، (أَمْ هَٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ) لاشىء له من المُلك والأموال، مع العلة التى فى جسده ، والآفة التى بلسانه ، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه ؟

وقد اختُلف فى معنى قوله (أَمْ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها : بل أنا خير ، وقالوا : ذلك خبر ، لا استفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ) قال : بل أنا خير من هذا .

وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة .

وقال بعض نحويىّ الكوفة : هو من الاستفهام الذى جعل بأم، لاتصاله بكلام قبله . قال: وإن شئت رددته على قوله (أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ) ؟ وإذا وجه الكلام إلى أنه استفهام ، وجب أن يكون فى الكلام محذوف استغنى بذكر ما ذكر مما ترك ذكره ، ويكون معنى الكلام حينئذ : أنا خير أيها القوم من هذا الذى هو مهين ، أم هو ؟

وذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ ذلك (أَمَا أنا خَيْرٌ) ؟

حُدثت بذلك عن الفرّاء قال: أخبرنى بعض المشيخة، أنه بلغه أن بعض القرّاء قرأ كذلك ، ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة فى قرّاءة الأمصار ، لكانت صحيحة، وكان معناها حسنا، غير أنها خلاف ما عليه قرّاء الأمصار ، فلا أستجيز القراءة بها ، وعلى هذه القراءة لو صحّت ، لا كلفة له فى معناها ولا مؤْنة .

والصواب من القراءة فى ذلك: ما عليه قرّاء الأمصار . وأولى التأويلات بالكلام، إذ كان ذلك كذلك، تأويل مَنْ جعل: أمْ أنا (خَيْرٌ) ؟ من الاستفهام الذى جعل بأم، لاتصاله بما قبله من الكلام . ووجهه إلى أنه بمعنى : أأنا خير من هذا الذى هو مَهِين؟ أم هو ؟ ثم تَرَكَ ذكر أم هو ، لما فى الكلام من الدليل عليه . وعُنِى بقوله (مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) : من هذا الذى هو ضعيف لقلّة ماله، وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال : ضعيف .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال : المهين : الضعيف .

وقوله (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يقول : ولا يكاد يُبين الكلام من عِىّ لسانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) : أى عَيِىّ اللسان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) الكلام .

وقوله (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) يقول : فهلا أُلقى على موسى إن كان صادقا أنه رسول ربّ العالمين ، أسورةٌ من ذهب ، وهو جمع سِوار ، وهو القُلْب الذى يجعل فى اليد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) يقول : أقلبة من ذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) : أى أقلبة من ذهب .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) . وذُكر عن الحسن البصرىّ ، أنه كان يقرؤه (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى : ماعليه قَرَأَةَ الأمصار ، وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى .

واختلف أهل العربية فى واحد الأَساورة ، والأَسورة ، فقال بعض نحوىّ البصرة : الأَسْوِرة : جمع إسوار قال : والأساورة جمع الأَسْوِرة ؛ وقال : ومن قرأ ذلك أَساورة ، فإنه أراد أساوير . والله أعلم . فجعل الهاء عوضا من الياء ، مثل الزنادقة ، صارت الهاء فيها عوضا من الياء التى فى زناديق . وقال بعض نحوىّ الكوفة :

من قرأ أساورة جعل واحدها إسْوار ؛ ومن قرأ أسورة جعل واحدها سِوار ؛ وقال : قد تكون الأساورة جمع أسْورة، كما يقال فى جمع الأسْقية الأساقى، وفى جمع الأكْرُع الأكارع . وقال آخر منهم : قد قيل فى سوار اليد : يجوز فيه أُسْوار وإسوار ؛ قال : فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه . وحُكى عن أبى عمرو ابن العلاء أنه كان يقول : واحد الأساورة إسوار ؛ قال : وتصديقه فى قراءة أُبىّ بن كعب (فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) فإن كان ما حُكِىَ من الرواية، من أنه يجوز أن يقال فى سوار اليد إسوار، فلا مؤنة فى جمعه أساورة ، ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب ، برواية عنها ، وذلك أن المعروف فى كلامهم من معنى الإسوار : الرجل الرامى، الحاذق بالرمْى، من رجال العجم . وأما الذى يُلبس فى اليد ، فإن المعروف من أسمائه عندهم سوار . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ماقاله الذى ذكرنا قوله فى ذلك .

وقوله (أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) يقول : أو هلا إن كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض ، فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة على تأويله ، فقال بعضهم ، يمشون معا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) قال : يمشون معا.

وقال آخرون : متتابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) : أى متتابعين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : يقارن بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) قال : يقارن بعضهم بعضا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره: فاستخفّ فرعون خلقا من قومه من القبط ، بقوله الذى أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم ، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه ، وكذّبوا موسى ، قال الله : وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدوّ الله من تصديقه ، وتكذيب موسى ، لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين، بخذلانه إياهم ، وطبعه على قلوبهم . يقول الله تبارك وتعالى : (فَلَمَّا آسَفُونا) يعنى بقوله : آسفونا : أغضبونا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا آسَفُونا) يقول : أسخطونا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَمَّا آسَفُونا) يقول : لما أغضبونا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آسَفُونا) : أغضبونا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا آسَفُونا) قال : أغضبوا ربهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا آسَفُونا) قال : أغضبونا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا آسَفُونا) قال : أغضبونا ، وهو على قول يعقوب : (يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) قال : يا حزنى على يوسف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ) قال : أغضبونا ، وقوله (انْتَقَمْنا مِنْهُمْ) يقول : انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذى عجّلناه لهم ، فأغرقناهم جميعا فى البحر .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦) وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة غيرَ عاصم (فَجَعَلْناهُمْ سُلُفًا) بضم السين واللام، توجيها ذلك منهم إلى جمع سَلِيف من الناس، وهو المتقدّم أمام القوم . وحكى الفرّاء أنه سمع القاسم ابن مَعْن يذكر أنه سمع العرب تقول: مضى سَلِيف من الناس . وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وعاصم: (فَجَعَلْناهُمْ سَلَفًا) بفتح السين واللام . وإذا قُرِئَ كذلك احتمل أن يكون مرادا به الجماعة والواحد، والذكر والأنثى ، لأنه يُقال للقوم : أنتم لنا سَلَف ، وقد يُجمع فيقال : هم أسلاف ؛ ومنه الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلافاً » . وكان حُميد الأعرج

يقرأ ذلك : (فَجَعَلْنَاهُمْ سُلُفًا) بضم السين ، وفتح اللام ،توجيها منه ذلك إلى جمع سُلْفة من الناس ، أمة منهم وقطعة .

وأولى القراءات فى ذلك بالصواب :قراءة من قرأه بفتح السين واللام ، لأنها اللغة الجوداء ، والكلام المعروف عند العرب ، وأحقّ اللغات أن يُقرأ بها كتاب الله من لغات العرب ،أفصحها وأشهرها فيهم .

فتأويل الكلام إذن : فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون فى البحر ،مقدّمة يتقدمون إلى النار ، كفار قومك يامحمد من قريش ، وكفار قومك لهم بالأثر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ،عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) قال : قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) فى النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ،عن معمر : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) قال :سلفا إلى النار .

وقوله(وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) يقول :وعِبْرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم ،فينتهوا عن الكفر بالله.

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) قال : عبرة لمن بعدهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) : أى عظة للآخرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) : أى عظة لمن بعدهم.

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً) قال : عبرة .

وقوله (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً) يقول تعالى ذكره : ولما شبه الله عيسى فى إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم، فمثّله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل ، إذا قومك يامحمد من ذلك يضِجُّون ويقولون : ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلها نعبده ، كما عَبَدَت النصارى المسيح .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ

يَصِدُّونَ) قال : يضجون ؛ قال : قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما ذُكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك ، وقالوا : يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم[١] ؟ وقالوا : ما يريد محمد إلا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم ، فقال الله عزّ وجلّ : (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما ذُكر عيسى فى القرآن قال مشركو قريش : يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى ؟ قال : وقالوا : إنما يريد أن نحبه كما أحبّت النصارى عيسى .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك قولُ الله عزّ وجلّ (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) قيلُ المشركين عند نزولها : قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة ، لأن كل هؤلاء مما يُعبد من دون الله ، قال الله عزّ وجلّ : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) وقالوا : أآلهتنا خير أم هو ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يعنى قريشا لما قيل لهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) فقالت له قريش : فما ابن مريم ؟ قال : ذاك عبد الله ورسوله ، فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه ربا ، كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا ، فقال الله عزّ وجلّ : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَصِدُّونَ) ، فقرأته عامة قرّاء المدينة ، وجماعة من قرّاء الكوفة : (يَصُدُّونَ) بضم الصاد . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى فرق ما بين ذلك ، إذا قُرِئ بضم الصاد ، وإذا قُرِئ بكسرها ، فقال بعض نحويّى البصرة ، ووافقه عليه بعض الكوفيين : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل يشُدّ ويشِدّ ، وينُمّ وينِمّ من النميمة . وقال آخر منهم : من كسر الصاد فمجازها يَضِجُّون ، ومن ضمها فمجازها يَعْدِلون . وقال بعض من كسرها : فإنه أراد يضجون ، ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحقّ .

وحُدثت عن الفرّاء ، قال : ثنى أبو بكر بن عياش ، أن عاصما ترك يصُدّون من قراءة أبى عبد الرحمن ، وقرأ يصدّون ، قال : قال أبو بكر : حدثنى عاصم ، عن أبى رزين ، عن أبى يحيى ، أن ابن عباس لَقِىَ ابن أخى عُبَيد بن عُمَير ، فقال : إن عمك لعربىّ ، فما له يُلحن فى قوله (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ) وإنما هى (يَصِدُّونَ) ؟

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ، ولم نجد أهل التأويل فرّقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضمّ والكسر ، ولو كان مختلفا معناه ، لقد كان الاختلاف فى تأويله

(١) كذا فى الأصل ، ولم يتم الكلام ؛ ولعله اكتفى بدلالة ما بعده عليه .

بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين ، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا فى أن تأويله : يَضِجُّون ويجزعون ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب .

ذكر ماقلنا فى تأويل ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضِجُّون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) يقول : يَضِجُّون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن المُغيرة الضَّبّىّ ، عن الصعب بن عثمان قال : كان ابن عباس يقرأ (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) ، وكان يفسرها يقول : يَضِجون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضِجُّون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) : أى يجزعون ويضجون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن أبى النَّجود ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس أنه قرأها (يَصِدُّون) : أى يضجون ، وقرأ علىّ رضى الله عنه (يَصُدُّون) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : أَءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال مشركو قومك يامحمد : آلهتنا التى نعبدها خير ، أم محمد فنعبد محمدا ، ونترك آلهتنا ؟

وذُكر أن ذلك فى قراءة أُبَىّ بن كعب : (أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذا) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن فى حرف أبى بن كعب (وَقالُوا أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذا) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : آلهتنا خير أم عيسى ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَقالُوا أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هُوَ ؟ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) قال : خاصَمُوه ، فقالوا : يزعم أن كلّ من عُبِد من دون الله فى النار ، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَيْر والملائكة هؤلاء قد عُبِدوا من دون الله ، قال : فأنزل الله براءة عيسى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أآلِهَتُنا خَيْرٌ) قال : عبد هؤلاء عيسى ، ونحن نعبد الملائكة .

وقوله (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . . إلى (فِى الأرْضِ يَخْلُفُونَ) . وقوله تعالى ذكره : (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً) يقول تعالى ذكره : ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ، ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلا وخصومة يخاصمونك به (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يقول جل ثناؤه : ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين فى محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يلتمسون الخصومة بالباطل .

وذُكر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ضَلَّ قَوْمٌ عَنِ الحَقِّ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ » .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا الحجاج بن دينار ، عن أبى غالب ، عن أبى أُمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ ، قرأ : (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً) . . . الآية » .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن الكندى وأبو كُرَيب قالا : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا حجاج بن دينار ، عن أبى غالب ، عن أبى أُمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أحمد بن عبد الرحمن ، عن عباد بن عباد ، عن جعفر بن القاسم ، عن أبى أُمامة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج على الناس وهم يتنازعون فى القرآن ، فغضب غضبا

شديدا ، حتى كأنما صُبَّ على وجهه الخلّ ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لاتَضْرِبُوا كِتابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، فإنَّهُ ما ضَلَّ قَوْمٌ قَطُّ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ ، ثم تلا : (ماضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) » .

وقوله (إنْ هُوَ إلاَّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيْهِ) يقول تعالى ذكره : فما عيسى إلا عبد من عبادنا ، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان ، وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل ، يقول : وجعلناه آية لبنى إسرائيل ، وحجة لنا عليهم ، بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا ، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى ، تعالى الله عن ذلك

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، يعنى بذلك عيسى بن مريم ، ما عدا ذلك عيسى بن مريم ، إن كان إلا عبدا أنعم الله عليه .

وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله (وَجَعَلْناه مَثَلاً لِبَنِى إسْرائِيلَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن قتادة (مَثَلاً لِبَنِى إسْرائِيلَ) أحسبه قال : آية لبنى إسرائيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْناه مَثَلاً لِبَنِى إسْرائِيلَ) أى آية .

قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الأرْضِ يَخْلُفُونَ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء معشر بنى آدم أهلكناكم ، فأفنينا جميعكم ، وجعلنا بدلا منكم فى الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدوننى ، وذلك نحو قوله تعالى ذكره : (إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُم أيُّها النَّاسُ وَيأْتِ بآخَرِينَ ، وكانَ اللهُ على ذلكَ قَدِيرًا) وكما قال : (إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : معناه : يخلف بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الأرْضِ يَخْلُفُونَ) يقول : يخلُف بعضهم بعضا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الأرْضِ يَخْلُفُونَ) قال : يَعْمُرون الأرض بدلا منكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَلائِكَةً فِى الأرْضِ ، يَخْلُفُونَ) قال : يخلف بعضهم بعضا ، مكان بنى آدم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الأرْضِ يَخْلُفُونَ) لو شاء الله لجعل فى الأرض ملائكة يخلُف بعضهم بعضا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) قال : خلفا منكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢)

اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله (وإنَّهُ) وما المعنىّ بها ، ومِنْ ذِكْرِ ما هى ، فقال بعضهم : هى من ذكر عيسى ، وهى عائدة عليه . وقالوا : معنى الكلام : وإن عيسى ظهوره علَم يعلم به مجىء الساعة ، لأن ظهوره من أشراطها ، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا ، وإقبال الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزين ، عن يحيى ، عن ابن عباس (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى بن مريم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى رَزين ، عن ابن عباس بمثله ، إلا أنه قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا غالب بن قائد ، قال : ثنا قيس ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن فضيل بن مرزوق ، عن جابر ، قال : كان ابن عباس يقول : ما أدرى علم الناس بتفسير هذه الآية ، أم لم يفطنوا لها ؟ (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا فى قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قالا : نزول عيسى بن مريم ، وقرأها أحدهما (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علَم للساعة : القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم عَلَمٌ للساعة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) يعنى خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم عَلَمٌ للساعة حين ينزل .

وقال آخرون : الهاء التى فى قوله (وَإِنَّهُ) من ذكر القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : وإن هذا القرآن لعَلَمٌ للساعة يعلمكم بقيامها ، ويخبركم عنها وعن أهوالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) هذا القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان ناس يقولون : القرآن عَلَمٌ للساعة . واجتمعت قرّاء الأمصار فى قراءة قوله (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) على كسر العين من العلم . ورُوى عن ابن عباس ما ذكرت عنه فى فتحها ، وعن قتادة والضحاك .

والصواب من القراءة فى ذلك : الكسر فى العين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ ، وإنه لذِكْر للساعة ، فذلك مصحِّح قراءةَ الذين قرءوا بكسر العين من قوله (لَعِلْمٌ) .

وقوله (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) يقول : فلا تَشُكُّنَّ فيها وفى مجيئها أيها الناس .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) قال : تَشُكُّون فيها .

وقوله (وَاتَّبِعُونِ) يقول تعالى ذكره : وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، (وَهَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : اتباعكم إياى أيها الناس فى أمرى ونهيى : صراط مستقيم ، يقول : طريق لااعوجاج فيه ، بل هو قويم .

وقوله (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) يقول جلّ ثناؤه : ولايعدلنكم الشيطان عن طاعتى فيما آمركم وأنهاكم ، فتخالفوه إلى غيره ، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا . (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول : إن الشيطان لكم عدوّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم ، ويصدّكم عن قصد السبيل ، ليوردكم المهالك ، (مُبِينٌ) : قد أبان لكم عداوته ، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم ، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ : قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ، وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى

تَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)

❁ يقول تعالى ذكره : ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبيِّنات ، يعنى بالواضحات من الأدلة . وقيل : عُنى بالبيِّنات : الإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ) أى بالإنجيل.

وقوله (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قيل : عُنى بالحكمة فى هذا الموضع : النبوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قال : النبوّة .

وقد بيَّنت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده ، وذكرت اختلاف المختلفين فى تأويله ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) يقول : ولأبين لكم معشر بنى إسرائيل بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : من تبديل التوراة .

وقد قيل : معنى البعض فى هذا الموضع بمعنى الكلّ ، وجعلوا ذلك نظير قول لبيد :

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[1]

قالوا : الموت لايعتلق بعض النفوس ، وإنما المعنى : أو يعتلق النفوس حمامها ، وليس لما قال هذا القائل كبير معنى ، لأن عيسى إنما قال لهم : (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) ، لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير ، فى أسباب دينهم ودنياهم ، فقال لهم : أبيِّن لكم بعض ذلك ، وهو أمر دينهم دون ما هم

(١) البيت لبيد (مجاز القرآن لأبى عبيدة . الورقة ٢٢١) أنشده عند قوله تعالى : « لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » قال : البعض هاهنا : كله . قال لبيد : « تراك . . . البيت » . وفى شرح الزوزنى للمعلقات السبع (ص ١٣٨) يقول : إنى تراك أماكن إذا لم أرضها ، إلا أن يرتبط نفسى حمامها ، فلا يمكنها البراح . وأراد ببعض النفوس هنا : نفسه . هذا أوجه الأقوال وأحسنها . ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس ، فقد أخطأ ، لأن بعضا لايفيد العموم والاستيعاب . وتحرير المعنى : إنى لأترك الأماكن أجتويها وأقليها ، إلا أن أموت . وقال التبريزى فى شرح القصائد العشر ، (ص ١٦٠) يقول : أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما يكره ، إلا أن يدركنى الموت . وأراد بالنفوس نفسه ، ويعتلق : يحبس . والحمام : الموت . ويقال القدر . وقوله أو يعتلق مجزوم عطفا على قوله : إذا لم أرضها . اهـ .

فيه مختلفون من أمر دنياهم ، فلذلك خصّ ما أخبرهم أنه يبينه لهم . وأما قول لبيد : « أَوْ يَعْتَلِقْ بعضَ النُّفُوس » فإنه إنما قال ذلك أيضا كذلك ، لأنه أراد : أو يعتلق نفسه حمامها ، فنفسه من بين النفوس لاشكّ أنها بعض لا كلّ .

وقوله (فَاتَّقُوا اللهَ وأَطِيعُونِ) يقول : فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته ، وخافوه باجتناب معاصيه ، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره ، وقبول نصيحتى لكم .

وقوله (إنَّ اللهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ) يقول : إن الله الذى يستوجب علينا إفراده بالألوهية ، وإخلاص الطاعة له ، ربى وربكم جميعا ، فاعبدوه وحده ، لاتشركوا معه فى عبادته شيئا ، فإنه لايصلح ، ولا ينبغى أن يُعبد شىء سواه .

وقوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : هذا الذى أمرتكم به ، من اتقاء الله وطاعتى ، وإفراد الله بالألوهة ، هو الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذى لايقبل من أحد من عباده غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

* فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)

اختلف أهل التأويل فى المعنيِّين بالأحزاب ، الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنى بذلك : الجماعة التى تناظرت فى أمر عيسى ، واختلفت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل ، يقولون فى عيسى .

وقال آخرون : بل هم اليهود والنصارى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : اليهود والنصارى .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : معنى ذلك : فاختلف الفِرَقُ المختلفون فى عيسى بن مريم ، من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه : من اتقاء الله والعمل بطاعته ، وهم اليهود والنصارى ، ومن اختلف فيه من النصارى ، لأن جميعهم كانوا أحزابا مُبْتَسِلِين[1] ، مختلفى الأهواء ، مع بيانه لهم أمر نفسه ، وقوله لهم (إنَّ اللهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .

وقوله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) يقول تعالى ذكره : فالوادى السائل من القيح والصديد فى جهنم للذين كفروا بالله ، الذين قالوا فى عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه فى

(١) كذا فى الأصل . ولعل الصواب « متبسلين » بتقديم التاء على الباء . قال فى اللسان : تبسل الرجل : عبس من الغضب أو الشجاعة أما ابتسل الرجل بتقديم الباء ، فمعناه : أخذ على رقيته أجرا . اه .

هذه الآية (مِنْ عَذَابِ يومٍ أليمٍ) يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام، إذ كان العذاب الذى يؤلمهم فيه ، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) قال : من عذاب يوم القيامة .

وقوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) يقول : هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون فى عيسى بن مريم ، القائلون فيه الباطل من القول ، إلا الساعة التى فيها تقوم القيامة فجأة (وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايعلمون بمجيئها .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ (٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره: المتخالّون يوم القيامة على معاصى الله فى الدنيا ، بعضهم لبعض عدوّ ، يتبرأ بعضهم من بعض ، إلا الذين كانوا تخالّوا فيها على تقوى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) فكلّ خلّة على معصية الله فى الدنيا متعادون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) فكل خلّة هى عداوة إلا خلّة المتقين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحاق ، أن عليا رضى الله عنه قال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنَين فقال : يا ربّ إن فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرنى بالخير ، وينهانى عن الشرّ ، ويخبرنى أنى ملاقيك يا ربّ ، فلا تضله بعدى ، واهده كما هديتنى ، وأكرمه كما أكرمتنى ، فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول : ليُثْنِ أحدكما على صاحبه فيقول : يا ربّ إنه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرنى بالخير ، وينهانى عن الشرّ ، ويخبرنى أنى ملاقيك ، فيقول نعم الخليل ، ونعم الأخ ، ونعم الصاحب . قال : ويموت أحد الكافرين فيقول : يا ربّ إن فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرنى بالشرّ ، وينهانى عن الخير ، ويخبرنى أنى غير ملاقيك ، فيقول : بئس الأخ ، وبئس الخليل ، وبئس الصاحب .

وقوله (يا عِبادِ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وفى هذا الكلام محذوف استغنى

بدلالة ما ذكر عليه . ومعنى الكلام : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ، فإنهم يقال لهم : ياعبادى لاخوف عليكم اليوم من عقابى ، فإنى قد أمَّنتكم منه برضاى عنكم ، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا ، فإن الذى قدمتم عليه ، خير لكم مما فارقتموه منها .

وذُكر أن الناس ينادَوْن هذا النداء يوم القيامة ، فيطمع فيها من ليس من أهلها ، حتى يسمع قوله : (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) فييئس منها عند ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع ، فينادِى مناد : يا عباد الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيتبعها (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فييئس الناس منها غيرَ المسلمين .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)

❁ وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره : يا عبادى الذين آمنوا ، وهم الذين صدّقوا بكتاب الله ورسله ، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم ، وكانوا مسلمين ، يقول : وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم ، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، حُنَفاء لايهود ولا نصارى ، ولا أهل أوثان .

وقوله (ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مَغْبوطين بكرامة الله ، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (تُحْبَرُونَ) وقد ذكرنا ما قد قيل فى ذلك فيما مضى ، وبيَّنا الصحيح من القول فيه عندنا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض ما لم يُذكر هنالك من أقوال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) : أى تَنْعَمون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تُحْبَرُونَ) قال : تنعمون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (تُحْبَرُونَ) قال : تكرمون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) قال : تنعمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : يُطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته فى الدنيا إذا دخلوا الجنة فى الآخرة بصحاف من ذهب ، وهى جمع للكثير من الصَّحْفة ، والصَّحْفة : القصعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ) قال : القِصاع .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : إنّ أدنى أهل الجنة منزلة ، من له قصر فيه سبعون ألف خادم ، فى يد كل خادم صَحْفة سوى ما فى يد صاحبها ، لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمىّ ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : إن أخسّ أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم ، مع كل خادم صحفة من ذهب ، لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم ، لايستعين عليهم بشىء من غيره ، وذلك فى قول الله تبارك وتعالى (لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها وَلَدَيْنا مَزِيدٌ) ولهم (فِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ ، وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى أيوب الأزدىّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : ما أحدٌ من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألفُ غلام ، كلّ غلام على عملٍ ما عليه صاحبه .

وقوله (وأكْوَابٍ) وهى جمع كوب ، والكوب : الإبريق المستدير الرأس ، الذى لاأُذُن له ولا خُرْطومَ ، وإياه عنى الأعشى بقوله :

صَرِيفِيَّـــةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها لَهَا زَبَدٌ بينَ كُوبٍ وَدَنّ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأكْوَابٍ) قال : الأكواب التى

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ١٧) وصريفية ، منسوبة إلى صريفون : موضع بالعراق مشهور بجودة خمره . وقيل نسبت إلى الصريف ، وهو اللبن ساعة يحلب . جعلها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ أحضرت ، كأنها أخذت قبل أن تمزج . والزبد : ما يعلوها عند تحريكها من الدن إلى الكوب ، من الفقاقيع . والكوب : الكوز الذى لاعروة له . أو هو الكوز المستدير الرأس ، الذى لا أذن له .

ليست لها آذان . ومعنى الكلام : يطاف عليهم فيها بالطعام فى صحاف من ذهب ، وبالشراب فى أكواب من ذهب ، فاستغنى بذكر الصّحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب ، الذى يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه (وَفِيها ما تَشْتَهِي[1] الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ) : يقول تعالى ذكره : لكم فى الجنة ما تشتهى نفوسكم أيها المؤمنون ، وتلذّ أعينكم (وأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ) يقول : وأنتم فيها ماكثون ، لاتخرجون منها أبدا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مَرْثَد ، عن ابن سابط « أن رجلا قال : يا رسول الله إنى أحبّ الخيل ، فهل فى الجنة خيل ؟ فقال : إنْ يُدْخِلْكَ الجَنَّةَ إنْ شاءَ ، فَلا تَشاءُ أنْ تَرْكَبَ فَرَسا مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْراءَ تَطِيرُ بِكَ فِي أيِّ الجَنَّةِ شِئْتَ ، إلاَّ فَعَلْتَ ، فقال أعرابىّ : يا رسول الله ، إنى أحبّ الإبل ، فهل فى الجنة إبل ؟ فقال : يا أعرابىّ إنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ إنْ شاءَ اللهُ ، فَفِيها ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْناكَ » .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبّار ، عن محمد بن سعد الأنصارىّ ، عن أبى ظبية السلفىّ ، قال : إن السِّرْبَ من أهل الجنة لتظلهم السحابة ، قال : فتقول : ما أُمْطِركم ؟ قال : فما يدعو داع من القوم بشىء إلا أمطرتهم ، حتى إن القائل منهم ليقول : أمطرينا كواعب أترابا .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن علىّ بن أبى الوليد ، قال : قيل لمجاهد : فى الجنة سماع ؟ قيل : إن فيها لشجرا يقال له العيص ، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا معاوية بن صالح ، قال : ثنى سليمان بن عامر ، قال : سمعت أبا أُمامة ، يقول : «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطائر وهو يطير ، فيقع متفلقا نضيجا فى كفه ، فيأكل منه حتى تنتهى نفسه ، ثم يطير ، ويشتهى الشراب ، فيقع الإبريق فى يده ، ويشرب منه ما يريد ، ثم يرجع إلى مكانه » .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام : (ما تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق (تَشْتَهِي) بغير هاء ، وكذلك هو فى مصاحفهم .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : يقال لهم : وهذه الجنة التى أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم ، بما

(١) قراءة مشهورة متواترة بحذف الهاء .

❁ يقول تعالى ذكره : أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرا فأحكموه ، يكيدون به الحقّ الذى جئناهم به ، فإنا محكمون لهم مايخزيهم ويذلهم من النكال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) قال : مُجْمِعون إن كادوا شرًّا كِدْنا مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) قال : أم أجمعوا أمرا فإنا مجمعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) قال : أم أحكموا أمرا فإنا محكمون لأمرنا .

وقوله (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) يقول : أم يظنّ هؤلاء المشركون بالله أنا لانسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم ، وتشاوروا بينهم ، وتناجوا به دون غيرهم ، فلا نعاقبهم عليه ، لخفائه علينا .

وقوله (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) يقول تعالى ذكره : بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم ، وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم ، وحفظتنا لديهم ، يعنى عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق ، وتكلموا به من كلامهم .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى نفر ثلاثة ، تدارءوا فى سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن سعيد بن يسار القرشىّ ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عاصم بن محمد العمرىّ ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها ، قرشيان وثقفىّ ، أوثقفيان وقرشىّ ، فقال واحد من الثلاثة : أترون الله يسمع كلامنا ؟ فقال الأوّل : إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع ، قال الثانى : إن كان يسمع إذا أعلنتم ، فإنه يسمع إذا أسررتم ، قال : فنزلت (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) : قال : الحفظة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) : أى عندهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ(٨٢)﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : قل يامحمد إن كان للرحمن ولد ، فى قولكم وزعمكم أيها المشركون ، فأنا أوّل المؤمنين بالله فى تكذيبكم ، والجاحدين ماقلتم من أن له ولدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) كما تقولون (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) المؤمنين بالله ، فقولوا ما شئتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) قال : قل إن كان لله ولد فى قولكم ، فأنا أوّل من عبد الله ووحده وكذّبكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل ماكان للرحمن ولد ، فأنا أوّل العابدين له بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ إِنْ كَانَ الرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) يقول : لم يكن للرحمن ولد ، فأنا أوّل الشاهدين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك نفى ، ومعنى « إن » الجحد ، وتأويل ذلك ماكان ذلك ، ولاينبغى أن يكون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قال قتادة : وهذه كلمة من كلام العرب (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) : أى إن ذلك لم يكن ، ولا ينبغى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قال : هذا الإنكاف[١] ، ماكان للرحمن ولد ، نكِف الله أن يكون له ولد ، و « إنْ » مثل « ما » إنما هى : ماكان للرحمن ولد ، ليس للرحمن ولد ، مثل قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) : إنما هى : ماكان مكرهم لِتزولَ منه الجبال ، فالذى أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه ، أثبت من الجبال . وإنْ هى « ما » إن كان : ما كان ، تقول العرب : إن كان ، وما كان الذى تقول . وفى قوله (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أوّل من يعبد الله بالإيمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد ، على هذا أعبد الله .

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : إنكاف الله من سوء : أى تنزيهه وتقديسه . وأنكفته : نزهته .

ويلعبوا فى دنياهم (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) وذلك يوم يُصْلِيهم الله بفريتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) قال : يوم القيامة .

وقوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ) يقول تعالى ذكره : والله الذى له الألوهة فى السماء معبود ، وفى الأرض معبود ، كما هو فى السماء معبود ، لاشىء سواه تصلُح عبادته ؛ يقول تعالى ذكره : فأفردوا لمن هذه صفته العبادة ، ولا تشركوا به شيئا غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ) قال : يُعبد فى السماء ، ويُعبد فى الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ) : أى يعبد فى السماء وفى الأرض .

وقوله (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) يقول : وهو الحكيم فى تدبير خلقه ، وتسخيرهم لما يشاء ، العليم بمصالحهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره ، وتبارك الذى له سلطان السموات السبع والأرض ، وما بينهما من الأشياء كلها ، جارٍ على جميع ذلك حكمه ، ماض فيهم قضاؤه . يقول : فكيف يكون له شريكا من كان فى سلطانه ، وحكمه فيه نافذ (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) يقول : وعنده علم الساعة التى تقوم فيها القيامة ، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب .

قوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه أيها الناس تُرَدّون من بعد مماتكم ، فتصيرون إليه ، فيجازى المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا يملك عيسى وعُزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة ، الشفاعة عند الله لأحد ، إلا من شهد بالحقّ ، فوحد الله وأطاعه ، بتوحيد علم منه ، وصحة بما جاءت به رسله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) قال : عيسى ، وعُزير ، والملائكة .

قوله (إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالْحَقّ) قال : كلمة الإخلاص ، وهم يعلمون أن الله حقّ ، وعيسى وعُزير والملائكة . يقول : لايشفع عيسى وعُزير والملائكة إلا من شهد بالحقّ ، وهو يعلم الحقّ .

وقال آخرون : عُنِيَ بذلك : ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون ، ويعبدونها من دون الله، الشفاعة ، إلا عيسى وعُزير وذووهما ، والملائكة الذين شهدوا بالحقّ ، فأقرّوا به وهم يعلمون حقيقة ماشهدوا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ، إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) : الملائكة وعيسى وعُزير ، قد عُبدوا من دون الله ، ولهم شفاعة عند الله ومنزلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالْحَقّ) قال : الملائكة وعيسى بن مريم وعُزير ، فإن لهم عند الله شهادة .

❊ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لايملك الذين يعبدُهم المشركون من دون الله الشفاعةَ عنده لأحد ، إلا من شهد بالحقّ ، وشهادته بالحقّ : هو إقراره بتوحيد الله ، يعني بذلك : إلا من آمن بالله ، وهم يعلمون حقيقة توحيده . ولم يخصص بأن الذي لايملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله ، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم ، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة ، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم ، فجميع أولئك داخلون في قوله : ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله . ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله : (إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله ، ويخلصون له الوحدانية ، على علم منهم ويقين بذلك ، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى) فأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشفاعة ، ما نفاه عن الآلهة والأوثان ، باستثنائه الذي استثناه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)

وقال آخرون : بل هى ليلة النصف من شعبان .

والصواب من القول فى ذلك قول من قال : عنى بها ليلة القدر ، لأن الله جل ّ ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك ، لقوله تعالى : (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) خلقنا بهذا الكتاب الذى أنزلناه فى الليلة المباركة عقوبتنا أن تحل ّ بمن كفر منهم ، فلم يُنِب إلى توحيدنا ، وإفراد الألوهة لنا .

وقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) اختلف أهل التأويل فى هذه الليلة التى يُفرق فيها كل ّ أمر حكيم ، نحو اختلافهم فى الليلة المباركة ، وذلك أن الهاء التى فى قوله (فيها) عائدة على الليلة المباركة ، فقال بعضهم : هى ليلة القدر ، يُقْضَى فيها أمر السنة كلها من يموت ، ومن يولد ، ومن يعز ّ ، ومن يذل ّ ، وسائر أمور السنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ربيعة بن كلثوم ، قال : كنت عند الحسن ، فقال له رجل : يا أبا سعيد ، ليلة القدر فى كل ّ رمضان ؟ قال : إِىْ والله ، إنها لفى كل ّ رمضان ، وإنها الليلة التى يُفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يَقْضِى الله كل ّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : قال رجل للحسن وأنا أسمع : أرأيت ليلة القدر ، أفى كل رمضان هى؟ قال : نعم ، والله الذى لا إله إلا هو ، إنها لفى كل رمضان ، وإنها الليلة يُفرق فيها كل أمر حكيم ، يقضى الله كل ّ أجل وخلق ورزق إلى مثلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الحميد بن سالم ، عن عمر مولى غُفْرة ، قال : يقال : ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها ، وذلك لأن الله عز ّ وجل ّ يقول : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) وقال (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فتجد الرجل ينكح النساء ، ويغرس الغرس واسمه فى الأموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن أبى مالك ، فى قوله : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : أمر السنة إلى السنة ، ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة ، أو نحو هذا .

قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن هلال بن يساف ، قال : كان يقال : انتظروا القضاء ّ فى شهر رمضان .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن سعيد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن فى قوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يُدَبَّر أمر السنة فى ليلة القدر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فى ليلة القدر كل ّ أمر يكون فى السنة إلى السنة : الحياة والموت ، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) ليلة القدر (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) كُنَّا نُحدَّثُ أنه يُفْرق فيها أمر السنة إلى السنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هى ليلة القدر فيها يُقضى مايكون من السنة إلى السنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا ، فقلت : أرأيت دعاء أحدنا يقول : اللهمّ إن كان اسمى فى السعداء ، فأثبته فيهم ، وإن كان فى الأشقياء فامحه منهم ، واجعله بالسعداء ، فقال : حسن ، ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن هذا الدعاء ، قال : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يَقْضِى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدّم ما يشاء ، ويؤخّر ما يشاء . فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لايغير .

وقال آخرون : بل هى ليلة النصف من شعبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا الحسن بن إسماعيل البجلىّ ، عن محمد بن سُوقة ، عن عكرمة ، فى قول الله تبارك وتعالى (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فى ليلة النصف من شعبان ، يُبْرم فيه أمر السنة ، وتنسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ، ولا يُنْقص منهم أحد .

حدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الليث ، عن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عثمان بن محمد بن المُغيرة بن الأخنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُقْطَعُ الآجالُ مِن شَعْبانَ إلى شَعْبان ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي المَوْتَى » .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام ، قال ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : ثنا سعيد بن جُبير ، قال : قال ابن عباس : إن الرجل ليمشى فى الناس وقد رُفع فى الأموات ، قال : ثم قرأ هذه الآية (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : ثم قال : يُفرَق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك ليلة القدر ، لما قد تقدّم من بياننا عن أن المعنىّ بقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) ليلة القدر ، والهاء فى قوله (فِيهَا) من ذكر الليلة المباركة . وعُنى بقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فى هذه الليلة المباركة يُقْضى ويُفْصَل كلّ أمر أحكمه الله تعالى فى تلك السنة ، إلى مثلها من السنة الأخرى ، ووضع حكيم موضع مُحْكَم ، كما قال : (الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) يعنى : المحكم .

حدثني عبد الله بن محمد الزهريّ ، قال : ثنا مالك بن سُعَير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : كان في المسجد رجل يُذَكِّرُ الناس ، فذكر نحو حديث عيسى ، عن يحيى بن عيسى ، إلا أنه قال : فانتقم يوم بدر ، فهي البطشة الكبرى .

حدثنا ابن حميد ، وعمرو بن عبد الحميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن مسروق ، قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن قاصًّا عند أبواب كِنْدة يقصّ ، ويزعم أن آية الدخان تجيء ، فتأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، فقام عبد الله وجلس وهو غضبان ، فقال : يا أيها الناس اتقوا الله ، فمن علم شيئا فليقل بما يعلم ، ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم . وقال عمرو : فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم ، وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم : لا أعلم ، فإن الله عزّ وجلّ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ أما سألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ) . إن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا ، قال : اللهمّ سبعا كسبع يوسف ، فأخذتهم سَنَة حَصَّت كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجِيَف ، ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخانا من الجوع ، فأتاه أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا محمد ، إنك جئت تأمر بالطاعة ، وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم ، قال الله عزّ وجلّ (فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ) . . . إلى قوله (إنَّكُمْ عائِدُونَ) قال : فكُشِف عنهم (يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ) فالبطْشة يوم بدر ، وقد مضت آية الروم ، وآية الدخان ، والبطْشة ، واللِّزام .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قد مَضَيْن : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : شهدت جنازة فيها زيد بن عليّ ، فأنشأ يحدّث يومئذ ، فقال : إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة ، فيأخذ بأنف المؤمن الزكام ، ويأخذ بمسامع الكافر ، قال : قلت رحمك الله ، إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا ، قال : إن الدخان قد مضى ، وقرأ هذه الآية (فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ ، يَغْشَى النَّاسَ ، هَذَا عَذَابٌ ألِيمٌ) قال : أصاب الناس جهد حتى جعل الرجلُ يرى ما بينه وبين السماء دخانا ، فذلك قوله (فارْتَقِبْ) وكذا قرأ عبد الله إلى قوله (مُؤْمِنُونَ قالَ إنَّا كاشِفُو العَذابِ قَلِيلاً) قلت لزيد فعادوا ، فأعاد الله عليهم بدرا ، فذلك قوله (وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا) فذلك يوم بدر ، قال : فقبل والله ، قال عاصم ، فقال رجل يردّ عليه ، فقال زيد رحمة الله عليه : أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « إنَّكُمْ سَتَجِيئُكُمْ رُوَاةٌ ، فَمَا وَافَقَ القُرْآنَ فَخُذُوا بِهِ ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَدَعُوهُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود أنه قال : البطشة الكبرى يوم بدر ، وقد مضى الدخان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن عوف ، قال : سمعت أبا العالية يقول : إن الدخان قد مضى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلَمة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : مضى الدخانُ لسنين أصابتهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُليّة ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نُبّئت أن ابن مسعود كان يقول : قد مضى الدخان ، كان سنينَ كسِنِي يوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قال : الجدْب وإمساك المطر عن كُفّار قريش ، إلى قوله (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قال : كان ابن مسعود يقول : قد مضى الدخان ، وكان سنينَ كسني يوسف (يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) : قد مضى شأن الدخان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : الدخان آية من آيات الله ، مرسلة على عباده قبلَ مجيء الساعة ، فيدخل في أسماع أهل الكفر به ، ويعترى أهل الإيمان به ، كهيئة الزُّكام ، قالوا : ولم يأت بعدُ ، وهو آت .

ذكر من قال ذلك

حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المُغيرة ، عن عبد الرحمن بن البَيْلَمانى ، عن ابن عمر ، قال : يخرج الدخان ، فيأخذ المؤمن كهيئة الزَّكْمة ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق ، حتى يكون كالرأس الحنيذ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُليّة ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي مُلَيكة ، قال : غدوت على ابن عباس ذات يوم ، فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت ، قلت : لِمَ ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت .

حدثنا محمد بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، قال : قال الحسن : إن الدخان قد بقيَ من الآيات ، فإذا جاء الدخان نفخَ الكافرَ حتى يخرج من كلّ سمع من مسامعه ، ويأخذ المؤمن كزكْمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعني ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي سعيد ، قال : يهيج الدخان بالناس . فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة . وأما الكافر فيهيجه حتى يخرج من كلّ مسمع منه . قال : وكان بعض أهل العلم يقول : فما مثَل الأرض يومئذ إلا كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة .

حدثني عصام بن روّاد بن الجراح ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوريّ ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربعيّ بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولُ الآياتِ الدَّجالُ ، ونُزُولُ عيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ونارٌ تَخرُجُ مِن قَعْرِ عَدَنَ أَبْيَنَ ، تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ ، تَقِيلُ مَعَهُم إذا قالُوا ، والدُّخانُ ، قال حُذيفة : يارسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية (يَوْمَ تأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذا عَذابٌ أَلِيمٌ) ، يَمْلأُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، يَمْكُثُ أرْبَعِينَ يَوْمًا ولَيْلَةً . أمَّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ . وأمَّا الكافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرانِ يَخْرُجُ مِن مَنْخِرَيْهِ وأُذُنَيْهِ ودُبُرِهِ » .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثني أبي ، قال : ثني ضَمْضَم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رَبَّكُم أنْذَرَكُم ثَلاثًا : الدُّخانُ يأخُذُ المُؤْمِنُ كالزَّكْمَةِ ، ويأخُذُ الكافِرَ فيَنْتَفِخُ حَتى يَخْرُجَ مِن كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ ، والثَّانِيَةُ الدَّابَّةُ ، والثَّالِثَةُ الدَّجَّالُ » .

☼ وأولى القولين بالصواب فى ذلك: ما رُوى عن ابن مسعود، من أن الدخان الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه، هو ما أصاب قومه من الجَهْد بدعائه عليهم، على ما وصفه ابن مسعود من ذلك ، إن لم يكن خبر حُذيفة الذى ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا ، وإن كان صحيحا ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه ، وليس لأحد مع قوله الذى يصح عنه قول ، وإنما لم أشهد له بالصحة ، لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني ، أنه سأل روّادا عن هذا الحديث ، هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا ، فقلت له ، فقرأته عليه ؟ فقال : لا ، فقلت له : فقُرِئَ عليه وأنت حاضر ، فأقرّ به ؟ فقال : لا ، فقلت له: فن أين جئت به ؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ، وقالوا لى : اسمعه منا، فقرءوه عليّ، ثم ذهبوا ، فحدّثوا به عنى ، أو كما قال ؛ فلما ذكرت من ذلك، لم أشهد له بالصحة ، وإنما قلت: القول الذى قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية ، لأن الله جلّ ثناؤه توعّد بالدخان مشركى قريش، وأن قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فارْتَقِبْ يَوْمَ تأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ) فى سياق خطاب الله كفارَ قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله (لا إلَهَ إلاَّ هُوَ يُحْيِي ويُمِيتُ، رَبُّكُمْ ورَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) ، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام : (فارْتَقِبْ يَوْمَ تأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ) أمرا منه له بالصبر ، إلى أن يأتيهم بأسه ، وتهديدا للمشركين ، فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم ، أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم . وبعد ، فإنه غير منكر أن يكون أحلّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ، ويكون مُحلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا، على ماجاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك ، لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت

بأن ذلك كائن . فإنه قد كان ما روَى عنه عبد الله بن مسعود ، فكلا الخبرين اللذين رُويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

وإن كان تأويل الآية فى هذا الموضع ماقلنا ، فإذ كان الذى قلنا فى ذلك أولى التأويلين ، فبيِّن أن معناه : فانتظر يامحمد لمشركى قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذى يحلّ بهم على كفرهم ، بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان . (يغشَى الناس) : يقول : يغشى أبصارهم من الجهد الذى يصيبهم (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعنى أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجَهْد : هذا عذاب أليم . وهو الموجع ، وترك من الكلام (يقولون) استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها .

وقوله (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ) يعنى أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجَهْد يضرعون إلى ربهم ، بمسئلتهم إياه كشْف ذلك الجَهْد عنهم ، ويقولون : إنك إن كشفته عنا آمنا بك ، وعبدناك من دون كلّ معبود سواك ، كما أخبر عنهم جلّ ثناؤه : (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ، وَقَالُوا : مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : من أىّ وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم ، وقد تولَّوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه ، لايتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا ، ولا يتَّعظون بما يعظهم به من حُجَجنا ، ويقولون : إنما هو مجنون علَّم (١) هذا الكلام .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) يقول : كيف لهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) بعد وقوع هذا البلاء .

وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ، وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) قال : تولوْا عن محمد عليه الصلاة والسلام ، وقالوا : معلَّم مجنون .

(١) فى الأصل : « على » فى موضع « علم » . وهو تحريف من الناسخ .

وقوله (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) : يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ، الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل ، والعذاب الحالّ بهم من الجَهْد ، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا ، إنا كاشفو العذاب ، يعنى الضرّ النازل بهم ، بالخصب الذى نحدثه لهم (قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) يقول : إنكم أيها المشركون إذا كُشِفَتْ عنكم ما بكم من ضرّ ، لم تفُوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان ، ولكنكم تعودون فى ضلالتكم وغيكم ، وما كنتم قبل أن يُكْشف عنكم .

وكان قتادة يقول : معناه : إنكم عائدون فى عذاب الله .

حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عنه . وأما الذين قالوا : عُنِى بقوله : (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) الدخان نفسه ، فإنهم قالوا فى هذا الموضع : عُنِى بالعذاب الذى قال (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ) : الدخان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً) يعنى الدخان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً) قال : قد فعل ، كشف الدخان حين كان .

قوله (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) قال : كُشِف عنهم فعادوا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى عذاب الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦) * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون إن كَشَفْتُ عنكم العذاب النازل بكم ، والضرّ الحالّ بكم ، ثم عدتم فى كفركم ، ونقضتم عهدكم الذى عاهدتم ربكم ، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بَطْشَتى الكُبْرى فى عاجل الدنيا ، فأهلككم ، وكشف الله عنهم ، فعادوا ، فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى فى الدنيا ، فأهلكهم قتلا بالسيف .

وقد اختلف أهل التأويل فى البطشة الكُبْرى ، فقال بعضهم : هى بطشة الله بمشركى قريش يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، أنه قال : البطشة الكبرى : يوم بدر .

حدثنى عبد الله بن محمد الزهرىّ ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال : قال يوم بدر ، البطشة الكبرى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ،قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نبئت أن ابن مسعود كان يقول : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يوم بدر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، قال : سمعت أبا العالية فى هذه الآية (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) قال : يعنى يوم بدر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عَثَّام بن علىّ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قلت : ما البطشة الكبرى ؟ فقال : يوم القيامة ، فقلت : إن عبد الله كان يقول : يوم بدر ؛ قال : فبلغنى أنه سُئل بعد ذلك ، فقال : يوم بدر .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، بنحوه .

حدثنا بشر ، ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن مجاهد ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : يوم بدر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يوم بدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : هذا يوم بدر.

وقال آخرون : بل هى بطشة الله بأعدائه يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قال ابن مسعود : البطشةَ الكبرى : يوم بدر ، وأنا أقول : هى يوم القيامة .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : مرّ بى عكرمة ، فسألته عن البطشة الكبرى ، فقال : يوم القيامة ؛ قال : قلت : إن عبد الله بن مسعود كان يقول : يوم بدر ، وأخبرنى من سأله بعد ذلك ، فقال : يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال قتادة عن الحسن : إنه يوم القيامة .

وقد بيَّنا الصواب فى ذلك فيما مضى ، والعلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه .

وقوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) يعنى تعالى ذكره : ولقد اختبرنا وابتلينا يامحمدُ قبل مشركى قومك مثالَ هؤلاء قومَ فرعون من القبط (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) يقول : وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم ، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) يعنى موسى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَسُولٌ كَرِيمٌ) قال : موسى عليه السلام ، ووصفه جلّ ثناؤه بالكرم ، لأنه كان كريما عليه ، رفيعا عنده مكانُه ، وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك ، لأنه كان فى قومه شريفا وسيطا .

وقوله (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وجاء قومَ فرعون رسولٌ من الله كريم عليه ، بأن ادفعوا إلىّ ، ومعنى « أدّوا » : ادفعوا إلىّ ، فأرسلوا معى واتبعون ، وهو نحو قوله (أَنْ أَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فأنْ فى قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ) نَصْب ، وعباد اللهَ نصب بقوله (أدّوا) وقد تأوّله قوم : أن أدّوا إلىّ يا عبادَ الله ، فعلى هذا التأويل عبادَ الله نصب على النداء .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) قال : يقول : اتبعونى إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) قال : أرسلوا معى بنى إسرائيل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) : قال : بنى إسرائيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) يعنى به بنى إسرائيل ، قال لفرعون : علام تَحْبِس هؤلاء القوم ، قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا ، خلّ سبيلهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) قال : يقول : أرسل عباد الله معى ، يعنى بنى إسرائيل ، وقرأ (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) قال : ذلك قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) قال : ردّهم إلينا .

وقوله (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) يقول : إنى لكم أيها القوم رسول من الله ، أرسلنى إليكم ، لايدرككم بأسه على كفركم به . (أمين) : يقول : أمين على وحيه ورسالته ، التى أودعنيها إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ، إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وجاءهم رسول كريم : أن أدوا إلىّ عباد الله ، وبأنْ لاتعلوا على الله .

وعنى بقوله (أنْ لاتَعْلُوا على اللهِ) : أن لاتطغَوا وتبغُوا على ربكم ، فتكفروا به وتعصُوه ، فتخالفوا أمره (إِنِّى آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) يقول : إنى آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه ، وبرهان على صحته ، مبين لمن تأملها وتدبرها ، أنها حجة لى على صحة ما أقول لكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنْ لاتَعْلُوا على اللهِ) : أى لاتبغُوا على الله (إِنِّى آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) : أى بعذر مبين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْ لاتَعْلُوا على اللهِ) يقول : لاتفترُوا على الله .

وقوله (وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ) يقول : وإنى اعتصمت بربى وربكم ، واستجرت به منكم أن ترجمون .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرجم الذى استعاذ موسى نبىّ الله عليه السلام بربه منه ، فقال بعضهم : هو الشتم باللسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ) قال : يعنى رَجْم القول .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ) قال : الرجْم بالقول .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (وإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ) قال : أن تقولوا : هو ساحر .

وقال آخرون : بل هو الرجْم بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) : أى أن ترجمون بالحجارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ تَرْجُمُونِ) قال : أن ترجمون بالحجارة .

وقال آخرون : بل عُنِى بقوله (أَنْ تَرْجُمُونِ) : أن تقتلونى .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : ما دلّ عليه ظاهر الكلام ، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجُمه فرعون وقومه ، والرجم قد يكون قولا باللسان ، وفعلا باليد . والصواب أن يقال : استعاذ موسى بربه من كل معانى رجمهم ، الذى يصل منه إلى المرجوم أذًى ومكروه ، شتما كان ذلك باللسان ، أو رجما بالحجارة باليد .

وقوله (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه : وإن أنتم أيها القوم ،لم تصدّقونى على ما جئتكم به من عند ربى ، فاعتزلون : يقول : فخلُّوا سبيلى غير مرجوم باللسان ولا باليد .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ) : أى فخلُّوا سبيلى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ، إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ، إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه إذ كذّبوه ولم يؤمنوا به ، ولم يؤدّوا إليه عباد الله ،و همّوا بقتله ، بأن هؤلاء ، يعنى فرعون وقومه (قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) يعنى : أنهم مشركون بالله كافرون .

وقوله (فَأَسْرِ بِعِبَادِي) وفى الكلام محذوف استغنِىَ بدلالة ما ذُكر عليه منه،وهو : فأجابه ربه ، بأن قال له : فأسْرِ إذ كان الأمر كذلك بعبادى ، وهم بنو إسرائيل . وإنما معنى الكلام : فأسر بعبادى الذين صدّقوك وآمنوا بك ، واتبعوك دون الذين كذّبوك منهم ، وأبَوْا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك ، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بنى إسرائيل . وقال : (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا) لأن معنى ذلك : سِرْ بهم بليلٍ قبل الصباح .

وقوله (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم ، فى آثاركم .

وقوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يقول : وإذا قطعت البحرَ أنت وأصحابُك ، فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته . وقيل : إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول ، بعد ما قطع البحر ببنى إسرائيل ؛ فإذ كان ذلك كذلك ، فى الكلام محذوف ، وهو : فسَرَى موسى بعبادى ليلا ، وقطع بهم البحر ، فقلنا له بعد ما قطعه ، وأراد ردّ البحر إلى هيئته التى كان عليها قبل انفلاقه : اتركْه رَهْوًا .

ذكر من قال ما ذكرنا ، من أن الله عزّ وجلّ قال لموسى صلى الله عليه
وسلم هذا القول ، بعد ما قطع البحر بقومه

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) حتى بلغ (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) قال : لما خرج آخر بنى إسرائيل أراد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه ، حتى يعود كما كان ، مخافة آل فرعون أن يدركوهم ، فقيل له (اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما قطع البحر ، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم ، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده ، فقيل له : (اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) كما هو (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرهْو ، فقال بعضهم : معناه : اتركه على هيئته وحاله التى كان عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يقول : سَمْتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) قال : الرهو : أن يُترك كما كان ، فإنهم لن يخلُصوا من ورائه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، أن ابن عباس سأل كعبا ، عن قول الله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : طريقا .

وقال آخرون : بل معناه : اتركه سَهْلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : سهلا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : يقال : الرهْو : السهل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرَمىّ بن عُمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عمارة ، عن الضحاك ابن مُزاحم ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : دَمْثا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : سهلا دمثا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : هو السهل .

وقال آخرون : بل معناه : واتركه يبسا جددا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : جَدَدا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : يابسا ، كهيئته بعد أن ضربه ، يقول : لاتأمره يرجع ، اتركه حتى يدخل آخرهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (رَهْوًا) قال : طريقا يَبَسا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) كما هو طريقا يابسا .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : اتركه على هيئته كما هو ، على الحال التى كان عليها حين سلكته ، وذلك أن الرهْوَ فى كلام العرب : السكون ، كما قال الشاعر :

كأنّما أهلُ حُجْرٍ يَنْظُرُونَ متَى ... يَرَوْنَنِى خارجاً طَيْرٌ يَنادِيدُ
طَيْرٌ رأتْ بازيا نَضْحُ الدّماءِ بِهِ ... وأُمّهُ خرجَتْ رَهْوًا إلى عِيدِ[1]

يعنى على سكون ، وإذا كان ذلك معناه ، كان لاشكّ أنه متروك سهلا دَمِثا ، وطريقا يَبَسا ، لأن بنى إسرائيل قطعوه حين قطعوه ، وهو كذلك ، فإذا ترك البحر رهوا ، كما كان حين قطعه موسى ساكنا لم يُهج ، كان لاشكّ أنه بالصفة التى وصفت .

وقوله (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) يقول : إن فرعون وقومه جند الله مغرقهم فى البحر .

---

(١) هذان البيتان لم أقف على قائلهما . وأنشد فى اللسان أولهما ولم ينسبه ، قال : وطير يناديد وأناديد : متفرقة ، قال : « كأنما أهل حجر . . . البيت » . وضبط حجر : بضم الحاء . ونضح الدماء : رشها ما افترس من الحيوان . ورهوا : أى ساكنة . وإلى عيد : أى إلى معاودة . وفى البيتين إقواء .

وفى اللسان : رها الشىء رهوا : سكن . وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٢٩٧) : وقوله « واترك البحر رهوا » : يقول : ساكنا . وأنشدنى أبو ثَروان : « كأنما أهل حجر . . . . البيتين » . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم ، وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار ، وهى الجنات وعيون ، يعنى : ومنابع ما كان ينفجر فى جناتهم ، وزروع قائمة فى مزارعهم : (ومَقَامٍ كَرِيمٍ) : يقول : وموضع كانوا يقومونه شريف كريم .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم ، فقال بعضهم : وصفه بذلك لشرفه ، وذلك أنه مقام الملوك والأمراء ، قالوا : وإنما أريد به المنابر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى جعفر بن ابنة إسحاق الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن مُهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) قال : المنابر .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطىّ ، قال : ثنا شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) قال : المنابر .

وقال آخرون : وصف ذلك المقام بالكرم ، لحسنه وبهجته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) : أى حسن .

وقوله (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فاكِهِينَ) يقول تعالى ذكره : وأُخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين ، متفكهين ناعمين .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فاكِهِينَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا أبى جعفر القارئ (فاكِهِينَ) على المعنى الذى وصفت . وقرأه أبو رجاء العُطاردىّ ، والحسن ، وأبو جعفر المدنىّ (فَكِهِينَ) بمعنى : أشِرين بَطِرين .

والصواب من القراءة عندى فى ذلك : القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، وهى (فاكِهِينَ) بالألف : بمعنى ناعمين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فاكِهِينَ) : ناعمين ، قال : إىْ والله . أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه ، حتى ورّطه فى البحر .

وقوله (كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس، فعلنا بهؤلاء الذين ذكرتُ لكم أمرهم ، الذين كذّبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وأَوْرَثْنَاها قَوْمًا آخَرِينَ) يقول تعالى ذكره: وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم ، وما كانوا فيه من النعمة عنهم ، قوما آخرين بعد مهلكهم ، وقيل : عُنِى بالقوم الآخرين بنو إسرائيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) : يعنى بنى إسرائيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾

يقول تعالى ذكره : فما بكت على هؤلاء الذين غرّقهم الله فى البحر ، وهم فرعون وقومه ، السماء والأرض ، وقيل : إن بكاء السماء حُمرة أطرافها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد، عن الحكم بن ظهير ، عن السدىّ قال : لما قتل الحسين بن علىّ رضوان الله عليهما ، بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء فى قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) قال : بكاؤها حمرة أطرافها .

وقيل : إنما قيل : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) لأن المؤمن إذا مات ، بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا ، ولم تبكيا على فرعون وقومه ، لأنه لم يكن لهم عمل يَصْعد إلى الله صالح، فتبكى عليهم السماء ، ولا مسجد فى الأرض ، فتبكى عليهم الأرض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، قال : أتى ابن عباس رجل ، فقال : يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) فهل تبكى السماء والأرض على أحد ؟ قال : نعم إنه ليس أحد من الخلائق، إلا له باب فى السماء، منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذى كان يصعد عمله ، وينزل منه رزقه ، بكى عليه ؛ وإذا فقده مُصلّاه، من الأرض التى كان

يصلى فيها ، ويذكر الله فيها بكت عليه . وإن قوم فرعون لم يكن لهم فى الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير ، قال : فلم تَبْكِ عليهم السماء والأرض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى يحيى القَتّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : حُدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمىّ ، قال : ثنا بكير بن أبى السميط ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن جُبير أنه كان يقول : إن بقاع الأرض التى كان يصعد عمله منها إلى السماء ، تبكى عليه بعد موته ، يعنى المؤمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) قال : إنه ليس أحد إلا له باب فى السماء ينزل فيه رزقه ، ويصعد فيه عمله ، فإذا فُقِد بكت عليه مواضعه التى كان يسجد عليها ، وإن قوم فرعون لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يقبل منهم ، فيصعد إلى الله عزّ وجلّ ، فقال مجاهد : تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الإسْلامَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا ، ألاَ لاغُرْبَةَ على المُؤْمِنِ ، ما ماتَ مُؤْمِنٌ فِي غُرْبَةٍ ، غابَتْ عَنْهُ فِيها بَوَاكِيهِ ، إلاَّ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّماءُ والأرْضُ » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) ، ثم قال : « إنَّهُما لايَبْكِيانِ على الكافِرِ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) . . . الآية ، قال : ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلى فيه من المساجد حين يفقده ، وإلا بكى عليه من السماء الموضعُ الذى كان يرفع منه كلامه ، فذلك قوله لأهل معصيته (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ، وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) ، لأنهما يبكيان على أولياء الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) [١] .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) يقول : لاتبكي السماء والأرض على الكافر ، وتبكي على المؤمن الصالح معالمُه من الأرض ، ومقرّ عمله من السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) قال : بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الأرض تبكي عليه إذا مات ، وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله .

وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : سُئل ابن عباس : هل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ فقال : نَعَم إنه ليس أحد من الخلق إلا له باب في السماء يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه مكانه من الأرض ، الذي كان يذكر الله فيه ، يصلي فيه ، وبكى عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه . وأما قوم فرعون ، فلم يكن لهم آثار صالحة ، ولم يصعد إلى السماء منهم خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض .

وقوله (وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) يقول : وما كانوا مؤخّرين بالعقوبة التي حلّت بهم ، ولكنهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربهم عزّ وجلّ عليهم (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) : يقول تعالى ذكره : ولقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعذّبونهم به ، المُهين يعني المذلّ لهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) بقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم .

وقوله (مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ) يقول تعالى ذكره : ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون ، فقوله (مِنْ فِرْعَوْنَ) مكرّرة على قوله (مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) مبدلة مِنْ من الأولى . ويعني بقوله : (إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ) إنه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه ، (مِنَ الْمُسْرِفِينَ) يعني : من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه . وإنما يعني جلّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره ، واستكبار على ربه جلّ ثناؤه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣)

---

(١) لم يذكر هذا السند تفسير عن قتادة ، والذي في الدر المنثور عنه ، قال : هم كانوا أهون على الله من ذلك ، قال : وكنا نحدث أن المؤمن تبكي عليه بقاعه التي كان يصلي فيها من الأرض ، ومصعد عمله من السماء .

يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا بنى إسرائيل على علم منا بهم ، على عالمى أهل زمانهم يومئذ ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ) : أى اختيروا على أهل زمانهم ذلك ، ولكلّ زمان عالم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ) قال : عالم ذلك الزمان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ) قال : على من هم بين ظَهْرانيه .

قوله (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يُبِين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به .

واختلف أهل التأويل فى ذلك البلاء ، فقال بعضهم : ابتلاهم بنعمه عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ) أنجاهم الله من عدوّهم ، ثم أقطعهم البحر ، وظلّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى .

وقال آخرون : بل ابتلاهم بالرخاء والشدّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ) ، وقرأ (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) وقال : بلاء مبين : لمن آمن بها وكفر بها ، بلوى نبتليهم بها : نمحصّهم ، بلوى اختبار نختبرهم بالخير والشرّ ، نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها ، وينتفع بها ويضيعها .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى بنى إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم ، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء ، ويكون بالشدّة ، ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل ، أنه عنى بعض ذلك دون بعض ، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا . وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما ، فإذا كان الأمر على ما وصفنا ، فالصّواب من القول فيه أن نقول كما قال جلّ ثناؤه إنه اختبرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مشركى قريش لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد (لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولى) التى نموتها ، وهى الموتة الأولى (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بعد مماتنا ، ولا بمبعوثين ، تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) قال : قد قال مشركو العرب (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) أى : بمبعوثين .

وقوله (فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : قالوا لمحمد عليه الصلاة والسلام: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين ، أن الله باعثنا من بعد بلانا فى قبورنا ، ومحيينا من بعد مماتنا ، وخوطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع ، كما قيل : (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ) وكما قال (رَبِّ ارْجِعُونِ) وقد بيّنت ذلك فى غير موضع من كتابنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير ، أم قوم تُبّع ، يعنى تُبّعا الحِميرىّ .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (أَهُمْ خَيْرٌ ، أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ؟) قال : الحميرىّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ؟): ذُكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير ، سار بالجيوش حتى حَيَّر الحيرة ، ثم أتى سَمَرْقَند فهدمها . وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَب كَتَب باسم الذى تسمّى وملك برّا وبحرا وصحا وريحا . وذُكر لنا أن كعبا كان يقول : نُعِتَ نَعْتَ الرَّجُلِ الصَّالح ، ذمّ الله قومَه ولم يذمه . وكانت عائشة تقول : لاتسبوا تُبّعا ، فإنه كان رجلا صالحا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قالت عائشة : كان تبع رجلا صالحا . وقال كعب : ذمّ الله قومه ولم يذمه .

حدثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثور ، عن معمر ، عن تميم بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جُبير ، أن تُبّعا كسا البيت ، ونهى سعيد عن سبه .

وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء المشركون من قُريش خير ، أم قوم تُبّع ، والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها ، يقول : فليس هؤلاء بخير من أولئك ، فنصفحَ عنهم ، ولا نهلكهم ، وهم بالله كافرون ، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم قبلهم كفارا .

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : إن قوم تبّع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم ، إنما أهلكناهم لإجرامهم ، وكفرهم بربهم . وقيل : إنهم كانوا مجرمين ، فكُسرت ألف « إن » على وجه الابتداء ، وفيها معنى الشرط ، استغناء بدلالة الكلام على معناها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)

❊ يقول تعالى ذكره : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ) السبع والأرضين (وَمَا بَيْنَهُمَا) من الخلق لَعِبا . وقوله (ما خَلَقْنَاهُما إلاّ بالحَقّ) يقول : ماخلقنا السموات والأرض إلا بالحقّ الذى لايصلح التدبير إلا به . وإنما يَعْنى بذلك تعالى ذكره ، التنبيه على صحة البعث والمجازاة ، يقول تعالى ذكره : لم نخلق الخلق عبثا ، بأن نحدثهم فنحييَهم ما أردنا ، ثم نفنيَهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهى ، وغير مجازاة المطيع على طاعته ، والعاصى على المعصية ، ولكن خلقنا ذلك لنبتلى من أردنا امتحانه من خلقنا ، بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهى (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساءُوا بِما عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بالحُسْنَى) .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين ، بالله ، لايعلمون أن الله خلق ذلك لهم ، فهم لايخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة ، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابا ، لتكذيبهم بالمعاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٤٢)

❊ يقول تعالى ذكره : إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه ، بما أسلفوا فى دنياهم من خير أوشرّ ، يجزى به المحسن بالإحسان ، والمسىء بالإساءة (ميقاتهم أجمعين) : يقول : ميقات اجتماعهم أجمعين .

كما حدثنا بشر ،قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) يوم يُفْصَل فيه بين الناس بأعمالهم .

وقوله (يَوْمَ لَايُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا) يقول : لايدفع ابن عمّ عن ابن عمّ ، ولا صاحب عن صاحبه شيئا ، من عقوبة الله التى حلّت بهم من الله (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يقول : ولا ينصر بعضهم بعضا ، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة ، كما كانوا يفعلونه فى الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ لَايُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا) . . . الآية ، انقطعت الأسباب يومئذ يا بن آدم ، وصار الناس إلى أعمالهم ، فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخرَ ما عليه ، ومن أصاب يومئذ شرّا شقى به آخرَ ما عليه .

وقوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ) اختلف أهل العربية فى موضع « مَنْ » فى قوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ) فقال بعض نحويّى البصرة : إلا من رحم الله ، فجعله بدلا من الاسم المضمر فى يُنْصَرون ، وإن شئت جعلته مبتدأ ، وأضمرت خبره ، يريد به : إلا من رحم الله ، فيغنى عنه . وقال بعض نحويّى الكوفة قوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ) قال : المؤمنون يشفع بعضهم فى بعض ، فإن شئت فاجعل « مَنْ » فى موضع رفع ، كأنك قلت : لايقوم أحد إلا فلان ، وإن شئت جعلته نصبا على الاستثناء ، والانقطاع عن أوّل الكلام ، يريد : اللهمّ إلا من رحم الله .

وقال آخرون منهم : معناه : لايغنى مولى عن مولى شيئا ، إلا من أذن الله له أن يشفع ؛ قال : لايكون بدلا مما فى ينصرون ، لأن إلا مُحقق ، والأوّل منفىّ ، والبدل لايكون إلا بمعنى الأوّل . قال : وكذلك لايجوز أن يكون مستأنفا ، لأنه لايستأنف بالاستثناء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يكون فى موضع رفع ، بمعنى : يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم ، فإنه يغنى عنه ، بأن يشفع له عند ربه .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول جلّ ثناؤه واصفا نفسه ، إن الله هو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الرحيم بأوليائه ، وأهل طاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (٤٤) كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ) التى أخبر أنها تَنْبُت فى أصل الجحيم ، التى جعلها طعاما لأهل الجحيم ، ثمرها فى الجحيم طعام الآثم فى الدنيا بربه ، والأثيم : ذو الإثم ، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم . وعُنِى به فى هذا الموضع : الذى إثمه الكفر بربه ، دون غيره من الآثام .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن

همام بن الحارث ، أن أبا الدرداء كان يُقرئ رجلا (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الأثِيمِ) فقال : طعام اليتيم ، فقال أبوالدرداء : قل : إن شجرة الزقوم طعام الفاجر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : « لو أن قطرة من زَقّوم جهنم أنزلت إلى الدنيا ، لأفسدت على الناس معايشهم » .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، قال : كان أبوالدرداء يُقرئ رجلا (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثِيمِ) قال : فجعل الرجل يقول : إن شجرة الزقوم طعام اليتيم ؛ قال : فلما أكثر عليه أبوالدرداء ، فرآه لايفهم ، قال : إن شجرة الزقوم طعام الفاجر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثِيمِ) قال : أبو جهل .

وقوله (كالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ) يقول تعالى ذكره : إن شجرة الزقوم التى جعل ثمرتها طعام الكافر فى جهنم ، كالرَّصاص أو الفضة ،أو ما يُذاب فى النار إذا أُذيب بها ،فتناهت حرارته ، وشدّت حميته فى شدّة السواد .

وقد بيَّنّا معنى المُهْل فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع من الشواهد ، وذكر اختلاف أهل التأويل فيه ، غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم فى هذا الموضع ، مالم نذكره هناك .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن قول الله جلّ ثناؤه (كالمُهْلِ) قال : كدُرْدِيّ الزيت .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ) يقول : أسود كمُهْل الزيت .

حدثنا أبو كريب وأبوالسائب ويعقوب بن إبراهيم، قالوا : ثنا ابن إدريس، قال: سمعت مُطَرِّفا ، عن عطية بن سعد ، عن ابن عباس ، فى قوله (كالمُهْلِ) ماء غليظ كدُرْدِيّ الزيت .

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مطرّف ، عن رجل ، عن ابن عباس ، فى قوله (كالمُهْلِ) ، قال : كدرديّ الزيت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا خليد ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، أنه رأى فضة قد أُذيبت ، فقال : هذا المُهْل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا عمروبن ميمون ، عن أبيه ، عن عبد الله ، فى قوله (كالمُهْلِ يَشْوِى الوُجُوهَ) قال : دخل عبد الله بيت المال ، فأخرج بقايا كانت فيه ، فأوقد عليها النار حتى تلألأت ، قال : أين السائل عن المُهْل ، هذا المُهْل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ : وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، عن عوف ، عن الحسن، قال : بلغنى أن ابن مسعود سُئل عن المُهْل،الذى يقولون يوم القيامة شراب أهل النار ،

وهو على بيت المال ، قال : فدعا بذهب وفضة فأذابهما ، فقال : هذا أشبه شيء فى الدنيا بالمهل ، الذى هو لون السماء يوم القيامة ، وشراب أهل النار ، غير أن ذلك هو أشدّ حرًّا من هذا . لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الحسن ، قال : كان من كلامه ، أن عبد الله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن عمر رضى الله عنه استعمله على بيت المال ، قال : فعمد إلى فضة كثيرة مكسّرة ، فخدّ لها أُخدودا ، ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها ، حتى إذا امّاعت وتزبدت وعادت ألوانا ، قال : انظروا من بالباب ، فأُدخل القوم ، فقال لهم : هذا أشبه ما رأينا فى الدنيا بالمُهْل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن ابن مسعود أُهديت له سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخدود فخُدّت فى الأرض ، ثم قُذِف فيها من جزْل الحطب ، ثم قذفت فيها تلك السقاية ، حتى إذا أزبدت وانماعت : قال لغلامه : ادع مَنْ بحضرتنا من أهل الكوفة ، فدعا رهطا ، فلما دخلوا قال : أتَرَون هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : ما رأينا فى الدنيا شبيها للمُهْل ، أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبد وانماع .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سفيان الأسدىّ ، قال : أذاب عبد الله بن مسعود فضة ، ثم قال : من أراد أن ينظر إلى المُهْل فلينظر إلى هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) قال : كدُرْدِىّ الزيت .

حدثنى يحيى بن طلحة قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : (كالمهل) قال : كدردى الزيت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : ثنا أبو الصباح ، قال : سمعت يزيد بن أبى سُمَيّة يقول : سمعت ابن عُمر يقول : هل تدرون ما المُهْل ؟ المُهْل : مُهْل الزيت ، يعنى آخره .

قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالَقانىّ ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا أبو الصباح الأَيْلىّ ، عن يزيد بن أبى سُمَيّة ، عن ابن عمر ، بمثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا رُشْدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن درّاج أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « فى قوله (بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعَكَر الزيت ، فإذا قرّبه إلى وجهه ، سقطت فروة وجهه فيه » .

قال : ثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رُشْدين ابن سعد ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وقوله (فِى الْبُطُونِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (تَغْلِى)

بالتاء ، بمعنى أن شجرة الزقوم تغلى فى بطونهم ، فأنّثوا تغلى لتأنيث الشجرة . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة (يَغْلِى) بمعنى : طعام الأثيم يغلى ، أو المُهْل يغلى ، فذكره بعضهم لتذكير الطعام ، ووجّه معناه إلى أن الطعام هو الذى يغلى فى بطونهم ، وبعضهم لتذكير المهل ، ووجّهه إلى أنه صفة للمهل الذى يغلى .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

(كَغَلْيِ الحَمِيمِ) يقول : يغلى ذلك فى بطون هؤلاء الأشقياء ، كغلى الماء المحموم ، وهو المسخّن ، الذى قد أوقد عليه ، حتى تناهت شدّة حرّه . وقيل : حميم وهو محموم ، لأنه مصروف من مفعول إلى فعيل ، كما يقال : قتيل من مقتول .

القول فى تأويل قوله تعالى

خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : (خُذُوهُ) يعنى هذا الأثيم بربه ، الذى أخبر جلّ ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام (فاعْتِلُوهُ) يقول تعالى ذكره : فادفعوه وسُوقوه ، يقال منه : عَتَلَه يَعْتِلُه عَتْلاً : إذا ساقه بالدفع والجذب ؛ ومنه قول الفرزدق :

لَيْسَ الكِرَامُ بِناحِلِيكَ أباهُمُ حَتى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ[1]

أى تُساق دَفْعا وسحبا .

وقوله (إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ) : إلى وَسَط الجحيم . ومعنى الكلام : يقال يوم القيامة : خذوا هذا الأثيم ، فسوقوه دفعا فى ظهره ، وسحبا إلى وسط النار .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (فاعْتِلُوهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : خذوه فادفعوه .

وفى قوله (فاعْتِلُوهُ) لغتان : كسر التاء ، وهى قراءة بعض قرّاء أهل المدينة ، وبعض أهل مكة[2] .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : أنهما لغتان معروفتان فى العرب ، يقال منه : عَتَلَ يعتِل ويعتُل ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ) : إلى وَسَط النار .

---

(١) البيت فى ديوان الفرزدق (طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧٢٢) وناحليك : معطيك . وموضع الشاهد فى البيت قوله « تعتل » . قال فى (اللسان : عتل) : وفى التنزيل : « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم » قرأ عاصم وحمزة والكسائى وأبو عمرو « فاعتلوه » بكسر التاء ؛ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب : « فاعتلوه » بضم التاء . قال الأزهرى : وهما لغتان فصيحتان . ومعناه : خذوه فاقصفوه كما يقصف الحطب . والعتل : الدفع والإرهاق بالسوق العنيف . اهـ .

(٢) لم يذكر الثانية ، وهى ضم التاء ، وبها قرىء ، ولعله اكتفى عن ذلك ، بما ذكره فى السطر الذى بعده .

وقوله (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ) يقول تعالى ذكره : ثم صبوا على رأس هذا الأثيم ، من عذاب الحميم ، يعنى : من الماء المُسْخَن الذى وصفنا صفته ، وهو الماء الذى قال الله (يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ) ، وقد بيَّنت صفته هنالك .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : يقال لهذا الأثيم الشقىّ : ذق هذا العذاب الذى تعذّب به اليوم (إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ) فى قومك (الكَرِيمُ) عليهم .

وذُكر أن هذه الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ) نزلت فى عدوّ الله أبى جهل ، لَقِىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فهزّه ، ثم قال : أولى لك يا أبا جهل فأولى ، ثم أولى لك فأولى ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، وذلك أنه قال : أَيُوعدنى محمد ، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها . وفيه نزلت (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) وفيه نزلت (كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) . وقال قتادة : نزلت فى أبى جهل وأصحابه ، الذين قتلَ الله تبارك وتعالى يوم : بدر (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت فى أبى جهل (خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ) قال قتادة ، قال أبو جهل : ما بين جبليها رجل أعزّ ولا أكرم منى ، فقال الله عزّ وجلّ : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : هذا لأبى جهل .

فإن قال قائل : وكيف قيل وهو يُهان بالعذاب الذى ذكره الله ، ويُذَلّ بالعتل إلى سواء الجحيم : إنك أنت العزيز الكريم ؟ قيل : إن قوله (إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ) غير وصف من قائل ذلك له بالعزّة والكرم ، ولكنه تقريع منه له ، بما كان يصف به نفسه فى الدنيا ، وتوبيخ له بذلك ، على وجه الحكاية ، لأنه كان فى الدنيا يقول : إنك أنت العزيز الكريم ، فقيل له فى الآخرة ، إذ عُذّب بما عُذّب به فى النار : ذُق هذا الهوان اليوم ، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم ، وإنك أنت الذليل المَهين ، فأين الذى كنت تقول وتدّعى من العزّ والكرم ، هلا تمتنع من العذاب بعزّتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا ابن عَجْلان ، عن سعيد المَقْبُرِىّ ، عن أبى هريرة ، قال : قال كعب : لله ثلاثة أثواب : اتَّزر بالعزّ ، وتَسَرْبل الرحمة ، وارتدى الكبرياء ، تعالى ذكره ، فمن

تعزز بغير ما أعزّه الله، فذاك الذى يقال: ذق إنك أنت العزيز الكريم، ومن رحم الناس فذاك الذى سَرْبَلَ الله سرباله الذى ينبغى له، ومن تكبر فذاك الذى نازع الله رداءه، إن الله تعالى يقول ذكره: لا ينبغى لمن نازعنى ردائى أن أدخله الجنة، جلّ وعزّ. وأجمعت قرّاء الأمصار جميعا على كسر الألف من قوله (ذُقْ إنَّكَ) على وجه الابتداء. وحكاية قول هذا القائل: إنى أنا العزيز الكريم. وقرأ ذلك بعض المتأخرين (ذُقْ أنَّكَ) بفتح الألف على إعمال قوله (ذُقْ) فى قوله (أنَّكَ) كأن معنى الكلام عنده: ذق هذا القول الذى قلته فى الدنيا.

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا كسر الألف من (إنَّكَ)، على المعنى الذى ذكرت لقارئه، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وشذوذ ما خالفه[1]، وكفى دليلا على خطأ قراءة خلافها، ما مضت عليه الأئمة، من المتقدمين والمتأخرين، مع بُعدها من الصحة فى المعنى، وفراقها تأويل أهل التأويل.

وقوله (إنَّ هَذَا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره: يقال له: إن هذا العذاب الذى تعذّب به اليوم، هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تَشُكُّون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٥٣)

❊ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله، بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، فى موضع إقامة، آمنين فى ذلك الموضع، مما كان يخاف منه فى مقامات الدنيا، من الأوصاب والعلل، والأنصاب والأحزان.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فِى مَقَامٍ أمِينٍ) فقرأته عامة قرّاء المدينة (فى مُقامٍ أمينٍ) بضم الميم، بمعنى: فى إقامة أمين من الظّعْن. وقرأته عامة قرّاء المصرين: الكوفة والبصرة (فِى مَقامٍ) بفتح الميم، على المعنى الذى وصفنا، وتوجيها إلى أنهم فى مكان وموضع أمين.

والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئُ فمصيب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إنَّ المُتقِينَ فِى مَقامٍ أمِينٍ) إىْ والله، أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان.

وقوله (فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) الجنات والعيون ترجمة عن المَقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجَنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد فى أصول أشجار الجنات.

وقوله (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ) يقول: يلبس هؤلاء المتقون فى هذه الجنات من سندس، وهو ما رقّ من الديباج. وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج.

(١) قوله وشذوذ ما خالفه، هذا غير صحيح لأن الإمام الكسائى قرأ بفتح الهمز وهى قراءة سبعية متواترة مشهورة وليست شاذة.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، فى قوله (مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ) قال : الإستبرق : الديباج الغليظ .

وقيل : (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) ، ولم يقل لباسا ، استغناء بدلالة الكلام على معناه .

وقوله (مُتَقَابِلِينَ) يعنى أنهم فى الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه ، ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض . وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ، وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٥٧)

❊ يقول تعالى ذكره : كما أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة ، بإدخالناهم الجنات ، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق ، كذلك أكرمناهم ، بأن زوّجناهم أيضا فيها حُورا من النساء ، وهن النقيات البياض ، واحدتهنّ : حَوْراء .

وكان مجاهد يقول فى معنى الحُور ، ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) قال : أنكحناهم حُورا . قال : والحُور : اللاتى يَحارفيهنّ الطرف بادٍ مخُّ سوقهنّ من وراء ثيابهنّ ، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهنّ كالمرآة ، من رقة الجلد ، وصفاء اللون ، وهذا الذى قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها : أنه يَحار فيها الطرف ، قول لامعنى له فى كلام العرب ، لأن الحُور إنما هو جمع حَوْراء ، كالحمر جمع حمراء ، والسود : جمع سوداء ، والحَوْراء إنما هى فعلاء ، من الحَوَر ، وهو نقاء البياض ، كما قيل للنقىّ البياض من الطعام الحُوّارَىّ . وقد بيّنا معنى ذلك بشواهده ، فيما مضى قبل .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال سائر أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) قال : بيضاء عَيناء ، قال : وفى قراءة ابن مسعود (بعيسٍ عِينٍ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِحُورٍ عِينٍ) قال : بيض عِين ، قال : وفى حرف ابن مسعود (بعِيسٍ عِينٍ) . وقرأ ابن مسعود هذه ، يعنى أن معنى الحُور غير الذى ذهب إليه مجاهد ، لأن العيس عند العرب جمع عَيساء ، وهى البيضاء من الإبل ، كما قال الأعشى :

وَمَهْمَهٍ نازِحٍ تَعْوِى الذّئابُ بِهِ كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعّابا[1]

(١) البيت : لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦١) والرواية فيه : « قفر مساربه » فى موضع « تعوى الذئاب به » والمهمه : الصحراء ، ونازح : بعيد . وقفر : خال من النبات والإنس . ومساربه : مسالكه . وأعيس : جمل أبيض ، يخالطه شقرة أو ظلمة . =

يعنى بالأعيس : جملا أبيض . فأما العين ، فإنها جمع عيناء ، وهى العظيمة العينين من النساء .

وقوله (يَدْعُونَ فِيها) . . . الآية ، يقول : يدعو هؤلاء المتقون فى الجنة بكلّ نوع من فواكه الجنة اشتهوه ، (آمِنِينَ) فيها من انقطاع ذلك عنهم ،ونفاده وفنائه ، ومن غائلة أذاه ومكروهه ، يقول : ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التى تأكلها ، وهم يخافون مكروه عاقبتها ،وغِبّ أذاها ، مع نفادها من عندهم ، وعدمها فى بعض الأزمنة والأوقات .

وكان قتادة يوجّه تأويل قوله (آمِنِينَ) إلى ما حدثنا به بِشْر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ) : أمنوا من الموت والأوصاب والشيطان .

وقوله (لايَذُوقُونَ فِيها المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى) يقول تعالى ذكره : لايذوق هؤلاء المتقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى ، التى ذاقوها فى الدنيا .

وكان بعض أهل العربية يوجه إلاّ فى هذا الموضع إلى أنها فى معنى سِوَى ، ويقول : معنى الكلام : لايذوقون فيها الموت سِوَى الموتة الأولى ، ويمثله بقوله تعالى ذكره : (وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ) بمعنى : سِوَى ما قد فعل آباؤكم . وليس للذى قال من ذلك عندى وجه مفهوم ، لأن الأغلب من قول القائل : لاأذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذى ذقته قبل اليوم ، أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاما فى ذلك اليوم ذائقه وطاعمه ، دون سائر الأطعمة غيره . وإذا كان ذلك الأغلب من معناه ، وجب أن يكون قد أثبت بقوله (إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى) موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك ، لأن الله عزّ وجلّ قد آمَنَ أهل الجنة فى الجنة إذا هم دخلوها من الموت ، ولكن ذلك كما وصفت من معناه . وإنما جاز أن توضع « إلا » فى موضع بعد ، لتقارب معنييهما فى هذا الموضع ، وذلك أن القائل إذا قال : لاأكلم اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو ، قد أوجب على نفسه أن لايكلم ذلك اليوم رجلا بعد كلام الرجل الذى عند عمرو . وكذلك إذا قال : لاأكلم اليوم رجلا بعد رجل عند عمرو ، قد أوجب على نفسه أن لايكلم ذلك اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو ، فبعدُ ، وإلا : متقاربتا المعنى فى هذا الموضع . ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها ، إذا تقارب معنياهما ، وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف ، لما فى معنى الرجاء من الخوف ، لأن الرجاء ليس بيقين ، وإنما هو طمع ، وقد يصدق ويكذب ، كما الخوف يصدق أحيانا ويكذب ، فقال فى ذلك أبو ذُؤَيْب :

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها   وَخالَفَها فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلُ[١]

= والرحل : الخشب يشد على الجمل ، ليركب فوقه . ونعاب : من نعبت الإبل : إذا مدت أعناقها فى سيرها . وقيل هو أن يحرك البعير رأسه إذا أسرع (اللسان : نعب) . ومحل الشاهد فى البيت عند المؤلف أن العيس عند العرب جمع أعيس ، وعيساء ، وهى الناقة البيضاء ، كما جاء فى شعر الأعشى : الأعيس الجمل الأبيض .

(١) البيت لأبى ذؤيب . وهو شاهد على أن لم يرج : أى لم يخف . وقد سبق الاستشهاد به فى هذا التفسير ، وتقدم الكلام عليه مفصلا ، (انظر ه فى ٥ : ٢٦٤ من هذه الطبعة) . وفى قافيته : « عوامل » فى موضع عوامل . وكلتاهما صحيحة .

فقال : لم يَرْجُ لَسْعها ، ومعناه فى ذلك : لم يَخَفْ لَسْعها ، وكوضعهم الظنّ موضع العلم الذى لم يدرك من قِبل العِيان ، وإنما أدرك استدلالا أو خبرا ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَىْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُــمْ فى الفارِسِىِّ المُسَرَّدِ[1]

بمعنى : أيقِنوا بألفى مدجَّج واعلموا ، فوضع الظنّ موضع اليقين ، إذ لم يكن المقول لهم ذلك عاينوا ألفى مدجَّج ، ولا رأوهم ، وإن ما أخبرهم به هذا الخبر ، فقال لهم ظنوا ،العلم بما لم يعاين من فعل القلب، فوضع أحدهما موضع الآخر ، لتقارب معنييهما ، فى نظائر لما ذكرت ،يكثر إحصاؤها ، كما يتقارب معنى الكلمتين فى بعض المعانى ، وهما مختلفتا المعنى فى أشياء أُخَر ، فتضع العرب إحداهما مكان صاحبتها ، فى الموضع الذى يتقارب معنياهما فيه ، فكذلك قوله (لايَذُوقُونَ فِيها المَوْتَ إلا المَوْتَةَ الأُولى) ، وضعت « إلا » فى موضع بعد ، لما نصف من تقارب معنى « إلا » ، و « بعد » فى هذا الموضع ، وكذلك (وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ) إنما معناه : بعد الذى سَلَف منكم فى الجاهلية ، فأما إذا وجهت « إلا » فى هذا الموضع إلى معنى سِوى ، فإنما هو ترجمة عن المكان ، وبيان عنها ، بما هو أشدّ التباسا على من أراد علم معناها منها .

وقوله (وَوَقاهُمْ عَذابَ الجَحِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ) : يقول تعالى ذكره : ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار ، تفضلا يامحمد من ربك عليهم ، وإحسانا منه إليهم بذلك ، ولم يعاقبهم بجُرم سلف منهم فى الدنيا ، ولولا تفضله عليهم ، بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ماسلف منهم من ذلك ، لم يقهم عذاب الجحيم ، ولكن كان ينالهم ، ويصيبهم ألمه ومكروهه .

وقوله (ذَلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة ، من الكرامة التى وصفت فى هذه الآيات ، هو الفوز العظيم : يقول : هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه فى الدنيا بأعمالهم ، وطاعتهم لربهم ، واتقائهم إياه ، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض ، واجتناب المحارم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩) .

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يامحمد بلسانك ، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعِبَره وحُججه ، ويتّعظوا بعظاته ، ويتفكّروا فى آياته ، إذا أنت تتلوه عليهم ، فينيبوا إلى طاعة ربهم ، ويُذْعنوا للحقّ عند تبينهموه .

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمى (اللسان : ظنن) . قال : الجوهرى : الظن معروف . وقد يوضع موضع العلم . قال دريد بن الصمة : « فقلت لهم ظنوا . . . البيت » : أى استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لابالشك . والشاهد فى البيت عند المؤلف أن العلم قد يوضع فى موضع الظن ، كما أن الرجاء قد يوضع موضع الخوف .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) : أى هذا القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) قال : القرآن ، ويسّرناه : أطلق به لسانه .

وقوله (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانتظر أنت يامحمد الفتحَ من ربك ، والنصر على هؤلاء المشركين بالله ، من قومك من قريش ، إنهم منتظرون عند أنفسهم ، قهرَك وغلبتَك ، بصدّهم عما أتيتهم به من الحقّ ، من أراد قبوله واتباعك عليه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) : أى فانتظر إنهم منتظرون .

آخر تفسير سورة الدخان

تفسير سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣)

قد تقدم بياننا فى معنى قوله (حم) . وأما قوله (تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ) فإن معناه : هذا تنزيل القرآن من عند الله (العَزِيزِ) فى انتقامه من أعدائه ، (الحَكِيمِ) فى تدبيره أمر خلقه .

وقوله (إِنَّ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن فى السموات السبع اللاتى منهنّ نزول الغيث ، والأرض التى منها خروج الخلق أيها الناس (لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : لأدلةً وحُججا للمصدّقين بالحجج ، إذا تبيّنوها ورأوها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : وفى خلق الله إياكم أيها الناس ، وخلقه ما تفرّق فى الأرض من دابة تدبّ عليها ، من

غير جنسكم (آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعنى : حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء ، فيقرّون بها ، ويعلمون صحتها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ، وفى التى بعد ذلك ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (آياتٌ) رفعا على الابتداء ، وترك ردّها على قوله (لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (آياتٍ) خفضا ، بتأويل النصب ردّا على قوله (لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وزعم قارئو ذلك كذلك من المتأخرين ، أنهم اختاروا قراءته كذلك ، لأنه فى قراءة أُبىّ فى الآيات الثلاث (لَآياتٍ) باللام ، فجعلوا دخول اللام فى ذلك فى قراءته ، دليلا لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض ، وليس الذى اعتمدوا عليه من الحجة فى ذلك بحجة ، لأنه لا رواية بذلك عن أُبىّ صحيحة . وأُبىّ لو صحّت به عنه رواية ، ثم لم يُعْلَم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع ، لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرؤه خفضا ، بأَولى من الحكم عليه بأنه كان يقرؤه رفعا ، إذ كانت العرب قد تدخل اللام فى خبر المعطوف على جملة كلام تامّ ، قد عملت فى ابتدائها « إن » ، مع ابتدائهم إياه ، كما قال حُمَيد بن ثور الهلالىّ :

إنَّ الخلافَةَ بَعْدَهُمْ لَذَمِيمَةٌ وَخَلائِفٌ طُرُفٌ لَمِمَّا أَحْقِرُ[1]

فأدخل اللام فى خبر مبتدإ بعد جملة خبر قد عملت فيه « إن » إذ كان الكلام ، وإن ابتدئ منويا فيه إن .

والصواب من القول فى ذلك : إن كان الأمر على ما وصفنا ، أن يقال : إن الخفض فى هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار قد قرأ بهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئُ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ، ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)

❁ يقول تبارك وتعالى (وفى اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ) أيها الناس ، وتعاقبهما عليكم ، هذا بظلمته وسواده

(١) لم أجد البيت فى ديوان حميد بن ثور الهلالى طبعة دار الكتب المصرية (والخلاف الطرف) : هم الذين خلفوا بعد آبائهم القدماء . يقول إن الخلافة بعد الخلفاء الأولين صارت ذميمة ، والخلفاء المحدثون محتقرون فى عينى ، لأنهم لا يسلكون مسلك آبائهم . والشاهد فى البيت أن الشاعر استأنف بالواو جملة من مبتدأ وخبر مرفوعين ، بعد الجملة الأولى التى مبتدؤها منصوب بأن ، وذلك كما فى الآية « إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون » . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٩) قوله « وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات » : تقرأ الآيات بالخفض ، على تأويل النصب ، يرد على قوله « إن فى السموات والأرض لآيات » . ويقوى الخفض فيها أنها فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) : لآيات . وفى قراءة أبى لآيات . والرفع قراءة الناس على الاستئناف فيما بعد أن . والعرب تقول : إن لى عليك مالا ، وعلى أخيك مال كثير ، فينصبون الثانى ويرفعونه . وفى قراءة عبد الله : « وفى اختلاف الليل والنهار » فهذه تقوى خفض الاختلاف . ولو رفع رافع فقال : « واختلاف الليل والنهار آيات » أيضا ، يجعل الاختلاف آيات ، ولم نسمعه من أحد من القراء . قال : ولو رفع رافع الآيات فيها اللام ، كان صوابا . قال : أنشدنى الكسائى « إن الخلافة . . . البيت » .

وهذا بنوره وضيائه (وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ)وهو الغيث الذى به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض،حتى اهتزّت بالنبات والزرع من بعد موتها ، يعنى : من بعد جُدوبها وقُحوطها ومصيرها دائرة لانبت فيها ولا زرع .

وقوله (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) يقول : وفى تصريفه الرياح لكم شمالا مرّة ، وجنوبا أخرى ، وصَباً أحيانا ، ودَبُورا أخرى لمنافعكم .

وقد قيل : عُنِى بتصريفها بالرحمة مرّة ، وبالعذاب أخرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) قال : تصريفها إن شاء جعلها رحمة ، وإن شاء جعلها عذابا .

وقوله (آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : فى ذلك أدلة وحجج لله على خلقه ، لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر .

القول فى تأويل قوله تعالى

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : هذه الآيات والحجج يامحمد من ربك على خلقه، نتلوها عليك بالحقّ: يقول : نخبرك عنها بالحقّ لاباالباطل ، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل ، أنها تقرّبهم إلى الله زُلْفَى ، فبأىّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون : يقول تعالى ذكره للمشركين به : فبأىّ حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم ، وبعد حججه عليكم ، وأدلته التى دلكم بها على وحدانيته،من أنه لاربّ لكم سواه ، تصدّقون ، إن أنتم كذّبتم لحديثه وآياته . وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ (تُؤْمِنُونَ) على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين ، وذلك قراءة عامة قرّاء الكوفيين . وأما على قراءة من قرأه (يُؤْمِنُونَ) بالياء ، فإن معناه : فبأىّ حديث يامحمد بعد حديث الله الذى يتلوه عليك، وآياته هذه التى نبه هؤلاء المشركين عليها ، وذكّرهم بها ، يؤمن هؤلاء المشركون ، وهى قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة ، ولكلتا القراءتين وجه صحيح وتأويل مفهوم ، فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئُ فمصيب عندنا ، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء ، إذ كانت فى سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر ، وذلك قوله (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) و (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)

﴿ يقول تعالى ذكره : الوادي السائل من صديد أهل جهنم ، لكلّ كذّاب ذى إثم بربه ، مفتر عليه ، (يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ) يقول : يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه ، فيقيم عليه غير تائب منه . ولا راجع عنه (مُسْتَكْبِرًا) على ربه أن يُذعن لأمره ونهيه (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا) يقول : كأن لم يسمع ما تُلى عليه من آيات الله ، بإصراره على كفره (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول : فبشر يامحمد هذا الأفاك الأثيم ، الذى هذه صفته ، بعذاب من الله له . (أليم) : يعنى موجع فى نار جهنم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ، أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : (وَإِذَا عَلِمَ) هذا الأفاك الأثيم (مِنْ) آيات الله شيئًا (اتَّخَذَهَا هُزُوًا) : يقول : اتخذنا تلك الآيات التى علمها هزوا ، يسخر منها ، وذلك كفعل أبى جهل حين نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) إذ دعا بتمر وزبد فقال : تزقموا من هذا ، ما يعدكم محمد إلا شهدا ، وما أشبه ذلك من أفعالهم .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل ، وهم الذين يسمعون آيات الله تُتلى عليهم ، ثم يُصِرّون على كفرهم استكبارا ، ويتخذون آيات الله التى علموها هزوا ، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ، ويذلهم فى نار جهنم ، بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله ، واتباع آياته ، وإنما قال تعالى ذكره (أُولَئِكَ) فجمع . وقد جرى الكلام قبل ذلك (١) ردًّا للكلام إلى معنى الكلّ فى قوله (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ، وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا ، وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)

﴿ يقول تعالى ذكره : ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله ، يعنى من بين أيديهم . وقد بيّنّا العلة التى من أجلها قيل لما أمامك ، هو وراءك ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ؛ يقول : من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها ، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئا ؛ يقول : ولا يغنى عنهم من عذاب جهنم إذا هم عُذّبوا به ما كسبوا فى الدنيا من مال وولد شيئا .

وقوله (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) يقول : ولا آلهتهم التى عبدوها من دون الله ، ورؤساؤهم ، وهم الذين أطاعوهم فى الكفر بالله ، واتخذوهم نُصراء فى الدنيا ، تغنى عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئا (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقول : ولهم من الله يومئذ عذاب فى جهنم عظيم .

(١) لعله : وقد جرى الكلام قبل ذلك على الإفراد ، ردا الخ . . .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَٰذَا هُدًى ، وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد هُدًى : يقول : بيان ودليل على الحقّ ، يهدى إلى صراط مستقيم ، من اتبعه وعمل بما فيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) يقول : والذين جحدوا ما فى القرآن من الآيات الدالات على الحقّ ، ولم يصدّقوا بها ، ويعملوا بها ، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ، وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (الله) أيها القوم ، الذى لاتنبغى الألوهة إلا له ، الذى أنعم عليكم هذه النعم ، التى بيّنها لكم فى هذه الآيات ، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) لمعايشكم وتصرّفكم فى البلاد ، لطلب فضله فيها ، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم ، فتعبدوه وتطيعوه ، فيما يأمركم به ، وينهاكم عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم (وَمَا فِي الأَرْضِ) من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعا) منه . يقول تعالى ذكره : جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم ، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم ، وفضل منه تفضّل به عليكم ، فإياه فاحمدوا لاغيره ، لأنه لم يشركه فى إنعام هذه النعم عليكم شريك ، بل تفرّد بإنعامها عليكم ، وجميعها منه ، ومن نعمه فلا تجعلوا له فى شكركم له شريكا ، بل أفردوه بالشكر والعبادة ، وأخلصوا له الألوهة ، فإنه لاإله لكم سواه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعا مِنْهُ) يقول : كل شيء هو من الله ، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه ، فذلك جميعا منه ، ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن أنه كذلك .

وقوله (إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى تسخير الله لكم ، ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم فى هاتين الآيتين (لآياتٍ) يقول : لعلامات ودلالات على أنه لاإله لكم غيره ،

الذى أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التى لايقدر على تسخيرها غيره، لقوم يتفكرون فى آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها، ويتعظون إذا تدبروها، وفكّروا فيها.

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يامحمد للذين صدّقوا الله واتبعوك، يغفروا للذين لايخافون بأس الله ووقائعه ونقمه، إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه: (لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول: ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ، لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ): قال: كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يُعْرِض عن المشركين إذا آذَوْه، وكانوا يستهزئون به، ويكذّبونه، فأمره الله عزّ وجلّ أن يقاتل المشركين كافّة، فكان هذا من المنسوخ.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال: لايُبالون نعم الله، أو نقم الله.

حدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال: لايُبالون نعم الله، وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين. وإنما قُلنا: هى منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك.

ذكر من قال ذلك

قد ذكرنا الرواية فى ذلك عن ابن أبى عباس، حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال: نسختها ما فى الأنفال (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ، فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)، وفى براءة (قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال: نسختها (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ).

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله

(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : هذا منسوخ ، أمر الله بقتالهم فى سورة براءة .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال: نسخها التى فى الحج (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : هؤلاء المشركون ، قال : وقد نسخ هذا ، وفرض جهادهم ، والغلظة عليهم .

وجزم قوله (يَغْفِرُوا) تشبيها له بالجزاء والشرط ، وليس به ، ولكن لظهوره فى الكلام على مثاله ، فعُرِّب تعريبه ، وقد مضى البيان عنه قبل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِيَجْزِيَ قَوْمًا) فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة : (لِيَجْزِيَ) بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم . وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين (لِنَجْزِيَ) بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه . وذُكر عن أبى جعفر القارئ أنه كان يقرؤه (لِيُجْزَى قَوْمًا) على مذهب مالم يسمّ فاعله، وهو على مذهب كلام العرب لحن[1] ، إلا أن يكون أراد : ليجزى الجزاءُ قوما ، بإضمار الجزاء ، وجعله مرفوعا (لِيُجْزَى) ، فيكون وجها من القراءة ، وإن كان بعيدا [2].

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن قراءته بالياء والنون، على ماذكرت من قراءة الأمصار، جائزة بأىّ تينك القراءتين قرأ القارئ . فأما قراءته على ما ذكرت عن أبى جعفر ، فغير[3] جائزة عندى لمعنيين : أحدهما : أنه خلاف لما عليه الحجة من القرّاء ، وغير جائز عندى خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم . والثانى بعدها من الصحة فى العربية إلا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : من عمل من عباد الله بطاعته ، فانتهى إلى أمره ، وانزجر لنهيه ، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل ، وطلب خلاصها من عذاب الله ، أطاع ربه لا لغير ذلك ، لأنه لاينفع ذلك غيره ، والله عن عمل كل عامل غنىّ (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) يقول : ومن أساء عمله فى الدنيا، بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهيه ، فعلى نفسه جنى ، لأنه أوبقها بذلك ، وأكسبها به سُخْطه ، ولم يضرّ أحدا سوى نفسه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح ، جُوزى من الثواب صالحا ، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزى من الثواب سيئا .

(١) ليس كلام العرب حجة على القراءة ولكن القراءة حجة على كلامهم .

(٢) يجوز أن يكون الفاعل نائب الفاعل هو قوله تعالى(«بما» كانوا يكسبون).

(٣) قوله فغير جائزة ، هذا خطأ لأن القراءة عشرية صحيحة متواترة فى قوة السبعة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦)

﴿ يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يا محمد (بَنِي إِسْرائِيلَ الكِتابَ) يعنى التوراة والإنجيل ، (والحُكْمَ) يعنى الفهم بالكتاب ، والعلم بالسُّنن التى لم تنزل فى الكتاب ، (وَالنُّبُوَّةَ) يقول : وجعلنا منهم أنبياء ورسلا إلى الخلق ، (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) يقول : وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا ، وذلك ما أطعمهم من المنّ والسلوى (وَفَضَّلْنَاهُمْ على العالَمِينَ) يقول : وفضلناهم على عالَمِى أهل زمانهم فى أيام فرعون ، وعهده فى ناحيتهم بمصر والشأم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)

﴿ يقول تعالى ذكره : وأعطينا بنى إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة ، فيها تفصيل كلّ شئ (فَمَا اخْتَلَفُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) طلبا للرياسات ، وتركا منهم لبيان الله تبارك وتعالى فى تنزيله .

وقوله (إنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يامحمد يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بغيا بينهم ، يوم القيامة ، فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون بعد العلم الذى أتاهم ، والبيان الذى جاءهم منه ، فيُفْلِج المحقّ حينئذ على المُبطل ، بفصل الحكم بينهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩)

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يامحمد من بعد الذى آتينا بنى إسرائيل ، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ) يقول : على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذى أمرنا به من قبلك من رسلنا (فاتَّبِعْها) يقول : فاتبع تلك الشريعة التى جعلناها لك (وَلا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذِينَ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولا تتبع مادعاك إليه الجاهلون بالله ، الذين لايعرفون الحقّ من الباطل ، فتعمل به ، فتهلك إن عملت به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) قال : يقول على هُدًى من الأمر وبيِّنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) والشريعة : الفرائض والحدود والأمر والنهى ، فاتبعها (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ) قال : الشريعة : الدين . وقرأ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) قال : فنوح أوّلهم ، وأنت آخرهم .

وقوله (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الجاهلين بربهم ، الذين يدعونك يامحمد إلى اتباع أهوائهم ، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم ، وخالفت شريعة ربك التى شرعها لك من عقاب الله شيئا ، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك ، وينقذوك منه .

وقوله (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول : وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض ، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته ، (وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والله يلى من اتقاه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، بكفايته ودفاع من أراده بسوء ، يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : فكن من المتقين ، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون ، فإنه ولىّ من اتقاه ، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم ، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليّك وناصرك .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : (هَذَا) الكتاب الذى أنزلناه إليك يامحمد (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) يُبْصِرون به الحقّ من الباطل ، ويعرفون به سبيل الرشاد ، والبصائر : جمع بصيرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) قال : القرآن . قال : هذا كله إنما هو فى القلب . قال : والسمع والبصر فى القلب . ، وقرأ (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ) وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها .

وقوله (وَهُدًى) يقول : ورشاد (وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بحقيقة صحة هذا القرآن ، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم . وخصّ جلّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة ، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر ، فكان عليه عمًى وله حزنا .

وقوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) يقول تعالى ذكره : أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال فى الدنيا ، وكذّبوا رسل الله ، وخالفوا أمر ربهم ، وعبدوا غيره ، أن نجعلهم فى الآخرة ، كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات ، فأطاعوا الله ، وأخلصوا له العبادة ، دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، كلاّ ،ما كان الله ليفعل ذلك ، لقد ميز بين الفريقين ، فجعل حزب الإيمان فى الجنة ، وحزب الكفر فى السعير .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) . . . الآية ، لعمرى لقد تفرّق القوم فى الدنيا ، وتفرّقوا عند الموت ، فتباينوا فى المصير .

وقوله (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) اختلف القرّاء فى قراءة قوله (سَوَاءٌ) ، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (سَوَاءٌ) بالرفع ، على أن الخبر متناه عندهم عند قوله(كَالَّذِينَ آمَنُوا) وجعلوا خبر قوله (أَنْ نَجْعَلَهُمْ) قوله (كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ، ثم ابتدءوا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته ، ومحيا الكافر ومماته ، فرفعوا قوله (سَوَاءٌ) على وجه الابتداء بهذا المعنى ، وإلى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) قال : المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن ، والكافر فى الدنيا والآخرة كافر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا حسين ، عن شيبان ، عن ليث ، فى قوله (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) قال : بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا ، والكافر كافرا حيا وميتا .

وقد يحتمل الكلام إذا قرئ سواء رفعا وجها آخر غير هذا المعنى الذى ذكرناه عن مجاهد وليث ، وهو أن يوجّه إلى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواءٌ فى الحياة والموت ، بمعنى : أنهم لايستوون ، ثم يرفع سواءٌ على هذا المعنى ، إذ كان لاينصرف ، كما يقال : مررت برجل خير منك أبوه ، وحسبُك أخوه ، فرفع حسبك ، وخير إذ كانا فى مذهب الأسماء ، ولو وقع موقعهما فعل فى لفظ اسم لم يكن إلا نصبا ، فكذلك قوله (سواء) . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سَوَاءً) نصبا ، بمعنى : أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل العلم بالقرآن ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (سَوَاءً) ورفعه ، فقال بعض نحوِيّى البصرة (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) رفع . وقال بعضهم : إن المحيا والممات للكفار كله ، قال (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ثم قال : سواء محيا الكفار ومماتهم : أى محياهم محيا سَوَاء ، ومماتهم ممات سَوَاء ، فرفع السواء على الابتداء . قال : ومن فسَّر المحيا والممات للكفار والمؤمنين ، فقد يجوز فى هذا المعنى نصب السواء ورفعه ، لأن من جعل السواء مستويا ، فينبغى له فى القياس أن يُجريه على ما قبله ، لأنه صفة ، ومن جعله الاستواء ، فينبغى له أن يرفعه لأنه اسم ، إلا أن ينصب المحيا والممات على البدل ، وينصب السواء على الاستواء ، وإن شاء رفع السواء إذا كان فى معنى مستو ، كما تقول : مررت برجل خير منك أبوه ، لأنه صفة لاينصرف والرفع أجود . وقال بعض نحوِيّى الكوفة قوله (سَوَاءً مَحْيَاهُمْ) بنصب سواء وبرفعه ، والمحيا والممات فى موضع رفع بمنزلة ، قوله : رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله فعلا لما عاد على الناس من ذكرهم ، قال : وربما جعلت العرب سواء فى مذهب اسم بمنزلة حسبك ، فيقولون : رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم . فيكون كقولك : مررت برجل حسبك أبوه ، قال : ولو جعلت مكان سواء مستو لم يرفع ، ولكن تجعله متبعا لما قبله ، مخالفا لسواء ، لأن مستوى من صفة القوم ، ولأن سواء كالمصدر ، والمصدر اسم . قال : ولو نصبت المحيا والممات كان وجها ، يريد أن نجعلهم سواء فى محياهم ومماتهم .

وقال آخرون منهم : المعنى : أنه لايساوى من اجترح السيئات المؤمن فى الحياة ، ولا الممات ، على أنه وقع موقع الخبر ، فكان خبرا لجعلنا ، قال : والنصب للأخبار كما تقول : جعلت إخوتك سواء ، صغيرهم وكبيرهم ، ويجوز أن يرفع ، لأن سواء لاينصرف . وقال : من قال : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فجعل كالذين الخبر استأنف بسواء ورفع ما بعدها ، وإن نصب المحيا والممات نصب سواء لاغير ، وقد تقدّم بياننا الصواب من القول فى ذلك .

وقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره : بئس الحكم الذى حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)

❁ يقول تعالى ذكره : (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) للعدل والحقّ ، لا لما حَسِب هؤلاء الجاهلون بالله ، من أنه يجعل من اجترح السيئات ، فعصاه وخالف أمره ، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فى المحيا والممات ، إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف ، يقول جلّ ثناؤه : فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور ، ولكنا خلقناهما للحقّ والعدل . ومن الحقّ أن نخالف بين حكم المسىء والمحسن ، فى العاجل والآجل .

وقوله (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كلّ عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لانبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جُرْمَ غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره، فنكرمه، ولكن لنجزى كلا بما كسبت يداه، وهم لايُظلمون جزاء أعمالهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ، وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً، فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (٢٣)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه، لأنه لايؤمن بالله، ولا يحرّم ما حرّمَ، ولا يحلل ما حلّلَ، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبوصالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) قال: ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) قال: لايهوى شيئا إلا ركبه، لايخاف الله

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادتَه نفسُه من شىء.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: كانت قريش تعبد العُزّى ـ وهو حجر أبيض ـ حينا من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه، طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأنزل الله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يامحمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هَوِىَ من شىء دون إله الحقّ الذى له الألوهة من كلّ شىء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه، دون غيره.

وقوله (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره: وخذله عن مَحَجّة الطريق، وسبيل الرشاد، فى سابق علمه، على علم منه بأنه لايهتدى، ولو جاءته كل آية.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ) يقول : أضله الله فى سابق علمه .

وقوله (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) يقول تعالى ذكره : وطَبَعَ على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآى كتابه ، فيعتبر بها ويتدبرها ، ويتفكر فيها ، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهُدى .

وقوله (وَقَلْبِهِ) يقول : وطبع أيضا على قلبه ، فلا يعقل به شيئا ، ولا يعى به حقا .

وقوله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) يقول : وجعل على بصره غشاوة أن يُبصر به حجج الله ، فيستدلّ بها على وحدانيته ، ويعلم بها أن لا إله غيره .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (غِشَاوَةً) بكسر الغين ، وإثبات الألف فيها ، على أنها اسم ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (غَشْوَةً) بمعنى : أنه غشاه شيئا فى دفعة واحدة ، ومرّة واحدة ، بفتح الغين بغير ألف ، وهما عندى قراءتان صحيحتان ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : فمن يوفّقه لإصابة الحقّ ، وإبصار محجة الرشد ، بعد إضلال الله إياه ؟ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس ، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا ، فلن يهتدى أبدا ، ولن يجد لنفسه وليا مرشدا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم : ما حياة إلا حياتنا الدنيا التى نحن فيها ، لا حياة سواها ، تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) : أى لعمرى ، هذا قول مشركى العرب .

وقوله (نَمُوتُ وَنَحْيَا) نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا ، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم ، لأنهم منهم وبعضهم ، فكأنهم بحياتهم أحياء ، وذلك نظير قول الناس : ما مات من خلّف ابنا مثلَ فلان ، لأنه بحياة ذكره به كأنه حيّ غير ميت . وقد يحتمل وجها آخر ، وهو أن يكون معناه : نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات ، كما يقال : قمت وقعدت ، بمعنى : قعدت وقمت ، والعرب تفعل ذلك فى الواو خاصة ، إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان ، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر ، تقدم المتأخر حدوثا على المتقدّم حدوثه منهما أحيانا ، فهذا من ذلك ، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون

الحياة قبل الممات ، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة ، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياء وأخرى أمواتا .

وقوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا : وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالى والأيام وطول العمر ، إنكارا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم .

وقد ذُكر أنها فى قراءة عبد الله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ دَهْرٌ يَمُرُّ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) قال : الزمان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) قال ذلك مشركو قريش (ما يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) : إلا العمر .

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون : الذى يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان ، ثم يَسُبُّون ما يفنيهم ويهلكهم ، وهم يرون أنهم يَسُبُّون بذلك الدهر والزمان ، فقال الله عزّ وجلّ لهم : أنا الذى أفنيكم وأهلككم ، لا الدهر والزمان ، ولا علم لكم بذلك .

ذكر الرواية بذلك عمن قاله

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عُيينة ، عن الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « كَانَ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُهْلِكُنا اللَّيْلُ وَالنَّهارُ ، وَهُوَ الَّذِى يُهْلِكُنا وَيُمِيتُنا وَيُحْيِينا ، فقال الله فى كتابه : (وَقالُوا ما هِيَ إِلاَّ حَياتُنا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا ، وَما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ) قال : فَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ ، فَقالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى : يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وأنا الدَّهْرُ ، بِيَدِى الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ » .

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعىّ ، قال : ثنا أبو رَوْح ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو هريرة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قالَ اللهُ تَعالى : يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ ، وأنا الدَّهْرُ ، بِيَدِى اللَّيْلُ والنَّهارُ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُولُ اللهُ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِى فَلَمْ يُعْطِنِى ، وَسَبَّنِى عَبْدِى ، يَقُولُ : وَادَهْرَاهُ ، وأنا الدَّهْرُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهريّ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « إنّ اللهَ قالَ : لايَقُولَنَّ أحَدُكُمْ : يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فإنّي أنا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ ونَهارَهُ ، وَإذا شِئْتُ قَبَضْتُهُما » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن هشام ، عن أبي هريرة قال : « لاتَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فإنّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ ، وَما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إنْ هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ » يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين القائلين : ما هي إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يُهلكنا إلا الدهر ، بما يقولون من ذلك من علم : يعني من يقين علم ، لأنهم يقولون ذلك تخرّصا بغير خبر أتاهم من الله ، ولا برهان عندهم بحقيقته (إنْ هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ) يقول جلّ ثناؤه : ما هم إلا في ظنّ من ذلك ، وشكّ يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا : ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث آياتنا ، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم ، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب (بيِّنات) يعني : واضحات جليات ، تنفي الشكّ عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك (ماكانَ حُجَّتَهُمْ إلاّ أنْ قالُوا ائْتُوا بآبائِنا إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)

يقول جلّ ثناؤه : لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له : ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء ، وانشرهم لنا إن كنت صادقا فيما تتلو علينا وتخبرنا ، حتى نصدّق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا ، ومحيينا من بعد فنائنا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاءالمشركين المكذّبين بالبعث ، القائلين لك ائتنا بآبائنا إن كنت صادقا : اللهُ أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا ، ثم يميتكم فيها إذا شاء ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ، يعني أنه يجمعكم جميعا أوّلكم وآخركم ، وصغيركم وكبيركم (إلى يوم القيامة) . يقول : ليوم القيامة ، يعني أنه يجمعكم جميعا أحياء ليوم القيامة (لارَيْبَ فيهِ) يقول : لاشكّ فيه ، يقول : فلا تشكّوا في ذلك ، فإن الأمر كما وصفت لكم (وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث ، لايعلمون حقيقة ذلك ، وأن الله محييهم من بعد مماتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ولله سلطان السموات السبع والأرض ، دون ما تدعونه له شريكا ، وتعبدونه من دونه ، والذى تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد فى مُلكه وسلطانه ، جارٍ عليه حكمه ، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا ، أم كيف تعبدونه ، وتتركون عبادة مالككم ، ومالك ما تعبدونه من دونه؟ (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقول تعالى ذكره: ويوم تجىء الساعة التى يُنْشِر الله فيها الموتى من قبورهم ، ويجمعهم لموقف العرض ، (يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ) : يقول : يُغْبَن فيها الذين أبطلوا فى الدنيا فى أقوالهم ودعواهم لله شريكا ، وعبادتهم آلهة دونه ، بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقُّون ، ويبدَّلوا بها منازل من النار كانت للمحقين ، فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة ، ذلك هو الخسران المبين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ، ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية : يقول : مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) قال : على الركب مستوفزين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) قال : هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) يقول : على الركب عند الحساب .

وقوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يقول : كل أهل ملة ودين تُدعى إلى كتابها الذى أملت على حفظتها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة ، وقوم قبل قوم ، ورجل قبل رجل . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُمَثَّلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ القِيامَةِ ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ حَجَرٍ ، أوْ وَثَنٍ أوْ خَشَبَةٍ ، أوْ دابَّةٍ ، ثُمَّ يُقالُ : مَنْ كانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ ، فَتَكُونُ ، أوْ تُجْعَلُ تِلْكَ الأوْثانُ قادَةً إلى النَّارِ حتى تَقْذِفَهُمْ فِيها ، فَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

وأهلُ الكتابِ ، فيقولُ لليهودِ : ما كنتم تعبدونَ ؟ فيقولونَ : كنّا نعبدُ اللهَ وعزيرًا ، إلاّ قليلاً منهم ، فيقالُ لهم : أمّا عزيرٌ فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذُ بهم ذاتَ الشِّمالِ ، فينطلقونَ ولا يستطيعونَ مكوثًا ، ثم يُدعى بالنصارى ، فيقالُ لهم : ما كنتم تعبدونَ ؟ فيقولونَ : كنّا نعبدُ اللهَ والمسيحَ إلاّ قليلاً منهم ؛ فيقالُ : أمّا عيسى فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذُ بهم ذاتَ الشِّمالِ ، فينطلقونَ ولا يستطيعونَ مكوثًا ، وتبقى أمةُ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فيقالُ لهم : ما كنتم تعبدونَ ؟ فيقولونَ : كنّا نعبدُ اللهَ وحدَه ، وإنما فارقنا هؤلاءِ في الدنيا مخافةَ يومِنا هذا ، فيؤذنُ للمؤمنينَ في السجودِ ، فيسجدُ المؤمنونَ ، وبينَ كلِّ مؤمنٍ منافقٌ ، فيقسو ظهرُ المنافقِ عن السجودِ ، ويجعلُ اللهُ سجودَ المؤمنينَ عليه توبيخًا وصغارًا وحسرةً وندامةً » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهرىّ ، عن عطاء بن يزيد الليثىّ ، عن أبى هريرة ، قال : « قال الناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضامونَ في الشمسِ ليس دونَها سحابٌ ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دونَه سحابٌ ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فإنكم ترونَه يومَ القيامةِ كذلك ، يجمعُ اللهُ الناسَ فيقولُ : من كانَ يعبدُ شيئًا فليتبعْه ، فيتبعُ من كانَ يعبدُ القمرَ القمرَ ، ومن كانَ يعبدُ الشمسَ الشمسَ ، ويتبعُ من كانَ يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها ، فيأتيهم ربُّهم في صورةٍ ، ويُضربُ جسرٌ على جهنمَ ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فأكونُ أولَ من يجيزُ ، ودعوةُ الرسلِ يومئذٍ : اللهمَّ سلِّمْ اللهمَّ سلِّمْ ، وبها كلاليبُ كشوكِ السعدانِ ، هل رأيتم شوكَ السعدانِ ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثلُ شوكِ السعدانِ ، غيرَ أنّه لا يعلمُ أحدٌ قدرَ عظمِها إلاّ اللهُ ، ويختطفُ الناسُ بأعمالِهم ، فمنهم الموبقُ بعملِه ، ومنهم المخردلُ ، ثم ينجو ، ثم ذكر الحديث بطوله » .

وقوله (اليومَ تجزونَ ما كنتم تعملونَ) يقول تعالى ذكره : كلّ أمة تُدعى إلى كتابها ، يقال لها : اليوم تجزون : أى تُثابون وتعطَون أجور ما كنتم فى الدنيا من جزاء الأعمال تعملون ، بالإحسان الإحسانَ ، وبالإساءة جزاءها .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : لكلّ أمة دعيت فى القيامة إلى كتابها الذى أمْلَت على حفظتها فى الدنيا (اليومَ

(تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فلا تجزعوا من ثوابنا كم على ذلك ، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقرءوه (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم ، فتثبتها فى الكتب وتكتبها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عطاء بن مِقْسَم ، عن ابن عباس (هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) قال : هو أمّ الكتاب ، فيه أعمال بنى آدم (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نعم الملائكة يستنسخون أعمال بنى آدم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، قال : ثنى أخى عيسى بن عبد الله بن ثابت الثُّمالى ، عن ابن عباس ، قال : «إن الله خلق النون وهى الدواة ، وخلق القلم ، فقال : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، برّ أو فجور ، أو رزق مقسوم ، حلال أو حرام ، ثم ألزم كلّ شىء من ذلك شأنه : دخوله فى الدنيا ، ومقامه فيها كم ؟ وخروجه منها كيف ، ثم جعل على العباد حفظة ، وعلى الكتاب خزانا ، فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا ، فترجع الحفظة ، فيجدونهم قد ماتوا ، قال : فقال ابن عباس : ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس (هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) قال : الكتاب : الذكر (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نستنسخ الأعمال .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا النضر بن إسماعيل ، عن أبى سنان الشيبانىّ ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى عبد الرحمن السلمىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « إن لله ملائكة ينزلون فى كل يوم بشىء يكتبون فيه أعمال بنى آدم » .

وقوله (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يقول تعالى ذكره : فأما الذين آمنوا بالله فى الدنيا فوحدوه ، ولم يشركوا به شيئا ، (وعملوا الصالحات) . يقول : وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يعنى فى جنته برحمته .

وقوله (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) يقول : دخولهم فى رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه ، وإدراك ما كانوا يسعون فى الدنيا له ، المبين غايتهم فيها ، أنه هو الفوز .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا وحدانية الله ، وأبوا إفراده فى الدنيا بالألوهة ، فيقال لهم : ألم تكن آياتى فى الدنيا تتلى عليكم .

فإن قال قائل : أو ليست أمَّا تجاب بالفاء ، فأين هى ؟ فإن الجواب أن يقال : هى الفاء التى فى قوله (أفلَمْ) . وإنما وجه الكلام فى العربية لو نطق به على بيانه وأصله ، أن يقال : وأما الذين كفروا ، فألم تكن آياتى تتلى عليكم ، لأن معنى الكلام : وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم ، فوضع الفاء فى ابتداء المحذوف الذى هو مطلوب فى الكلام ، فلما حُذفت يقال : وجاءت ألف استفهام ، حكمها أن تكون مبتدأة بها ، ابتدئ بها وجعلت الفاء بعدها ، وقد تُسقط العرب الفاء التى هى جواب « أما » فى مثل هذا الموضع أحيانا إذا أسقطوا الفعل الذى هو فى محلّ جواب أما . كما قال جلّ ثناؤه (فأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ) فحذفت الفاء ، إذ كان الفعل الذى هو فى جواب أما محذوفا وهو فيقال ، وذلك أن معنى الكلام : فأما الذين اسودّت وجوههم فيقال لهم : أكفرتم ، فلما أسقطت ، يقال الذى به تتصل الفاء سقطت الفاء التى هى جواب أما .

وقوله (فاسْتَكْبَرْتُمْ) يقول : فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها (وكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ) يقول : وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله ، لاتصدّقون بمعاد ، ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ ، إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : ويقال لهم حينئذ : (وَإِذَا قِيلَ) لكم (إِنَّ وَعْدَ اللهِ) الذى وعد عباده ، أنه محييهم من بعد مماتهم ، وباعثهم من قبورهم (حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ) التى أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم ، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، آتية (لارَيْبَ فيها) يقول : لاشكّ فيها ، يعنى فى الساعة ، والهاء فى قوله (فيها) من ذكر الساعة . ومعنى الكلام : والساعة لاريب فى قيامها ، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله ، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها (قُلْتُمْ ما نَدْرِى ما السَّاعَةُ) تكذيبا منكم بوعد الله جلّ ثناؤه ، وردّا لخبره ، وإنكارا للقُدرته على إحيائكم من بعد مماتكم .

وقوله (إنْ نَظُنُّ إلاَّ ظَنًّا) يقول : وقلتم ما نظنّ إن الساعة آتية إلا ظنا (وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أنها جائية ، ولا أنها كائنة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (والسَّاعَةُ لارَيْبَ فيها) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة و(السَّاعَةُ) رفعا على الابتداء . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (والسَّاعَةَ) نصبا عطفا بها على قوله (إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار ، صحيحتا المخرج في العربية ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣)

❊ يقول تعالى ذكره : وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال ، يقول : ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها ، لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا ، (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم : إن الله محله بمن كذب به ، على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤)

❊ يقول تعالى ذكره : وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم : اليوم نترككم في عذاب جهنم ، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ) نترككم . وقوله (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ) يقول : ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنم ، (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) يقول : وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله ، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم ، فيستنقذ لكم منه .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)

❊ يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هذا الذي حلّ بكم من عذاب الله اليوم (بِأَنَّكُمْ) في الدنيا (اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا) ، وهي حججه وأدلته وآي كتابه ، التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم (هُزُوًا) يعني سخرية تسخرون منها (وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : وخدعتكم زينة الحياة الدنيا ، فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله ، يقول تعالى ذكره : (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) من النار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يقول : ولا هم يردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٦) وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣٧) ﴾ .

يقول تعالى ذكره : (فَلِلَّهِ الحَمْدُ) على نعمه وأياديه عند خلقه ، فإياه فاحمدوا أيها الناس ، فإن كلّ ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن ، ودون ما تتخذونه من دونه ربا ، وتشركون به معه (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ) يقول : مالك السموات السبع ، ومالك الأرضين السبع و(رَبِّ العالَمِينَ) يقول : مالك جميع ما فيهنّ من أصناف الخلق ، وله الكبرياء فى السموات والأرض ، يقول : وله العظمة والسلطان فى السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد (وَهُوَ العَزِيزُ) فى نقمته من أعدائه ، القاهر كل مادونه ، ولا يقهره شىء (الحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء . والله أعلم .

آخر تفسير سورة الجاثية

تمّ الجزء الخامس والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ
ويليه الجزء السادس والعشرون
أوّله : تفسير سورة الأحقاف

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY